موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

ندوات اذاعية

اذاعة دمشق

www.nabulsi.com info@nabulsi.com

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - الاسلام والحياة - الحلقة 1 : التوحيد.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 27-12-1998

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: تعلمون أن في شهر رمضان المبارك شهر القرآن، شهر تفتح أبواب السماء وتصفيد الشياطين، ونحن في سوق الجنة هذا التوحيد نراه مرتسماً على المؤمنين سلوكاً وأعمالاً ونيةً طبعاً في الأصل هذه الناحية، إذا أردنا أن نتعرف على التوحيد في إطاراته المتعددة أو من جوانبه المتعددة نبدأ ذلك من التعريف، كيف نعرف التوحيد وماذا نقول في ذلك ؟

الاستاذ: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، التوحيد نهاية العلم كما قال العلماء، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، والتوحيد هو لب الإسلام بل هو محور رسالات السماء، ربنا عز وجل يقول:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25))

[سورة الأنبياء]

إله واحد خالق كل شيء، ورب كل شيء له الأمر وإليه المصير في السماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ، قال تعالى:

(وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123))

[سورة هود]

هو وحده الجدير أن يعبد فلا يلحد، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يطاع فلا يعصى، روى الشيخان البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل:

((عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلا أَخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاذُ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاذُ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ ابْنَ جَبَلٍ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ))

[مسلم - الترمذي - أبي داود - ابن ماجة - أحمد]

كأن الله عز وجل أنشأ لعباده حقاً عليه إذا هم عبدوه أن لا يعذبهم ولا ننسى أن مطلب السلامة والسعادة مطلبان ثابتان لكل إنسان على وجه الأرض، والتوحيد والعبادة يحققان للإنسان مطلب سلامته وسعادته في الدنيا والآخرة.

التوحيد أيضاً له سلوك ظاهر على الإنسان وهذا السلوك ممكن أن يندرج تحت أمور متعددة، إذا تحدثنا عن لوازم التوحيد فماذا يمكن أن نشرح ؟

من أبرز لوازم التوحيد أستاذ عدنان أن لا يتخذ الإنسان من دون الله رباً يعظمه كما يعظم الله، قال تعالى:

(قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164))

[سورة الأنعام]

فلو اعتقد أن جهةً غير الله يمكن أن تعطي أو أن تمنع، يمكن أن تخفض أو أن ترفع، يمكن أن تعز أو أن تذل مستقلة عن إرادة الله فقد أشرك، والشرك ذنب لا يغفر، قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً (48))

[سورة النساء]

لأن المشرك يمشي في طريق مسدود، قال تعالى:

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26))

[سورة آل عمران]

على هذا يمكن أن يكون من لوازم التوحيد أن لا يتخذ الإنسان من دون الله ولياً، أليس كذلك ؟

هذا شيء صحيح، فالإنسان حينما يوحد الله عز وجل ينبغي أن لا يوالي أحداً إلا الله لأن الله ولي الذين أمنوا، ذلك أن الذين كفروا لا مولى لهم، أن لا يتخذ الإنسان من دون الله ولياً يحبه كحب الله، قال تعالى:

(قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14))

[سورة الأنعام]

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31) نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (32))

[سورة فصلت]

نحن خالق الكون، مبدع السماوات والأرض من بيده كل شيء من إليه يرجع الأمر كله يقول لهذا الإنسان الضعيف أنا وليك يا عبدي إذا كان الله معك فمن عليك وإذا كان الله عليك فمن معك، يا ربي ماذا فقد من وجدك وماذا وجد من فقدك ؟ هذا لازم آخر من لوازم التوحيد، ومن لوازم التوحيد أيضاً أن لا يتخذ الإنسان غير الله حكماً يطيعه كما يطيع الله، قال تعالى:

(أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (114))

[سورة الأنعام]

أستاذ عدنان هناك نقطة دقيقة جداً، الله عز وجل من خلال آية سأقرأها بعد قليل ينفي عن المؤمن الإيمان كلياً إذا احتكم إلى غير الله يقول الله عز وجل:

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً (36))

[سورة الأحزاب]

لأن الإنسان أعقد آلة في الكون، ولهذا الإنسان خالق عظيم وتوجيهات الله في قرآنه الكريم وفي سنته سنة نبيه المطهرة هي بمثابة تعليمات الصانع والجهة الصانعة هي الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها لأنها الجهة الخبيرة، قال تعالى:

(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14))

[سورة فاطر]

لو أن عندنا آلة كالحاسوب، آلة غالية جداً لها نفع عظيم تقضي لنا حوائجنا الحسابية وأصابها خلل، من منا يدفع هذه الآلة المعقدة إلى بائع خضار طيب نحبه كثيراً ليصلحها لنا ؟ لا يمكن، لابد من أن ندفعها إلى الخبير، فالإنسان في تعامله اليومي يبحث عن الخبير لماذا في تعامله مع نفسه، ومع جسمه، مع دنياه، ومع آخرته، لا يبحث عن تعليمات الخبير ؟ قال تعالى:

(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14))

[سورة فاطر]

فمن لوازم التوحيد أن لا ترجع إلى حكم إلا الله عز وجل.

الحقيقة كما بينتم من لوازم التوحيد أن الإنسان عندما يتبع هذه اللوازم لاشك أنه سيعطي ثماراً جنية واضحة يحبها الجميع، وينتفع منها الجميع، لو تطرقنا إلى ثمرات التوحيد فماذا يمكن أن نقول ؟

الحقيقة إن الإنسان حينما يؤمن بالله خالقاً هذه حقيقة حينما يؤمن بها ما فعل شيئاً كما لو أن الشمس ساطعة قلت أن الشمس ساطعة أنت ما فعلت شيئاً، لو قلت خلاف ذلك اتهم عقلك، أما حينما تقول أن

الشمس ساطعة وهي ساطعة ما فعلت شيئاً، أما التوحيد شيء آخر، التوحيد حينما تتعرف إلى الله وتصطلح معه وتقيم منهجه في بيتك وفي عملك، تقطف ثماراً يانعة، ثمار الدين يانعةٌ جداً، ولكن الإنسان إن لم يقدم الثمن الذي فرضه الله علينا كي يعطينا هذه الثمار يغدو الدين ثقافةً، يغدو عادات وتقاليد، يغدو أحياناً فلكلور وتذهب قيمته الحقيقية، فحينما نؤدي اللوازم التي أمرنا الله بها، حينما نؤمن به خالقاً ومربياً ومسيراً، وحينما نطبق منهجه في بيوتنا وأعمالنا عندئذٍ يسمح الله لنا أن نقطف هذه الثمار.

التوحيد في الواقع يحرر الإنسان من كل عبودية إلا لربه الواحد الديان، الذي خلقه فسواه وكرمه، التوحيد تحرير لعقل الإنسان من الخرافات والأوهام، التوحيد تحرير لضميره من الخضوع والذل والاستسلام، التوحيد تحرير لحياته من تسلط الأرباب والمتألهين فالتوحيد حرية لا يليق بالإنسان أن يكون لغير الله، فحينما يوحد الله عز وجل حرر نفسه من كل ألوان الضغوط الأرضية وأصبح عبداً لله عز وجل يأتمر بما أمر الله وينتهي عما نهى وزجر ومن ثمار التوحيد أيضاً أن التوحيد يعين على تكون الشخصية المتزنة قال تعالى:

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22))

[سورة المعارج]

هناك نقاط ضعف في شخصية الإنسان أرادها الله لصالح الإنسان هذه الآلة المعقدة جداً فيها نقطة ضعف تسمى في التعبير الاصطلاحي ـ فيوز ـ نقطة الضعف هذه في الإنسان لأن الإنسان خلق هلوعا خلقه كثير الجزع، خلقه كثير الحرص، خلقه ضعيفاً، لو أنه خلقه قوياً لاستغنى بقوته فشقي باستغنائه، خلقه ضعيفاً ليفتقر في ضعفه فيسعد بافتقاره، فالإنسان عندما يوحد الله عز وجل ما الذي يحصل ؟ تتكون شخصيته المتزنة التي توضحت في الحياة وجهتها، وتوحدت غايتها وتحددت طريقتها، فليس لها إلا إله واحد تتجه إليه في الخلوة والجلوة وتدعوه في السراء والضراء، وتعمل على ما يرضيه في الصغيرة والكبيرة، في القرآن الكريم:

(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39))

[سورة يوسف]

لو أن موظفاً في شركة علاقته مع عدة أشخاص يكاد يتمزق، هذا يأمره أن تعال، هذا يأمره أن اذهب، هذا يأمره أن اجلس، هذا يأمره أن يقف، أما إذا كانت علاقة هذا الموظف مع واحد يرتاح تماماً وهذا هو التوحيد، أيضاً والله عز وجل يقول:

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (29))

[سورة الزمر]

لذلك من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله الهموم كلها، اعمل لوجه واحد يكفك الهموم كلها، حينما تعتقد أن الله بيده كل شيء لذلك الله عز وجل ما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك إن أمرك كله عائد إليه إليه يرجع الأمر كله، كله توكيد فاعبده وتوكل عليه.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - الاسلام والحياة - الحلقة 2 : التعاون.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1998-12-29

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: الحديث في شهر رمضان المبارك مهما كان نبعه ومهما كان عنوانه له وضع خاص وله نكهة زكية، والتعاون في الأصل واجب ديني وضرورة حياتية أيضاً، فما بين الواجب الديني التكليف والضرورة الحياتية في تكون ذات الإنسان إذ إنه لا يستطيع أن يقوم بأعماله منفرداً ولا يستطيع أن يحقق لحياته الحاجات فيها منفرداً أيضاً، وهنا من كمال الدين أن جعل ضرورة الحياة ضمن تكليف الإنسان، إذا تحدثنا في هذا الموضوع فماذا يمكن أن نقول ؟

الاستاذ: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أستاذ عدنان في الإنسان طبع وفي الإنسان فطرة ومعه تكليف، فشاءت حكمة الله أن يكون التكليف مناقضاً للطبع، متوافق مع الفطرة، فالإنسان جسماً يميل إلى النوم فالتكليف يأمره أن يصلي الفجر، الإنسان يميل طبعاً إلى أن يأخذ المال التكليف يأمره أن يدفع المال، والإنسان طبعاً فردي والتكليف يأمره أن يكون جماعياً متعاوناً، فالإنسان يتعاون مع أخوته ومع أبناء مجتمعه بقدر انصياعه لأمر الله، فإذا تفلت من أمر الله صار فردياً، أنانياً، فإذا أراد أن يكون مطيعاً لله عز وجل يتعاون لأن كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب طبعاً ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك، هناك أمر إباحة، قال تعالى:

(فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)

[سورة البقرة]

هناك أمر تهديد، قال تعالى:

(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً (29))

[سورة الكهف]

هذا أمر تهديد، هناك أمر ندب، قال تعالى:

(وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32))

[سورة النور]

وهناك أمر وجوب، فكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب مالم تقم قرينة على خلاف ذلك، الآية الكريمة:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آَمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2))

[سورة المائدة]

أمر إلهي، يستفاد من هذه الآية أن الإنسان من الممكن أن يتعاون على الإثم والعدوان، لذلك هناك أمر وهناك نهي، قال علماء التفسير البر صلاح الدنيا والتقوى صلاح الآخرة، ينبغي أن نتعاون على صلاح دنيانا، تأمين حاجاتنا، تأمين مساكن شبابنا، تأمين مستقبل أبنائنا، تأمين حياتنا بشكل مريح وأن نتعاون على صلاح آخرتنا فكل أمر في القرآن يقتضي الوجوب، الآن علاقة التكليف بالفطرة الإنسان إذا صلى الفجر في وقته وغض بصره وأنفق من ماله وتعاون مع أخوته ترتاح نفسه لأنها حققت الهدف الذي من أجله خلقت، على كلٍ التعاون أمر تكليفي ومعنى الأمر التكليفي أنه بإمكان الإنسان لا يفعله، نحن في طريق هناك لوحة ممنوع المرور هذه اللوحة أمر تكليفي بإمكان الإنسان أن يتجاوز هذا الأمر لكن يعاقب يدفع الثمن باهظاً، أما حينما يوضع أمام الطريق كتل أسمنتية ارتفاعها خمسة أمتار مسلحة على عرض الطريق هذا اسمه أمر تكويني، فالأمر التكليفي بإمكانك أن تفعله أو لا تفعله أما الأمر التكويني يمنعك من أن تخرقه، كل أوامر الله أوامر تكليفية لأننا مخيرون وهذا التخيير وذاك التكليف يثمن عملنا، أما الله عز وجل قادر أن يحمل عباده على طاعته قصراً، هذه القصرية في طاعة العباد لا قيمة لها ولا ترقى بهم ولا تسعدهم أبداً لذلك شاءت حكمة الله أن تكون أوامره تكليفية نفعلها اختياراً ولا نفعلها اختياراً وهذا تشريف للإنسان.

كل شيء له ثمن، لكن أحياناً ترى التعاون من أفعال الله لا من أوامره، هذا يبدو واضحاً في مجتمع النمل، وهناك بحث طريف عن مجتمع النمل لابد من أن نضعه بين أيدي الأخوة المستمعين، النملة أستاذ عدنان حشرة اجتماعية راقية موجودة في كل مكان وفي كل وقت، بل إن أنواع النمل تزيد عن تسعة آلاف نوع، وبعض النمل يحيا حياةً مستقرةً في مساكن محكمة، وبعض النمل يحيا حياة الترحال كالبدو تماماً، وبعضه يكسب رزقه بجده وسعيه، وبعضه يكسب رزقه بالغدر والسيطرة، والنمل حشرةٌ اجتماعية تموت إذا عزلت عن أخواتها، لو أنك وضعتها في بيت فيه كل الطعام والشراب تموت لأنها حشرةٌ اجتماعية ولو توافر لها غذاء جيد ومكان جيد وظروف جيدة، كالإنسان إذا عزلته في مكان بعيد

عن الصوت والضوء،والساعة، والزمن، والليل، والنهار، عشرين يوماً يفقد توازنه العقلي، والنملة تعلم الإنسان درساً بليغاً في التعاون، فإذا التقت نملة جائعة بأخرى شبعة تعطي النملة الشبعة النملة الجائعة خلاصات غذائية من جسمها ففي جهازها الهضمي جهاز ضخ تطعم به النملة الجائعة، عندها جهاز ضخ وجهاز مص، إذا التقت النملة الشبعة بنملة جائعة تعطيها من جهازها الهضمي عن طريق جهاز ضخ فرعي شيئاً من خلاصاتها الغذائية، فلندقق في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((والله ما آمن، والله ما آمن، والله ما آمن من بات شبعان وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم))

ويتمم هذا الحديث:

((من لم يتفقد شؤون المسلمين فليس منهم))

للنمل ملكة كبيرة الحجم مهمتها وضع البيوض وإعطاء التوجيهات ولها مكان أمين في مساكن النمل وهي على اتصال دائم بكل أفراد المملكة،والنملات العاملات لها مهمات رائعة ومتنوعة وتكاد لا تصدق، من مهمات العاملات تربية الصغار، وهذا يشبه قطاع التعليم عندنا، وفي النمل عساكر لها حجم أكبر ولها رأس صلب كأن عليه خوذة، وهذا يشبه قطاع الجيش مهمته حراسة الملكة وحفظ الأمن ورد العدوان، ومن مهمات العاملات تنظيف المساكن والممرات، ومن مهمات العاملات تربية حشرات تعيش النمل على رحيقها وهذا يشبه قطاع مربي الماشية، النمل يبني المدن، ويشق الطرقات، ويحفر الأنفاق، ويخزن الطعام في مخازن وفي صوامع بعض أنواع النمل يقيم الحدائق، ويزرع النباتات، وبعض أنواع النمل يقيم حروباً على قبائل أخرى ويأخذ الأسرى من ضعاف النمل المهزوم، ولندقق في قوله تعالى:

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38))

[سورة الأنعام]

يعني على هذه الحالة نستطيع أن نقول إن للنمل حياةً اجتماعية واسعة كاملة وبشكل ما من الأشكال أن يا أيها الإنسان انظر إلى حياتك، يجب أن تكون اجتماعياً وإنما تتعامل مع الآخرين في نطاق التعاون من أجل صلاح الدنيا وصلاح الآخرة.

ولكن هذا النظام الاجتماعي في النمل هو نظام بأمر الله التكويني لا بأمره التكليفي، نحن عندنا تقصير في مجتمعاتنا، الإنسان قد يقصر في عمله قد لا يتعاون لأن الأمر بالتعاون تكليفي يفعله أو لا يفعله اختياراً، أما النمل هكذا صمم مجتمع النمل على أن يكون متعاوناً بأمر تكويني من الله عز وجل، يقول الله عز وجل:

(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18))

[سورة النمل]

لقد أثبت الله جل جلاله من خلال هذه الآية الكلام ونوعاً من المعرفة، فالنملة مخ صغير وخلايا عصبية وأعصاب لتقدير المعلومات، والخرائط كي تهتدي بها إلى مواقع الغذاء وإلى أوكارها وإن النملة تملك نوعاً من التصرف العقلاني وهي من أذكى الحشرات وهي ترى بموجات ضوئية لا يراها الإنسان ولغة النمل كيميائية لها وظيفتان التواصل والإنذار فلو سحقت نملة فإن رائحة تصدر عنها تستغيث بها النملات أو تحذرها من الاقتراب من المجزرة، ولا تستطيع النملة دخول وكرها إلا إذا بينت كلمة السر وللنمل جهاز هضم مدهش فيه فم، ومري، ومعدة، وأمعاء، وجهاز مص وجهاز ضخ كما تكلمت قبل قليل.

يعني الحقيقة عندما ينظر الإنسان في خلق الله ينكفئ على نفسه ليقول أين أنا، هل أديت واجبي، هل أنا متعاون ضمن ما أراده الله تعالى من الأوامر التكليفية، هل أسعى لخير الدنيا والآخرة، لاشك أن في هذا توصيات كثيرةً جداً ممكن أن نتحدث عن بعضها.

الإمام علي كرم الله وجهه له نص رائع حول النمل، والحقيقة كل شيء خلقه الله له وظيفنان وظيفة نفعية في الدنيا الغربيون عرفوها معرفة مدهشة ووظيفة تعريفية بالله عز وجل، النبي الكريم رأى هلالاً فقال:

((حَدَّثَنَا قَتَادَةُ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلالَ قَالَ: هِلالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ هِلالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ هِلالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا))

[أبو داود]

خير لنا في الدنيا ويرشدنا إلى ربنا، فالإمام علي كرم الله وجهه وضع يده على المهمة الثانية للمخلوقات فقال رضي عليه: انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تُنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها، وصبت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها، وتعدها في مستقرها، تجمع من حرها إلى بردها، وفي وردها إلى صدرها، مكفولة برزقها، مرزوقة بوثقها لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان، ولو في الصفا اليابس وفي الحجر الجامس، ولو فكرت في مجاري أكلها، في علوها وسفلها وما في الجوف من شراثيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجباً وللقيت من وصفها تعبا، فتعال الله الذي أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها، لم يشرك في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر.

هذا نص الإمام علي كرم الله وجهه.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - الاسلام والحياة - الحلقة 3 : العبادة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1998-12-31

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: نحن في شهر رمضان المبارك، شهر العبادة والتبتل، والالتجاء إلى الله تعالى، إذا أردنا أن نبدأ من خلال هذه المقدمة في موضوع العبادة، العبادة لغةً، العبادة مفهومها في الإسلام العبادة حقيقتها في الإسلام، العبادة من حيث المعنى اللغوي وما يصدر إلى جانب ذلك من كلمة العباد، والعبد، وأنواع العبد، والعبودية هذه أمور يمكن أن يكون الحديث مطولاً فيها وجميلاً وشيقاً.

ترى لو بدأنا مع الأستاذ محمد راتب النابلسي، ما هي العبادة في الإسلام من حيث حقيقتها ؟

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، العبادة علة وجودنا وسر سعادتنا في الدنيا وثمن جنة ربنا في الآخرة، إنها طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية إنها غاية الخضوع لأمر الله وغاية محبته، فمن أطاعه ولم يحبه لا يكون عابداً له، ومن أحبه ولم يخضع له لا يكون عابداً له، من خلال هذا التعريف الدقيق يتضح أن في العبادات جانباً معرفياً فأصل الدين معرفة الله، والله عز وجل يعرف من خلال خلقه قال تعالى:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164))

[سورة البقرة]

ويعرف الله من خلال أفعاله، قال تعالى:

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11))

[سورة الأنعام]

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (69))

[سورة النمل]

ويعرف الله تعالى من خلال كلامه، قال تعالى:

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً (82))

[سورة النساء]

أستاذ عدنان في العبادات جانب سلوكي إنها الطاعة الطوعية والانقياد التام لأمر الله التكليفي فعلاً وتركاً، قال تعالى:

(فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15))

[سورة الشورى]

فعلاً العبادة لها جانب سلوكي وجانب نفسي، وجوانب متعددة يمكن أن نتحدث في هذا الموضوع، إنما إذا انتقلنا إلى الأستاذ نذير مكتبي ليحدثنا عن العبادة بدءاً، لغةً، ومفهوم العبد والعباد والمعاني اللغوية لذلك وأنواع العبد ؟

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين: أصل العبودية الخضوع والذل والتعبيد التذليل، يقال طريق معبد أي مذلل، و يقولون البعير المعبد هو المطلي بالقطران وذلك بسبب جربه فيفرد عن بقية الإبل، والعبادة تعني الطاعة والتعبد يعني التمسك وفي قوله تعالى:

(فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29))

[سورة الفجر]

أي في حزبي، وعلى هذا يتحقق للعبادة ثلاثة معاني هي التذلل والطاعة، والولاء، وجاء عند الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات أن العبودية إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل، والعبادة هذه اللفظة بهذا المفهوم لا تكون إلا لله، لأن له وحده غاية الإفضال على عباده، قال تعالى:

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83))

[سورة البقرة]

وللعبادة ضربان، عبادة بالتسخير وهي للإنسان والحيوان والنبات وغير ذلك من المخلوقات، وهذا المعنى هو المقصود بقوله تعالى:

(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ (15))

[سورة الرعد]

وعبادة بالاختيار وهي للمكلفين من الإنس والجن قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77))

[سورة الحج]

أما أنواع العبد، فللعبد أربعة أنواع، عبد بحكم الشرع وهو الإنسان الذي يباع ويشترى، وهو المقصود بقوله تعالى:

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (75))

[سورة النحل]

وهذا معروف في باب الفقه الإسلامي.

وهو من حيث الواقع الحالي منتهي، والإسلام أنهاه أيضاً.

نعم، أما النوع الثاني فهو عبد بالإيجاد وهو المقصود بقوله تعالى:

(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً (93))

[سورة مريم]

كل مخلوق عاقلاً وغير عاقل، الجامد والحي هو عبد بالإيجاد وأما النوع الثالث فهو عبد بالعبادة وهو المقصود بقوله تعالى:

(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63))

[سورة الفرقان]

(فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً (65))

[سورة الكهف]

إلى غير ذلك من الآيات فهو العبد المؤمن الموفق الممتثل لأمر الله ونهيه ظاهراً وباطناً، يتقي ربه سبحانه وتعالى في سره وعلانيته وهذا يشمل المكلفين من الإنس والجن، أما النوع الأخير فهو عبد الدنيا، وهو المعتكف على خدمتها، المتهالك على شهواتها والمنقاد لهواه، وهو المقصود بقوله عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ))

[الترمذي - ابن ماجة]

وفي رواية أخرى يقول فيها النبي عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ))

[البخاري]

فهذه هي الأنواع الأربعة لمفهوم العبد.

النوع الثالث الذي تحدثت عنه وهو عبد بالعبادة، هذا هو النوع الذي كان قد ذكره الأستاذ محمد راتب النابلسي من خلال مظهر العبادة السلوكي، وسنتابع في مظاهر العبادة أيضاً.

قبل أن أتابع كتعقيب سريع على ما تفضل به الأستاذ نذير، هناك عبد القهر يجمع على عبيد، قال تعالى:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46))

[سورة فصلت]

وهناك عبد الشكر يجمع على عباد، قال تعالى:

(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63))

[سورة الفرقان]

وبعضهم فرق بين عبيد وعباد أيضاً.

على كلٍ هناك جانب في العبادة معرفي تحدثت عنه قبل قليل وجانب سلوكي، بقي الجانب النفسي، في العبادة جانب نفسي هو الحب الغامر للمنعم الذي أنعم، أنعم بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد ونعمة الهدى والرشاد، وهذا الحب الغامر يدفع الإنسان إلى الاتصال بالله، فيسعد بالقرب منه أيما سعادة، قال بعض العلماء في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وقد تؤيد هذه الحقيقة آية كريمة:

(وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6))

[سورة محمد]

يعني ذاقوا نعيم القرب من الله عز وجل، لابد لهذه الطاعة الطوعية من معرفةٍ يقينية تسبقها، كما أنه لابد لهذه الطاعة الطوعية من سعادة حقيقية تفضي لها، تلك السعادة التي خلق الإنسان من أجلها، قال تعالى:

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119))

[سورة هود]

خلقهم ليسعدهم في الدنيا والآخرة، أما حينما يشردون عن الله عز وجل يدفعون الثمن باهظاً لأن الله عز وجل يقول:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124))

[سورة طه]

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97))

[سورة النحل]

(قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123))

لا يضل عقله ولا تشقى نفسه، وقال تعالى:

(قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38))

[سورة البقرة]

لو جمعنا الآيتين الذي يتبع هدى الله عز وجل لا يضل عقله ولا تشقى نفسه، ولا يندم على ما فات ولا يخشى مما هو آت.

جميل وفي هذه الحالة في الحقيقة يحقق الإنسان سعادة الدنيا والفلاح في الدار الآخرة، وسعادة الدنيا تأتي من خلال ما تفضلتما كلاكما من حيث السلوك والعبودية الخالصة لله تعالى والفلاح في الآخرة حيث مصير المؤمن أن يكون في رضا الله سبحانه وتعالى.

مع الأستاذ نذير مكتبي لو تحدثنا أيضاً عن موضوع العقيدة الصحيحة وهي منطلق من حيث الحقيقة إلى العبادة الخالصة لله تعالى، ماذا يمكن أن نقول ؟

إن العقيدة الصحيحة تضع الإنسان أمام حقيقة العبودية الخالصة لله رب العالمين، وتسوقه إلى حسن الصلة به سبحانه وتعالى، لأن من عرف الله حق المعرفة دان له بالعبودية وأقر له بالربوبية، والله سبحانه وتعالى ما خلق الخلق إلا ليعبدوه، ولا ركب فيهم العقول إلا ليعرفوه، وما أسبغ عليهم نعمه ظاهرةً وباطنة إلا ليشكروه، فحيث آمن الإنسان لمن أوجده من عدم، وأمده بالنعم وجعله في كنف حمايته، وفي ظل عنايته وحسن رعايته، فإنه يجد نفسه أمام واجب كبير اتجاه ذلك الخالق العظيم سبحانه بأن يوليه مطلق الحب ويقوم بحسن عبادته وخالص الخضوع لوجهه الكريم، ولقد وجه الإسلام الإنسان إلى حسن عبادة الله انطلاقاً من رسوخ العقيدة به سبحانه في أعماق ذلك الإنسان معلناً أنها أعظم ما فرض الله عليه وأنها الغاية المحبوبة لله التي خلق الخلق لها حيث قال سبحانه وتعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56))

[سورة الذاريات]

وبها أرسل جميع رسله حيث قال:

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (36))

[سورة النحل]

وبها نادى الرسل أقوامهم حيث كان قول كل واحد منهم، قال تعالى:

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (23))

[سورة المؤمنون]

وبها أمر الله الناس قاطبة فقال:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21))

[سورة البقرة]

وبها أمر المؤمنين، فقال سبحانه:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77))

[سورة الحج]

وبها أمر أشرف الخلق، فقال جل ذكره:

(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99))

[سورة الحجر]

الحقيقة إذا توسعنا وتابعنا في موضوع الحديث عن العبادة تنفتح أمامنا جوانب متعددة، تنفتح من خلال الحديث الشيق الذي تتحدثون به، مثلاً لو أراد الإنسان أن يقول لست عبداً لله ترى هل يستطيع أن ينفي هذه العبودية بأن يجعل شبابه دائماً في الحياة ؟ لا يمكن، هل يستطيع أن يجعل عمره من المخلدين في الدنيا ؟ لا يمكن، لا يستطيع أن يتحكم بشكله وقوامه؟ لا يمكن، إذاً هو عبد لله بالقصر إن رضي أو لم يرضَ فمن رضي بالله تعالى خالقاً وأن الإنسان هو عبد لله، إذاً قد تمكن من حقيقة حرية وجوده في الحياة لأنه الواقعُ الذي ينطلق منه أما إذا كان عبداً لغير الله فتلك هي المذلة، إذا أردنا أن نطالع هذا الموضوع مع الأستاذ محمد راتب النابلسي فماذا يمكن أن نقول ؟

إن العبودية الخالصة لله عز وجل هي عين الحرية، وسبيل السيادة الحقيقية، إن العبودية الخالصة لله عز وجل هي وحدها تعتق القلب من رق المخلوقين، وتحرره من الذل والخضوع لك ما سوى الله من أنواع الألهة والطواغيت التي تستعبد الناس وتسترقهم أشد ما يكون الاسترقاق والاستعباد، ذلك أن في قلب الإنسان حاجة ذاتية إلى رب عظيم، إلى إله كريم، إلى معبود يتعلق به يسعى إليه ويعمل على رضاه ويلتجئ إليه ويلوذ بحماه، لأن الإنسان خلق ضعيفا نقطة ضعف في خلقه لمصلحته، لأن الإنسان خلق ضعيفا ليفتقر في ضعفه فيسعد في افتقاره، ولو خلق قوياً لاستغنى بقوته فشقي باستغنائه فإذا لم يكن هذا المعبود هو الله الواحد الأحد تخبط الإنسان في عبادة آلهةٍ شتى وأربابٍ أخر مما يرى ومما لا يرى، ممن يعقل وممن لا يعقل مما هو موجود وما ليس بموجود إلا بالوهم والخيال.

يقول أحد العلماء كل من استكبر عن عبادة الله لابد من أن يعبد غيره، يعني إما أن تكون عبداً لله وإما أن تكون عبداً لعبد لئيم يسترقه ويذله، ولم ينجُ القلب من استعباد المخلوقين واسترقاقهم إلا أن يكون الله خالق السماوات والأرض ورب العالمين هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ولا يستعين إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه، ولا يكره إلا ما يبغضه ويحرمه، ولا يوالي إلا من يواليه، ولا يعادي إلا من يعاديه، ولا يحب إلا ما يحب، لا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله وكلما قوي إخلاصه لله كملت عبوديته له واستغناؤه عن خلقه وبكمال عبوديته لله تكمل براءته من الكبر والشرك، ورد في الأثر القدسي

((مامن مخلوق يعتصم بي من دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده أهل السماوت والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجا، و ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه وقطعت أسباب السماء بين يديه))

في بعض الأدعية:

يا ربي ماذا فقد من وجدك، وماذا وجد من فقدك ؟ فإذا كان الله معك فمن عليك وإذا كان الله عليك فمن معك.

وقال أحد الشعراء:

ومما زادني عزاً وتيهاً دخولي تحت قولك يا عبادي

هذا القول يشير في الحقيقة إلى أن العبودية لله هي عز، وأن العبودية لغير الله هي ذل، إذا توقفنا عند هذه المقولة مع الأستاذ نذير مكتبي فماذا يمكن أن نقول ؟

ربما كان الجواب على هذا السؤال متابعة لما تفضل به الأستاذ محمد راتب حفظه الله، من عبد غير الله فتوجه إلى صنم، أو إلى مال، أو شخص، أو منصب، أو غير ذلك من مظاهر الخلق لايبوء إلا بالذل والخسران والشقوة والضياع، ولقد حدثنا القرآن عن نتائج عبودية غير الله، فحدثنا عن نتائج عبادة المال والأتباع والمنصب والجاه، قال سبحانه:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّار (10))

[سورة آل عمران]

وقال سبحانه على لسان من خاب في ظل عبودية غير الله:

(وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29))

[سورة الحاقة]

جاء معنا في الحديث الذي مر معنا ذكره صلى الله عليه وسلم:

((... تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَار وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ))

فما أقبح من نسي الله وأقبل على من سواه، أو جعل لله شريكاً يدعوه بدعائه ويرجوه برجائه إن هذا لهو عين الإيذاء وأقبح الكفران أخرج أحمد في المسند قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ))

[البخاري - مسلم]

وأخرج الرافعي والربيع، يقول الله عز وجل:

((يا ابن آدم ما تنصفني، أتحبب إليك بالنعم وتتمقت إلي بالمعاصي خيري إليك منزل وشرك إلي صاعد، ولا يزال ملك كريم يأتيني عنك في كل يوم وليلة بعمل قبيح منك، يا ابن آدم لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تعلم من الموصوف لسارعت إلى مقته))

وأما من عبد الله وحده لا شريك له فقد فاز بالعز الحقيقي، قال الله تعالى:

(يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ)

[سورة المنافقون]

إذا تابعنا الحديث عن العبادة ونحن في شهر رمضان المبارك شهر العبادة والتقرب إلى الله تعالى، فماذا يمكن أن نطرح من الأمور مع الأستاذ محمد راتب النابلسي ؟

أستاذ عدنان من العبادات ما هو تعاملي، فالأمر بالصدق والأمانة والعفاف، وإنجاز الوعد، والوفاء بالعهد، وتحري الحلال، وضبط الجوارح والأعضاء، هذه العبادات التعاملية أشار إليها سيدنا جعفر حينما سأله النجاشي عن الإسلام، قال: كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونسيء الجوار ونقطع الرحم حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته، وصدقه، وعفافه، ونسبه فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، الإسلام من خلال تعريف سيدنا جعفر منهج أخلاقي، منظومة قيم أخلاقية، فهذه عبادات تعاملية، أما العبادات الشعائرية كالصلاة، والصوم، والحج فتقوم أصولها مع حسن العلاقة مع الله عز وجل، إقبالاً واتصالاً واستنارةً وطمأنينة، ولا تصح العبادات الشعائرية ومنها الصيام ما لم تصح العبادات التعاملية، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))

[الترمذي - أبي داود - ابن ماجة - أحمد]

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - الإسلام والحياة - الحلقة 4 : الوقت وأهميته.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2002-11-23

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: تعلمون أن شهر رمضان الذي حط رحاله بيننا، ونحن في مرحلة المغفرة فيه بإذن الله تعالى، فهذا الشهر من خلال أن أوسطه مغفرة سبق في بدايته بالرحمة، وينتهي إن شاء الله تعالى بأن يقبلنا جميعاً من عتقاء شهر رمضان المبارك، هذا الشهر فيه أشياء كثيرة فيه تغييرات عديدة، لكنها ترتقي بالإنسان وترتفع به، من جملة هذه الأشياء الوقت، والوقت في أصله شيء هام، ولن تزول قدما عبد يوم حتى يُسأل عن أربع، من جملة هذه الأمور عن عمره فيما أفناه، والعمر هو الوقت، والصائمون في كثير من الأحيان نجدهم على أصناف متعددة، منهم من يغير أوقات نومه وطعامه وشرابه، ومنهم من يكون في محراب عبادته وفي محراب عمله على السواء، محلقاً ومعلياً في هذا المجال، وكل ذلك يرتبط بالوقت، يمكن أن نتحدث عن هذا ؟

الأستاذ: إن شاء الله.... بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أستاذ عدنان جزاك الله خيراً، بادئ ذي بدء ارتقى النبي عليه الصلاة والسلام منبره، فقال: آمين. فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: آمين. فلما ارتقى الثالثة قال: آمين. فسألوه بعد الخطبة: على ماذا أمنت يا رسول الله ؟ قال: جاءني جبريل فقال لي: رغِم أنف عبدٍ أدرك رمضان فلم يغفر له.

إن لم يغفر له فمتى ؟ وكأن الله سبحانه وتعالى اصطفى من الشهور كلها هذا الشهر الكريم، ليشيع فيه الصفاء، والأصل أن ينسحب هذا الصفاء على كل شهور العام، فالإنسان في أدق تعاريفه بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، الإنسان في حقيقته زمان، بل إن رأسماله هو الزمن، بل إن أثمن شيء يملكه هو الزمن، هو بضعة أيام، لو أن الإنسان تأمل في ساعته، كل ثانية تتحرك تقربه من هدفه، إنه كائنٌ متحرك نحو هدفٍ ثابت، فكل ثانية، وكل دقيقة تقربه من هدفه، ولو رجعنا قليلاً إلى مفهوم الزمن، لو أننا رسمنا نقطة وحركناها شكلت خطاً، لو أن الخط حركناه شكل سطحاً، لو أن السطح حركناه لشكل حجماً، لو أننا حركنا الحجم لشكل وقتاً، قال العلماء الوقت هو البعد الرابع للأشياء، الأشياء المادية لها طول وعرض وارتفاع، والزمن بعدها الرابع، فحينما تتحرك تشكل زمناً، فكأن الزمن مرتبط بالحركة، والضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر، فلو تصورنا شيئاً سار مع الضوء لأصبح ضوءاً، وهذه نظرية أينشتاين، الأجسام إذا سارت مع الضوء أصبحت ضوءاً، فالإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، القصة أن هذا الإنسان هو المخلوق الأول،

والمكّرم والمكلّف، وحياته محدودة، وخلق لا لهذه الحياة الدنيا المحدودة، خلق لحياة أبدية فيها مالا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فحينما يعرف الإنسان نفسه يعرف ربه، حينما يعرف أنه مخلوق أول، وقد خلق لجنة عرضها السماوات والأرض، وجيء به إلى الدنيا من أجل أن يدفع ثمن الجنة، إذاً هو في الدنيا يقيم إقامة محدودة، هو بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، إلا أن القرآن الكريم في صورة جامعة مانعة، قال عنها الإمام الشافعي: لو أن الناس تدبروا هذه السورة لكفتهم. الله جل جلاله في عليائه يقسم بمطلق الزمن، لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن، يقسم ويقول:

(وَالْعَصْرِ (1))

(سورة العصر)

والله عز وجل حينما يقسم، الحقيقة أن العلماء اختلفوا في معنى القسم، فالقرآن الكريم حينما يقسم ليلفت نظر الإنسان لعظم هذا الشيء الذي يقسم به، فالعصر مطلق الزمن، ولأن هذا المخلوق الأول هو الزمن إذاً أقسم الله بمطلق الزمن، لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن، فقال:

(وَالْعَصْرِ (1))

ما جواب القسم ؟ قال:

(إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2))

الإنسان خاسر لا محالة، بنص القرآن الكريم، وبنص جواب القسم، لو تساءلنا أية خسارة تلك ؟ الحقيقة أن مضي الزمن يستهلكه، الإنسان الموفق لا يعد عمره عداً تصاعدياً، بل يعده عداً تنازلياً، يسأل كم بقي لي ؟ وهناك أسئلة محرجة يتهرب الإنسان منها، لو أن إنسان سأل هذا السؤال: كم بقي لي ؟ ويا ترى هل بقي بقدر ما مضى ؟ لأنه من دخل في الأربعين دخل في أسواق الآخرة، إذاً الله عز وجل يقسم بالزمن، لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن، ويؤكد له أنه خاسر، لأن مضي الزمن يستهلكه، لكن رحمة الله الواسعة اقتضت أن يعطيه وسائل أن يتلافى هذه الخسارة، فقال:

(إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3))

أي أن الإنسان يمكن أن ينفق وقته بطريقتين، إما أن ينفق وقته إنفاقاً استهلاكيا، ويشرب ويستلقي، ويستمتع بالحياة، ويسمر بلا هدف، هذا الإنفاق إنفاق استهلاكي، متى يحس الإنسان بعظم خطأه ؟ عندما يقترب أجله، لأنه ورد عن الحسن البصري أنه ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا بن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

الإنسان حينما يستهلك وقته استهلاكا يكون أشد الناس خسارة يوم القيامة، ذلك أن هذه الحياة الدنيا مهما طالت هي رقم، عاش الإنسان سبعين عاماً، عاش ثمانين عاماً في النهاية رقم، لو وهذا إفتراض

بعيد جداً، لو عاش الإنسان رقماً من السنوات يساوي أن نضع في الأرض واحداً وأن نتجه إلى الشمس، وأن نضع كل ميليمتر صفر لمسافة 156 مليون كيلو متر، أي 156 مليون كم أصفار، وكل ميليمتر صفر، هذا الرقم إذا نسب إلى اللانهاية فقيمته صفر، لذلك هذه الدنيا دار من لا دار له ولها يسعى من لا عقل له، هذه الدنيا وشيكة الانقضاء، وشيكة الزوال، فحينما نستهلك الوقت استهلاكا نكون في بعد كبير عن حقيقة الإنسان، الأولى أن ننفق الوقت استثمارا، أستاذ عدنان أحياناً الإنسان يبيع بيته، ليجري عملية جراحية يتوهم أنها تمد في حياته بضع سنوات، لو تعمقنا في هذه القضية لوجدنا أنه مركب في أعماق الإنسان أن الوقت أثمن من المال، ها هو قد باع بيته وأصبح بلا بيت، ليجري عملية بحسب توهمه أنها تمد في حياته بضع سنوات، لو أن إنساناً وقف أمامنا وأمسك مئة ألف ليرة وأحرقها !! ماذا نحكم عليه ؟ نحكم عليه بالسفه، قولاً واحداً، إذا كان الوقت أثمن من المال ماذا نحكم على من يمضي وقته في القيل والقال ؟ في الغيبة والنميمة ؟ في كلام فارغ ؟ في معاصي لا تنتهي، إذاً نحكم على الذي يمضي وقته لغير ما خلق له أنه أشد سفاهة من الذي أحرق أمواله، إذاً الله عز وجل يقول:

(وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2))

إما أن تنفق الوقت إنفاقاً استهلاكيا فأنت خاسر لا محالة، وإما أن تنفقه إنفاقاً استثماريا، كيف أنفقه إنفاقاً استثماريا ؟ لابد من أن تنفق الوقت بطريقة ينفعك هذا الإنفاق بعد مضي الوقت، قال:

(إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3))

لابد من أن نعرف الله عز وجل، لابد من أن نؤمن الإيمان الذي يحملنا على طاعة الله، ولابد من أن نؤكد هذا الإيمان بالعمل الصالح

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

والعمل الصالح استقامة على منهج الله وخدمة للخلق

(وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً (31))

(سورة مريم)

ثم لابد من أن أدعو إلى الله، لأن الدعوة إلى الله في حدود ما أعلم ومع من أعرف فرض عين

(وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ)

والتواصي بالحق أحد أركان النجاة

(وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3))

بالصبر عن معاصي الله، وعلى طاعة الله، وعلى قضاء الله وقدره.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - الإسلام والحياة - الحلقة 5 : الوقت وعاء العمل.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 24-11-2002

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: مما نسمعه لما كنا صغاراً أن القمر أصبح فوق الجبل وباستطاعة من على أعلى الجبل أن يمسك بالقمر، وإذا ما غاب نقول: اختفى القمر وراء الجبل. هنا الناظر يرى أن بعد القمر يساوي بعد رأس الجبل، السبب أنه لا توجد أشياء تحدد هذه المسافة بأن تكون هناك علامات محددة للأمر، نحن عندما ننظر إلى بُعْدٍ بعيد دون أن تكون مثلاً في شارع أعمدة كهرباء فلا نستطيع أن نقدر المسافة، إنما نستطيع تقديرها بشكل أكبر عندما تكون هناك علامات في الطريق، الوقت هكذا بالضبط، نحن إن لم ننتج ضمن وقتنا فإنه يكون هباء منثوراً، وإن كان هناك علامات ومحطات أنتجنا فيها كما توجد أعمدة الطرقات، أعمدة الإنارة في الطرقات تحدد هذا البعد المكاني فإن في الأعمار والأوقات ما يحدد وقتها من حيث الإنتاج، أو أن تكون لاشيء فتبدو للناظر لا شيء على الإطلاق، من هذا المنطلق يقول الصغير على رأس الجبل كان القمر، إذاً النتيجة بالأعمال التي يقدمها الإنسان، ممكن أيضاً بعد أن شرحتم في الحلقة السابقة موضوع أهمية الزمن، والقسم به من حيث قسم الله تعالى بالعصر وما إلى ذلك نتابع معكم هذا الموضوع.

الأستاذ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

لو تصورنا إنساناً قابعاً في غرفة مظلمة إلى أمد طويل يختل توازنه، يبدو أن يكون الوقت ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاءاً، صبحاً ومساءاً، وربيعاً وخريفاً، هذه المحطات محطة الفصول، ومحطة الليل والنهار تُشعر الإنسان بقيمة الوقت، وقد ورد في القرآن الكريم:

(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً (62))

(سورة الفرقان)

ويمكن هنا أن نتذكر أنه عقد مؤتمر للإعجاز العلمي في الكتاب والسنة في عاصمة غربية، وقد ألقي في هذا المؤتمر محاضرة خطيرة جداً تتعلق بالنظرية النسبية التي جاء بها أينشتاين والتي ملأ الدنيا بها صخباً وضجيجاً، أستاذ عدنان في القرآن آية حار بها المفسرون، قال تعالى:

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47))

(سورة الحج)

الحقيقة أن العلماء قد حاروا في تفسير هذه الآية، إلى أن اكتشف أخيراً وهذا من بديهيات العلم أن القمر يدور دورة حول الأرض كل شهر، وهذا شيء ثابت، لو أن طالباً من طلابنا في الصف العاشر

أخذ نقطة من مركز الأرض إلى مركز القمر ووصل بينهما بخط !! هذا الخط بالحقيقة يساوي نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض، واضح جداً، وبحساب بسيط إذا ضربنا الرقم باثنين يكون القطر، نضرب بـ3,14 يكون المحيط إذاً أحد طلابنا الصغار قد يكتشف كم من الكيلو مترات يقطع القمر حول الأرض كل شهر، لو ضربنا هذا الرقم باثني عشر لعرفنا كم يقطع القمر في رحلته حول الأرض في عام، لو ضربنا هذا القمر لعرفنا كم يقطع هذا القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام، ولأن الله سبحانه وتعالى يخاطب أمة تعتمد السنة القمرية

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47))

نحن عرفنا كم يقطع القمر في ألف سنة من الكيلو مترات، الآن لو قسمنا هذا الرقم الكبير على ثواني اليوم، الآية تقول:

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47))

لو قسمنا هذا الرقم الكبير الذي هو عدد الكيلو مترات التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام على ثوان اليوم لدهشنا، الناتج هو سرعة الضوء في الدقيقة، 299752كم/ثا وكأن هذه النظرية العملاقة طويت في آية واحدة، ذلك أن في القرآن آيات كما قال الإمام علي كرم الله وجهه: (لما تفسر بعد). بعد اكتشاف هذه النظرية فسرت هذه الآية، إنها سرعة الضوء، شيء دقيق أن في القرآن الكريم ما يزيد عن ألف و ثلاثمئة آية تتحدث عن الكون، وقد يسأل سائل ما الحكمة؟ بأن هذه الآيات هي وسائل معرفة الله عز وجل، الله جل جلاله لا تدركه الأبصار، لكنه خلق الكون ليكون مظهراً لأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى، وقد أشار في القرآن الكريم إلى هذه الآيات لتكون موضوعات للتفكر، أو رؤوس موضوعات للتفكر، إذاً:

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47))

الشيء الذي يلفت النظر أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يفسر هذه الآيات، هذا ينقلنا إلى أن معجزات الأنبياء السابقين كانت معجزات حسية، وآنيَّة، كعود الثقاب تألقت مرة ثم انطفأت فأصبحت خبراً، يصدقه من يصدقه، ويكذبه من يكذبه، أما نبينا عليه أتم الصلاة والتسليم فهو خاتم الأنبياء، وليس بعده نبي

((عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِوَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ من مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي......))

(صحيح مسلم)

إذاً هو النبي الذي سيغطي الزمن إلى نهايته، إذاً لابد من معجزة تستمر معه، لأن النبي حينما يأتي بمنهج فيه افعل ولا تفعل هذا المنهج يقيد الناس في التحرك وفق شهواتهم وأهوائهم ونزواتهم، ورد فعل الناس الطبيعي أن يكذبوه

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً)

(سورة الرعد)

فكيف يشهد الله للنبي أنه رسوله ؟ عن طريق المعجزة، معجزة النبي الكريم كانت عقلية وليست حسية، معجزة مستمرة، بل إن النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لو فسر هذه الآيات تفسيراً بسيطاً بحسب طبيعة البيئة التي عاشها وعاشها أصحابه لأنكرنا عليه، ولو فسرها تفسيراً عميقاً لأنكروا عليه، لحكمة بالغة بالغة تركت هذه الآيات كي يكتشف العلم في كل حقبة جانباً من عظمتها، وهذا مصداق قوله تعالى:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

(سورة فصلت)

المذيع: مصداق هذه الناحية موضوع المشرق والمغرب ثم المشرقين والمغربين، ثم المشارق والمغارب، كما تعلمون أن في القديم كان الإنسان العادي ينظر إلى مشرق الشمس ثم إلى مغربها، لذلك هذا مستواه، فالقسم يكون في المشرق والمغرب، بعد ذلك تحول المشرق إلى مشرقين والمغرب إلى مغربين، فالشمس حينما تشرق فهي مغرب لما سبقها، كذلك المغرب، ثم أن الشمس في كل رحلة زمنية تقطع ما تقطعه صارت هناك مشارق ومغارب وهذا روعة القرآن الكريم أنه كان يتناسب مع مسيرة العقل البشري، فما يكتشفه في الماضي يحقق طلبه، ثم ما يكتشفه بعد ذلك يحقق طلبه، ثم ما يكتشفه بعد زمن متقدم أيضاً يجد فيه بغيته وأن القرآن لا تنتهي عجائبه.

الأستاذ: يقول تعالى:

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً (82))

(سورة النساء)

المذيع: نعود الآن إلى موضوع أن يقدم الإنسان ضمن هذه المسيرة مسيرة الزمن..

الأستاذ: عملاً صالحاً يكون سبباً لدخول الجنة، والدليل أن حينما يأتيه ملك الموت يقول:

(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ)

(سورة المؤمنون)

بل إن العمل الصالح علة وجوده، إن العمل الصالح سب إقباله على الله

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً)

(سورة الكهف)

والعمل الصالح في تعاريفه الدقيقة هو أن تلتزم منهج الله عز وجل، وأن تقدم مما أعطاك الله أشياء كثيرة لمن حولك، لابد من أن تلقى الله ووجهك أبيض

(وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (107))

(سورة آل عمران)

إذاً نحن في هذا الوقت يمكن أن نسميه وعاء العمل، فوعاء عملنا هو الوقت، لابد من عمل يكون زادنا إلى الآخرة، من هو الفقير ؟ الفقير الذي ليس له عمل صالح، سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لما سقى للمرأتين قال:

(فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24))

(سورة القصص)

الإمام علي كرم الله وجهه يقول: الغنى والفقر بعد العرض على الله.

فلأن الدنيا مهما عظمت يخسرها الإنسان في ثانية واحدة، حينما يفارق الدنيا، وحياة الإنسان مرتبطة بأسباب صغيرة جداً، فحياته مرتبطة بقطر شريانه التاجي، مرتبطة بنمو خلاياه، مرتبطة بسيولة دمه، فقد يأتي الموت فجأة فلابد من أن نستعد له، لا أحد يستطيع إنكار حدث الموت، ولكن الناس يتفاوتون في مدى الاستعداد له، إذاً هذا الوقت الذي نحن فيه هو وعاء العمل الصالح، من ملأه بالعمل الصالح فقد نجح وأفلح، ومن ملأه بالعمل السيء فقد خاب وخسر، خاب وخسر من أدرك رمضان فلم يغفر له، إن لم يغفر له فمتى ؟

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - الإسلام والحياة - الحلقة 6 : الوقت سر وجودنا وغايته.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2002-11-25

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: نستمر معكم بعون الله تعالى عن الحديث في موضوع الوقت والوقت من جملة ما شرحتم شرحتم أشياء كثيرة إنما حياة الإنسان التي يعيشها في عصره والملهيات كثيرة والنبضات الإيمانية أيضاً التي تحركه إلى العمل الصالح يجدها في محطات متعددة في زمنه وهي نفحات فمن لم يتعرض لها فقد خسرها، والخاسر من جملة هذه الأمور والمحطات من خسر في شهر رمضان، كما قال عبد الله بن مسعود: إن في أربعة مواطن يعرف الإنسان قلبه من جملتها في شهر رمضان المبارك، فإن لم يجده فليسأل الله تعالى أن يكون له قلب فإنه لا قلب له. وهذا يرتبط بموضوع الوقت، وأن يكون الإنسان حريص على أن يكون له قلب ذاكر بالتالي يقوم بالأعمال الصالحة، يؤدي وظيفته في إعمار الأرض وهو في هذه الحالة تكليف وإلى جانبه التشريف أيضاً، وما حولنا يمكن أن تكون هناك ملهيات كثيرة وإذا نظر الإنسان بعقله فإنه يدرك الإدراك الكامل أن عليه أيضاً واجبات كثيرة، كيف تكون مسيرة الإنسان بين هذا وذاك ؟

الأستاذ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أستاذ عدنان جزاك الله خيراً، لو أن أحداً سافر إلى بلد غربي، وأقام في بعض فنادقه، واستيقظ صبيحة اليوم الأول وقال: إلى أين أذهب ؟ نسأله نحن لماذا جئت إلى هنا ؟ إن كنت جئت طالب علم إذهب إلى المعاهد والجامعات، وإن جئت تاجراً إذهب إلى المعامل والمؤسسات، وإن جئت سائحاً أذهب إلى المقاصف والمتنزهات، أن حركة الإنسان ضمن الوقت لا تصح إلا إذا عرف سر وجوده، وغاية وجوده، نحن حينما نعلم سر وجودنا في الدنيا وغاية وجودنا في الدنيا عندئذٍ تصح حركتنا، لو أن هذا الطالب الذي أرسله أبوه ليدرس وليأخذ الدكتوراه من بلد غربي سر وجوده الدراسة، وأن يكون هذا الهدف دائماً أمامه، وهذا الهدف يقّيم كل جزئية في حركته، قد يصاحب طالباً متفوقاً في لغة البلد، كي يتعلم منه اللغة، قد يشتري مجلة تعينه على فهم هذه اللغة، يستأجر بيتاً قريباً من الجامعة، مادام هدف الطالب واضحاً أمامه دائماً كل جزئية في حركته ينسبها إلى هدفه الكبير، والإنسان في الدنيا لا يمكن أن يفلح إلا إذا عرف لماذا خلقه الله، خلقه ليعرفه، خلقه ليعبده، خلقه ليتقرب إليه بالأعمال الصالحة، عندئذٍ يقيِّم كل حركاته وسكناته ومفردات عمره وفق هذا الهدف الكبير أما حينما يغفل الإنسان عن الهدف الكبير الذي خلق له يغفل الإنسان عن سر وجوده، وعن غاية وجوده، يعيش بلا هدف، يستمتع

وينفق الوقت إنفاقاً استهلاكيا ويعطي نفسه ما تشتهي، عندئذٍ سوف يندم ندماً لا حدود له عند الموت، يقول الله عز وجل يخاطب هؤلاء الذين شردوا عنه:

(أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ)

(سورة فاطر)

الإمام القرطبي رحمه الله تعالى صاحب التفسير الشهير يقول في كلمة النذير قولاً رائعاً يقول: النذير هو النبي عليه الصلاة والسلام. لأن الله عز وجل يقول:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (45) وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً (46))

(سورة الأحزاب)

وفي رأي آخر النذير هو القرآن الكريم، لأن فيه مشاهد من يوم القيامة لما سيكون والعاقل هو الذي يصل إلى الشيء قبل أن يصل إليه، يصل إليه بعقله قبل أن يصله بجسمه فالنذير هو القرآن، وقال بعضهم النذير سن الأربعين. فمن دخل في الأربعين دخل في أسواق الآخرة، نحن إذا سافرنا إلى بلد لنقيم فيه عشرة أيام في اليوم السابع تنعكس فيه تصرفاتنا، من قطع تذاكر العودة إلى شراء الهدايا، الإنسان إذا دخل في الأربعين دخل في أسواق الآخرة، عليه أن يعد لساعة مفارقة الدنيا، هذه الساعة ماذا يحتاج فيها الإنسان ؟ إلى توبة، إلى استقامة، إلى عمل صالح، إلى طلب علم، إلى دعوة، فالنذير هو سن الأربعين، وبعضهم قال سن الستين وبعضهم قال الشيب، وقد ورد في الأثر القدسي: عبدي كبرت سنك وانحنى ظهرك، وضعف بصرك، وشاب شعرك فاستحي مني فأنا أستحي منك.

إلى ما أنت في اللذات مشغول   وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

تعصي الإله وأنت تدعي حبه   ذاك لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

فالنذير هو الشيب، النذير هو سن الستين النذير هو سن الأربعين، النذير هو القرآن الكريم، النذير هو النبي عليه أفضل الصلاة وأفضل التسليم، أي كأن الله سبحانه وتعالى حينما تتبدل بعض خصائص أجسامنا بتقدم السن كأن هذا التبدل هو إشارات لطيفة من الله وكأن لسان حال الحضرة الإلهية يقول: يا عبدي قد اقترب اللقاء، هل أنت مستعد له ؟ إذاً الشيب هو من معاني النذير، والمصيبة أيضاً تعني النذير، المصائب تلفت النظر، الإنسان يكون مسترسلاً غارقاً في المعاصي والآثام، تأتي المصيبة لتوقظه، أين أنت ؟ ماذا تفعل ؟

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)

(سورة الحديد)

المصائب أيضاً من النذير، وفي بعض تفسيرات هذه الآية موت الأقارب من النذير فالإنسان حينما يرى شخصاً ملء السمع والبصر بثانية واحدة أصبح خبراً على الجدران (قصدت في نعوته) ينبغي أن

ينتبه أن كل مخلوق يموت، ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت، والليل مهما طال فلابد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال فلابد من نزول القبر

وكل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

فإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول

والله الذي لا إله إلا هو لا أرى أشد ذكاءاً ونجاحاً وفلاحاً وتوفيقاً وتفوقاً من الذي يعد لهذه الساعة التي لابد منها.

المذيع: لذلك الرسول عليه الصلاة والسلام قال:

((عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ.....))

(سنن الترمذي)

الأستاذ: لذلك أستاذ عدنان الأذكياء يعيشون المستقبل، والأقل ذكاءاً يعيشون الحاضر، والأغبياء يعيشون الماضي، فالإنسان حينما يتحرك يجب أن لا يعيش لحظته أن لا يعيش معطيات حياته الآنية، لابد من أن يكون شيء مخيف لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2))

(سورة الملك)

قال علماء التفسير قدم الموت على الحياة، الإنسان حينما يولد أمامه خيارات لا تعد ولا تحصى، ولكن حينما يقترب أجله أمامه خياران لا ثالث لهما، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، إذاً ينبغي أن ينتبه الإنسان في وقت مبكر، وحينما يسوق الله للإنسان بعض الشدائد هذه الشدائد في الحقيقة هي مذكّرات أن هناك لقاءاً مع الله، أن هناك موعداً مع الله، فحينما يفهم الأمور هذا الفهم يكون قد وفق إلى فهم ما حوله من أحداث، أما حينما ينسى سر وجوده، وغاية وجوده !! أستاذ عدنان أخطر مرض يصيب الإنسان مرض الغفلة، يغفل عن الله، والإنسان حينما يغفل عن نتائج عمله يدفع الثمن باهظاً، فحينما تصح الرؤيا يصح العمل، وأهل النار وهم في النار ماذا يقولون ؟

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ)

(سورة الملك)

هي أزمة علم، لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، وإذا أعطيته بعضك فلن يعطيك شيئاً، طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا، فيربحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً، يظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل العلم هو الذي يؤكد إنسانية الإنسان، هو الحاجة

المرتفعة، والحاجة التي تؤكد إنسانيته، لأن حاجات الجسد نشترك بها مع بقية المخلوقات، بينما الإنسان يتفرد بالعلم الذي يرفعه إلى مستوى إنسانيته وأذكر قوله تعالى:

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً (113))

(سورة النساء)

الخالق العظيم يصف العلم بالله أنه عطاء عظيم، بينما يقول في الدنيا:

(قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ)

(سورة النساء)

إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، أعطاها لأعدائه لكن الآخرة يعطيها لأصفيائه المؤمنين، وقد قيل: إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه ويعطيه السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - الإسلام والحياة - الحلقة 7 : توظيف الوقت.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2002-11-26

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: دكتور تحدثتم عن أشياء كثيرة تتصل بالوقت ، وبينتم أن النذير بأشكاله المتعددة ومعانيه المتعددة أيضاً هي ما يمكن أن تكون للإنسان إنذاراً يدفعه لاستغلال وقته ، ولأن يقوم بالعمل الصالح، والإنسان أيضاً هو من جعل في الأرض لإعمارها ، والإنسان أيضاً هو خليفة الله في الأرض ، وهو المكلف والمشرف في الوقت نفسه ، وهو وهو.. أشياء عديدة تتصف بإعمال عقله وعمله أيضاً من أجل الغاية التي وضعها لنفسه ، وبالتالي التي يخطط للوصول إليها ، لكن الإنسان ضمن هذا وذاك تتعاوره في حياته الدنيا أشياء كثيرة ، الطفل الصغير مع أصدقائه في المدرسة ، فإذا كبر أيضاً كان له أصدقاء من نوع آخر ومن مستوى آخر ، أيضاً في مرحلة الشباب اهتماماته تغيرت وأصدقائه قد يكونون هم هم، وهم أيضاً تغيرات اتجاهاتهم ورؤيتهم للحياة ، والإنسان ضمن ما يعيشه وكما يقال: ابن بيئته. البيئة الآن التي يعيشها الإنسان ترانا هل نستطيع أن نقول أن الإنسان المؤمن ونحن في شهر رمضان شهر التوبة والعودة إلى الله تعالى ، هل نقول أن الإنسان المؤمن يجرف مع التيار كيفما كان التيار صالحاً أو فاسداً أو معتدلاً أم لابد له من وقفة سليمة يستطيع أن يخطط للوصول إلى غايته المنشودة.
الأستاذ: بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أستاذ عدنان هناك نقطة دقيقة ، أنا مضطر أن أضرب مثل ، لو أن راكب دراجة يمشي على طريق مستوي لو أنه بعد حين وصل إلى طريقين طريق هابط ، وطريق صاعد ، كل معطيات البيئة تدعوه أن يسلك الطريق الهابط كراكب دراجة ، دراجة عادية غير نارية ، يحتاج إلى عضلات ، فالطريق الهابط مريح جداً ، ولاسيما هذا الطريق معبد ، وحوله أشجار وأزهار ، ورياحين وأطيار ، والطريق الصاعد طريق وعر ، فيه أكمات وعقبات وحفر وغبار ، هو أمام طريقين كل ما في الطريق الأول يدعوه أن يسلكه ، معطيات البيئة ، وطبيعة جسمه ، ومكوناته ، وكل ما في الطريق الآخر يدعوه إلى رفضه ، لصعوبته وصعوده ، وأكماته وحفره ، وفجواته وغباره ، لو أن لوحة كتبت على مفترق الطريقين ، طريق هابط ينتهي بحفرة ما لها من قرار ، فيها وحوش كاسرة جائعة ، والطريق الصاعد ينتهي بقصر منيف ، هو لمن دخله ، هذا البيان الذي على مفترق الطريقين ألا يجعل الإنسان العاقل يتخذ قراراً معاكساً لطبعه ولميله للاستمتاع ورغبته بالراحة ؟ لاشك ، هذا الذي حصل ، الدنيا كلها شهوات ، خضرة نضرة ، تدعوك إليها ، ولكن القرآن يبين لك أن طريق الشهوة ينتهي إلى النار ، أما طريق

العمل الصالح والاستقامة ، وأداء العبادات والالتزام بمنهج الله ، ينتهي إلى الجنة ، إذاً هذه اللوحة خطيرة جداً ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((عَن ابْنِ عَبَّاسٍ قالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ....... أَلا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ثلاثًا أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ......))

(مسند الإمام أحمد)

فالإنسان إذا استسلم لرغباته ونزواته وشهواته ، يسلك الطريق الهابط ، عندئذٍ يكون قد حقق الهلاك ، أما إذا استخدم عقله..! أنا أضرب مثل طريف ، كإنسان يسكن في حي المهاجرين في الشام ، المركبة العامة تقف في المرجة ، في مركز المدينة ، باتجاه الشرق ، في أيام الصيف الحارة صعد إلى هذه المركبة فإذا بمقاعد الطرف الأيمن كلها شمس حارة ، بينما المقاعد اليسرى في ظل ظليل ، فكر هذا الراكب أن هذه المركبة بعد دقيقة واحدة تدور حول ساحة المرجة فتنعكس الآية ، فجلس في الشمس ، وامتحن الركاب الراكب الذي أعمل عقله وجلس في الشمس ، والراكب الذي أغفل عقله جلس في الظل، بعد دقيقة من إقلاع المركبة انعكست الآية ، العاقل هو الذي يحتاط للأمور قبل وقوعها ، وهذا يذكرني بقصة وردت لابن المقفع ، أن صيادين رأيا غدير ماء فيه سمكات ثلاث ، كيسة عاقلة ، وأكيس منها وعاجزة ، (قصة رمزية) فتوعدا أن يرجعا ومعهما شباكهما ليصيدا ما في الغدير من سمك ، سمعت السمكات قولهما ، أما أكيسهن فإنها ارتابت وتخوفت ، وقالت العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها، هذه سمة ، الدول المتقدمة بالمقياس الحضاري تعيش المستقبل ، والأقل تقدماً حركتها ردود أفعال ، والدول المتخلفة تعيش الماضي ، السمكة الكيسة جداً قالت: العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها ، ولم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل منه الماء إلى الغدير فنجت ، الأولى أكيس من غيرها، أما الكيسة فبقيت في مكانها حتى عاد الصيادان ، فذهبت لتخرج من حيث خرجت رفيقتها فإذا بالمكان قد سد ، مكان الخروج سده الصيادان ، فقالت فرطت وهذه عاقبة التفريط ، غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ، ثم إنها تماوتت ، فطفت على وجه الماء ، منقلبة تارة على بطنها وتارة على ظهرها ، فأخذها الصياد ووضعها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت إلى النهر فنجت، أما العاجزة فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ...))

ضبطها ، ضبط لسانه ، ضبط عينيه ، ضبط دخله ، ضبط إنفاقه ، ضبط بيته ، ضبط تربية أولاده ، ضبط زوجته

((وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ ..))

(سنن الترمذي)

فنحن في الوقت ينبغي أن نعيش المستقبل ، قيل ما مضى فات ، لا جدوى من الحديث عنه ، الوقت الذي مضى لا يسترد ، ولا يسترجع ، ما مضى فات ، والمؤمل غيب ، ولك الساعة التي أنت فيها ، بل هناك من يقول: هناك يوم مفقود ، هو الماضي ، ويوم مشهود هو الحاضر ، ويوم موعود هو الموت ، ويوم مورود هو يوم القيامة ، ويوم ممدود هو الأبد. بين الماضي وبين الحاضر ، وبين حدث الموت وبين يوم القيامة ، وبين الخلود إما في جنة يدوم نعيمها ، أو في نار لا ينفذ عذابها.

المذيع: حسناً دكتور من هذه الناحية ، مثل هذا الحديث الناس يسمعون الكثير من المواعظ ، فإن حدثتهم قالوا: والله هذا كلام صحيح وسليم. ومن يقصر في حق الله تعالى وكان في زمرة العاجزين وفي زمرة السمكة التي كانت قد صيدت ، رغم أن الإنسان في ضمن هذه البوتقة إذا قيل له الوقت والعمل يقول: كلامكم سليم. لكن مجال التطبيق لا نجده في هذا الإنسان ، ترى ما هي الخطوات التي يجب أن تدفعه ليكون كالسمكة الأكيس.

الأستاذ: مما ورد في الأثر قال عليه الصلاة والسلام: أكثروا ذكر هادم اللذات ، مفرق الأحباب ، مشتت الجماعات.

عش ما شئت فإنك ميت وأحببت من شئت فإنك مفارق واعمل ما شئت فإنك مجزي به ، أستاذ عدنان الهاتف الجوال يشحن مرة واحدة ؟ مستحيل !! لابد من أن يشحن شحناً دورياً ، وكذلك الصلوات الخمس شحنة دورية ، من صلاة إلى صلاة ، يوم الجمعة صلاتها وخطبتها شحنة أسبوعية ، ورمضان شحنة سنوية ، الحج شحنة العمر ، الجوال له موعظة كبيرة ، ما لم يشحن شحناً دورياً يتوقف ، الإنسان قد يكون في مجلس ، في مسجد ، في ندوة ، يسمع شريط يتأثر ، والتأثر ينبغي أن يكون مستمراً ، أي ينبغي أن يحيط نفسه بأجواء دينية ، إذا جلس مرة صدفة في مجلس علم ، ولم يتكرر هذا المجلس ، هذه الشحنة تفقد قوتها ، إجابة عن سؤالك الكريم: لابد من شحنات دورية ، لابد من أن تعرض نفسك أيها الأخ الكريم إلى شحنات إلهية ضرورية ، الصلوات الخمس ، وصلاة الجمعة ، وصيام رمضان ، والأذكار ، والأدعية حتى يكون الموت ماثلاً أمام الإنسان لا من باب التشاؤم لا لا سمح الله ، لكن الإنسان حينما يكثر من ذكر الموت يبقى على الطريق ، مركبة على الطريق ، أمامها خطراً إما أن تتوقف فيحترق محركها ، وإما أن تقع في الوادي ، فكثرة ذكر الموت يحمي راكب المركبة من أن يقع في الوادي ومن أن يقف ، فإيجابيات التفكر في الموت تمنع الوقوف، وتمنع السقوط في الوادي ، أما الإنسان يأكل ويشرب ، ويدرس ويتاجر ، ويتفوق ويكسب المال الحلال ، وينفقه على أهله ، يبني وطنه، ويقدم لأمته الشيء الكثير من دون أن يخرج عن منهج الله.

المذيع: في الأصل التخوف من الخطر يمنع من الوقوع في الخطر أيضاً ، في هذه الحالة موضوع الموت توضيح هذا الأمر ، ولكن في مدى نصف دقيقة هل نستطيع أن نقول أننا إذا ربينا أطفالنا

ليكونوا نشأً جديداً مهتماً بهذه التوصيات التي ذكرتها يمكن أن يتابع فيها ، أما كل إنسان يمكن أن يتابع فينقلب رأساً على عقب،

الأستاذ: لاشك أن الوقت حينما ندرك قيمته وحينما أوظفه فيما خلقت من أجله أنجح وأُنْجِّح ، وأسعَد وأُسْعِد.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 01 : التوكل والتواكل.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 19-01-1996

بسم الله الرحمن الرحيم

الفرق الحقيقي بين التوكل والتواكل :

مستمعي الأعزاء ، أهلاً ومرحباً بكم بحلقة جديدة من برنامج الإسلام والحياة .

ضيف حلقة اليوم ، الأستاذ محمد راتب النابلسي ، الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق ، وخطيب مسجد عبد الغني النابلسي .

الموضوع الذي سنتناوله اليوم بإذن الله ؛ هو موضوع التوكل والفارق بينه وبين التواكل ، علماً بأن هناك شبهة قد يعرض لها بعضهم من خلال أن التوكل لا حاجة لنا به إذا قدمنا الأسباب كاملة علماً بأن الإنسان كثيراً ما يقدم الأسباب كاملة ، ومدروسة ، وبعد ذلك يخطئ ، ويعلم أنه قد أخطئ ، إذاً لابد من التوكل ، ومن ناحية ثانية يجب أن يبتعد عن التواكل .

ضمن هذا المفهوم ، يسيء بعض الناس مفهوم التوكل فيسوقهم هذا المفهوم الخاطئ إلى السلبية ، وإلى عدم الأخذ بالأسباب .

ما رأيكم أن نتناول هذا الموضوع بداية ؟

موضوع التوكل ، موضوع مهم جداً في حياة المؤمن ، لأنه من لوازم إيمانه بالله تعالى ، بل هو ثمرة من ثمار إيمانه بالله تعالى ، ولابد قبل الحديث عن التوكل من أن نمهد له بموضوع يعد أساساً له وهو أن الله جل جلاله ، خلق الكون بسماواته وأرضه ، وخلق العوالم وعلى رأسها الإنسان وفق أنظمة بالغة الدقة .

ومن أبرز هذه الأنظمة ، نظام السببية ، وفي تعريف السببية تلازم شيئين حدوثاً وعدماً ، أحدهما قبل الآخر ، فنسمي الأول سبباً ونسمي الثاني نتيجة .

لكن مما يكمل هذا النظام ، أن العقل البشري يقوم في تركيبه على مبدأ السببية ؛ أي أن العقل لا يفهم حدثاً من دون محدث ، ومن رحمة الله بنا ، أن هذا النظام في الكون ، وذاك المبدأ في العقل يقودنا برفق إلى معرفة الله مسبب الأسباب .

الأقدام تدل على المسير ، والماء يدل على الغدير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟

ومن رحمة الله بنا ثانية ، أن تلازم الأسباب مع النتائج يضفي على الكون طابع الثبات ويمهد الطريق لاكتشاف القوانين ، ويعطي الأشياء خصائصها الثابتة ليسهل التعامل معها ، ولو لم تكن النتائج بقدر الأسباب ، لأخذ الكون طابع العبثية ، ولتاه الإنسان في سبيل المعرفة ، ولم ينتفع بعقله .
والآن إلى موضوع التوكل :

سؤال ؟

إذا كان الأمر كذلك ، فما هي حقيقة التوكل؟ وما هي مجالاته المشروعة ؟
أستاذ عدنان
التوكل مكانه قلب المؤمن ، وأما الأخذ بالأسباب فمكانه الجوارح والأعضاء ، فإذا تركنا الأخذ بالأسباب ، توكلاً على الله ، وقعنا في مرض خطير ؛ هو سبب تخلف المسلمين ، وقد يطلق على هذه الحالة المرضية الخطيرة التي تصيب المسلمين بالشلل يطلق على هذه الحالة بالتواكل ، وهو نقيض التوكل ، أراد الله أن توكل ، لكن لم يرد بنا أن نتواكل .
فمن أخذ بالأسباب ، واعتمد عليها فقد حبط عمله ، وسلك طريقاً لا يصل به إلى الله عز وجل .
لذلك يتفضل الله على هذا الإنسان فيؤدبه ، كيف يأدبه بتعطيل فاعلية الأسباب التي اعتمد عليها ، فيفاجأ هذا الإنسان بنتائج غير متوقعة ، لكن في حالة أخرى ، من ترك الأخذ بالأسباب متوكلاً في زعمه على الله ، فقد عصى ، فقد عصى ربه ، لأنه لم يعبأ بهذا النظام ، الذي ينتظم الكون ، ولأنه طمع بغير حق، أن يخرق الله له هذه السنن .
قال عمر رضي الله عنه : المتوكل من ألقى حبةً في الأرض ثم توكل على الله .

سؤال ؟

طيب إذا أخطأنا فهم حقيقة التوكل ، فانزلقنا إلى أن يحبط عملنا أو إلى معصية ، من خلال ترك الأسباب ، فما الذي يحدث ؟
الأستاذ :
الحقيقة هذا يقودنا إلى رأي علماء التوحيد في هذا الموضوع علماء التوحيد يرون ، أن السبب لا يعد كافياً لخلق النتيجة ، فالنار لا تحرق بذاتها ، بل عند مشيئة الله لها أن تحرق ، واستنبط العلماء هذه الحقيقة من أدلة نقلية ، وعقلية ، وواقعية ، وعبروا عنها اختصاراً عندها لا بها ؛ أي أن النار لا تحرق بقوة الإحراق الذاتية التي أودعت فيها فيما يبدو، بل بمشيئة الله تعالى لها أن تحرق فلكي لا نتوهم أن

الأسباب وحدها تخلق النتائج ، فنتجه إليها ، ونعتمد عليها ، من دون الله ، لأن علة وجودنا أن نؤمن بالله ، وأن توجه إليه ، وأن نعتمد عليه لنسعد به .

لذلك من تربية الله لنا ، ومن رحمته بنا ، ومن تأديبه لنا أنه يخرق لنا أحياناً هذه القاعدة ، وقاية لنا من الشرك ، وترسيخاً للتوحيد عندئذٍ تعطل الأسباب ، كما وقع لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حينما ألقي في النار.

(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)

[سورة الأنبياء الآية : 69]

وأحياناً يوجد السبب ولا تتحقق النتيجة ، وأحياناً توجد النتيجة من دون سبب ، أو من دون سبب كاف .

قال تعالى ، وقد حدثنا عن سيدنا عيس عليه الصلاة والسلام :

(وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ)

[سورة آل عمران الآية : 49]

وباختصار التوكل درب ضيق عن يمينه وعن شماله واديان فمن أخذ بالأسباب ، واعتمد عليها ، فقد انزلق إلى إحباط العمل ، ومن لم يأخذ بها فقد انزلق إلى معصية الله ، لكن الموقف الدقيق الذي أراده الله عز وجل ، أن نأخذ بالأسباب من دون أن نعتمد عليها ، وأن توكل على مسبب الأسباب رب العالمين .

هذه حقيقة التوكل التي أرادها الله عز وجل ، وقد ورد التوكل في آيات كثيرة ، فقال تعالى:

(وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ)

[سورة إبراهيم الآية : 12]

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله .

سؤال:

يعني هنا يحضروني بعض الأمثلة ، حتى فيما يمكن أن يقال في قمة الاختراعات والتصنيع ، مثلاً لكل عام نجد في السيارات طرازاً جديداً يختلف عما سبقه ، عندما صممت السيارة درست من قبل مهندسين، درست من قبل أخصائيين ، من كل النواحي ، وصنعت بعد ذلك السيارة ، في العام التالي نجد تعديلاً فيها ، ترى ألم يأخذوا بالأسباب من قبل ؟ أخذوا بالأسباب ، طيب لماذا جاء هذا التعديل إن كانت الأسباب تودي إلى الصحة المتكاملة باستمرار ؟ لاشك أن الإنسان وعقله ، عاجز عن تأدية

الكمال ، هنا دور الإيمان ، أن الإنسان يؤدي الأسباب كاملة ، وبعد ذلك يلتجئ إلى الله تعالى أن يارب إني قد أديت ما عليّ وبعد ذلك أتوكل عليك .

الأستاذ:

الحقيقة هذا الطرح الذي طرحتموه دقيق جداً ، لأن خبرة الإنسان مكتسبة ، خبرته حديثة ، محدثة ، لكن خبرة الله قديمة ، فلم يطرأ أي تعديل على خلقة الله عز وجل ، لأن كماله مطلق ، وخبرته قديمة ، أما الإنسان بحكم ضعفه .

قال تعالى :

(وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً)

[سورة النساء الآية : 28]

فخبرته يكتسبها شيئاً فشيئاً ، فهذا لا يمنع أن نأخذ بالأسباب دائماً ، وكلما واجهتنا مشكلة نبحث عن أسبابها ، ونغطي هذا السبب بعلاج ناجح ، ونافع .

السائل:

هو التوكل .

الأستاذ:

هو التوكل .

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 02 : العبادات .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1996-01-21

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال ؟

أستاذ سوف نتناول اليوم موضوع العبادة، العبادة بمفهومها الواسع العريض، وقد ورد في بعض الآثار القدسية، عبادي إذا ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستكثر بكم من قلة، ولا لأستعين بكم من وحدة على أمر عجزت عنه، ولا لجلب منفعة، ولا لدفع مضرة، وإنما خلقتكم لتعبدوني طويلاً وتذكروني كثيرا وتسبحوني بكرةً وأصيلا.

هنا تتوضح أن العبادة لله تعالى، ليست من خلال أن الله بحاجة إلى هذه العبادة، هذه ناحية.

الناحية الثانية : إن للعبادة فلسفة يمكن أن تعتمد، وإن صح أن لكل شيء فلسفة، فما فلسفة العبادة في الإسلام ؟ بتعبير آخر لماذا نعبد الله تعالى

الإنسان... هو المخلوق الأول رتبة... قال تعالى :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (72))

(سورة الأحزاب : 72)

والإنسان أيضاً هو المخلوق المكرم، لقوله تعالى :

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (70))

(سورة الإسراء : 70)

شيء آخر، هو أن الكون كله بسماواته وأرضه مسخر للإنسان تسخير تعريف وتكريم، قال تعالى :

(وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ)

(سورة الجاثية : 13)

إذا كان الكون مسخر للإنسان، فلإنسان لمن ؟.

الإجابة عن هذا السؤال الإنسان لله، ليعرفه، لعبده، ليسعد بقربه إلى أبد الآبدين، قال تعالى :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56))

(سورة الذاريات : 56)

والعبادة في بعض تعاريفها الدقيقة، طاعة طوعيه، تخالطها محبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي بالإنسان إلى سعادة أبدية فالمعرفة أساس العبادة، والعبادة أساس السعادة.

سؤال :

طيب هل تقتصر العبادة في الإسلام على الصوم، والصلاة والزكاة، وما إلى ذلك ؟ أم أن لها مفهومات تشمل الحياة كلها، وكيان الإنسان كله أيضا ؟

الأستاذ :

الحقيقة أستاذ عدنان، أن العبادة نوعان :

عبادة تعاملية، كل أمر أمر الله به، الائتمار به من العبادة وكل نهي نهى الله عنه، الانتهاء عنه من العبادة.

إذاً : تطبيق أوامر الله عز وجل، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأحكام الفقهية التي استنبطها المجتهدون، هذا التطبيق بحد ذاته هو العبادة.

لكن النوع الثاني من العبادة :

هو العبادات الشعائرية، كالصلاة، والصيام، والحج والزكاة، فبعض هذه العبادات قولي، كتلاوة القرآن، والأدعية والأذكار، وبعض هذه العبادات بدني، كالصلاة، وبعض هذه العبادات مالي، كالزكاة، وبعض هذه العبادات بدني مالي، كالحج والعمرة.

لكن العبادة الشعائرية في جوهرها، وهذا أهم ما فيها، إنها اتصال بالله بشكل أو بآخر، هذا الاتصال لا ينعقد إلا إذا كان العبد ملتزماً بالعبادة التعاملية ؛ أي كان عند الأمر والنهي، لأن الذنب حجاب بين العبد وربه.

لذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، أن رُب تالٍ للقرآني والقرآن يلعنه، إن لم يطبق أوامر الله التي وردت في القرآن.

وفي موضوع الدعاء، يقول العبد : يارب، يارب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب له ؟.

وعن الصلاة : فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً.

وعن الصوم : رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش.

وعن الإنفاق :

(قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ (53))

(سورة التوبة : 53)

وركعتان من ورع، خير من ألف ركعة من مخلط، ومن لم يكن له ورع يصده عن معصية الله لم يعب الله بشيء من عمله وترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد الإسلام.

إذاً : فالعبادات الشعائرية لا تحقق هدفها، ولا تقطف ثمارها إلا إذا كان العبد ملتزماً بأمر الله ونهيه.

سؤال ؟

يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه : العبادات معللة بمصالح الخلق، كيف نفهم هذه العبادات في ضوء هذا القول ؟

الأستاذ :

رضي الله عنه عن الإمام الشافعي كما تفضلتم، الحقيقة أن الصلاة ، والصيام، والحج، والزكاة، عبادات معللة كما قال الشافعي بمصالح الخلق فالصلاة مثلاً ذكر لله عز وجل.

قال تعالى :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14))

(سورة طه : 14)

والصلاة أيضاً قرب لله عز وجل،

قال تعالى :

(وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (19))

(سورة العلق : 19)

والصلاة وعي وعقل.

قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)

(سورة النساء : 43)

فمن صلى ولم يعي ما قرأ في الصلاة فكأنه في حالة السكران وليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها، والصلاة فضلاً عن ذلك فيها تطهير للنفس من الأدران، إنها نور تهتدي به النفس في ظلمات الحياة، الصلاة عماد الدين، وعصام اليقين، وسيدة القربات، وغرة الطاعات، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات.

والزكاة أيضاً : تطهر الغني من الشح، تطهر الفقير من الحقد تطهر المال من تعلق حق الغير به، تنمي شعور الغني بقيمته في المجتمع، من خلال بذله، تنمي شعور الفقير بأن مجتمعه مهتم به تنمي المال التي دفعت زكاته، كل هذه المعاني استنبطها علماء التفسير، من قوله تعالى :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)

(سورة التوبة : 103)

والصوم ؟

الأستاذ :

الصوم : ونحن في شهر الصوم، صوم رمضان دورة سنوية مكثفة، يدع فيه المؤمن طعامه، وشرابه، تقرباً إلى الله عز وجل ففي الصيام يعرف الإنسان عبوديته لله عز وجل، وفي الصيام يتعرف إلى فضل الله عليه.

والصيام أيضاً : مناسبة تتقوى فيها إرادة الإنسان الخيرة، بل هو قفزة نوعية في معرفة الله، والتقرب منه، وفضلاً عن كل ذلك ففيه وقاية وصيانة لأجهزة الجسم المختلفة.

أما حج بيت الله الحرام :

فهو رحلة إلى الله تعالى، تبعد الإنسان عن كل أوهام المادة وتهيئه للقاء الله عز وجل حيث السعادة الأبدية.

سؤال :

تفضلتم أن في الصوم يتعرف الإنسان على عبوديته لله تعالى هذه العبودية هل فيها منقصة للإنسان ؟ أم فيها رفعة للإنسان ؟

الأستاذ :

لا يرقى الإنسان إلى أعلى مراتبه إلا إذا كان عبداً لله، لا يتألق، بل لا تتألق إنسانيته إلا إذا كان عبداً لله، والإنسان حينما يعبد الله يستمد من الله عز وجل كل قوته، وكل حكمته، وكل كماله الإنساني.

فالإنسان إذا عبد الله، حقق وجوده، وأكد ذاته، وحقق الهدف الذي من أجله خلق، أو خلقه الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 03 : ندوة عن الدعاء
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1998-01-09

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ عدنان شيخو.

سوف نجعل ، هذه الندوة المباركة عن الدعاء، والدعاء قبل أن نخوض فيه، هناك اتهامات بأن الإنسان المؤمن المسلم يدعو ليتهرب من إتيان الأسباب، وهذا مردود على هذا المتسائل رداً كاملاً، والسبب أن المؤمن يهيئ الأسباب كاملة، ثم يدعو، وسوف أضرب مثلاً سريعاً، لنتحدث بعد ذلك معكم في هذا الإطار.

لو افترضنا أن إنساناً يريد إنشاء بيت، وكان مهندساً، سجل رغباته، وسجل رغبات أسرته، وأولاده، واستشار، واستشار، وبعد ذلك أنشأ هذا البناء، ولا شك أنه بعد حين يقول: ليتني وسّعتُ الغرفة الفلانية قليلاً، ليتني فعلت كذا، ليتني كذا، مثل هذا يندرج في أمور الحياة كلها.

إذاً: أستطيع أن أقول إن الإنسان مهما أتى بالأسباب، يبقى عقله قاصراً عن إتيان النتائج السليمة المطلقة، وبعد هذه الأمور من حيث إتيان الأسباب فإنّ المؤمن يلتجئ إلى الله بالدعاء، يا رب قد قدمت الأسباب، والدعاء بعد ذلك يأتي دوره، المهم، إذاً حلقة اليوم عن الدعاء، وسنبدأ مع الدكتور عبد الفتاح، الدعاء والعمل بالأسباب يا دكتور.

فضيلة الشيخ الدكتور عبد الفتاح البزم.

هذا الذي تفضلتم به لا شك من المسلمات، ولا ينبغي أن يتصور مسلم أو مؤمن أن هذا السبب يتعارض مع الدعاء، أو أن الدعاء يتعارض مع المقدر، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى، ذكرني هذا المثال يوم رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر صفوف المقاتلين، وفعل ما فعل من أسباب، ثم بعد ذلك التجأ إلى الله عز وجل بالدعاء ؛ أن ينصر هذه المجموعة الذين سيقفون في وجه المشركين، وهذه المعركة التي ستكون في النهاية تقرير مصير، بدأ بالعمل واتخاذ الأسباب، ثم رفع الكفين إلى الله سبحانه وتعالى يلتجئ إليه، وفعل النبي عليه الصلاة والسلام هذا دليل لنا جميعًا على اتخاذ الأسباب والدعاء، لأنه كما تفضلتم لا يستطيع المرء أن يحدد المستقبل، وأن يعرف الغيب، بل عليه أنْ يتخذ الأسباب وفق واقعه، وتصوراته المستقبلية، ولكن ماذا سيجيء به المستقبل فلا يدري، هنا يرفع الكفين إلى الله سبحانه تعالى أن يجعل هذا العمل موفقاً، وأن يسدد خطاه، ويصل إلى نتائج مرضية، أقول أيضاً، هذا جواب على المثال الذي تفضلتم به، خلق ربنا السماوات والأرض بالحق

رحمة لنا، ثم أرشدنا لما فيه سعادتنا في الدنيا، وفوزنا في الآخرة، فأمرنا باتخاذ أسباب الفلاح، ألم يقل جل وعلا في كتابه العزيز:

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15))

(سورة الملك: 15)

ويقول في موضع آخر:

(فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10))

(سورة الجمعة: 10)

ومن المعلوم ضرورةً أن العمل بدون العلم لا يؤتي ثماراً يانعة، ولذلك نجد دائماً في القرآن والحديث ما يحث على الأخذ بالأسباب، وعلى التوكل على الله عز وجل، قال سبحانه وتعالى حكاية قولَ الرسل لأمَمِها:

(وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12))

(سورة إبراهيم: 12)

وعندما كان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو لنفسه بالشفاء، كان يسارع إلى تناول الدواء ويقول:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ))

(رواه أحمد)

فهذا الجمع بين الدعاء واتخاذ الأسباب.

الأستاذ عدنان شيخو.

ومما نعلم الدعاء مخ العبادة، هل الدعاء فعلاً عبادة ؟ مع الأستاذ **محمد راتب النابلسي:**

فضيلة الشيخ الأستاذ محمد راتب النابلسي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

إنّ الإنسان خلق في الدنيا ليعبد الله، فقد قال الله عز وجل:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56))

(سورة الذاريات: 56)

فعلة وجوده على وجه الأرض أن يعبد الله عز وجل، والعبادة في بعض تعاريفها، طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.

فمن خلال هذا التعريف يتبين أن من كليات الدين المعرفة والسلوك، والجمال، كلية معرفية، وكلية سلوكية، وكلية جمالية، إلا أن الإنسان إذا تحرك على هذه الخطوط الثلاثة يتفوق، أما إذا اكتفى بخط واحد تطرّف، إلا أن هناك ملاحظة مهمة جداً وهي: أن الإنسان خُلِق ضعيفاً، وهذه علة في أصل خلقه لصالحه.

و كيف أن الآلة الغالية جداً، عظيمة النفع، ومعقدةً أبلغ التعقيد، فيها قواطع خطوط ضعيفة، فإذا جاء التيار قوياً ساخت هذه الخطوط، و حفظت الآلة من العطب.

وكذلك، خلق الإنسان ضعيفاً، خلقه الله ضعيفاً، ليفتقر في ضعفه فيسعد في افتقاره، ويدعو ربه، من هنا كانت فلسفة الدعاء، خلقه ضعيفاً ليفتقر إلى الله عز وجل، فيسعد بافتقاره، ولو خلقه قوياً لاستغنى بقوته فشقي باستغنائه.

فضيلة الشيخ الدكتورعبد الفتاح البزم.

ذكرني فضيلة الأستاذ راتب بهذه الفكرة التي تفضل بها، بقول القائل: قضى الله سبحانه أن يكون العبد ممتحناً ومستعملاً، ومعلقاً بين الرجاء والخوف، الذين هما مدرجتا العبودية، ليستخرج منه بذلك الوظائف المضروبة عليه، التي هي سمة كل عبد، وهنا يقودني هذا إلى حديث أخرجه الإمام مسلم عَنْ جَابِرٍ قَالَ:

((جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ قَالَ لَا بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ قَالَ فَفِيمَ الْعَمَلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلٌّ عَامِلٍ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ))

(رواه مسلم)

وعند الترمذي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ:

((لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَعَلَى مَا نَعْمَلُ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ أَوْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يُفْرَغْ مِنْهُ قَالَ بَلْ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ وَجَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ يَا عُمَرُ وَلَكِنْ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ))

واستغرب الصحابة الكرام، فقالوا: فيم العمل إذًا ؟ طالما أن الأمر مفروغ منه، فيم العمل إذًا ؟! فحضهم النبي عليه الصلاة والسلام على العمل.

فضيلة الشيخ الأستاذ محمد راتب النابلسي.

إذاً الدعاء فيما يبدو وسيلة وغاية في الوقت نفسه، وسيلة حينما يوضع الإنسان في مشكلة، والله سبحانه وتعالى طلب منا أن ندعوه بعد هذا الدعاء، وتحقيق الهدف، يقفز الإنسان قفزتين ؛ قفزةً في محبة الله

عز وجل، وقفزةً في الإيمان بوحدانيته، إذاً هو يرتقي بالدعاء ارتقاء في معرفة وحدانيته، وارتقاء في معرفة رحمته وحبه للإنسان.

النقطة الثانية: وهو هدفٌ بحد ذاته لأن أعلى درجة من الاتصال بالله تكون في الدعاء، من هنا قال عليه الصلاة والسلام عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ:

((وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ قَالَ الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ وَقَرَأَ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِلَى قَوْلِهِ دَاخِرِينَ))

(رواه الترمذي)

وحينما قال الله عز وجل:

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60))

(سورة غافر: 60)

لم تكن الآية: إن الذين يستكبرون عن دعائي، بل قال:

(عَنْ عِبَادَتِي)

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ))

(رواه الترمذي)

لأن الإنسان حادثٌ ضعيفٌ، مفتقر إلى الله عز وجل في كل شيء، والله جل جلاله يحتاجه كل شيء في كل شيء، والسعادة كل السعادة، والفوز كل الفوز، والتفوق كل التفوق، في الاتصال بالله عز وجل. فالدعاء من جهة هو غاية، ومن جهة هو وسيلة، والإنسان لا يكون في أعلى درجة من درجات القرب، إلا حينما يكون مضطراً ويدعو الله عز وجل بعبوديته له، وربوبيته عز وجل، والعبد يدعو ربه بعبوديته له، وبوحدانيته وربوبيته عزوجل.

الأستاذ عدنان شيخو:

هذا يقودنا إلى الحديث عن ألوان إجابة الدعاء، وقد تحدثتم أن الدعاء من العبادة، ولا بد من وجود أسباب، والأخذ بالأسباب ضروري، ثم إن الدعاء لا بد منه، والآن الإجابة للدعاء، مع الدكتور عبد الفتاح البزم.

فضيلة الشيخ الدكتور عبد الفتاح البزم.

لاشك أن إجابة الدعاء تتنوع، فتارةً يقع المطلوب على الفور، يدعو ربه أن يرفع عنه مرضاً، وأن يرزقه رزقاً بعينه، فيقع المطلوب، وأخرى يتأخر لحكمة الله أعلم بها، لأن العبد قد يتصور أن شيئاً فيه خير له، وفي الحقيقة قد يجر له متاعب كثيرة، فالله هو أحكم الحاكمين، وتارةً تقع الإجابة بغير

المطلوب، حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة، أو يكون في غير المطلوب الذي وقع ما هو أصلح من المطلوب المدعو به، وفي الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ - هذه الثلاث تبين لنا ألوان الإجابة، أما الأولى - إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ - هذا اللون الأول - وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا قَالُوا إِذًا نُكْثِرُ قَالَ اللَّهُ أَكْثَرُ))

(رواه أحمد)

إذا كان الدعاء تتلوّن إجابته إذاً يا رسول الله نكثر منه، قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ، الله يعطيكم، وأريد أن أقف عند قوله: وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، يدخر له هذه الإجابة في الآخرة، حتى إنه لما يصل العبد المؤمن وقد نجا، وكان من الفائزين إلى الآخرة، ويعطيه الله سبحانه وتعالى ثواب الدعوة التي أراد أن يتعجل بها في الدنيا، ولم يعطها يأخذ الثواب الأكبر في الآخرة، ولما يرى هذا الثواب يتمنى لو أن دعاءه كله في الدنيا لم يستجَب، ليحصل على الثواب الكبير في الدار الآخرة.

الأستاذ عدنان شيخو.

مع الأستاذ محمد راتب النابلسي، تحدثنا عن الدعاء وبيَّنتُم شيئاً من الأسس التي يقوم عليها الإنسان من ضعفه، وعبوديته لله تعالى ليكون قد طرق باب الدعاء من حيث يكون صلة بالله تعالى، وإثباتاً لعبوديته لربه سبحانه وتعالى، حقيقة الدعاء ما هي إذاً ؟

فضيلة الشيخ الأستاذ محمد راتب النابلسي.

نحن في حياتنا الدنيا متى نسأل جهة، لا بد من أن نؤمن بوجودها أولاً، حتى نسألها، ولا بد من أن تكون سميعةً لسؤالنا حينما نسألها، وإلا فلا نسأل، ولابد أن تكون قادرة على تحقيق طلبنا، وإلا فلا نسأل، ولا بد أن تكون من المحبة والرحمة حيث هي قادرة على أن ترحمنا.

فالإنسان لا يسأل إنساناً من جنسه إلا إذا تيقن من وجوده، ومن سمعه، ومن قدرته، ومن محبته، فإذا سأل الإنسان ربه فهو قطعاً مؤمن بوجوده، وكل ما في الكون ينطق بوجود الله، وهو مؤمن أنه سميع مجيب، والأبلغ من هذا أنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم ما تعلن وما تسر، ويعلم ما خفي عنك أنت، فهو موجود، وواحد، وكامل، يسمع دعاءك، ويعلم ما في قلبك، وفوق ذلك فهو على كل شيء قدير، وقدرته لا يحدها شيء مهما بدا لك الأمر صعباً، كمثلِ إنسان يجد نفسه فجأةً في بطن حوت والأمل معدوم كلياً، في ظلمات ثلاث، في ظلمة بطن الحوت، وفي ظلمة البحر، وفي ظلمة الليل، إنه سيدنا يونس، قال تعالى ذاكرًا قصّته:

(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88))

(سورة الأنبياء: 87 - 88)

دقق أستاذ عدنان، الآية قصة، والآن جاء التعليق ليجعلها قانوناً قال:

(وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)

والدعاء عبادة، والدعاء معرفة بالله، والدعاء يؤكد أن الإنسان مؤمن بالله عز وجل، وبأسمائه الحسنى، وصفاته الفضلى.

الأستاذ عدنان شيخو:

قصة يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت هنا هو دور الدعاء، و القضاء أنه في بطن الحوت، فهل يرد الدعاُء القضاءَ ؟ الجواب مع الدكتور عبد الفتاح البزم.

فضيلة الشيخ الدكتور عبد الفتاح البزم.

سؤال طريف، نعم يرد، بل يعتلج الدعاء والقدر معاً، وإن السبب والمسببات، والذي ألهم الدعاء، والذي خلق النتائج واحد، هو الله سبحانه وتعالى، فالأمر له من قبل ومن بعد، ولذلك قال العلماء: الدعاء ينفع مما نزل، ومما ينزل، ولا يرد القضاء إلا الدعاء، ويستندون على حديث يرويه الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ فُتِحَ لَهُ مِنْكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَمَا سُئِلَ اللَّهُ شَيْئًا يَعْنِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَافِيَةَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ))

وأيضاً حديثٌ آخر ابن ماجه عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ))

أما موضوع الاعتلاج فقد استندوا على حديث رواه أحمد عَنْ مُعَاذٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَنْ يَنْفَعَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ فَعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ عِبَادَ اللَّهِ))

انظر، لا يغني حذر من قدر، ثم يقول: الدعاء ينفع، إذاً لا بد من التسليم، ولا بد من الدعاء، ولا بد من العمل، والكل يرجع كما تفضل فضيلة الأستاذ راتب إلى المالك الفعلي الذي هو الله، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لَنْ يَنْفَعَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ فَعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ عِبَادَ اللَّهِ))

(رواه أحمد عن معاذ)

هكذا في الحديث، وهنا يستشكل على بعض الناس، وقد يقول قائل، إن الشيء الذي يدعو به المسلم، إن كان قد قدر، فلا بد من وقوعه، دعا به العبد أو لم يدعُ، وإن لم يكن قُدّر فلا يقع أصلاً، إذاً لِمَ الدعاء ؟!

هكذا يقول الإنسان، الجواب واضح، إذا قال: ما الفائدة من الدعاء ؟ فالجواب واضح، والله تعالى الذي قدر المقدورات، وقدر لها أسباباً، فهو سبحانه وتعالى قدر مسببات، وقدر الأسباب، فهو تعالى قدر الشبع بسبب تناول الأكل، فالإنسان الآن جاع، أو أصابه ألم في رأسه، يسارع إلى هذا الدواء، ولا يعتقد أن الدواء هو الذي يشفي، ولا يعتقد أن الطعام هو الذي يشبع، ولكن الله جعل هذه النتائج عند تلك الأسباب، ولذلك علماء التوحيد فرقوا بين، (الباء، وعند)، فقد يقع الشيء عند السبب لا بالسبب، لأن السبب غايته بأن الله هو خالق هذا السبب، فإذاً الدعاء هو من أعظم الأشياء بالنفع، أو الدفع، أو الرفع، والكل بقضاء من الله تعالى وبقدره، فمن أنكر تأثير الدعاء في جلب المنافع ودفع الشرور، يلزمه إنكار جميع الأسباب، والحقيقة هو لا ينكر الأسباب، فإذا جاع أكل، وإذا أصابه ألم تناول الدواء، فهل تكتفي بأن ترفع كفيك إلى الله وتقول: اللهم ارزقني الشبع، لا هو يأكل، إذاً يأخذ بالأسباب، وهذا هو الجمع بين: كيف يرد الدعاءُ القضاءَ، وكيف يعتلجان.

الأستاذ عدنان شيخو.

أنا إذا أردت من إنسانٍ حاجةً في الدنيا أحاول أن أتعرف إليه، وأن أصل إليه عن طريق إنسان يعرفه مثلاً، حتى يساعدني في قضاء حاجتي، وهنا الدعاء، وطلب الحاجة من إنسان عبد لمثيله في الدنيا، تُرى كيف يكون الأمر بين العبد وخالق الأكوان ؟!

فضيلة الشيخ الأستاذ محمد راتب النابلسي.

في القرآن الكريم أستاذ عدنان آيات عديدة تزيد على عشر آيات، من هذه الآيات:

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189))

(سورة البقرة: 189)

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (220))

(سورة البقرة: 219 - 220)

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222))

(سورة البقرة: 222)

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً (105))

(سورة طه: 105)

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً (83))

(سورة الكهف: 83)

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً (85))

(سورة الإسراء: 85)

أكثر من عشر آيات تبدأ بـ " يسألونك "، ويأتي الجواب وبينها كلمة "قل"، إلا في آية واحدة، قال تعالى:

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)

(سورة البقرة: 186)

لإلغاء الواسطة، لأنّ في أمر الدعاء ليس بين العبد وربه وسيط، ولأن الله سبحانه وتعالى معه، خلقه ليتعرف إليه، وخلقه ليستجيب له.

والنبي عليه الصلاة والسلام روى لنا قصة رمزية عن أعرابي ركب ناقته وعليها طعامه وشرابه ليقطع بها الصحراء، فَعَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ))

(رواه مسلم)

فضيلة الشيخ الدكتور عبد الفتاح البزم.

أستاذ راتب كأنني شعرت من الأستاذ عدنان من خلال السؤال، ولا شك أن كل ما قلتموه صحيح مائة بالمائة، لكنني شعرت من خلال السؤال كأنه يريد أن يتحدث عن الوسيلة، هو ليس بين العبد وربه واسطة، أو وساطة، فالله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، ورب كل شيء، وكأنه يريد التوسل إلى الله سبحانه وتعالى، مثلاً الاستشفاع بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا ذكرني بقوله تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً(64))

(سورة النساء: 64)

وما أظن أنكم لا تريدون الوسيلة.

الأستاذ عدنان شيخو.

ما رأي الأستاذ راتب.

فضيلة الشيخ الأستاذ محمد راتب النابلسي.

أحياناً هناك أشخاص يدعون إلى ذواتهم، ويتخذون من الدين مطية لأهوائهم ومصالحهم، وأنا أريد أنْ ألغي دور هؤلاء فيما قلت، لا أريد أن ألغي ما تفضل به الدكتور عبد الفتاح في شأن شفاعة رسول الله والاستشفاع به، فهذا شيء وارد بالقرآن والسنة، ثابت بهما، أما حينما يتخذ الناس أشخاصاً جهالاً، يعبدونهم من دون الله، فلا بد أن نقول للناس جميعاً: ليس بين العبد و ربه وسيط في شأن الدعاء.

فضيلة الشيخ الدكتور عبد الفتاح البزم.

أستاذ راتب هذا قادني إلى شيء، أن يفرق العبد بين الولاء والوفاء، الوفاء مثلاً لرجل علّمك، والوفاء لوالديك، والوفاء لأستاذك، ولمن أخذ بيدك إلى طريق الخير، وأوصلك إلى جادة السلامة، والولاء لله وحده، وهنا أمرٌ مهم جداً، فإذا تعارض الولاُء والوفاءُ فالولاء لله وحده، فإذا استُشفِع بالنبي عليه الصلاة والسلام أو برجل يعتقد صلاحه، وما زال مرتبطاً بربه، وهو يعلم أن الذي سيعطيه، أو الذي سيمنعه، أو الذي سيشفي مريضه، أو الذي سيرزقه إنما هو الله وحده، إنما يخجل بين يدي ربه من تقصيره، فيستشفع بالرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام، أو برجل رأى فيه التقوى والصلاح، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه:

(أَلَا إِنّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتّقُونَ (63))

(سورة يونس: 62 - 63)

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 04 : العبادة مع الأستاذ محمود جمعات.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2001-12-27

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: هذا هو شهر الصيام وشهر القرآن شهر العبادة، والصوم هو العبادة وهذه العبادة عندما شرعها الباري عز وجل على عباده لم تكن حكمة التشريع فقط أن يكون عبادة بين المخلوق وخالقه إنما أيضاً العبادة سلوك، من هذا الباب لو تحدثنا عن الصوم كعبادة ثم العبادة بشكل عام.

الاستاذ:بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين و أفضل الصلاة و أتم التسليم على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين، بادئ ذي بدء ينبغي أن نفرق بين العبادة والطقس في الديانات الوضعية هناك طقوس حركات وسكنات وتمتمات لا معنى لها، إنما الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول العبادة معللة بمصالح الخلق. وأحد أكبر علماء المسلمين يقول: الشريعة عدل كلها رحمة كلها حكمة كلها مصلحة كلها وأية قضية خرجت من المصلحة إلى المفسدة ومن العدل إلى الجور ومن الحكمة إلى خلافها ومن الرحمة إلى القسوة فليست من الدين ولو أدخلت عليه بألف تأويل وتأويل.

نحن نفرق بادئ ذي بدء بين دين سماوي من عند خالق الكون وبين دين وضعي من صنع البشر، فالعبادة تابعة لدين الله والإنسان في أدق تعاريف العبادة هو عبد لله عز وجل، هي طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية، بل إن العبادة هي علة وجود الإنسان على سطح الأرض، لماذا أنا هنا ؟

لو أن إنساناً سافر إلى بلد ونزل في بعض الفنادق واستيقظ صبيحة اليوم الأول وتناول طعامه وارتدى ثيابه وسأل إلى أين أذهب ؟ نسأله نحن لماذا جئت إلى هنا ؟ لو جئت طالب علم اذهب إلى المعاهد والجامعات، وإن جئت تاجراً اذهب إلى المعامل والمؤسسات، وإن جئت سائحاً اذهب إلى المقاصف والمتنزهات، فلا تصح الحركة إلا إذا عرف السبب، ما علة وجود الإنسان على سطح الأرض ؟ ذلك أن الإنسان قد يخطئ وقد يستمر في خطأه فيقع في شر عمله قال تعالى:

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (104))

[سورة الكهف]

ذلك أن الإنسان مفطور على حب وجوده وحب سلامة وجوده وحب كمال وجوده وحب استمرار وجوده، وانطلاقاً من هذه الفطرة هو يحرص على سلامته وسعادته لكن الشقاء يأتي من أين ؟ من الجهل بل إن قضية أهل النار الأولى هي العلم قال تعالى:

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10))

[سورة الملك: الآية 10]

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً.

ما من سؤال أكبر في حياة الإنسان من أن يسأل نفسه لماذا أنا في الأرض ؟ القرآن الكريم أجاب عن هذا قال تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56))

[سورة الذاريات: الآية 56]

وهذه اللام لام التعليل يعني علة وجودكم يا عبادي أن تعبدون والعبادة كما قلت قبل قليل طاعة، خالص الطاعة لله، منتهى الطاعة لله لكنها طاعة طوعية وليست قسرية لا إكراه في الدين، ممزوجة بمحبة قلبية من عبد الله ولم يحبه ما عبده ومن أطاع الله ولم يحبه ما عبده ومن أحبه و لم يطعه ما عبده.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيـع

إذاً العبادة علة وجودنا والحكمة من العبادة أن نسعد بالله في الدنيا والآخرة، لأن في هذا التعريف كما أسلفت قبل قليل جانب معرفي والمعرفة هي الحاجة العليا في الإنسان وجانب سلوكي وهو الأصل في العبادة. تعلموا ما شئتم فوالله لم تؤجروا حتى تعملوا بما علمتم.

ثم الجانب الجمالي هو الثمرة، الحقيقة يقول بعض العلماء في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، إنها جنة القرب من الله أنا أحياناً أدعو وأقول: اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

فالعبادة وهذا تعريفها فيها جانب سلوكي هو الأصل وجانب معرفي هو السبب وجانب جمالي هو الغاية والغاية أن نسعد في الدنيا والآخرة، أما ما نراه من ألوان الشقاء هو بسبب خروج الإنسان عن منهج الله، ما من مشكلة على وجه الأرض وأنا أعمم إلا بسبب مخالفة تعليمات الصانع لأن الجهة الصانعة هي الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها لأنها الجهة الخبيرة قال تعالى:

(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14))

[سورة فاطر: الآية 14]

إذاً الجانب السلوكي هو الأصل والمعرفي هو السبب والجمالي هو الغاية، قال تعالى:

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)

[سورة هود: الآية 119]

يعني خلقهم ليرحمهم، أما من يعترض ويقول الدنيا كلها مصائب، أنا أقول: حينما أؤسس ثانوية الهدف تعليم الطلاب أما حينما أسلك سلوك التأديب لطالب ليس الأصل في هذه الثانوية هو التأديب الأصل هو التعليم، أما حينما ينحرف الإنسان يستأهل التأديب والتربية، قال تعالى:

(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30))

[سورة الشورى: الآية 30]

في العبادة شيء دقيق جداً هو أن المسلمين اليوم فهموا العبادة عبادة شعائرية أنهم يصومون ويصلون ويحجون ويؤدون زكاة أموالهم وينطقون بالشهادة مع أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ))

[البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أحمد]

الإسلام بناء شامخ دعائمه هذه العبادات، أما أن نفهم الإسلام هو هذه العبادات ليس غير هذه مشكلة كبيرة في فهمنا للإسلام، كأن الناس يؤدون هذه العبادات وحياتهم في واد آخر سلوكهم كسب أموالهم إنفاق أموالهم استمتاعهم في الحياة مناسباتهم السارة الحزينة سفرهم إقامتهم كلها وفق نمط غربي، وفق نمط بعيد عن الدين.

هناك من يعتقد أن سلوكهم في القيام بهذه العبادات قد يشفع لهم عند الله السلوك الآخر.

الآن دخلنا في صلب الموضوع أنا أريد أن أبين أن العبادات الشعائرية والتي منها الصيام لا تقطف ثمارها إلا إذا صحت العبادات التعاملية وطالبني بالدليل لأنه لولا الدليل لقال من شاء ما شاء بل إن موضوع الدين أخطر موضوع في حياة الإنسان هو مصيره لا يجرؤ إنسان على وجه الأرض أن يقول في الدين برأيه إنه دين الله عز وجل، حينما قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ ثَوْبَانَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ؟ جَلِّهِمْ لَنَا.....))

[ابن ماجه]

عمل كالجبل.

قالوا يا رسول الله جلهم لنا أي صفهم لنا القضية خطيرة.

قال:"

((أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ قَالَ أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا))

إذاً لم يستفيدوا من صلاتهم إطلاقاً لأنهم ما ضبطوا سلوكهم وفق منهج الله، هذه الصلاة، الصيام كما تفضلت يقول عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))

[البخاري، الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد]

الحج:

من حج بمال حرام وضع رجله في الركاب وقال لبيك اللهم لبيك ناداه مناد أن لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك.

الزكاة:

(قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ (53))

[سورة التوبة: الآية 53]

تحدثت عن الصلاة والصيام والحج والزكاة، النطق بالشهادة:

من قال لا إله بحقها دخل الجنة، قيل وما حقها ؟ قال أن تحجزه عن محارم الله.

أنا أديت بخمسة براهين على أن هذه العبادات الشعائرية الأساسية لا تصح ولا تقبل ولا تقطف ثمارها إلا إذا صحت العبادات التعاملية.

هناك دليل الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

بارك الله بكم، الآن دليل عام النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه وكان مربياً فذاً وكان محاوراً ذكياً، من أساليب التعليم الحوار سأل أصحابه:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))

[مسلم، الترمذي، أحمد]

هذا دليل عام.

امرأة تقول إنها تكثر من صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال: هي في النار.

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ قَالَ فَقَالَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لَا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ))

[البخاري، مسلم، الدارمي]

هذا الذي يجري في العالم اليوم من قتل للأطفال وهدم للمساكن في هرة دخلت النار من أجلها فما قولك فيما فوق الهرة.

وما قولك بالذين يتجنون على الآخرين، يبنون مجدهم على أنقاض الآخرين.

هناك من يتجنى على غيره في عصرنا هذا وفي أيامنا هذه وفي المناسبات الكثيرة التي نشهدها حالياً يقولون وهم طبعاً أعداء الإسلام يقولون إن دين الإسلام هو دين عنصري هذا الذي وجه إلى الرحمة بكل ذات كبد رطبة فما رأيك بالإنسان فأين العنصرية في دين الإسلام؟

ما ضر السحاب نبح الكلاب وما ضر البحر أن ألقى فيه غلام بحجر ولو تحول الناس إلى كناسين ليثيروا الغبار على الإسلام ما أثاروه إلا على أنفسهم ويبقى الإسلام شامخاً لأن الإسلام هو دين الله.

وأنا أقول لإخوتي دائماً: لا تقلق على هذا الدين إنه دين الله، إن الله يقدر أن ينصره بأعدائه ولكن لنقلق نحن ما إن سمح الله لنا أن ننصره أو لم يسمح وأن نكسب شرف نصرة الله.

فهذه العبادة التعاملية والشعائرية مهمة جداً لكن هناك من يفهم العبادة خاصة بهذه الشعائرية فضلاً عن أنها تتعلق بالشعائريات وتتعلق بالتعامليات لكن العلماء وقفوا وقفات متأنية عند مفاهيم العبادة هناك عبادة الهوية أنا من ؟ أقامني غنياً في المجتمع عبادتي الأولى إنفاق المال هويتي غني فعبادتي الأولى إنفاق المال، أقامني قوياً بيدي الأمر والنهي أنا في منصب رفيع عبادتي الأولى إحقاق الحق وإنصاف المظلومين، أقامني عالماً عبادتي الأولى تعليم العلم وأن لا أضن به.

أقامني صانعاً عبادتي الأولى إتقان الصنعة.

إنما أهلك الصنعة قول غد وبعد غد، المماطلة، إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه، بل إن هناك حقيقة دقيقة أن أعمالنا اليومية حرفنا مهننا إذا كانت في الأصل مشروعة وسلكنا بها الطرق المشروعة وابتغينا منها كفاية أنفسنا وأهلينا وخدمة الناس عامة ولم تشغلنا عن فريضة نؤديها أو طاعة نطيعها أو عمل صالح نبتغي به وجه الله انقلبت حرفنا ومهننا إلى عبادة، بل إن المؤمن عاداته عبادات بينما المنافق عباداته سيئات، الحياة فيها توحد أنا حينما أخدم المسلمين من خلال دعوة إلى الله زيد يخدم المسلمين من خلال طبه، هذا من خلال هندسته، هذا من خلال تعليمه، هذا من خلال تجارته، هذا من خلال زراعته، أنا حينما أزرع المزروعات وأضيف إليها الهرمونات المحرمة كي يكبر حجمها وترتفع أسعارها أنا ما خدمت المسلمين أسأت إلى صحتهم، إذاً العبادة هي حينما أستغل الهوية التي أقامني الله بها عالم غني قوي، امرأة أقامني امرأةً عبادتي الأولى رعاية الزوج والأولاد قال عليه الصلاة والسلام: اعلمي أيتها المرأة وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله.

والجهاد كما تعلمون ذروة سنام الإسلام، فالمرأة التي تعتني بزوجها وأولادها لأنها تعبد الله فيما أقامها هي إذاً في ذروة الإسلام أما حينما تفهم المرأة الأمر بشكل أو بآخر فقد خرجت عن منهج الله عز وجل حينما تريد المرأة أن تكون في وضع يبتعد بها عن وظيفتها التي أقامها الله فيها هذه لا تعبد الله حق عبادته طبعاً هذا لا يعني أن لا تطلب العلم وأن تكون مثقفة وأن تكون في أعلى مستوى لكن مهمتها الأولى رعاية الزوج والأولاد.

الطيار لا يمكن أن نتسامح معه أن يدع كبين القيادة ليقوم بعمل آخر من عمل المضيفين، المضيفين لهم أعمال والطيار له عمل برقبته وبذمته كل هؤلاء الركاب.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 05 : إضاءة إسلامية لما يجري من أحداث - مع مندوب إذاعة صوت الحق.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 26-07-2002

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:
أستاذنا الكريم طبعاً الوقت هو كنز الإنسان، وحرصاً على الوقت سيكون هذا اللقاء ضمن الأمور التي سنتناولها إن شاء الله، وذلك على المنوال التالي إن شاء الله عز وجل .
أولاً دعنا نبدأ بكلمة نوجهها إلى مستمعي إذاعة الوحدة حول كيفية تعاطي المستمع الكريم مع أحداث الأمة التي تجري الآن وخصوصاً من حملات التشبيه والافتراء الذي يشنها الغرب على الشرق، وعلى العرب وعلى المسلمين بوجه خاص .
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .
الأستاذ محمد راتب:
الحقيقة أن الأحداث التي تجري، والتي تركت أثراً كبيراً جداً في حياة المسلمين ولكننا في هذا اللقاء نؤثر التفسير الديني، والتفسير التوحيدي، وهذا هو التفسير الحقيقي، ذلك أن الله سبحانه وتعالى من حكمته البالغة حينما قال:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)

(سورة النور الآية: 55)

وكأن هذا قانون، والواقع لا يجسد هذه الأهداف، نحن لسنا مستخلفين في الأرض وأنا أنطلق من خلال هذا اللقاء الطيب إن شاء الله من أن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، نحن لسنا مستخلفين في الأرض .

(وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى)

(سورة النور الآية: 55)

كذلك ليس ديننا ممكن في الأرض إنه مهاجم ومتهم .

(وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً)

(سورة النور الآية: 55)

ولسنا آمنين، هذه الحقيقة المرة، هذا هو الواقع، المشكلة أن هناك وعود من قبل خالق الأكوان، وأنا أعتقد جازماً أن زوال الكون أهون على الله من أن لا يحقق وعوده للمؤمنين كيف نجمع بين واقع فيه

استخلاف وليس فيه تمكين وليس فيه تطمين، مع آيات تؤكد الاستخلاف والتطمين والتمكين، مع آيات أخرى .

(وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (141))

(سورة النساء)

والله لهم علينا ألف سبيل وسبيل، كيف نجمع قوله تعالى:

(وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173))

(سورة الصافات)

والكفار ينكلون للمسلمين، هذه الآيات بين أيدينا، وهذا الواقع بين أيدينا الحقيقة القرآن نفسه أجاب عن هذا السؤال الكبير .

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (59))

(سورة مريم)

وقد أجمع العلماء على أن إضاعة الصلاة لا يعني تركها، بل يعني تفريغها من مضمونها .

(الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

(سورة العنكبوت الآية: 45)

كيف يمكن أن نفسر الكم الكبير من المنكرات في العالم الإسلامي مع أنهم يصلون إذاً فرغت الصلاة من مضمونها، إذاً ضيعوها، ولم يتركوها، هم يصلون، ولكن ضيعوا قيمتها " فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ " والله عز وجل يقول:

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89))

(سورة الشعراء)

والقلب السليم في أدق تفسيراته هو قلب سلم من شهوة لا ترضي الله، وسلم من تصديق خبر يتناقض مع وحي الله، وسلم من الاحتكام لغير شرع الله، وسلم من عبادة غير الله قال: " فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ " وقد لقي المسلمون ذلك الغي هذه حقيقة أولى، هذا الذي وقع لا بد من أن يقع، منطلقين من حقيقة كونية هي أن كل شيء وقع أراده الله، لا يعقل أن يقع في ملك الله ما لا يريد كيف يكون إلهاً واحداً فعالاً قوياً، بيده مقاليد السماوات والأرض .

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ)

(سورة هود الآية: 123)

(مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً (26))

(سورة الكهف)

كيف نفسر تفرده جل جلاله، في تسيير الأرض، والكون، إذاً كل شيء وقع أراده الله، يعني سمح به، وكل شيء أراده الله وقع، نحن بمجرد أن يقع الشيء وقد يكون الموقع مجرماً، ما دام قد وقع إذاً سمح

الله به، أي أن خطة الله استوعبت خطة المجرم، يعني خطة المجرم الإجرامية وظفت لخير لا يرى في الحال، يرى في المآل .

(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216))

(سورة البقرة)

إذاً كل شيء وقع أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، معنى الحكمة المطلقة أن الإنسان أحياناً لا يكون حكيماً لأن جهة قوية تتغط عليه فيتكلم بغير الحكمة، خوفاً من هذه الضاغطة، وأحياناً لا يكون حكمياً لأن شيئاً محبباً أغراه، وأحياناً لا يكون حكيماً لأنه يجهل بعض الحقائق، هل يعقل أن تصدق هذه الصفات على خالق الأكوان ؟ مستحيل، إذاً إرادته متعلقة بالحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق، الخير المطلق في المآل لا في الحال، ألا ترى أباً رحيماً يضرب ابنه ليكون شخصية مرموقة في المستقبل، فهذا الضرب آنياً مزعج أما مستقبلاً كله خير، لذلك أنا أعتقد، وهذه عقيدة المسلم الشر المطلقة لا وجود له في الكون، الشر المطلق يتناقض مع وجود الله، إما أن تؤمن بالله واحد فعال، أو بشر مطلق في الأرض هناك شر نسبي، لذلك:

(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21))

(سورة السجدة)

قالوا لكل واقع حكمة، ما كل موقع حكيماً، قد يكون مجرم كما قلت قبل قليل، لكن الله وظف جريمته للخير المطلق، إذاً نحن أصابنا ما أصابنا تنبيهاً من الله عز وجل، يؤكد هذا المعنى قول الله عز وجل حينما حدثنا عن الطاغية فرعون:

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5))

(سورة القصص)

أخي الكريم:

هذه الدولة العظمة خطفت أبصار العالم، مارست على العالم غسل دماغ كبير أوهمت العالم أن بلادها جنة، وأن طريقة التعامل في بلادها في أعلى مستوى، الحريات والديمقراطية، وحقوق الإنسان، والرفق بالحيوان، والغني، والثراء، والرفاه، هذه الدولة الكبيرة القوية خطفت أبصار العالم فكل لإنسان طموح الكبير أن يدخل إلى أرضها، لكن الله عز وجل يقول:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ)

(سورة البقرة الآية: 255)

لمَ لم يقل ثم يؤمن بالله ؟ لن تؤمن بالله قبل أن تكفر بالطاغوت هؤلاء الطغاة في العالم الغربي، هؤلاء غسلوا دماغ شعوب الأرض، أراد الله أن يكشفهم على حقيقتهم، أراد أن يحجمهم، أراد أن يظهر للعالم الإسلامي من هي هذه الدولة القوية الطاغية، إنها دولة متوحشة في ما مضى كان قلة من مثقفينا يعرفون الحقيقة، أما الآن أطفالنا يعرفون الحقيقة أطفالنا الصغار أو إنجاز إيجابي بما حدث، قد تتحدث عن سلبيات ما حدثاً طويلاً، ولكن الإنسان العاقل يكشف الإيجابيات والسلبيات، دائماً حتى الشر فيه جوانب خيرة، هذا الذي حدث مزعج جداً لكن الذي حصل أن هذا الصنم الكبير، هذه الدولة التي بهرت أبصار العالم كشفت على حقيقتها، هي الآن في الوحل، في نظر صبيتنا الصغار، لا منطق، ولا رحمة، ولا إنصاف، ولا عدل، ولا قيم ولا مبادئ، ولا احترام لثقافة الشعوب، ولا احترام لحريات الشعوب، هذا كله ظهر، هذا أول شيء إيجابي لما حدث، هذه الأمة الطاغية كشفت على حقيقتها، الآن صار الطريق إلى الله سالك

(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)

الحقيقة هم أعانون على أن نكفر بهم، أعانونا، قبل هذه الأحداث من الصعب أن نكفر بهم، أما الآن من السهل جداً أن نكفر بهم فإذا كفرنا بهم صار الطريق إلى الله سالك .

الحقيق أنا لا أصدق أن في القرآن الكريم قصة وقعت ولم تقع ثانية هو أعظم من هذا القصص التي في القرآن الكريم، نماذج بشرية، إما لأفراد، وإما لشعوب، الله عز وجل حدثنا عن قوم عاد، قال:

(وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى (50))

(سورة النجم)

ماذا نفهم من عاد أولى ؟ هناك ثانية، ماذا تفهم من كلمة:

(وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)

(سورة الأحزاب الآية: 33)

في ثانية، قال لو أنه أهلك عاداً الأولى، عاد الأولى ماذا فعلت ؟ قال:

(الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8))

(سورة الفجر)

أولاً تفوق في كل الميادين، في الصناعة، والتجارة، والزراعة والموصلات " لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ " هذه الصفة الأولى، وما أهلك ربنا قوماً إلا ذكرهم أنه أهلك من هو أشد منهم قوةً، إلا عاد، حينما أهلكها قال:

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً)

(سورة فصلت الآية: 15)

يعني لم يكن بينها وبين الله أحد، هذه الصفة الثانية .

(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آَيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129))

(سورة الشعراء)

وصف تفوقها العمراني والصناعي، ثم قل:

(وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130))

(سورة الشعراء)

وصف تفوقها العسكري، يعني الآن في عنا شيئان في هذه الدولة الكبيرة، بنتاغون للقصف، وهوليود للإفساد .

(الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12))

(سورة الفجر)

طغوا في البلاد بالقصف " فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ " مركز الإفساد هو هوليود من خلال هذه الأفلام المنتشرة في شتى بقاع الأرض، والتي تصور الرذيلة على أنها هي الهدف، وهي السعادة، وهي اللذة، وهي الذكاء، وهي الفلاح، وهي النجاح، ثم إنهم كانوا مستبصرين يعني جمعوا أذكياء العالم عندهم، قال تعالى:

(وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38))

(سورة العنكبوت)

(وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ "، " وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ "، " أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)

هذه صفات عاد ثم إنها تفوقت في شتى الميادين كما قلت، ثم حدثنا الله عن طغيانها قال:

(الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14))

(سورة الفجر)

وكيف أن الله أهلكها في النهاية، أنا موقن أن زوال الكون أهون على الله من أن يسمح لجهة قوية أن تخطط لمستقبلها البعيد وأن تنجح لهذا التخطيط، يعني نجاح هذه الدولة الطاغية في تسخير ثروات الشعوب وثقافات الشعوب، وفي الاستخفاف بثقافات الشعوب، نجاح هذه الأمة نجاحاً على المدى البعيد يتناقض مع وجود الله، إما أن تؤمن أن الله موجود، لكن الباطل له جولة الآن، قال تعالى:

(إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً (81))

(سورة الإسراء)

معنى زهوقا ؛ صيغة مبالغة، شديد الزهوق، إذاً الشيء الإيجابي الوحيد الأول لمَ حدث أن هذه الصورة البراقة، وأن هذه الأقنعة المزيفة وهذا الغسيل لدماغ الشعوب قد انتهى أطفال العالم كله يرون أن هذه الأمة طاغية .

الشيء الثاني:

أن قضية الدين قفزت إلى بؤرة الاهتمام، الدين هو القضية الأولى في العالم، أي طرح آخر لغير الدين هو في الوحل الآن، الطروحات السابقة التي طرحت، والذي ظن أن فيها خلاص البشرية لم تجدي نفعاً إطلاقاً، لم يبقَ إلا أن نعود لمنهج الله، لم يبقَ إلا أن نعود إلى تعليمات الصانع، لأن الإنسان أعقد آلة في الكون، ولهذا الإنسان صانع حكيم ولهذا الصانع الحكيم تعليم التشغيل والصيانة إنها القرآن الكريم، وما من أمة تبتعد عن منهج الله إلا تدفع الثمن باهظاً، لأن هذا المنهج من عند الخالق:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ)

(سورة البقرة الآية: 21)

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124))

(سورة طه)

فالنقطة الثانية والحمد لله أن قضية الدين قفزت إلى بؤرة الاهتمام فأصبح الدين يصغى إليه، أصبح الدين يعالج بشكل جدي، بل إن الذي حصل حتى في بلاد الغرب من اهتمام بالقرآن والإسلام يفوق حد الخيال هذه نقطة إيجابية ثانية، النقطة الثالثة يعني كنا متفرقين، هذه الأحداث وحدتنا، ألفت بين قلوبنا، جمعتنا، قللت أسباب الخلاف بيننا، هذه إيجابية ثانية، أن الأحداث الأخيرة كانت سبباً في وحدتنا الحقيقة، ووضع الأمة العربية على ما تعاني من مآسي كبيرة لكن في تعاطف، والحقيقة أن الشارع العربي والإسلامي تحرك هذا بفضل الوعي الذي لم يكن من قبل في هذا المستوى .

الشيء الرابع:

أن الناس كشفوا على حقيقتهم، قال تعالى:

(مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)

(سورة آل عمران الآية: 179)

فالإنسان ظهر، والمخلص ظهر، والأقل إخلاصاً ظهر والمضحي ظهر، والذي لا يضحي ظهر، والذي له ولاء لأمته ظهر والذي لا ولاء له لأمته ظهر، فالله عز وجل كشف الحقائق، قال تعالى بهذه المناسبة حينما حدثنا عن معركة الخندق قال:

(إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (11))

(سورة الأحزاب)

الحقيقة الله عز وجل له امتحانان صعبان جداً، الامتحان الأول يقوي الكافر، يفعل ما يريد، يقتل، يبطش، يهدم، ينكل، يسجن يتغطرس، يتعالى، حتى يقول ضعيف الإيمان أين الله ؟ ثم يظهر الله آياته حتى يقول الكافر لا إله إلا الله، هذا الذي أراه من زاوية قرآنية نحن ممكن نفسر الأحداث تفسير أرضي هذا التفسير الأرضي تفسير مزاجي، تفسير غير صحيح لكن البطولة أن تأتي بالتفسير التوحيدي التفسير التوحيدي هو التفسير الحقيقي، طبعاً أقول لك كلمة دقيقة جداً .

أنت راكب مركبة، وتألق في لوحة البيانات ضوء أحمر، تألق أو لم يتألق ليست هذه هي المشكلة، إنه تألق، لكن ما تفسير هذا الضوء إن فهمته خطأ أنه ضوء تزييني، احترق المحرك، ودفعت مبلغاً فلكياً لإصلاحه وتعطلت عن هدفك، أما إن فهمته ضوءاً تحذيرياً أوقفت المركبة وأضفت الزيت، وسلم المحرك، وتابعت الهدف، فالبطولة في تألقه أو عدم تألقه أم في فهمه لماذا تألق .

الأحداث وقعت، وقد الناس شاهدها بأعينهم، يعني الآن التواصل الإعلامي مخيف العالم كان بلدة، كان قرية، صار بيت، صار غرفة صار سرير واحد، العالم كله، يعني ما من إنسان على وجه الأرض إلا رأي الذي حدث بعينه على الشاشة، فلا نتمايز في إدراك ما حدث، أو في رؤية ما حدث، نتمايز في فهم ما حدث، فالبطولة أن نفهم الذي حدث أنه بأمر الله وبحكمة الله، وبعلم الله، وبرحمة الله، وبتحريك الله، الله حرك الأحداث، في تقصير، في خمود، في كسل، في نفاق، جاءت هذه الأحداث لتضع حداً فاصلاً .

أنا أعلم بالهندسة، لو أن مهندساً بنى شرفة ثم رأى فيها شقوق هو في حيرة يهدمها لعلها جيدة، يدعها لعلها سيئة،يحملها يأتي ببراميل يملئها ماء ويحملها، فإن صمدت معناها جيدة، وإن سقطت لا خير فيها.

وكأن الله سبحانه وتعالى يعامل المسلمين بأسلوب التحميل، يحملنا فإن صمدنا عندئذٍ نستحق نصره وتأييده، وإن لم نصمد معنى ذلك امتحنا فسقطنا، فنحن الآن في حد فاصل نكون أو لا نكون، إما أننا مسلمون موحدون صادقون عندئذِ لعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا، وإما أننا قائمون على فساد وعلى تقصير، وعلى انحراف وعلى معصية عندئذٍ أراد الله عز وجل أن يعاقبنا، هذه هي الحقيقة المرة، التي هي أفضل ألف مرة من الوهم المريح .

المذيع:

إذاً مستمعينا الكرام من بعد كل محنة منحة يعطيها الله عز وجل وهذه الكلمة الطيبة التي منحنا إياها الدكتور محمد راتب النابلسي، إنما نرسلها لكل مسلم ومسلمة أينما كانوا سواء في العالم العربي، أم في فلسطين، حيث الانتفاضة نقول لهم اثبتوا وكونوا مع الله، لأن الله تعالى سينصركم من بعد محنة .

الآن الدكتور محمد راتب النابلسي أنتقل إلى موضوع يمس المسلم في حياته، وأنت قد تطرقت إليه مع موضوع الإفساد، ومع مدينة هوليود الإفساد تعدت وجوهها، انتقلت من التلفاز، إلى الفيديو، أو إلى

البث الفضائي، أو الستلايت، والآن شبكة الإنترنيت، كيف يتعامل المسلم مع هذه الظواهر وخاصة مسائلة الإنترنيت، الشبكة العنكبوتية التي غزت كل بيت وكل دار .

الأستاذ راتب:

قبل خمسين عام إن شاء الله، كانت الحياة تشبه حديقة حيوان تقليدية، الوحوش في الأقفاص، والزوار تلقاء، الآن الوضع آخر، الآن تشبه حديقة حيوان في إفريقيا الوحوش طلقاء والزوار إن لم يدخلوا إلى سيارة مصفحة يؤكلون .

الآن من المستحيل أن تمنع الفساد عن شبابنا، إلا أن تحصنهم من الداخل التحصين الخارجي أصبح مستحيل، كل شيء يدعو إلى المعصية والفساد أينما نظرت، إلى مجلة، إلى جريدة، إلى شاشة، إلى صحن فضائي، إلى الإنترنيت، أينما نظرت وتوجهت تطالعك مغريات المعصية فنحن في زمن صعب كما قال عليه الصلاة والسلام:

القابض على دينه كالقابض على جمر .

وأنا أقول دائماً العبادة بالمفهوم الواسع جداً هناك عبادة الهوية، أنت من ؟ إنك غني ! عبادتك الأولى إنفاق المال، أنت من ؟ قوي ! العبادة الأولى للقوي إنصاف الضعيف أنت عالم ؟ العبادة الأولى تعليم العلم أنت امرأة ؟ العبادة الأولى رعاية الزوج والأولاد، هذه عبادة الهوية، أن تعبده فيما أقامك، الآن أن تعبده في الظرف الذي وضعك فيه، الأب مريض لا سمح الله العبادة الأولى رعاية الأب، الابن عنده امتحان العبادة الأولى رعاية الابن في الامتحان، وفي الزمن الذي أضلك، وقت الفجر وقت الصلاة، إن لله عمل في الليل لا يقبله في النهار، أما في العبادة الأولوية، الطرف الآخر إذا أراد إفسادنا العبادة الأولى تحصين أولادنا وتهيئة مناشط إسلامية، وإن أراد إضلالنا العبادة توضيح حقائق الدين والتدليل عليها بأدلة عقلية وواقعية وفطرية، ونصية، وإذا أراد إفسادنا كما قلت قبل قليل لا بد من أن نحصن أنفسنا وأولادنا .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً)

(سورة التحريم الآية: 6)

وإن أراد إفقارنا كما هو الحال، يعني عقب حرب الخليج نقلت 750 مليار من الشرق إلى الغرب، فضيق الاقتصادي واضح جداً بعد حرب الخليج يريدون إفقارنا، العبادة الأولى استخراج ثرواتنا، وتصنيع حاجاتنا، وتنجيح مشاريعنا، وتعاوننا مع بعضنا بعضاً لنكسب مال الحلال كي نحل به مشكلات المسلمين، هذه العبادة الأولى، وإذا أردوا أن يذلونا لا بد من أن نثأر لكرامتنا .

يروى أن سيدنا عمر جاءه ملك، واسمع جبلة جاء مسلماً سيدنا عمر رحب به النبي عليه الصلاة والسلام طلب النخبة لكن هذا الملك في أثناء طوافه حول الكعبة جاء بدوي دون أن يقصد داس طرف

رداءه فخلع من كتفه، ملك اسمه جبلة بن الأيهم، التفت إلى هذا الأعرابي البدوي ضربه ضربةً هشمت أنفه، ذهب إلى عمر يشكوه، استدع عمر، ففي شاعر معاصر صاغ هذا الحوار شعراً، قال سيدنا عمر لجبلة:

أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال جبلة:

لست ممن ينكر شيا أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيديا .

قال عمر:

أرض الفتى لا بد من إرضاءه ما زال ظفرك عالق بدمائه أو يهشمن الآن أنفك وتنال ما فعله كفك .

قال جبلة:

كيف ذاك يا أمير هو سوقة ـ من عامة الناس ـ وأنا عرش وتاج كيف ترضى أن يخر النجم أرضا .

قال عمر:

نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها، أقمنا فوقها صرحاً جديدا، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيدا .

قال جبلة:

كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز، أنا مرتد إذا أكرهتني .

قال عمر:

عنق المرتد بالسيف تحز، عالم نبنيه، وكل صدع فيه بشبى السيف يدواى وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى .

ماذا علق كتاب السيرة على هذه القصة ؟ قالوا عمر ضحى بملك ولم يضحي بمبدأه في العالم المتخلف الأشخاص أهم من المبادئ، أما في العالم الراقي المبادئ أقوى من الأشخاص قال سيد الخلق:

(قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15))

سيد الخلق يخاف، قيل يا رسول الله مثل بهم، قال لا أمثل بهم فيمثل الله بي ولو كنت نبياً، فلذلك نحن الآن لا بد من أن نعود ديننا، ولا بد من أن نربي أولادنا، لأنهم الورقة الرابحة الوحيدة التي بقيت بأيدينا وأولادنا يعني المستقبل، إن أردنا لهذه الأمة مستقبلاً مشرقاً طبعاً أجدادنا كانوا رعاةً للغنم فأصبحوا قادةً للأمم، من رعي الغني، إلى قيادة الأمم إن أردنا أن نستعيد مجد أجدادنا، وأن نكون قادةً للأمم، لا بد من أن نعود لهذا المنهج العظيم الذي أكرمنا الله به، أنا والله لا أرى أن هناك حلاً أرضياً، بالمعطيات الأرضية ما في أمل أبداً، لكنني أرى الحل وحده من عند الله، لأن الله:

(فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (107))

(سورة البروج)

حينما أمرنا أن نعبده طمأننا قال: " إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ " ما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك أن الأمر كله عائد إليه والآن الأمر بيد الله، ومن الشرك الجلي أن تظن أن الأمر بيد وحيد القرن هذا الذي يقيم في طرف الدنيا الآخر، الأمر ليس بيده، الأمر بيد الله يؤكد هذا المعنى قول الله عز وجل:

(حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ)

(سورة يونس الآية 23 - 24)

إيماني الذي والله ألقى الله به، هذه الدولة العظمة الطاغية المتجبرة التي تقتل الآلاف بلا حساب، يعني أضرب لك مثلاً: هذه الطائرة التي سقطت في لوكربي كم يطالبون من ألصقوا بهم التهمة، بمليارين سبعمئة مليون دولار فيها 270 راكب، يعني كل راكب غربي ثمنه عشر ملايين دولار يعني 500 مليون ليرة سورية، أليس كذلك ؟ حينما قتلوا المئات في عرس بأفغانستان بلا ثمن، الإنسان المسلم ما له ثمن، قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر، وقتل شعب مسلم مسألة فيها نظر بلا ثمن، أما أنا الذي أراه أن المسلمين هان أمر الله عليهم فهانوا على الله، لكنني أستدرك وأقول الله عز وجل أشعرهم أنهم هينون عليه لكنه لا يتخلى عنهم يسوق لهم الشدة كي يعودون إليه فإذا عادوا إليه رفع شأنهم، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الأحداث دافعاً لنا لطاعة الله، ذلك كما تفضلت في مستهل السؤال الثاني أن كل محنة تصيب المؤمن وراءها منحة من الله وأن كل شدة تصيبه أيضاً وراءها شدة إليه .

أرجو الله تعالى أن ينفعنا بقرآننا، وبحديث رسولنا، وأن يلهمنا أن نعود إليه لأن مظاهر الدين صارخة، لكن حقيقته متخلفة جداً، لكن تطبيقه ضعيف جداً .

في نهاية هذا اللقاء لا يسعنا إلا أن نشكر أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي على هذه الكلمات الطيبة ونرجو منه أن يتوجه بكلمة ختامية إلى مستمعي الإذاعة وبدعائه الطيب .

أيها الأخوة الكرام:

انطلاقاً لحب الإنسان لوجوده ولسلامة وجوده، ولكمال وجوده ولاستمرار وجوده ينبغي أن يطيع الله عز وجل، لأنه كما قال الله عز وجل:

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (71))

(سورة الأحزاب)

و أتمنى أيضاً، أن نتوجه في فهم ما يحدث لا لوسائل الأعلام الغربية، أن نفهم الأحداث فهماً قرآنياً، إنه إن فهمناه فهماً قرآنياً، يعني النقطة الدقيقة في هذا المعنى إنك إن فهمتها فهماً قرآنياً لا تيأس، ولا

تتطامن، ولا تقنط ترى أن الكرة عندك بالضبط، لو أن إنسان ضرب إنسان بعصا ها يحقد على العصا أم على الضارب، طغاة العالم عصي بيد الله والضارب هو الله، والله كماله مطلق، إذاً في عندي خلل، الكرة أصبحت في ملعبي ما دام الذي أصابني ليس هؤلاء الذين يبدون على السطح إن الله سمح لهم، مبدأ التسليط سلطهم عليهم، حينما نفهم مبدأ التسليط نرتاح جداً .

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ)

(سورة النساء الآية: 90)

إذاً هم سلطوا علينا، والله عز وجل كماله مطلق، إذاً سلطهم علينا لحكمة، لعلة في حياتنا، لخلل في عقيدتنا وسلوكنا، إذاً الكرة عندنا، الله عز وجل ينتظر منا أن نعود إليه، حتى يقوينا عليه .

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 06: قيم البطولة والفداء في تاريخ أمتنا العربية.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2002-10-07

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ جمال:

دكتور راتب حبذا لو نبدأ أولاً بروحية الفداء، مفهوم الفداء لدى الأمة منذ بداية تشكلها، و كيف تطور هذا المفهوم على مدى تاريخ هذه الأمة الطويل .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

بادئة ذي بدء:

الـجـمـاد: شيء يشغل حيزاً وله أبعاد ثلاثة .

النـبــات: شيء يشغل حيزاً وله أبعاد ثلاثة وينمو .

الحيوان: شيء يشغل حيزاً وله أبعاد ثلاثة وينمو ويتحرك .

الإنسان: شيء يشغل حيزاً وله أبعاد ثلاثة وينمو ويتحرك ويفكر .

أي أن الله سبحانه وتعالى ميز هذا المخلوق الأول بالقوة الإدراكية فالقوة الإدراكية من خصائص الإنسان، وهي الحاجة العليا في الإنسان وما لم يبحث الإنسان عن الحقيقة فقد هبط مستواه إلى مستوى آخر، لذلك الإنسان هو المخلوق الأول:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا

(وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)

(سورة الأحزاب الآية: 72)

والإنسان هو المخلوق المكرم:

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (70))

(سورة الإسراء)

والإنسان هو المخلوق المكلف بعبادة الله، والعبادة هي طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية .

الآن الإنسان مجبول أو مفطور أو مبرمج بالتعريف الجديد على حب ذاته على وجوده وحب سلامة وجوده وحب استمرار وجوده وحب كمال وجوده، لكن لأن الله أودع فيه قوة إدراكية قد يدرك إما بحسب تأمله الذاتي أو بحسب الوحيين الكتاب والسنة أنه مخلوق إلى الجنة، والجنة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لكن الجنة سلعة الله، وسلعة الله غالية ولها ثمن قد يكون

باهظاً، فحينما يعتقد الإنسان أنه مخلوق للجنة، وهذه الجنة أبدية، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لا بد من دفع ثمنها في الدنيا، لذلك حينما يضحي الإنسان بحياته بماله بمكانته بمنصبه بوقته بخبرته بعلمه بعضلاته، حينما يضحي بهذه الأشياء هو في الحقيقة يبحث عن سعادته الأبدية ليأخذ مكانها أضعافاً مضاعفة في جنة الله، فمنطلق التضحية لا يمكن أن يضحي الإنسان إلا إذا ظن أنه بهذه التضحية هو الرابح، لأن حب الذات، وحب سلامة الذات، وكمال الذات، واستمرار الذات جزء من جبلته، فأنت حينما ترى إنسان يضحي بحياته هو في الحقيقة يبحث عن سعادة أرقى أما من دون هذه العقيدة الصحيحة التضحية نوع من العبث ومن الجنون قد يضحي إنسان لوهم توهمه، أو لعقيدة زائغة اعتقدها، أو لفطرة أودعت فيه، كحب الولد من قبل الأم أو الأب، التضحية لها مسارات ثلاثة، إما لأوهام ما أنزل الله بها من سلطان، أو لعقيدة صحيحة جاءتنا من الوحيين الكتاب والسنة، أو لجبلة أودعها الله بالإنسان لاستمرار الحياة .

الأستاذ جمال:

هو أحياناً الاضطرار دكتور راتب بمعنى قد يتعرض الإنسان في ظروف أحياناً للتحدي، يلامس مسألة الوجود تماماً كما يتعرض له أبناء شعبنا العربي الفلسطيني الآن، الحياة أصبحت فيها نوع من الاستحالة التضييق بلغ حدوده القسوة، فهنا الإنسان يجد نفسه مخيراً بين أن يكون مع احتمالات أن يعيش لكن ذليل، وإما أن يواجه هذا التحدي الذي يصيب منه الوجود ويصيب منه الكرامة ويصيب المقدسات التي يقدس .

الأستاذ راتب:

أنا أعتقد أن العدوان الصهيوني وقسوة هذا العدوان وظلم هذا العدوان هو الذي دفع الشباب إلى التضحية والفداء، لأن هذا الإنسان مقتول ولن يسأل عنه أحد، إذاً قبل أن يقتل رخيصاً ينبغي أن يقتل كثيراً .

الأستاذ جمال:

وأن يقتل بطلاً فذلك يعني لا شك أسمى وأنبل، سوف نأتي على هذه المسألة لكن دعونا نعدو إلى سياقات الحديث، لا شك هذا المفهوم تطور يعني عرفته العرب مفهوم البطولة والفداء منذ أن تشكلت هذه الأمة وتطور هذا المفهوم لا شك عبر التاريخ هذه الأمة إلى أن بلغ هذا الشكل الأسمى والأنضج من خلال الإسلام، فأصبح للفداء معنى، وللبطولة أصبح معنى، وكان هناك رسالة خير حملها العرب إلى العالم نشروها في كل أصقاع العالم، واعترف الكثير من المنصفين ممن يسمون بالمستشرقين اعترف الكثير منهم بفضل العرب على الحضارة الإنسانية وكلنا يعرف كتاب الألمانية التي رحلت مؤخراً زنكرنت هونكك، شمس الإسلام تسطع على العالم، ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب

المقولة المشهورة في كتابها هذا، إذاً أصبح للتضحية والفداء معانٍ ودلالات وغايات أسمى وأنبل، ما خرج العرب يوماً غزاة، ما خرجوا يوماً معتدين ما خرجوا يوماً مذلين لغيرهم وإنما خرجوا لإحقاق الحق لنشر العدالة لنشر الخير والمساواة، بين أصقاع الدنيا، ويسوقنا في الموضوع مباشرةً إلى ما يجري من غرابة في هذا الرهن الذي نعيشه .... الثقيلة علينا تماماً، هذه النقطة التي نعيشها الآن التناقض بأغرب صوره، وهو هذا القياس بمعيارين متناقضين، ما تقوم به إسرائيل من عملية بطش، من عملية قتل للأطفال للشيوخ للنساء، من عملية تشريد، من عملية إبادة من عملية انتهاك للمقدسات كل هذا يسمى دفاع عن النفس، وأما دفاعنا عن نفسنا وهم المعتدون فهو إرهاب، هكذا التناقض، وهكذا المعايير المزدوجة، وهكذا قلب الحقائق، لكن لنعود إلى موضوع البطولة والفداء وكم هي الصفحات مشرقة دكتور راتب في تاريخنا الطويل، وكم هي المواقع والمآثر كبيرة تدلل على هذه الأمة قادرة دائماً على أن تصد أعتى القوى التي اجتاحت واستطاعت أن تدفع العدوان عن أرضها وكرامتها ومقدساتها، وأن تنتصر في النهاية للحقيقة لأن الحقيقة لا بد من أن تنتصر .

الأستاذ راتب:

الإنسان حينما قبل حمل الأمانة سخر الله له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، هذا التسخير على نوعين، تسخير تعريف وتسخير تكريم، وقد يلفت النظر قوله تعالى:

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ)

(سورة النساء الآية: 147)

ولأن هذا الكون العظيم مسخر للإنسان تسخرين تسخير تعريف وتسخير تكريم، ينبغي أن تكون استجابة الإنسان لتسخير التعريف أن يؤمن، وينبغي أن تكون استجابة الإنسان لتسخير التكريم أن يشكر.

الآن الشكر على أنواع ثلاثة:

النوع الأول: أن تعزو النعمة إلى الله .

النوع الثاني: أن يمتلئ قلبك امتنان لله عز وجل .

لكن النوع الثالث الذي هو معني في هذه الندوة أن تقابل هذه النعم بعمل فقد قال الله عز وجل:

(اعْمَلُوا آَلَ دَاوُودَ شُكْراً)

(سورة سبأ الآية: 13)

والتضحية والفداء من العمل الصالح، بل إن علة وجودنا على وجه الأرض أن نعمل صالحاً بدليل أن الإنسان وهو على فراش الموت لا يتمنى إلا أن يعود إلى الدنيا ليعمل صالحاً .

(رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً)

(سورة المؤمنون الآيتان: 99 - 100)

والعمل الصالح على أنواع من هذه الأنواع: أن تلتزم الأمر والنهي ذلك أن في الإنسان طبعاً ومعه تكليف فطبع الإنسان يقتضي الراحة التكليف يقتضي أن تبذل الجهد للآخرين، طبع الإنسان يقتضي أن تتكلم في فضائح الناس والتكليف يقتضي أن تصمت، طبع الإنسان يقتضي أن تنظر إلى محاسن امرأة أجنبية، والتكليف أن تغض البصر، فطبع الإنسان فردي والتكليف جماعي، فحينما تبذل العمل الصالح وتقع التضحية والفداء في أعلى قائمة الأعمال الصالحة، إذاً الإنسان حينما يؤمن وحينما يضحي يكون قد حقق وجوده وحقق الهدف الذي من أجله خلق، وعندئذٍ لا يعقل أن تتابع المعالجة لقوله تعالى: " مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ " .

أستاذ جمال جزاكم الله خيراً: الإنسان عنده دافع إلى الطعام والشراب للحفاظ على وجود كفرد، وعنده دافع إلى الجنس للحفاظ على النوع، لكن عنده دافع آخر عجيب دافع تأكيد الذات، الإنسان لو أنه أكل وشرب لو أنه تزوج عنده حاجة لأنه مخلوق لأهداف نبيلة جداً، عنده حاجة إلى تأكيد الذات فالإنسان حينما يضحي بالغالي يشعر أنه حقق إنسانيته، حينما يبذل ماله أو عرقه ووقته أو جهده، وحينما يجود بنفسه يشعر أنه إنسان، حينما يعيش على أنقاض الآخرين، يبني مجده على أنقاضهم، يبني غناه على فقرهم، يبني حياته على موتهم، يبني أمنه على خوفهم، يشعر أنه حقير ودنيء ولو كان يتمتع بأعلى مباهج الحضارة الحديثة، فقيم البطولة قيم أصيلة في أمتنا، بعض المفكرين وصفوا الحضارة الإسلامية بكلمة واحدة

((ضبط الذات))

وصفوا حضارة الغرب بالسيطرة على الطبيعة، وشتان بيت الحضارتين، أحد كبار زعماء بريطانيا قال ملكنا العالم ولم نملك أنفسنا، البطولات التي يصفح بها تاريخ أمتنا الحقيقة موطن اعتزاز لنا، والتاريخ العظيم ينبغي أن يكون مستمر وأن يدفع الأجيال المعاصرة إلى هذه التضحية .

يعني أنا أذكر بعض الأمثلة تأكيداً لما تفضلتم به قبل قليل، حينما سقطت طائرة في لوكربي واتهمت بها جهة عربية الآن يطالبون هذه الجهة بمليارين سبعمئة مليون دولار على أساس بها 270 راكب، فكل راكب ديته 500 مليون ليرة سورية، أما هؤلاء الآلاف، عشرات ألوف الذين يقتلون كل يوم من المسلمين، أين ديتهم ؟ وأين كفارة قتلهم ؟ الحقيقة ما من صفة أحقر بالإنسان حينما يكيل بمكيالين، والحقيقة هناك من يكيل بمئة مكيال، يقول الله عز وجل :

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)

(سورة البقرة الآية: 56)

لمَ لم يقل الله عز وجل فمن يؤمن بالله، أنا أعتقد أنه لا يمكن أن نؤمن بالله قبل أن نكفر بطواغيت الأرض، وما دامت الآمال معلقة على طواغيت الأرض فالطريق إلى النجاح مسدود، لا بد من أن نعقد الأمل على الله عز وجل، أنا أقول لكم قبل خمسين عام نخبة قليلة جداً من المثقفين يعرفون حقيقة الغرب، أما الآن أطفالنا الصغار يكشفون حقيقة الغرب.

والله كنت ألقي محاضرة في مكان باللاذقية قبل أسبوعين طفل صغير والله لا يزيد سنه عن ستة سنوات، قال لي بالحرف الواحد، قال لي أنا أستاذ لا أحتمل ما أشاهد على التلفزيون ماذا أفعل ؟ يعني الحقيقة أعانونا على أن نكفر بهم، هذه من إيجابيات الذي حدث، هناك سلبيات كثيرة لا تعد ولا تحصى، الإيجابيات أن الغرب كشف على حقيقته الأقنعة سقطت، المثل الفارغة أصبحت في الوحل، ادعاءاتهم بحقوق الإنسان والسلام والديمقراطية والحرية وحق المقاضاة أصبحت بالوحل وعادوا إلى أساليب همجية يترفع عنها الإنسان، وأنا أجمع هذا كله في بيت من الشعر:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر

وقتل شعب مسلم مسألة فيها نظر

الأستاذ جمال:

بيت الشعر لمحمد الفيتوري الشاعر السوداني المعروف .

نحن عندما نتذكر في مناسبة تشرين التحرير نتذكر قيم البطولة والفداء في تاريخ أمتنا العربية لأننا نعتبر هذه صفحة من صفحات المشرقة في تاريخ هذه الأمة، ولأننا أكثر من أي وقت مضى في هذه الظروف التي نعيش في هذه المرحلة بالغة الدقة التي تواجه الأمة فيها التحديات في الوجود وفي الهوية، أعتقد بأن للذكرى معانٍ أكثر أهمية في هذه المرحلة دكتور راتب .

الأستاذ راتب:

سأذكر بيتاً من الشعر قال أحد الشعراء في البطل يوسف العظمة قال:

هذا الذي اشتاق الكرى تحت الثرى

كي لا يرى في جلق الأغراب

كما تفضلت موقن أنه لن ينتصر ليس هناك من تكافئ إطلاقاً بين الجيشين ولكنه آثر أن يموت شهيداً عن أن يعيش ذليلاً .

أستاذ جمال: في نقطة دقيقة جداً نستنبطها من حادثة وقعت في معركة مؤتة، ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام عين قواداً ثلاثة على هذه المعركة:

أولهم سيدنا زيد ـ وثانيهم سيدنا جعفر ـ وثالثهم سيدنا عبد الله بن رواحة ـ

فأخذ الراية سيدنا زيد وقاتل بها حتى قتل، ثم أخذ الراية سيدنا جعفر وقطعت يمينه، ثم قطعت شماله، ثم ضم الراية بعضديه، ثم قتل سيدنا ابن رواحة تردد فيما يساوي عشر ثواني، عشرة بالضبط، كان شاعراً قال:

يا نفس إن لم تقتلي تموتِ هذا حمام الموت قد صليتِ

إن تفعلِ فعلهما رضيتِ وإن تـوليت فقد شـقيتِ

فأخذ الراية فقاتل بها ـ حوار مع الذات ـ فالشيء اللطيف والدقيق والعميق أن النبي عليه الصلاة والسلام حدث أصحابه عما جرى بوحي من الله، قال أخذ الراية أخوكم زيد فقاتل بها حتى قتل وإني لأرى مقامه في الجنة، ثم أخذ الراية أخوكم جعفر فقاتل بها حتى قتل وإني لأرى مقامه في الجنة، ثم سكت النبي، فلما سكت النبي عليه الصلاة والسلام قلق أصحابه على أخيهم عبد الله، قالوا يا رسول الله ما فعل عبد الله، قال ثم أخذ الراية أخوكم عبد الله فقاتل بها حتى قتل وإني لأرى في مقامه ازوراراً عن صاحبيه .

تصور أستاذ جمال: في النهاية بذل حياته في سبيل الله، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، لأنه تردد، يعني أنا أقول لك المؤمن الصادق ليس مسموحاً له أن يتردد في حياته في سبيل الله، لأن الله وعده بجنة عرضها السماوات والأرض .

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169))

(سورة آل عمران)

بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى

(عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)

(قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ)

(سورة يس)

أنا سألت طبيباً من الأطباء ماذا يرى في مرضاه أثناء الموت يلمون أنفسهم، يصرخون، يبكون .

التقطت من السيرة قصة رائعة ليسدنا سعد بن الربيع، تفقده النبي عقبة معركة أحد فلم يجده، فقال ابحثوا عنه، فذهب صحابي جليل إلى أرض المعركة ليبحث عن سيدنا سعد بن الربيع، إذا به بين القتلى لكنه لم يمت بعد، قال يا سعد إن رسول صلى الله عليه وسلم قد أمرني أن أتفقدك هل أنت بين الأحياء أم بين الأموات ؟ قال بل أنا بين الأموات، ولكن أبلغ رسول الله مني السلام، وقل جزاك الله خيرا ما جزى نبياً عن أمته يعني كان في قمة سعادته وهو ينازع، وقل لأصحابه لا عذر لكم إذا خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف .

إذاً الإسلام عمق في المسلم قيمة التضحية والفداء، لأنك حينما تبذل شيئاً تأخذ أشياء من الله عز وجل .
يقول الإمام علي كرم الله وجهه: الغنى والفقر بعد العرض على الله .
وللنبي عليه الصلاة والسلام خطبة رائعة قال

((إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء ـ لأن الرخاء مؤقت والشقاء مؤقت ـ قد جعلها الله دار بلوى وجعل الآخرة دار عقبة، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي))

هؤلاء الذي نصروا النبي عليه الصلاة والسلام هم في أعلى عليين هؤلاء الذين عارضوا دعوته وأثاروا حظوظهم من الدنيا وشهواتهم هم في مزبلة التاريخ، فلذلك التضحية طريق إلى الرقي، يقول الله عز وجل:

(أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ)

(سورة البقرة الآية: 5)

الهدى رفعهم .

(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4))

(سورة الشرح)

وقد قالوا علماء التفسير: لكل مؤمن من هذه الآية نصيب الإنسان حينما يضحي يرفع الله له ذكره، والله أنا قبل مدة وازنت بين فتاة في عمر الزهور، هذه الأخرس التي ضحت بنفسها والتي هزت كيان العدو، وبين فتاة مهندسة قتلت قبل أسابيع بتهمة أنها تنقل المعلومات إلى العدو، قلت هاتان الفتاتان لو وقفتا يوم القيامة أمام رب العالمين، الأولى ضحت بحياتها وهي مخطوبة وعرسها في الصيف، وفتاة متفوقة في دراستها ولكن أرادت أن تهز كيان العدو، والفتاة الثانية من أجل مبلغ من الدولارات يسير باعت دينها، لذلك قال عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان:

((يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

الأستاذ جمال:

لكن يكفينا فخر في هذه الأمة دكتور راتب أننا حتى الآن يعني الأخيار الذين هم مستعدون لأن يدفعوا حياتهم ثمن للدفاع عن وطنهم وكرامتهم ومقدساتهم هم الكثرة الغالبة، وإن كان بينهم قلة بالطبع، هم غير ذلك لكن كم هي مشرقة الصور التي نراها كل يوم كل ساعة عبر هذه الانتفاضة الباسلة انتفاضة الأقصى المبارك، صورة واحد من الفتيان يعني وأنت تعرف هذه الفتاة تذكرت صورة واحد من الفتيان

فارس عودة الذي أخذ عهداً على نفسه أن يستشهد، وقد فعل ذلك بعد مرور أيام من استشهاد ابن عم له، استشهد قبله بأسبوع، منذ استشهاد ابن عمه قرر في نفسه أن يستشهد، وكان له ذلك وهاجم دبابة إسرائيل وانقض عليها، والصورة ذكرتني بما سمعت عن صورة ليوسف العظمة في ميسلون حينما نفذت الذخيرة ونفذ السلاح من بين يديه انقض على دبابة للفرنسيين وهذا صورة موجودة لدى الفرنسيين لأنهم اعترفوا بأن هذه بطولة ما عرفوها لكن عرفناها نحن أيضاً من خلال هذه الانتفاضة الباسلة انتفاضة الأقصى المباركة بعد أن ظن البعض أن البطولة انتهت من هذه الأمة وانحسرت وذهبت إلى غير رجعة، لكن هذه الأمة تؤكد يوم بعد يوم بأنها ما زالت أمينة على البطولة وإن كان هؤلاء الأعداء الذين تواجه مزودين بأحدث آلات القتل والدمار .

أستاذ راتب:

أنا سمعت بأذن تصريح لشارون يقول: كانت مشكلتنا الأمن، الآن مشكلتنا الوجود، يعني هؤلاء الذين ضحوا بحياتهم ماذا فعلوا ألغوا السلاح النووي، ألفوا أف 16، ألغوا الأباتشي، ألغوا هذا التفوق العملاق، ألغي لذلك قال موشي ديان: وزير دفاعهم السابق، حينما جاء فدائي وفجر نفسه وقتل 16، فدخل إلى الكنيست وهب النواب يلومونه، فقال ببساطة ماذا أفعل مع إنسان جاء ليموت، أنا أقول أقصى ما تملكه على المظلوم أن تزهق روحه، فإذا اختار هذا المظلوم أن يضحي بحياته باختياره أصبح أقوى من الظالم، و أقلق مضجعه .

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 07 : الصيام مع أسئلة المستمعين.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2002-11-11

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:

نبدأ دكتور بالحديث عن الصوم والصبر وشهر الصيام هذا الشهر الفضيل هذا الشهر هو شهر الصبر ماذا نتحدث في هذا الإطار بالبداية ؟

الاستاذ:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

لابد من مقدمة فالإنسان لماذا هو في الأرض لو أن إنساناً ذهب إلى بلد وسأل إلى أين سأذهب نسأله نحن لماذا أنت أتيت إلى هنا ؟ لو أنك جئت طالب علم فاذهب على المعاهد والجامعات ولو انك جئت سائحاً اذهب إلى المقاصف والمتنزهات ولو أتيت تاجراً اذهب على المعامل والمؤسسات، أي أن حركة الإنسان لا تصح إلا إذا عرف الهدف، الله عز وجل أخبرنا عن هذا الهدف قال تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ (56))

[سورة الذاريات: الآية 56]

ما العبادة ؟ العبادة في أصلها طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية، ففي هذا التعريف الدقيق جوانب ثلاث جانب سلوكي هو العبادة وجانب معرفي هو سببها وجانب جمالي هو ثمرتها.

فالإنسان عليه أن يعرف الله ويعرف منهجه ثم يطيعه فيسعد في الدنيا والآخرة، الآن العبادات نوعان عبادات تعاملية وعبادات شعائرية العبادات التعاملية وضحها سيدنا جعفر حينما سأله النجاشي عن الإسلام، قال أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الرحم ونسيء الجوار حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته وصدقه وعفافه ودعانا إلى الله لنعبده ونوحده ونخلع ما كان يعبد آبائنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار.

إذاً الإسلام في تعريفه التعاملي مجموعة قيم أخلاقية وحينما أراد الله سبحانه وتعالى أن يثني على النبي العظيم قال:

(وَإِنّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4))

[سورة القلم: الآية 4]

لكن هناك عبادات شعائرية منها الصلاة الصيام والحج إذاً نحن أمام عبادة تعاملية أساسها الصدق والأمانة والعفاف ونحن أمام عبادة شعائرية على رأسها الصلاة والصيام والحج، الصوم عبادة شعائرية، العبادات الشعائرية معللة بمصالح الخلق فقد قال الإمام الشافعي هذا الكلام، قال يؤكد هذا بآيات الله الكريمة:

(إنّ الصّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

[سورة العنكبوت: الآية 45]

(يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ (183))

[سورة البقرة: الآية 183]

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)

[سورة التوبة: الآية 103]

الزكاة لتطهير النفس وتذكيتها والصيام للتقوى والصلاة للنهي الذاتي عن الفحشاء والمنكر لذلك هذه العبادات الشعائرية لا يمكن أن نقطف ثمارها إلا إذا صحت العبادات التعاملية هذا موضوع دقيق جداً.

المذيع: وهي دكتور راتب هي في جانب بتواصل مع الله عز وجل وبجانب آخر بتواصل مع الناس.

الدكتور راتب: فالصلاة:

((يؤتى بأناس يوم القيامة لهم أعمال كجبال تهامة يجعلها الله هباء منثورا قيل يا رسول الله جلهم لنا أي صفهم لنا قال إنهم يصلون كما تصلون ويصومون كما تصومون ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها.))

إذاً لا ثمرةً تجنى من صلاتهم ماداموا قد انتهكوا حرمات الله.حديث آخر في الصحيحين:

((إن فلانة يا رسول الله تذكر أنها تكثر من صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في النار))

حديث آخر:

((النبي سأل أصحابه من المفلس ؟ قالوا المفلس من لا درهم له ولا متاع قال: لا المفلس من أتى بصلاة وصيام وصدقة وقد ضرب هذا وشتم هذا وأكل مال هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته طرحوا عليه سيئاتهم حتى يطرح في النار))

إذاً العبادات الشعائرية لا يمكن أن نقطف ثمارها إلا إذا صحت العبادات التعاملية بل إن بعد أقوال العلماء ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد الإسلام، هذا الذي يحج بيت الله الحرام إذا كان حجه بمال حرام وضع رجله في الركاب وقال لبيك اللهم لبيك يناديه مناد أن لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك.

هذا الذي ينفق المال رئاء الناس وليس يبتغي به وجه الله قال تعالى:

(قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ (53))

[سورة التوبة: الآية 53]

المذيع: بالمناسبة دكتور ونحن نتحدث عن الصيام وعن غيره من أمور الفقهية، يعني إنسان كان يعمل في مجال من الأعمال لديه مطعم أو مقصف يقدم مشروبات.

سؤال: كل عام وأنتم بخير هل ممكن إنسان يحج عن أخيه أو أمه، ممكن إنسان يصوم عن أبيه أيضاً ؟ أن يقضي عنه ؟

الدكتور راتب:

ممكن أن يأخذ الصحيح دواء مكان المريض ؟ لا يمكن لقوله تعالى:

(وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39))

[سورة النجم: الآية 39]

هذه الآية أصل أن في أن العبادات لا تؤدى إلا فيما شرع الله كحج البدل أما أن نخترع نحن ما يقاس على حج البدل أو صيام بدل هذا ليس وارداً إطلاقاً.

سؤال: كل عام وأنتم بخير أريد أن أسأل الدكتور سؤالين أولاً من أجل المال إذا كان في مصرف موضوعين هل حرام أم غير حرام ؟ وطبعاً في البيت لا يوضع شيء في البيت وما هو الحد الأقصى حتى يكون عليهم زكاة، وشيء ثالث عن بين معاملة الزوج والزوجة حول شقاق يا ليت يعطينا لمحة ؟

الدكتور راتب: الحقيقة ما من معصية في القرآن توعد الله على مرتكبها بحرب من الله ورسوله كما في الربا ذلك أن الذي يشرب الخمر مثلاً يؤذي نفسه فقط وقد يؤذي أسرته والذي يزني قد يؤذي معه فتاة أفسدها بينما الذي يأكل الربا يهدد أمةً بأكملها لأن المال قوام الحياة وحينما نسمح للمال أن يلد المال تصبح الكتلة النقدية في أيدي قليلة ويحرم منها الكثرة الكثيرة لا أبالغ إن قلت إن تسعين بالمئة من مشكلات المجتمعات هي بسبب التفاوت الطبقي الكبير بين من يملك مليارات وبين مليارات لا تملك شيء، الربا المال يلد المال بينما الأعمال ينبغي أن تلد المال حينما تلد الأعمال المال توزع الكتلة النقدية شئنا أم أبينا في أوسع رقعة في المجتمع محل صغير لابد من مصاريف قد تزيد عن نصف الأرباح يحتاج إلى موظفين إلى أجور إلى مطبوعات إلى شحن إلى مستودع الذي يجعل من العمل أساساً لكسب المال لابد من أن توزع الأرباح بين شريحة كبيرة جداً ذلك أن الربا يضخم الأموال ويجعلها في أيد قليلة ويحرم منها الكثرة الكثيرة من هنا جاء الوعيد على مرتكب الربا بأشد أنواع الوعيد قال تعالى:

(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)

[سورة البقرة: الآية 279]

قضية أنا أضع مال لينمى ربوياً في تحريم قطعي ولا يستطيع عالم في الأرض من المسلمين الذين يخافون الله عز وجل أن يفتوا بذلك.

المذيع: إذا ما رغب شخص أن يحفظ ماله ويودعه في البنك ممكن أن يودعه في البنك يمكن أن يودعه بدون فائدة ؟

الدكتور راتب: سأجيب عن ذلك هناك ضرورات تبيح المحظورات الضرورات ينبغي أن تكون شرعية أنا أحياناً يسمح لي أن أشرب الخمر إذا كدت أموت أحتاج إلى ما يمرر لقمة غص بها حلقي، كما أن الإنسان يسمح له أن يشرب الخمر أحياناً لظرف طارئ قاهر فإذا بلغت الضرورة ضرورة أكل لحم الخنزير فإذا بلغت الضرورة ضرورة أكل لحم الخنزير وشرب الخمر هناك ضرورة لإيداع المال في البنك أما من دون ضرورة، أما من دون فائدة في إشكال آخر أنت أعنت هذه المؤسسة الربوية أنت أعنتها على أن تأخذ الربا من غيرك أنت لم تأخذ منها شيء لكن أخذت من غيرك وأعطت غيرك.

المذيع: نصاب الزكاة.

الدكتور راتب: الحقيقة هناك نصابان للزكاة نصاب فضة ونصاب ذهب، نصاب الفضة سبعة آلاف ليرة ونصاب الذهب أربعون آلاف ليرة تقريباً بحسب أسعار الذهب.

المذيع: إذا لم يكن هناك ذهب ولا فضة ؟

الدكتور راتب: أنت مخير إما أن تأخذ على النصاب الأدنى لصالح الفقراء أو على النصاب الأعلى لصالحك.

المذيع: وهو يكسب إذا أخذ النصاب الأعلى.

الدكتور راتب: أجمل خطأ أن تخطئ مع الله في دفع الزكاة.

المذيع: أيضاً الشق الآخر لسؤال الأخت المستمعة معاملة الأزواج الزوج لزوجها وهذه أمور حياتية مستمرة ولكن بتصوري إذا ما راعى كل من الزوج والزوجة رب العالمين.

الدكتور راتب: عظمة الزواج الإسلامي أن الله بين الزوجين بمجرد أن كل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر وأن كل طرف يرجو رحمة الله بخدمة الطرف الآخر هذا الزواج وجد ليبقى حصناً، هذا الزواج أن كل طرف يخشى الله ويخشى أن يظلم ويرجو أن يرحم أما الزواج الغير مبني على قاعدة دينية الأقوى يأكل الأصغر.

المذيع: هذه الحكمة يمكن أن توجه للأزواج والزوجات أيضاً.

الدكتور راتب: حديث لا علاقة له بالزواج:

((ما تواد اثنان لله ففرق بينهما إلا بذنب أصابه أحدهما.))

هذا الحديث يقاس على الزوجين.

المذيع: وعلى كل العلاقات.

الدكتور راتب: لو أن أحد الزوجين ارتكب ذنباً مع الله الطرف الآخر لا يرضيه عندئذ إن بعض علماء القلوب يقولون: أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي.

المذيع: بارك الله فيك الدكتور راتب النابلسي.

سؤال: السلام عليكم و رحمة الله، و عليكم السلام هل من إثم على الشخص الذي يحمل في طيات معطفه أو يعلق ورقة مكتوب عليها أو تحتوي على كلام الله عز وجل بشكل دائم، و السؤال الآخر: بعض الآيات تستحوذ و تتملك قلب الشخص من قصار السور و طاقته محدودة في حفظ الآيات أي هو ليس مثل من يحفظ ستمئة و تسعين آية أو أكثر هل يستوي هذا الشخص إذا كرر هذه الآيات القصيرة مع الذي يحفظ الكثير و لا يكررها في العام مرة مثلاً ؟

المذيع: أريد أن أستفسر عن الآيات القرآنية يحملها من خلال جزء عم أو ربع عم أو ربع ياسين من خلال قرآن كريم صغير أن أنها مكتوبة مثلاً و مغلفة كما يكتب البعض و يضعون بعض الآيات القرآنية ؟

يوجد شيء يسمى الحجاب أي هناك قرآن صغير، قرآن جيب ؟

الدكتور رابت: إذا كان المصحف في غلاف جلدي لا شيء في الموضوع، لكن الأمر ينطلق من قوله تعالى:

(وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (32))

[سورة الحج: الآية 32]

فالقرآن كتاب الله و هو يحتل قدسية عالية جداً فكلما نعظم هذا الكتاب الكريم كلما كنا أقرب إلى الله عز وجل، فحين الضرورة يوضع المصحف في غلاف جلدي سماه الفقهاء حائلاً، مع هذا الغلاف الجلدي يتسامح في أن يبقى بجيب الإنسان إذا أراد.

و بالنسبة للحجاب حصراً أي أحياناً بعض الناس يكتبون حجاباً لفلان أو فلانة يشمل هذا الحجاب على حرز لك من كذا و كذا.

الدكتور راتب: إذا كان الحجاب آيات قرآنية لا شيء فيه أما غير ذلك مرفوض رفضاً كلياً لأنه من أتى كاهن فقد كفر من أتى ساحراً فلم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً ولا دعاء أربعين ليلة أما القرآن الكريم لا شيء فيه غلاف الحجاب يشبه حافظ القرآن الكريم.

المذيع: لا شيء فيه، يقول بعض الأخوة الذين يحفظون قصار السور ربما لا يحفظون من السور الكبيرة ولكن يكررونها في الصلاة أو في التلاوة ما حكمهم شرعاً بالمقابل هناك من يحفظ القرآن الكريم لا نستطيع أن نقول أن من لم يحفظ القرآن لم يتعود ترتيله بشكل دائم.

الدكتور راتب: لكن حفظ القرآن مندوب وليس فرضاً لكن الفرض أن نطبق القرآن الكريم بربك لو أنك أخذت من طبيب وصفةً طبية هل إذا قرأتها تشفى من مرضك ؟

المذيع: بالتأكيد لا.

الدكتور راتب: هل إذا فهمت أنواع الأدوية تشفى ؟ إذا رددتها ؟ هذه الوصفة لا تجدي نفعاً إلا إذا طبقتها لذلك ورد في الحديث الصحيح:

((رب تال للقرآن والقرآن يلعنه))

وما آمن بالقرآن من استحل محارمه فالأصل أن هذا القرآن منهج ينبغي أن يطبق فالأجر في تطبيقه وحينما قال العلماء في تفسير قوله تعالى يتلونه حق تلاوته أي ينبغي أن تتلوه قراءةً صحيحة وفق قواعد اللغة وينبغي أن تقرأه مجوداً وينبغي أن تفهمه وينبغي أن تتدبره والتدبر أن تسأل نفسك أين أنا من هذه الآية ماذا طبقت أين أنا منها، قال تعالى ك

(كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17))

[سورة الذاريات: الآية 17]

هل أنا من هؤلاء ؟

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)

[سورة الأنفال: الآية 2]

هل أنا من هؤلاء هذا هو التدبر لكن الشيء المفصلي التطبيق.

المذيع: ولكن لا بأس إذا كان الإنسان يحفظ قصار السور يرددها.

الدكتور راتب: ليس هذا فرضاً ولكنه مندوب العبرة في التطبيق لكن لو أردت أن تصلي قيام الليل وفتحت مصحفاً أمامك لا شيء في ذلك الآن في مصاحف كبيرة جداً تقرأ في كل ركعة صفحة أنت بهذه الطريقة يمكن أن تصلي قيام الليل بختمة كاملة والحقيقة أن هذه القضية من الواقع هذه السور القصيرة المألوفة جداً من كثرة ترددادها فقدت معناها فالصلاة أصبحت جوفاء أما إذا أردت قيام الليل تقرأ في كل ركعة صفحة هذه الصفحة فيها أوامر فيها نواهي فيها آيات كونية عند أكثر المذاهب أن تقرأ صلاة النفل من المصحف نكون وفقنا بين الحفظ القليل والانتفاع الكامل بالقرآن الكريم.

سؤال: السلام عليكم إذا الإنسان عليه غسل وما اغتسل هل يجوز صيامه أم لا وأذن المغرب عليه وما اغتسل ؟

المذيع: وما صلى كل الصلوات ؟ ماذا يمنع من الغسل.

سؤال: الصراحة أنه لي قريب هو مقصر بالصلاة لا يصلي.

الدكتور راتب: الحقيقة أن الصلاة هي الفرض الذي لا يسقط بحال، الحج يسقط بالمرض والفقر والزكاة تسقط بالفقر والصيام يسقط بالسفر والمرض والشهادة تنطق مرةً واحدة بينما الفرض المتكرر الذي لا يسقط بأي حال فنحن نصلي كي نتصل بالله ونصوم كي نصلي ونحج كي نصلي ونزكي كي نصلي فأنا حينما آتي بالسبب وأنسى الهدف أكون ضيعت أكبر شيء في عبادتي، لا معنى إطلاقاً طبعاً أنا أقول صم لا أجرؤ لا أنا ولا غيري أن أقول لك لا تصم صيامك غير مقبول هذا ليس من شأني هذا من شأن الله لا معنى ولا جدوى ولا فائدة من أن تصوم دون أن تصلي لكن إذا إنسان احتلم في الليل واستيقظ بعد أذان الفجر واستيقظ جنباً صيامه صحيح مئة في المئة ماذا يفعل ؟ يغتسل فاتك الفجر في وقته هذه معصية لكن أن تفوتك الأوقات الخمس وأنت لا تصلي هذه مشكلة كبيرة.

سؤال:كل عام وأنت بخير والدتي في قراءة القرآن حرف القاف لا يلفظ معها يلفظ حرف الحاء فيقولون لك كل صلاتك لا تجوز ؟

الدكتور راتب: لا أصل لهذه الفتوى الذي يقرأ القرآن ويتعتع به له أجران ماذا تفعل ؟ ما في مشكلة أبدا هذه فتوى متعسفة لا أصل لها لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

سؤال: بالنسبة إلى الإبرة هل تفطر في رمضان ؟

الدكتور راتب: الله عز وجل أيتها الأخت الكريمة تعبدنا بالفطرة فحينما نأكل ونشرب ونستمتع بالطعام والشراب في رمضان نفطر الإبرة دواء ولا شيء فيها إطلاقاً.

سؤال: بالنسبة للمرأة وهي حائض.

الدكتور راتب: إذا كان في مكان لا يصلى به الصلوات الخمس كمعهد فرضاً وهي مداومة على هذه الدروس ومتأكدة أنها لن تؤذي المسجد والمكان في المسجد لا تتم به الصلوات غرفة كمعهد غرفة بعيدة عن المسجد لا شيء في ذلك.

المذيع: دكتور راتب بالمناسبة البخاخ الذي يستخدم مع المصابين بمرض الربو.

الدكتور راتب: هذا غاز يصل إلى الرئتين لا شيء فيه صاحبه مريض ويأخذ هذا الغاز ليستنشقه في رئتيه لا في أمعائه ومعدته في العم الأغلب لا شيء فيه.

المذيع: نسأل بعض الأسئلة التي ربما نعاني منها في بعض مجالات عملنا وبيوتنا ما حكم التعامل شرعاً مع الأوراق سواء كانت بيضاء أو مكتوبة ؟ حسن التعامل مع هذه الأوراق وكثيراً ما نجد في الشوارع أوراق حتى ولو كانت تالفة وعليها بعض الكتابات فيها ربما آيات قرآنية ربما أسماء ؟

الدكتور راتب: والله أعتقد أنه ما من مسلم على شيء من الإيمان ما من ورقة في الأرض فيها اسم الله الأعظم إلا ويتألم، لو لم تسأل عن فتوى هذا الأمر، هذا من تعظيم الله عز وجل أنا عندي آلة فرم الأوراق والله لا في بيتي شيء يريحني كهذه الآلة بطاقة دعوة فيها آية قرآنية أفرمها أوراق ما من

ورقة إلا وأتلفها بالفرامة فإذا كان إنسان جمع أوراق ما في من مكان إلا وفيه فرامة في مؤسسة وهو الحل الأمثل الحرق أو الفرم إذا ما عنده فرامة يحرقها يجمعها في كيس في الجمعة مرة.

المذيع: حتى لو أنه ما فيها آيات قرآنية ؟

الدكتور راتب: قبل أن أشتري الفرامة كنت أجمع الأوراق وأحرقها على السطح من حين لآخر وهذا هو المفضل، بارك الله بك.

سؤال: بالنسبة لصيام شهر رمضان لرجل كبير في العمر بالستين و الأمراض لاحقته، إذا أراد أن يفطر و الدكاترة قالوا له افطر ـ الدكتور قال له افطر بسبب وضعه الصحي ـ؟

الدكتور راتب: حينما يخبر طبيب مسلم حاذق ورع مريضاً أن عليه أن يفطر عليه أن يفطر لأن الحفاظ على الحياة مقدم على كل شيء، و لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، أما حينما أفطر على مزاجي أو أحتج بالمرض الله عز وجل يعلم ذلك، و هذا الصيام عبادة الإخلاص لا يستطيع إنسان في الأرض أن يجبر أحداً على الصيام إلا أن يكون طوعياً، فأنا حينما أحتج بمرض و أفطر الله وحده يعلم:

(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19))

[سورة غافر: الآية 19]

سؤال: أنا عملت عملية زرع كلية و الدكتور أخبرني أن أفطر أريد أن أعلم عن الزكاة، هل نحن نطيعه و ندفع زكاة فطرة ؟ فدية يعني ؟

الدكتور راتب: إن كنت مقتدراً أطعم مسكيناً وجبتين عن كل يوم تفطره مضطراً بسبب وضعك الصحي.

دكتور ما المقدار ؟

الدكتور راتب: بحسب مصروفك، إذا كان متوسط مئة ليرة، ثلاثين يوماً بثلاثة آلاف ليرة.

المذيع: دكتور راتب ما حكم صلاة المرأة في رداء شفاف أي ليس شفافاً يبرز مفاتنها لكن بعض الألبسة الشفافة التي تظهر هيكل المرأة أي ما حكم الشرع في هذا من خلال الذهاب إلى المسجد و العودة و الطريق و كل هذه الأمور ؟

الدكتور راتب: الحقيقة هناك بعض الأخوات المؤمنات يقولون هناك عبادات مختصة بالرجال نحن مالنا ؟ أنا أريد أخواتنا الكريمات أن هناك عبادة خاصة بالأخوات المؤمنات أنا أسميها عبادة إعفاف الشباب، هذه الفتاة حينما ترتدي ثياباً أولاً غير شفافة و ثخينة و فضفاضة تخفي بهذه الثياب خطوط جسمها و لون بشرتها تكون قد عبدت ربها، و أنا أرى أن دين المرأة متعلق بثيابها، و أن كل سنتمتر من ثيابها متعلق بدينها، هي خلقها الله محببة للرجل، لكن لزوجها و لمحارمها، لا هي سلعة رخيصة معروضة في الطريق، مما يقدس المرأة أنها محتشمة، فلذلك الثياب التي تصف حجم أعضاء المرأة و

تبرز خطوط جسمها و مفاتنها ثياب محرمة، و الثياب التي تصف لون بشرتها الشفافة أيضاً محرمة، الثياب التي لها ألوان تلفت النظر فاقعة جداً أيضاً لئلا يلتفت إلى المرأة.

هذه المرأة المؤمنة حقيقة هناك فيصل دقيق جداً بين المرأة المؤمنة التي تعبد ربها و التي تبتغي رضوان ربها و التي تبتغي جنة ربها و التي هي مسعدة لزوجها و أولادها و هذه المرأة يقول عليه الصلاة و السلام:

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت من هذه يا جبريل ؟ قال هي امرأة مات زوجها و ترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلهن.))

أنا أعتقد أن المرأة يمكن أن تصل إلى أعلى مرتبة عند الله بطلعتها لربها، ألم يقل النبي عليه الصلاة و السلام:

((اعلمي أيتها المرأة و أعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله.))

و الجهاد كما تعلمون ذروة سنام الإسلام، فالمرأة التي تحسن رعاية زوجها و أولادها و تحجب مفاتنها و خطوط جسمها و لون بشرتها عن أعين الغرباء هي فتاة تعبد ربها و امرأة تعبد ربها، فهذه المرأة لها عند الله مقام كبير.

النبي عليه الصلاة و السلام حينما فتح مكة المكرمة قيل له تفضل نم في بيوتاتها، تنافس أهل مكة على استضافته ماذا قال ؟ قال: انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة، وضع لواء النصر أمام قبرها ليشعر أهل الأرض أن هذا الفتح المبين للسيدة خديجة سهم كبير فيه.

المذيع: إشعار لهم بمكانة المرأة و مكانة الزوجة.

الدكتور راتب: حينما تصبح سلعة يختلف الأمر.

المذيع: بارك الله بك أستاذ راتب.

سؤال: أخي الكريم يوجد الآن قروض مكافحة البطالة وضعوا رسوم أربعة بالمئة و غير مركبة أي غير مضاعفة فما حكم هذه ؟

الدكتور راتب: و الله أنا في صدد أن أطلع على هذه القروض بشكل دقيق و أن أقيسها بأمور الشرع فأريد أن أؤجل هذه الإجابة إلى وقت آخر.

المذيع: نحمد الله بأن شهر الصيام في هذا العام جاء في وقت الطقس فيه مقبول و جميل جداً و هو وقت اعتدال و لكن قد يأتي في بعض السنوات في فصل الشتاء ما حكم المسح على الجوارب ؟

سؤال: السلام عليكم، و عليكم السلام، ما هو الفرق بين المؤمن و المسلم، و ما معنى محمد صلى الله عليه و سلم ؟

الدكتور راتب: أي إنسان كائناً من كان خضع لمنهج الله، ائتمر بما أمر الله، و انتهى عما عنه نهى فهو مسلم، لكن الذي عرف الله و أقبل عليه فهو مؤمن، فكل مؤمن يجب أن يكون مسلماً، لكن الإيمان درجات، ثم إن الإيمان له تعريفان هو تصديق و اتصال، و الكفر تكذيب و إعراض، أنا حينما أصدق أن الله خلق السماوات و الأرض و أن هذا القرآن كلامه، و أن النار حق و الجنة حق، إلى آخر أركان الإيمان أنا حينما أصدق فأنا آمنت بالجانب التصديقي، لكن بقي الجانب العملي، هل اتصلت بالله ؟ هل طبقت أرضه ؟ هل أقبلت عليه ؟ هل استغفرته ؟ هل دعوته ؟ هل توكلت عليه ؟ فيوجد جانب تصديقي و يوجد جانب عملي، و الإيمان له جانبان، الجانب التصديقي لا يزيد و لا ينقص، و من هنا جاءت أركان الإسلام و أركان الإيمان لأنه حدي، أما الجانب العملي يزيد و ينقص، عقب العمل الصالح أرتقي إلى الله، عقب صيام رمضان أرتقي إلى الله، عبر أن أنتصر على نفسي بعد صراع مرير بين معصية مرغوب بها و بين طاعة متعبة للنفس حينما أنتصر أرتقي لله، بل إن القاعدة أنه:

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً)

[سورة الكهف: الآية 110]

المذيع: لهذا جاءت أركان الإسلام شهادة ألا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و صوم رمضان و حج البيت، و أركان الإيمان الإيمان بالله و ملائكته، اعتقاد و عمل أيضاً تطبيقي.

الدكتور راتب: الإسلام سلوك، و الإيمان اعتقاد:

(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)

[سورة الحجرات: الآية 14]

المذيع: السؤال ما معنى صلى الله عليه و سلم السؤال بشكل مبسط كيف هي صلاة الله عز وجل على نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ؟

الدكتور راتب: هي الصلاة رحمة تتنزل على قلب النبي، فكل من اتصل بالنبي اتصالاً مباشراً في حياته أو تذكر شمائله اشتق من هذه الرحمة:

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ)

[سورة الأحزاب: الآية 56]

فصلاتنا مشتقة من رحمته رحمة و صلاة الله عليه يتجلى عليه بالرحمة.

المذيع: ما هي صلاة الملائكة ؟

الدكتور راتب: الدعاء، كأنه للتقريب و ليس أكثر مركز تحويل يتغذى من الطاقة الكبرى، تيار عشرين ألف فولت تغذى و كل إنسان أراد أن يأخذ تيار كهربائي يصل بيته بفرع من هذا المركز التحويلي:

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ)

[سورة الأحزاب: الآية 56]

يقول عليه الصلاة و السلام يوجد قصة سريعة جداً، سيدنا الصديق كان يمشي في الطريق رأى رجلاً من الصحابة اسمه حنظلة يبكي:

((عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ قَالَ وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قَالَ قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا.......))

[مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أحمد]

أي دخلنا للبيت الأكل ليس جاهزاً ـ يمر وقت مستقطع ـ فالصديق من عظمة أدبه قال له: أنا كذلك يا أخي:

((قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا ذَاكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))

الآن دقق الإنسان حينما يفتخر برسول الله يشعر براحة، و على شكل مخفف الإنسان إذا دخل بيت من بيوت الله و استمع إلى درس علم يحس براحة هي مكافأة الله له، لأن الله عز وجل يقول في الأثر القدسي:

إن بيوتي في الأرض المساجد و إن زوارها هم عمارها فطوبى لعبدي تطهر في بيتي ثم زارني و حق على المزور أن يكرم الزائر.

سؤال: السلام عليكم، عليكم السلام، إذا إنسانة عليها صيام من السنة الماضية ما الكفارة حتى تقضيها؟ بالنسبة لست أيام من شوال بعد رمضان هل يحسبوا مع الأيام الماضية من رمضان إذا عليها دين ؟

المذيع: أي يحسبوا بدل القضاء عن إفطار سابق ؟ صيام من السنة الماضية لم يقض ؟

الدكتور راتب: هذا الموضوع خلافي هناك من يرى أن القضاء فقط يسقط عنها الفريضة أي عليها ستة أيام لم تصمها و جاء رمضان الثاني و لم تصمها لمجرد أن تصومها سقطت عنها، يوجد رأي آخر و هو أحوط أن أدفع كفارة عن كل يوم و أن أقضي، إما أن أقضي فقط أو أن أقضي مع كفارة هذا هو الجواب.

المذيع: هنا دكتور الإنسان لماذا لا يزيد في عبادته أو في التكفير عن تقصير لماذا نأخذ الحد الأدنى ؟

سؤال: سؤال ستة أيام من شوال هل تعتبر في سياق القضاء عن إفطار سابق ؟

الدكتور راتب: هناك بعض الآثار التي تجيز أن تكون هذه الأيام الستة هي الأيام الستة وقضاء ما عليها، لكن أنا أقول لها صومي هذه الأيام ودعي أمر تحديد أجرها إلى الله.

المذيع: هنا كي لا يفوت أو يفهم الأمر بشكل غير واضح من صام رمضان وستة من شوال.

الدكتور راتب: لا تقبل نافلة ما لم تؤد فريضة.

المذيع: نعود إلى مسألة المسح على الجوارب الشفافة ما حكم الشرع في ذلك ؟

الدكتور راتب: والله أنا أرى أن هناك أحكام فقهية متعلقة بالمسح على الجوربين فيها تشدد غير معقول بل إن الإمام أبي حنيفة في آخر حياته أفتى بالمسح على الجوربين وهناك علماء كبار أفتوا بالمسح على الجوربين لكن المشكلة هنا أنك إذا مسحت على جوربيك مرةً ولمحك ابنك فلن يغسل رجليه إطلاقاً أنا أخاف من هذا الحكم لأن هذا خاص والحمام في الطائرة لا يمكن أن تتحرك فيه في وضع صعب في سفر طويل نزلت إلى استراحة فعند الضرورة يجوز المسح على الجوربين أما من دون ضرورة هذا يخلق مشكلة نحن في غنى عنها.

المذيع: ما حكم المسح على الخفين ؟

الدكتور راتب: يجوز من الجلد المتماسك مع الرجل وتجري به نصف ساعة من دون أن يهترء في صفات كثيرة للخفين بأحكام الفقه لكن في النهاية الصحابة يفهمون الجوربين الجوربين من دون تعقيدات.

المذيع: لكن الخف يختلف عن النعل بعض الناس للتوضيح أكثر، بعض الناس قد يدخل على بيت الخلاء وينقض وضوءه هل يجوز أن يمسح على الخفين.

الدكتور راتب: إذا لبسهما طاهرتين يمسح على الخفين أو الجوربين.

سؤال: ما حكم صلاة الصبح إذا كان إنسان صلى بعض طلوع الشمس، السؤال الثاني ما حكم الدراسة بعد صلاة العشاء، محرك أي شيء بعد صلاة العشاء ؟

الدكتور راتب: لو أن الإنسان فاتته صلاة الفجر في وقتها يصليها بعد طلوع الشمس بعشرين دقيقة لأنه في أثناء طلوع الشمس منهي أن تصلي في هذا الوقت لكن يجب أن يحتاط لهذا الأمر وينام باكراً حتى يصلي الفجر في وقته، لو يعلم الناس ما في العتمة والفجر لأتوهم ولو حبواً ومن صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي ومن صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح وصلاة الفجر في الجماعة لا يعرفها إلا من ذاقها لكن بأمر قاهر استثنائي مرض لا سمح الله ففاتته صلاة الفجر يصليها بعد طلوع الشمس بعشرين دقيقة ويعتبر قضاء.

المذيع: دراسة أو أي عمل آخر بعد صلاة العشاء ؟

الدكتور راتب: كان عليه الصلاة والسلام يأوي إلى فراشه بعد صلاة العشاء هذا من شمائله ومن سنته ويقول علماء الطب أن ساعات الليل الأولى لا تعدلها أضعافها في ساعات الليل الآخرة هذه الكهرباء جعلت الليل نهاراً والنهار ليلاً لذلك كسل عام أنا أرى أن بعد البلاد غير المسلمة الساعة الخامسة فجراً لا تجد في الطريق مكان تمشي به من ازدحام يقول عليه الصلاة والسلام بورك لأمتي في بكورها، الأصل أن لا نسهر لكن العلماء أجازوا السهر في طلب العلم أو دراسة وأنت حينما تبني مستقبلك بناءً صحيحاً أنت قوة للمسلمين.

المذيع: يعني مباح أن يدرس.

الدكتور راتب: هو تكلم كلام فيه تعسف قال حرام لا هو ليس حرام لكن السنة تقتضي أن لا أسهر في لغو ولا في غيبة ولا في سهر لا طائل منه أما إذا في طلب علم أو حل مشكلة لا مانع.

المذيع: يعني لا نسهر من أجل لعب ورق شدة كي لا نتكلم بالنميمة.

الدكتور راتب: لا تحل مشكلة بمشكلة.

سؤال: قيام الليل هل في عدد من الركعات معينة، كم مكث سيدنا آدم في الجنة هل مئة عام أم مئتين عام أم ثلاث مئة عام ؟

المذيع: قيام الليل ما هو وقته وهل هناك عدد محدد لقيام الليل ؟

الدكتور راتب: ثمان ركعات وثلاثة وتر هذا قيام الليل الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم أن تصلي قبل أن تنام فهي صلاة التهجد وقد تصلي بعد أن تستيقظ من النوم فهي صلاة قيام الليل.

المذيع: ما حكم التراويح بعد صلاة العشاء ؟

الدكتور راتب: هي قيام الليل بمعنى الواسع. وهي قضية لها اجتهادات وأنا قلت البارحة في برنامج على الهواء أنني لا أسمح لنفسي أن أفعل من هذه قضية أفرق بها بين المسلمين أقول صلى التراويح ثمان ركعات وصلها عشرين وصلها في المسجد وصلها في البيت المهم أن تصلي.

المذيع: المبدأ العام يمكن أن يقول بأن صلاة النفل مفتوحة ليلاً نهاراً لا عدد لها.

الدكتور راتب: الثمانية الأولى تراويح والباقي نفل.

المذيع: هل هناك تفسير ينبئ عن مدة مكوث آدم عليه السلام في الجنة ؟

الدكتور راتب: القرآن إذا سكت عن شيء ينبغي أن نسكت عنه، لماذا ؟ لو أن أستاذاً في الجامعة، مدرس علم التجارة و كان أديباً أراد أن يقول للطلاب لي صديق اشترى محلاً في مركز المدينة و اختار بضاعة أساسية في حياة الناس ثم عرض البضاعة بأسعار معتدلة جداً ثم لم يبع ديناً بل باع نقداً، و أحسن معاملة الزبائن، هذا الصديق اغتنى و اشترى بيتاً و مركبة و تزوج، سأله طالباً هذا الصديق

أستاذ أبيض أم أسمر لا علاقة لهذا السؤال إطلاقاً بمغزى القصة، فالقرآن يسكت في مواضع، فالذي سكت عنه القرآن ليس هناك من جدوى إطلاقاً في أن أسأل عنه ذلك أن القرآن الكريم حينما ذكر قصص الأنبياء ذكرها بشكل معين، بحيث تغدو هذه القصص نماذج بشرية، إذا جاءت التفاصيل نتوهم أن هذه القصة وقعت و لم تقع، هي نموذج بشري اقتضت التفاصيل بقصد إلهي عظيم ليكون هذا النموذج نموذجاً بشرياً و ليس حدثاً وقع و لم يقع، لذلك هذا الذي يبحث عن أشياء سكت عنها القرآن كأنه يفسد على الله حكمته.

المذيع: أي هذا الأمر يجسد و على مر العصور إلى أن يرث الله الأرض و ما عليها إعجاز الله سبحانه و تعالى في خلقه ؟

الدكتور راتب: يوجد شيء دقيق جداً العلم في الدين ما بني عليه حكم شرعي ماذا يبنى على هذا الموضوع لو أنه مكث مليون سنة هذا الموضوع لا \يبنى عليه حكم شرعي إطلاقاً.

المذيع: دكتور راتب ولا تقنطوا من رحمة الله ولكن البعض بكل أسف يعني يواجهون صعوبات في الحياة قد تأتي الأمور على ما يشتهي وقد لا تأتي يعني بين قوسين يلعن هذه الدنيا يتمنى الموت لكي يرتاح ماذا يمكن أن نقول لمثل هذا ؟

الدكتور راتب: ورد في الحديث القدسي أن:

((عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ يَا عِبَادِي........ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ))

[مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أحمد، الدارمي]

ما من عثرة و لا اختلاج عرق و لا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم و ما يعفو الله أكثر.

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ)

[سورة النساء: الآية 147]

(وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17))

[سورة سبأ: الآية 17]

(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ)

[سورة الشورى: الآية 30]

الإنسان إذا جاءت الأمور على غير ما يريد ينبغي أن يتهم نفسه، هناك خلل الله عز وجل غني عن تعذيبنا و الأمر كله بيده:

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ)

[سورة هود: الآية 123]

ورد في الحديث القدسي:

((يسبني ابن آدم و ما ينبغي له أن يسبني، يسبني إذ يسب الدهر و أنا الدهر أقلبه كيف أشاء))

فحينما نوحد نجعل الهموم هماً واحداً، عندئذ يكفينا الله الهموم كلها، من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله الهموم كلها، يعمل لوجه واحد يكفك الوجوه كلها.

و يقول الله عز وجل:

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213))

[سورة الشعراء: الآية 213]

أي أحد أسباب العذاب أن أعزو أخطائي إلى جهات أرضية، هناك مشكلة يجب أن تحل لأن الله عز وجل غني عن تعذيبنا.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 08 : مظاهر ضعف الإيمان

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2002-11-15

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:

أيها الأحبة:

((المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير))

هذا بالنسبة للمؤمن، ولكن ماذا عندما يكون الإيمان ضعيفاً وليس المؤمن ؟! ما هي الأسباب المؤدية لضعف الإيمان عند الفرد ؟ ما هي مظاهر هذا الضعف ؟ في ندوتنا هذه وحول هذا الموضوع يسر إذاعة دمشق أن ترحب أجمل ترحيب بالأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، والأستاذ الديني في مساجد دمشق، دكتور راتب أهلاً ومرحباً بكم وكل عام وأنتم بخير، وشهر مبارك عليكم إن شاء الله.

الأستاذ: بكم يا سيدي، وكل عام وأنتم بخير.

المذيع: كما سمعتم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ....))

(صحيح مسلم)

إنما أحياناً يقف المرء متسائلاً أمام نفسه وأمام الله هل إيماني قوي أم أنه ضعيف ؟ كيف يمكن للمرء أن يعرف أن إيمانه قوي وليس العكس، ما هي مظاهر ضعف الإيمان؟

الأستاذ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

هناك أسئلة كثيرة تطرح على الدعاة إلى الله عز وجل، منها يقول أحدهم: أحس قسوة في قلبي، ويقول آخر: لا أجد لذة في العبادات، ويقول ثالث: إيماني في الحضيض، ويقول رابع: لا أتأثر لقراءة القرآن، ويقول خامس أقع في المعصية بسهولة، الحقيقة الدقيقة أن هذه ليست أمراضاً، إنما هي أعراض مرض واحدة ألا وهو ضعف الإيمان، والإنسان لأنه المخلوق الأول، ولأن الله سخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً، ولأنه حمّله أمانة التكليف، وأعطاه حرية الاختيار، ومنحه عقلاً هو مناط التكليف، ولأنه أودع فيه الشهوات يرقى بها إلى رب الأرض والسماوات، هذا الإنسان متى يتوازن ؟ إذا حقق الهدف من وجوده، متى يختل توازنه؟ إذا ابتعد عن الهدف الذي من أجله خلق، لذلك يكاد يكون الإيمان هو أهم شيء في حياة الإنسان، فلهذا نعد هذه الأمراض أعراضاً وليست أمراضاً.

المذيع: هل هي أعراض فقط ؟ أم أنها أسباب ؟ أم أن هناك علاقة جدلية ؟ قد يكون ضعف الإيمان سببه إتقان العبادات مثلاً !

الأستاذ: هذا الموضوع إن أردنا أن نعالجه معالجة مسهبة لابد من تقسيمه لفقرات ثلاث: إلى مظاهر ضعف الإيمان، وأسباب ضعف الإيمان، وطرق معالجة ضعف الإيمان، فلعلنا في ندوة قادمة نتابع الموضوع لنهايته، على كل ضعف الإيمان له مظاهر، وليس القصد منها أن يخاف الإنسان، القصد منها أن يحذر الإنسان بدايات هذا المرض، ودائماً وأبداً الإنسان العاقل يعيش المستقبل، بينما الأقل عقلاً يعيش الحاضر، بينما الغبي يعيش الماضي، فالإنسان حينما تبدو له بعض المظاهر التي لا يرضى عنها في نفسه كأن تكون صلاته شكلية أو قراءته للقرآن لا معنى لها أو لا تأثر منها، أو يرى في قلبه قسوة لا يتألم بما حوله من مآسي، هذه كلها أعراض لمرض واحد، وأردنا في هذه الندوة إن شاء الله أن نستعرض بعض المظاهر، فدائماً هذه المظاهر مقاييس للإنسان، الإنسان العاقل إذا استمع لندوة أو محاضرة أو قرأ شيئاً دائماً يقول أين أنا مما أقرأ وأسمع ؟ فلو أننا ذكرنا الآن بعض مظاهر ضعف الإيمان فالذي يشعر أن هذا المظهر منطبق عليه ينبغي أن يتحرك لإصلاح الخلل، فإذا كان بعيداً عن هذا المظهر، فليحمد الله عز وجل.

الحقيقة أول مظهر من مظاهر ضعف الإيمان: ارتكاب المعاصي والمحرمات، ذلك أن الإيمان الذي يقبل عند الله، والإيمان الذي ينجي صاحبه هو الإيمان الذي يحملك على طاعة الله، فإن لم يحملك على طاعة الله ليس إيماناً منجياً عند الله، إبليس مؤمن بدليل قال:

(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ)

(سورة ص)

آمن به رباً وعزيزاً، وقال:

(قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14))

(سورة الأعراف)

آمن باليوم الآخر، قال:

(خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ)

(سورة الأعراف)

آمن به رباً وعزيزاً وخالقاً وآمن به وباليوم الآخر، وهو إبليس! ما كل إيمان ينجي صاحبه، هذه مشكلة كبيرة جداً، الإنسان يتوهم أنه مؤمن يقول: إيماني في قلبي، وإبليس مؤمن ! الإيمان المنجي الذي تنجو به من عذاب الدنيا والآخرة هو الإيمان الذي يحملك على طاعة الله، وكأن دائرة كبيرة كل من آمن أن لهذا الكون إلهاً عظيماً ضمن الدائرة، الذي أنكر وجود الله خارج الدائرة، لكن ضمنها هذه الدائرة دائرة ثانية أضيق منها فالذي حمله إيمانه على طاعة الله ضمن الدائرة الثانية، وفي مركز الدائرة الأنبياء.

الشيء الدقيق في هذه الندوة أن كل الإخوة المستمعين ينبغي أن يعلموا أن ما كل إيمان بالله كاف ومنجي لصاحبه، فإذا كان هناك مظاهر لضعف الإيمان معنى هو خارج دائرة الإيمان المنجي، فلمجرد أن يقع الإنسان في المعصية بسهولة دون تردد وقلق وخوف، فهذا أقوى مظهر من مظاهر ضعف الإيمان، ذلك أن المؤمن الصادق ذنبه كجبل جاسم على صدره بينما المنافق ذنبه كالذبابة، وكلما عظم الذنب عند الإنسان صغر عند الله، وكلما صغر الذنب عند الإنسان كبر عند الله بل إن النبي عليه الصلاة والسلام قال مما ورد في الأثر:

((لا صغيرة مع الإصرار))

أي الصغيرة إذا أصررنا عليها تنقلب إلى كبيرة، تصور أن مركبة تمشي في طريق عريضة لو أن قائد المركبة حرف المقود سنتيمتر واحد وثبت هذا الانحراف في النهاية في الوادي، الانحراف الطفيف لو ثبت لابد من انهيار وتدهور، أما تسعين درجة إذا عدلت فجأة لا شيء في ذلك !

لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار))

بل إن الله سبحانه وتعالى حينما قال:

(وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

(سورة الأنفال)

احتار علماء التفسير في هذه الآية، هذه الآية واضحة جداً، والنبي عليه الصلاة والسلام بين ظهراني أمته، لكن ما معنى هذه الآية بعد انتقال النبي إلى الرفيق الأعلى؟ قال علماء التفسير: ما دامت سنة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة في حياة المسلم في بيته وعمله وتعامله التجاري وحله وترحاله وأفراحه و أتراحه وزواجه وتزويج بناته، مادامت سنة النبي مطبقة في حياتنا فهذا الإنسان في مأمن من عذاب الله، لكن هناك من رحمة الله الشيء الكثير، ومادام يستغفر فهناك في بحبوحة ثانية.

(وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33))

حينما يقع الإنسان في المعصية بسهولة وبلا تردد، وحينما لا يتأثر بمعصيته، بل يتأثر بمصيبة أخرى، سيدنا عمر أصابته مصيبة فقال رضي الله عنه: الحمد لله ثلاثاً، الحمد لله إذ لم تكن في ديني، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها، والحمد لله إذ ألهمت الصبر عليها، فأما أن تكون المصيبة في الدين فذلك الذي يعصي الله عز وجل.

المذيع: سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ضرب لنا مثلاً بالنسبة لشعور المرء بذنوبه ومعاصيه، المنافق يشعر بأنها كالذباب !

الأستاذ: لكن المؤمن يشعر بمعاصيه كالجبل، وهناك مظهر آخر من مظاهر ضعف الإيمان هو قسوة القلب، لا يتأثر ! الله رحيم منبع الرحمة، وما من إنسان يتصل بالله عز وجل إلا ويشتق منه الرحمة فإن لم يكن في القلب رحمة هذا دليل البعد عن الله عز وجل، لذلك يقول الله عز وجل:

(فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

(سورة الزمر)

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)

(سورة البقرة)

القلب القاسي دليل البعد عن الله ودليل الانقطاع عن الله، وما من إنسان يتصل بالله عز وجل إلا ويشتق منه الرحمة، وقد قال الله عز وجل في الحديث القدسي:

((عبادي ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، وإذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي))

والراحمون يرحمهم الله، ونحن حينما لا نتراحم يتخلى الله عنا، يحبنا إذا كنا نتراحم وننصف بعضنا بعضاً، المظهر الثالث من مظاهر ضعف الإيمان عدم إتقان العبادات، هذه العبادة تمثل واجباً مقدساً تجاه خالق الأكوان، فإذا أديت أداءً شكلياً والقلب ساه ولاه يقول الله عز وجل في الحديث القدسي:

((ليس كل مصل يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتي وأطعم الجائع وكسا العريان ورحم المصاب وآوى الغريب كل ذلك لي وعزتي وجلالي إن نور وجهه لضوء عندي من نور الشمس، على أن أجعل الجهالة له حلماً والظلمة نوراً يدعوني فألبيه يسألني فأعطيه يسقم علي فأبره أكلؤه بقربي وأستحلفه ملائكتي، مثله عندي كمثل الفردوس لا يمس ثمرها ولا يتغير حالها))

حينما تؤدى العبادات أداء شكلياً لا نقطف ثمارها أبداً !

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ قَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))

(مسند الإمام أحمد)

قسوة القلب من مظاهر ضعف الإيمان وأداء العبادة أداء شكلياً من مظاهر ضعف الإيمان.

المذيع: تماماً عندما يعطي المعلم تلاميذه واجباً للبيت، يكتبها بدون أن يشعر التلميذ ماذا كتب، يشعر أنه قام بتأدية واجبه، إنما المقصود أن يحفظ ويتعلم أن يستفيد مما يكتب، هذا يستفيد يصل لثمرة ونتيجة، وذاك لا يستفيد حتى ولو كتب عشرات المرات.

الأستاذ: لو دعيت لطعام ولم تجد على المائدة إلا صحون فارغة تمل من حضور هذه الدعوة، وقد لا تعيدها، أما لو أكلت طعاماً نفيساً....

((عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ قَالَ رَجُلٌ قَالَ مِسْعَرٌ أُرَاهُ مِنْ خُزَاعَةَ لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا))

(سنن أبي داود)

لكن لسان حال معظم المسلمين المقصرين ضعاف النفوس أرحنا منها، والفرق كبير بين أداء الواجب وبين الحب، أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني، والمظهر الرابع من مظاهر ضعف الإيمان الحقيقة أن الإنسان حينما يعلم علة وجوده في الأرض، لو تصورنا طالباً سافر لبلد غربي ليدرس، وسألناه ما على وجودك ؟ الدراسة، أي شيء يقربه من وجوده هو الطاعة، وأي شيء يبعده عن هدفه، لو اتخذ صديقاً يتقن اللغة ليتعلم منه الحوار، فاتخاذ هذا الصديق صديقاً والتعلم منه ضمن مهمته الأساسية، أما لو ذهب لملهى، الذهاب إلى الملهى لا علاقة له بسر وجوده في هذا البلد ! فنحن حينما نعرف لماذا خلقنا، قال تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56))

(سورة الذاريات)

فحينما تكون العبادة علة وجودنا أي شيء يبعدنا عن تحقيق علة وجودنا فهو المعصية، وأي شيء يقربنا من علة وجودنا فهو الطاعة، فالإنسان المؤن حينما يقوى إيمانه وعرض عليه عمل صالح لأن علة وجوده هو العمل الصالح، الإنسان في الأساس مخلوق للجنة، والجنة ثمنها في الدنيا.

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ)

(سورة الزمر)

عندما يكون لدى الطبيب مائة مريض، وأجره كبير جداً ودخله فلكي، هذا كله بسبب سنوات الجامعة التي درس فيها وتفوق، فيقول: الحمد لله الذي وفقني في هذه الدراسة، فالدراسة هي السبب في الدخل الكبير تقريباً ! والذي في الجنة يعلم علم اليقين أن مجيئه إلى الدنيا واستقامته على أمر الله وعمله الصالح هو سبب هذه الجنة.

المؤمن الصادق حينما يعرض له عمل صالح من زيارة أخ في الله من عيادة مريض من معاونة فقير من تفقد أرملة من عمل يرضي الله يتفانى في هذا العمل، وأنا أقول دائماً الإنسان إذا عرف الآمر ثم عرف الأمر تفانى في طاعة الآمر، أما إذا عرف الأمر ولم يعرف الآمر تفنن في التفلت من الأمر، حينما لا يستجيب الإنسان لعمل صالح لدفع مال لإنقاذ إنسان مواساة مخلوق بردع صدع بجمع شمل بخدمة إنسان أو مسح كآبة من وجه طفل يحتاج إلى مساعدة، فالإنسان المؤمن ديدنه العمل الصالح،

وأقوى دليل على ذلك: أن الإنسان حينما يأتيه ملك الموت يقول: ربي ارجعوني لعلي أعمل صالحاً، لأن علة وجوده بعد إيمانه العمل الصالح، قال تعالى:

(وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)

(سورة فاطر)

بل إن حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح.

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)

(سورة الأنعام)

نتفاوت جميعاً بالأعمال الصالحة، الفقير إن كان فقير العمل الصالح، وغني إن كان غني العمل الصالح، يؤكد هذا قول الله عز وجل حينما حدثنا عن قصة سيدنا موسى:

(فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24))

(سورة القصص)

المذيع: والحديث الذي جئت به عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث المفلس، من جاء بعمل صالح فهو الغني.

الأستاذ: شيء آخر: ضيق الصدر إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه، لكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين، الحقيقة الدقيقة الصارخة: أنه ما من مخلوق على وجه الأرض يعرض عن ذكر الله إلا له عند الله معيشة ضنك، قال تعالى:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124))

(سورة طه)

فلذلك الكآبة تأتي من المعصية، لأن الإسلام دين الفطرة، أنت حينما تتعرف إلى الله وتنساق إلى منهجه تستقر نفسك وتتوازن وتشعر براحة ما بعدها من راحة، لكن حينما يخرج الإنسان عن منهج ربه ومبادئ فطرته بالوقت نفسه لأن الله عز وجل يقول في الحديث عن الفطرة:

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)

(سورة الروم)

فالإنسان مبرمج بالتعبير الحديث أو مولف أو مجبول أو مفطور على طاعة الله، فإن عصاه اختل توازنه، سمعت أن فندق في ألمانيا مكتوب في زاوية السرير إن تقلبت طوال الليل فليس في أثاثنا مشكلة، المشكلة في ذنوبك، الذي يستقيم على أمر الله ينام قرير العين، أما الذي يبني مجده على أنقاض الآخرين، يبني حياته على موتهم كما نسمع ونرى في العالم الغربي وإسرائيل، ومن يبني أمنه على إخافة الآخرين، ويبني غناه على فقر الآخرين هذا وقع في الشقاء النفسي لذلك:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7))

(سورة الشمس)

كيف سوّى الله هذه النفس ؟ قال:

(فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8))

(سورة الشمس)

لا يمكن أن نفهم الآية على أن الله خلق فيها الفجور، لكن نفهمها قطعاً على أن في هذه النفس مبرمجة برمجة راقية جداً بحيث أنها إذا فجرت تعلم ذاتياً أنها فاجرة، كيف الآن الآلات العالية جداً فيها كمبيوتر، فإذا وجد خطأ بالمحرك يظهر على الشاشة، فالنفس الإنسانية مبرمجة برمجة عالية جداً بحيث إن اتقت تعلم أنها اتقت، وإن انحرفت تعلم أنها انحرفت.

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8))

والإنسان لا ترتاح نفسه إلا إذا أطاع الله، وحينما يتوب الإنسان إلى الله عز وجل يشعر أن جبالاً أزحيت عن كاهله، يشعر بخفة وراحة ما بعدهما خفة وراحة، فضيق الصدر مظهر من مظاهر ضعف الإيمان.

المذيع: حبذا لو هناك تعداد مظاهر كثيرة، فالوقت يدركنا فنرجو ذكرها ثم نشرح ما يتيسر لنا.

الأستاذ: الحقيقة القرآن:

(لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)

(سورة الحشر)

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)

(سورة الإسراء)

فالإنسان إذا قرأ القرآن ولم يتأثر إطلاقاً، هناك مشكلة كبيرة عنده، إذا لم يتأثر بذكر الله ولا بقراء القرآن ولا بالصلاة فهناك خلل خطير في قلبه.

المذيع: يخشى أن يكون من الظالمين لأنه

(وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً (82))

(سورة الإسراء)

الأستاذ: لذلك قال سيدنا عمر: تعاهد قلبك انتبه الغرب كله يعتني بالجسد، بينما الدين بالقلب، والدليل:

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89))

(سورة الشعراء)

من هذه المظاهر الغفلة عن ذكر الله، والحقيقة الإنسان الغافل واقع في سبب كبير للهلاك، الغافل عما سيكون بعد حين.

أذكر قصة رمزية: صيادان مرّا على غدير رأيا فيه ثلاث سمكات كيسة وأكيس منها وعاجزة، فتوعدا أن يرجعا ومعهما شباكهما ليصيدا ما في من السمك، فسمع السمكات قولهما: أما أكيسهن لم تكن غافلة

فإنها ارتابت وتخوفت وقالت العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها، ثم لم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل منه الماء من النهر إلى الغدير فنجت ! هذا الذكاء والعقل والكيس ! أما الثانية الأقل عقلاً وذكاءً بقيت في مكانها حتى عاد الصيادان هذا الإهمال والتقصير والتسويف والإرجاء، وغداً أتوب وبعد الزاج أتوب وبعد العمل أتوب وبعد انتهاء الصيف أتوب، هذا كله من التسويف، وقد ورد في الأثر: أنه هلك المسوفون، فذهبت لتخرج من حيث خرجت رفيقتها فإذا بالمكان قد سد فقالت: والرب هذه عاقبة التفريط ! غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي، ثم إنها تماوتت، فطفت على وجه الماء، فأخذها الصياد ووضعها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت في النهر فنجت ! وأما الثالثة فلم تزل في إقبال و إدبار حتى صيدت !

أنا أرى أن الإنسان العاقل يعيش مستقبله، والأقل عقلاً يعيش حاضره، والغبي يعيش ماضيه، عدم التأثر والغفلة عن الله عز وجل من مظاهر ضعف الإيمان.

ومن هذه المظاهر عدم الغضب إذا انتهكت حرمات الله عز وجل لا يوجد نخوة ولا غيرة على الدين، الإنسان حينما يرى الإنسان الآخر يعصي ويتحدى الإله، ويتكلم كلام لا يليق بأن يقوله إنسان ويسكت هذا عنده ضعف في إيمانه لأنك تغار إذا سبّ أحد أباك، ولا تحتمل، فكيف إذا سبّ أحد خالق الأكوان ! أو تحداه أو تكلم بكلام لا يحتمل ؟ فالذي لا يتأثر ولا يتحرك....

لذلك أرسل الله الملائكة لإهلاك قرية قالوا: يا رب إن فيها صالحاً ! قال: به فابدؤوا ! قالوا: ولما يا رب إنه صالح ؟ قال: إنه كان لا يتمعر وجهه إذا رأى منكراً، نحن نرى في الجامعة العربية مكتوب: **كنتم خير أمة أخرجت للناس** كلام جميل آية قرآنية، هذه الخيرية لها علة !

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)

(سورة آل عمران)

علة هذه الخيرية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لمجرد أن هذه الأمة تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقدت خيريتها، وأصبحت أمة كأية أمة لا شأن لها عند الله، من هنا قسم العلماء أمة محمد عليه الصلاة والسلام إلى أمتين أمة الاستجابة وأمة التبليغ، فعدم التأثر لانتهاك حرمات الله هذا مما يؤكد ضعف الإيمان في الإنسان، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا في ندوة قادمة إلى شرح أسباب ضعف الإيمان.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 09 : من ثمار الإيمان : البعوضة - الأرض - السكينة - التعاون.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2002-11-16

بسم الله الرحمن الرحيم

البعوضة.

المذيع: أتعرف على الله عز وجل من خلال آياته ونعمه، آيات الله سبحانه وتعالى لا تعد ولا تحصى، والله عز وجل يتجلى في كل شيء، ولكما عرف الإسلام ربه كلما ازداد سعادة وازداد في كل شيء، كيف نتحدث فضيلة الشيخ عن آلاء الله وآياته في الآفاق وفي النفس ؟

الأستاذ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أستاذ جمال جزاكم الله خيراً.

معروفة الله أصل في الدين لأنك إن عرفت الله أو عرفت الآمر تفانيت في طاعته، أما إن عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر، السؤال الآن: الذي يقتضيه هذا الموضوع كيف نعرف الله؟

الله عز وجل كما أخبر عن ذاته لا تدركه الأبصار، ولكن الكون كله ينطق بوجوده ووحدانيته وكماله، بل إن الكون كله مظهر لأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى، وفي القرآن الكريم ألف وثلاثمائة آية تتحدث عن الكون وعن خلق السماوات والأرض، وعن خلق الإنسان والحيوان والنبات، هذه الآيات التي في القرآن الكريم هي في الحقيقة رؤوس موضوعات للتفكر، وحينما نعرف الله عز وجل نتفانى في طاعته، لكن مشكلة المسلمين اليوم أنهم أتقنوا معرفة الأمر، ولم يطبقوا الأمر، لأن معرفتهم بالآمر ضعيفة جداً، كأن هذه المرحلة المكية في حياة المسلمين أغفلت الآن، هناك مرحلة مدنية فيها التسريع، وهناك مرحلة مكية فيها تعريف الإنسان بالله عز وجل.

مثلاً: لو أن الله سبحانه وتعالى يقول:

(إِنّ اللّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً)

(سورة البقرة)

من منا لا يعرف البعوضة ؟ هل من مخلوق أهون على الإنسان من البعوضة ؟

((عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهم عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَوْ كَانَتِ الدّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ))

(سنن الترمذي)

هذه البعوضة على هوال شأنها عند الإنسان، ضربها الله مثلاً لعظمته وقدرته وصنعته فقال:

(إِنّ اللّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

العلماء يقولون: إن وجزن البعوضة يساوي ميلي غرام، واحد على ألف من الغرام ! وهذه التي تلدغ الإنسان أنثى، من منا يستطيع أن يفرق بين الأنثى والذكر ؟ لكن علماء الحشرات يفرقون بالمجاهر العملاقة، والدليل أن الله عز وجل يقول:

(بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

هي أنثى ! أستاذ جمال - البعوضة في وجهها مائة عين، وفي فمها ثمانية وأربعون سناً، ولها ثلاثى قلوب قلب مركزي وقلبين لكل جناح، وفي كل قلب أذينان وبطينان ودسامان، والشيء الذي لا يصدق في البعوضة أنها تملك مستقبلات ضوئية أي أنها ترى ما حولها لا بشكله الحقيقي أو حجمه ولكن بحرارته أي أنها تستخدم الأشعة تحت الحمراء، وأن هذه المستقبلات الضوئية الحرارية يمكن أن تتحسس بواحد من الألف من الدرجة المئوية، وكأن هذه المستقبلات الضوئية الحرارية رادار، فإن كانت في غرفة مظلمة وفيها إنسان نائم تتجه إليه مباشرة بحسب حرارته، اتجهت إليه ماكل دم يناسبها، عندها جهاز لفحص الدم فإذا وقعت على جبين إنسان دمه يناسبها لابد من أن تخدره معها جهاز تخدير، ولابد من أن تميع دمه لأن دمه لا يسري في خرطومها الدقيق، معها جهاز رادار أو مستقبلات حرارية وضوئية وجهاز فحص للدم ماكل دم يناسبها وجهاز تخدير، ثم إنها تملك جهاز تمييع حتى يسري الدم في خرطومها، وما خرطومها ؟ خرطومها لا يصدق ! فيه ست سكاكين أربع سكاكين تحدث جرعاً عميقاً لابد من أن يصل إلى الدم وسكينان يشكلان مع بعضهما أنبوباً لمص الدم، البعوضة تملك محاجم إذا وقفت على سطح أملس، والمحجم يعتمد على الضغط وتفريغ الهواء وتملك مخالب إذا وقفت على سطح خشن، والبعوضة يمكن أن تشم رائحة عرق الإنسان من ستن كيلو متر، والبعوضة يرف جناحاها ستين رفة في الثانية.

(إِنّ اللّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

هذه الآية هي آية كونة قرآنية، هي رأس موضوع كي نتعرف إلى الله من خلالها.

مثل آخر: لو انتقلنا إلى السماوات الأرض تبعد عن الشمس مائة وست وخمسين كيلو متر، يقطعها الضوء في ثماني دقائق، والشمس تكبر الأرض بمليون وخمسمائة ألف مرة، أي أن جوف الشمس يتسع لمليون وثلاثمائة ألف أرض، ولو ألقيت الأرض في جوف الشمس لتبخرت في ثانية واحدة، لأن جوف الشمس تصل الحرارة فيه لعشرين درجة، أما السطح ستة آلاف بين الأرض والشمس مائة وستة وخمسين مليون كيلو متر، والشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، نجمد هذا الموضوع قليلاً.

ولننتقل لبرج في السماء اسمه العقرب، فيه نجم صغير أحمر اللون، هذا النجم الصغير يسميه علم الفلك قلب العقرب هذا النجم ببساطة يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما.

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

(سورة يونس)

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

(سورة فصلت)

الأرض مرتبطة بالشمس، بقوى التجاذب، والأرض تسير في مسار إهللجي حول الشمس وبهذا المسار قطر أعظم وقطر أصغر، فإن وصلت الأرض للقطر الأصغر اقتربت المسافة بينها وبين الشمس، الشمس فيها قوة جذب، يمكن أن تنجذب الأرض للشمس فتنتهي، لابد في هذه المنطقة الحرجة من أن تزيد من سرعتها، حتى ينش من هذه السرعة قوة نابذة تكافسئ القوة الجاذبة، فتبقى في مسارها، أما إذا بلغت القطر الأعظم تضعف الجاذبية فيمكن أن تتفلت من مسارها حول الشمس، فتنخفض سرعتها، حتى ينشأ قوة نابذة قليلة تبقيها منجذبة للشمس، من رفع سرعتها ؟ ومن خفض سرعتها في المكان والوقت المناسب؟.

فقد قال العلماء: لو أن ازدياد سرعتها وتبطئ سرعتها كانا بتسارع وتباطؤ شديدين لانهدم كل ما على الأرض، لكن التسارع بطيء والتباطؤ بطيء، تماماً كما لو وضعت علباً في مركبة وأقلعت بها إقلاعاً عنيفاً، فهذه العلب تقع، أما غن أقلعت بها إقلاعاً متدرجاً فهذه العلب تبقى في مكانها.

لو تصورنا أن الأرض تفلتت من جاذبية الشمس مالذي يرجعه إليها ؟ قال العلماء افتراضاً: مليون مليون حبل فولاذي قطر كل حبل خمس أمتار، وكل حبل يقاوم قوة شد تساوي مليوني طن، معنى ذلك أن الأرض مرتبطة بالشمس بقوة تساوي مليوني طن ضرب مليون مليون ! هذه القوة الهائلة التي ترتبط بها الأرض بالشمس كي تبقى في مسارها حول الشمس تحرفها ثلاثة ميليمتر في الثانية الواحدة، ولولا هذا البقاء لانتهت الحياة من على سطح الأرض، الله عز وجل يقول:

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)

(سورة الرعد)

قال علماء التفسير: أي بعمد لا ترونها، فكأن الأرض مرتبطة بالشمس بمليون مليون حبل فولاذي قطر كل حبل خمس أمتار يتحمل من قوى الشد ما يساوي مليوني طن، لو زرعنا هذه الحبال على السطح المواجه للشمس، لكنا أمام غابة من الحبال، بين كل حبلين مسافة حبل واحد، فتستحيل الزراعة والصناعة والبناء والطرقات والمواصلات وانتهى كل شيء !

المذيع: في الواقع لا يسعنا أيها الأعزاء إلا أن نشكر فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، وخطيب جامع النابلسي بدمشق، الذي تحدث لنا عن آيات الله في الآفاق وفي النفس، نشكركم دكتور وإلى اللقاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأستاذ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

السكينة.

المذيع: متابعينا الكرام - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - أهلاً بكم ومرحباً إلى حلقة جديدة من ثمار الإيمان.

أيها الأعزاء: يسعدنا في هذه الحلقة أن نستضيف فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، وخطيب جامع النابلسي في دمشق، فضيلة الشيخ: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الأستاذ: وعليكم السلام ورحمة الله.

المذيع: فضيلة الشيخ الحياة الرديدة السعيدة التي ينشدها الإنسان تحتاج إلى الإيمان، هذا الإيمان الذي إن سكن القلب جعله سعيداً في حياته قبل الانتقال لجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، في هذا اليوم فضيلة الشيخ موضوع السكينة، أحببنا أن نتناوله بشيء من الإيضاح والتعمق في مفهومه، كيف نتحدث عن هذا الموضوع.

الأستاذ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أستاذ جمال هناك مقولة رائعة هي: أن الله يعطي القوة والذكاء والجمال والمال للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين، فلعل السكينة هي أثمن ثمار الإيمان ! إن هذه السكينة وردت في القرآن الكريم في عدة آيات وردت في قوله تعالى:

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (4))

(سورة الفتح)

وفي آية ثانية:

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً (18))

(سورة الفتح)

لا سعادة بلا سكينة، ولا سكينة بلا إيمان، فالسكينة هي الغاية المثلى للحياة الرشيدة، فلا سعادة بلا سكينة، وهذه السكينة تزدهر بغير عون من المال، بل بغير مدد من الصحة، يسعد بها الإنسان ولو فقد كل شيء، ويشقى بفقدها و لو ملك كل شيء، هذه السكينة ليست ملك أحد كي يمسكها أويرسلها، ولكنها في متناول كل واحد من البشر إذا دفع ثمنها، ما من نعمة تحجب معها السكينة إلا وتنقلب بذاتها لنقمة، وما من محنة تحفها السكينة إلا وتكون هي بذاتها نعمة، ينام الإنسان على الشوك مع السكينة فإذا هو مهاد وثير، وينام على الحرير وقد أمسكت عنه السكينة فإذا هو شوك القتل، يعالج المرء أشد الأمور ومعه السكينة فإذا هي هوادة ويسر، ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت عنه السكينة فإذا هي مشقة وعسر، يخوض المخاوف والأخطار ومعه السكينة فإذا هي أمن وسلام.

ويعبر المناهج والسبل وقد أمسكت عنه السكينة فإذا هي مهلكة، هذه السكينة لا تعز على طالب كائناً من كان، و في أي مكان وزمان، وفي أي محال ومآل، وجدها إبراهيم عليه السلام في النار، ووجدها يوسف عليه السلام في الجب، كما وجدها في السجن، وجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت، في ظلمات ثلاث، وجدها موسى عليه السلام في اليم وهو طفل مجرد من كل قوة وحراسة، ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حين فقدوها في الدور والقصور، وجدها نبينا عليه الصلاة والسلام وصاحبه في الغار والأعداء يتعقبونه ويقصون الآثار، ويجدها كل مؤمن آوى لربه يائساً ممن سواه، قاصداً بابه وحده من دون كل الأبواب،يبسط الله الرزق مع السكينة فإذا هو متاع طيب، ورخاء وفير، وإذا هو رغد في الدنيا وزاد إلى الآخرة، ويمسك السكينة مع الرزق فإذا هو مسار قلق وخوف ومسار حسد وبغض وقد يكون معه الحرمان ببخل أو مرض، وقد يكون معه التلف بإفراط واستهتار يمنح الله الذرية مع السكينة فإذا هي زينة الحياة الدنيا، ومصدر فرح واستمتاع ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح، ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء وعنت وشقاء وسهر بالليل وتعب بالنهار، يهب الله الصحة والعافية مع السكينة فإذا هي نعمة وحياة طيبة، ويمسك سكينته فإذا الصحة والعافية بلاء يسلطه الله على الصحيح المعافى، فينفق الصحة والعافية فيما يحطم الجسم ويفسد الروح ويذخر السوء إلى يوم السحاب، ويعيط الله الجاه والقوة مع السكينة فإذا هي أداة إصلاح ومصدر أمن ووسيلة إدخار الطيب الصالح من العمل للآخرة، ويمسك سكينته فإذا الجاه والقوة مصدر للقلق على فوته ومصدر للطغيان والبغي ومصدر للحقد والكراهية، لا يقر لصاحبها قرار، ويذخر بها للآخرة رصيداً ضخماً إلى النار.

المذيع: فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي هذا الكلام الرائع والجميل خلال وحي الله عز وجل والتوجيه الكريم، هذه السكينة التي اشتقنا لنعرف كيف يمكن للإنسان أن تكون في قلبه، كيف يمكن أن يحصل على كلمة السكينة قولاً وفعلاً ؟

الأستاذ: الحقيقة أن الله عز وجل حينما قال:

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28))

(سورة الرعد)

لم يقل تطمئن القلوب بذكر الله، لو قال هكذا: لكانت تطمئن بذكر الله وبغير ذكره، أما حينما جاء التركيب قسرياً يحدد مفهومه بدقة بالغة فيه حصر وقصر.

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28))

أي لا تطمئن القلوب إلا بذكر الله، بدليل قوله تعالى:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124))

(سورة طه)

أحد أسباب الشقاء البشري الإعراض عن ذكر الله، وهناك أمراض لا تعد ولا تحصى ليست أمراضاً بل هي أعراض الإعراض، ولكن كيف السبيل إليها إذا كانت شيئاً لا يثمره الذكاء ولا العلم ولا الصحة ولا القوة ولا المال ولا الغنى ولا الشهرة ولا الجاه وذلك من نعم الحياة المادية، للسكينة مصدراً واحداً لا مصدر ثاني له هو الإيمان بالله واليوم الآخر، الإيمان الصادق العميق الذي لا يكدّره شك، ولا يفسده نفاق، والعمل بمقتضى هذا الإيمان، هذا ما يشهد به واقع الحال وما يؤيده التاريخ الحافل وما يلمسه كل إنسان بصبر منصف من نفسه وفي من حوله.

لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقاً واضطراباً وضيقاً وشعوراً بالتفاهة والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين، حياتهم لا طعم ولا مذاق لها وإن حفلت باللذائذ والمرفهات، إنهم لا يدركون لها معنى، ولا يعرفون لها هدفاً ولا يفقهون لها سراً، ثمرة من ثمار دوحة الإيمان، وشجرة التوحيد الطيبة التي تأتي أكلها كل حين بإذن ربها.

السكينة كما سألتموني هي نفحة من السماء ينزلها الله على قلوب المؤمنين من أهل الأرض ليثبتوا إذا اضطرب الناس، وليرضوا إذا سخط الناس، وليوقنوا إذا شك الناس، ويصبروا إذا جزع الناس وليحلموا إذا طاف الناس هذه السكينة نور من الله وروح منه، يسكن إليها الخائف ويطمئن عندها القلق، ويتسلى بها الحزين ويستريح بها المتعب، يوقى بها الضعيف، ويهتدي بها الحيران، هذه السكينة نافذة على الجنة يفتحها الله للمؤمنين من عباده، منها تهب عليهم نسماتها وتشرق عليهم أنوارها، ويفوح شذاها وعطرها ليذيقهم بعض ما قدموا من خير، ويريهم نموذجاً لما ينتظرهم من نعيم، فينعم من هذه النسمات بالروح والريحان والأمن والإيمان، في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، إنها جنة القرب والسكينة، قال تعالى:

(وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنّةَ عَرّفَهَا لَهُمْ (6))

(سورة محمد)

أي ذاقوا طعمها في الدنيا، أسباب السكينة لدى المؤمن أولها أنه هدي لفطرته التي فطره الله عليها وهي فطرة ملتصقة ومنسجمة ومتجاوبة مع فطرة الوجود الكبير كله، فعاش المؤمن مع فطرته في سلام ووئام لا في حرب وخصام ومع من حوله، في شفافية ومشاركة لا في وحشية وعدالة، ذلك لأن في القلب شعثاً لايلومها إلا الإقبال على الله، وفي القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيها حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله وفي القلب فاقة لا تسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص.

المذيع: فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي السر هو الإقبال على الله عز وجل، هذا هو بيت القصيد.

الأستاذ: هذا هو سبب السكينة الوحيد.

المذيع: لا يسعنا في ختام هذا اللقاء في الواقع إلا أن نشكر فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، والمدرس الديني في مساجد مشق، نشكركم فضيلة الشيخ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأستاذ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعاون.

المذيع: أيها الإخوة والأخوات: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - أهلاً بكم ومرحباً ندعوكم لمتابعة هذه الحلقة الجديدة من ثمار الإيمان، ليلة طيبة ولقاء مبارك مع فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، وخطيب جامع النابلسي في دمشق، فضيلة الشيخ: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الأستاذ: وعليكم السلام ورحمة الله.

المذيع: فضيلة الشيخ دائماً نتحدث عن ثمار الإيمان، وعندما نتناول موضوعاً من هذه الموضوعات نتحدث عن التعاون قال تعالى في كتابه العزيز:

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)

(سورة المائدة)

التعاون كيف ومن أين نبدأ ؟

الأستاذ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أستاذ جمال جزاكم الله خيراً.

الحقيقة أن التعاون أمر إلهي، وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، وفي السنة الصحيحة أيضاً توجيهات نبوية تدعونا إلى التعاون، وليس الدين كما يتوهم المتوهمون عبادات شعائرية فحسب، بل إن الدين هو الحياة كما أرادها الله عز وجل، صلاح الدين وصلاح الدنيا وصلاح الآخرة، ففي الإنسان نزعة فردية تنطلق من حبه لوجوده، ومن حبه لسلامة وجوده وكمال وجوده ولاستمرار وجوده، وفيه أيضاً نزعة اجتماعية تنطلق أيضاً من نزعته الفردية، لن كثيراً من مطالب الحياة وحاجات الجسد، والنفس والفكر لا تتم إلا عن طريق الجماعة كالأنس بالجماعة والشعور بالأمن والطمأنينة والتماس نصرتها والتقوى بها وتحقيق الحاجات الإنسانية ومصالحه من خلالها.

لكن النزعة الجماعية التي تنطلق من طاعة الله عز وجل والتقرب إليه وراء أكثر الفضائل الخلقية، فما من فضيلة يصل نفعها وخيرها للآخرين إلا وفيها عنصر التخلي عن الألم، وفيها نوع من التضحية في سبيل المجموع كوسيلة لنيل رضوان الله تعالى، والرذائل الخلقية تنبع من فردية الإنسان ومن تفلته من منهج الواحد الديان، والفضائل الخلقية تنبع من انصياعه لفضائل ربه والتقرب إليه بخدمة عباده.

أستاذ جمال: جزاكم الله خيراً الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أعطوا كل شيء ولم يأخذوا من الجماعة شيء، والذين على نقيضهم أخذوا من الجماعة كل شيء ولم يعطوا شيء، والذين هم بين بين أخذوا وأعطوا، الأنبياء ملكوا القلوب بكمالهم وغيرهم ملكوا الرقاب بقوتهم.

المذيع: فضيلة الشيخ محمد راتب كمال الأعمال العظيمة تتحقق عن طريق التعاون والعمل الجماعي، كيف نسلط الضوء على هذا الجانب ؟

الأستاذ: لأن الإنسان كائن اجتماعي، فكل كمالاته ينبغي أن تكون جماعية، فإن جلاء الأعمال الكبرى لا تتحقق إلا عن طريق العمل الجماعي المتعاون بخلاف العمل الفردي الذي لايثمر إلا أعمالاً تتناسب مع طاقات الأفراد شدة وضعفاً، والنزعة الفردية تنمو معها رغبة قبيحة بتهديم أعمال الآخرين ! حرصاً على التفرد بنيل التقضير بين الناس، ومع هذه الرغبة القبيحة تتبدد الأعمال الفردية نفسها، أو تضيع ثمراتها، فتحرم الإنسانية ثمرات الأعمال الجماعية وكثيراً من ثمرات الأعمال الفردية.

إن القوة الانفرادية مع القوة الانفرادية مجتمعتين تساويان أكثر منهما متفرقتين، لأن عوامل الوهم والخوف والتخاذل تتسرب إلى الأفراد وتمتنع منها الجماعة.

المذيع: هل من دليل لقول الله عز وجل ؟

الأستاذ: الدليل هو قوله تعالى في كتابه العزيز وهذه الآية أصل في التعاون، قال تعالى:

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)

ذلك لأن الإنسان خليفة الله في الأرض، ولأنه مكلف أن يعمرها بكل ما هو خير ونافع، ليكون هذا الإعمار سبباً لسعادته الأبدية في الجنة، ولأن مشيئة الله شاءت أن يتمكن الإنسان لإتقان شيء بينما هو بحاجة إلى كل شيء.

إذاً كان التعاون ضرورة إيمانية وضرورة حياتية، والتعاون حيادي ومطلق، فيمكن أن يكون في الخير صلاح الدنيا وصلاح الآخرة، كما يمكن أن يكون في الشر في الإثم والعدوان، لذلك جاء الأمر الألهي مخصصاً وهو التقوى والبر كما قال المفسرون صلاح الدنيا، والتقوى صلاح الآخرة، وتأكيداً لهذا التخصيص جاء النهي عن النقيض، فقال تعالى:

(وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)

فكل من شارك في خير البشرية في دينها ودنياها مخلصاً لله عز وجل، وله نصيب من هذا الخير يناله في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً، وكل من شارك في عمل آثم يبعد الإنسان عن خالقه أو عمل عدواني في إيذاء لأخيه الإنسان يناله العقاب في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً، وهذا معنى قوله تعالى في التعقيب على الأمر:

(وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2))

المذيع: وهنا دكتور محمد راتب النابلسي يتعمق من خلال كلامكم موضوع التعاون وهناك الاعتصام بحبل الله عز وجل، كيف نطل على هذا الموضوع ؟

الأستاذ: الحقيقة يوجد آية دقيق جداً تتصل اتصالاً وثيقاً بموضوعنا، التعاون ينبغي أن يكون على شيء، أما تعاون من دون محور لا يجدي ولا يثمر، من هنا قال الله عز وجل:

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103))

(سورة آل عمران)

أستاذ جمال في هذه الآية الكريمة يأمرنا الله جل جلاله أن نعتصم بحبله ونحن مجتمعون غير متفرقين، وأصل الاعتصام اللجوء إلى حبل الله وكتابه وسنة رسوله للاعتصام به، وهذا يستلزم التمسك به والقبض عليه بشدة، حتى يظفر المؤمنون باعتصامهم هذا بالنجاة من الهلاك والاعتصام بحبل الله لا يجدي أن يكون اعتصاماً فردياً، بل لابد من أن يكون اعتصاماً جماعياً لذلك قال الله تعالى:

(وَاعْتَصِمُوا)

لم يقل واعتصم وأكد ذلك بالنهي عن التفرق، فقال تعالى:

(وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)

ثم أجرى الله جل جلاله في هذا النص موازنة بينما كانت عليه الأمة العربية في جاهليتها قبل الإسلام، وما تحولت إليه بالإسلام الذي كان نعمة سيقت من الله إليهم.

(وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103))

أي أن الأمة العربية قبل الإسلام كانت مجزأة ومتفرقة ومتعادية فيما بينها، وكانت على شفا حفرة من النار بالشرك والظلم والعدوان، فأصبح تجزئها وحدة وتفرقها اجتماعاً وعداوتها محبة فقد ألف الله بين قلوب أفرادها وجماعاتها بالإسلام فأصبحوا بنعمة الله إخوانا، يؤكد هذا المعنى دليل في قوله تعالى:

(وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63))

(سورة الأنفال)

المذيع: كان الإسلام وما زال هو المنقذ لوحدة الأمة وقوتها لومجدها وتعاونها، الحديث يجمل ويحلو في هذا اللقاء الطيب.

الأستاذ: الحقيقة هناك استنباط تحتاجه الأمة العربية والإسلامية وهو أنه ما كان سبب إنقاذ الأمة فيما مضى ووحدتها وقوتها ومجدها يظل هو السبب أبد الدهر لإنقاذها ووحدتها وقوتها.

وكما قال عليه الصلاة والسلام:

((لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها))

(ورد في الأثر)

الأستاذ: الإسلام في حقيقته رد النفس الإنسانية إلى فطرتها الخيرة من التعاون والتناصر والتحابب ونهي عن التفاخر والتباغض، وسوّى بين المسلمين وجعلهم إخوة متحابين، فأصبح المسلمون أمة متعاونة على الخير لا يفرق بين أفرادها لون ولا جنس ولا لإقليم ولا مال، فجاء التوجيه الإلهي يدفع المسلمين إلى هذا السلوك الرفيع، فقال تعالى:

(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71))

(سورة التوبة)

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 10: من ثمار الإيمان : العين - استمرار الطاعة بعد رمضان

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-11-2002

بسم الله الرحمن الرحيم

العين.

المذيع: فضيلة الشيخ الله عز وجل يقول:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21))

(سورة الذاريات)

حبذ في هذه الليلة المباركة أن نعرّج وبشكل عميق تقريباً حول آيات الله عز وجل، وبديع صنعه في خلق الإنسان.

الأستاذ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أستاذ جمال جزاكم الله خيراً.

كما تفضلت في قوله تعالى:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21))

أنا أقول دائماً أن آيات الله في الآفاق وفي النفس أقصر طريق إلى الله وأوسع باب ندخل منه على الله، والأصل في التفكر في خلق السماوات والأرض أن الله سبحانه وتعالى يقول:

(إِنّ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللّيْلِ وَالنّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكّرُونَ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النّارِ(191))

(سورة آل عمران)

يتفكرون ! فعل مضارع يفيد الاستمرار، الله عز وجل يخاطب هذا الإنسان الشارد يقول:

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8))

(سورة البلد)

هذه العين وحدها من أعظم الآيات الدالة على عظمة الله ! أولاً فيها ماء، ماء العين ثابت عند العلماء، لكن لو أن إنساناً سافر لبلاد الشمال حيث الحرارة سبعون تحت الصفر، يضع على رأسه قبعة من الصوف، ويرتدي ثياباً ثخينة، ويضع على يديه قفازين، ويرتدي حذاء سميكاً وجوارب صوفية، لكن هل يستطيع أن يغطي عينه ؟ كيف يرى ؟ لو أن ماء العين لامس السبعين تحت الصفر لتجمد ماء العين وفقد الإنسان بصره، لحكمة أرادها الله وضع الله في ماء العين مادة مضادة للتجمد !

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8))

في العين عدسة، هي من أعظم ما يدل على عظمة الله، عدسة مرنة يمكن أن يزداد تقعرها أو أن يزداد انبساطها، يحكم هذه الزيادة عضلات هدّية يزيد تقعرها واحد من ألف من ميليمتر ليقع خيال الجسم الذي أمام العدسة إلى محرق العدسة، ولو أن هذه العدسة صلبة لما أمكن أن نرى إلا لمسافة واحدة فقط، أما لأن هذا الجسم البلوري العدسة في العين مرنة يمكن أن يزداد احتدابها أو ينقص.

إذاً هناك أجهزة بالغة التعقيد، تقيس المسافة بين العين وبين الشيء المنظور، ثم تضغط على الجسم البلوري ضغطاً يتناسب مع وقوع هذا الجسم على المحرق أي على الشبكة من منا يصدق أن في الشبكية مائة وثلاثون مليون عصية ومخروط في عشر طبقات كي تستقبل الصورة، والحقيقة أن استقبال الصورة ونقلها للدماغ كي تصبح مدركة شيئاً تعجز العقول عن إدراكه، إن في الشبكية مواد كيماوية تتأثر بالضوء، فإن تأثرت في الضوء نشأ عن هذا التأثر تيار كهربائي متباين الشدة، هذا إذا شحن إلى الدماغ انتقلت الصورة من خلال هذا التيار الكهربائي المتباين الشدة، وانقلب صورة في الدماغ.

العين ترى الشيء بحجمه الحقيقي، بألوانه الدقيقة، يمكن أن تفرق العين البشرية درجتين من ثمانمائة ألف درجة بلون واحد، لو درجنا اللون الخضر ثمانمائة ألف درجة العين البشرية تفرق بين درجتين من ثمانمائة ألف درجة.

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8))

الحديث عن العين يطول، عن القرنية: قرنية العين شفافة شفافية تامة، كيف تتغذى ؟ كل جسم الإنسان يتغذى عن طريق الشعيرات الدموية إلا قرنية العين تتغذى عن طريق الحلول، الخلية الأولى تأخذ غذائها وغذاء جارتها، وهكذا ينتقل الغذاء من خلية أخرى من دون أوعية شعرية.

القزحية هي هوية الإنسان، ليس في الستة آلاف مليون إنسان في الأرض إنسان واحد يشبه في قزحيته عين الآخر، حتى الآن عقب الحادي عشر من أيلول أصبح يؤخذ للإنسان المسافر في واشنطن رسم لقزحية العين تسجل على زواج سفره ولا يمكن أن يشتبه في هذا الشكل الآخر.

فمن قرنية العين غلى قزحية العين إلى الجسم البلوري إلى ماء العين إلى شبكية العين إلى الأجفان إلى أن العين في محجر لو أن العين على الجبين لفقد معظم الناس بصرهم، هي في حصن حصين، ولأن الدماغ أخطر جهاز في الإنسان فهو في حصن حصين، ولأن النخاع الشوكي خطير جداً هو في حصن حصين، ولأن القلب خطير جداً فهو في حصن حصين، ولأن الجنين في بطن أمه لابد له من حصن يتحصن به فهو في حصن حصين.

فالعين في المحجر، والدماغ في الجمجمة، والنخاع الشوكي في العمود الفقري، والقلب في القفص الصدري، والجنين في حوض المرأة.

المذيع: كل ذلك يدل على الله.

الأستاذ: قال تعالى:

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَاناً)

من منا يصدق أن كل حرف ينطق به الإنسان تصنعه سبعة عشرة عضلة تسهم في صنع حرف واحد ! فإذا ألقيت كلمة في ساعة وفي الكلمة تقريباً ثلاثين صفحة، وفي السطر تقريباً عشر كلمات في الصفحة مائتين كلمة، وكل كلمة خمس حروف، وكل حرف سبعة عشرة عضلة.

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ (9))

(سورة البلد)

(الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4))

(سورة الرحمن)

هذا البيان من تكريم الله له، بالبيان يتعلم ويعلم، ويعبر عن حاجاته ورغائبه ويفهم حاجات الإنسان ورغائبه، بالبيان يعبر عن فكره وعلمه ونفهم أفكاره وعلمه بالبيان، فالبيان من أعظم خصائص الإنسان.

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10))

حليب الأم لا يعدله حليب على وجه الأرض، بل إن أكثر الآفاق القلبية والوعائية المزمنة في الإنسان سببها الإرضاع الصناعي، لذلك الدول العظمى الآن تجبر مصنعو الحليب أن يكتبوا على عبلة الحليب لا شيء يعدل حليب الأم، حليب الأطفال الذي يشربونه نسب الحموض الأمينية عالية جداً، وهذا يتعب الكليتين في طرحهما، وإذا زادت النسب في الدم أجهدت العضوية، بل إن حليب الأم فيه من المواد الدسمة ما يتناسب مع الجهاز الهضمي، لذلك ورد في القرآن أن الإنسان إذا طلق زوجته من يرضع له ابنه ؟ قال تعالى:

(فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (6))

(سورة الطلاق)

لم يرد الإرضاع الصناعي، لأن حليب الأم لا يعدله حليب على وجه الأرض، من منا يصدق أن نسب الماء والدسم في الحليب تتبدل في أثناء الرضعة الواحدة ! يبدأ الطفل الحليب بستين بالمائة ماء وأربعين بالمائة مواد دسمة، تنتهي الرضعة بستين بالمائة مواد دسمة وأربعون بالمائة ماء، بل إن نسب الحليب تتبدل كل يوم بحسب نمو الطفل، فحليب الأم معه مناعة الأم، ومعه مواد تمنع التعفنات المعوية....

الحديث عن حليب الأم لا ينتهي، لذلك الأمهات اللواتي لا يرضعن أمهن حفاظاً على رشاقتهن معرضن لسرطان الثدي ثمانية أضعاف، والأم التي ترضع ابنها من ثديها هذه تضمن له صحة جيدة وبنية قوية

من أطرف ما قرأت عن دراسة جادة عميقة جرت في بعض البلاد الغربية أنهم امتحنوا ذكاء الأطفال في أكثر من مائة دولة في العالم، فكانت جزر الباسيفيك احتلت المرتبة الأولى ! لماذا ؟ لأنهم لا يعرفون الإرضاع الصناعي أبداً ! مع أنها بلاد متخلفة، لكن لأنها لا تعرف الحليب الصناعي تفوقت في الذكاء الطبيعي، من أخرط ما في هذا العصر تغير خلق الله، وقد قال الله تعالى:

(فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ)

(سورة النساء)

دماغ الإنسان فيه أربعين مليار خلية استنادية لم تعرف وظيفتها بعد !

المذيع: فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي كل ذلك يدل على الله، قال تعالى:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21))

نشكركم فضيلة الشيخ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

استمرار الطاعة بعد رمضان.

المذيع: أيها الأخوة والأخوات - السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، حلقة جديدة من برنامج من ثمار الإيمان.

أيها الأخوة: يسعدنا أن نستضيف فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، وخطيب جامع النابلسي بدمشق، فضيلة الشيخ: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الأستاذ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

المذيع: دكتور نودع شهر رمضان المبارك، أعاده الله على الجميع بالخير واليمن والبركة، المطلوب منا الكثير بعد شهر رمضان، بل مطلوب كمحطة مضيئة يجب أن تستمر كروحانية لدى الإنسان المؤمن الذي صام رمضان إيماناً واحتساباً.

الأستاذ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أستاذ جمال جزاكم الله خيراً.

الحقيقة أن هناك عدة معاني لابد من أن يتمثلها الصائم في نهاية هذا الشهر الكريم، من هذه المعاني أن يوقن أنه ليس القصد أن ننتصر على أنفسنا في رمضان ثم ننخذل بقية العام، ولكن الصيام الحقيقي أن

نحافظ على هذا النصر وعلى طول الدوران وتقلبات الزمان والمكان، كما أنه ليس القصد أن نضبط ألسنتنا في رمضان فننزهها عن الغيبة والنميمة وقول الزور، ثم نطلقها بعد رمضان إلى حيث الكذب والبهتان، ولكن الصيام الحقيقي أن تستقيم منا الألسنة، وأن تصلح فينا القلوب مادامت الأرواح في الأبدان.

ليس القصد أن نغض أبصارنا عن محارم الله ونضبط شهواتنا غير المشروعة في رمضان ثم نعود لما كنا عليه في رمضان، فإنا إذا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، ولكن الصيام الحقيقي أن تصوم جوارحنا عن كل معصية في رمضان وبعده حتى نلقي الواحد الديان.

ليس القصد أن نتحرى الحلال خوفاً من أن يرد علينا صومنا ثم نتهاون في تحريره على أنه عادة من عاداتنا ونمط شائع من سلوكنا، ولكن الصيام الحقيقي أن يكون الورع مبدءاً ثابتاً وسلوكاً مستمراً في حياتنا.

كما أنه ليس القصد أن نبتعد عن المجالس والمشاهد التي لا ترضي الله إكراماً لهذا الشهر الكريم ثم نعود إليها وكأن الله ليس لنا بالمرصاد في بقية الشهور والأعوام.

ليس القصد أن نراقب الله في أداء واجباتنا وأعمالنا مادمنا صائمين فإذا ودعنا هذا الشهر الكريم آثرنا حظوظ أنفسنا على أمانة أعمالنا وواجباتنا، مثل هذا الإنسان الذي لم يفقه حقيقة الصيام ولا جوهر الإسلام كالناقة حبسها أهلها ثم أطلقوها، فلا تدري لا لما عقلت ولا لما أطلقت.

المذيع: فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي هناك مدرسة ثلاثون يوماً انقضت، وهناك أسس وقواعد و ثوابت يجب على المؤمن أن يتمثلها بعد رمضان حتى يكون مقبولاً على مدار العام.

الأستاذ: إن هناك شيئاً آخر وهو: أنه ينبغي أن نستوعب أن الله لم يصطفي رمضان من بقية الشهور ليكون شهر الطاعة فحسب، بل أراده شهراً يتدرب فيه الإنسان على الطاعة حتى يذوق فيه حلاوة القرب وعندها تنسحب هذه الطاعة وذاك القرب على كل شهور العام، فيكون رمضان عندئذ قفزة نوعية مستمرة في مجال الطاعة والقرب.

والحكمة من أن الله تعالى أمرنا بالإمساك عن سائر الطعام والشراب والمفطرات من طلوع الفجر لغياب الشمس، أي أن الإنسان حينما يدع ما هو مباح امتثالاً لأمر الله تعالى لا يستطيع ولا يتوازن مع نفسه أن يقترف ما هو محرم في هذا الشهر، فترك المحرمات أولى من ترك المباحات.

فحينما يصطفي الله شهراً من هذه الشهور لتصفو فيه العلاقة بالله، يصطفيه من أجل أن يشيع هذا الصفاء مع الله في كل الشهور، لأن الله تعالى مع المؤمن في كل مكان وزمان، وحينما يصطفي الله مكاناً كبيته الحرام ويدعو المؤمنون إليه ليذوقوا حلاوة القرب فيه يريد أن ينسحب هذا القرب على كل الأمكنة لأن الله تعالى مع المؤمنين في كل مكان.

حينما يصطفي الله إنساناً فيكشف له كل الحقائق إنما يصطفيه ليكشف من خلاله الحقائق لكل الناس، وحينما يصطفي إنساناً ليوحي إليه الأمر والنهي والمنهج القويم إنما يصطفيه ليكون هذا المنهج القويم مطبقاً لكل الناس.

المذيع: دكتور نستشف من هذا الكلام الجميل الرائع من خلال توجهكم أن هناك عنوان بعد رمضان (فاستقم كما أمرت)

الأستاذ: بعد رمضان كل الذي تركه المسلم في رمضان ينبغي أن يتابعه بعد رمضان، عدا الطعام والشراب، يفطر فمه ولا تفطر أعضائه وجوارحه.

ثم إن الله سبحانه وتعالى حينما قال:

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112))

(سورة هود)

في هذه الآية ملمح قوي هو: أن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، وحينما يصطفي الله إنساناً يسعده سعادة أبدية إنما يصطفيه ليسعد بدعوته كل الناس، هذا الدين لكل الناس.

مجمل القول: أن الله سبحانه وتعالى يصطفي زماناً كرمضان ومكاناً كبيته الحرام، وإنساناً كسيد الأنام، إنما أراد من ذلك أن يشيع الصفاء في كل الناس وفي كل الأمكنة والأزمنة.

المذيع: جاء الإسلام والإيمان ليسعد الناس في كل مكان وزمان.

الأستاذ: نعم - بقي شيء دقيق: قد يعجب الإنسان أن آيات الصيام فيها آية تبدو للوهلة الأولى أنها مقحمة قال تعالى:

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186))

(سورة البقرة)

ولكن في التأمل والنظر يتضح أنها ليست مقحمة، وهي ثمرة الصيام، الإنسان في رمضان توجه إلى الله وذاق من طعم القرب ومن معاني الحب، ثم استقام على أمره واصطفت سريرته، الآن ينبغي أن يتوصل لهذه الثمرة اليانعة الحقيقية هو أنه يدع التوجه إلى الخلق ويتوجه إلى الحق، كان يعلق الأمل على زيد أو عبيد وفلان وعلان، الآن عقد الأمل على الله وحده

لذلك من ثمار الصيام العظيمة أن الإنسان يتوجه إذا صح صيامه إلى الله، بعد أن كان يعلق آماله على البشر، لذلك قال تعالى في آيات الصيام:

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي)

الشيء الذي يلفت النظر أنه في الآية استخدمت كلمة إذا، وإذا تفيد تحقق الوقوع، بينما إن تفيد على الوقوع، قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا)

(سورة الحجرات)

قد يأتي وقد لا يأتي، احتمال وقوع، أما حينما قال الله تعالى:

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1))

(سورة النصر)

فلابد من أن يأتي نصر الله سبحانه وتعالى، ذلك أن الذين كفروا سيغلبون.

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ)

(سورة الأنفال)

هذه الآية هي ثمرة الصيام.

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي)

وقد ننتبه لكلمة عبادي، هي جمع عبد، وعباد والعبيد جمع عبد عبادي جمع عبد، والعبيد جمع عبد، فما الفرق بين العباد والعبيد ؟ قال بعض العلماء: العبيد هم عبيد القهر، فكل إنسان كان مؤمناً أو كافراً مسلم أو غير مسلم، عابد صنم أو عابد نار أو عابد شمس أو قمر هو في قبضة الله، في أية لحظة يفقد بعض حواسه أو قوته، مفتقر في وجوده لما يمده الله به من طعام وشراب، ومفتقر إلى الله لاستمرار وجوده، هو عبد القهر جمعه عبيد، قال تعالى: وحينما قال الله عز وجل:

(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46))

(سورة فصلت)

وحينما قال الله عز وجل:

(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)

(سورة الحديد)

يعين بعلمه، فقد يكون المرء كافراً أو ملحداً، لكن إذا قال الله عز وجل: إن الله مع المؤمنين - مع المتقين - قال العلماء: هذه معية خاصة، أي مع المؤمنين والمتقين والصادقين والتائبين بالحفظ والتأييد والرعاية والتوفيق.

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186))

هناك ملمح آخر: العبيد جمع عبد القهر، إنما العباد جمع عبد الشكر، هذا العبد الذي عرف الله ابتداء وأحبه وفكر في خلقه واستقام على أمره وأحسن لخلقه، هذا العبد هو عبد الشكر يجمع على عباد.

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي)

الآن في القرآن الكريم عشر آيات أو تزيد كلها في صيغة متشابهة:

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ)

(سورة البقرة)

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)

(سورة البقرة)

(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ)

(سورة البقرة)

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ)

(سورة البقرة)

إلا هذه الآية تنفرد من بين الآيات كلها:

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)

لم تأت كلمة قل، استنبط من هذا أنه ليس بين العبد وربه حجاب ولا وسيط، فأنت بعد أن صمت رمضان أيها الأخ المسلم، وعرفت الواحد الديان، وأقبلت عليه بالطاعة والقرب وتلوت كتابه آناء الليل وأطراف النهار وأنفقت من مالك في سبيل الله وبعد أن غضضت بصرك وضبطت لسانك وصنت أذنك عن محارم الله، أول ثمرة من ثمار هذا الشهر العظيم أنك تركت الخلق وتوجهت إلى الحق، ولكن يمكن أن تتعامل معهم كوسائل لا كأهداف، هذا الفرق بين المشرك والموحد، الموحد يتعامل مع الناس على أنها وسائل، إنه يعلق الأمل على الله.

لذلك يمكن أن يسمى الطريق الأمثل في السير إلى الله أنه طريق ضيق على يمينه وادي سحيق وعن يساره وادي سحيق فمن أخذ بالأسباب واعتمد عليها سقط في وادي الشرك.

المذيع: فضيلة الشيخ في ختام هذا الموضوع التعامل مع الله سبحانه وتعالى، وصيام رمضان، والدخول في الحيز الواسع من الإيمان هي في الحد ذاتها تجارة رابحة مع الله.

الأستاذ: من أخذ بالأسباب واعتمد عليها سقط في وادي الشرك، ومن لم يأخذ بها كبعض المسلمين المتخلفين عن حقيقة دينهم وقع في وادي المعصية.

فما الحل ؟ الحل بعد رمضان أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء !

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 11: الزكاة .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2002-11-23

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: في البداية يخطر في بال المرء أن يتساءل وقبل أن ندخل موضوعنا بشكل مباشر لماذا وجد هذا التفاوت بين الناس ؟ لماذا هناك غنى وهناك فقر ؟

الأستاذ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أستاذ محمود - جزاكم الله خيراً - الإنسان مخلوق للجنة، والدنيا مكان وزمان يدفع فيهما ثمن الجنة.

(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)

(سورة الملك)

نحن في دار تكليف والآخرة دار تشريف، نحن في دار عمل والآخرة دار جزاء، نحن في دار تنفيذ أمر ونهي، وفي الآخرة نأخذ ثواب تنفيذ الأمر وثواب ترك النهي، الإنسان كجزء من عقيدة المسلم مخلوق للجنة، وما وجوده في الدنيا إلا ليدفع ثمن الجنة:

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74))

(سورة الزمر)

لولا أن جئنا إلى أرض لما كنا في الجنة، الإنسان مخلوق للجنة، والدنيا دار عمل فلابد من أن يمتحن الإنسان في الدنيا الإمام الشافعي رحمه الله تعالى سئل: أندعو الله بالابتلاء أم بالتمكين ؟ فقال: لن تمكن قبل أن تبتلى ! والإنسان في دار ابتلاء، إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي، الحظوظ وأعني بالحظوظ حظ الوسامة و الذكاء والمال والقوة والنسب هذه الحظوظ موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء.

المذيع: هذا يبتلى بالغنى وذاك يبتلى بالفقر.

الأستاذ: فلكل إنسان مادة امتحان مع الله، الحقيقة مواد امتحانه مع الله الحظ الذي نلته هو مادة امتحانك مع الله، والحظ الذي حرمت منه هو مادة امتحانك مع الله، فالحظوظ موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء وسوف توزع في الآخرة توزيع جزاء.

(انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)

(سورة الإسراء)

أيستوي ممرض مع طبيب ؟ جندي مع قائد جيش ؟ أستاذ في قرية مع أستاذ في الجامعة، من يبيع الصحون مع رئيس غرفة التجارة !

((انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (21)))

درجات الدنيا لا تعني شيئاً، وقد تعني العكس، لكن درجات الآخرة تعني كل شيء وهي أبدية، الحظوظ موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء، وسوف توزع توزيع جزاء، أضرب على هذا مثلاً: لو أن إنساناً مسلماً كانت مادة امتحانه في حياته الدنيا الفقر، وعاش ثمانين عاماً نجح بالامتحان، كيف نجح ؟ صبر وتعفف وتجمل ورضي بقضاء الله وبقدره بعد أن استنفذ وسعه وإنسان آخر كانت مادة امتحانه الغنى رسب بالامتحان لم ينجح تكبر وطغى وبغى وأنفق المال على شهواته وملذاته واستعلى به على الناس، بعد أن تنقضي هذه السنوات المعدودة الأبد بأكمله الذي نجح في امتحان الفقر سيدخل الجنة إلى أبد الآبدين، والذي لم ينجح في امتحان الغنى سيدخل النار لأبد الآبدين.

من هنا يقول الإمام علي كرم الله وجهه: **الغنى والفقر بعد العرض على الله،** هناك حكمة أن يكون هناك غني وفقير لكن نحن كمؤمنين لا ينبغي أن نرضى بالفقر ينبغي أن نسعى من هنا لا بد من توضيح حقيقة، هناك فقر اسمه فقر الكسل هذا فقر مذموم، لأن صاحبه لا يتقن عمله، كسول، يرجئ يسوف يقعد لا يعمل هذا يغدو فقيراً لكن هذا الفقر وصمة عار بحقه لأن هذا الفقر فقر كسل، وهناك فقر القدر إنسان معه عاهة، هذا الفقر صاحبه معذور إنه قضاء الله وقدره، ولحكمة بالغة سوف يكشفها في المستقبل كان فقيراً وكان مسكيناً، هناك فقر الكسل وهناك فقر القدر وهناك فقر الإنفاق هذا محمود، سيدنا الصديق أنفق كل ماله فأصبح فقيراً قيل له: **يا أبا بكر ماذا أبقيت لنفسك ؟ قال: الله ورسوله،** العلماء ميزوا بين فقر الكسل وفقر القدر وفقر الإنفاق.

رجل قال للنبي الكريم: والله إني لأحبك، قال انظر ما تقول؟ قال: والله إني أحبك! قال: انظر ما تقول: قال: والله إني أحبك ! قال: إذا كنت صادقاً فيما تقول للفقر أقرب إليك من شرك عليك بمعنى فقر الإنفاق، إذا كنت تحب الله عز وجل والناس حولك جائعون ومرضى يحتاجون لمالك هل يعقل أن يقسو قلبك وأنت مؤمن ؟ مستحيل، فالمؤمن يرتقي إلى أعلى درجات الجنة بإنفاق ماله، فالشيء العجيب:

((سَمِعْتُ عبد الله بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا))

(صحيح البخاري)

الحقيقة أن العلم قوة، والغنى قوة، والمنصب الحساس قوة، فأنت قوي بمنصبك وبمالك وبعلمك، والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.

والنبي الكريم جبار الخواطر قال:

((وفي كل خير.))

المذيع: سيدي يبدو لي أن الأداة في هذا الامتحان هي الصبر والشكر، سواء للغني أو للفقير للعالم أو للجاهل، الصبر والشكر هما وسيلة الامتحان.

((عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))

(صحيح مسلم)

الأستاذ: المؤمن يتمتع بتسليمه لأمر الله، لكن لئلا يفهم الأخوة المستمعين أنني أرضى بالفقر الإنسان عليه أن يسعى، والذي ينظم هذه الحقيقة قول النبي الكريم:

((عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَقَالَ الْمَقْضِيُّ عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

(سنن أبي داود)

أن أستسلم لقدري أنا فقير، ما باليد حيلة !

((إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ))

السعي والحركة.

((فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

مثلاً: لو أن طالباً لم يدرس فلم ينجح هذه كلمة حق أريد بها باطل، أما حينما يدرس ويأتيه مرض لا سمح الله في أثناء الامتحان يحول بينه وبين الامتحان يقول حسبي الله ونعم الوكيل، أنا لا أرضى أن أشيع في الناس أن يرضوا عن الفقر، كاد الفقر أن يكون كفراً، والفقر يسبب المرض والجهل وأسباب كثيرة.

المذيع: هذا بالنسبة للفقر أما بالنسبة للغنى فإن من مظاهر الشكر في الغنى الإنفاق والزكاة، ندخل الآن لموضوعنا وهو الزكاة.

الأستاذ: أن تعبد الله فيما أقامك بحسب هويتك، إن أقامك غنياً عبادتك الأولى إنفاق المال، وإن أقامك عالماً عبادتك الأولى تعليم العلم، وإن أقامك قوياً عبادتك الأولى أن تنصف الضعيف وتحق الحق.

المذيع: العبادة الأولى تجنيد ما أعطاني ربي في سبيل الله، فالغني الذي أعطاه ربه هذا المال يجب أن ينفق في سبيل الله عز وجل الذي أعطاه هذا المال، ورب العزة يقول في كتابه العظيم:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)

(سورة التوبة)

لو أخذنا هذه الآية وشرحناها على الإخوة نجد فيها الكثير الكثير

من تبيان أحكام الزكاة.

الأستاذ: جاءت كلمة خذ فعل أمر، يخاطب الله بها النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن العلماء أشاروا إلى أن الله لا يخاطب النبي في هذه الآية على أنه نبي بل على أنه ولي أمر المسلمين، يخاطب الحاكم، ذلك أن الإنسان حينما لا يطيع الله يؤذي نفسه، أما حينما لا يدفع الزكاة يؤذي مجتمعه لأن النظام الإسلامي والاقتصادي مبني على الزكاة، فالزكاة تؤخذ ولا تعطى، لم تترك لرغبة المسلمين وحرص المؤمنين، هذه عبادة منوط بها مصلحة المجتمع بأكمله، فيجب أن تؤخذ وهي فريضة.

(وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25))

(سورة المعارج)

لأنها فريضة، أما كلمة من لطيفة جداً، هذه المن للتبعيض، ليس في الإسلام ما يسمى بمصادرة المال كله، خذ من أي بعض أموالهم، وقد وجه النبي عليه الصلاة والسلام جباة الزكاة إلى أن يتركوا للمسلم كرائم أمواله، له بقرة يحبها ويعجب بها دعها له خذ غيرها، أمرنا النبي أن ندع للمسلم كرائم ماله، أولاً الزكاة هي بعض المال، وبعض قليل ربع العشر، ومع ذلك كرائم المال ينبغي أن تبقى بيد أصحابها، هذا معنى كلمة من خذ أمر موجه من أولي الأمر للتبعيض، من أموالهم جاءت كلمة جمع، أي أن الزكاة تجب في كل الأموال، ما أنتجته الأرض وفي النقدين الذهب والفضة وفي الركاز الثروات الباطنية وفي العسل وفي كل ما تنتجه الأرض بما يسمى اليوم بالدخل القومي.

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)

كل أنواع الأموال، زكاة النقدين، زكاة عروض التجارة، زكاة الإبل والأنعام والأبقار وما إلى ذلك، وزكاة الزروع وزكاة العسل وزكاة الركاز أي المعادن الثمينة، جاءت الكلمة جمعاً لتفيد أن الزكاة تجب في كل أنواع المال، ثم إن هذا الضمير ضمير جمع قال:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)

أي أن الزكاة مفروضة على كل الناس من دون استثناء، لا تطوى عن أحد ولا يعفى منها أحد ولا يستثنى منها أحد، نظام الإسلام على الجميع.

((عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهم عَنْهَا...قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.... إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))

(صحيح البخاري)

هذا النظام على الجميع.

المذيع: هنا قد يتساءل أحد الأخوة المستمعين: كيف على الجميع ؟ وهل تجب على الفقير الذي لا يمتلك النصاب ؟

الأستاذ: حينما نقول الجميع أي على جميع مالكي النصاب، الفقير يأخذ الزكاة، الزكاة من أجل الفقير.

المذيع: من أموالهم عندما يصير هذا الفقير غنياً وجبت عليه الزكاة !

الأستاذ: أرقى أنواع الزكاة أن تقلب آخذ الزكاة إلى دافع الزكاة ! شيء آخر أريد أن أنبه أن زكاة الفطر له حال خاص، زكاة الفطر تجب على كل مسلم و لو كان فقيراً بشرط أن يملك قوت يومه وجبة طعام واحدة لماذا ؟ ليذيقه الله طعم الإنفاق في العام مرة لذلك قالوا: الطعام شيء، والأريحي شيء آخر فهو الذي يرتاح للعطاء، والغني أساساً حينما ينفق ماله يشعر بنموه.

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً)

لماذا سمى الله الزكاة هنا صدقة ؟ مع أنه أعطاها اسمها الدقيق في آيات كثيرة، أراد الله من هذه الكلمة أن الزكاة هي إنفاق للمال، والمال محبب للإنسان، قال تعالى:

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة آل عمران)

لولا أن المال محبب في الإنسان لما كان من رقي في إنفاقه ما حكمة أن هذه الشهوات محببة إلينا ؟ لأنك إذا أنفقتها ترتقي عند الله، أما الإنسان لا يرتقي لو أخذ حفناً من الرمل وأعطاها لفقير لا قيمة لها، أما آلاف الليرات يحبها وتحل آلاف المشكلات، والناس جميعاً يحبون المال، وهناك من يظهر ذلك وهناك من يخفي، أما لا يوجد إنسان لا يحب المال فسمى الله هنا الزكاة هنا صدقة، لأنها تؤكد صدق الإنسان هناك عبادات كثيرة لا تكلف شيئاً، لا يرتقي بها الإنسان كثيراً يقول قصر صلاة، تخفيف العبادات ببعض الأحكام الشرعية، نجد أن النفس تميل لذلك، أما أن تعطي من مالك.....

الإمام علي كرم الله وجهه يقول في حديث رائع: **قوام الدين والدنيا أربعة رجال عالم مستعمل علمه وجاهل لا يستنكف أن يتعلم وغني لا يبخل بماله وفقير لا يبيع آخرته بدنياه فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنيا غيره**، يتعاون مع الشيطان عندئذ، الصدقة تؤكد صدق إيمان الإنسان، لأن البذل دليل صدق، أما الأعمال التي لا تكلف شيئاً هذه لا تعبر عن الصدق، وأكثر الناس يقومون بعبادات لا تكلفهم شيئاً.

الآن دخلنا للنقطة الدقيقة بأن الصدقة تطهر، تطهر ثلاثة أشياء تطهر الفقير من الحقد، والغني من الشح، وتطهر المال من تعلق حق الغير به، فالمال إذا تعلق حق الغير به فالمال رهن إتلافه ! الحجر

المغصوب في دار رهن بخرابها، والمال المتحقق في مال الإنسان ولم تدفع زكاته هذا قد يكون هذا المال سبباً في إتلاف المال كله.

فلذلك من أدى زكاة ماله أذهب عنه شره، ما تلف مال في بر أو بحر إلا بحبس الزكاة.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((حصنوا أموالكم بالزكاة))

(ورد في الأثر)

الفقير حينما يرى نفسه فقيراً محروماً والناس يأكلون ويشربون ويتنزهون ويأكلون يتألم، فإذا جاء الغني وأعطاه حاجاته ما يكفيه ويكفي عياله وأهله وأولاده طهر من الحقد، كان الغني مضطراً لأن يضع حراس كثيرين على أبوابه، هذا الفقير حينما أعطاه أصبح حارساً له بالمجان، أحبه.

الفقير يطهر من الحقد، والغني يطهر من الشح، كيف أن في الجسم مرضاً وبيلاً سرطان مثلاً في النفس مرض وبيل اسمه الشح قال تعالى:

(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9))

(سورة الحشر)

مرض الشح مرض خطير في حياة الإنسان، صاحبه يعيش فقيراً ليموت غنياً، وأندم الناس غني دخل ورثته بماله الجنة، ودخل هو النار ! الشحيح يعيش فقيراً ويموت غنياً، الشحيح يتمنى أهله موته، وإذا مرض وقال الطبيب بسيطة يتألمون ! يريدون أن تكون القاضية.

فالغني يطهر من الشح، والفقير من الحقد، والمال يطهر من تعلق حق الغير به، وما تلف مال في بر أو بحر إلا بحبس الزكاة، وحصنوا أموالكم بالزكاة.

المذيع: هنا ننبه الأخوة المستمعين الذين يظنون أن الزكاة سميت زكاة لأنها تزكي المال، لا تزكي المال فقط، إنما تزكيك أنت أيها الغني أو الفقير.

الأستاذ: وتزكيهم: تزكي الفقير والغني والمال !

المذيع: ما الفرق بين تطهر وبين تزكي ؟

الأستاذ: التطهير من الأمراض، الزكاة للنمو، حينما أدخل لغرفة قذرة أنظفها أولاً، فالتطهير تنظيف، أما حينما أفرشها أزكيها، الزكاة إيجابية أما التطهير سلبي، عندنا مرض طهرنا منه كمرض الشح والبخل وتعلق حق الغير بهذا المال طهرنا منه، أما التزكية الآن: هذا الغني حينما يدفع زكاة ماله لعدد كبير من الفقراء يحبونه ويحترمونه ويسلمون عليه ويبادرون لخدمته يشعر أنه صار في قلب الناس، صار أمة، صار في قلب كل فقير أحبه الفقير وأثنى عليه ودعا له وشكر له وكان ولائه له وكان حارثاً له، لذلك تنمو نفس الغني هذا النمو، حينما تعمل عملاً يحل للناس مشكلاتهم تشعر بقيمتك الاجتماعية،

المحسنون في الأرض يشعرون بنمو نفسي، أنت حينما تخدم الناس وتحل مشكلاتهم تشعر بنماء في نفسك.

مرة قرأت حكمة قصيرة جداً في مجلة المختار مجلة عالمية مكتوب (إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين) إن أسعدت الناس فأنت أسعدهم، أنت حينما تخرج من ذاتك وتحمل هم الناس تشعر بسعادة كبيرة، تحس أنك مقدس وأنك إنسان عاش لما خلق له، وأنك حققت وجودك في الدنيا، إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين.

فلذلك الغني حينما ينفق زكاة ماله على الفقراء ومن صدقات ماله يشعر بنمو في نفسه، أما الفقير كان محروماً شفيناه من الحقد، أما بهذا المال يشعر أن له شأن في المجتمع، تنمو نفسه، الإنسان بين حالة يئس وتقابض وانكماش وبين حالة نمو وازدهار، فالفقير حينما نأتيه بالمال يشتري لأولاده الطعام الطيب والثياب والشراب واللحم والفواكه والألعاب، يشعر أنه أب قدم لأولاده كل شيء تنمو نفسه، ففي نمو، نمو نفس الغني ونمو نفس الفقير، ينمو بقانون اقتصادي ! الدول العظمى ماذا تفعل مع الدول المتخلفة ؟ تعطيها مساعدات من أجل ماذا ؟ من أجل أن تمتلك قوة شرائية تشتري بها بضاعتها، فالغني حينما ينفق ماله للفقراء يعطيهم قوة شرائية، ماذا يفعلون؟ سيشترون من عنده مرة ثانية ! فالمال ينمو عن طريق الزكاة، لكن هناك رأي آخر، أن المال ينمو بطريق آخر طريق العناية الإلهية، المؤمن حينما ينفق ماله يلهمه الله الطرائق الناجحة في كسب المال ويصرف عنه الطرائق المسببة لإفلاس المال، كأنه في عناية الله وفي حفظ الله وعنايته.

المذيع: تزكيهم بها، فالهاء تعود على الصدقة.

الأستاذ: تزكو نفس الغني بالصدقة ونفس الفقير، والمال يزكو أي ينمو بالصدقة، إما بقانون اقتصادي أو بالعناية الإلهية.

المذيع: بقي سؤال صغير وستكن الإجابة عنه صغيرة: بالنسبة للعقارات ماذا يفعل أصحابها ؟ الأموال غير المنقولة ؟

الأستاذ: الذي يشتر العقار ليسكنه لا زكاة عليه، والذي يشتريه ليؤجره الزكاة على الأجرة إن لم ينفقها، فإذا أنفقها فلا شيء عليه.

المذيع: من يمتلك سيارة وما إلى ذلك ؟

الأستاذ: البيت والسيارة والدكان والأرض وأدوات الحرفة والأثاث هذه مستهلكات أموال جانبية لا زكاة فيها، بينما الأموال السائلة والبضائع والمنتجات الزراعية هذه عليها زكاة.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 12 : الزكاة .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2003-11-03

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: فضيلة الشيخ الله عز وجل دائماً أمر المؤمنين و كل الذين عشقوا دينه بالزكاة و الزكاة لها سر خاص في ديننا الحنيف كيف نطل على الأخ المستمع لنتحدث عن ماهية الزكاة في الإسلام ؟

الدكتور راتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين و على آله و صحبه أجمعين و بعد:

أيها الإخوة الكرام: الزكاة حارس على الأموال، و على أصحابها، فإذا شبع الجائع و اكتسى العاري عمّ الأمن و السلام، إنها تطبع الفرد على حب البذل و السخاء، و تغرس في المجتمع بذور التعاون و الإخاء، هي لا تحل المشكلة المالية بالعصا و السوط، و لكن بإيقاظ الضمائر و تنمية العقول، فالمال مال الله، و الغني مستخلف فيه و الفقراء عيال الله، و أحب العباد إلى الله أبرهم بعياله، و البر ذمة و فريضة لا منة و عطاء، قال تعالى:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103))

[سورة التوبة: الآية 103]

أيها الإخوة الكرام: هذه الآية أصل في فرضية الزكاة لذلك سنقف عندها وقفة متأنية، و عند كلماتها كلمة كلمة، فيستنبط من كلمة خذ في هذه الآية أن الزكاة ليست مجرد عمل طيب من أعمال البر، و ليست خلة حسنة من خلال الخير، بل هي ركن أساسي من أركان الإسلام، و شعيرة من شعائره الكبرى، بل هي حجر الزاوية في نظام الإسلام الاقتصادي، و هي أساس من أسس التكافل الاجتماعي.

إنها ليست إحساناً اختيارياً و لا صدقة طوعية إنما هي فريضة تتمتع بأعلى درجات الإلزام الشرعي و الخلقي، لذلك لم يأمر الله المؤمنين بدفعها، بل أمر نبيه صلى الله عليه و سلم و أولي الأمر من بعده بأخذها، فالزكاة تؤخذ و لا تعطى، تفترض و لا تستجدى، فيستنبط من كلمة من التي هي للتبعيض في هذه الآية أن الزكاة لا تطول جميع المال بل بعضه:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)

[سورة التوبة: الآية 103]

و قد بينت السنة الشريفة مقادير هذا البعض بحسب أنواع الأموال، و بحسب طريقة تحصيلها، و مقدار الجهد المبذول في جمعها:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)

[سورة التوبة: الآية 103]

و يستنبط من كلمة أموالهم التي وردت جمعاً في هذه الآية أن الزكاة تطول كل أنواع المال فتجب الزكاة في كل ما أخرجته الأرض من إنتاج زراعي، و في الثروة الحيوانية، و في المنتجات الحيوانية، و في الذهب و الفضة، و في كل أنواع النقد المتداول و السندات و الديون و السلف، و في عروض التجارة بشتى أنواعها، و في الحلي التي ليست للاستعمال الشخصي، بل و تجب الزكاة في الثروات الباطنية و المعدنية:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)

[سورة التوبة: الآية 103]

و يستنبط من ضمير الجمع في كلمة أموالهم أن الزكاة مفروضة على جميع المسلمين كافة ممن يملكون النصاب التي بينته السنة الشريفة من دون استثناء و لا إعفاء و لا تخفيض و لا طي.

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً)

[سورة التوبة: الآية 103]

و يستنبط من كلمة صدقة في الآية الكريمة أن المسلم حينما يدفع زكاة ماله يؤكد صدقه، أي تطابق فعله مع اعتقاده، و يؤكد تصديقه بأمر الله، و تصديقه بيوم الدين، و قد قال عليه الصلاة و السلام فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه:

((عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ...))

فالزكاة عبادة مالية يؤكد بها المسلم تصديقه و صدقه فلو لم يطالبه بها السلطان طالبه بها القرآن:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ)

[سورة التوبة: الآية 103]

و يستنبط من كلمة تطهرهم في هذه الآية الكريمة أن الزكاة تطهر نفس الغني من الشح البغيض، تلك الآفة النفسية الخطرة التي قد تدفع صاحبها إلى الدم فيسفكه، أو إلى العرض فيبذله، أو إلى الوطن فيبيعه، و لن يفلح فرد أو مجتمع سيطر الشح عليه و ملك ناصيته، قال تعالى:

(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9))

[سورة الحشر: الآية 9]

و الزكاة تطهر أيضاً نفس الفقير من الحسد و الحقد و الضغينة على ذلك الغني الكانز لمال الله، و الذي يمنعه عن عباد الله، فمن شأن الإحسان أن يستميل قلب الإنسان، و من شأن الحرمان أن يملأه بالبغض و الحقد.

المذيع: فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي كلام جميل رائع و تحليل فيه تميز و شرح حبذا أن نستزيد في هذا المجال في هذه الدقائق من برنامج من ثمار الإيمان.

الدكتور راتب: الحقيقة أن الزكاة فضلاً عن أنها تطهر نفس الغني من الشح و نفس الفقير من الحقد تطهر المجتمع كله من عوامل الهدم و التفرقة و الصراع و الفتن، و هي فضلاً عن كل ذلك تطهر المال من تلوثه بتعلق حق الغير به، فقد قالوا: الحجر المغصوب في دار سبب في خرابها، و كذلك الدرهم الذي استحقه الفقير في المال رهن بتلويثه كله، قال عليه الصلاة و السلام:

((إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره))

أي شر المال، و قال أيضاً:

((حصنوا أموالكم بالزكاة))

و قال أيضاً:

((ما تلف مال في بر أو بحر إلا بحبس الزكاة))

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)

[سورة التوبة: الآية 103]

و يستنبط من كلمة و تزكيهم في هذه الآية أن التزكية معناها النماء و الزيادة، نماء للغني و الفقير و لمال كل منهما، نماء للعلاقات الاجتماعية و للقيم الإنسانية فهي أولاً نماء لشخصية الغني و لكيانه المعنوي، فالإنسان الذي يسدي الخير و يصنع المعروف و يبذل من ذات نفسه و يده لينهض بإخوانه في الدين و الإنسانية و ليقوم بحق الله عليه يشعر بامتداد في نفسه و انشراح في صدره و يحس بما يحس به من انتصر في معركة، و هو فعلاً لقد انتصر على ضعفه، و أثرته و شيطان شحه و هواه، فهذا هو النمو النفسي، و الزكاة المعنوية و لعل هذا ما عنته كلمة و تزكيهم بها.

المذيع: إذاً دكتور يعني الزكاة كما تتفضل بناء مجتمع قوي متماسك يعتمد عليه من أجل الوصول إلى الحقيقة و مرضاة الله سبحانه و تعالى.

الدكتور راتب: و الزكاة أيضاً نماء لشخصية الفقير، يحس و يشعر الفقير أنه ليس ضائعاً في المجتمع، و لا هيناً عليه، و لا متروكاً لضعفه و فقره.

إن مجتمعه ليعمل على إقالة عثرته، و يحمل عنه أثقاله، و يمد له يد المعونة بكل ما يستطيع، و بعد ذلك لا يتناول الزكاة من يد فرد يشعر بالضعف أمامه بل يأخذها من أولي الأمر حرصاً على كرامته من أن تخدش، و لو قدر للأفراد أن يعطوا فإن القرآن يحذرهم من المن و الأذى، قال تعالى:

(قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263))

[سورة البقرة: الآية 263]

أيها الإخوة الكرام: و الزكاة بعد ذلك نماء للمال نفسه و بركة فيه، و كيف يكون ذلك ؟ هي في الظاهر نقص في المال بإخراج بعضه و لكن العارفين يعلمون أن هذا النقص الظاهر وراءه زيادة حقيقية،

زيادة في المال المجموع و زيادة في مال الغني نفسه، فتأدية الزكاة ترفع القوة الشرائية عند الفقير و هذا يعود بالنفع على دافع الزكاة و هذا معنى قوله تعالى:

(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39))

[سورة سبأ: الآية 39]

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 13: حلاوة الإيمان

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2003-11-04

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: كيف نتحدث بداية عن حلاوة الإيمان التي دائماً نعتز بها و هي الملاذ و الخلاص للأخ المؤمن أينما كان ؟

الدكتور راتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أستاذ جمال هذا الموضوع فيه حديث شريف صحيح يعد أصلاً في هذا الباب، هذا الحديث:

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))

[البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، أحمد]

وصف أحد العلماء هذا الحديث بأنه حديث عظيم و هو أصل من أصول الدين، فحقائق الإيمان شيء و حلاوة الإيمان شيء آخر.

حقائق الإيمان يكتسبها الإنسان من خلال المدارسة و حلاوة الإيمان تتأتى للمؤمن من خلال المجاهدة، حقائق الإيمان إن لم يعمل بها تستقر في الذاكرة و لا تسمو بالإنسان و لا تسعده بينما حلاوة الإيمان ثمرة يانعة من ثمرات مجاهدة النفس و الهوى، تنبع من القلب و تستقر به، و تسمو بالإنسان و تسعده، و لا يشد الإنسان إلى الدين من خلال حقائق الإيمان وحدها بل من خلال حلاوة الإيمان، التي تدفعه إلى بذل الغالي و الرخيص و النفس و النفيس.

حقائق الإيمان أن تطلع على خارطة لقصر منيف بينما حلاوة الإيمان أن تسكن ذلك القصر، حقائق الإيمان أن تتلفظ بكلمة ألف مليون، بينما حلاوة الإيمان أن تمتلكها.

إن حقائق الإيمان يدركها الإنسان بالعقل فيقنع بها و قد تغلبه نفسه فيخالفها، حلاوة الإيمان يتذوقها القلب فتجعله كالمرجل تدفعه إلى أجل الأعمال و أعظم البطولات، فالمريض يجد طعم العسل مراً و الصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، و كلما نقصت الصحة نقصاً ما نقص تذوق الحلاوة بقدر ذلك، و كذلك الإنسان يذوق حلاوة الإيمان بقدر طاعته للواحد الديان.

المذيع: فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي كيف عبر الإسلام و كيف عبرت النبوة عن هذه الحالة المتميزة التي تتحدث عنها؟

الدكتور راتب: الحقيقة في الحديث ملمح رائع هو أن النبي عليه الصلاة والسلام عبر عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة، أما قوله صلى الله عليه و سلم:

((أَنْ يَكُونَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبّ إِلَيْهِ مِمّا سِوَاهُمَا))

فهو الثمن، أن يكون الله أي أمره و نهيه من خلال كتابه، و رسوله من خلال سنته القولية و العملية و الإقرارية، أحب إليه مما سواهما و إنما قال مما سواهما ولم يقل ممن سواهما ليعم من يعقل و من لا يعقل.

المذيع: دكتور كيف نصل إلى هذه الحالة، أنا كإنسان كيف أستطيع أن أصل إلى حلاوة الإيمان التي تتفضل و تتحدث عنها ؟

الدكتور راتب: لا تستطيع أن تسكن هذا القصر المنيف إلا إذا دفعت ثمنه.

المذيع: فما هو الثمن ؟

الدكتور راتب: الثمن أن يكون الله في قرآنه و النبي في سنته عند التعارض أي عند تعارض النص الشرعي مع مصلحتك المادية الموهومة أحب إليك من أي شيء في الدنيا، فحينما تؤثر الحكم الشرعي و أمر الله و نهيه أو أمر النبي و نهيه حينما تؤثر هذا على مصالحك الموهومة سمح لك أن تذوق عندئذ حلاوة الإيمان.

أي بشكل مختصر أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما من حظوظه و من مصالحه لأن الشرع الحنيف لا يأمر و لا ينهى إلا لما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل، و العقل يقتضي اتباع تعليمات الصانع حتى يصبح هوى المؤمن تبعاً لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام.

المراد أستاذ جمال بالحب: أحب إليه هنا الحب العقلي الذي هو إيثار لما يقتضيه العقل السليم، و إن كان على خلاف هوى النفس، أنت قد لا تحب أكلة تحبها جداً لكن تؤذي بعض الأجهزة تكرهها عقلاً و تحب أكلة خفيفة عقلاً فهناك حب عقلي و حب نفسي، فهنا المحبة يعني بها النبي المحبة العقلية، قد تقوم لعبادة و فيها جهد لكن هذه العبادة لها ثمار طيبة كالحج مثلاً، فالمرء إذا تأمل أن المنعم الحقيقي هو الله تعالى و أنه لا مانح و لا مانع في الحقيقة سواه و أن ما عداه وسائط و أن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي يبين له مراد ربه، اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه فلا يحب إلا ما يحب، و لا يحب من يحب إلا من أجله، و أن يتيقن أن جملة ما وعد و أوعد حق يقيناً، و يخيل إليه الموعود كالواقع فتغدو عنده مجالس الذكر رياضاً من رياض الجنة، محبة الله على قسمين فرض و ندب، فالفرض هو المحبة التي تبعث على امتثال أوامره و اجتناب نواهيه و الرضا بقدره، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك لواجب فلضعف محبته لله، حيث قدم هوى نفسه المحرم أو آثر الراحة أو استرسل في المباحات و استكثر منها و قدمها على طاعة الله فأورثته الغفلة و حملته على رجاء ساذج و ظن موهوم، و المحبة

المندوبة هي التي تدعوه إلى أن يواظب على النوافل و يتجنب الوقوع في الشبهات و كذلك محبة النبي الكريم على قسمين كما تقدم تعني ألا يتلقى شيئاً من المأمورات و المنهيات إلا من مشكاة النبوة و ألا يسلك إلا طريقته و يرضى بما شرعه حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضاه و يتخلق بأخلاقه في الجود و الإيثار و الحلم و التواضع و غيرها، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان، و تتفاوت مراتب المؤمنين بحسب ذلك الالتزام و تلك الحلاوة.

المذيع: كيف نختتم حديثنا دكتور محمد راتب النابلسي هناك دائماً حلاوة الإيمان نجدها على إنسان ما، الأعمال التي يقوم بها هذا الإنسان حتى تترجم إلى واقع ؟

الدكتور راتب: الحقيقة تترجم حلاوة الإيمان بالإقبال على الطاعات، و تحمل المشاق في المجاهدات، و إيثار ذلك على أعراف الدنيا، باحث مسلم عرف بنتاجه العلمي على المستويين العربي و الدولي و هو أستاذ جامعي له وزنه، و اختصاصه بعلم فزلجة النبات و قد اشتهر بتجاربه العلمية الرائدة و له تجربة فريدة التي قد لا تصدق إلا ن الواقع أثبتها و أكدها قوله تعالى:

(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً (44))

[سورة الإسراء: الآية 44]

يقول هذا الباحث النباتات كما الأجرام السماوية و كما مخلوقات الله الأخرى تشعر و تسمع و تستجيب سلباً أو إيجاباً لما حولها من مؤثرات خارجية هذا ملخص البحث.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 14: ليلة القدر .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2003-11-05

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: فضيلة الشيخ أنتم في جامعة دمشق في كلية التربية أستاذ محاضر و أيضاً في مساجد دمشق خطيب و مدرس، بالإضافة إلى أنك أستاذ مادة الإعجاز العلمي في جامعة الأزهر فرع دمشق ، طبعاً هناك دائماً سماحة الشيخ حديث جميل و رائع عن ليلة القدر المباركة، هذه الليلة الهامة جداً للأخ المؤمن الذي أحب الله و أحب رسوله عليه الصلاة و السلام، كيف نتحدث عن ماهية هذه الليلة المباركة؟

الدكتور راتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أستاذ جمال ليلة القدر ليلة عظيمة، هي خير عند الله من ألف شهر، و الحقيقة أنها ليلة اللقاء مع الله، ليلة الإقبال عليه، ليلة الصلح معه، ليلة المغفرة، ليلة التوبة، هي خير عند الله من ألف شهر، إذا قدرت الله حق قدره فقد وصلت إلى كل شيء.

ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، و إن فتك فاتك كل شيء، و أنا أحب إليك من كل شيء، كيف يصل الإنسان إلى الله عز وجل ؟

لابد من أن يذكر نفسه بالله، الإمام الجليل أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى خاطب نفسه التي بين جنبيه مشيراً إلى واعظين بليغين ناطقاً و صامتاً، فالناطق هو القرآن الكريم و الصامت هو الموت، و فيهما كفاية لكل متعظ، الإمام الغزالي يقول: أنت يا نفس مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق، فإن الله تعالى يقول في كتابه:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (16))

[سورة هود]

فيا نفس لقد وعدك الله سبحانه و تعالى بالنار على إرادة الدنيا و حبها، و كل ما لا يصحبك بعد الموت فهو من الدنيا، و لو أن طبيباً وعدك بالمرض على تناول ألذ الأكلات لتحاشيتها و اتقيتها أيكون الطبيب يا نفس أصدق عندك من الله ؟ فإن كان كذلك فما أكفرك، و إن كان المرض أشد عندك من النار فما أجهلك، و يتابع الإمام الغزالي رحمه الله تعالى خطابه لنفسه فيقول: ثم وعظتها بالواعظ الصامت و هو الموت فقلت لها: لقد أخبر الواعظ الناطق عن الواعظ الصامت حيث قال تعالى:

(أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207))

[سورة الشعراء]

و كان سيدنا عمر بن عبد العزيز إذا دخل إلى عمله في الخلافة يتلو هذه الآية، ثم ذكر نفسه بقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((ألا يا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا، جائعة عارية يوم القيامة، ألا يا رب نفس جائعة عارية في الدنيا، طاعمة ناعمة يوم القيامة، ألا يا رب مكرم لنفسه و هو لها مهين، ألا يا رب مهين لنفسه و هو لها مكرم، ألا يا رب متخوفض و متنعم ماله عند الله من خلاق، ألا و إن عمل الجنة حزن بربوة، ألا و إن عمل النار سهل بسهوة، ألا يا رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً))

المذيع: فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي دائماً هناك مثوبة من الله عز وجل العبادة لذة، لكن ما وراء العبادة هناك ثواب و عقاب كيف نتحدث في هذا الموضوع بشكل معمق ؟

الدكتور راتب: لن نستطيع الحديث بأفضل مما قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال هذا الإمام الجليل إنه ليس شيء شر من الشر إلا العقاب، و ليس شيء خير من الخير إلا الثواب، و كل شيء في الدنيا سماعه أعظم من عيانه، و كل شيء في الآخرة عيانه أعظم من سماعه، فليكفكم من العيان السماع و من الغيب الخبر، و اعلموا أن ما نقص من الدنيا و زاد في الآخرة خير مما نقص في الآخرة و زاد في الدنيا، فكم من منقوص رابح، و كم من مزيد خاسر، و اعلموا أن الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه، و ما أحل لكم أوسع مما حرم عليكم، فذروا ما قلّ لما كثر، و ما ضاق لما اتسع، قد تكفل الله لكم بالرزق و أمرتم بالعمل فلا يكن المضمون لكم أولى بكم من المفروض عليكم، فبادروا بالعمل و خافوا بغتة الأجل.

و قد روي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال:

((عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ الْخَثْعَمِيَّةِ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبِلَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ عَتَا وَطَغَى وَنَسِيَ الْمُبْتَدَا وَالْمُنْتَهَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ طَمَعٌ يَقُودُهُ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ هَوًى يُضِلُّهُ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ رَغَبٌ يُذِلُّهُ))

[الترمذي]

أيها الإخوة الكرام: يروى عن سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال: **من حمل ذنبه على ربه فقد فجر.**

و أن الله تعالى لا يطاع استكراهاً و لا يعصى بغلبة، فإن عمل الناس بالطاعة لم يحل بينهم و بين ما عملوا، و إن عملوا بالمعصية فليس هو الذي أمرهم، و لو أجبرهم على الطاعة لأسقط الثواب، و لو أمرهم بالمعية لأسقط العقاب، و لو أهملهم لكان عجزاً بالقدرة، فإن عملوا بالطاعة فله المنة عليهم، و إن عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم.

و ابن عطاء الله السكندري في كتابه الحكم العطائية أقوال طيبة يقول هذا العالم الجليل: **من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره،** و ربما أعطاك فمنعك، و ربما منعك فأعطاك، و قد يكون العطاء من الخلق حرمان، و قد يكون المنع من الله إحسان، و متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء، و متى أوحشك من خلقه فليفتح لك باب الأنس به، و ربما وجدت من الفاقات ما لا تجده في الصوم و الصلاة، فلا تستبطئ منه النوال و لكن استبطئ من نفسك الإقبال، و ما لم تفرغ قلبك من الأغيار فلن يملأه بالمعارف و الأسرار، فكما أن الله تعالى لا يحب العمل المشترك لا يحب القلب المشترك، العمل المشترك أي العمل الذي فيه شرك لا يحبه الله، فكما أن الله تعالى لا يحب العمل المشترك لا يحب القلب المشترك، العمل المشترك لا يقبله، و القلب المشترك لا يقبل عليه.

لذلك يقول عليه الصلاة و السلام في إحدى خطبه قال:

((رغم أنف عبد أدرك رمضان فلم يغفر له إن لم يغفر له فمتى ؟))

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 15: التوحيد

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2003-11-10

بسم الله الرحمن الرحيم

أخوتي المؤمنين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تلك العقيدة التي هي لب الإسلام ، بل هي محور رسالات السماء ، قال تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

(سورة الأنبياء : 25)

إله واحد ، خالق كل شيء ، ورب كل شيء ، له الخلق والأمر ، وإليه المصير ، في السماء إله ، وفي الأرض إله .

(إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)

(سورة هود : 107)

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)

(سورة هود : 123)

هو وحده الجدير ، أن يعبد فلا يجحد ، وأن يشكر فلا يكفر وأن يطاع فلا يعصى .

روى الشيخان البخاري ومسلم : عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لي يا معاذ ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال عليه الصلاة والسلام : حق الله على العباد أن يعبدوه ، لأن العبادة هي علة وجودهم .

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(سورة الذاريات : 56)

حق العباد على الله أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله ، أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً .

أيها الأخوة المشاهدون :

تحدثت عن تعريف التوحيد ، وها أنا ذا أنتقل إلى لوازم التوحيد ، من لوازم التوحيد :

أن لا يتخذ الإنسان من دون الله رباً يعظمه كما يعظم الله

(قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ)

(سورة الأنعام : 164)

فلو اعتقد أن جهة غير الله ، يمكن أن تعطي ، أو أن تمنع يمكن أن تخفض ، أو أن ترفع ، يمكن أن تعز أو تذل ، مستقلة عن إرادة الله فقد أشرك .

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

(سورة آل عمران : 26)

أيها الأخوة الأكارم :

ومن لوازم التوحيد أيضاً :

أن لا يتخذ الإنسان من دون الله ولياً ، يحبه كحب الله .

(قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

(سورة الأنعام : 14)

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31)نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)

(سورة فصلت : 30 - 31 - 32)

أيها الأخوة الأكارم :

ومن لوازم التوحيد أيضا :

أن لا يتخذ الإنسان غير الله حكما ، يطيعه كما يطيع الله .

(أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً)

(سورة الأنعام : 114)

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)

(سورة الأحزاب : 36)

أيها الأخوة :

من ثمار التوحيد اليانعة ، أن التوحيد هو في الواقع تحرير للإنسان ، من كل عبودية ، إلا لربه الواحد الديان ، الذي خلقه فسواه وكرمه ، التوحيد تحرير لعقله من الخرافات والأوهام ، التوحيد تحرير لضميره من الخضوع والذل والاستسلام ، التوحيد تحرير لحياته من تسلط الأرباب والمتألهين .

ومن ثمار التوحيد اليانعة أيضاً ، أن التوحيد يعين على تكوين الشخصية المتزنة التي توضحت في الحياة وجهتها ، وتوحدت غايتها وتحدد طريقها ، فليس لها إلا إله واحد ، تتجه إليه في الخلوة ، والجلوة وتدعوه في السراء والضراء ، وتعمل على ما يرضيه ، في الصغيرة والكبيرة ، ففي القرآن :

(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)

(سورة يوسف : 39)

وفي آية أخرى :

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

(سورة الزمر : 29)

ومن ثمار التوحيد أيضاً : أن التوحيد يملئ نفس صاحبه أمناً وطمأنينة فلا تسترد بها المخاوف التي تتسلط على أهل الشرك ، فقد سد الموحد منافذ الخوف التي يفتحها الناس على أنفسهم ، الخوف على الرزق ، والخوف على الأجل ، والخوف على النفس ، والخوف على الأهل والأولاد ، والخوف من الإنس ، والخوف من الجن ، والخوف من الموت ، والخوف من ما بعد الموت .

أما المؤمن الصادق ، الموحد فلا يخاف إلا الله ، ولا يخشى إلا الله ، ولهذا تراه أمناً إذا خاف الناس ، مطمئناً إذا قلق الناس هادئاً إذا اضطرب الناس .

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81)الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

(سورة الأنعام : 81 - 82)

وقال تعالى :

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)

(سورة الشعراء : 213)

يا أيها الأخوة الأكارم :

من ثمار التوحيد اليانعة أيضاً ، أن التوحيد مصدر لقوة النفس إذ يمنح التوحيد صاحبه، قوة نفسيةً هائلة، حيث تمتلئ نفسه من الرجاء بالله تعالى ، والثقة به ، والتوكل عليه ، والرضى بقضائه والصبر على بلائه ، والاستغناء به عن خلقه ، فهو راسخ كالجبل ، لا تزحزحه الحوادث ، ولا تزعزعه الكوارث .

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)

(سورة يونس : 107)

(فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (55)إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

(سورة هود : 55)

ومن ثمار التوحيد أيضاً : أن التوحيد أساس الأخوة الإنسانية والمساواة البشرية ، لأن الأخوة والمساواة ، لا تتحققان في حياة الناس إذا كان بعضهم أرباباً لبعض ، أما إن كان الناس جميعاً عباداً لله

والله فوق الخلق فيها وحده ، هو الخالق ، المربي ، المسير ، الرازق هو الحكم ، إليه المصير ، عندئذٍ تتحقق المساواة بين الناس ، ويأتلف بعضهم بعضاً .

وهذه بعض ثمار التوحيد ، وقد قيل ما تعلمت العبيد ، أفضل من التوحيد وقيل أيضاً : نهاية العلم التوحيد ، ونهاية العمل التقوى .

أيها الأخوة الأكارم : أرجو أن تكونوا قد أفتم من موضوع التوحيد ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 16: تأملات في سورة العصر

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2003-11-11

بسم الله الرحمن الرحيم

أخوتي المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

ورد في الحديث الشريف : أن رغم أنف عبدٍ ـ أي خاب وخسر ـ أدرك رمضان فلم يغفر له ، إلا لم يغفر له فمتى ؟ لذلك ينبغي للمرء أن يخرج في رمضان ، من ظلمات الجهل والوهم ، إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحُول الشهوات ، إلى جنات القربات ، ومن مدافعة التدني ، إلى متابعة الترقي ، فلعل هذا الإنسان ، يرى الحقيقة الكبرى التي تتمحور حولها كل الحقائق ، فينطلق إلى الهدف الكبير ، الذي ينتظر كل الخلائق ، فيهتدي ويهدي ، ويسعد ويُسعد .

أيها الأخوة الكرام :

في القرآن الكريم سورة قصيرة ، كان الرجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا التقيا لن يتفرقا حتى يتلو أحدهما على الآخر هذه السورة ، وكان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول لو فكر الناس في هذه السورة لكفتهم .

هذه السورة :

ترسم حدود منهج كامل للحياة البشرية ، كما يريدها خالق البشرية ، فعلى امتداد الزمان في جميع العصور ، وعلى امتداد المكان في جميع الدهور ، ليس أمام الإنسان إلا منهجٌ واحدٌ رابح وطريق واحد سالك ، إلى جنة الخلد ، وكل ما وارء ذلك ، ضياعٌ وخسارٌ وشقاء .

أيها الأخوة المشاهدون :

لعلكم تسألون ما هذه السورة ؟ إنها سورة العصر :

(وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

لقد أقسم الله جل جلاله بمطلق الزمن ، العصر للإنسان الذي هو في حقيقته ، زمن ، فهو بضعة أيام ، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، وما من يوم ينشق فجره ، إلا وينادي يا ابن آدم ، أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد ، فتزود مني ، فإني لا أعود إلى يوم القيامة .

لقد أقسم الله بالزمن ، للإنسان ، أنه في خسر بمعنى أن مضي الزمن وحده ، يستهلك عمر الإنسان ، الذي هو رأس ماله ، ووعاء عمله الصالح ، الذي هو ثمن الجنة التي وعد بها .

وهل الخسارة أيها الأخوة : في العرف التجاري ، إلا تضيع رأس المال من دون تحقيق الربح المطلوب ، لكن الإنسان إذا أستثمر الوقت فيما خلق ، يستطيع أن يتلافى هذه الخسارة ، وذلك بالإيمان والعمل الصالح ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

قال تعالى :

(وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

أولاً : الإيمان ..

الإيمان هو اتصال هذا الكائن الإنساني ، الصغير ، الضعيف الفاني ، المحدود ، بالأصل المطلق الأزلي الباقي ، الذي صدر عنه هذا الوجود وعندئذٍ ينطلق هذا الإنسان من حدود ذاته الصغيرة ، إلى راحبة الكون الكبير ، ومن حدود قوته الهزلية ، إلى عظمة الطاقات الكونية المخبوءة ، ومن حدود عمره القصير ، إلى امتداد الآباد التي لا يعلمها إلا الله ، هذا الاتصال فضلاً على أنه يمنح الإنسان القوة، والامتداد والانطلاق، فإنه يمنحه السعادة الحقيقَية التي يلهث ورائها الإنسان وهي سعادة رفيعة ، وفرح نفيس، وأنس بالحياة ، كأنس الحبيب لحبيبه وهو كسب لا يعدله كسب ، وفقدانه خسران لا يعدله خسران ، وعبادة إله واحد يرفع الإنسان عن العبودية لسواه ، فلا يذل لأحد ، ولا يحني رأسه لغير الواحد القهار ، فليس هناك إلا قوة واحدة ، ومعبودٌ واحد وعندئذ تنتفي من حياة الإنسان المصلحة ، والهوى ، ليحل محلها الشريعة والعدل .

والاعتقاد بكرامة الإنسان أيها الأخوة :

وهو من لوازم الإيمان ، الاعتقاد بكرامة الإنسان على الله يرفع من قيمته في نظر نفسه ، ويثير في نفسه الحياء ، من التدني عن المرتبة التي رفعه الله إليها .

ثانياً :

" وعملوا الصالحات "

ولأن الإيمان حقيقة إيجابية متحركة كان العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان ، فما إن تستقر حقيقة الإيمان في ضمير المؤمن حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها ، في صورة عمل صالح ، فلا يمكن أن يظل الإيمان في نفس المؤمن خامداً لا يتحرك ، كاماً لا يتبدى ، فإن لم يتحرك الإيمان هذه الحركة الطبيعية فهو مزيف ، أو ميت ، شأنه شأن الزهرة ينبعث أريجها منها انبعاثاً طبيعياً ، فإن لم ينبعث منها أريج فهو غير موجود .

والعمل الصالح أيها الأخوة :

ليس فلتةً عارضة ، ولا نزوةً طارئة ، ولا حادثةً منقطعة ، إنما ينبعث عن دوافع ، ويتجه إلى هدف ، ويتعاون عليه المؤمنون .

فالإيمان ليس انكماشاً ، ولا سلبية ، ولا انزواءً ، ولا تقوقعاً بل هو حركةٌ خيرةٌ ، نظيفة ، وعمل إيجابي ، هادف ، وإعمار متوازنٌ للأرض ، وبناء شامخ للأجيال ، يتجه إلى الله ، ويليق بمنهج يصدر عن الله .

ثالثاً :

" وتواصوا بالحق "

ولأن النهوض بالحق عسير ، والمعوقات كثيرة ، والصوارف عديدة ، فهناك هوى النفس ، ومنطق المصلحة وظروف البيئة ، وضغوط العمل ، والتقاليد ، والعادات ، والحرص والطمع ، عندئذٍ يأتي " التواصي بالحق " ، ليكون مذكراً ، ومشجعاً ومحصناً للمؤمن الذي يجد أخاه معه يوصيه ، ويشجعه ، ويقف معه ويحرص على سلامته ، وسعادته ، ولا يخذله ، ولا يسلبه ، وفضلاً عن ذلك ، فإن " التواصي بالحق " ينقي الاتجاهات الفردية ويوقيها فالحق لا يستقر ، ولا يستمر إلا في مجتمع مؤمن ، متواص ، متعاونٍ متكافل ، متضامن .

فالمرء بالإيمان ، والعمل الصالح يكمل نفسه ، وبالتواصي بالحق يكمل غيره ، وبما أن كيان الأمة مبني على الدين الحق الذي جاءنا بالنقل الصحيح ، وأكده العقل ، وأقره الواقع ، وتطابق مع الفطرة ، فلابد من أن يستمر هذا الحق ويستقر ، حتى تشعر الأمة بكيانها ، ورسالتها ، فالتواصي بالحق ، قضية مصيرية فما لم تتنامى دوائر الحق في الأرض ، تنامت دوائر الباطل وحاصرته فالتواصي بالحق ، يعني الحفاظ على وجوده ، والأداء لرسالته .

رابعاً :

" وتواصوا بالصبر "

وقد شاءت حكمة الله جل جلاله أن تكون الدنيا دار ابتلاء بالشر والخير ، ودار صراع بين الحق والباطل لذلك كان التواصي بالصبر ضرورةً للفوز بالابتلاء ، والغلبة في الصراع .

إذاً :

لابد من التواصي بالصبر ، على مغالبة هوى النفس وعناد الباطل ، وتحمل الأذى ، وتكبد المشقة ، لذلك يعد الصبر وسيلة فعالة لتذليل العقبات ، ومضاعفة القدرات ، وبلوغ الغايات ، إن تكونوا تألمون ، فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون .

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 17 : الهجرة- ندوة مع المذيع علاء الدين الأيوبي لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-01-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المذيع الأستاذ علاء الدين:

أيها السادة أهلاً وسهلاً ومرحباً بكما في هذه الندوة الخاصة بمناسبة الهجرة النبوية.
اسمحوا لي أن أبدأ من عند الأستاذ أحمد المفتي ليحدثنا عن الهجرة، تأريخاً، متى كانت ؟ وكيف حصلت ؟ وبالطبع بشيء من الاختصار، كيف استند إليها التأريخ الزمني التأريخ الهجري.
الأستاذ أحمد المفتي:

الهجرة تأريخًا:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد:
حينما نبدأ بتاريخ السنة الهجرية لا بد لنا أن نتساءل: لماذا أخذ التاريخ الهجري، ولم يؤخذ تاريخ ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يؤخذ أيضاً تاريخ نزول القرآن الكريم، حيث أرّخ في هذا الحدث العظيم، ولم يؤخذ أيضاً تاريخ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟
عمر بن الخطاب وتأريخ الهجرة:
لو عُدنا إلى السنة السابعة عشرة للهجرة أيام خلاقة سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وخاصة في شهر جمادى الآخرة، حينما ورد خطاب إلى أبي موسى الأشعري مؤرخًّا في شعبان، فأرسل إلى عمر رضي الله يقول: يا أمير المؤمنين، تأتينا الكتب، وقد أرِّخ بها في شعبان، ولا ندري أي شعبان هذا، هل هو في السنة الماضية ؟ أم في السنة الحالية ؟ لذلك جمع عمر رضي الله عنه الصحابة رضوان الله عليهم، وبحث هذا الشأن وهذا الموضوع، وكل واحد منهم طرح فكرة خاصة، فأحدهم قال: نأخذ بتاريخ مولد الرسول، والآخر قال: نأخذ بتاريخ وفاته، إلا أن الصحابة أجمعوا فيما بعد على أن أهم حدث بتأريخ الدولة الإسلامية هو تأريخ الهجرة.
فلذلك اتخذ سيدنا عمر باستشارة سيدنا عثمان رضي الله عنه، وسيدنا علي كرم الله وجهه، ورضي عنه أيضاً اتخذوا هذا الحدث الهام جداً بداية التأريخ للأمة العربية الإسلامية جمعاء، وكان هذا في سنة

622، أي بداية محرم تبدأ في السنة الثانية والعشرين وستة مئة ميلادية، وبدأ التأريخ بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ذلك التاريخ.

المذيع:

الأستاذ علاء، البداية في محرم لأن محرم لأنه الشهر الأول في السنة عند العرب ؟.

الأستاذ أحمد:

تماماً، لأن العرب كانوا يؤرخون في الماضي بأسماء مغايرة عن هذه الأشهر، ولكن فيما بعد اتخذوا هذه الأسماء، كل شهر من الأشهر له معنى من المعاني، فمحرم بالطبع بداية السنة الهجرية، ونحن حينما نقول مثلاً: إن القتال محرم، وهذه الأشهر الثلاثة التي تأتي وراء بعضها، حينما نقول: ذو القعدة فالعرب كانت تمتنع عن القتال، وذو الحجة أيضاً محرم فيه القتال، ويأتي بعد ذلك محرم، وقد حرِّم فيه القتال.

إلا أن الشهر الرابع، ونسميه رجب الفرد، لأنه يبتعد كثيراً عن هذه الأشهر الثلاثة، لم يأت متواليا، فنقول: رجب الفرد، وهو من الأشهر الحرم أيضاً.

فحينما نقول: رمضان، لأن الفترة الزمنية التي أرّخ بها هذه الأشهر أرّخت رمضان، لأن الحر شديد في هذا الشهر، وهو مشتق مِن الرمضاء، ومحرم حُرم فيه القتال، ورجب كان أيضاً الشهر العظيم، وشعبان وصفر كانت تصفر الأرض، وربيع وربيع الأول والثاني كان يخرج به الربيع، وجمادى تجمد الأرض، وجمادى الأولى، وجمادى الثانية، وهذه الأشهر لكل شهر اسمه ومعناه.

المذيع

الأستاذ علاء، إذاً: من هنا أهمية الهجرة جاء التأريخ الهجرة، جاء التأريخ بالهجرة بداية، ولم يكن بمولد النبي عليه الصلاة والسلام، ولم يكن بنزول الوحي، أو بنزول القرآن ولم يكن بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام، هنالك مقاصد من وراء التأريخ للهجرة.

الأستاذ أحمد المفتي:

من مقاصد التأريخ الهجري :

المقصد الأول: بناء الدولة الأسلامية:

هذا التأريخ الهجري المقصد الأول هو بناء الدولة الإسلامية، قبل الهجرة النبوية كان المسلمون لم يشكلوا دولتهم بعد، ولكن حينما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى طابا، إلى طيبة، إلى المدينة

المنورة، إلى يثرب، وأنشأ الدولة الإسلامية، ونحن لا بد لنا أن ننظر هنا أيضاً في بداية هذا اللقاء إلى أن الناحية الأولى ليدخل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، أو حينما وصل إلى قباء، وهذا لا شك بأن الدكتور الأستاذ الشيخ راتب سيحدثنا عن هذه القضية، أو هذه الضرورة، حينما يدخل الرسول ليبني المسجد، ولذلك اُتخذت الدولة قاعدة، لأن بناء الدولة الإسلامية يعتمد على المسجد، والمسجد معماري لكل المدن الإسلامية التي أنشأت فيما بعد، كل المدن كان المسلمون يبتدئون ببناء المسجد، وهو بناء بداية الدولة الإسلامية.

فلذلك حينما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة كانت الخطوة الأولى بأنه اشترى تلك الأرض من اليتيمين، وبنى ذلك المسجد ليبني الدولة، وأسس الدولة بإضافة إلى الوثيقة الهامة التي كتبت لأسس الدولة الإسلامية.

الأستاذ علاء:

نعود إلى كتابة الوثيقة لأسس الدولة، ولأول مرة يعرف التاريخ هذه الوثيقة، أنتقل إليك دكتور راتب إذا سمحت لي، كيف نقرأ مجموعة من الدروس، دروس الهجرة هي دروس كثيرة وكثيرة، والوقت لا يتسع في الحقيقة، لكن أول ملمح من ملامح كلمة الهجرة ماذا يمكن أن نستقي درساً منها ؟

الدكتور راتب النابلسي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

من ملامح الهجرة:

1- الهجرة حركة:

أول ملمح في الهجرة أنها انتقال من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، إذاً: هي حركة وليس في الإسلام سكون، بل هو حركة، وحيوية، والتزام، أن تعطي لله، وأن تمنع لله، وأن تصل لله، وأن تقطع لله، وأن تغضب لله، وأن ترضى لله.

(وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا)

(سورة الأنفال الآية: 72)

يجب أن تأخذ موقفاً، يجب أن تلتزم بمنهج، يجب أن تعتنق مبدأ، يجب أن تنضبط بقيم، يجب أن تتحرك، هي انتقال من مكة المكرمة إلى يثرب، ثم سميت المدينة المنورة، لكن يقول عليه الصلاة والسلام:

((لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ))

[متفق عليه عن ابن عباس]

الانتقال الآن من مكة إلى المدينة لا يسمى هجرة، ولكن الهجرة قائمة إلى يوم القيامة بين كل مدينتين تشبهان مكة والمدينة.

الأستاذ علاء:

يعني في كل مدينتين تحملان نفس الحالة.

الدكتور راتب:

علة خلق الإنسان عبادة الله:

ذلك أن علة وجود الإنسان علة وجوده أن يعبد الله، فإذا أرسلت ابنك إلى بلد غربي لينال الدكتوراه، فعلة وجوده الوحيدة في هذا البلد أن ينال الشهادة، فإذا لم يسمح له أن ينتسب إلى جامعتها العتيدة يجب أن يغادرها إلى بلد آخر، لأنّ بقاءه هناك لا معنى له، فعلّة وجودنا العبادة، قال تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56))

(سورة الذاريات)

والعبادة طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، في هذا التعريف جانب سلوكي، هو التزام، افعل ولا تفعل، هذا حرام ، وهذا حلال، وهذا فرض، وهذا واجب، وهذا مستحب، وهذا مكروه.

في حياة المؤمن منظومة واسعة جداً من الأوامر والنواهي، إذاً: ما لم يلتزم المؤمن فقد أنقص جانبا من الطاعة، وليس عندنا إسلام سكوني، الإعجاب بالإسلام سلبي، ما أعظم هذا الدين ! ما أعظم ها النبي الكريم ! هذا لا يقدم ولا يؤخر، وليس له أية قيمة في مدارج السالكين إلى الله.

إذاً: الهجرة حركة، ما لم تعط لله، ما لم تمنع، لله، ما لم تغضب لله، ما لم ترضى لله، ما تصل لله، ما لم تقطع لله، ما لم تأخذ موقفاً، ما لم تتحرك، ما لم تنصر الحق، ما لم تعين على نوائب الدهر كما فعل النبي الكريم، ما لم تحمل هم هذه الأمة، ما لم تخفف من متاعبها، ما لم تنتصر لها، فلست من هؤلاء الذين وعدهم الله بالجنة.

الأستاذ علاء:

سيدي، أن نفهم من هنا هذا الملمح عندما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ))

[متفق عليه عن ابن عباس]

الدكتور راتب:

لذلك:

((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ))

[رواه مسلم عن معقل بن يسار]

حينما تقِيم أمر الله في الزمن الصعب، في زمن الفتن، في زمن التطرف، في زمن الانحراف، في زمن الشبهات، في زمن الشهوات، في زمن أن يؤمر بالمنكر وينهى عن المعروف، في زمن أن يصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، في هذا الزمن الصعب إذا عبدت الله عز وجل في هذا الزمن فهو هجرة خالصة إلى الله عز وجل كما قال النبي عليه الصلاة والسلام.

هناك مهاجر أم قيس، امرأة حسناء خطبها رجل من قريش في مكة، اشترطت عليه أن يهاجر إلى المدينة، فهاجر من أجلها، فقال عليه الصلاة والسلام:

((إنَّما الأعْمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّمَا لِكُلّ امرىءٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللّه وَرَسولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللّه وَرَسولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دُنْيا يُصِيبُها أو امْرأةٍ يَنْكِحُها فَهِجْرَتُه إلى ما هَاجَرَ إلَيْه))

[متفق عليه]

فكان هذا يسمى عند الناس مهاجر أم قيس.

الأستاذ علاء:

سيدي قبل أن ننتقل إلى الأستاذ أحمد ليحدثنا عن الوثيقة التي كتبها النبي عليه الصلاة والسلام والتي عرفت المواطنة لأول في تاريخ الإنسانية، أود أن أتوقف عند مسألة النبي عليه الصلاة والسلام عندما هاجر من مكة إلى يثرب هل كانت هجرته هكذا، اسمح لي أن أستخدم يعني كلمات العوام على السبحانية، على التجلي، أم كان النبي عليه الصلاة والسلام قد أخذ بكل الأسباب، بكل الأسباب قبل أن يبدأ الرحلة العصيبة بين مكة والمدينة.

الدكتور راتب:

أستاذ علاء جزاك الله خيراً على هذا السؤال، ما من درس من دروس الهجرة يحتاجه المسلمين اليوم كهذا الدرس، أن نأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ثم نتوكل على الله وكأنها ليست بشيء، من أخذ بالأسباب واعتمد عليها ونسي الله وقع في الشرك، ومن لم يأخذ بها وقع في المعصية، البطولة أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، وأن تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء، الدليل:

هل في الأرض كلها إنسان أكثر استحقاقاً بنصرة الله من رسول الله ؟ هو أسرى به بلمح البصر إلى بيت المقدس، لمَ لم ينقله إلى المدينة بهذه الطريقة ؟ أراد أن يعلمنا أولاً هيأ من يمحو آثار حركته على الرمال، هيأ من يأتيه بالأخبار، هيأ من يأتيه بالزاد، سار مساحلاً بعكس قصده، كمن في غار ثور ليخف الطلب عليه، ثم استأجر خبيراً في الطريق غلّب خبرته على الولاء.

أحياناً المسلم بحاجة إلى خبرة عالية جداً، يجب أن يأخذها ولو من غير المسلم.

الأستاذ أحمد:

بالرغم من أن الخبير كان مشركاً.

الدكتور راتب:

2- الأخذ بالأسباب والتوكل على الله:

هناك ملمح رائع جداً، مع أنه أخذ بالأسباب كلها، ولم يدع ثغرة إلا وأغلقها، وكأن الأسباب هي كل شيء، لكن شاءت حكمة الله أن يصلوا إليه، ما الذي نستفيده من وصولهم إليه ؟ لو أن النبي عليه الصلاة والسلام كان اعتماده على الأسباب لانهارت قواه، لأنها لم تنجح، وصلوا إليه، ولكن لأنه أخذ بها تعبداً لله، واعتماده على الله، فلما قال له أبو بكر رضي الله عنه لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا ؟))

[متفق عليه]

في رواية أخرى: لقد رأونا، قال: يا أبا بكر ألم تقرأ قوله تعالى:

(وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198))

(سورة الأعراف)

إذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟ ويا رب، وماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك.

أستاذ علاء، سهل جداً أن تأخذ بالأسباب، وأن تتوكل عليها، وأن تنسى ربك، كما يفعل الغربيين، والأسهل أن لا تأخذ بها إطلاقاً كما يفعل الشرقيون، توكل ساذج، تواكل، سيدنا عمر رأى أناساً يتكففون الناس في الحج فقال لهم: << مَن أنتم، قالوا: نحن المتوكلون، قال: كذبتم، المتوكل من ألقى حبة في الأرض، ثم توكل على الله >>.

(وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبَاً (84) فَأَتْبَعَ سَبَبَاً (85))

(سورة الكهف)

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إنَّ اللَّهَ تَعالى يَلُومُ على العَجْزِ))

[رواه أبو داود عن عوف بن مالك رضي الله عنه]

أن أستسلم، انتهينا، أن أستسلم لعدوان، أن استسلم لاحتلال.

((إنَّ اللَّهَ تَعالى يَلُومُ على العَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بالكَيْسِ))

فإما أن تخطط، وإما أن يخطط لك، لا ينبغي أن تكون أفعالك ردود فعل، ينبغي أن تكون أفعالاً، وعلى الآخرين أن يكون عندهم ردُّ فعل، ينبغي أن نعمل، من أخذ بالأسباب، واعتمد عليها فقد وقع في وادي الشرك، ومن لم يأخذ بها فقد وقع في وادي المعصية، لكن النبي الكريم يقول:

((إنَّ اللَّهَ تَعالى يَلُومُ على العَجْزِ))

أن تستسلم، انتهينا، هذا ترتيب ربنا، هذا كلام فارغ، هذا توحيد مشوه.

((وَلَكِنْ عَلَيْكَ بالكَيْسِ، فإذَا غَلَبَكَ أمْرٌ فقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ))

أنا لا أقبل من ابني ألا يدرس، ثم يقول: هكذا مشيئة الله، أنا أعاقبه على هذه الكلمة، ولكن لو جاءه مرض خطير حال بينه وبين الامتحان أقول له: يا بني، قل: حسبي الله ونعم الوكيل.

هذا الدرس الأول الذي يحتاجه المسلمون الآن، يجب أن نأخذ بالأسباب، يجب أن نعد لهم، لقد أعدوا لنا ولم نعد لهم.

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ)

(سورة الأنفال الآية: 60)

ويجب أن نعد لهم ما نستطيع، وعلى الله الباقي، والله ما كلفنا أن نعد القوة المكافئة ، وقد يكون هذا مستحيلاً، كلفنا أن نعد القوة المتاحة، لذلك درس الهجرة أن نأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ثم نتوكل على الله وكأنها ليست بشيء.

لما وصولوا إليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان متوكلاً على الله، فأعطانا الله عز وجل هذا الدرس بشقين، كيف أخذ بالأسباب، وكيف توكل على الله.

الأستاذ علاء:

(إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)

(سورة التوبة الآية: 40)

الأستاذ أحمد:

حب الصحابة للرسول عليه الصلاة والسلام:

لذلك أعقب على كلام الأستاذ الدكتور بأن المهاجرين الأوائل الذين سبقوا النبي صلى الله عليه وسلم

إلى دار الهجرة كانوا يحملون في نفوسهم الحب العظيم جداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك نسوا الدنيا بكاملها، وخلفوها وراء ظهورهم، ثم انطلقوا إلى المدينة المنورة إلى دار الهجرة، لو أخذنا مثلاً صهيب الرومي، صيب الرومي حينما انطلق إلى الهجرة، حينما هاجر قبل الرسول صلى الله عليه وسلم كان يملك مالاً كثير جداً، فجاءه رجال من قريش فقالوا: جئتنا صعلوكاً، وأنت الآن تملك مالاً كثيراً، فكيف يمكن أن تأخذ هذا المال ؟ ونحن اليوم بإسقاطاتنا نعيش حالة اقتصادية مرعبة، لأن أمريكة تتحكم باقتصاد العالم، وأمريكا تتحكم بهذه البنوك التي تنتشر عبر هذه الدول الكبيرة جداً. لذلك أستاذ علاء، التفت صهيب الرومي وقال لهم: هذه هي الأموال خذوها، ثم انطلق إلى دار هجرته إلى المدينة المنورة.

لو أخذنا مثالاً آخر: حينما هاجر أول المهاجرين كان أول من هاجر إلى المدينة المنورة هو أبو سلمة بن أسد، فذلك بهجرته حينما انطلق ببعيره، وركبت أم سلمة أيضاً معه، وابنهم سلمة، وانطلق إلى المدينة، في البداية أمسكوا بخطام الناقة، وقالوا له: إلى أين ؟ أنت تذهب، وتأخذ معك أم سلمة ؟ فبنو مخزوم لم يسمحوا له أن يأخذ زوجته، فنزلت الزوجة، وهاجر بنفسه إلى المدينة المنورة، وأيضاً الولد حينما جاء قوم أبو سلمة، فأخذوا الولد من أم سلمة، حتى خُلعت يده وهم يتجاذبونه، وبقيت أم سلمة سنة بكاملها وهي تخرج إلى البطحاء تبكي كل يوم، وهي تتذكر ابنها عند بني أسد، وتتذكر زوجها وهو في المدينة المنورة، حتى جاء رجل شهم، وقال: دعوها فلتهاجر.

وهنا لا بد أن أقف أيضاً على ما قاله الدكتور، حتى إن الإنسان العربي كان يحمل في نفسه بذور الخير، حتى ولو أنه كان مشركاً، حينما سافرت، أو حينما حاولت أن تهاجر أم سلمة رآها في الطريق عثمان بن طلحة، فقال لها: إلى أين ؟ فقالت: إنني أريد الهجرة إلى المدينة المنورة، إلى يثرب، فقال: من معك في هذا الطريق الطويل ؟ فقالت: لا أحد، أنا وابني، وأخذت ابنها معها، فقال: لا بد لي أن أوصلك إلى دار زوجك، فأخذ بخطام هذه الناقة، وكانت تقول: ما رأيت رجلاً في العرب أكرم من عثمان، وهذا قبل أن يسلم عثمان بن طلحة، كان يسير بالناقة، ثم حينما يصل إلى مكان فكان ينيخ الناقة، ثم يبتعد قليلاً حتى تنزل، وينام تحت الشجرة بعد أن يربط الناقة.

هذه الأخلاق الرائعة لا بد أن نقف عندها مطولاً في دروسنا القادمة.

الأستاذ علاء:

من هنا أستاذنا الكريم هناك نموذجان يبرزان، الصحبة الصحبة، الذي صحب النبي عليه الصلاة والسلام، وهو سيدنا أبو بكر، واختاره صاحباً، وانتخاب سيد علي بن أبي طالب لينام في فراشه، وليرد كرائم أموال المشركين الأمانات الموجودة لديه، كيف نقرأ الصورتين ؟.

صورتان مهمتان: اختيار الصحبة وإنابة من يرد الأمانات:

الأستاذ أحمد:

لا شك حينما نتحدث عن الإسقاطات هذه في الهجرة النبوية لا بد لنا أن نقف أيضاً مطول عند هذا الاقتصاد، قريش بأموالها تدعها عند رجل يترك دينها، وهي تقاتله وتحاربه، وأموالها موجودة عند هذا الرجل عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

الأستاذ علاء:

إذًا هناك إجماع على أنه لا يوجد كأمانته صلى الله عليه وسلم.

الأستاذ أحمد:

إجماع على الأمانة، ومن ثم ترك سيدنا علي كرم الله وجهه ليعيد هذه الأموال لأصحابها.

الأستاذ علاء:

إذاً: الأمانة ليس لها علاقة بحالة الشجار.

الدكتور راتب:

رد الأمانات ولو كانت لمشرك كافر:

المال لا يستحل إلا بالحرب فقط، أما أن تقول هذا ليس مسلماً خذ ماله، هذا درس بليغ، الأموال لا تستحل إلا في أثناء الحرب، كغنائم، أما في أثناء السلم فأن تقول: فلان ليس مسلماً فآخذ ماله، هذا مرفوض بهذه القصة.

الأستاذ علاء:

الآن نعود إلى قضية هي هامة جداً، عندما وصل النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة، وكان في المدينة المنورة أطياف متعددة، ومشارف متعددة، وكان في المدينة المنورة الأوس والخزرج، ثم جاء المهاجرون المسلمون، وهناك غير المسلمين من اليهود الذين ساكنوا في المدينة، والوثنيون، في هذه الأثناء كان عبد الله بن أبي يشك له الخرز على تاجه لتتويجه مالكاً على يثرب، قبل مجيء النبي عليه الصلاة والسلام، وكان قد اشتعلت حرب بين الأوس والخزرج لـ120 عاماً، ثم أتى النبي عليه الصلاة والسلام، وجاء إلى مكونات المجتمع المدني، وأول وثيقة مدنية حقوقية تعرف المواطنة، وتعترف بالآخر، بواجباته وبحقوقه تلك الوثيقة التي كتبها النبي عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة، كيف نقرأها أستاذ أحمد ؟ وأيضاً نقرأها مع الأستاذ الدكتور راتب.

أطياف المجتمع المدني وموقف النبي عليه الصلاة والسلام من ذلك:

الأستاذ أحمد:

بداية لا بد لي أن أمهد لأستاذنا الدكتور راتب، لأنه ما شاء الله بحر من العلوم، ولا بد لي أن أشير بداية تاريخياً بأن اليهود حينما ذهبوا إلى يثرب، واستوطنوا هذه الأرض أيضاً هم فروا من الإمبراطور الروماني، ولأنه كانت بينهم وبينه مجموعة من الثورات التي قاموا بها، وخاصة حينما طردوا من بلاد الشام، وأيضاً طردوا من مواطنهم من مناطق أواسط آسيا، فذهبوا، وقطنوا في المدينة المنورة، كان منهم هؤلاء الذين أصبحوا فيما بعد من بني قريظة وبني قينقاع وبني النضير، وبعد ذلك جاء الأوس والخزرج إلى المدينة المنورة، وتكوّن هذا المجتمع، اليهود بالذات هم جشعون منذ عصرهم، متعطشون للمال، دائماً وأبداً، فلذلك بحثوا عن المناطق التي وجد فيها المياه في يثرب، وبحثوا عن الزراعة أيضاً، وعن النخيل، وعن الصناعات، واستوطنوا في هذه المناطق.

هناك قضية مهمة جداً، نحن نتحدث، ونقول: ما مهنة فلان، المهنة من الإهانة، ذلك أن العرب كانوا يعتبرون كل إنسان يعمل في ميدان الصناعة هو مهان، لأن اليونان قديما كانوا يتخذون الأرقاء والعبيد في عمل الصناعات فهم مهانون، ولا يترفعون إلى طبقة الشرفاء، لذلك اليهود كانوا دائماً وأبداً يأخذون بقضايا الاقتصاد، وكانوا يأخذون الأموال، وتوطنوا في هذه الأرض التي كان فيها الأوس والخزرج أيضاً، وبدأ المجتمع العربي في هذه المدينة في يثرب ـ كما قلت أستاذ علاء ـ يتوطن ما بين الأوس والخزرج، وكان اليهود يثيرون الفتن دائماً ما بين الأوس والخزرج بعملية الاستغلال الاقتصادي، في بيعهم أيضاً الأسلحة، وفي بيعهم المواد الصناعية، والمواد الزراعية كاقتصاد كانوا دائماً وأبداً يثيرون الفتن.

لذلك لما كان يوم بُعاث، وهو الحرب الطاحنة التي كانت بين الأوس والخزرج، قبل الهجرة بخمس سنوات كان يوم بُعاث، فلذلك كان في تلك الفترة يقف على الحياد عبد الله ابن أبي ابن سلول، ولم يشترك في الحرب بالرغم من أنه من الخزرج، والخزرج كانوا أضعف من الأوس، وكانت أيضاً بيعت العقبة كانت مع الخزرج، وجاء الأوس أيضاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في بيعتي العقبة.

فلذلك نحن لا بد أن ننظر إلى أن هذا الإنسان الذي وقف على الحياد، وعد الأوس والخزرج لتتويج، بالإضافة إلى اليهود أيضاً لتتويج عبد الله ملكاً على المدينة المنورة لا بد من أن ننظر إلى النوازع النفسية التي تحدث عنها فيما بعد القرآن الكريم، وظهرت طائفة جديدة عند المسلمين وهي المنافقون.

فلذلك كانت هناك رحلة الرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، ومكوثه في المدينة، وكان البدء في البداية إيداع وثيقة لتنظم العلاقات ما بين المسلمين وبين اليهود وبين الوثنين كما تحدث الدكتور راتب.

الأستاذ علاء:

هذه الوثيقة الخالدة التي لم تعرفها الحضارات من قبل، هذه الوثيقة التي عرفت المواطنة كيف نقرأ بعضاً منها.

الدكتور راتب:

وثيقة تنظيم العلاقات بين المسلمين وسكان يثرب:

من بنود الوثيقة:

جاء في مقدمتها:

- أهل يثرب أمة واحدة، مصالحهم واحدة.

وجاء في ثنيات هذه الوثيقة:

- أن المؤمنين حربهم واحدة، وسلمهم واحدة، ولا يجوز لطيف من الأطياف أن يعقد صلحاً انفرادياً مع العدو، ولا أن يحارب وحده العدو، المؤمنون سلمهم واحدة وحربهم واحدة وأهل يثرب أمة واحدة، وهذا شيء يرفع الرأس، المواطنة أصل في الإسلام، والآية الكريمة تقول:

(فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ)

(سورة التوبة الآية: 7)

(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ)

(سورة الممتحنة الآية: 8)

هذا المفهوم مفهوم المواطنة أصيل في الدين، والذي يطالعنا من حين لآخر لرفض الآخر هذا ليس من المواطنة في شيء، فهذه وثيقة تعد مفخرة لهذا الدين القويم منهج رب العالمين.

الأستاذ علاء:

والمواطنة أصل كما تفضلت، والولاء للأوطان.

الدكتور راتب:

مفهوم المواطنة:

شيء آخر، كيف أقنع الطرف الآخر أنني على حق ؟ مِن أخلاقي، مِن وسطيتي، من تسامحي ، إن لم تظهر أخلاق المؤمنين الناصعة، كيف نغري الآخرين كي يكونوا معنا ؟

الأستاذ علاء:

هناك قائل يقول: يا أخي، هذه الوثيقة نعم هي موجودة، وهذه العهدة موجودة، وهذا الميثاق الذي اعترف بالأطياف والمشارف، لكن فيما بعد جرى معركة أو إجلاء اليهود بني النضير وبني قينقاع، كيف يتسق هذا مع الوقت الحاضر ؟.

الدكتور راتب:

هذا النظام أنا حينما أخالفه أستحق العقوبة، هذه القصة كلها، أي هناك رادع، الآن أي قانون بلا مؤيد قانوني لا قيمة له، قانون السير مثلاً بلا عقوبات لا قيمة له إطلاقاً، مفهوم المواطنة له مؤيد قانوني، فلو خرج هذا الإنسان عن الإجماع، وانفرد بشيء، وأساء إلى المجموع يعاقب.

الأستاذ علاء:

إذاً: هو المؤيد القانوني لهذه النقاط التي اتفق عليها النبي عليه الصلاة والسلام مع كل الأطياف، فمن خرج عن هذا الاتفاق يستحق أن يعاقب.

الأستاذ أحمد:

المؤيد القانوني لمفهوم المواطنة:

كما هي الحال اليوم أستاذ علاء فينا ننظر إلى أي دولة في العالم حينما يتصرف فرد وليست طائفة، وليس مجموعة حينما يتصرف فرد بأعمال تسيء إلى دولته تسقط عنه حقوق المواطنة.

الدكتور راتب:

أريد أن أؤكد حقيقة مهمة جداً، وهي أن هناك فرقاً كبيراً بين أصل الدين والممارسات الخاطئة للمسلمين، لذلك العقلاء لا يفهمون الدين من ممارسات اتباعه الخاطئة ، بل يفهمون الدين من أصوله الراسخة ومنابعه.

الأستاذ علاء:

سيدي، هنالك قول يقول: كل ما حدث من أحداث في عهد النبي عليه الصلاة والسلام كان لحكمة بالغة، كيف نقرأ هذا القول ؟ وكيف ينجر هذا القول على الهجرة، وما قبل، وما بعد الهجرة ؟.

الدكتور راتب:

سنة النبي عليه الصلاة والسلام تعبير واقعي للقرآن:

الحقيقة أن سنة النبي تعني أقواله أولاً، وتعني أفعاله ثانياً، وتعني إقراره ثالثاً، لكن الذي يلفت النظر أن أفعاله أدق في التعبير عن فهمه لكتاب الله من أقواله، لأن أقواله تحتمل التأويل، بينما أفعاله حدية، لذلك نحن نعد كلام النبي منهجاً لنا، ونعد سلوك النبي منهجاً لنا، إذاً: كل ما حدث في حياة النبي حدث لحكمة بالغةٍ بالغة، ليكون موقفه من هذا الذي حدث تشريعاً لنا، فنحن كأمة عربية إسلامية في أمسّ الحاجة إلى مواقفه في موضوع الهجرة ، إلى أخذ بالأسباب، إلى توكله على الله، إلى المواطنة، إلى التعايش، هذا كله لا بد منه دروس لنا جميعاً، والآية الكريمة تقول:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

(سورة الأنفال الآية: 33)

سنة النبي عليه الصلاة والسلام منهج كامل للحياة:

ما دام منهجك قائماً في حياتهم، في علاقاتهم، في كسب أموالهم، في أفراحهم، في أتراحهم، في كل نشاطاتهم، هم في مأمن من عذاب الله، وهم آمنون أيضاً إذا استغفروا.

(وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33))

(سورة الأنفال)

فنحن حينما نقرأ سيرة النبي نقرأ الدروس العبر البليغة التي نحن في أمسّ الحاجة إليها، لكن لا بد من أن أنوه أن معرفة سنة النبي القولية والعملية فرض عين على كل مسلم، طالبني بالدليل: لا يجرؤ إنسان على وجه الأرض أن يقول في الدين برأيه، الدين توقيفي، عندنا قاعدة أصولية، " ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض "، أرأيت إلى الوضوء ؟ إنه فرض، إن الصلاة وهي فرض لا تتم إلا به، فإذا قال الله تعالى:

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)

(سورة الحشر)

كيف نأخذ ما آتانا، وننتهي عما عنه نهانا إن لم نعرف ما الذي آتانا، وما الذي عنه نهانا،: إذاً معرفة سنة النبي القولية فرض عين، وإذا قال الله عز وجل:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21))

(سورة الأحزاب)

كيف أتخذه أسوة حسنة في بيته، مع زوجته، مع أولاده، مع إخوانه، في السلم، في الحرب، في الفقر، في الغنى، في النصر، في القهر، وقف الموقف الكامل حينما انتصر دخل مكة مطأطأ الرأس.

((ما ترون إني فاعل فيكم ؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم))

[رواه ابن أبي شيبة عن صفية بنت شيبة]

وقف الموقف الرائع، في القهر في الطائف، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، وقف موقفاً رائعاً في الفقر، أعندكم شيء ؟ قالوا: لا، قال: فإني صائم، وقف الموقف الرائع حينما أصبح غنياً، لمن هذا الوادي ؟ قال: هو لك، قال: أتهزأ بي ؟ قال: لا والله هو لك، قال: أشهد أنك رسول الله، وقف الموقف الرائع في موت ابنه:

((إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إلاَّ ما يُرْضِي رَبَّنا، وَإنَّا بِفِرَاقِكَ يا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ))

[رواه البخاري عن أنس رضي اتلله عنه]

وقف الموقف الكامل من تطليق ابنتيه، من انتقاله من بلد إلى بلد، الهجرة اقتلاع للجذور.

مرة جاء رجل من مكة وصف بطاح مكة في الربيع، فقال: يا قصي، لا تشوقنا ، انتقل من بلده مسقط رأسه، فالنبي لولا أنه قدوة لنا في كل شؤون الحياة لما أمرنا أن نجعله قدوة لنا:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)

أنا لي شخصية أكونها، ولي شخصية أتمنى أن أكونها، ولي شخصية أكره، أن أكونها، وما لم يكن النبي عليه الصلاة والسلام الشخصية التي أتمنى أن أكون على خطاها فلست متبعا له.

الأستاذ علاء:

موقف النبي من محاولة اليهود زعزعة الأستقرار في المدينة:

من هنا من الأسوة الحسنة، ومن تعاليم القرآن الكريم، ومما أرساه النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن هذه القصة التي نختم بها جاءت في آخر ندوتنا، ولم يبقَ في ندوتنا إلا دقائق معدودات، عندما استتب أمر المؤمنين في مكة، وكلهم توجه إلى الله، صارت الوحدة والتكافل والمساواة بين أوس وخزرج، وبين المسلمين، وغير المسلمين، والمهاجرين والأنصار، وحالة الإيثار، وحالة العطاء، فأصبحت المدينة المنورة بأطيافها لا تعرف هذا من هذا، لأنهم لوحة واحدة ملونة من أجمل التلاوين، هذا المشهد ساء شاس ابن قيس ذلك اليهودي الذي عُمر، ويقال: سقط حاجباه من كثرة ما عُمر من الزمن، فبعث بشاب ينشد بين الأوس والخزرج قصائد شعرية تذكرهم بيوم بُعاث لاقتتالهم بثأرهم، فقامت السيوف إلى بعضها فعلم النبي، فخرج النبي في موقف رائع حاسم، كيف نقرأ موقف النبي وقوله ؟ وكيف نجره على ما نعيشه في دنيا العروبة والإسلام، وما تعيشه أبناء الأمة الواحدة في العراق وفي أماكن عدة ؟.

الدكتور راتب:

أتختلفون وأنا بين أظهركم ؟! أجاهلية أخرى ؟! يكفينا أن الله عز وجل قال:

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ)

(سورة آل عمران الآية: 101)

سما الله خالق السماوات والأرض الاختلاف بين المؤمنين كفراً.

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ)

(سورة آل عمران الآية: 101)

أنا قلت البارحة، أو قبل يومين: إن أعدائنا يتعاونون، وبينهم من القواسم المشتركة 10 %، ويبحثون كل يوم عن عوامل تقربهم من بعضهم، والذين حولنا يتقاتلون، وبينهم من القواسم المشتركة 90%، ويبحثون كل يوم عن عوامل تفرقهم، هذه وصمة عار بحق الأمة واحدة، وقد سمى الله هذا الاقتتال كفراً:

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ)

الأختلاف بين المذموم والتنوع:

لذلك هناك اختلاف أساسه نقص المعلومات، صاحبه معذور، وهناك اختلاف أساسه الحسد والبغي والهوى.

(وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ)

(سورة آل عمران الآية: 19)

وهناك اختلاف التنافس وهذا محمود، اختلاف الجهل أصحابه معذورون، اختلاف الهوى والحسد والغيرة هذا اختلاف قذر، وفي اختلاف المنافسة صاحبه محمود.

الأستاذ علاء:

قال: أجاهلية، وأنا بين أظهركم ؟ دعوها فإنها منتنة، فنرى لواء الجاهلية يعاد، ويحرض بين أبناء الأمة الواحدة، يحرك من آلاف الأميال لكي نقتتل، شاس يعود من جديد شاس بن قيس يعود من جديد، ويلوح بالتفرقة، ونقتتل، وأنهار من الدماء، وإمكانيات تهدر ، وتمزيق الممزق، وتجزيء المجزأ، لتضعف الأمة، وتسلب هويتها وتاريخها.

الدكتور راتب:

شأن الطغاة: التفريق والقتل والتدمير والفتنة والطائفية:

هذا أستاذ علاء جزاك الله خيراً، هذا شأن الطغاة عبر التاريخ في البشرية، الطاغية الأول فرعون وصفه الله فقال:

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً)

(سورة القصص الآية: 4)

وطاغية العصر قال وزير خارجيته: أنا لا يعجبني أن يكون العالم 200 دولة: أتمناها 5000 دولة، الورقة الرابحة الوحيدة بأيدي الطغاة هي الفتن الطائفية، ونحن بعودتنا إلى الله واستقامتنا على أمره، ووعينا، وإخلاصنا، وحل مشكلاتنا نستطيع أن نسقط هذه الورقة الرابحة من يده، وأن نبني شرق أوسط جديد، ليؤكد وحدتنا تماسكنا ومبادئنا وقيمنا .

الأستاذ علاء:

ما استقيناه من مفهوم الهجرة، وما أسس له النبي عليه الصلاة والسلام، هل من كلمة أخرى أستاذ أحمد؟.

الأستاذ أحمد:

ملخص الندوة: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

لا بد من أن أقول في نهاية هذه الحلقة كما قال **الأستاذ الدكتور:**

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

فلنتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله، وأفعاله لنبني وطناً جديداً، وأمة جديدة، ونعود إلى جذورنا.

الأستاذ علاء:

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)

(سورة الفتح الآية: 29)

الدكتور راتب:

مكانة المرأة في المجتمع المسلم:

لي كلمة أخيرة: حينما فتح النبي الكريم مكة المكرمة دعته بيوتات قريش العريقة ليبيت عندهم، فقال: انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة، وركز لواء النصر أمام قبرها، ليعلم العالم أجمع أن هذه المرأة التي في القبر شريكته في النصر، هذه مكانة المرأة في الإسلام، شريكة الرجل، السيدة خديجة ما بدله الله خير منها، صدقتني حين كذبني الناس، وآوتني حينما شردني الناس، وأعطتني مالها حينما منعي الناس.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعية دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 18: من وحي القرآن (مكانة الإنسان)
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-09-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال:

دكتور محمد راتب النابلسي، الله عز وجل يقول في سورة الأحزاب:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)

[سورة الأحزاب]

بدايةٍ لو سمحتم أن نتحدث ما هي مكانة الإنسان من بين المخلوقات التي خلقها الله عز وجل؟ تفضل فضيلة الشيخ.

الإنسان هو المخلوق الأول رتبة من بين المخلوقات :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين.

أستاذ جمال، بادئ ذي بدء، الإنسان هو المخلوق الأول رتبة من بين المخلوقات لماذا؟ لأن الله عز وجل ركب الحيوان من شهوة بلا عقل، وركب الملك من عقل بلا شهوة، وركب الإنسان من كليهما، فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان، هذا كلام يحتاج إلى دليل من كتاب الله:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)

[سورة البينة]

قاطبة:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا)

[سورة البينة الآية:6]

في نهاية الآية:

(أولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ)

[سورة البينة]

فإما أن يكون الإنسان فوق الملائكة أو أن يكون دون الحيوان، لذلك الإنسان هو المخلوق الأول رتبة لقوله تعالى:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)

البشر على اختلاف مللهم وانتماءاتهم وأعراقهم لا يزيدون عند الله عن نموذجين :

الأمانة هي نفس الإنسان، جعلها الله أمانة بين يديه، فطوبى لمن عرفها بربها، وحملها على طاعته، وجعلها تتقرب إليه، فسلمت وسعدت في الدنيا والآخرة، والويل لمن جعلها غافلة عن الله، وتفلت من منهج الله، وأساءت إلى خلق الله، فشقيت وهلكت في الدنيا والآخرة.

أستاذ جمال قال تعالى:

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)

[سورة الليل]

ملايين الطرق التي يسلكها الناس، ولكن البشر جميعاً على اختلاف مللهم، ونحلهم، وانتماءاتهم، وأعراقهم، ونسبهم، وطوائفهم، ومذاهبهم، لا يزيدون عن نموذجين حصراً، نموذج أول عرف الله فانضبط بمنهجه، وأحسن إلى خلقه، فسلم وسعد في الدنيا والآخرة، ونموذج غفل عن الله، وتفلت من منهجه، وأساء إلى خلقه، فشقي وهلك في الدنيا والآخرة، ولن تجد نموذج ثالثاً:

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)

الإنسان حينما يؤمن بالله ويتقرب إليه بالأعمال الصالحة يكون فوق المخلوقات جميعاً :

الآن النموذج الأول:

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)

[سورة الليل]

إذاً النموذج الأول صدق أنه مخلوق للجنة، فاتقى أن يعصي الله، وبنى حياته على العطاء، فكان الرد الإلهي أنه يسره لسعادة الدنيا والآخرة، وأما النموذج الثاني: الذي

(كَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

بالجنة، وآمن بالدنيا، واستغنى عن طاعة الله، وبنى حياته على الأخذ.

فلذلك الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا، الأنبياء ملكوا القلوب، والأقوياء ملكوا الرقاب، الأنبياء عاشوا للناس، والأقوياء عاش الناس لهم، فهذان النموذجان هما النموذجان الوحيدان في الأرض، فلذلك الإنسان حينما يؤمن بالله، ويتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، يكون فوق المخلوقات جميعاً، إذاً الإنسان هو المخلوق الأول رتبة، والدليل القوي:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ)

أي على جميع الخلائق في عالم الذر،

(فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)

هناك تعليق لطيف: هو حينما حملها هل كان

(ظَلُوماً جَهُولاً)

؟ في الحقيقة كان طموحاً، متطلعاً إلى أعلى مرتبة ينالها مخلوق، ولكن إذا قبل حمل الأمانة، ولم يؤدِ هذه الأمانة

(كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)

الأستاذ جمال:

فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، مقدمة جميلة، لكن السؤال الآن فضيلة الشيخ: الإنسان إذاً مؤتمن في هذه الحياة، على ماذا يؤتمن؟ وكيف يمكن إذا أدى الأمانة كما يجب أن تؤدى ما المطلوب منه أولاً؟ وكيف يمكن أن يكون مؤدياً لهذه الأمانة؟ وكيف يمكن أن يكون سعيداً؟.

الإنسان مؤتمن على نفسه فعليه أن يحملها على الطاعة ويجعلها تتقرب إلى الله :

الدكتور راتب:

الحقيقة أن الأمانة هي نفسه التي بين جنبيه.

(قَدْ أَفْلَحَ)

[سورة الشمس الآية:9]

وقد وردت كلمة أفلح في القرآن في عدة مواطن:

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)

[سورة الشمس]

كيف يزكيها؟ يعرفها بربها، يحملها على طاعته، يجعلها تتقرب إليه بالأعمال الصالحة، تزكو النفس،

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)

أما حينما يغفل عن الله، ويتفلت من منهج الله، ويبحث عن شهوته من حلال أو حرام، يبحث عن المال من طريق مشروع أو من طريق غير مشروع، يكون بهذا قد أشقى نفسه، وخان حمل الأمانة، فالأمانة هي نفسه التي بين جنبيه، أوكله الله بها، لكن بقية المخلوقات ليسوا مكلفين، الحيوان يتبع شهوته من دون تكليف، والمَلَك يتبع عقله من دون تكليف، بينما الإنسان ركب الله فيه عنصراً أرضياً وعنصر سماوياً، هناك دوافع نحو الأرض أن يأكل، وأن يشرب، وأن يقترن بالأنثى، و دوافع نحو السماء أن يعرف الله، فلذلك أنت حينما تطلب من إنسان أن يتعرف إلى الله تدعوه ليلبي الحاجة العليا فيه.

الأستاذ جمال:

إذاً الموضوع يحتاج إلى متابعة، فضيلة الشيخ الدكتور راتب النابلسي هناك موضوع هام جداً هو: الإنسان مؤتمن في عمله، إن كان طالباً، أو أستاذ جامعة، أو مهندساً، أو مزارعاً، أي هناك أنواع مختلفة لأداء الأمانة، ما هي الصور المختلفة التي تجعلنا مؤتمنين في هذه الحياة على الأمانة التي حملنا الله عز وجل إياها؟.

عادات المؤمن عبادات وعبادات المنافق سيئات :

الدكتور راتب:

الحقيقة أستاذ جمال، أن الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، أنت حينما تكون أباً ناجحاً فالطريق إلى الجنة، أنت حينما تكونين أماً رؤوفة ناجحة البيت طريق إلى الجنة، أنت حينما تكون عاملاً مؤتمناً ومخلصاً ومتقناً هذا يصل بك إلى الجنة، وأنت في دكانك، وأنت في عيادتك، وأنت في مكتبك الهندسي، وأنت في الصف تدرس، وأنت في الحقل تزرع، أنت في عبادة، لأن هذه الحركة في الحياة أدت إلى نفع الناس، إذاً أنت في عبادة، لهذا قالوا: عادات المؤمن عبادات، بينما عبادات المنافق سيئات، فرق كبير بين عادات المؤمن، أكل، وشرب، وتزوج، وأنجب أولاداً، وربى أولاده، وعلمهم مبادئ الفضيلة والحق، فهو في عبادة، عمل عملاً معيناً أخلص فيه، أتقنه، خدم الناس فيه، فهو في عبادة، فعادات المؤمن عبادات وعبادات المنافق سيئات، إذاً هو الإنسان الأول، الإنسان الأول رتبة، قال تعالى:

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)

[سورة الرحمن]

أيعقل أن يعلم القرآن قبل أن يولد؟ الآية هكذا:

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ)

قال العلماء: هذا ترتيب رتبي لا ترتيب زمني، لا معنى لوجود الإنسان من دون منهج يسير عليه، فالإنسان هو المخلوق الأول، والمخلوق المكرم، لأنه قبل حمل الأمانة، لأنه قال: أنا لها يا رب، لأنه قبل المخاطرة والمغامرة.

الأستاذ جمال:

لكن أحياناً فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، الإنسان يخطئ، يدخل في الآثام أحياناً، يتجاوز الحدود أحياناً، وهو مؤتمن، ما هي الطرق؟ ما هي الأبواب -حتى إن أخطأ- للوصول إلى الله عز وجل؟.

الله عز وجل ما أمر الإنسان أن يتوب إليه إلا ليتوب عليه :

الدكتور راتب:

هذا الاحتمال قائم، بل إن:

((المؤمن مذنب تواب))

[ورد في الأثر]

وقال عليه الصلاة و السلام:

((كُلُّ بَنِي آدمَ خطَّاءٌ وخيرُ الخَطَّائينَ التَّوابونَ))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

فهذا الاحتمال الذي تفضلت به في أي يخطئ الإنسان احتمال قائم، ما الذي يغطيه؟ توبة الله له.

(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ)

[سورة النساء الآية:27]

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)

[سورة البقرة]

وما أمرك أن تتوب إليه إلا ليتوب عليك، فالتوبة تغضي هذا الاحتمال، بل إن الله يحب التوابين، بل إن شأن الإنسان أنه يخطئ ويصيب.

سيدنا حنظلة كان جالساً في الطريق يبكي، مرّ به سيدنا الصديق، قال له: يا حنظلة مالك تبكي؟ قال: نافق حنظلة، قال له: ولِمَ يا أخي؟ قال: نكون مع رسول الله ونحن والجنة كهاتين، فإذا عافسنا الأهل ننسى، فمن شدة تواضع الصديق، قال: أنا كذلك يا أخي، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حدثه حنظلة بما يعاني، قال: أما أنتم فساعة وساعة، أي ساعة تألق وساعة فتور، يفهم الناس هذا فهماً خاطئاً، يظنون ساعة طاعة وساعة معصية، مستحيل وألف ألف مستحيل أن يقصد النبي هذا المعنى،

المؤمن مستقيم، قال: أما نحن معاشر الأنبياء فتنام أعيننا ولا تنام قلوبنا، أما أنتم يا أخي فساعة وساعة، لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة.

من شأن الإنسان أنه يخطئ ويصيب والله يحب التوابين :

إذاً الله عز وجل جعل الإنسان ساعة تألق وساعة فتور، لعل في ساعة الفتور تزل قدمه، لعل في ساعة الفتور يقع في كلام خطأ، لذلك جاءت التوبة لتغطي هذا الاحتمال، فالله عز وجل يقول:

(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ)

[سورة النساء الآية:27]

(وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً)

[سورة النساء الآية:27]

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)

[سورة البقرة الآية :222]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً)

[سورة التحريم الآية:8]

الأستاذ جمال:

أيها الأخوة الأعزاء، نتابع حديثنا مع سماحة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي الآية الكريمة التي تتحدث عن الأمانة، هذه الأمانة التي عجزت الجبال على حملها،

(وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)

وسماحة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي يوضح وبشكل معمق معاني هذه الآية الكريمة. فضيلة الشيخ هل تدخل أمانة المجالس في الحديث عن هذه الآيات الكريمة من خلالها؟.

الأمانة تدور مع الإنسان في كل شؤون حياته :

الدكتور راتب:

تدخل أمانة الواجبات، أمانة الحرف، أمانة المجالس، الأمانة واسعة جداً، لأن الله عز وجل يقول:

(أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)

[سورة النساء الآية:58]

جاءت الأمانة جمعاً، الأنبياء لهم أمانة، أمانة التبليغ، العلماء لهم أمانة، أمانة البيان، الأطباء وأصحاب الحرف والمدرسون والمهندسون لهم أمانة، أمانة حرفهم ومهنهم، القاضي له أمانة، أمانة العدل، أي

عمل تقوم به إذا أديته على النحو الذي أراده الله عز وجل تكون قد أديت الأمانة، فإن لم تؤده على ما ينبغي أن يكون فقد خان الإنسان الأمانة، فالأمانة تدور مع كل شؤون حياة الإنسان، في أي لحظة هناك أمانة، سألك سائل، هل أجبته إجابة مفصلة؟ أديت الأمانة، استعان بك إنسان، هل أعنته؟ أديت الأمانة، تزوجت، هل أديت حق الزوجة؟ أديت الأمانة، أنجبت أولاداً، هل ربيتهم تربية ترضي الله عز وجل؟ أديت حق الأمانة، فالأمانة واسعة جداً، تكاد الأمانة تدور مع الإنسان في كل حركاته وسكناته، هذه الأمانة في الدرجة الأولى نفسه التي بين جنبيه التي هي تذوق الموت ولا تموت إلى أبد الآبدين، فلذلك يسعد الإنسان إذا أدى الأمانة في جنة عرضها السماوات والأرض، ويشقى إذا خان الأمانة ومصيره في النار.

الأستاذ جمال:

الحديث الشريف دكتور راتب النابلسي، يقول:

((الأمانة غنى))

[القضاعي عن أنس]

كيف يمكننا أن نوضح هذا الجانب؟.

الأمين أبواب الرزق أمامه لا تعد و لا تحصى :

الدكتور راتب:

الإنسان إذا كان أميناً بالمعنى الدقيق جداً للكلمة، هناك معنى دقيقاً محدوداً، هناك معنى موسعاً، إذا أودع الإنسان عندك مالاً ثم طلبه فأديته، هذا نوع من الأمانة لكن ضيق جداً، فالذي يعد أميناً عند الناس يكسب شيئاً لا يقدر بثمن، إنها ثقة الناس به، فالأمين يغتني لأن الناس وثقوا به، يعمل عندهم يثقون بأمانته، يعطونه أموالهم، هناك أبواب للرزق لا تعد ولا تحصى مفتحة أمام الأمين، أما إذا خان الأمانة فكل هذه الأبواب تغلق أمامه.

الأستاذ جمال:

دكتور راتب النابلسي، كنا قد تحدثنا سابقاً عن موضوع الأمانة ومجال العلاقات الزوجية، إن هذه العلاقات الزوجية أحياناً قد تمتلئ المحاكم بخلافات زوجية ما هب ودب، هناك نقاط اختلاف، هناك موضوع الأمانة التي تفضلت من خلالها، حبذا أن نتحدث للأخ المستمع عن موضوع أمانة العلاقات الزوجية بشيء من التفصيل لو سمحت.

المودة والرحمة من خلق الله عز وجل و هذا من معاني الأمانة في العلاقات الزوجية :

الدكتور راتب:

والله بشكل أو بآخر الله عز وجل يقول:

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة الروم الآية:22]

(وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)

[سورة فصلت الآية:37]

أستاذ جمال دقق:

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً)

[سورة الروم الآية:21]

كما أن خلق السماوات والأرض من آياته الدالة على عظمته، العلاقات الزوجية من آيات الله الدالة على عظمته، قال:

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً
لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)

[سورة الروم الآية:21]

معنى تسكنوا إليها أي أن الرجل يكمل نقصه الانفعالي بزوجته، وأن الزوجة تكمل نقصها القيادي بزوجها، فكلٌ منهم يسكن للآخر،

(وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)

فالمودة والرحمة من خلق الله عز وجل، هذا معنى من معاني الأمانة في العلاقات الزوجية، ومن كان زوجاً ناجحاً سعد بزواجه، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: "الحمد لله الذي رزقني حب عائشة".

الإنسان هو المخلوق الأول والمكرم والمكلف كلفه الله أن يعبده :

ولكن فاتني أن أقول لكم: إن الإنسان فضل على أنه المخلوق الأول رتبة لأنه قبل حمل الأمانة، ولما قبل حمل الأمانة سخر الله له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه وبالقرآن:

(وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ)

[سورة الجاثية الآية:13]

مكافأة الإنسان على قبوله حمل الأمانة أن

(وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ)

قال تعالى:

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)

[سورة الإسراء]

الآن بعد أن قبل حمل الأمانة، وبعد أن سخر الله له:

(مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ)

بِمَ كلفه؟ الإنسان هو المخلوق الأول، والمخلوق المكرم، والمخلوق المكلف، كلفه أن نعبده.

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات]

العبادة غاية الطاعة مع غاية الحب لله عز وجل :

لكن الأخوة الكرام أحياناً يتوهمون أن العبادة تلك العبادات الشعائرية كالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، والحقيقة خلاف ذلك، العبادة مطلق طاعة الله، العبادة غاية الطاعة مع غاية الحب، العبادة طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، العبادة هي طاعة، لكن الأقوياء يطاعون، لا تعد طاعة الأقوياء عبادة، لأنها طاعة قسرية، لكن الله جلّ جلاله ما أراد أن تكون علاقتنا به علاقة قسر، ولا قهر، علاقة حب، قال:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

[سورة البقرة الآية:256]

وقال:

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

[سورة المائدة الآية:54]

وقال:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

[سورة البقرة الآية: 165]

هذا الإله العظيم آبى أن تكون العلاقة به علاقة قهر، أراد أن تكون العلاقة به علاقة حب، فجعل المحبة والمحبوبية هي علامة العلاقة بين العبد وربه.

المحبة والمحبوبية هي علامة العلاقة بين العبد وربه :

إذاً:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّين)

إذاً هي طاعة طوعية، وليست قسرية، ممزوجة بمحبة قلبية، قال العلماء: ما عبد الله من أطاعه ولم يحبه كما أنه ما عبد الله من أحبه ولم يطعه:

تعصي الإله وأنت تظهر حب ه ذاك لعمري في المقال شنيعُ

لو كان حبك صادقاً لأطعتـه إن المحـب لمن يحبُ يطيعُ

* * *

لذلك قال بعض العلماء: من أعجب العجب أن تعرفه ثم لا تحبه، ومن أعجب العجب أن تحبه ثم لا تطيعه، إذاً هذا كلام ابن القيم، تعرفه، تحبه، تطيعه، تسلم وتسعد به في الدنيا والآخرة.

الأستاذ جمال:

هذه الأمانة الغالية على قلوبنا ونحن مؤتمنون في هذه الحياة عن عبادتنا وعن كل ما نملك أمام الله عز وجل.

كنا قد وعدنا الأخ المستمع أن نختتم حديثنا بصور مشرقة من تاريخنا الإسلامي الحنيف في معاني الأمانة، تفضل سيدي.

من عرف الله استقام على أمره :

الدكتور راتب:

سيدنا ابن عمر مرّ براع امتحنه، قال له: يا هذا بعني هذه الشاة وخذ ثمنها؟ قال: ليست لي، قال: قل لصاحبها ماتت وخذ ثمنها، قال: ليست لي، قال له: خذ ثمنها، قال: والله إني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها، ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني، فإني عنده صادق أمين، ولكن أين الله؟

أستاذ جمال، هذا الراعي على ضعف ثقافته وضع يده على جوهر الدين، فكفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى به جهلاً أن يعصيه.

فلذلك مهما نما علم الإنسان، واتسعت ثقافته، وحفظ كثيراً، ولم يستقم على أمر الله، فلا ينتفع من هذا العلم شيئاً، أقول كلمة لعلك تقبلها أو لا: يمكن أن تتحدث في الدين لساعات طويلة، وبنصوص صحيحة، وتحليلات عميقة، وأسلوب أخاذ، وأنت لا سمح الله لا تعرف الله، حينما تأخذ ما ليس لك لا تعرفه، حينما تبني مجدك على أنقاض الآخرين لا تعرفه، حينما تبني غناك على فقرهم لا تعرفه، حينما تبني أمنك على خوفهم لا تعرفه، حينما توقع بين اثنين لا تعرفه، الذي يعرف الله يستقيم على أمره،

لذلك مشكلة المسلمين الأولى أنهم يتحدثون في الدين حديثاً طويلاً ممتعاً ولكن واقعهم لا يتناسب مع أقوالهم، هنا المشكلة، فلذلك الله عز وجل قال:

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً)

[سورة مريم الآية:59]

ولقد لقي المسلمون هذا الغي.

ما لم نستقم على أمر الله لن نقطف من ثمار الدين شيئاً :

إن الله عز وجل قال:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي)

[سورة النور الآية:55]

وزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، فهذا البدوي البسيط الساذج الذي قال: ولكن أين الله؟ وضع يده على جوهر الدين، أقول لك بكل صراحة وإخلاص: ما لم نستقم على أمر الله لن نقطف شيئاً من ثمار الدين، لذلك مع الأسف الشديد مليار وخمسمئة مليون في الأرض، ربع سكان الأرض ليست كلمتهم هي العليا، وليس أمرهم بيدهم، وللطرف الآخر عليهم ألف سبيل وسبيل، لماذا: لأنهم

(خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً)

وقال الله عز وجل:

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

[سورة الشعراء]

من أجمل ما قرأته حول القلب السليم هو القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، ولا يصدق خبراً يتناقض مع وحي الله، ولا يحتكم إلا لشرع الله، ولا يعبد غير الله، فلذلك:

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ)

أجمع العلماء على أن إضاعة الصلاة لا يعني تركها، بل يعني تفريغها من مضمونها:

((ليس كلّ مصلٍّ يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، وكفى شهواته عن محارمي، ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان، ورحم المصاب، وآوى الغريب، كل ذلك لي))

[حديث قدسي رواه الديلمي عن حارثة بن وهب]

العبادات الشعائرية لا تقبل ولا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية :

النقطة الدقيقة أن الله عز وجل بيّن في القرآن الكريم:

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

[سورة العنكبوت الآية:45]

لهذا سأل النبي أصحابه:

((أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المفْلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: إن المفْلسَ مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شَتَمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيَتْ حَسَنَاتُهُ قبل أن يُقْضى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فطُرِحَتْ عليه، ثم يُطْرَحُ في النـار))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

هذه الصلاة، الصيام:

((مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّور والعمَلَ بِهِ، فليسَ للهِ حاجة فِي أن يَدَعَ طعَامَهُ وشَرَابَهُ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

الحج:

((من وضع رجله في الركاب، وقال: لبيك اللهم لبيك، ينادى ألا لبيك ولا سعديك، وحجك مردود عليك))

[أخرجه البزار عن أبي هريرة]

الزكاة:

(قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ)

[سورة التوبة]

الشهادة:

((من قال لا إله إلا الله بحقها دخل الجنة، قيل: وما حقها؟ قال: أن تحجبه عن محارم الله))

[الترغيب والترهيب عن زيد بن أرقم]

أخطر شيء سأقوله في هذا اللقاء الطيب العبادات الشعائرية كالصلاة والصوم والحج والزكاة لا تقبل ولا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية.

الأستاذ جمال:

فالأمانة أيها الأخوة والأحبة هي التي أمرنا الله عز وجل بها، فالأمانة وكما جاء بالحديث الشريف:

((الأمانة غنى))

[القضاعي عن أنس]

وهذا ما أوضحه صاحب الفضيلة والسماحة الدكتور محمد راتب النابلسي، قال الله تعالى في سورة الأحزاب:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)

صدق الله العظيم.

دكتور راتب النابلسي في الختام وبدقيقتين ماذا نقول عن الأمانة؟

تعريف الأمانة :

الدكتور راتب:

الأمانة هي أنت، إنك قبلت حمل الأمانة تسلم وتسعد إذا أديت الأمانة، وتشقى وتهلك إذا لم تؤدِ الأمانة، هي أنت، وأخطر ما في الأمانة أن تؤديها كما أراد الله عز وجل، والله عز وجل ما كلفك بشيء إلا وأعطاك مقوماته، من أجل أن تحمل الأمانة جعل الله لك هذا الكون معرضاً لأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى، أعطاك العقل، أعطاك الفطرة، أعطاك الشهوة المحركة، أعطاك الشرع كميزان، أعطاك الوقت، فما كلفك أن تعبده إلا بعد أن أعطاك مقومات هذه العبادة، فلذلك الأمانة تعني أن تسعد في الدنيا والآخرة، بل أن تسلم وتسعد، لأن كل إنسان في الأرض جبل على حبّ وجوده، وعلى حبّ سلامة وجوده، وعلى حبّ كمال وجوده، وعلى حبّ استمرار وجوده، فلمجرد أن تطيع الله عز وجل اصطلحت مع نفسك وأديت الأمانة، وحققت الهدف الذي خلقك الله له ألا وهي السعادة، قال تعالى:

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)

[سورة هود الآية:119]

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 19 : مشوار حياتي (سيرة الدكتور محمد راتب النابلسي).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-09-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال:

أيها الأعزاء يسعى جاهداً ضيفنا العزيز أن ينشر العلم في كل مكان، وفي كل زمان، هو كثير الأسفار، لماذا؟ لأنه يحمل شخصية فيها العلم الذي نحتاج إليه في كل زمان ومكان، نشأ في دمشق الفيحاء، من عائلة سيتحدث عنها في المجالات كافة، نقول: أهلاً ومرحباً بصاحب الفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دكتور السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لمحة عن أسرة الدكتور محمد راتب النابلسي :

الدكتور راتب:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أستاذ جمال جزاك الله خيراً، أثنيت عليّ كثيراً في مقدمتك، نشأت في أسرة حظها في المال قليل، ومن العلم كثير، توفي والدي وأنا في الخامسة من عمري، ولعل اليتم له إيجابيات، لي أخ كبير تولى رعايتي، أقول أنا: اليتم ليس في الحقيقة فقد الأب، اليتم فقد الرعاية، لذلك قد تجد أماً وأباً لكنهما يهملان أولادهما، هؤلاء الأولاد كأنهم أيتام، إن اليتم من يجد أماً تخلت، أو أباً مشغولاً، هذا هو اليتم الحقيقي، ليس لي أخوات من الإناث، من فضل الله عليّ لي أخوان اثنان، الأول رباني، والثاني أقل منه سناً، وأنا أصغر الأخوة الثلاث، الأول اسمه الأستاذ محمد أديب النابلسي توفي رحمه الله، والثاني محمد علي النابلسي، وكلاهما يحمل إجازة في التربية، ويعملان في الحقل التربوي، الأول يعمل في وزارة التربية مدير الشؤون الإدارية والقانونية، والثاني يعمل مدير ثانوية، وأنا ثالثهم، وأنا أعمل بالحقل التعليمي، نحن أسرة نشأنا في الحقل التعليمي، واختصاص أخوتي التربية، كان عندنا بالجامعة كلية التربية، تعطي إجازة في التربية، ثم ألغيت الإجازة وبقيت الدراسات العليا، وأنا أحمل دبلوم عامة في التربية.

كان والدي أحد علماء دمشق، اسمه الشيخ عبد الله النابلسي، وكان يُدرّس في جوامع دمشق، وترك مكتبة كبيرة هي عندي، وترك فيها مخطوطات ثمينة جداً، والوالدة اسمها صفية مارديني، جدها أحد كبار علماء الشام الشيخ سعيد المارديني، أنا تزوجت امرأة أنا أثق بأسرتها، وبدين أسرتها، وأنجبت منها خمسة أولاد، ولدان ذكران الأول يحمل الشهادة العليا من جامعات أمريكا في إدارة الأعمال، والثاني يعمل في التجارة، تجارة المواد الغذائية، الأول وسيم والثاني وارف، وعندي ثلاث بنات متزوجات من أخوة كرام، هذه لمحة عن أسرتي.

الدكتور محمد راتب النابلسي من أحفاد العالم الجليل عبد الغني النابلسي :

عندما نزور منطقة الصالحية، نجد مقام العارف بالله عبد الغني النابلسي، أنا أحد أحفاده، لكن بيني وبينه أربع مراحل، هذا عالم كبير، مرة قال عنه أحد علماء دمشق المعاصرين، افتتحنا جامعنا وكان وزير الأوقاف موجوداً، قال له بالحرف الواحد - الشيخ عبد الرزاق الحلبي-: الشيخ عبد الغني النابلسي لو كان أسبق في عصره من هذا العصر لكان في مستوى الإمام الشافعي، من كبار علماء الشام، ترك مئتين و ثلاثين مؤلفاً، كان عالماً، عالم حديث، عالم في الفقه، ترك موسوعة في الحديث الشريف، كان عالماً بالفلاحة، كان عالماً بموضوعات شتى، ومؤلفاته تزيد عن مئتين و ثلاثين مؤلفاً، وكان شاعراً، بالتعبير المعاصر كان عالماً موسوعياً.

الأستاذ جمال:

كيف نتحدث عن النقلة بين دراسة اللغة العربية والتوجه إلى العلم الشرعي والإبداع في العلم الشرعي؟.

التحصيل العلمي للدكتور محمد راتب النابلسي :

الدكتور راتب:

والله أنا نشأتُ يتيماً، وليس أمام اليتيم الفقير إلا الدراسة، درست الابتدائية والإعدادية والثانوية، والتحقتُ بمعهد إعداد المعلمين، وتخرجتُ معلماً، ثم تابعت دراستي الجامعية، فحصلت على لسانس في آداب اللغة العربية وعلومها، ثم انتسبت إلى كلية التربية وحصلت على دبلوم في التربية بتقدير جيد جداً، ثم حصلت على الماجستير، ثم حصلت على الدكتوراه من جامعة دوبلن في تربية الأولاد في الإسلام عام تسعة و تسعين و تسعمئة و ألف، هذه شهاداتي، دكتوراه في التربية من جامعة دوبلن،

وماجستير من جامعة اليون فرع لبنان، ودبلوم تربية من جامعة دمشق، ولسانس آداب اللغة العربية وعلومها، هذه دراستي الأكاديمية.

عملت في التدريس قرابة ثلاثين عاماً، عملت في كلية التربية بجامعة دمشق أستاذاً محاضراً في قسم دبلوم التأهيل التربوي قرابة ثلاثين عاماً، من عام تسعة و ستين إلى عام تسعة و تسعين، فهذا العمر التعليمي أكرمني الله به، أعطاني قدرة على شرح النصوص، وعلى إلقاء الدروس، وهذا انتفعت به في دعوتي إلى الله عز وجل.

أنا لي عم، هو ابن عم والدي يعمل خطيباً في جامع الشيخ عبد الغني النابلسي قرابة سبعين عاماً متتالية، فلما تقدمت به السن أراد أن يوكل واحداً ليخلفه في الخطابة، فاختارني وخطبت عنه وكالة بضع سنوات، وقد وفقني الله كثيراً في هذه الخطابة، فلما توفي صدر قرارٌ بتعييني خطيباً أصيلاً في جامع الشيخ عبد الغني النابلسي، فأنا انتقلت من التعليم إلى الخطابة في عام أربعة و سبعين و تسعمئة و ألف، أنا بالأساس تابعت دروس العلم في المساجد متابعة دقيقة جداً، فلما خطبت زدت هذا الاهتمام وهذا الاتجاه عمقاً وتعمقاً، وبدأت أخطب في جامع جدي من عام أربعة و سبعين و تسعمئة و ألف حتى الآن.

الأستاذ جمال:

دكتور محمد راتب النابلسي لك توجه خاص بموضوع الكون والدراسات الكونية والإعجاز العلمي؟

توظيف الدكتور محمد راتب النابلسي حقائق الكون والإعجاز في خدمة الدين :

الدكتور راتب:

أنا أحب الثقافة الموسوعية، مع أن اختصاصي في الأدب العربي، لكن اطلاعي على شتى العلوم اطلاع واسع جداً بفضل الله عز وجل، أنا أؤمن أن العلم كيان واحد، فحينما أوظف حقائق الكون، حقائق المجرات، حقائق الفلك، حقائق الإعجاز، حقائق خلق الإنسان، في خدمة الدين، أكون قد قدمت خدمة لهذا الدين، لأن هذا الدين من عند الله، وهذا الكون من خلق الله، وهذا القرآن كلام الله، وهذه الفطرة جبلة أودعها الله فينا، وهذا الشرع قانون الله عز وجل، أنا أؤمن أن الحق دائرة، تتقاطع فيها أربعة خطوط، خط النقل الصحيح، أقول الصحيح لأن هناك نقلاً غير صحيح، هناك نقل موضوع، هناك نقل ضعيف، شوه الدين، تتقاطع في هذه الدائرة أربعة خطوط، خط النقل الصحيح، وخط العقل الصريح، أقول الصريح لأن هناك عقلاً تبريرياً، الإنسان حينما ينحرف يستخدم عقله ليبرر أخطاءه به، هذا عقل ساقط، ما الذي يعجبني في العقل؟ العقل الصريح وهو الذي يبحث عن الحقيقة أولاً، لذلك

هناك من يقول: هناك مرض هو اعتقد ثم استدل، وهذا اعتقاد غير صحيح، يوافق أهواء الناس، بعد أن يعتقد بهذا الاعتقاد يبحث عن الأدلة، هذا اعتقد ثم استدل، لكن الطريق الأولى أن تستدل أولاً ثم تعتقد، النص أولاً، هذا الدين وحي من الله، هذا الدين في الأساس نص، والنص في الإسلام له شأن كبير، لكن النص ينبغي أن تسعى لتتأكد من صحته، وفهمه، ولن تستطيع أن تلغيه بعقلك، لأن العقل محدود، محدود بالمكان والزمان الذي كان فيه صاحبه.

أنا أؤكد هذا، لو أيقظنا إنساناً من قبره قبل مئة عام، أطلعناه على قرص فيه خمسة عشر ألف كتاب، قرص يوضع في الجيب، لا يصدق هذا، الكتاب له مكان وله حجم أما أن يكون هناك قرص خمسة عشر ألف كتاب بأجزائها، وتفاصيلها، وصفحاتها، وضبط نصوصها، فهذا شيء مستحيل، فعقل إنسان قبل مئة عام لا يصدق هذا، أما الآن فشيء واقع.

تأثير كلام الدكتور النابلسي في الناس لأنه جمع بين النقل والعقل والفطرة والواقع :

لذلك العقل مرتبط بالواقع، والنقل مرتبط بالخالق، ففي هذه الدائرة يتقاطع النقل الصحيح مع العقل الصريح مع الفطرة السليمة مع الواقع الموضوعي، هذا هو الحق، أي ما جاء به النقل الصحيح، وقبله العقل الصريح، وارتاحت إليه الفطرة السليمة، وأكّده الواقع الموضوعي.

فأنا حينما أتحدث للأخوة الكرام عن حقائق جاء به النقل الصحيح، وأكّدها العقل الصريح، وارتاحت لها الفطرة، وأيدها الواقع، أكون قد وضعت يدي على الكلمة الطيبة التي تحيا بها النفوس، فحينما تجمع الكلمة بين النقل والعقل والفطرة والواقع تكون مؤثرة في الناس، وحينما أستخدم هذه الحقائق في خدمة تفسير القرآن الكريم، أعظم شيء في الإعجاز العلمي أن المستمع لقضايا الإعجاز يسري في كل قطرة في دمه، وفي كل خلية في جسمه، أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن.

أضرب لك مثلاً: حينما صعد رائد الفضاء إلى الفضاء الخارجي، وتجاوز طبقة الهواء، التي تزيد عن خمسة و ستين ألف كيلومتر، في الهواء ظاهرة فيزيائية اسمها انتثار الضوء، أي أشعة الشمس إذا سلطت على ذرات الهواء، هذه الذرات تعكسها على ذرات أخرى، فتجد النور في النهار، وتجد أشعة الشمس أيضاً، لكن من أين جاء النور في مكان ليس فيه أشعة شمس؟ من انتثار الضوء، فلما تجاوز رواد الفضاء طبقة الهواء صاح رائد الفضاء بأعلى صوته: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، دخلوا في الظلام الدامس، فإذا قرأت القرآن وقال الله عز وجل:

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)

[سورة الحجر]

بكل خلية في جسمك، وبكل قطرة في دمك، تؤمن أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن.

توظيف الدكتور محمد راتب النابلسي ثقافته العلمية في خدمة تفسير القرآن الكريم :

أستاذ جمال، أنا قناعتي أن أقوى مادة على الإطلاق في قوة التأثير الآن الإعجاز العلمي، العلوم متقدمة جداً، علوم في الفلك، علوم في الطب، علوم في خلق الإنسان، علوم في الجيولوجية، تفاجأ أن أحدث مكتشف، أحدث حقيقة علمية، بعد جهد جهيد، بعد مئات السنين، بعد ألف و أربعمئة عام، تجد آية في القرآن الكريم تشير لهذه الحقيقة، لم يكن هناك علم، ولا فضائيات، ولا جامعات، ولا مجاهر، ولا مخابر، لذلك الإعجاز العلمي الذي أردته كمادة اختصاصية أدرسها في الجامعات يؤكد أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن.

مجرة تبعد عنا ثلاثة آلاف سنة ضوئية، نقلت صورتها عبر موقع في الانترنيت لأضخم وكالة فضاء في العالم ناسا، هذه الصورة هي وردة جورية إذا تأملتها ملياً لا تشك لثانية واحدة أنها وردة جورية، بأوراقها الحمراء الداكنة، ووريقاتها الخضراء الزاهية، كأسها الأزرق في الوسط، يكتب تحت هذه الصورة التي نشرت في موقع معلومات لناسا الفضائية أنها صورة انفجار في نجم اسمه عين القط، يبعد عنا ثلاثة آلاف سنة ضوئية، فإذا فتحت القرآن الكريم، يقول الله عز وجل:

(فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

[سورة الرحمن]

صدق ولا أبالغ لا أجد شرحاً لهذه الآية إلا هذه الصورة، قال الإمام علي رضي الله عنه: في القرآن الكريم آيات لما تفسر بعد.

فأنا حصلت ثقافة بفضل الله علمية أنا اعتنيت بها كثيراً، وتعبت في تحصيلها كثيراً، ووظفت هذه الثقافة العلمية في خدمة تفسير القرآن.

عدم نجاح دعوة الداعية إلا إذا استوعب ثقافة العصر :

أنا أرى أستاذ جمال أن الداعية لا تنجح دعوته إلا إذا استوعب ثقافة العصر، حينما لا يستوعب الداعية ثقافة العصر يقع في مطبات كبيرة، هذا الذي يستمع إليه يعيش عصراً فيه تقدماً علمياً، فيه تألقاً حضارياً، فإذا جاء الداعية ووظف هذه الحقائق المعاصرة في خدمة الدين صار الدين شيئاً عظيماً، فأنا أرى أن الدعاة يحتاجون إلى ثقافة معاصرة لا تقل عن ثقافتهم الدينية، حتى يوفقوا بين ثقافتهم الدينية والثقافة المعاصرة، حتى يصلوا إلى قلب الإنسان، وإنني فيما أرى الآن هناك - إن صح التعبير -

تخلف، تخلف عن روح العصر، وتخلف عن ماضينا العريق، فالآن نحن بحاجة إلى أن نستوعب الثقافة المعاصرة، كي نجمع بين أصالتنا وبين عصرنا.

الأستاذ جمال:

دكتور محمد راتب النابلسي، مشوار حياتي هذا البرنامج إذاً يسلط الضوء على هذه الشخصية فعلاً العلمية المتميزة في عصرنا الحالي، بمن تأثرت مع مطلع حياتك من السادة العلماء؟

اعتماد الدكتور راتب النابلسي على تحصيله الشخصي وعلى ثقافته الشخصية :

الدكتور راتب:

والله أنا أقول لك أنا حضرت مجالس علمية كثيرة، أنا أرى أن الإنسان يجب أن يأخذ من كل بستان زهرة، هذا اتجاهي، فلي حضور لبعض المجالس العلمية، لكنني اعتمدت اعتماداً كبيراً على تحصيلي الشخصي، وعلى ثقافتي الشخصية، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت لعرض الدين عرضاً حضارياً، كما تفضلت أنت ووصفت دعوتي بهذه الصفة.

أرجو أن أخاطب عقل الإنسان وقلبه، أنا أقول أستاذ جمال أي دعوة تخاطب عقل الإنسان وحده لا تجدي، وأي دعوة تخاطب قلبه لا تجدي، لأن الإنسان عقل يدرك وقلب يحب وجسم يتحرك، ولا تنجح الدعوة بل لا ينجح مجتمعنا إلا إذا لبى حاجة العقول، وحاجة القلوب، وحاجة الأبدان، أنا آثرت أن يكون لي دخل مستقل، وألا أتعامل في الدعوة مع المال إطلاقاً، السبب أن الناس ينظرون إلى العالم لأنه مفتقد إلى دخل، ودخله لا يكفيه، أنا أردت أن أخرق هذه القاعدة وأن أكفي نفسي بنفسي، فلذلك الإنسان حينما يكتفي يكون حراً، هناك كلمة أحبها: أنت حرٌ بقدر ما أنت قوي، وأنت قوي بقدر ما أنت حر، فأنت حينما تكون مكتفياً مادياً تشعر بحرية.

الأستاذ جمال:

نعود دكتور محمد راتب النابلسي، إلى موضوع العلم وطلب العلم، هل لنا أن نعدد للأخ المستمع ما هي مؤلفاتك لو سمحت؟

مؤلفات الدكتور محمد راتب النابلسي :

الدكتور راتب:

الحقيقة هداني الله جلّ جلاله إلى أنني حرصت على تسجيل محاضراتي من عام أربعة و سبعين حتى الآن، فتصور أنا أدعو إلى الله من خمس و ثلاثين سنة، لي خطبة جمعة، لي درس تفسير، لي درس في

الحديث، درس في الفقه، درس في السيرة، لي دروس في الأسبوع تزيد عن عشرة دروس، من خمس و ثلاثين سنة وحتى الآن، فعندي كم من التسجيلات تزيد عن خمسة عشر ألف شريط، هذه فرغت كلها نصوصاً في موسوعة، فكل مؤلفاتي المأخوذة من هذه الموسوعة، فالمؤلف الشهير الأول موسوعة أسماء الله الحسنى، هي مئة درس ألقيتها في جامع العثمان عن أسماء الله الحسنى، هذه فُرغت، ونُقحت، ونضدت، وأصبحت موسوعة، مطبوع منها حتى الآن ما يقدر بعشرين طبعة.

الأستاذ جمال:

هل أخذت من الكتب القديمة بعض أفكارك؟.

الكتب التي ألفها الدكتور محمد راتب النابلسي :

الدكتور راتب:

أنا أؤمن بأنه لا أبدع قبل استيعاب القديم، الإبداع يحتاج إلى استيعاب القديم أولاً، فأنا والله حينما أفسر أطلع على معظم التفاسير، القرطبي، القاسمي، الظلال، أنا حينما أفسر يجب أن أطلع على كل ما جاء في التفاسير، حينما أتكلم عن أسماء الله الحسنى يجب أن أطلع على كل ما جاء في الكتب حول أسماء الله الحسنى، إذاً أنا أقرأ كثيراً وبعدئذٍ الله عز وجل يوفقني إلى إبداع شيءٍ جديد، فأنا أطلع على كل ما تحت يدي من تفاسير، من كتب إسلامية، وبعدها ألقي الدرس ارتجالاً وشفهياً، فأنا من الموسوعة التي جمعت كل دروسي في خمسة و ثلاثين عاماً أخذ كتاب أسماء الله الحسنى، وبكل خطبة لي موضوع علمي في الخطبة الثانية، الخطبة الثانية في كل خطبي من خمس و ثلاثين سنة آلف موضوع كتاب الإعجاز العلمي، فالإعجاز العلمي هو الخطبة الثانية في كل خطبة ألقيها على الناس، وهناك كتاب النظرات والتأملات والومضات.

في الحقيقة الخطب الإذاعية التي ألقيتها في عشرين أو ثلاثين عاماً تقريباً هذا ملخص الكتب، هناك كتاب عن مقومات التكليف، هي حلقات في الفضائية السورية ألقيتها خلال عدة أعوام، و كتاب عن الشعراوي التقيت به في مصر ألفت عنه كتاباً، وهناك كتاب عن الحج، و كتاب عن الصلاة، و كتاب عن الله أكبر، و كتاب عن الهجرة، وهذا عرض سريع للكتب التي ألفتها.

الأستاذ جمال:

دكتور محمد راتب النابلسي طالما نتحدث من خلال لقائنا مع حضرتك في مشوار حياتي، نتحدث عنك بأنك كثير الأسفار، هذا النشاط وبحمد الله جلّ جلاله في دمشق وفي المحافظات، وأيضاً هناك ندوات ومحاضرات، أي هناك كثرة في الأسفار.

للفضائيات دور كبير في تعميم دعوة الدكتور محمد راتب النابلسي :

الدكتور راتب:

الحقيقة حينما ظهرتُ على قناة الرسالة، وتعلق الناس ببرنامج أسماء الله الحسنى، وكان لهذا البرنامج أثر منقطع النظير في العالم كله، وحينما ظهرت على قناة اقرأ في تفسير سورة الأعراف، وفي بعض البرامج الأخرى كمكارم الأخلاق، وحينما ظهرت على عدة فضائيات، الفضائية السورية، وفضائية اقرأ، والرسالة، وفضائيات أخرى مثل أبو ظبي، والشارقة، وانفينتي، وعدة فضائيات، هذه الفضائيات عممت دعوتي في العالم كله، هذه الدعوة التي عُممت في العالم كله استدعت هذه الدعوات، أنا والله ألبي بعضها ولا ألبيها جميعاً.

الأستاذ جمال:

ماذا أضافت هذه الندوات والأسفار في حياتك؟.

الأشياء الإيجابية في حياة الإنسان يعرفها جيداً ويقدرها حينما يسافر :

الدكتور راتب:

السفر له ايجابية كبيرة، أنت إذا سافرت تعرف إيجابيات بلدك، هذا موقف إيجابي، وتعرف سلبياته، فأنت إذا سافرت تعرف من أنت، ترى أمماً أخرى، شعوباً أخرى، ثقافات أخرى، طروحات أخرى، أنماط سلوك أخرى، فالأشياء الإيجابية في حياتك تعرفها جيداً، وتقدرها، وتثني عليها، وأيضاً هناك إيجابيات في بلاد أخرى تكشف لك سلبيات البلد الذي تعيش فيه، سلبيات البلاد الأخرى تكشف لك عن إيجابيات بلدك، ووطنك، وأمتك، فأنا عرفت قيمة التماسك الأسري، و نحن في بلادنا هناك شيء لا يقدر بثمن، التماسك الأسري، الأسرة مقدسة عندنا، الأب أب، الأم أم، البنت بنت.

أحياناً الإنسان ينسى إيجابيات بلده، ويركز على السلبيات، هذا وضع مرضي، أنا حينما أسافر كنت أسأل مرة: مئة بيت في هذا الشارع، كم بيت فيه خيانة زوجية؟ يقال لي: سبعون أو ثمانون، في بلادنا لا تلتقي ببيت واحد، فنحن يجب أن نعرف إيجابيات بلدنا، نحن عندنا تماسك أسري، الأب مقدس، الابن غال، فأنت حينما تسافر تعرف من هو بلدك، ما الإيجابيات الموجودة به، هناك تعاطف، عندنا بقية رحمة، بقية حياء، بقية خجل، نحن عندنا نعم اجتماعية، ونعّم أسرية، ونعّم قيمّية ودينية لا يعلمها إلا الله، عندنا بقية حياء، بقية خجل، بقية مروءة، بقية رحمة، أقول بقية، أي مع التطور، ومع الانفلات، ومع الإطلاع على ما عند الغرب، ومع التواصل الثقافي الكبير، ومع الإنترنيت والفضائيات، صار عندنا فساد كبير جداً، من هذا التواصل مع بلاد إباحية، ومع كل ذلك هناك بقية حياء، وبقية خجل،

وبقية رحمة، وبقية مودة، البطولة أنك إذا سافرت إلى بلاد أخرى يجب أن تعرف إيجابيات بلادك.

الأستاذ جمال:

دكتور هل لنا أن نتحدث من خلال برنامج مشوار حياتي عن ندوة أو مؤتمر حضرته في الأسفار كان له أثر كبير في الحضور، أو في موقف معين، أي له حضوره الخاص من خلال كثرة الأسفار التي تسافرها؟

تمثيل الدكتور محمد راتب النابلسي سوريا في عدد كبير من المؤتمرات :

الدكتور راتب:

والله أنا مثلت سوريا في عدد كبير من المؤتمرات، أول مؤتمر مثلت به سوريا مؤتمر الإسيسكو في المغرب، الإسيسكو منظمة الدول الإسلامية، وكنت مندوب سوريا، وكان في المؤتمر دول غربية، بريطانيا، وأمريكا، وفرنسا، واستمعت إلى أعضاء الوفود، وإلى طريقة تفكيرهم، وطريقة كلامهم، والمنطلقات التي ينطلقون منها، وأنا أقول: يجب أن تطلع على الطرف الآخر، التقوقع في بلدك دون النظر إلى ما عند الآخرين شيء خاطئ، يجب أن تستمع للآخر كيف يفكر؟ من أي كلام ينطلق؟ ما المبادئ التي يؤمن بها؟ ما القيم التي تحكمه؟ لا تستطيع أن تناقش الآخر إلا إذا عرفت أفكاره، فمن فضل الله عليّ أنا مثلت سوريا في عدد كبير من المؤتمرات، هناك مؤتمر في القاهرة، مؤتمر تقيمه وزارة الأوقاف من خمس و عشرين سنة تقريباً، مثلت سوريا ثلاث مرات تقريباً، هناك مؤتمرات في ماليزيا، ومؤتمرات في إندونيسيا، مؤتمر السكان في القاهرة، مؤتمر السكان في بالي، هناك مؤتمرات كثيرة مثلت بها سوريا، واطلعت على طريقة ما يفكر به الآخرون، غير المؤتمرات، سافرت لتلبية دعوات الجاليات الإسلامية في أمريكا، في كندا، في البرازيل، في السويد، في ألمانيا، في فرنسا، في ماليزيا، في إندونيسيا، أي أنا سافرت إلى معظم البلاد الإسلامية والعربية والغربية.

الأستاذ جمال:

ما هو الجديد في أسفار الدكتور راتب النابلسي؟.

الدكتور راتب:

والله عند سفري إلى فرنسا هناك بلدة اسمها إفري شمال باريس، تدعوني كل عام إلى إلقاء محاضرات هناك.

الأستاذ جمال:

نعود إلى البدايات، أي في أي حي من أحياء دمشق نشأت؟.

نشأة الدكتور محمد راتب النابلسي :

الدكتور راتب:

أنا نشأت في الحي الذي فيه جامع عبد الغني النابلسي، كان بيتنا جوار هذا المسجد، اسمه شارع الشيخ عبد الغني النابلسي، فيه جامع النابلسي، وبيتنا قبل أن يهدم كان بيتاً عربياً إلى جوار المسجد تماماً.

الأستاذ جمال:

الابتدائية التي درست فيها؟

الدكتور راتب:

في مدرسة اسمها الملك الناصر، مدرسة ابتدائية في حي الشيخ محي الدين.

الأستاذ جمال:

مَنْ مِنَ الأسماء التي علمتك آنذاك؟

الدكتور راتب:

كان مدير المدرسة الأستاذ عبد الرحمن التكريتي، كان مربياً كبيراً وحازماً، وأنا كنت قريباً له، فخصني بعناية فائقة جداً، كانت رعايتي عالية في التعليم الأساسي، ومن قبل أخي الأكبر رحمه الله تعالى، فتلقيت رعاية أسرية ومدرسية.

الأستاذ جمال:

أنا معلوماتي أن هناك عدداً كبيراً من الأطباء هم من تلاميذك، كيف يمكن أن يواكب العالم والمتطلع- وأنت متطلع وثقافتك عالية- موضوع أن تكون أنت مع طبيب ومجموعة أطباء؟

الطرح العلمي للدكتور النابلسي جذب المثقفين إلى المسجد وفي مقدمتهم الأطباء :

الدكتور راتب:

ثقافتي الطبية عالية جداً، المشكلة أنا أعاني عندما أسافر لأن الناس تعتقد اعتقاداً جازماً أنني طبيب، أؤكد لهم مع الأيمان المغلظة أنني لست طبيباً، لكن ثقافتي الطبية واسعة، فأنا أعيش مع نخبة من أطباء دمشق المتفوقين جداً، والجراحين، هؤلاء أستمع منهم إلى أفكار كثيرة.

الحقيقة أستاذ جمال، أقول لك ما المشكلة؟ هي ليست مشكلة لكن هي خصيصة، أنت حينما يكون طرحك علمياً تجلب المثقفين، أنا أقول لك بكل تواضع: نسبة المثقفين في جامعي أعلى نسبة في جوامع دمشق، أنت حينما تطرح طرحاً علمياً، حينما تعتمد الحقيقة، أنا لا يوجد في درسي منامات، ولا شطحات، ولا كرامات، هذا كله عندي مرفوض، عندي طرح علمي، والطرح العلمي مقبول، والكل

يخضع له، إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، فطرحي العلمي سبب أن المثقفين انجذبوا إلى هذا المسجد وفي مقدمتهم الأطباء.

الأستاذ جمال:

نتحدث عن العلم والمتابعة والثقافة، ما هي الكتب حالياً التي تطلع عليها؟.

إطلاع الدكتور محمد راتب النابلسي على معظم الكتب :

الدكتور راتب:

والله أنا أطلع على معظم الكتب، كان عندي موسوعة، موسوعة اللايف الأمريكية، هي من أدق الموسوعات في العالم، هناك عدد عن الكون، عن الأرض، عن الشمس، عن القمر، عن الأطيار، عن الأسماك، عن البحار، عن الإنسان، هذه الموسوعة من أدق الموسوعات في العالم.

الأستاذ جمال:

وأنا الآن في مكتبك ألاحظ الإنترنيت، ماذا نتحدث عن علاقة الدكتور راتب النابلسي بالإنترنيت؟

علاقة الدكتور محمد راتب النابلسي بالإنترنيت :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال، الفضل لله عز وجل لي موقع في الإنترنيت يعد من أوائل المواقع تقريباً، زواره في اليوم يقتربون من مليون زائر يومياً، السبب أن موقعي نصي، معنى نصي أي ما من درس ألقيته في حياتي إلا وقد أفرغ إلى نص، فالنص يخدم الدعاة في العالم، خطباء كثر، في أستراليا، في أمريكا، في البرازيل، يأخذون الخطب من موقعي، في الموقع ألف و ثمانمئة خطبة، وهناك تفسير قرآن بكامله، و هناك حديث، و سيرة، و فقه، أي كل فروع العلم، كما أن كل محاضراتي في العالم موجودة في موقعي، فأنت أمام موقع نصي، هذا أنا من فضل الله أنفرد به، معظم المواقع لكبار الدعاة صوتية، والصوت ينتفع به المستمع فقط، أما الداعية فلا ينتفع به، الداعية يحتاج إلى نص أمامه.

أقول لك كلمة دقيقة: موقعي نصي، ما من درس ألقيته في حياتي إلا وهو نص مكتوب منقح بين يدي زائر هذا الموقع، وفوق النص هناك صوت، وفوق الصوت هناك صورة، نصٌ وصوتٌ وصورة، وإن شاء الله أكون عند حسن ظن أخوتي الكرام، أنا حينما أكون في طرح علمي، وفي طرح متنوع قلت لك دائماً: أنا أخاطب العقل والقلب معاً، فلعل الله سبحانه وتعالى قبل القبول لي في هذه الدعوة.

الأستاذ جمال:

ماذا نتحدث عن موضوع اهتمامات أخرى للدكتور راتب النابلسي عدا العمل بالدعوة إلى الله؟

اهتمامات أخرى للدكتور محمد راتب النابلسي :

الدكتور راتب:

أنا لي حرفة أحترفها وأعيش منها هي حرفة الزراعة، استيراد مواد زراعية، ولي ثقافة جيدة جداً في المواد الزراعية، والأدوات الزراعية، والشؤون الزراعية، هذا جزء من حرفتي، وأنا أساساً أعمل بالتدريس، أنا أستاذ محاضر في الجامعة، أعطي أصول تدريس اللغة العربية في كليات التربية، فأنا من فضل الله مختص بأصول التدريس، فهذا اختصاص أكاديمي، وهناك اختصاص يعني حياتي، وهناك دعوة إلى الله، والدعوة أبعدتها عن النواحي المادية كلياً، أي الدعوة يجب أن تكون صافية في السماء لا أن تنزل إلى وحل الأرض.

الأستاذ جمال:

كيف هي علاقاتك الأسرية إذاً؟ هل تستطيع من خلال هذا الضغط وهذا الكم الهائل من الأسفار والمتابعات أن تتابع علاقاتك الأسرية؟

النجاح الذي حققه الدكتور محمد راتب النابلسي على كافة المستويات :

الدكتور راتب:

والله أستاذ جمال، أنا أعتقد اعتقاداً جازماً أن البطولة أن يكون النجاح شمولياً، هناك حقيقة دقيقة جداً تغيب عن معظم الناس وهي: أن النجاح لا يسمى نجاحاً إلا إذا كان شمولياً بمعنى هناك محطات أساسية في حياتك، يجب أن تنجح بها معاً، كيف؟ يجب أن تنجح في علاقتك بربك، أن تعرفه، أن تعبده، أن تتقرب إليه، أن تؤدي العبادات، أن تنفق الأموال، أن تدعو إليه، هذه محطة كبيرة جداً، نجاحك مع ربك، وينبغي أن تنجح مع أسرتك، مع أهلك، مع أولادك، فالذي ينجح في عمله ولا ينجح في أسرته لا قيمة لهذا النجاح، فأنا أؤمن وأشدد وأؤكد على أن النجاح يجب أن يكون شمولياً، أي في المحطات الأساسية، دعك من الثانوية، الأساسية: محطتك مع الله، ومع أهلك وأولادك، ومع عملك، ومع صحتك، وأي خلل في هذه المحطات الأربعة ينسحب على المحطات الثلاثة، لا تسمى ناجحاً لو سافرت إلى بلد غني، وجئت بمال وفير، وأهملت أهلك وأولادك، فتشرد الأولاد، وأخطأت الزوجة، لا يسمى هذا نجاحاً، ولا يسمى هذا نجاحاً إذا كنت زوجاً مثالياً، وأباً كاملاً، ولست متفوقاً في عملك، ولا يسمى هذا

نجاحاً إذا لم تعتن بصحتك، فأنا أرى أن النجاح لا يسمى نجاحاً أصلاً إلا إذا كان شمولياً، غطى نجاحك مع الله عز وجل معرفة، وعبادة، وطاعة، وتقرباً، وغطى نجاحك مع أهلك، وأولادك، هؤلاء فلذة كبدك، هؤلاء أقرب الناس إليك، إذاً يجب تنظيم الوقت، لا بد من وقت تمضيه مع أهلك وأولادك، فلبناتي درس أسبوعي، كما أنني مشغول جداً جداً أخص بناتي وكنائني بدرس أسبوعي في البيت، درس مطول، هؤلاء أقرب الناس إلي، هم أحوج ما يكونون إليّ.

الأستاذ جمال:

إذاً نختتم حديثنا من خلال مشوار حياتي بسؤال لو سمحت، أمنية يتمنى أن يحققها الدكتور راتب النابلسي؟.

أمنيات الدكتور محمد راتب النابلسي :

الدكتور راتب:

والله أنا فسرت القرآن الكريم بأكمله عدا سورة التوبة، وأتمنى أن يمد الله في عمري حتى أنهي القرآن الكريم كله، هذه أمنية، وهذا القرآن الكريم إن شاء الله سيصدر بعد سنتين إن أكرمني الله عز وجل بتفسيره، هذا أكبر إنجاز في حياتي أنني فسرت القرآن الكريم بأكمله في خمسة و ثلاثين عاماً.

أنا أقول - والله أعلم - هناك إسقاطات كثيرة جداً على واقعنا، أي كل آية يمكن أن تحل بها مشكلاتك، فكثرة الإسقاطات على واقعنا وربط العلم بالدين ربطاً محكماً، هناك ألف و ثلاثمئة آية كونية، أغنيتها إغناء منقطع النظير من خلال البحوث الفلكية والطبية وما إلى ذلك، فأولاً النظرة الواقعية، والطرح العلمي، واعتماد العلم، وجمع العلم مع الدين، والإسقاطات الاجتماعية، جعلت هذا التفسير يؤكد أن القرآن هو الحياة وهو حياتنا، أتمنى أن يمد الله بعمري حتى أتمّ سورة التوبة وينتهي التفسير.

شيء آخر: أتمنى أن تكون الدعوة إلى الله دعوة متوازنة، وهناك دائماً دعاة إلى الله والله أنا أحبهم وأحترمهم، لكن لم يجمعوا بين الثقافة المعاصرة وبين الثقافة الدينية، فأحياناً بعض كلامهم لا يقبل، أما إذا توازن الإنسان بثقافته فيمكن أن يكون كلامه مقبولاً عند الجميع، وأنا أقول أستاذ جمال: الغرب وضعنا جميعاً في سلة واحدة، فينبغي أن نقف جميعاً في خندق واحد، ولا أقبل ولا بشكل من الأشكال أن تطرح قضية خلافية، ينبغي أن تدعو إلى الله في المتفق عليه، لا في المختلف عليه، ويمكن أن تدعو إلى الله خمسين عاماً أو ستين أو سبعين، وأنت في المتفق عليه، لأن وحدة الأمة شيء مهم جداً، الآن العدو يريد أن يمزقنا، ورقته الرابحة الوحيدة الفتن الطائفية، ونحن نستطيع أن نسقط هذه الورقة من يده، فلذلك وحدتنا فوق كل شيء، إذاً أنا أقول لا يجوز أن تطرح أي قضية خلافية الآن.

الأستاذ جمال:

الدكتور محمد راتب النابلسي من مواليد عام؟

الدكتور راتب:

ولدت عام ألف و تسعمئة و ثمانية و ثلاثين.

خاتمة و توديع :

الأستاذ جمال:

أطال الله في عمرك علماً، وأدباً، وفكراً، وعطاء، كل الشكر لصاحب الفضيلة العالم الجليل هكذا أقول أنت تريدها طالب علم، وأنا أراك وكما واقع المجتمع كما العالم عالم جليل ملأ اسمه الأصقاع، أحاديثه - وكما يجمع الناس- مسموعة، ومتابعة، فيها العمق، وتحمل في طياتها عبق الماضي وجلال الحاضر، يمتلك كل مقومات الفكر الإسلامي النير والمتحضر كما تابعتموه شكراً فضيلة الشيخ.

الدكتور راتب:

بارك الله بكم ونفع بكم.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 20 : معجزات قرآنية1 ، التفكر في خلق السماوات والأرض - المجرات وأعدادها وأحجامها والمسافات التي بينها
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-09-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ مخلص:
التفكر في خلق السماوات والأرض، والنظر في هذا الكون المترامي الأطراف بكل أجرامه، وكواكبه، ومجراته، وسماواته، مطلوب لكل إنسان عاقل يريد أن يصل إلى الحقيقة المطلقة، إلى خالق هذا الكون، لأن المخلوق يدل على الخالق، والمصنوع يدل على الصانع، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يتفكروا في خلق السماوات والأرض في قوله:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران]

إذاً التفكر والتذكر ضروريان لكل إنسان عاقل يريد أن يصل إلى الله عز وجل عن طريق العلم والتفكر.
هل لك دكتور أن تحدثنا عن فضيلة التفكر والنظر الذي يجب أن يتحلى به الإنسان المؤمن؟.

فضيلة التفكر :

الدكتور راتب:
بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والسلام والصلاة على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
أستاذ مخلص جزاك الله خيراً على هذا السؤال، في صحيح ابن حبان عن عطاء أن عائشة رضي الله عنها قال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((قال: يا عائشة ذريني أتعبد لربي عز وجل؟ قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت وكان جالساً فلم يزل يبكي صلى الله عليه وسلم حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي

قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال عليه الصلاة والسلام: أفلا أكون عبداً شكوراً لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها))

[أخرجه ابن حبان عن عائشة أم المؤمنين]

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران]

هذه مناسبة نزول هذه الآية.

التفكر ساعة خير من قيام ليلة :

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

((ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها))

[أخرجه ابن حبان عن عائشة أم المؤمنين]

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((وأن يكون صَمْتي فِكْراً، ونُطْقِي ذِكْراً، ونظري عبرة))

[أخرجه زيادات رزين عن أبي هريرة]

وقد ورد في صحيح مسلم أن التفكر ساعة خير من قيام ليلة، وقد قال الإمام الحسن البصري -رحمه الله تعالى-: من لم يكن كلامه حكمة فهو لغوٌ، ومن لم يكن سكوته سهوٌ فهو تفكرٌ، ومن لم يكن نظره عبرة فهو لغوٌ، الحق جل جلاله الذي:

(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ)

[سورة التغابن الآية:3]

يقول:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)

[سورة فصلت الآية:53]

الحق هو القرار والثبات، والسمو والعلو، ونقيضه الباطل، وهو الزوال والزهوق، والتردي والعبث،

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

، فأين هي آيات الله في الآفاق؟

آيات الله في الآفاق :

ورد أن عدد نجوم السماء بعدد ما في الأرض من مذر وحجر، أي بعدد ذرات التراب والحجارة، فعلماء الفلك في الماضي كانوا يعدون النجوم بالألوف، وبعد أن ارتقت كفاءة مراصدهم، صاروا يعدونها بالملايين، ثم وصلوا إلى المليارات أي ألوف الملايين، أما اليوم فإنهم يقدرون عدد النجوم في مجرتنا درب التبانة من خلال المراصد العملاقة بثلاثين ملياراً من النجوم، علماً بأن مجرتنا مجرة متوسطة في حجمها، وهي واحدة من عشرات ألوف الملايين من المجرات التي لا يعلم عددها إلا الله، لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

(أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا)

[سورة ق الآية:6]

هذا عن عدد النجوم، فماذا عن حجومها؟ إذا علمنا أن حجم الأرض مليون مليون كيلومتر مكعب، وأن الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، وأن المسافة بينهما مئة و ستة و خمسون مليون كيلومتر، وأن نجماً من النجوم في برج العقرب اسمه قلب العقرب، نجم يبدو صغيراً أحمر اللون يتسع هذا النجم للأرض والشمس مع المسافة بينهما، وأن نجماً آخر اسمه منكب الجوزاء يزيد حجمه عن حجم الشمس بمئة مليون مرة، لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)

[سورة الذاريات]

هذا عن أعدادها وأحجامها، فماذا عن المسافة التي بينها؟ إن ما بينها من مسافات تقدر بالسنين الضوئية، ذلك أن الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلومتر، إذاً هو يقطع في السنة عشرة آلاف مليار من الكيلومترات، لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ *وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة]

بل ما القول في مجرة اكتشفت حديثاً تبعد عنا عشرين مليار سنة ضوئية؟

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)

[سورة لقمان الآية:11]

هذا أيها الأخوة، ولم نتحدث عن حركات النجوم، وعن سرعاتها العالية، ولا عن مداراتها الواسعة، ولا عن شدتها، ولا عن قوة إضاءتها، ولا عن قوة التجاذب فيما بينها، ولا عن توازنها الحركي، وما تفعل هذه الدقائق في مثل هذا الموضوع الكبير، على كلٍّ فالعجز عن الإدراك إدراك، كما قال سيدنا الصديق رضي الله عنه.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 21 : معجزات قرآنية2 ، الزمن كيف كان؟ وكيف أصبح؟ وكيف سيكون؟
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 03-09-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ مخلص:
دكتور راتب طبعاً الوقت والزمن هما متلازمان مع هذا الكون الفسيح الأرجاء، هذا الكون الدقيق في صنعه، جعل الله سبحانه وتعالى الشمس والقمر بحسبان، وجعل كل شيءٍ في دقة متناهية في خلقه، وفي صنعه، وفي تكوينه، وفي حركته الدائبة التي لا تنتهي، إذاً الزمن ملازم لهذا الكون وبالتالي هو ملازم للحياة، وهو زمن نسبي كما يقول العلماء، قال تعالى في محكم تنزيله:

(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ)

[سورة يونس الآية: 45]

إذاً هذا الزمن يمكن أن يطرأ عليه تغير وتبدل بتبدل هذا النظام يوم تقوم الساعة، هل لك دكتور راتب أن تحدثنا عن هذا الزمن كيف كان؟ وكيف أصبح؟ وكيف سيكون؟.

قيمة الوقت في حياة الإنسان :

الدكتور راتب:
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
هذه الآية أستاذ مخلص -جزاك الله خيراً- تشير إلى قيمة الوقت في حياة الإنسان، لقد سُئل الحسن البصري: ما الإنسان؟ فقال: هو بضعة أيام، كلما انقضى يومٌ انقضى بضع منه، إنه إذاً وقت محدود ومعلوم، الوقت وعاء عمل الإنسان، ومحل لكسبه، وهو رأسماله الحقيقي، من خصائص الوقت سرعة انقضائه، أو هكذا يشعر الإنسان، هكذا يشعر الإنسان لأن دقيقة الألم ساعة، وساعة اللذة دقيقة، إن الوقت يمر مرّ السحاب، ويجري جري الرياح.
من خصائص الوقت أنه إذا مضى لا يعود ولا يعوض، ما مضى فات، والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها.

" فما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي: يا بن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة ".

هذا هو الوقت الذي هو عمر الإنسان، قصير جداً.

(لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ)

[سورة يونس الآية: 45]

قصير جداً إذا قيس بحياته الأبدية في الدار الآخرة، فأي رقم مهما كبر ولو كان الرقم فلكياً إذا قيس باللانهاية، إذا قيس بالحياة الأبدية، يغدو صفراً، لذلك يتحسر الإنسان يوم القيامة حينما يكتشف أنه ضيع الحياة الأبدية الباقية من أجل حياته الفانية، قال تعالى:

(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَد)

[سورة الفجر]

عمل الإنسان الصالح والخالص هو سرّ سعادته الأبدية :

قيل: إن الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، في القرآن الكريم إشارات كثيرة إلى قيمة الوقت في حياة الإنسان، وفي القرآن الكريم حض كبير على الاستفادة من الوقت، بل إن كلمات:

(وَسَارِعُوا)

[سورة آل عمران الآية: 133]

و:

(سَابِقُوا)

[سورة الحديد الآية: 21]

في كتاب الله تؤكد هذا المعنى، قال تعالى:

(وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً)

[سورة البقرة الآية:148]

هذه الآية بالإضافة إلى معناها السياقي تشير في مقطعها الأول:

(وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا)

إلى أن وجهة الإنسان الصحيحة أو المنحرفة، وإن مواقفه المشرفة أو غير المشرفة، وإن أعماله الصالحة أو غير الصالحة، هي من كسبه وحده:

(وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا)

وسوف يسأل عنها ويجازى عليها، قال تعالى:

(فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

[سورة الحجر]

على الإنسان أن يستفيد من الوقت في فعل الخيرات وترك المنكرات :

إن هذه الحرية في الكسب هي التي تثمن عمله، وتثمن عمله الطوعي، الصالح والخالص، إن عمل الإنسان الصالح والخالص هو سرّ سعادته الأبدية، وهذه الحرية في الكسب عارية مستبدة، فمادامت المهمة جليلة، ومادام الوقت محدوداً، دعانا الله جلّ وعلا إلى الاستفادة من الوقت، و الحض على فعل الخيرات فيه، قال تعالى:

(وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ)

في هذا المقطع كما ترون حض على الاستفادة من الوقت في فعل الخيرات وترك المنكرات، هذه الحرية في الكسب لن تدوم طويلاً، لا بد من أن تسترد، إنها تسترد عند الموت، والدليل المقطع الثالث:

(أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً)

من جهل قيمة الوقت وهو يملك أن ينتفع به، فسيأتي عليه حينٌ يعرف قيمته، ويعرف قدره، ويعرف نفاسته، ولكن بعد فوات الأوان، عندئذٍ يعتصر الندم قلبه، ولات ساعة مندم، قال تعالى:

(وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ)

[سورة المنافقون]

فماذا كان جواب الله عز وجل؟ جاء الجواب:

(وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)

[سورة المنافقون]

هذا الإنسان الذي يجهل قيمة الوقت، سوف يعرف قيمته مرة ثانية، ولكن يوم القيامة، فمن علامات المقت إضاعة الوقت.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 22 : معجزات قرآنية3 ، كأس الحليب
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2010-09-04

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ مخلص:

دكتور راتب ما نتناوله من أطعمة وغذاء كلها تدل على أن خالق هذا الكون قد أوجد كل ما يفيد الإنسان في حياته، الإنسان خُلق على الأرض، وخُلقت معه أسباب الحياة، من هواء، وماء، ونبات، وشجر، وكل شيء ضروري لحياته، أبسط الأشياء التي يتناولها الإنسان بشكل عادي واعتيادي دون أن يتفكر في خلقها، تكون مليئة بالأسرار، ومليئة بالمعجزات، كأس الحليب الذي نشربه، أو طبق اللبن الذي نحتسيه، فيه الكثيرُ من الآيات البينات الدالة على عظمة الخالق، وجلاله، وتربيته، ورعايته، وفضله، وإنعامه على مخلوقاته، قال تعالى:

(وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ)

[سورة النحل]

دكتور راتب، هل لكم أن تحدثونا عن هذه المعجزة في خلق الله سبحانه وتعالى لهذا اللبن الذي يخرج من ضرع البهائم، والأنعام؟.

كأس الحليب الذي نشربه آية دالة على عظمة الخالق جلّ جلاله :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والسلام والصلاة على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أستاذ مخلص جزاك الله خيراً، إجابة عن سؤالك المتعلق بهذه الآية الكريمة التي ذكرتها أقول: إن كأس الحليب الذي نشربه، أو طبق اللبن الذي نحتسيه على مائدة الإفطار، وما اشتق منهما من خيرات حِسان، آيات بينات دالة على عظمة الخالق جلّ جلاله، ودالة أيضاً على تربيته، ورعايته، وفضله، وإنعامه، هذا الحليب الذي يحتوي على نسب دقيقة وجليلة من الماء، والدسم، والسكريات، والمواد المرممة، وأملاح المعادن، والفيتامينات، وعدد ليس بقليل من الغازات المنحلة، من حدد هذه المكونات؟ ومن ضبط هذه النسب؟.

(أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

[سورة النمل]

ثم إن هذه البقرة التي نأخذ منها الحليب من خلقها؟ ومن خلق لها أجهزتها؟ ومن ذللها للإنسان؟ ومن جعل نتاجها من الحليب غذاء مناسباً لنا؟ لأنه يفوق بكميته أضعافاً كثيرة عن حاجة وليدها، من جعله اقتصادياً؟ لأنه يزيد بثمنه عن مصاريف العناية بها وإطعامها.

البقرة معمل عظيم لتصنيع الغذاء الأول للإنسان :

يذكر العلماء أستاذ مخلص، أن الغدة الثديية للبقرة هي المعمل الحيوي الذي يقوم بتركيب الحليب وإفرازه، ويعد السنخ الوحدة الوظيفية لتصنيع الحليب في البقرة، والسنخ مجموعة من الخلايا، على شكل كرة مجوفة، محاطة بشبكة من الشعريات الدموية، تأخذ المواد الأولية اللازمة لتصنيع الحليب وتصنع هذه الخلايا قطرات الحليب من المواد الأولية التي تأخذها من الدم، ثم تطرحها في جوف السنخ لتجتمع في قنوات تصب في ضرع البقرة، هل تستطيع هذه الخلايا غير العاقلة وحدها أن تصنع:

(مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ)

يحبه الصغار والكبار؟ يقول بعض العلماء: إن طبيعة عمل هذه الخلايا وإن سرّ تصنيع الحليب فيها، غير معروف تماماً حتى الآن، علماً بأن اللتر الواحد من حليب البقرة المصنع في الغدد الثديية، يحتاج إلى أربعمئة لتر من الدم تجول في الأوعية الدموية المحيطة بالغدد الثديية، سبحان الله! من سخر لنا هذه البقرة لتكون معملاً عظيماً لتصنيع الغذاء الأول للإنسان؟ خلقها وسخرها وذللها، نأكل من لحمها، ونشرب من لبنها، وننتفع من خدماتها، قال تعالى:

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ *وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ)

[سورة يس]

التفكر بابٌ واسعٌ من أبواب معرفة الله تعالى :

أيها الأخوة الأحباب، أن يتفكر الإنسان في :

(خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ)

[سورة الشورى الآية:29]

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ)

[سورة الطارق]

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)

[سورة عبس]

ولينظر الإنسان إلى من حوله من مخلوقات، وإلى ما حوله من كائنات، وأن ينظر إلى ما فوقه من أطيار وأنواع، وأن ينظر إلى ما تحته من بحار وأسماك، أن يتفكر وينظر في ملكوت السماوات والأرض، إنه بابٌ واسعٌ جداً، من أبواب معرفة الله تعالى، ومعرفة الله تعالى أصل الدين، وأصل التكليف، وأصل العبودية، وسر السعادة، وثمن الجنة:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران]

السماوات والأرض خلقتا بالحق وسخرتا للإنسان :

أيها الأخوة، الإنسان بحكم عقله من خلال تأمله لهذا الكون، يرى أن له خالقاً عظيماً، يوقن بوجوده، وبوحدانيته، وبكماله، لكن من هو؟ ولماذا خلق ما خلق؟ وماذا يريد من الإنسان؟ هنا يأتي دور الرسل الكرام، وهم صفوة الله من خلقه، اصطفاهم وأيدهم بالمعجزات لتكون دليلاً قطعياً على إرسالهم، من قبل خالق الأكوان والأرض والسماوات، وهنا تتوقف العقول ويبدأ دور الرسل في إخبارنا من خلال ما أنزل عليهم من وحي أن الله هو خالق السماوات والأرض:

(وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

[سورة الحديد]

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ)

[سورة هود الآية:123]

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)

[سورة البقرة]

وأن السماوات والأرض خلقتا بالحق وسخرتا للإنسان، تسخير تعريف وتكريم ليؤمن ويشكر.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 23 : معجزات قرآنية4 ، اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا – فوائد الذكر

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 05-09-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع: فضيلة الدكتور الحديث عن السماوات والأرض، بل الحديث عن هذا الكون بكل مجراته، وكواكبه، وشموسه، ونجومه، حديثٌ يطول، وفيه الكثير من التفصيلات والأبحاث التي لم تستكمل بعد من قبل العلماء والباحثين، لأن علمهم الذي وصلوا إليه وصلوا به إلى نقطة لم يستطيعوا بعدها الانتقال إلى نقطة أخرى، لأن الغيب في هذا الكون هو غائب عن عقل البشر، وغائب عن أدواتهم، وأجهزتهم العلمية المتطورة، الله سبحانه وتعالى ذكر في قرآنه الكريم الآية الكريمة:

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)

[سورة الرعد الآية:2]

دكتور راتب كلمة:

(تَرَوْنَهَا)

تفيد فيما اعتقد أن الله جلّ جلاله رفع السماوات بعمد لا نراها، ما هو التفسير العلمي لهذه الآية الكريمة التي تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أوجد نظاماً دقيقاً لا يأتيه الخلل أبداً حتى قيام الساعة لكي يمسك هذا الكون بهذا النظام؟

التفسير العلمي للآية الكريمة التالية :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أستاذ مخلص جزاك الله خيراً، في هذه الآية كلمة دقيقة هي كلمة:

(تَرَوْنَهَا)

فتفيد فيما تفيد أن الله جلّ وعلا رفع السماوات بعمد لا نراها، إنها قوة التجاذب التي تنتظم الكون كله بدءاً من الذرة وانتهاء بالمجرة.

فالشمس مثلاً تجذب إليها الأرض بقوة هائلة، بحيث تجري الأرض في مسار مغلق حول الشمس، ولو انعدم جذب الشمس للأرض لخرجت الأرض عن مسارها حول الشمس، ولاندفعت في متاهات الفضاء الكوني، حيث الظلمة والتجمد، وبزوالها عن مسارها أي بانحرافها عنه تزول الحياة فيها، إذ تصل درجة حرارتها إلى مئتين و سبعين درجة تحت الصفر، وهي درجة الصفر المطلق التي تنعدم فيها حركة الذرات، قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر الآية:41]

ولكي ندرك قوة جذب الشمس للأرض نفترض أن هذه القوة انعدمت لسبب أو لآخر، ومن أجل أن تبقى الأرض مرتبطة بالشمس، تجري في مسار حولها، لا بد من أن نربطها إلى الشمس بأعمدة مرئية، لأن الله عز وجل يقول:

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)

لو أردنا أن نربطها إلى الشمس بأعمدة مرئية من الفولاذ، والفولاذ من أمتن المعادن على الإطلاق، ومن أعظمها تحملاً لقوى الشد، فالسلك الفولاذي الذي قطره مليمتر واحد يتحمل من قوة الشد ما يعادل مئة كيلو غرام، إننا بحاجة إذا أردنا أن نعيد الأرض إلى الشمس وأن نربطها بالشمس بقوى مرئية، نحتاج إلى مليون مليون حبل فولاذي، طول كل حبل مئة و ستة و خمسون مليون كيلومتر، وقطر الحبل الواحد خمسة أمتار، لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)

ويقول أيضاً:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

هذه آية من آيات الآفاق.

آيات الله عز وجل في النفس :

ماذا عن آيات النفس؟ لأن الله عز وجل يقول:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

[سورة فصلت الآية:53]

لو أن رجلاً كان يتنزه في بستان، ولمح فجأة ثعباناً مثلاً، فما الذي يحدث في جسمه؟ ينطبع هذا الخيال على شبكية العين إحساساً، وينتقل هذا الإحساس الضوئي إلى المخ فيصبح إدراك للخطر، وعنده يأمر المخ، وهو ملك الجهاز العصبي الغدة النخامية وهي ملكة الجهاز الهرموني بأن تواجه هذا الخطر، هذه

الملكة تصدر أمراً لغدة الكظر، لكي تعطي الجسم الجاهزية القصوى، لمواجهة الخطر، والكظر بدوره يعطي أمراً هرمونياً إلى القلب ليسرع في نبضاته، فالخائف تزداد نبضات قلبه، والكظر يعطي أمراً ثانياً هرمونياً للرئتين ليتوافق وجيبها مع ازدياد نبضات القلب، فالخائف يزداد وجيب رئتيه فيلهث، والكظر يعطي أمراً ثالثاً للأوعية الدموية فتضيق لمعتها، ليتحول الدم إلى العضلات، فالخائف يصفر لونه، والكظر يعطي أمراً هرمونياً رابعاً للكبد ليطرح في الدم كمية من السكر إضافية، والسكر مادة الوقود في العضلات، والكظر يعطي أمراً هرمونياً خامساً للكبد ليزيد من هرمون التجلط منعاً من نزيف الدم، هذا كله في ثوان معدودة.

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)

[سورة لقمان الآية:11]

الذكر عبادة القلب والفكر واللسان :

أيها الأخوة:

((مَثَلُ الذي يُذكَرُ اللهُ والذي لا يذكرُ الله كمَثَلُ الحيِّ والميِّت))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري]

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((ألا أخْبِرُكم بخير أعمالِكم، وأرفعِها في درجاتكم، وأزكاها عند مليكِكم، وخير لكم من الوَرِق والذهب، وخير لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذِكْرُ الله))

[أخرجه الترمذي ومالك في الموطأ عن أبي الدرداء]

الذكر له شأن كبير في حياة المؤمن، وقد ورد الذكر في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثمئة آية، تؤكد هذه الآيات في مجموعها أن الذكر ينبغي أن يدور مع الإنسان في كل شؤونه، وأحواله، وأطواره، لأنه عبادة القلب، والفكر، واللسان.

أيها الأخوة، هذا الذكر هو من أعلى نشاطات الإنسان في عبادات الله عز وجل، لأنه يدور مع الإنسان في كل حركاته وسكناته، وليله ونهاره.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة 24 : معجزات قرآنية5 ، الإعجاز في خلق الإنسان

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-09-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ مخلص:

سيدي الكريم القرآن الكريم ذكر الإنسان في خلقه في كثير من آياته، وشرح له كيف خُلق، وكيف جهزه الله سبحانه وتعالى بملكات واستعدادات خاصة، ميزه فيها عن سائر المخلوقات الأخرى، يقول عز وجل في كتابه الكريم:

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً *إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً)

[سورة الإنسان]

هذه الآية وغيرها الكثير من الآيات تشير إشارة واضحة إلى خلق الإنسان، هذا الإنسان الذي كلفه الله عز وجل بعمارة هذا الكون، وبالنظر فيه وفي أطرافه، حتى يصل إلى الحق المبين.

دكتور راتب هل لك أن تحدثنا عن الإعجاز في خلق الإنسان، وخاصة في بعض الطاقات والإمكانيات التي خلقها الله سبحانه وتعالى فيه، كي يستطيع العيش على سطح الأرض، منيعاً من كل الأخطار والأوبئة، والأمراض التي يمكن أن يتعرض لها؟.

الإنسان هو المخلوق الأول والمكرم والمكلف :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أستاذ مخلص جزاك الله خيراً بادئ ذي بدء: ذكرنا القرآن الكريم بأن هذا الإنسان هو المخلوق الأول، والمخلوق المكرم، والمخلوق المكلف، فمن دلائل تكريمه أنه خلقه:

(فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

[سورة التين]

ومن دلائل تكريمه أنه ذكره بكمال خلقه، فقال تعالى:

(فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)

[سورة الانفطار]

الله سبحانه و تعالى خصّ الإنسان بأجهزة دفاع بالغة الدقة :

لقد خص المولى جلّ وعلا الإنسان بأجهزة دفاع بالغة الدقة، أول هذه الأجهزة الجلد، وهو درع سابغة على البدن، ترد عنه الجراثيم، والأوبئة، وهو خط الدفاع الأول، وخص المولى جلّ وعلا كل عضو في الإنسان، وكل جهاز، وكل حاسة، بجهاز دفاع خاص به، فالعين مثلاً لها الأهداب، والأجفان، والدمع، وهذه الأجهزة الخاصة هي خط الدفاع الثاني، وأما خط الدفاع الثالث فهو الدم، بجنوده من الكريات البيضاء، وعدد هذه الكريات التي هي خط الدفاع الثالث يقدر بخمسة و عشرين مليون كرية في أيام السلم، ويتضاعف هذا العدد في حال الاستنفار إلى مليون كرية أيضاً، بل إلى مئات الملايين في حال القتال، في فترة لا تتجاوز الساعات أو الأيام، ولهذه الجيوش الجرارة من الكريات البيضاء سلاح إشارة، مؤلف من بضع مواد كيماوية، يعد وسيلة الاتصال والتفاهم فيما بينها.

أستاذ مخلص جهاز المناعة المكتسب بكل ما في هذا الكلمة من معنى جيش من أرقى الجيوش، أما خطة هذا الجهاز في الدفاع عن الجسم فهي من الدقة والتنسيق والفعالية بحيث يصعب تصديقها، ذكية جداً، خلايا الدم البيضاء كما يقول بعض العلماء: إن في عملها، أو في توزيع الأفراد القتالية على أفرادها، أو في تحقيق المهمات المناطة لها، بعد ثوان معدودة مثلاً من اجتياز أي جسم غريب لخطوط الدفاع الأولى والثانية تتوجه طائفة من كريات الدم البيضاء إلى هذا الجسم الغريب بمهمة استطلاعية فقط، تتوجه إليه لتأخذ شفرته الكيماوية الخاصة به، وتحتفظ بها، ثم تنقلها إلى مركز العقد اللمفاوية، وهو مكان تصنيع السلاح، مكان تصنيع المصول المضادة، تقوم هذه الخلايا بتفكيك رموز الشفرة تمهيداً لصنع المصل المضاد، لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

[سورة التين]

لكن لا بد من لفتة دقيقة أن العقد اللمفاوية التي أوكلها الله لصنع المصل المضاد تتمتع بذاكرة لا تصدق، لو أن هذا الجرثوم حينما دخل صُنع له مصل مضاد قاومه، وشفي الإنسان من هذا المرض، ملف هذا الجرثوم وشفرته تخبأ فلو عاد بعد سبعين عاماً المصل جاهز، ولولا هذه الذاكرة العجيبة في جهاز المناعة المكتسب لما كان هناك معنى للتلقيح إطلاقاً،

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

الانحراف عن منهج الله يهوي بالإنسان إلى دركات لا يصل إليها مخلوق :

ثم يقول الله عز وجل :

(ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)

[سورة التين]

فحينما ينحرف الإنسان عن منهج ربه، ويستجيب لنداء غريزته، من دون ضابط من شرع، أو رادع من فطرة، أو زاجر من عقل، حينما ينحرف الإنسان يبطل عمل هذا الجهاز، ويموت الإنسان لأدنى مرض، وما مرض نقص المناعة المكتسب الذي يهدد العالم المتفلت من منهج الله إلا تأكيد لهذه الحقيقة،

(ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)

الحقيقة أيها الأخوة، ربما كان تركيز الآيات على الجانب الروحي من الإنسان، فهو مهيأ إذا عرف ربه، وسار على منهجه، وتقرب إليه بالعمل الصالح، أن يبلغ من الرفعة ما يفوق الملائكة المقربين،

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

أما إذا أعرض الإنسان عن ربه وتفلت من منهجه، وأساء إلى خلقه، هوى إلى دركات لا يصل إليها مخلوق إطلاقاً،

(ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)

عندئذٍ تصبح البهائم أرفع منه، وأقوم لاستقامتها على فطرتها وتسبيحها لربها، وحسن أدائها لوظيفتها.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 1 : التابعي شريح القاضي .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-12-11

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ جمال :

لم يكن شريح بن الحارث لما ولّاه عمر القضاء رجلا مجهول المقام في المجتمع المدني، أو امرأ مغمور المنزلة بين أهل العلم وأصحاب الرأي، من جِلة أصحاب رسول الله وكبار التابعين، فقد كان أصحاب الفضل و السابقة يقدِّرون لشريح فطنته الحادة وذكاءه الفذ، وخلقه الرفيع، وطول تجربته في الحياة و عمقها، فهو رجل يمني الموطن كندي العشيرة، قضى شطرا غير يسير من حياته في الجاهلية، فلما أشرقت الجزيرة العربية بنور الهداية، ونفذت أشعة الإسلام إلى أرض اليمن كان شريح من أوائل المؤمنين بالله ورسوله، المستجيبين لدعوة الهدى والحق، وكان عارفوا فضله ومقدِّروا شمائله و مزاياه يأسون عليه أشد الأسى، و يتمنون أن لا يتيح له أن يفد على المدينة مبكّرا، ليلقى رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى، و لينهل من موارده الصافية المصفاة مباشرة لا بالوساطة، و لكي يحظى بشرف الصحبة بعد أن حظي بنعمة الإيمان، و بذلك يجمع الخير من أطرافه، و لكن ما قدَّره الله كان، و لم يكن الفاروقُ رضوان الله عليه متعجِّلا حينما عهد إليه بمنصب من مناصب القضاء الكبرى، على الرغم من أن سماء الإسلام كانت يومئذ ما تزال تتألّق بالنجوم الزهر من صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقد أثبتت الأيام صدق فراسة عمر و صواب تدبيره، إذًا ظل شريحٌ يقضي بين المسلمين نحوا من ستين عاما متتابعة من غير انقطاع، و قد تعاقب على إقراره في منصبه كلٌّ من عمر و عثمان و عي و معاوية رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، كما أقرَّه على ذلك من جاء بعد معاوية من خلفاء بني أمية حتى طلب الرجلُ إعفاءه من منصبه إبَّان ولاية الحجَّاج، و كان قد بلغ السابعة بعد المائة من حياته المديدة الرشيدة الحافلة بالمفاخر و المآثر.

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي

لقد ازدان تاريخ القضاء في الإسلام ببدائع من مواقف شريح، و طبعا كلها مآثر خالدة يشهد لها القاصي و الداني، وامتلأت بطون الكتب بطرائف هذا الرجل الفذ، و بأخباره أيضا، وأقواله و أفعاله، حبذا أن نزوِّد الأخ المستمع بشيء عن هذا الموضوع.

هذا سيكون إن شاء الله، ولكن سأبدأ الحديث عن هذا القاضي الفذ بقصة من زواجه رضي الله عنه و أرضاه.

قال القاضي فضيل لزميله شريح: كيف حالك يا شريح ؟ قال: و اللهِ منذ عشرين عاما لم أجد ما يعكّر

صفائي، قال: و كيف ذلك يا شريح ؟ قال: خطبت امرأة من أسرة صالحة، فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحا و كمالا، فصليت ركعتين شكرا لله على نعمة الزوجة الصالحة، و لما سلَّمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، و تسلم بسلامي و تشكر شكري، فلما خلا البيتُ من الأهل والأحباب دنوت منها و قالت لي: على رسلك يا أبا أمية، فقامت وخطبت، وقالت: يا أبا أمية إنني امرأة غريبة، لا أعرف ما تحب و ما تكره، فقل لي ما تحبه حتى آتيه، وما تكره حتى أجتنبه، ويا أبا أمية: لقد كان لك من نساء قومك من هي كفؤ لك، وكان لي من رجال قومي من هو كفؤ لي، ولكن كنت لك زوجة على كتاب الله وسنة رسوله ليقضي الله أمرا كان مفعولا، فاتق الله فيَّ، و امتثل قوله تعالى:

(فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ)

[سورة البقرة]

ثم قعدت، فقال شريح: فألجأتني إلى أن أخطب، وقفت و قلت: أما بعد فقد قلت كلاما إن تصدقي فيه و تثبتي عليه يكن لكِ ذخرا و أجرا، و إن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا و كذا، وأكره كذا و كذا، وما وجدتِ من حسنة فانشريها، وما وجدت من سيئة فاستريها، الأستاذ جمال، النبي عليه الصلاة و السلام كان يقول: إنني أكره المرأة تخرج من بيتها تشتكي من زوجها، ولا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه " قال شريح: وما وجدت من حسنة فانشريها، وما وجدت من سيئة فاستريها، والنبي عليه الصلاة و السلام وصف المرأة الصالحة بأنها ستِّيرة، لا تفضح زوجها، فقال: وما وجدت من حسنة فانشريها وما وجدت من سيئة فاستريها، فقالت: طيف نزور أهلي وأهلك ؟ قال: نزورهم غِبًّا مع انقطاع بين الحين والحين لئلا يملونا، وفي الحديث الشريف: زر غبا تزدد حبا " قالت: فما من الجيران تحب أن تسمح لهن من دخول بيتك، من تكره ؟ قال: بنو فلان فقوم صالحون، وبنو فلان قوم غير ذلك، يقول شريح: ومضى عام عدت فه إلى البيت فإذا أم زوجتي عندنا، رحَّبت بها أجمل ترحيب، و كانت قد علمت من ابنتها أنها في أهنأ حال، قالت لي: يا أبا أمية - أم زوجته - كيف وجدت زوجتك ؟ قلت: واللهِ هي خير زوجة، قالت: يا أبا أمية أما أوتي الرجالُ شرًّا من المرأة المدللة فوق الحدود، فأدِّب ما شئت أن تؤدب، وهذّب ما شئت أن تهذّب، ثم التفتت إلى ابنتها تأمرؤها بحسن السمع و الطاعة، و مضى علي عشرون عاما لم أجد ما يعكّر صفائي إلا ليلة واحدة كنت فيها أنا الظالم.

هذه قصة زواجه، و قد طلبت مني في بداية اللقاء أن أتحدَّث عن بعد مواقفه العادلة - و طبعا هذه القصة طيبة نستفيد منها و نتعلو، فضيلة الشيخ **محمد راتب النابلسي**

- إن شاء الله.

سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه افتقد درعا له كانت أثيرة عنده غالية عليه، ثم ما لبث أن وجده في يد رجل من أهل الذمة، يبيعها في سوق الكوفة، فلما رآها عرفها و قال: هذه درعي سقطت عن جمل لي في ليلة كذا، وفي مكان كذا، فقال الذمي: بل هي درعي في يدي يا أمر المؤمنين، فقال علي: إنما هي درعي، لم أبعها من أحد و لم أهبها لأحد حتى تصير إليك، فقال الذمي: بيني و بينك قاضي المسلمين، قال عليٌّ: أنصفت فهلم إليه، ثم إنهما ذهبا إلى شريح القاضي، فلما صارا عنده في مجلس القضاء قال شريح لعلي رضي الله عنه: ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ فقال: لقد وجدت درعي هذه مع هذا الرجل، و قد سقطت مني في ليلة كذا و في مكان كذا، وهي لم تصل إليه لا ببيع ولا بهبة، فقال شريح للذمي:وما تقول أنت أيها الرجل ؟ فقال: الدرع درعي وهي في يدي، و لا أتهم أمير المؤمنين بالكذب، فالتفت شريح إلى عليٍّ و قال: لا ريب عندي في أنك صادق فيما تقول يا أمير المؤمنين، وأن الدرع درعك، و لكن لا بد لك من شاهدين يشهدان على صحة ما تادَّعيت، مولاي قنبر، وولدي الحسن يشهدان لي، فقال شريح: و لكن شهادة الابن لأبيه لا تجوز يا أمير المؤمنين، قال علي: يا سبحان الله، رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته أما سمعت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال

((عَنْ أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ))

[رواه الترمذي]

فقال شريح: بلى يا أمير المؤمنين، غير أني لا أجيز شهادة الولد لوالده، عند ذلك التفت علي إلى الذمي و قال: خذها فليس عندي شاهد غيرهما، فقال الذمي: و لكني أشهد أن الدرع لك يا أمير المؤمنين، ثم أردف قائلا: يا الله، أمير المؤمنين يقاضيني أمام قاضيه، وقاضيه يقضي لي عليه، أشهد أن هذا الدين الذي يأمر بهذا الحق دينٌ الحق - فعلا سماحة الشيخ هذه مأثرة طيبة لشريح القاضي، و أيضا موقف طيب و نبيل من الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ورضي الله عنه، نتابع الحديث مع التابعي الصالح الفاضل القاضي شريح.

أستاذ جمال،

و ما لبث هذا الذمي أن شهد أنه لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله، ودخل في الإسلام.

ومن روائع شريح أيضا، أن ابنه قال له يوما: يا أبت إن بيني و بين قوم خصومة فانظر فيها فإن كان الحق لي قاضيتهم، و إن كان لهم صالحتهم، ثم قصَّ عليه قصته، فقال له: انطلق فقاضِهم، ومضى إلى خصومه و دعاهم إلى المقاضاة فاستجابوا له، و لما مثلوا بين يدي شريح قضى لهم على ولده، فلما رجع شريح و ابنه إلى البيت قال الولد لأبيه: فضحتني يا أبت، والله لو لم أستشرك من قبل لما لُمتك، فقال شريح: يا بني، و اللهِ لأنت أحب إليَّ من ملء الأرض من أمثالهم، ولكن الله عز وجل أعز عليَّ

منك، فقد ورد في الأثر: أن عدل ساعة خير من أن تعبد الله ثمانين عاما " - رضي الله تعالى عن القاضي شريح، التابعي الجليل .

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 2 : التابعي أبو حنيفة .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-12-13

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى قال عنه بعضهم: كل الفقهاء عالة على أبي حنيفة " فكان سيد الفقهاء، كان حسن الوجه، وسيم الطلعة، عذب المنطق، حلو الحديث، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير الذي تنبوعنه العيون، وهو إلى ذلك لبَّاس أنيق الثياب، بهيٌّ الطلعة، كثي التعطر، إذا طلع على الناس عرفوه من طيبه قبل أن يروه، ذلكم هو النعمام بن الثابت بن المرزبان، المكنى بأبي حنيفة، أول من فتَّق أكمام الفقه و استخرج أروع ما فيها من طيوب.

أدرك أبو حنيفة طرفا من آخر عصر بني أمية، و آخر من أول عصر بني العباس، و عاش في زمن أغدق فيه الخلفاء و الولاة على أصحاب المواهب إغداقا حتى صار رزقهم يأتيهم رغدا من كل مكان، وهم لا يشعرون، بيد أن بني حنيفة أكرم علمه ونفسه عن ذلك، و حزم أمره على أن يأكل من كسب يمينه، و أن تكون يده هي العليا دائما، دعاه المنصور ذات مرة إلى زيارته، فلما صار عنده بالغ في إعظامه و إكرامه و الترحيب به، و أدنى مجلسه منه، و جعل يسائله عن كثير من شؤون الدين والدنيا، فلما أراد الانصراف دفع إليه بكيس فيه ثلاثون ألف درهم، على ما كان معروفا من إمساك المنصور، فقال له أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين إني غريب في بغداد، و ليس لهذا المال موضع عندي، و إني لأخشى عليه، فاحفظه لي في بيت المال عندك، حتى إذا احتجته طلبته منك، فأجابه المنصورُ إلى رغبته، غير أن الحياة لم تطل حينئذ بأبي حنيفة، فلما وافه الأجل وُجدت في بيته ودائع للناس تزيد عن أضعاف هذا المبلغ، فلما سمع المنصور بذلك قال: يرحم الله أبا حنيفة، فقد خدعنا، أبى أن يأخذ منا شيئا.

تروي كتب التاريخ أنه قال له المنصور مرة: يا أبا حنيفة لو تغشَّيتنا، فقال أبو حنيفة: و لِم أتغشاكم ؟ ما معنى أتغشاكم، لو زرتنا، لو تغشيتنا يا أبا حنيفة ؟ قال: و لم أتغشاكم و ليس لي عندكم شيء أخافكم عليه، وهل يتغشاكم إلا من خافكم على شيء ؟ إنك إن قرَّبتني فتنتني، و إن ابعدتني أزريتني "
لقد كان أبو حنيفة يوقن أنه ما أكل امرؤٌ لقمة أزكى ولا أعز من لقمة ينالها من كسب يده، لذلك نجده يخصِّص شطرا من وقته للتجارة، فقد جعل يتَّجر بالخز و أثوابه، الخز القماش، و كانت تجارته ذاهبة آيبة بين مدن العراق، و كان له متجر معروف يقصده الناس، فيجدون فيه الصدق في المعاملة، و الأمانة في الأخذ و العطاء، و لا ريب في أنهم كانوا يجدون فيه الذوق الرفيع أيضا، و لقد كانت تجارته تدرُّ عليه خيرا وفيرا، وتحبوه من فضل الله مالا كثيرا، فكان يأخذ المال من حِلِّه و يضعه في محله،

فلقد عُرف عنه أنه كلما حال عليه الحول أحصى أرباحه من كل تجارته و ستبقى منها ما يكفيه لنفقته، ثم يشتري بالباقي حوائج القراء و المحدثين والفقهاء وطلاب العلم وأقواته وكسوتهم، ويخصص لكل منهم مبلغا من النقد العين و يدفع ذلك كله إليهم و يقول: هذه أرباح بضائعكم أجراها الله لكم على يدي، و اللهِ ما أعطيتكم من مالي شيئا، و إنما هو فضل لله علي فيكم، فما في رزق الله حول لأحد غير الله.

و لقد شرَّقت أخبار جود أبي حنيفة و سماحته و غرَّبت، و بخاصة مع جلسائه و أصحابه، من ذلك أن أحد جلسائه جاءه إلى متجره يوما و قال له: إني بحاجة إلى ثوب خز يا أبا حنيفة، فقال له أبو حنيفة، ما لونه ؟ فقال: كذا و كذا، فقال: اصبر حتى يقع لي فآخذه لك، فما إن دارت الجمعة حتى وقع له الثوب المطلوب، فمر به صاحبه فقال له أبو حنيفة: قد وقعت لي حاجتك، و فأخرج إليه الثوب و أعجبه وقال: كم أدفع لغلامك ثمنه، قال: درهما، فقال الرجل في استغراب: درهما واحدا ! فقال أبو حنيفة: نعم، فقال له الرجل: ما كنت أظنك تهزأ بي يا أبا حنيفة، فقال أبو حنيفة: ما هزات بك، و إنما اشتريت هذا الثوب و آخر معه بعشرين دينارا ذهبا و درهم من الفضة، و قد بعت أحد الثوبين بعشرين دينارا ذهبا، و بقي علي بدرهم واحد، وما كنت لأربح على جليسي، و جاءته امرأة عجوز تطلب ثوب خز، فأخرج لها الثوب المطلوب، و قال له: إنني امرأة عجوز و لا علم لي بالأثمان، وإنها الأمانة، فبعني الثوب بما قان عليك و أضف إليه قليلا من الربح، فإني ضعيفة، فقال لها: إني اشتريت ثوبين اثنين في صفقة واحدة، ثم إن يبع أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم، فخذيه بها، ولا أريد منك ربحا.

وقد رأى ذات يوم ثيابا رثة على أحد من جلسائه، فلما انصرف الناس و لم يبق في المجلس إلا هو والرجل قال له: ارفع هذا المصلى وخذ ما تحته، فرفع الرجل المصلى فإذا تحته ألف درهم، فقال له أبو حنيفة: خذها و أصلح بها من شأنك، فقال الرجل: إني موسر، و قد أنعم الله علي، و لا حاجة لي بها، فقا له أبو حنيفة: إذا كان الله قد أنعم عليك فاين آثار نعمته، أما بلغك أن النبي صلى الله عليه و سلم يقول

((عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ))

[رواه الترمذي]

فينبغي عليك أن تصلح من شأنك حتى لا تُغمَّ صديقك.

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي أيضا بلغ من جود أبي حنيفة يعني الأمثلة الرائعة و المتعدِّدة، حبذا أن نتتزيد عن شخصية أبي حنيفة النعمان.

أستاذ جمال ؛ لقد بلغ من جود أبي حنيفة و بره بالناس أنه كان إذا أنفق على عياله نفقة تصدَّق بمثلها على غيرهم من المحتاجين، وإذا اكتسى ثوبا جديدا كسى المساكين بقدر ثمنه، و كا إذا وُضع الطعام بين يديه غرف منه ضعف ما يأكله عادة ودفع به إلى الفقراء، و مما يُروى عنه أه قطع عهدا على نفسه

ألا يحلف بالله في أثناء كلامه إلا تصدق بدرهم فضة، ثم تدرَّج في الأمر فجعل على نفسه عهدا إن حلف بالله ليتصدقن بدينار ذهبا، إن حلف صادقا، فكان إذا حلف صادقا تصدَّق بدينار، لأن الله عز وجل يقول

(وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ)

[سورة المائدة]

وهذا فضيلة الشيخ تعليم للجميع أن نكون صادقين، وأن نكون دائما معطائين، ومقدِّمين للفقراء و المساكين.

لقد كان حفص بن عبد الرحمن شريكا لأبي حنيفة في بعض تجارته، فكان أبو حنيفة يجهِّز له أمتعة الخز و يبعث بها معه إلى بعض مدن العراق، فجهَّز له ذات مرة متعا كثيرا، وأعلمه أن في الثوب كذا و كذا عيوبا، و قال له: إذا هممت ببيعه فبيِّن للمشتري ما فيها من عيب، فباع حفص المتاع كله و نسي أن يعلم المشتري بما في الأثواب المعينة من عيوب، و لقد أجهد نفسه في تذكر الرجال الذين باعهم الثياب المعيبة فلم يفلح، فلما علِم أبو حنيفة بالأمر، و لم يتمكن من معرفة الذين وقع عليهم الغبن لم يستقر قراره، ولم تطب نفسه حتى تصدفق بأثمان المتاع كلها.

لقد كان أبو حنيفة فوق ذلك كله طيب المعاشرة، حلو المؤانسة، يسعد به جليسُه، و لا يشقى به من غاب عنه، و لو كان عدوًّا له، حدَّث أحد أصحابه فقال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة، فإني ما سمعته يذكر عدوًّا له بسوء قط، فقال له سفيان: إن أبا حنيفة أعقل من أن يسلِّط على حسناته ما يذهب بها "

و كان أبو حنيفة كيِّسا في اقتناص ود الناس، حريصا على استدامة صداقتهم، ما معنى ذلك فضيلة الشيخ ؟ يعني مولعا، و لقد عُرف عنه أنه ربما مر به الرجل من الناس فقعد في مجلسه من غير قصد و لا مجالسة، فإذا قام سأل عنه، فإن كانت به فاقة وصله، و إن كان به مرض عاده، و إن كانت له حاجة قضاها، حتى يجره إلى مواصلته جرا.

ولقد كان أبو حنيفة قبل ذلك كله و فوق ذلك كله صوام نهار، و قوام ليل خدينا للقرآن، متغفرا بالأسحار، وكان من أسباب توغله في العبادة و اندفاعه فيها أنه أقبل ذات يوم على جماعة من الناس فسمعهم يقولون: إن هذا الرجل الذي ترونه لا ينام الليل، فما إن لامست كلماتُهم هذه مسمعه حتى قال: إني عند الناس على ما خلاف أنا عليه عند الله، واللهِ لا يتحدث الناسُ عني منذ الساعة بما لا أفعل، وصار يقوم الليل، و لن أتوسَّد فراشا بعد اليوم في ليل حتى ألقى الله.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 3 : التابعي عروة بن الزبير .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-12-15

بسم الله الرحمن الرحيم

بالقرب من الركن اليماني جلس أربعة فتيان صفاح الوجوه كرام الأحساب، معطري الأردان، كأنهم بعض حمامات المسجد، وطاعة أثواب، وألفة قلوب، هم عبد الله بن الزبير، وأخوه مصعب بن الزبير، و أخوهما عروة بن الزبير، و عبد الملك بن مروان، ودار الحديث رهوا بين الفتية الأبرار، ثم ما لبث أن قال قائل منهم: ليتمنى كلٌّ منا على الله ما يحب، فاطلقت أخيلتهم تحلق في عالم الغيب الرحب، ومضت أحلامهم تطوف في رياض الأماني الخضر، ثم قال عبد لله بن الزبير: أمنيتي أن أملك الحجاز، و أن أنال الخلافة، و قال أخوه مصعب: أمنيتي أنا أن أملك العراقين، فلا ينازعني فيها منازع، و قال عبد الملك بن مروان: إذا كنتما تقنعان بذلك فأن لا أقنع إلا بأن أملك الأرض كلها، و أن أنال الخلافة بعد معاوية بن أبي سفيان، و سكت عروة بن الزبير - دقّق هنا - فلم يقل شيئا ـ فالتفتوا إليه و قالوا: و أنت ماذا تتمنى يا عروة ؟ فقال: بارك الله لكم فيما تمنيتم من أمر دنياكم، أما أنا فأتمنى أن أكون عالما عاملا يأخذ الناس عني كتاب ربهم، و سنة نبيهم و أحكام دينهم، و أن أفوز في الآخرة برضى الله و أحظى بجنته، ثم دارت الأيام دورتها فإذا بعبد الله بن الزبير يُبايع له بالخلافة عقب موت يزيد بن معاوية، فيحمك الحجاز و مصر و اليمن و خراسان والعراق، ثم يُقتل عند الكعبة غير بعيد عن المكان الذي تمنى فيه ما تمنى، و إذا بمصعب بن الزبير يتولى إمرة العراق من قِبل أخيه عبد الله، و يُقتل هو الآخر دون ولابته، وإذا بعبد الملك بن مروان تؤول إليه الخلافة بعد موت أبيه، وتجتمع عليه كلمة المسلمين بعد مقتل عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب ثم يغدو أعظم ملوك الدنيا في زمنه، فماذا كام من أمر عروة بن الزبير.

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل:

(كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً (20))

[سورة الإسراء]

وُلد عروة بن الزبير لسنة واحدة بقيت من خلافة الفاروق رضوان الله عليه، في بيت من أعز بيوت المسلمين شأنا و أرفعها مقاما،أفابوه هو الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أول من سل سيفا في الإسلام و أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأمه هي أسماء بني أبي بكر، الملقبة بذات النطاقين، و جده لأمه هو أبو بكر الصديق خليفة رسول الله و صاحبه في الغار، و جدته لأبيه هي صفية بن عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم، و خالته هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها،

فقد نزل إلى قبرها حين دُفنت بنفسه، و سوى عليه لحدها بيده، أفتظن أن بعد هذا الحسب حسبا، وأن فوق هذا الشرف شرفا، غير شرف الإيمان و عزة الإسلام.

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي، هناك أمنية كان يتمناها عروةُ بن الزبير كنت بدأت حديثك عنها، حبَّذا أن نتابع الشيء الجليل و الرائع عن هذه الأمنية الطيبة.

و لكي يحقق عروة أمنيته التي تمناها على الله عند الكعبة المعظمة أكب على طلب، العلاقة بين صدق التمني هو العمل و السعي، أكب على طلب العلم و انقطع له، و اغتنم البقية الباقية من صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فطفق يؤمُّ بيوتهم و يصلي خلفهم، و يتتبع مجالسهم حتى روى عن علي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف وزيد بن ثابت، و أُبي و أبي أيوب الأنصاري و أسامة بن زيد، و سعيد بن زيد و أبي هريرة و عبد الله بن عباس و النعمان بن بشير، و أخذ كثيرا عن خالته عائشة أم المؤمنين حتى غدا أحد فقهاء المدينة السبعة، الذين يفزع إليهم المسلمون في دينهم، و يستعين بهم الولاةُ الصالحون على ما استرعاهم الله جل و عز من أمر العباد و البلاد، ومن ذلك أن عمر بن عبد العزيز حين قدم المدينة واليا عليها من قِبل اوليد بن عبد الملك، جاءه الناس فسلموا عليه، فلما صلى الظهر دعا عشرة فقهاء المدينة و على رأسهم عروة بن الزبير، فلما صاروا عنده رحَّب بهم و أكرم مجالسهم، ثم حمد الله جل و عز وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: إني دعوتكم لأمر تُأجرون عليه و تكونون لي فيه أعوانا على الحق، فأنا لا أقطع أمرا إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدا يتعدى على أحد أو بلغكم عن عامل لي مظلمة فأسألكم بالله أن تبلّغوني ذلك.

أستاذ جمال مرة كلَّف أحد كبار العلماء سيدنا عمر بن عبد العزيز قال له

((كن معي دائما وانظر فيما أفعل، فإن رأيتني ضللت فأمسكني من تلابيبي، و هزَّني هزا شديدا و قل لي: اتق الله يا عمر فإنك ستموت))

فدعا له عروة بن الزبير بالخير و رجا له من الله السداد و الرشاد، و قد جمع عروة بن الزبير العلم إلى العمل، فقد كان صواما في الهواجر قواما في العتمات، رطب اللسان بذكر الله تعالى، و كان إلى ذلك خدينا لكتاب الله عزوجل عاكفا على تلاوته، فكان يقرأ ربع القرآن كل نهار نظرا في المصحف، ثم يقول به الليل تلاوة على ظهر قلب، و لقد كان عروة بن الزبير يجد في الصلاة راحة نفسه، و قرى عينه، و جنته على الأرض، فيحسنها كل الإحسان، ويتقن شعائرها أتم الإتقان، و يطيلها غاية الطول، رُوي عنه أنه رأى رجلا يصلي صلاة خفيفة فلما فرغ من صلاته دعا إليه و قال له: يا ابن أخي ألا كانت لك عند ربك جل وعز حاجة ؟ والله إني لأسأل الله تبارك و تعالى في صلاتي كل شيء حتى الملح، و قد كان عروة بن الزبير رضوان الله عليه سخي اليد سمحا جوادا، ومما أُثر عن جوده أنه كان له بستان من أعظم بساتين المدينة، عذب المياه، ظليل الأشجار، باسق النخيل، و كان يصون بستانه

طوال العام بحماية أشجاره من أذى الماشية و عبث الصبية ، حتى إذا آن أوانُ الرطب و أينعت ثمارُه و طابت و اشتهتها النفوس، كسر حائط بستانه في أكثر من جهة ليجيز للناس دخوله، فكانوا يلمون به ذاهبين آيبين، و يأكلون من ثمره ما لذَّ لهم من الأكل، و يحملون منه ما طاب لهم الحمل، و كان كلما دخل بستانه هذا ردَّد قوله تعالى:

(وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)

[سورة الكهف]

و في ذات سنة من خلافة الوليد بن عبد الملك شاء الله جل و عز أن يمتحن عروة بن الزبير امتحانا لا يثبت له إلا ذوو الأفئدة التي عمرها الإيمان و غمرها اليقين، ذلك أن ابن عروة دخل على اسطبل الوليد ليتفرج على جياده الصافنات، فلمحته دابة لمحة قاضية أودت بحياته، و لم يزل الأب المفزوع ينفض التراب من قبر ولده حتى أصابت إحدى قدميه الآكلة، فتورمت ساقه، وجعل الورم يشتد و يشتد بسرعة مذهلة، فاستدى الخليفة لضيفه الأطباء من كل جهة، و حضهم على معالجته بأية وسيلة، لكن الأطباء أجمعوا على أنه لا مندوحة من بطر ساقه، قبل أن يسري الورمُ إلى جسده كله، و يكون سببا في القضاء عليه، فلم يجد بدا للإذعان لذلك، و لما حضر الجراحُ لبتر الساق و أحضر معه مباضعه لشقف اللحم و مناشره لنشر العظم، قال الطبيب لعروة: أرى أن نسقيك جرعة من مسكر لكي لا تشعر بالآلام المبرحة، فقال: هيهات لا أستعين بحرام علما أرجو منه العافية، فقال له: إذًا نسقيك المخدِّر، فقال: لا أحب أن أُسلب عضوا من أعضائي دون أن أشعر بألمه، لأحتسب ذلك عند الله، و لما همَّ الجراح بقطع الساق تقدَّم نحو عروة طائفة من الرجال، فقال: ما هؤلاء ؟ فقيل له: لقد جيء بهم ليمسكوك، فربما اشتد عليك الألم فجذبت قدمك جذبة أضرت بك، قال: ردوهم، لا حاجة لي بهم، و إني لأرجو أن أكفيكم ذلك بالذكر و التسبيح، ثم أقبل عليه الطبيب فقطع اللهم بالمنطاق و لما بلغ العظم وضع عليه المنشار و طفق ينشره به، و عروة يقول: لا إله إلا الله، الله أكبر، وما فتئ الجراح ينشر و عروة يهلّل و يكبر، حتى بُترت الساق بترا، ثم أغلي الزيت في مغارف الحديد وغُمست به ساق عروة لإيقاف تدفُّق الدماء و حسم الجراح، فأغمي عليه إغماءة طويلة حالت دونه و دون أن يقرأ حصته من كتاب الله الكريم، و كانت المرة الوحيدة التي فاته فيها ذلك الخير منذ صدر شبابه، فانشق على الوليد بن عبد الملك ما نزل بضيفه الكبير، فقد احتسب ابنه و فقد ساقه في أيام معدودات، فجعل يحتال لتعزيته و تصبيره على ما أصابه، و لما حُمل عروة بن الزبير إلى المدينة و أُدخل على أهله بادرهم قائلا: لا يهولنكم ما ترون، فلقد وهبني الله عزوجل أربعة من البنين، ثم أخذ منهم واحدا و أبقى لي ثلاثة، فله الحمد، و أعطاني أربعة من الأطراف ثم أخذ منها واحدا وأبقى لي ثلاثة، فله الحمد، وايم الله لئن أخذ الله مني قليلا لقد أبقى لي كثيرا، و لئن ابتلاني مرة فلطالما عافاني مرات، و لما عرف أهلُ المدينة بمصيب إمامهم و

عالمهم عروة بن الزبير تسايروا على بيته ليواسوه و يعزُّوه، فكان من أحسن ما عُزي به كلمة قالها إبراهيم بن محمد قال له:

(أبشر يا أبا عبد الله فقد سبقك عضو من أعضائك وولد من أولادك إلى الجنة))

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 4 : التابعي النجاشي .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-12-18

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ جمال

إنه النجاشي، كان ملك الحبشة، لكن علماء المسلمين عدوه من التابعين، فقد تُوج على مملكة الحبشة، و بويع بالملك، ودعي بالنجاشي، فساس البلاد بالحنكة و الحكمة، و أراح العباد من الضطراب و الفوضى، و ملأ الحبشة عدلا و خيرا، بعد أن امتلأت ظلما و شرا، و لكن لم يكد النجاشي يستقر على كرسي ملكه حتى بعث الله نبيه محمد صلوات الله عليه بدين الهدى و الحق، و أخذ المهديون السابقون إلى الإسلام يستجيبون واحدا إثر آخر، فهبَّت قريش تلحق بهم الأذى، و تنزل بهم الضر، فلما ضاقت عليهم مكةُ بما رحبت، و أنزل بهم المشركون من الأذى ما يزلزل اللشم الصلاب، قال لهم النبي عليه الصلاة و السلام: إن في أرض الحبشة ملكا لا يُظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده، ولوذوا بحماه، حتى يجعل الله لكم فرجا، و يهيئ لكم من ضيقكم مخرجا ن فمضى ركب المهاجرين الأولين إلى أرض الحبشة و كانوا ثمانين بين رجال و نساء، فتذوقوا لأول مرة طعم الأمن و الاستقرار، الأستاذ جمال نعمة الأمن ما بعدها نعمة، قال تعالى:

(الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4))

[سورة قريش]

و تمتع هؤلاء الصحب الكرام بحلاوة التقى و العبادة من دون أن يعكّر صفو عبادتهم معكّر، و دون أن يكدر حلاوة إيمانهم مكدر، لكن قريشا ما كادت تعلم برحيل هذا النفر الثمانين من المسلمين إلى أرض الحبشة واستقرارهم فيها حتى هبَّت تأتمر بهم لتقضي عليهم، أو تستردهم إلى مكة، فأرسل قريش إلى النجاشي رجلين من أعهزاز رجالها ذكاء و حنكة، هما عمرو بن العاص و عبد الله بن أبي ربيعة، و بعثت معهما بهدايا وفيرة للنجاشي و بطارقته، مما كانو يستطرفونه من أرض الحجاز، فلما قدما الحبشة بادرا إلى لقاء البطارقة قبل أن يلقوا النجاشي، و دفعا إلى كل بطريق هديته و قال له: إنه قد حل بأرضكم غلمان من سفهائنا صبؤوا عن دين آبائهم و أجدادهم، و مزقوا كلمة قومهم، فإذا كلّمنا الملك فأشيروا عليه-مقابل هذه الهدايا - بأن يسلمهم إلينا دون أن يسألهم عن دينهم، فإنا أشراف قومهم أبصرُ بهم، و أعلم بما يدينون، دخل عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على النجاشي و سجدا له، كما يسجد له قومُه، فرحَّب بهم النجاشي أجما ترحيب لما كان بينه و بين عمرو بن العاص من وُدٍّ سابق، ثم قدما له الهدايا مشفوعة بالتحيات من كبار رجال مكة، وعلى رأسهم أبو سفيان، زعيم قريش،

فاستطرف هداياهم و أعجب بها، ثم كلماه فقالا: أيها الملك إنه قد أوى إلى مملكتك نفر من أشرار غلماننا، قد فارقوا ديننا، و لم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين لا نعرفه نحن، و لا تعرفه أنت، و قد بعثنا أشرافُ قومنا يسألونك أن تردَّهم إليهم، فهم أعلم بما ابتدعوه من دين و ما أحدثوه من فتنة، فنظر النجاشي إلى بطارقته فقالوا: صدقا أيها الملك فإننا لم نقف على دينهم الذي استحدثوه، و إن قومهم أدرى بهم منا، و أعلم بما ابتدعوه، فقال النجاشي: والله لا أسلّمهم لأحد حتى أسمع كلامهم أرأيت إلى الإنصاف - هذا يا فضيلة الشيخ هذا هو الفعل النبيل الذي قام به النجاشي،و يبدو لي من خلال هذا الموقف الرجولة، استطاع النجاشي أن يكتب اسمه بين المؤمنين، و أن يكون تابعيا صالحا - فقال: لا والله لا أسلمهم لأحد حتى أسمع كلامهم، وأقف على عقيدتهم، فإن كانوا على شر أسلمتهم لقومهم، وإن كانوا على خير حميتهم وأحسنت جوارهم ما داموا في بلادي، ثم أردف يقول: إني والله لا أنسى فضل الله علي، فلقد ردَّني إلى أرضي و حماني من كيد الكائدين لي، و صانني من بغي الباغين عليَّ، فدعا النجاشي الصحابة إلى لقاء بني قومهم عنده، فأوجسوا خيفة من ذلك، وقال بعضهم لبعض: ما تقولون له إذا سألكم عن دينكم ؟ فقال: مقدموهم: نقول: ما قال الله عزوجل في كتابه، و نعلن ما جاءنا به النبي عليه الصلاة و السلام عن ربه، ثم مضوا إليه، فوجدوا عنده عمرو بن العاص، وعبد الله بن ربيعة، وألفوا بطارقته جالسين عن يمينه و عن شماله، وقد اعتمروا قلانسهم، و نشروا كتبهم بين أيديهم، فحيوه بتحية الإسلام، وجلسوا حيث انتهى بهم المجلس، فالتفت إليهم عمرو بن العاص و قال: مالكم لا تسجدون للملك ؟ أراد أن يحرجهم، فقالوا: إننا لا نسجد إلا لله، فهز النجاشي رأسه إعجابا لما قالوه، و نظر إليهم في رفق و قال: ما هذا الذي استحدثتموه فيكم من دين، و فارقتم بسببه دين قومكم، و لم تدخلوا في ديني ؟ فاستأذنه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان رئيس القوم، و قال: أيها الملك إننا لم نستحدث لأنفسنا دينا وإنما جاءنا محمد بن عبد الله من عند ربه بدين الهدى والحق، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، فلقد كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونقطع الأرحام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش و نسيء الجوار، و يبطش القوي منا بالضعيف، وقد بقينا على حالنا تلك حتى بعث الله إلينا رجلا نعرف نسبه، ونثق بصدقه و أمانته، وعفته، فدعانا إلى الله و أمرنا أن نعبده و أن نوحِّده، و حثنا على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة و صوم رمضان، وأن نخلع ما نعبده من الحجارة و الأوثان، كما أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة و صلة الرحم و حسن الجوار، و الكف عن المحارم، و صون الدماء، ونهانا عن إتيان الفواحش وقول الزور و أكل مال اليتيم، فصدقناه و آمنا برسالته، واتبعنا ما جاء به، وجعلنا نعبد الله وحده لا شريك له، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فما كان من قومنا إلا أن عدوا علينا وأنزلوا بنا أشد العذاب، ليفتنونا عن ديننا و يردونا إلى عبادة الأوثان، بعد أن عبدنا الواحد الديان، فلما قهرونا وظلمونا و ضيَّقوا علينا، و حالوا بيننا و بن ديننا رغبنا في اللجوء إلى جوارك

والإقامة في ديارك، واخترناك على سواك ورجونا أن لا نُظلم عندك، فقال له النجاشي: هل معك شيء مما جاء به نبيكم عن ربه ؟ قال: نعم قال: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من سورة مريم، و كان مما قرأه قول الله عزوجل:

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً (24))

[سورة مريم]

فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيتُه، وبكى أساقفته حتى بلّلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلي عليهم، وهنا التفت النجاشي إلى عمرو بن العاص و صاحبه و قال: إن هذا الذي تلي علينا فلذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، ثم قال لهم: والله لا اسلمهم إليكما أبدا، ولا أُحمل على ذلك ما حييت، ثم نهض قائما ونهض من كان معه، وانفض المجلس.

خرج عمرو بن العاص وهو يتميز من الغيظ، ثم قال لصاحبه:والله لألقين النجاشي غدا و لأحدِّثنه عنهم حديثا يجتث شجرتهم، و يقضي عليهم فقال له صاحبه و كان أرقَّ منه قلبا: لا تفعل يا عمرو، فإن لهم فينا أرحاما، فقال: والله لأخبرنه أنهم قالوا في عيسى بن مريم شيئا و كتموا شيئا، و أنهم ينالون منه، و يقولون إنه عبد، فلما كان الغد دخل عمرو على النجاشي فقال: أيها الملك، لقد أسمعوك بالأمس و أخفوا عنك شيئا آخر فهم يقولون في عيسى بن مريم أنه عبد، فدعاهم النجاشي وقال: ما تقولون في عيسى بن مريم، فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه ما جاءنا به النبي عليه الصلاة و السلام، فقال: ما الذي جاءكم به ؟ فقال جعفر: إنه عبد الله و روسوله و كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فقال النجاشي: والله ما حرج عيسى عما قلت قيد أنملة، فتناخر البطارقة من حوله مستنكرين قوله، فنظر إليهم شزرا وقال: وإن تناخرتم، ثم قال لجعفر ومن معه: اذهبوا أنتم آمنين في أرضي، من مال منكم غرم، ومن من مال منكم غرم، من نال منكم غرم، من مال منكم غرم، أعادها تأكيدا، هذا هو النجاشي، و ما أطاع الناس في أمري حتى أطيعهم في أمرهم، هذا هو النجاشي الذي عدَّهم بعض المسلمين تابعيا جليلا.

لاحظ فضيلة الشيخ، استطاع النجاشي أن يعلمنا من خلال أعماله وأقواله كيف أن الإسلام يجب عندما تأتيه مظلمة، أو يأتيه شاك عليه أن يسمع الطرفين ليتأكّد، وهناك دليل من القرآن الكريم، ونستشف

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي من النجاشي التابعي الجليل كيف أن موضوع الطرح الذي طرحه الصحابة أمام النجاشي، الأسلوب، طريقة الكلام، طريقة الإيضاح و التعليم - هو أنه يقول عليه الصلاة و السلام يقول: إذا كنتم ثلاثة فأمِّروا أحدكم، وهذا مبدأ عام في الوجود، يجب أن ننتقي من الوفد أفصحهم، وأعلمهم و أحكمهم و أكملهم، وأشدهم ورعا، ليكون رئيسا لهذا الوفد، و ليتكلم، فالإنسان يستمع إلى كلام منطقي واقعي، مدلّل بالأدلة والشواهد المعتدلة الحكيمة، هذا الذي فعله جعفر.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 5 : التابعي عامر بن شرحبيل الشعبي .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-12-20

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ الحسن البصري له كلام جميل في حق التابعي عامر بن شرحبيل الشعبي

((كان الشعبي واسع العلم، عظيم الحلم، وإنه مع الإسلام بمكان))

إذًا حديثنا في هذه الحلقة إن شاء الله حول هذا التابعي الجليل.

ولد الشعبي في الكوفة، وفيها نشأ، لكن المدينة المنورة كانت مهوى فؤاده ومطمح نفسه، فكان يؤمها من حين لآخر ليلقى صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ليأخذ عنهم كما كان الصحابة الكرام يؤمون الكوفة ليتخذوها منطلقا للجهاد في سبيل الله، أو دارا للإقامة، فأُتيح له أن يلقى نحوا من خمسمائة من الصحابة الكرام، وأن يؤوي عن عدد كبير من جِلتهم من أمثال علي بن أبي طالب و سعد بن أبي وقاص وزيد بن ثابت و عبادة بن الصامت، و أبي موسى الأشعري، و أبي سعيد الخدري و النعمان بن بشير، وعبد الله بن عمر و عبد لله بن عباس و عدي بن حاتم و أبي هريرة وعائشة أم المؤمنين و غيرهم، وقد كان الشعبي فتى متوقد الذكاء يقظ الفؤاد، مرهف الذهن، دقيق الفهم، آية في قوة الحافظة والذاكرة، قال علماء النفس: كل ذكي له ذاكرة قوية، وكل صاحب ذاكرة قوية على مستوى عال من الذكاء، و لكن الذكاء شيء و الذاكرة شيء آخر، فقد روي عنه أنه قال

((ما كتبت سوداء في بيضاء قط " كان يحفظ مباشرة، لا يحتاج إلى أن يكتب،

((ما كتبت سوداء في بيضاء قط، و لا حدثني رجل بحديث إلا حفظته، و لا سمعت من امرئ كلاما فما أحببت أن يعيده علي))

وهذا من علائم قوة ذاكرته.

وقد كان الفتى مولعا بالعلم مشغوفا بالمعرفة، يبذل في سبيلها النفس و النفيس، ويستسهل من أجلهما المصاعب، إذ كان يقول : لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن وحفظ كلمة واحدة تنفعه فيما سنقبل من أموره لرأيت أن سفره لم يضع " وللإمام الشافعي كلمة رائعة يقول

((من لم يُعهد منه سفر، لم يعهد منه علم))

و قد بلغ من علمه أنه كان يقول : أقل شيء تعلمته الشعر، ولو شئت لأنشدتكم منه شهرا دون أن أعيد شيئا مما أنشدته، وكانت تُعقد له حلقة في جامع الكوفة، فيلتف الناس حوله زمرا زمرا، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياء يروحون ويغدون بين أظهر الناس.

أستاذ جمال يقول الله عز وجل :

(يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ)

[سورة فاطر]

الله جل جلاله يعطي بعض الأشخاص قوة حافظة عجيبة، يعطي بعض الأشخاص قوة محاكمة كبيرة، يعطي بعض الأشخاص طلاقة لسان رائعة، إنه عز وجل يصطفي من خلقه من يعطيهم حظا أكثر من غيرهم، هذا معنى قوله تعالى :

(يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ)

[سورة فاطر]

بل إن عبد الله بن عمر رضي الله عنه سمعه ذات مرة يقص على الناس أخبار المغازي بخفاياها و دقائقها، فأرهف إليه سمعه و قال: لقد شاهدت ما يقصه بعيني و سمعته بأذني، ومع ذلك فهو أروى له مني " هو الذي شاهده و سمعه أروى له مني، و شواهد سعة علم الشعبي و حضور ذهنه غزيرة وفيرة، من ذلك ما رواه عن نفسه قال : أتاني رجلان يتفاخران أحدهما من بني عامر و الآخر من بني أسد، و قد غلب العامري صاحبه وعلا عليه و أخذه من ثوبه و جعل يجره نحوه جرا، والأسدي مخذول أمامه يقول له : دعني دعني، وهو يقول له : والله لا أدعك حتى يحكم الشعبي لي عليك، فالتفت إلى العامري و قلت له : دع صاحبك حتى أحكم بينكما، ثم نظرت إلى الأسدي و قلت : ما لي أراك تتخاذل له، ولقد كانت لكم مفاخر ست لم تكن لأحد من العرب، أولها : أنه كانت منكم امرأة خطبها سيد الخلق محمد بن عبد الله، فزوجه الله إياها من فوق سبع سماوات، و كان السفير بينهما جبريل عليه السلام، إنها أم المؤمنين زينب، فكانت هذه المأثرة لقومك ولم تكن لأحد من العرب غيركم، و الثانية : أنه كان منكم رجل من أهل الجنة، يمشي على الأرض هو عكاشة بن محصن، و كانت هذه لكم يا بني أسد و لم تكن لسواكم منن الناس، و الثالثة : أن أول لواء عُقد في الإسلام كان لرجل منكم، هو عبد الله بن جحش، و الرابعة أن أول مغنم قُسم في الإسلام كان مغنمه، و الخامسة : أن أول بايع بيعة الرضوان كان منكم، فقد جاء صاحبكم أبو سنان بن وهب إلى النبي عليه الصلاة و السلام و قال : يا رسول الله ابسط يدك أبايعك، قال : على ماذا، قال : على ما نفسك، قال : وما في نفسي ؟ قال : فتح أو شهادة، قال: نعم، فبايعه فجعل الناسُ يبايعون على بيعة أبي سنان، و السادسة : أن قومك بني الأسد كانوا سُبع المهاجرين يوم بدر، فبُهت العامري و سكت، ولا ريب أن الشعبي أراد أن ينصر الضعيف المغلوب على القوي الغالب، و لو كان العامري هو المخذول لذكر له من مآثر قومه ما لم يحط به خبرا، و لما آلت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج عامله على العراق أن ابعث إلي رجلا يصلح للدين و الدنيا، أتَّخذه سفيرا و جليسا، فبعث إليه بالشعبي، فجعله من خاصته، و أخذ يفزع إلى علمه في المعضلات، ويعول على رأيه في الملمات، و يبعثه سفيرا بينه و بين الملوك، أرسله مرة في مهمة إلى

الجستنيان، ملك الروم، فلما وفد إليه و استمع إليه أُخذ بذكائه و دُهش من دهاءه، و أُعجب بسعة اطلاعه و قوة عارضته، فاستبقاه عنده أياما كثيرة على غير عادته مع السفراء، فلما ألح عليه بأن يأذن له بالعودة إلى دمشق سأله الملك الرومي : أمن أهل بيت الملك أنت ؟ فقال : لا، وإنما ـأنا رجل من جملة المسلمين، فلما أذن له بالرحيل قال له : إذا رجعت إلى صاحبك، يعني عبد الملك بن مروان، و أبلغته جميع ما يريد معرفته فادفع إليه هذه الرقعة، يعني الكتاب، فلما عاد الشعبي إلى دمشق بادر إلى لقاء عبد الملك، وأفضى إليه بكل ما رآه و سمعه، و أجابه عن جميع ما سأله عنه، ولما نهض لينصرف قال : يا أمير المؤمنين إن ملك الروم حمَّلني لك هذه الرقعة، ودفعها إليه وانصرف، فلما قرأها عبد الملك قال لغلمانه : ردوه عليَّ، فردوه فقال له : أعلمت ما في هذه الرقعة ؟ قال : لا الله يا أمير المؤمنين، فقال عبد الملك : لقد كتب إلي ملك الروم يقول : عجبت للعرب كيف ملَّكت عليها مكحول في الشام " لكن الشعبي كان لتواضعه يخجل إذا خلع عليه أحد لقب العالم، فقد خاطبه أحد قائلا : أجبني أيها الفقيه العالم، فقال : ويحك لا تطرونا بما ليس فينا، الفقيه من تورع عن محارم الله، و العالم من خشي الله، وأين نحن من هذا " ولقد سأله آخر عن مسألة فأجاب: قال فيها عمر بن الخطاب كذا، وقال فيها علي بن أبي طالب كذا، فقال له السائل :وأنت ماذا تقول يا أبا عمر، فابتسم في استحياء و قال : و ما تصنع بقولي بعد أن سمعت مقالة عمر و علي " و قد كان الشعبي يتحلى بكريم الشمائل و لين الخصام، من ذلك أنه كان يكره المراء، و يتساوم عن الخوض فيما لا يعنيه، فلقد كلَّمه أحد أصحابه ذات يوم فقال: يا أبا عمرو، فقال : لبَّيك، فقال : ما تقول فيما يتكلم فيه الناس في أمر هذين الرجلين، فقال : أي الرجلين تعني ؟ فقال : عثمان و علي، فقال : إني و الله لفي غنى أن أجيء يوم القيامة خصيما لعثمان بن عفان أو لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما

لقد جمع الشعبي إلى العلم الحلم، فقد رُوي أن رجلا شتمه أقبح الشتم، و أسمعه أقذع الكلام فلم يزد على أن قال : إن كنت صادقا فيما ترميني به غفر الله لي، وإن كنت كاذبا غفر الله لك " و لم يكن الشعبي على جلالة قدره وجلالة فضله يأنف أن يأخذ المعرفة أو يتلقى الحكمة عن أهون الناس شأنا، فلقد دأب أعربي على حضور مجالسه، غير أنه كان يلوذ بالصمت دائما، فقال له الشعبي : ألا تتكلم ؟ فقال : اسكت فأسلم، و اسمع فأعلم، وإن حظ المرء من أذنه يعود عليه، أما حظه من لسانه فيعود على غيره " فظل الشعبي يردِّد كلمة الأعرابي ما امتدت به الحياة.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 6 : التابعي القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-12-22

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ راتب

سيدنا عمر بن عبد العزيز له كلام جميل: لو كان لي من الأمر شيء لولّيت القاسم بن محمد الخلافة " القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، هذا التابعي الفاضل هو محور حديثنا إن شاء الله .

ولد القاسم بن محمد في أواخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، لكن الطفل الصغير ما كاد يدرج في عشه حتى قصفت بديار المسلمين ريح الفتنة الهوجاء، فاستشهد الخليفة العبَّاد الزهَّاد ذو النورين، وهو منحني بصلبه على أجزاء القرآن، و نشب الخلاف الكبير بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان أمير بلاد الشام، وفي سلسلة مفزعة مذهلة من الأحداث المتلاحقة وجد الطفل الصغير نفسه يُحمل مع أخته من المدينة إلى مصر، فقد كان عليهما أن يلحقا بابيهما بعد أن غدا واليا عليها، من قِبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم رأى أظافر الفتنة الحمر تمتد إلى أبيه فتقتله شر قتلة، ثم ألفى نفسه يُنقل مرة أخرى من مصر إلى المدينة بعد أن استولى عليها أنصار معاوية، و قد أصبح يتيما لطيما .

حدَّث القاسمُ نفسُه عن رحلة العذاب هذه و ما تلاها فقال: لما قُتل أبي بمصر جاء عمي عبد الرحمن بن أبي بكر فاحتملني أنا و أختي الصغيرة ومضى بنا إلى المدينة، فما أن بلغناها حتى بعثت إلينا عمتي عائشة رضي الله عنها فحملتنا من منزل عمي إلى بيتها، و ربَّتنا في حجرها، فما رأيت والدة قط و لا والدا أكثر منها برا ولا أوفر منها شفقة، كانت تطعمنا بيديها، ولا تأكل معنا، فإذا بقي من طعامنا شيءٌ أكلته، و كانت تحنو علينا حنوَّ المرضعات على الفطيم، فتغسل أجسادنا و تمشِّط شعورنا و تلبسنا الأبيض الناصع من الثياب، و كانت لا تفتأ تحضُّنا على الخير و تمرسنا بفعله، و تنهانا عن الشر و تحملنا على تركه، و قد دأبت على تلقيننا ما نطيقه من كتاب الله عزوجل، و تروي لنا ما نعقله من حديث رسول الله عليه أتم الصلاة و السلام، و كانت تزيدنا برا و إتحافا في العيدين، فإذا كانت عشية عرفة حلقت لي شعري و غسَّلتني أنا و أختي، فإذا أصبحنا ألبستنا الجديد و بعثت بنا إلى المسجد لنؤدي صلاة العيد، فإذا عدنا منه جمعتني أنا و أختي و ضحَّت بين أيدينا .

الأستاذ جمال

الطفل الصغير حينما يلقى رعاية كافية، و حنوا كبيرا و رحمة واسعة يكون بطلا عظيما، و أخطر سن يمر به الإنسان هو سن الطفولة، فإذا لقي أما رؤوما و أبا شفيقا و تربية عالية و تتبعا دقيقا صار بطلا، و في ذات يوم ألبستنا ثيابا بيضا ثم أجلستني على إحدى ركبتيها، و اجلست أختي على ركبتها الأخرى، و كانت قد دعت عمي عبد الرحمن فلما دخل علينا حيَّته ثم تكلمت فحمدت الله عزوجل و أثنت عليه بما هو أهله، فما رأيت متكلما قط من رجل أو امرأة قبلها و لا بعدها أفصح منها لسانا، و لا أعذب منها بيانا، ثم قالت: أي أخي إني لم أزل أراك معرضا عني منذ أخذت هذين الصبيين منك و ضممتهما إلي، ووالله ما فعلت ذلك تطاولا عليك ولا سوء ظن بك، و لا اتهاما لك بالتقصير في حقهما، و لكنك رجل ذو نساء، لك زوجات، و هما صبيان صغيران لا يقومان بأمر نفسيهما، فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذرنه فلا يطبن بهما نفسا، ووجدت أني أحق منهن بالقيام على أمرهما في هذه الحال، وهاهما الآن قد شبَّا و أصبحا قادرين على القيام بأمر نفسيهما، فخذهما و ضمهما إليك، فأخذنا عمي عبد الرحمن و ضمَّنا إلى بيته، الطفل لا ينسى الرعاية و الاهتمام، و العطف الذي يشرب مع حليب أمه هذا العطف و الحنان يكون إنسانا خيرا في المستقبل، بيد أن الغلام البكري ظل معلق القلب ببيت عمته أم المؤمنين رضوان الله تعالى عليها، فعلى أرض بيتها المضمَّخة بطيوب النبوة درج، وفي أكناف صاحبته تربى و ترعرع، ومن حنانها المتدفق نهل و ارتوى، فصار يوزع وقته بين بيتها و بيت عمه، و قد ظلت ذكريات منزل عمته الشذية الندية رفافة تحيا في خاطره ما امتدت به الحياة، فاستمع عن بعض حديثه عن تلك الذكريات حيث يقول: قلت ذات يوم لعمتي عائشة رضي الله عنها: يا أمة اكشفي لي عن قبر النبي صلى الله عليه و سلم، و قبر صاحبيه فإني أريد أن أراهما، و كانت الثقوب الثلاثة ما زالت داخل بيتها، و قد غطَّتهما بما يسترها عن العين، فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا واطئة، بحسب السنة، قد مُهِّدت بصغار الحصى الحمر مما كان في باحة المسجد، فقلت: أين قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ فأشارت بيدها و قالت: هذا، ثم تحدرت على خديها دمعتان كبيرتان فبادرت فمسحتهما حتى لا أراهما، و كان قبر النبي عليه الصلاة والسلام مقدَّما على قبر صاحبيه، فقلت: أين قبر جدي أبي بكر ؟ فقال: هو هذا و كان مدفونا عند رأس النبي عليه الصلاة و السلام، فقلت: وهذا قبر عمر ؟ قال: نعم، و كان رأس عمر رضوان الله عليه عند قبر جدي، قريبنا من رجل النبي عليه الصلاة و السلام .

فلما شبَّ الفتى البكري كان قد حفظ كتاب الله عزوجل و أخذ عن عمته عائشة من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ما شاء الله له أن يأخذ، ثم أقبل على الحرم النبوي الشريف وانقطع إلى حلقات العلم التي كانت تنتشر في كل ركن من أركانه كما تنتشر النجومُ الزهر على صفحة السماء.

الأستاذ جمال ؛

أنا في اعتقادي أن شهادات المرأة العلية أولادها، او الذين ربَّتهم، هذه أكبر شهادة لمرأة، حينما تدفع بعنصر راقي جدا للمجتمع هذا يحتاج إلى عناية، حتى غدا هذا الفتى البكري إماما مجتهدا، و أصبح من أعلم أهل زمانه بالسنة، و كان الرجل لا يُعد رجلا عندهم حتى يتقن السنة .

ولما اكتملت للشاب البكري أدوات المعرفة أقبل الناس عليه يلتمسون عنده العلم بشرف، و أقبل هو عليهم يبذله لهم بسخاء، فكان يأتي مسجد رسول الله صلوات الله عليه وسلام غداة كل يوم في موعد لا يخلفه فيصلي ركعتين يحي بهما المسجد ثم يأخذ مكانه أمام خوخة عمر في الروضة الغراء بين قبر النبي صلوات الله و سلامه عليه وبين منبره، فيجتمع عليه طلاب العلم في كل مكان،و ينهلون من موارده العذبة المصفاة ما يملأة النفوس العطشى ريا، و لم يمض طويل وقت حتى أصبح القاسم بن محمد و ابن خالته سالم بن عبد الله بن عمر إمامي المدينة الموثوقين، و لقد كان القاسم بن محمد أشد الناس تأسيا بجده الصديق رضوان الله عليه، حتى قال الناس: لم يلد أبو بكر ولدا أشبه به من هذا الفتى " فلقد أشبهه في كرم شمائله، ونبل خصاله، و صلابة إيمانه و شدة ورعه، و سماحة نفسه و سخاء يده، و قد أثر عنه كثير من الأقوال و الأفعال تشهد له بهذا، من ذلك، أن أعرابيا جاءه إلى المسجد فقال: أيهم أعلم أنت أم سالم بن عبد الله ؟ فتشاغل عنه، فأعادها عليه، قال: سبحان، فأعادها مرة ثالثة، قال له: ذلك سالم يا ابن أخي يجلس هناك، فقال: من في المجلس لله أبوه، لقد كره أن يقول: أنا أعلم منه فيزكي نفسه، و كره أن يقول: هو أعلم مني فيكذب، و كان أعلم من سالم، لقد رُئي ذات مرة بمنى، وأهل الأمصار من حجاج بيت الله الحرام يطبقون عليه من كل جانب وهو يسألونه، فكان يجيبهم بما يعلم، و يقول لهم فيما لا يعلمه: لا أعلم، لا أدري، فأخذهم منه العجب، فقال لهم: والله ما نعلم كل ما تسالون عنه ، لو علمناه ما كتمناه، و لا يحل لنا أن نكتمه، و لأن يعيش الرجل جاهلا بعد أن يعرف حق الله عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم، وفي ذات مرة عُهد ليه بقسمة الصدقات بين مستحقيها، فاجتهد في ذلك ما وسعه الاجتهاد، و أعطى كل ذي حق حقه غير أن أحدهم لم يرض عن نصيبه الذي أُعطي له، فأتاه إلى المسجد وهو قائم يصلي، وجعل يتكلم في أمر الصدقة، واللهِ إنك تتكلم في رجل ما نال من صدقتكم درهما ولا دانقا، ولا أصاب منها تمرة واحدة .

الدانق سدس الدرهم، فأوجز صلاته والتفت إلى ابنه و قال: يا بني لا تتكلم بعد اليوم فيما لا تعلم، فقال الناس: صدق ابنه، و لكنه أراد أن يربيه و أنم يحفظانه من التوسع في الكلام .

لقد عُمِّ القاسم بن محمد حتى نيَّف عن الثانية و السبعين، لكنه كُف بصره وهو سيخ كبير، وغي آخر سنة من حياته قصد مكة يريد الحج، وفيما هو في بعض طريقه أتاه اليقينُ، أي الموت، فلما أحسَّ بالأجل التفت إلى ابنه و قال: إذا أنا مت فكفِّني بثيابي التي أصلي فيها، قميصي و إزاري و ردائي،

فذلك كان كفن جدك أبي بكر، ثم سوِّ عليَّ لحدي والحق بأهلك، وإياكم أن تقفوا على قبري و تقولوا: كان و كان، فما كنت شيئا "

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 7 : التابعي عطاء بن أبي رباح .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-12-25

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما نتحدث عن التابعين الكرام الذين ملؤوا الدنيا عدلا و سمعة طيبة و أخلاقا رائعة، و كانوا بحق قدوة، اليوم بين أيدينا اسم جليل هو عطاء بن أبي رباح، تابعي جليل نبدأ بالحديث عنه.

يقول أحدهم: ما رأيت أحدا يريد العلم لوجه الله عز وجل غير هؤلاء الثلاثة ؛ منهم عطاء، هانحن أولاء في العشر الأخير من شهر ذي الحجة سنة سبع و تسعين للهجرة، وهذا البت العتيق يموج بالوافدين إلى الله من كل فج عميق، مشاة و ركبانا ن شيوخا و شبانا، رجالا و نساء، فيهم الأسود و الأبيض، و العربي و العجمي، و السيد و المسود، لقد قدموا جميعا على ملك الناس، مخبتين ملبِّين راجين مؤمِّلين، وهذا سليمان بن عبد الملك خليفة المسلمين، و أعظم ملوك الأرض يطوف بالبيت العتيق حاسر الرأس حافي القدمين، ليس عليه إلا إزار و رداء، شانه في ذلك كشأن بقية رعاياه من إخوته في الله، و كان من خلفه ولداه، وهما غلامان كطلعة البدر بهاء و رواءً، وكأكمام الورد نضارة و طيبا، وما أن انتهى من طوافه حتى مال على رجل من خاصته و قال: أين صاحبكم ؟ فقال: إنه هناك قائم يصلي، و أشار إلى الناحية الغربية من المسجد الحرام، فاتجه الخليفة ومن وراءه إلى حيث أشير إليه، و همَّ رجال الحاشية بأن يتبعوا الخليفة ليفسحوا له الطريق، و يدفعوا عنه أذى الزحام، فثناهم عن ذلك و قال: هذا مقام يستوي فيه الملوكُ و السوقة، و لا يفضل فيه أحد عن أحد إلا بالقبول و التقوى، رب أشعث أغبر قادم إلى الله عز وجل فتقبله بما لم يتقبل من الملوك " ثم مضى نحو الرجل فوجده ما يزال داخلا في صلاته غارقا في ركوعه و سجوده، و الناس جلوس وراءه و عن يمينه وعن شماله، فجلس حيث انتهى به المجلس، وأجلس معه ولديه، و طفق الفتيان القرشيان يأملان ذلك الرجل الذي قصده أمير المؤمنين، و جلس مع عامة الناس ينتظر فراغه من صلاته، فإذا هو شيخ حبشي، أسود البشرة مفلفل الشعر، افطس الأنف، إذا جلس بدا و كأنه غراب أسود، و لما انتهى الرجل من صلاته مال بشقه على الجهة التي كان فيها الخليفة فحياه سليمان بن عبد الملك، فرد التحية بمثلها، و هنا أقبل عليه الخليفة و جعل يسأله عن مناسك الحج منسكا منسكا، وهو يفيض بالإجابة عن كل مسألة، و يفصِّل القول فيها تفصيلا لا يدع سبيلا لمستزيد، و يسند كل قول يقوله إلى النبي صلى الله عليه و سلم، و لما انتهى الخليفة من مساءلته جزراه خيرا و قال لولديه: قوما فقاما، ومضى الثلاثة نحو المسعى، و فيما هو في طريقهم إلى السعي بين الصفا و المروة سمع الفتيان المنادون ينادون: يا معشر المسلمين لا يفتي الناسَ في هذا المقام إلا عطاء بن أبي رباح، فإن لم يوجد فعبد الله بن أبي نجيح، فالتفت أحد الغلامين

إلى أبيه و قال: كيف يأمر عامل أمير المؤمنين الناس بأن لا يستفتوا أحدا غير عطاء بن أبي رباح و صاحبه، ثم جئنا نحن نستفتي هذا الرجل الذي لم يأبه بالخليفة، ولم يوفِّه حقه من التعظيم، فقال سليمان لولده: هذا الذي رأيته يا بني و رأيت ذلنا بين يديه هو عطاء بن أبي رباح، صاحب الفتيا في المسجد الحرام، ووارث عبد الله بن عباس في هذا المنصب الكبير، ثم أردف يقول: يا بني تعلموا العلم فبالعلم يشرف الوضيع، ينبه الخامل، و يعلو الأرقاءُ على مراتب الملوك.

لم يكن سليمان بن عبد الملك مبالغا فيما قاله لابنه في شأن العلم، فقد كان عطاء بن أبي رباح في صغره عبدا مملوكا لامرأة من أهل مكة، غير أن لله جل جلاله و عز نوالُه أكرم الغلام الحبشي بأن وضع قدميه منذ نعومة أظفاره في طريق العلم، فقسم وقته أقساما ثلاثة، قسم جعله لسيدته يخدمها فيه أحسن ما تكون الخدمة، و يؤدي لها حقوقها عليه أكمل ما تؤدى الحقوق، و قسم جعله لربه يفرغ فيه لعبادته، أصفى ما تكون العبادة و أخلصها لله عز وجل، و قسم جعله لطلب العلم، حيث أقبل على من بقي حيا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطفق ينهل من مناهلهم الثرة الصافية، فأخذ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وعن عبد الله عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير غيرهم رضوان الله تعالى عليهم حتى امتلأ صدره علما و فقها و رواية عن رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و لما رأت السيدة المكية أن غلامها قد باع نفسه لله، ووقف حياته على طلب العلم تخلَّت عن حقها فيه، وأعتقت رقبته تقربا لله عز وجل، لعل الله ينفع به الإسلام و المسلمين، ومنذ ذلك اليوم اتخذ عطاء بن أبي رباح البيت الحرام مقاما له، فجعله داره التي يأوي إليها، و مدرسته التي يتعلم فيها، و مصلاه الذي يتقرب فيه إلى الله بالتقوى و الطاعة، حتى قال المؤرِّخون: كان المسجد فراش عطاء بن أبي رباح نحوا من عشرين عاما.

وقد بلغ التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح منزلة في العلم فاتق كل تقدير، و سما إلى مرتبة لم ينلها إلا نفر قليل من معاصريه، فقد روي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه وعن أبيه أمَّ مكة معتمرا، فأقبل الناس عليه يسألونه و يستفتونه، فقال: إني لأعجب لكم يا أهل مكة أتجمعون لي المسائل لتسألوني عنها و فيكم عطاء بن أبي رباح " و قد وصل عطاء بن أبي رباح إلى ما وصل إليه من درجة في العلم و الدين بخصلتين اثنتين ؛ أولهما أنه أحكم سلطانه على نفسه، فلم يدع لها سبيلا لترتع فيما لا ينفع، و ثانيتهما أنه أحكم سلطانه على وقته فلم يهدره في فضول الكلام و العلم.

حدَّث محمد بن سوقة جماعة من زواره قال :

((ألا أسمعكم حديثا لعله ينفعكم كما نفعني ؟ قالوا: بلى، قال: نصحني عطاء بن أبي رباح ذات يوم فقال: يا ابن أخي إن الذين من قبلنا كانوا يكرهون فضول الكلام، فقلت: وما فضول الكلام عندهم ؟ قال: كانوا يعدُّون كل كلام فضول ما عدا كتاب الله عز وجل أن يُقرأ و يُفهم، و حديث رسول الله صلى

الله عليه و سلم أن يُروى و يُدرك، أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو علما يُتقرب به إلى الله تعالى، أو أن تتكلم بحاجتك ومعيشتك التي لابد لك منها، ثم حدَّق في وجهه و قال: أتنكرون))

(وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَاماً كَاتِبِينَ (11))

[سورة الانفطار]

و أن مع كل منكم ملكين،: يمين و عن شمال،

(مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18))

[سورة ق]

ثم قال: أما يستحي أحدنا لو نُشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره فوجد أكثر ما فيها ليس من أمر دينه و لا من أمر دنياه " و لقد نفع الله عز وجل بعلم عطاء بن أبي رباح طوائف كثيرة من الناس.

هل لنا سماحة الشيخ محمد راتب النابلسي أن نضيف شيئا جديدا عن هذا التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح ؟

من ذلك ما حدَّث به عثمان بن عطاء الخراساني قال: انطلقت مع أبي أريد هشام بن عبد الملك، فلما غدوا قريبا من دمشق إذا نحن بشيخ على حمار أسود عليه قميص صفيق، وجبة بالية، و قلنسوة لاصقة برأسه، وركاباه من خشب، فضحكت منه و قلت لأبي: من هذا ؟ قال: اسكت هذا سيد فقهاء الحجاز، فلما قرب منا نزل أبي عن بغلته فاعتنقا و تساءلا ثم عادا فركبا و انطلقا حتى وقفا على باب قصر هشام بن عبد الملك، فلما استقر بهما الجلوس حتى أُذن لهما، فلما خرج أبي قلت له: حدِّثني بما كان منكما فقال: لما علم هشام أن عطاء بن أبي رباح بالباب بادر فأذن له، و والله ما دخلت إلا بسببه، فلما رآه هشام قال: مرحبا مرحبا، ها هنا ها هنا، وما زال يقول له: ها هنا ها هنا حتى أجلسه معه على سريره، و مسَّ بركبته ركبته، و كان في المجلس أشراف الناس، و كانوا يتحدثون فسكتوا، ثم أقبل عليه هشام فقال: ما حاجتك يا أبا محمد ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أهل الحرمين أهل الله وجيران رسوله، تقسِّم عليهم أرزاقهم و أعطياتهم، فقال: نعم، يا غلام اكتب لأهل مكة و المدينة بعطاياهم و أرزاقهم لسنة - شيء جميل - ثم قال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ فقال: نعم، يا أمير المؤمنين، أهل الحجاز و أهل نجد اصل العرب و قادة الإسلام ترد فيهم فضول صدقاتهم، فقال: نعم، يا غلام اكتب بأن تُرد فيهم فضول صدقاتهم، هل من حلاجة غي ذلك يا أبا محمد ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الثغور يقفون في وجوه عدوكم و يقتلون من رام المسلمين بشر تجري عليهم أرزاقا تدرها عليهم، فإنهم إن هلكوا ضاعت الثغور، فقال: نعم، يا غلام اكتب بحمل أرزاقهم إليهم، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين أهل ذمتكم لا يُكلفون ما لا يطيقون، فإن ما تجبونه منهم معونة لكم

على عدوكم، فقال: يا غلام اكتب لأهل الذمة بألا يُكلفوا ما لا يطيقون، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم، اتق الله في نفسك يا أمير المؤمنين.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 8 : التابعي أبو مسلم الخولاني .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-12-27

بسم الله الرحمن الرحيم

طارت الأخبار في جزيرة العرب أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد ثقل عليه المرض بعد عودته من حجة الوداع، فسوَّه الشيطان للأسود العنسي أن يعود للكفر بعد الإيمان، و أن يفتري على الله الكذب، فيزعم لقومه في اليمن أنه نبيٌّ مرسَل من عند الله، و كان الأسود العنسي رجلا شديد المرة، قوي البنية، أسود النفس، مستطير الشر، قد أتقن الكهانة في الجاهلية، وحذق الشعوذة على الناس، و كان إلى ذلك فصيح اللسان رائع البيان، ذكي الفؤاد، قادرا على اللعب بعقول العامة بأباطيله، و كسب ولاء الخاصة بهباته و عطاياه، و كان لا يظهر للناس إلا مقنَّعا بقناع أسود ليحيط نفسه بهالة من الغموض و الهيبة، وقد انتشرت دعوةُ الأسود العنسي، في اليمن انتشار الانار في الهشيم، و قد ساعده على ذلك اتباع قبيلته له، وكانت يومئذ من أكثر قبائل اليمن عددا و أوسعها نفوذا و أشدها بأسا، كما ساعدته على ذلك قدرته على اختراع الكذب وتلفيقه، و استعانته بالأذكياء من أتباعه على ذلك، فقد زعم للناس أن ملكا من السماء ينزل عليه بالوحي و يخبره بالمغيَّبات ن و سلك لإقناع الناس و صحة زعمه هذا مسالك شتى، فكان يبث عيونه في كل مكان ليقفوا له على شؤون الناس وشجونهم، و يكشف عن أسراهم و أحبارهم، و ينفذ إلى ما يعتلج في خبايا نفوسهم، من الآمال و الآلام، وكان في الوقت نفسه يغرون هؤلاء الناس باللجوء إليه و طلب العون منه، فكانوا إذا جاءوه واجه كل ذي حاجة بحاجته، و بدأ كل صاحب مشكلة بمشكلته، وأراهم أنه مطَّلع على ما خفي من أسرارهم، واقف ما استتر من خبايا نفوسهم، و أتى أمامهم من العجائب و الغرائب ما يذهل عقولهم، و يحيِّر ألبابهم، فما لبث أن عظُم أمره - طبعا عند العامة والسوقة و دهماء الناس - واستطارت شهرته، وكثر أتباعه، فوثب بهم على صنعاء، ثم وثب من صنعاء إلى المناطق الأخرى، حتى دانت له البلاد الواقعة ما بين حضر موت و الطائف، و ما بين البحرين و عدن، هذا هو الارتداد الذي ظهر قبيل وفاة النبي عليه الصلاة و السلام، و لما استتب الأمر لأسود العنسي، ودانت له البلاد و العباد، نشط في تتبع معارضيه، ممن آتاهم الله إيمانا راسخا بدينه القويم، و يقينا ثابتا بنبيه الكريم، وولاء صادقا لله و رسوله، و جهرا بالحق و تصدِّيا للباطل، فجعل يبطش بهم في قسوة قاسية، و ينزل بهم أشدَّ النكال، و كان في طليعة هؤلاء عبد الله بن ثوب المكنى بأبي مسلم الخولاني، صاحب هذا اللقاء - هو محور حديثنا في هذا اليوم أبو مسلم الخولاني، فكان أبو مسلم الخولاني رجلا صلبا في دينه، قويا في إيمانه، عنيدا في الجهر بالحق، قد أخلص نفسه لله، فأعرض عن الدنيا و زينتها، زهد في زخرف العيش و متاعه، و نذر حياته لطاعة الله و الدعوة

إليه، وباع الفانية بالباقية، بيع السماح، فأحلَّه الناس من نفوسهم منزلة رفيعة، ورأوا فيه رجلا طاهر النفْس والنفَس، مستجاب الدعوة عند الله، وقد أراد أسود العنسي أن يبطش بأبي مسلم بطشة جبارة تبث الهلع والجزع في نفوس معارضي دعوته في السر و العلن، يقمعهم قمعا.
؛ قال تعالى:

(وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً (81))

[سورة الإسراء]

أين هو الآن ؟ في مزبلة التاريخ، أما النبي الحق الصادق ما زال اسمه عاليا في السماء، فأمر بالحطب بأن يُكدس في ساحة من ساحات صنعاء، و أن تُضرم فيه النار، و دعا الناسَ إلى أن يشهدوا استتابة فقيه اليمن و عابدها الأول أبي مسلم الخولاني، وإقراره بنبوته، و في الوقت المحدد أقبل الأسود العنسي على الساحة التي اكتظت بالناس اكتظاظا، و كان يحفُّ به طواغيته و كبار أتباعه، و يحوطه حرسه و قادة جنده، فجلس على كرسيه العظيم الذي نُصب له قبالة النار، و قيد إليه أبو مسلم الخولاني على مرأى من الناس ومسمع، فلما صار بين يديه نظر إليه الطاغية الكذاب في خيلاء، ثم نظر إلى النار التي تتأجج أمامه في ضراوة، ثم التفت إليه و قال: أتشهد أن محمدا رسول الله، قال: نعم، أشهد أنه عبد الله ورسوله، وأنه سيد المرسلين، و أنه خاتم النبيين أيضا، فقطَّب الأسود العنسي وجهه و زمَّ حاجبيه و قال: و تشهد أني رسول الله ؟ فقال: إن في أذني صمم فلا أسمع ما تقول: فقال: إذًا أقذفك في هذه النار، فقال: أبو مسلم إن فعلت اتقيت بهذه النار التي وقودها الحطب نارا وقودها الناس و الحجارة، عليه ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون، فقال الأسود: لن أعجل عليك، و سأتيح لك الفرصة لتراجع عقلك، ثم أعاد عليه السؤال فقال: أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فقال: نعم أشهد أنه عبد الله و رسوله، و انه أرسله بدين الهدى ودين الحق، و ختم برسالته الرسالات، فازداد الأسود حنقا، وقال: وتشهد أني رسول الله ؟ قال أبو مسلم: أما أخبرتك أن في أذني صمما، فلا أسمع مقالتك هذه، فاستشاط الأسود العنسي غيظا من صرامة إجابته وهدوء نفسه و سكينة جوارحه، و همَّ بأن يأمر به فيُلقى في النار، عندئذ تقدم منه كبيرُ طواغيته، و همس في أذنه قائلا: إن الرجل كما عرفت طاهر النفس، مستجاب الدعوة، هذه الفطرة، حتى أعداء الله عز وجل يعرفون هؤلاء الصادقين المؤمنين، إن الرجل كما عرفت طاهر النفس مستجاب الدعوة، و إن الله لن يخذل مؤمنا، لم يخذله في ساعة من ساعات الشدة، وإنك إن ألقيته في النار و نجاه الله منها هدَّمت كل ما بنيته في لحظة واحدة، و دفعت الناس إلى المفر بنبوتك دفعا، و إن أحرقته النارُ ازداد الناس به إعجابا و إكبارا، و رفعوه إلى مصاف الشهداء، فمُن عليه بإطلاق سراحه، و انفِه من البلاد و أرح منه و استرح " هذا معنى قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)

[سورة الحج]

ألهم هذا الطاغوت أن يقنع هذا الكذاب بأن يكف عن قتله، و إلقاءه في النار، فأخذ الأسودُ بمشورة طاغوته، و أمره بمغادرة البلاد لساعته.

الأستاذ جمال، الذكاء حظ من حظوظ الدنيا الراقية، و لكن حيادي، يوظف الذكاء في الخير كما يوظف في الشر، فإذا وصفنا الأسود العنسي بالذكاء فقد وظّفه في الشر، يمَّم أبو مسلم الخولاني وجهه شطر المدينة، وكان يمنِّي نفسه بلقاء رسول الله صلى الله عليه و سلم، فهو قد آمن به قبل أن تكتحل عيناه برؤيته، و تفرح نفسه بصحبته، لكن ما كاد يبلغ حواشي يثرب حتى بلغه نعيُ النبي صلوات الله و سلامه عليه، وقيام أبي بكر الصديق على خلافة المسلمين من بعده، فحزن على وفاة النبي الكريم حزنا خالط سُويداء قلبه، بلغ أبو مسلم المدينة وقصد مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما أثقبل على المسجد عقل ناقته قريبا من بابه و دخل إلى الحرم النبوي الشريف و سلم على رسول الله صلوات الله و سلامه عليه، ثم وقف إلى سارية من سواري المسجد وجعل يصلي، فما فرغ من صلاته توجه نحوه عمر بن الخطاب حتى صار أمامه و قال له: ممن الرجل ؟ فقال: من اليمن، فقال: ما فعل الله بصاحبنا الذي سجر له عدو الله النارَ فأنجاه الله منها - أخباره وصلت غلى المدينة - فقال: هو بخير من الله و نعمة، فقال: نشدتك الله أنت هو ؟ فقال: بلى، فقَّل عمر ما بين عينيه و قال: أتدري ما فعل الله بعدو الله و عدوك ؟ فقال: كلا فقد انقطعت أخباره عني منذ غادرت اليمن، فقال: قتله الله على أيدي البقية الباقية من المؤمنين الصادقين و أزال دولته، و رد اتباعه إلى دين الله، و الحمد لله، فقال: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى قرَّت عيني بمصرعه و عودة المخدوعين من أهل اليمن إلى أكناف الإسلام، فقال له عمر: و أنا أحمد الله الذي أراني في أمة محمد من فُعل به كما فُعل بخليل الرحمن أبينا إبراهيم عليه السلام، ثم أخذه من يده ومضى به إلى أبي بكر، فلما دخلا عليه سلما عليه بالخلافة و بايعه، فأجلسه الصديق بينه و بين عمر، وطفقا الشيخان يستعدان مع أبي مسلم خبره مع الأسود العنسي.

أقام أبو مسلم الخولاني زمنا بالمدينة المنورة، لزم خلاها مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم، وصلى ما شاء الله له أن يصلي في روضته المطهرة، و أخذ ما وسعه الأخذ عن جلة الصحابة الكرام، من أمثال أبي عبيدة بن الجراح وأبي ذر الغفاري و عبادة بن الصامت و معاذ بن جبل و عوف بن مالك الأشجعي، ثم بدا لأبي مسلم أن يرحل إلى بلاد الشام، وأن يتخذها له مقاما.

يعني أردنا من خلال هذا التابعي الجليل أن نرى مدى عمق الإيمان الذي يتمتع به هذا التابعي، ومدى صلابته في موقفه، و كيف أن الله عز وجل وصف هؤلاء المؤمنين الصادقين فقال تعالى:

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (23))

[سورة الأحزاب]

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 9 : التابعي عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-12-1999

بسم الله الرحمن الرحيم

ما كاد التابعي الجليل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ينفض يديه من تراب قبر سلفه سليمان بن عبد الملك، فقد كان يبتغي أن يصيب ساعة من الراحة بعد ذلك الجهد الجاهد الذي كان فيه منذ وفاة الخليفة، لكن عمر بن عبد العزيز ما كاد يسلم جنبه إلى مضجعه حتى أقبل عليه ابنه عبد الملك، و كان يومئذ يتجه نحو السابعة عشرة من عمره، و قال: ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين ؟ فقال: أي بني أريد أن أغفو قليلا، فلم تبق في جسدي طاقة، فقال: أتغفو قبل أن ترد المظالم إلى أهلها يا أمير المؤمنين، فقال: أي بني إني سهرت البارحة في عمك سليمان، و إني إذا حان الظهرُ صليت بالناس و رددت المظالم إلى أهلها إن شاء الله تعالى، فقال: ومن لك يا أمير المؤمنين أن تعيش إلى الظهر؟ فأهبت هذه الكلمة عزيمة عمر، و أطارت النوم من عينه، وبعثت القوة و العزم في جسده المتعَب و قال: ادنُ مني أي بني، فدنا منه، فضمَّه إليه و قبّل ما بين عينيه، و قال:الحمد لله الذي أخرج من صلبي نمن يعينني على ديني، ثم قام و أمر أن يُنادى في الناس: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، فمن عبد الملك هذا ؟ وما خبر هذا الفتى الذي قال عنه الناسُ: إنه هو الذي أدخل أباه في العبادة، و سلكه مسالك الزهادة "

أيها الإخوة، كان لعمر بن عبد العزيز خمسة عشر ولدا، فيهم ثلاث بنات، و كانوا جميعا على حظ موفور من التقى، مقام كبير من الصلاح، لكن عبد الملك كان واسطة عقد إخوته و كوكبهم المتألّق، لقد كان أديبا أريبا له سن الفتيان و عقل الكهول، ثم إنه نشأ في طاعة الله جل و عز منذ نعومة أظفاره، فكان أقرب الناس سمتا لآل الخطاب عامة و أشبههم بعبد الله بن عمر خاصة، في تقواه لله و تخوفه من معاصيه، و تقربه إليه بالطاعة.

حدَّثة ابن عمه عاصم فقال: وفدت على دمشق فنزلت على ابن عمي عبد الملك وهو عزب فصلينا العشاء و آوى كل منا غلى فراشه، فقام عبد الملك إلى المصباح فأطفأه، و أسلم كل منا جفنيه إلى الكرى، ثم إني استيقظت في جوف الليل فإذا عبد الملك قائم يصلي في العتمة، وهو يقرأ قوله تعالى:

(أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207))

[سورة الشعراء]

فما راعني منه إلا أنه كاد يردد هذه الآية و ينشج نشيجا مكبوتا، يقطع نياط القلوب، و كان كلما فرغ من الآية عاد إليها حتى قلت: سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك قلت: لا إله إلا الله، الحمد لله، كما يفعل المستيقظ من النوم، لأقطع عليه البكاء، فلما سمعني سكت، فلم أسمع له حسًّا.

تتلمذ هذا الفتى العمري على أكابر علماء عصره، حتى تملى من كتاب الله عز وجل، وتضلّع بحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، و تفقه في الدين، هكذا على حداثته، من الطبقة الأولى من فقهاء أهل الشام في زمانه.

لقد روي أن عمر بن عبد العزيز جمع قراء الشام و فقهاءها و قال: إني قد دعوتكم لأمر هذه المظالم التي في أيدي أهل بيتي، فما ترون فيها ؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين ؛ إن ذلك أمر كان في غير ولايتك، و إن وزر هذه المظالم على من غصبها، فلم يرتح إلى ما قالوا، فالتفت إليه أحدهم ممن كان يرى غير رأيهم و قال: ابعث يا أمير المؤمنين إلى عبد الملك فإنه ليس بدون من دعوت علما أو فقها أو عقلا، فلما دخل عليه عبد الملك قال له عمر: ما ترى في هذه الأموال التي أخذها بنو عمنا من الناس ظلما و قد حضر أصحابُها، وجعلوا يطلبونها، و قد عرفنا حقهم فيها، فقال: أرى أن تردها إلى أصحابها ما دمت قد عرفت أمرها، و إنك إن لم تفعل كنت شريكا للذين أخذوها ظلما، فانبسطت أسارير عمر وارتاحت نفسه.

في الواقع زهد الأمانة التي دائما يحث عليها القرآن الكريم، و تابعتها السنة الكريمة، فضلا عن ذلك آثر هذا الفتى العمري المرابطة على الثغور و الإقامة في إحدى المدن القريبة منها على البقاء في بلاد الشام، فمضى إليها و خلف وراءه دمشق ذات الرياض النضرة، و الظلال الظليلة والأنهار السبحة، وكان أبوه على الرغم من كل ما عرفه من صلاحه و تقاه شديد الخوف عليه من نزعات الشيطان، كثير الإشفاق عليه من نزوات الشباب، حريصا على أن يعلم من أمره كل ما يجوز له أن يعلم، وكان لا يغفل عن ذلك أبدا و لا يهمله.

حدَّث ميمون بن مهران وزير عمر بن عبد العزيز وقاضيه و مستشاره فقال: دخلت على عمر بن عبد العزيز فوجدته يكتب رسالة إلى ابنه عبد الملك، يعظه فيها و ينصحه و يبصِّره، ويحذِّره وينذره و يبشِّره، وكان مما جاء فيها قوله: أما بعد فإن أحق من وعى عني و فهم قولي لأنت، و إن الله و له الحمد قد أحسن إلينا في صغير الأمر وكبيره، فاذكر يا بني فضل الله عليك وعلى والديك، و إياك و الكبر و العظمة أغنها من عمل الشيطان، وهو للمؤمنين عدوٌّ مبين، واعلم أني لم أبعث إليك بكتابي هذا لأمر بلغني عنك، فما عرفت من أمرك إلا خيرا، غير أنه بلغني عنك شيءٌ من إعجابك لنفسك، ولو أن هذا الإعجاب خرج بك إلى ما أكره لرأيت مني ما تكره " قال ميمون: ثم التفت إلي عمر و قال: يا ميمون إن ابني عبد الملك قد زين في عيني، و إني اتهم نفسي في ذلك، و أخاف أن يكون حبي له قد

غلب على علمي به، و أدركني ما يدرك الآباء من العمى عن عيب أولادهم، فسر إليه و اسبر غوره وانظر هل ترى فيه ما يشبه الكبر و الفخر، فإنه غلام حدث، و لا آمن عليه الشيطان " قال ميمون: فشددت الرحال إلى عبد الملك حتى قدمت عليه، فاستاذنت و دخلت، فإذا غلام في مقتبل العمر، ريان الشباب، بهي الطلعة، جم التواضع، قد جلس على حسية بيضاء فوق بساط من شعر، فرحَّب بي ثم قال: لقد سمعت أبي يذكرك بما أنت أهل له من الخير، وإني لأرجو أن ينفع الله بك، فقلت له: كيف تجد نفسك ؟ فقال ك بخير من الله عز وجل ونعمة، غير أني أخشى أن يكون قد غرَّني حسنُ ظن والدي بي، و أنا لم أبلغ من الفضل كل ما يظن، وإني أخاف أن يكون حبُّه لي قد غلبه على معرفته بي، فأكون آفة عليه، فعجبت من اتفاقهما، ثم قلت له: أعلمني من أين معيشتك ؟ فقال: من غلة أرض اشتريتها ممن ورثها عن أبي، ودفعت ثمنها من مال لا شبهة فيه، فاستغنيت بذلك عن فيء المسلمين، فقال: ما طعامك " فقال: ليلة لحم، و ليلة عدس وزيت، وليلة خل و زيت، وفي هذا بلاغ، فقلت له: أفلا تعجبك نفسك ؟ فقال: قد كان في شيء من ذلك فلما وعظني أبي بصَّرني بحقيقة نفسي، فصغَّرها عندي، و حطَّ من قدرها في عيني، فرفعني الله عز وجل بذلك، فجزاه الله من والد خيرا،فقعدت ساعة أحدثه و أستمتع بمنطقه فلم أر فتي كان أجمل وجها، ولا أكمل عقلا و لا أحسن أدبا منه، على حداثة سنه و قلة تجربته.

هذا عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كان ولدا صالحا تقيا عفيفا، و كان مجاهدا، و كان في موضع ثقة من أبيه، ومع ذلك كان أبوه يخشى عليه أن يشتطَّ فأرسل من يراقبه عن بُعد ؟ وما الخبر عن هذا الفتى الذي قال عنه الناسُ: إنه هو الذي أدخل أباه في العبادة، لقد كان أديبا أريبا له سن الفتيان وعقل الكهول، ثم إنه نشأ في طاعة الله جل وعز منذ نعومة أظفاره، فكان أقرب الناس سمتا إلى آل الخطاب عامة، وأشبههم بعبد الله بن عمر خاصة، في تقواه لله و تخوفه من معاصيه، و تقربه إليه بالطاعة.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 10 : التابعي سلمة بن دينار .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-12-31

بسم الله الرحمن الرحيم

سلمة بن دينار، شخصية فذة من التابعين الذين كانت لهم مواقف طيبة في ظل الإسلام الذ دائما نعتز به من خلال تربيته وسجاياه و ما يقدمه لنا جميعا، حبذا أن نتحدث عن سلمة بن دينار.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

لابد من مقدمة قصيرة ندخل من خلالها إلى هذا التابعي الجليل.

في السنة السابعة والتسعين للهجرة شدَّ خليفة المسلمين سليمان بن عبد الملك الرحال إلى الديار المقدسة، ملبيا نداء أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ومضت ركائبه تحث الخطى من دمشق عاصمة الأمويين إلى المدينة المنورة، فقد كان في نفسه شوق إلى الصلاة في الروضة المطهرة و توق إلى السلام على محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد حفل موكب الخليفة بالقراء و المحدثين و الفقهاء و العلماء و الأمراء و القادة، فلما بلغ المدينة المنورة وحد رحاله فيها أقبل وجوهُ الناس وذوي الأقدار بالسلام عليه و الترحيب به، لكن سلمة بن دينار قاضي المدينة و عالمها الحجة و إمامها الثقة لم يكن من عداد من زاروا الخليفة مرحبين مسلمِّين، و لما فرغ سليمان بن عبد الملك من استقبال المرحبين به قال لبعض جلساءه: إن النفوس لتصدأ كما تصدأ المعادن، إذا لم تجد من يذكرها الفينة بعد الفينة و يجلو عنها صدأها، فقالوا: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: أما في المدينة رجل أدرك طائفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم يذكرنا ؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين، هاهنا أبو حازم الأعرج، فقال: ومن أبو حازم الأعرج ؟ فقالوا: سلمة بن دينار، عالم المدينة و إمامها وأحد التابعين الذين أدركوا عددا من الصحابة الكرام، فقال: ادعوه لنا، و تلطفوا في دعوته، فذهبوا إليه و دعوه، فلما أتاه رحَّب به و أدنى مجلسه و قال له معاتبا: - الآن دقّق الأستاذ جمال -: ما هذا الجفاء يا أبا حازم ؟ قال: و أي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين ؟ فقال: زارني وجوه الناس، و لم تزرني، قال: إنما يكون الجفاء بعد المعرفة، و أنت ما عرفتني قبل اليوم، ولا أني رأيتك، فأي جفاء وقع مني ؟ فقال الخليفة لجلساءه: أصاب الشيخ في اعتذاره، و أخطأ الخليفة في عتبه عليه، ثم التفت إلى أبي حازم فقال: إن في نفس شؤونا أحببت أن أفضي بها إليك يا أبا حازم، فقال: هاتها يا أمير المؤمنين، و الله المستعان، فقال الخليفة يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت ؟ فقال: لأننا عمَّرنا دنيانا و خرَّبنا آخرتنا، فنكره الخروج من العمار إلى الخراب، فقال الخليفة: صدقت، ثم أردف قائلا: يا أبا حازم ليت شعري ما لنا عند الله غدا ؟

فقال: اعرض عملك على كتاب الله عز وجل تجد ذلك، فقال: و أين أجده في كتاب الله عز وجل؟ قال: تجده في قوله تعالى:

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (23))

[سورة المطففين]

فقال الخليفة: إذّا فأين رحمة الله ؟ فقال أبو حازم: إن رحمة الله قريب من المحسنين، فقال الخليفة: لي شعري كيف القدوم على اله جل و عز غدا ؟ فقال أبو حازم: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالعبد الآبق يساق إلى مولاه سوقا، فبكى الخليفة حتى علا نحيبُه، واشتد بكاؤه ثم قال: يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح ؟ فقال: تدعون عنكم الصلف، و تتحلون بالمروءة، فقال الخليفة: و هذا المال ما السبيل إلى التقوى فيه، فقال أبو حازم: إذا أخذتموه بحقه ووضعتموه في أهله، و قسمتموه بالسوية، و عدلتم فيه بين الرعية، فقال الخليفة: يا أبا حازم أخبرني من أفضل الناس ؟ فقال: أولوا المروءة و التقى، فقال الخليفة: و ما أعدل القول يا أبا حازم ؟ فقال: كلمة حق يقولها المرءُ عند من يخافه و عند من يرجوه، فقال الخليفة: ما أسرع الدعاء إجابة يا أبا حازم ؟ فقال: دعاء المحسن للمحسنين، فقال الخليفة: وما أفضل الصدقة ؟ قال: جهد المقِل يضعه في يد البائس من غير أن يتبعه منٌّ ولا أذى، فقال الخليفة: من أكيس الناس يا أبا حازم ؟ فقال: رجل ظفر بطاعة الله تعالى، فعمل بها ثم دلَّ الناي عليها، فقل الخليفة: من أحمق الناس؟ فقال: رجل انساق مع هوى صاحبه، وصاحبه ظالم فضاع أخرته بدنياه، فقال الخليفة: هل لك أن تصحبنا يا أبا حازم فتصيب منا و نصيب منك ؟ فقال: كلا يا أمير المؤمنين، فقال الخليفة: و لِم ؟ قال: أخشى أن أركن إليكم قليلا فيذيقني الله ضعف الحياة و ضعف الممات، فقال الخليفة: ارفع لنا حاجتك يا أبا حازم، فسكت و لم يجب، فأعاد عليه قوله: ارفع إلينا حاجتك يا أبا حازم نقضها لك مهما كانت، فقال: حاجتي أن تنقذني من النار، و أن تدخلني الجنة، فقال الخليفة: ذلك ليس من شأني يا أبا حازم فقال أبو حازم: هل من حاجة سواها يا أمير المؤمنين ؟ فقال الخليفة: ادعُ لي يا أبا حازم، فقال: اللهم إن كان عبدك سليمان من أوليائك فيسّره إلى خيري الدنيا و الآخرة، و إن كان من أعدائك فأصلحه واهده إلى ما تحب و ترضى، فقال رجل من الحاضرين: بئس ما قلت منذ دخلت على أمير المؤمنين، فلقد جعلت خليفة المسلمين من أعداء الله، آذيته، فقال أبو حازم: بل بئس ما قلت أنت فلقد أخذ الله على العلماء الميثاق بأن يقولوا كلمة الحق، فقال تعالى:

(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ)

[سورة آل عمران]

ثم التفت إلى الخليفة و قال: يا أمير المؤمنين إن الذين مضوا قبلنا من الأمم الخالية ظلوا في خير و عافية، ما دام أمراؤهم يأتون علماءهم رغبة فيما عندهم، ثم وجد قوما من أراذل الناس تعلموا العلم و

أتوا به الأمراء يريدون أن ينالوا به شيئا من عرض الدنيا، فاستغنت الأمراء عن العلماء، فتعسوا ونكسوا، و سقطوا من عين الله عز وجل.أذكر كلمة قالها الإمام عليٌّ رضي الله عنه

((قيام الدين و الدنيا أربعة رجال ؛ عالم مستعمل علمه، و جاهل لا يستنكف أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، و فقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل العالم بماله باع آخرته بدنيا غيره))

فقال الخليفة: صدقت: زدني من موعظتك يا أبا حازم، فما رأيت أحدا الحكمة أقرب إلى فمه منك، فقال: إن كنت من أهل الاستجابة فقد قلت لك ما فيه الكفاية، و إن لم تكن من أهلها فلا ينبغي لي أن أرمي بقوس ليس لها وتر، فقال الخليفة: عزمت عليك أن توصيني يا أبا حازم، فقال: نعم سوف أوصيك و أوجز، عظِّم ربك عز وجل ونزِّهه على أن يراك حيث نهاك و أن يفقدك حيث أمرك، ثم سلم وانصرف، فقال له الخليفة: جزاك الله خيرا من عالم ناصح، هذا أبو حازم الذي أدى أمانة التبيان.
يتضح سماحة الشيخ من خلال هذه الشخصية الفذة كيف أن تقوى الله عزوجل دائما في قلوبهم، في أقوالهم، في أعمالهم، و دائما التقوى هي المخافة من الجليل و العمل بالتنزيل و القناعة بالقليل، و كن تقيا تعش قويا، هؤلاء هم الذين نعتز بهم، و نفخر دائما.

بقي شيء في هذه القصة ؛ إذ ما كاد أبو حازم يبلغ بيته حتى وجد أمير المؤمنين قد بعث إليه بصرة ملئت دنانير، و كتب إليه يقول: أنفقها و لك مثلها كثير عندي، فردَّه و كتب إليه يقول: يا أمير المؤمنين أعوذ بالله أن يكون سؤالك إياي هزلا، و ردي عليك باطلا، فو الله ما أرضى ذلك يا أمير المؤمنين لك، فكيف أرضاه لنفسي، يا أمير المؤمنين إن كانت هذه الدنانير لقاء حديثي الذي حدثتك به فالميتة و لحم الخنزير في حال الاضطرار أحلُّ منها، و إن كانت حقا لي في بيت مال المسلمين فهل سوَّيت بيني و بين الناس جميعا في هذا الحق ؟

العلماء مصابيح الدجى، لأنهم أعزوا علمهم، فأعزهم الله عز وجل، الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى سئل: بمَ نلت هذا المقام ؟ قال: باستغنائي عن دنيا الناس و حاجتهم إلى علمي " كان مرة عند والي البصرة وجاءه توجيه من الخليفة، لعل هذا التوجيه إن نفاذه أغضب الله، و إن لم ينفذه أغضب الخليفة، وقع في أمر حرج جدا، فكانة عنده الحسن البصري، قال: ماذا أفعل يا إمام ؟ فقال الحسن البصري كلمة تكتب بماء الذهب، قال له الحسن البصري التابعي الجليل: إن الله يمنعك من يزيد، ولكن يزيد لا يمنعك من الله " فكانت كلمة رائعة هي مبدأ هام لكل مؤمن، قال تعالى:

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213))

(سورة الشعراء)

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 11 : التابعي عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-12-01

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيدنا محمد بن علي بن الحسين: أما علمت أن لكل قوم نجيباً وأن نجيب بني أمية عمر بن عبد العزيز وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده، الشخصية فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي التي هي بين أيدينا الآن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز حبذا لو سمحتم أن نلتقي لنضيف في هذه الشخصية.

أستاذ جمال: بعد أن تسلم الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز زمام الخلافة وكان قد بذل جهداً كبيراً أراد أن يأوي إلى مضجعه قليلاً فما أن أسلم جنبه إلى مضجعه حتى أقبل عليه ابن عبد الملك وكان يومئذ فتىً في السابعة عشر من عمره.

قال: ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين ؟ قال: أي بني أريد أن أغفو قليلاً فلم تبقَ في جسدي طاقة، فقال: أتغفو قبل أن ترد المظالم إلى أهلها يا أمير المؤمنين ؟ قال: أي بني إني قد سهرت البارحة في عمك سليمان وإني إذا حان الظهر صليت في الناس ورددت المظالم إلى أهلها إن شاء الله. فقال: ومن لك يا أمير المؤمنين أن تعيش إلى الظهر. فألهبت هذه الكلمة عزيمة عمر وأطارت النوم من عينيه وبعثت القوة والعزم في جسده المتعب وقال: ادنُ مني أي بني فدنا منه فضمه إليه وقبل ما بين عينه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني، ثم قام وأمر أن ينادى بالناس ألا من كانت له مظلمةٌ فليرفعها.

فمن عبد الملك هذا ؟ ما خبر هذا الفتى الذي قال عنه الناس: إنه هو الذي أدخل أباه في العبادة وسلكه مسلك الزهادة ؟

تعالوا بنا أيها الإخوة الكرام نلم بقصة هذا الفتى الصالح من أولها.

كان لعمر بن عبد العزيز خمس عشرة ولداً فيهم ثلاث بنات وكانوا جميعاً على حظ موفور من التقى ومقام كبير من الصلاح، لكن عبد الملك كان واسطة العقد وكان كوكب أخوته المتألق فقد كان أديباً أريباً سن الفتيان وعقل الكهول، ثم إنه نشأ في طاعة الله عز وجل منذ نعومة أظفاره فكان أقرب الناس سمتاً إلى آل الخطاب عاماً وأشبههم بعبد الله بن عمر خاصةً في تقواه لله عز وجل وتخوفه من معاصيه.

حدث ابن عمه عاصم قال: وفدت على دمشق فنزلت على ابن عمي عبد الملك وهو عزب فصلينا العشاء فآوى كل منا إلى فراشه فقام عبد الله إلى المصباح فأطفأه وأسلم كل منا جفنيه إلى الكرى ثم إني

استيقظت في جوف الليل فإذا عبد الملك قائمٌ يصلي في العتمة وهو يقرأ قوله عز وجل، دقق في هذه الآية:

(أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207))

[سورة الشعراء: الآية 205-207]

فما راعني منه إلا أنه كاد يردد الآية وينشجُ نشيجاً مكبوتاً يقطع نياط القلب وكان كلما فرغ من الآية عاد إليها حتى قلت سيقتله البكاء فلما رأيت ذلك قلت لا إله إلا الله والحمد لله كما يفعل المستيقظ من النوم لأقطع عليه البكاء فلما سمعني سكت فلم أسمع له حس.

تتلمذ هذا الفتى العمري على أكابر علماء عصره حتى تملى من كتاب الله تعالى وتضلع بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفقه في الدين فبدا على حداثةِ سنه يحازم الطبقة الأولى من فقهاء أهل الشام في زمانه، فقد روي أن عمر بن عبد العزيز جمع قراء الشام وفقهاءها وقال: إني قد دعوتكم لأمر هذه المظالم التي في أيدي أهل بيتي فما ترون فيها ؟ قالوا يا أمير المؤمنين إن ذلك أمر كان في غير ولايتك وإن وزر هذه المظالم على من غصبها، فلم يرتاح إلى ما قالوا، فالتفت إليه أحدهم ممن كان يرى رأياً غير رأيهم وقال: ابعث يا أمير المؤمنين إلى عبد الملك فإنه ليس بدون من دعوت علماً أو فقهاً أو عقلاً، ابعث لابنك عبد الملك.

فلما دخل عليه عبد الملك، قال له عمر: ما ترى في هذه الأموال التي أخذها بنو عمنا من الناس ظلماً وقد حضر أصحابها وجعلوا يطلبونها وقد عرفنا حقهم فيها ؟ فقال: أرى أن تردها إلى أصحابها مادمت قد عرفت أمرها وإنك إن لم تفعل كنت شريكاً للذين أخذوها ظلماً. فانبسطت أسارير عمر وارتاحت نفسه وزال عنه ما غمه.

هذا الفتى العمري آثر المرابطة على ثغور المسلمين ـ شأن كبار الصحابة والتابعين ـ والإقامة في إحدى المدن القريبة منها، على البقاء في بلاد الشام فمضى إليها وخلف وراءه دمشق ذات الرياض النضرة والظلال الظليلة والأنهار السبعة، وكان أبوه على الرغم من كل ما عرفه من صلاحه وتقاه شديد الخوف عليه من نزعات الشيطان، كثير الإشفاق عليه من نزوات الشباب، حريصاً على أن يعلم من أمره كل ما يجوز أن يعلم وكان لا يغفل عن ذلك أبداً ولا يغفله.

حدث ميمون بن مهران وزير عمر بن عبد العزيز وقاضيه ومستشاره قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز فوجده يكتب رسالةً إلى ابنه عبد الملك يعظه فيها وينصحه ويبصره ويحذره وكان مما جاء فيها قوله: أما بعد فإن أحق من وعى عني وفهم قولي لأنت وإن الله وله الحمد قد أحسن إلينا في صغير الأمر وكبيره فاذكر يا بني فضل الله عليك وعلى والديك وإياك والكبر والعظمة فإنها من عمل الشيطان

وهو للمؤمن عدواً مبيناً و اعلم أني لم أبعث لك كتابي هذا بأمر بلغني عنك فما عرفت عنك إلا خيراً غير أنه بلغني عنك شيء من إعجابك لنفسك ولو أن هذا الإعجاب خرج بك إلا ما أكره لرأيت مني ما تكره قال ميمون: ثم التفت إلي عمر وقال: يا ميمون إن ابني عبد الملك قد زين في عيني وإني اتهم نفسي في ذلك وأخاف أن يكون حبي له قد غلب على علمي به وأدركني ما يدرك الآباء من العمى عن عيوب أولادهم فسرْ إليه واسبر غوره وانظر هل ترى فيه ما يشبه الكبر والفخر فإنه غلام حدث ولا آمن عليه الشيطان.

قال ميمون: فشددت الرحال إلى عبد الملك حتى قدمت عليه فاستأذنت ودخلت فإذا غلام في مقتبل العمر، ريان الشباب، بهي الطلعة جم التواضع، قد جلس على حشية بيضاء فرحب بي ثم قال: لقد سمعت أبي يذكرك بما أنت أهل له من الخير وإني لأرجو أن ينفع الله بك فقلت له: كيف تجد نفسك ؟ قال: بخير من الله عز وجل ونعمة غير أني أخشى قد غرني حسن ظن والدي بي وأنا لم أبلغ من الفضل كل ما يظن وإني لأخاف أن يكون حبه لي قد غلبه على معرفته بي فأكون آفةً عليه، فعجبت من اتفاقهما، ثم قلت له: أعلمني من أين معيشتك فقال: من غلة أرض اشتريتها ممن ورثها عن أبيه ودفعت ثمنها من مال لا شبهة فيه فاستغنيت بذلك عن فيء المسلمين، قلت: فما طعامك ؟ قال: ليلةٌ لحم، وليلة عدس وزيت، وليلة خل وزيت، وفي هذا بلاغ، قلت له: أفما تعجبك نفسك ؟ فقال: كان في شيء من ذلك فلما وعظني أبي بصرني بحقيقة نفسي وصغرها عندي وحط من قدرها في عيني فنفعني الله عز وجل بذلك فجزاه الله من والد خيراً.

فقعدت ساعةً أحدثه وأستمع بمنطقه فلم أرَ فتىً كان أجمل وجهاً ولا أكمل عقلاً ولا أحسن أدباً منه على حداثة سنه وقلة تجربته، فلما كان آخر النهار أتاه غلاماً والآن دقق أخ جمال.

فقال: أصلحك الله قد فرغنا فسكت، فقلت: ما هذا الذي فرغوا منه ؟ قال: الحمام قلت: وكيف ؟ قال: أخلوه لي من الناس، فقلت: لقد كنت وقعت من نفسي موقعاً عظيماً حتى سمعت هذا.

يعني أخلِ له الحمام وحده، فذعر واسترجع وقال: وما في ذلك يا عم يرحمك الله فقال: الحمام لك ! قال: لا، قال: فما دعاك إلى أن تخرج الناس منه كأنك تريد بذلك أن ترفع نفسك فوقهم وأن تجعل لها قدراً يعلو على أقدارهم، ثم إنك تؤذي صاحب الحمام في غلة يومه وترجع من أتى حمامه خائباً، قال: أما صاحب الحمام فأنا أرضيه وأعطيه غلة يومه، قلت هذه نفقة فيها إسراف ومعها كبر وما يمنعك أن تدخل الحمام مع الناس وأنت كأحدهم.

فقال: يمنعني من ذلك أن طائفةً من رعاع الناس يدخلون الحمام بغير أزر أكره أن أرى عوراتهم وأكره أن أجبرهم على وضع الأزر فيأخذوا ذلك على أنه اقتدار مني عليهم بالسلطان الذي أسأل الله أن يخلصنا منه كفافاً لا لنا ولا علينا، فعظني رحمك الله عظةً أنتفع بها واجعل لي مخرجاً من هذا الأمر.

فقلت: انتظر حتى يخرج الناس من الحمام ليلاً ويعودوا إلى بيوتهم ثم ادخله أنت، قال: لا جرم لا أدخله نهاراً أبداً بعد الآن ولولا شدة برد هذه البلاد ما دخلته أبداً وأطرق قليلاً كأنه يفكر في ذلك، ثم رفع رأسه إلي وقال: أقسمت عليك لتطوين هذا الخبر عن أبي فإني أكره أن يظل ساخطاً علي، ما هذا الأدب، وإني لأخشى أن يحول الأجل دون الرضا منه.

قال ميمون: فأردت عند ذلك أن أسبر عقله فقلت له: إن سألني أمير المؤمنين هل رأيت منك شيئاً فهل ترضى لي أن أكذب عليه ؟ قال: لا معاذ الله ولكن قل له رأيت منه شيئاً فوعظته وكبرته في عينه فسارع إلى الرجوع عنه فإن أبي لا يسألك عن كشف ما لم تظهره له لأن الله جل وعز قد أعاذه من البحث عمن ستر.

قال ميمون: فلم أرَ والداً قط ولا ولداً مثلهما يرحمها الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 12 : التابعي عطاء بن رباح
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-12-02

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدنا التابعي عطاء بن رباح الشخصية التي بين أيدينا هذا اليوم كيف نبدأ بالحديث عن شخصيةٍ أحبها الله ورسوله ؟

لهذه الشخصية مقدمة، سليمان بن عبد الملك خليفة المسلمين وأعظم ملوك الأرض يطوف بالبيت العتيق حاسر الرأس حافي القدمين ليس عليه إلا إزار ورداء شأنه في ذلك كشأن بقية رعاياه من أخوته في الله، وكان من خلفه ولداه وهما غلامان كطلعة البدر بهاءً ورواءً، وكأكمام الورد نضارةً وطيباً، وما إن انتهى من طوافه حتى مال على رجل من خاصته وقال: أين صاحبكم ؟ فقال: إنه قائم هناك يصلي وأشار إلى ناحية من المسجد الحرام، فاتجه الخليفة ومن ورائه ولداه إلى حيث أشير إليه وهم رجال الحاشية أن يتبعوا الخليفة ليفسحوا له الطريق ويدفعوا عنه أذى الزحام، فنهاهم عن ذلك وقال: هذا مقام يستوي فيه الملوك والسوقة ولا يفضل فيه أحد أحداً إلا بالقبول والتقوى، ورب أشعث أغبر قدم على الله فقبله بما لم يتقبل به الملوك ثم مضى نحو الرجل فوجده ما يزال داخلاً في صلاته غارقاً في ركوعه وسجوده والناس جلوس وراءه وعن يمينه وعن شماله، فجلس حيث انتهى به المجلس وأجلس معه ولديه .

وطفق الفتيان القرشيان يتأملان ذلك الرجل الذي قصده أمير المؤمنين وجلس مع عامة الناس ينتظر فراغه من صلاته فإذا هو شيخ حبشي أسود البشر، مفلفل الشعر، أفطس الأنف إذا جلس بدا كالغراب الأسود، ولما انتهى الرجل من صلاته مال بشقه على الجهة التي فيها الخليفة فحياه سليمان بن عبد الملك ورد التحية بمثلها دون تعظيم، وهنا أقبل عليه الخليفة وجعل يسأله عن مناسك الحج منسكاً منسكاً ويفيض بالإجابة عن كل مسألة ويفصل القول فيها تفصيلاً لا يدع سبيلاً لمستزيد ويسند كل قول يقوله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولما انتهى الخليفة من مساءلته جزاه خيراً وقال لولديه: قوما فقاما ومضى الثلاثة نحو المسعى .

وفيما هم في طريقهم إلى السعي بين الصفا والمروة سمع الفتيان المنادين ينادون: يا معشر المسلمين لا يفتي الناس في هذا المقام إلا عطاء بن رباح صاحب هذا اللقاء فإن لم يوجد فعبد الله بن أبي نجيح فالتفت أحد الغلامين إلى أبيه وقال: كيف يأمر عامل أمير المؤمنين الناس بأن لا يستفتوا أحداً غير عطاء بن رباح وصاحبه ثم جئنا نحن نستفتي هذا الرجل الذي لم يأبه للخليفة ولم يوفه حقه من التعظيم؟ فقال سليمان لولده: هذا الذي رأيته يا بني ورأيت ذلنا بين يديه هو عطاء بن أبي رباح صاحب الفتيا في

المسجد الحرام و وارث عبد الله بن عباس في هذا المنصب الكبير، ثم أردف يقول: يا بني تعلموا العلم فبالعلم يشرف الوضيع وينبغ الخامل ويعلو الأرقاء على مراتب الملوك .

لم يكن سليمان بن عبد الملك مبالغاً فيما قاله لابنه في شأن العلم فقد كان عطاء بن أبي رباح في صغره عبداً مملوكاً لامرأة من أهل مكة غير أن الله جل جلاله أكرم الغلام الحبشي بأن وضع قدميه منذ نعومة أظفاره في طريق العلم فقسم وقته أقسام ثلاثة:

قسم جعله لسيدته يخدمها فيه أحسن ما تكون الخدمة يؤدي لها حقوقها عليه أكمل ما تؤدى الحقوق .

وقسم جعله لربه يفرغ فيه لعبادته أصفى ما تكون العبادة وأخلصها لله عز وجل .

وقسم جعله لطلب العلم حيث أقبل على من بقي حياً من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وطفق ينهل من مناهلهم الترى الصافية.

فأخذ عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير وغيرهم من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم حتى امتلأ صدره علماً وفقهاً وروايةً عن رسول الله، ولما رأت السيدة المكية أن غلامها قد باع نفسه لله، وقف حياته على طلب العلم تخلت عن حقها فيه وأعتقت رقبته تقرباً لله عز وجل لعل الله ينفع به الإسلام والمسلمين، فمنذ ذلك اليوم اتخذ عطاء بن أبي رباح البيت الحرام مقاماً له فجعله داره التي يأوي إليها، ومدرسته التي يتعلم فيها ومصلاه التي يتقرب فيه إلى الله بالتقوى والطاعة حتى قال المؤرخون: كان المسجد فراش عطاء بن أبي رباح نحوناً من عشرين عاماً .

وقد بلغ التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح منزلاً في العلم فاقت كل تقدير، وسمى إلى مرتبةٍ لم ينلها إلا نفر قليل من معاصريه .

فقد روي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه وعن أبيه أمّ مكة معتمراً فأقبل الناس عليه يسألونه ويستفتونه، فقال: إني لأعجب لكم يا أهل مكة أتجمعون لي المسائل لتسألوني عنها وفيكم عطاء بن أبي رباح، هذا قاله ابن عمر.

وقد وصل عطاء بن أبي رباح إلى ما وصل إليه من درجة في الدين والعلم بخصلتين اثنين أولاهما أنه أحكم سلطانه على نفسه فلم يدع لها سبيلاً لترتع فيما لا ينفع، وثانيتهما أنه أحكم سلطانه على وقته فلم يهدره في فضول الكلام والعمل .

المؤمن يوم القيامة لا يندم إلا على ساعة مضت لم يذكر الله فيها.

حدث محمد بن سوقة جماعة من زواره فقال: ألا أسمعكم حديثاً لعله ينفعكم كما نفعني، قالوا: بلى، قال: نصحني عطاء بن أبي رباح ذات يوم فقال لي: يا بن أخي إن الذين من قبلنا كانوا يكرهون فضول الكلام، فقلت: وما فضول الكلام عندهم ؟ قال: كانوا يعدون كل كلام فضولاً ما عدا كتاب الله عز وجل أن يقرأ ويحفظ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يروى ويدرس، أو أمراً بمعروف أو نهياً

عن منكر، أو علماً يتقرب به إلى الله تعالى، أو أن تتكلم بحاجتك أو معيشتك التي لابد لك منها، ثم حدق في وجهي وقال: أتنكرون إن عليكم لحافظين كراماً كاتبين، وأن مع كل منكم ملكين عن اليمين والشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، ثم قال: أما يستحي أحدنا لو نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره فوجد أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا أمر دنياه .

كلام له وزن، قال تعالى:

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3))

[سورة المؤمنون: الآية 1-3]

ولقد نفع الله عز وجل بعلم عطاء بن أبي رباح طوائف كثيرة من الناس منهم أهل العلم المتخصصون، ومنهم أرباب الصناعات المحترفون، ومنهم غير ذلك .

حدث الإمام أبو حنيفة النعمان عن نفسه قائلاً: أخطأت في خمسة أبواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجاً وذلك أني أردت أن أحلق لأخرج من الإحرام فأتيت حلاقاً وقلت له: بكم تحلق لي رأسي ؟ فقال: هداك الله النسك لا يشارط عليه اجلس وأعطِ ما يتيسر لك، فخجلت وجلست غير أني جلست منحرفاً عن القبلة فأومأ إلي أن استقبل القبلة، ففعلت وازدت خجلاً على خجلي ثم أعطيته رأسي من الجانب الأيسر ليحلقه، فقال: أدر شقك الأيمن، فأدرته، وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت أنظر إليه وأعجب منه، فقال: مالي أراك ساكتاً كبر، فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب، فقال: أين تريد ؟ قال: أريد أن أمضي إلى رحلي، فقال: صلي ركعتين ثم امضي إلى حيث تشاء، فصليت ركعتين وقلت في نفسي ما ينبغي أن يقع مثل هذا من حجام إلا إذا كان ذا علم، فقلت له: من أين لك ما أمرتني به من المناسك ؟ قال: لله أنت هل رأيت عطاء بن أبي رباح يفعله ؟ فأخذته عنه ووجهت الناس إليه، لقد رأيت عطاء بن أبي رباح يفعله فأخذته عنه ووجهت الناس إليه .

كلام جميل الشيخ محمد راتب النابلسي، دكتور عطاء بن أبي رباح شخصية متميزة كيف نختتم حديثنا بمزيد عن هذه الشخصية ؟

التقى هذا التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح بهشام بن عبد الملك فقال: يا عطاء عظني، فقال: اتق الله في نفسك يا أمير المؤمنين واعلم أنك خلقت، وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك، وتحاسب وحدك، ولا والله ما معك ممن ترى أحد، فأكب هشام ينكت في الأرض وهو يبكي، فقام عطاء بن أبي رباح فقمت معه فلما صرنا عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس لا أدري ما فيه وقال له: إن أمير المؤمنين بعث لك بهذا، فقلت: هيهات وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين، فوالله إنه دخل على الخليفة وخرج من عنده ولم يشرب قطرة ماء .

بلغ مئة عام ملأها بالعلم والعمل، وأترعها بالبر والتقوى، وزكاها بالزهادة بما في أيدي الناس والرغبة بما عند الله، فلما أتاه اليقين وجده خفيف الحمل من أثقال الدنيا كثير الزاد من عمل الآخرة ومعه فوق ذلك سبعون حجة وقف خلالها سبعين مرةً على عرفات وهو يسأل الله تعالى رضاه والجنة ويستعيذ من سخطه والنار .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف نبدأ بالحديث عن ترجمة هذه الشخصية الإسلامية عروة ابن الزبير ؟

يقول الله جل جلاله:

(كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً (20))

[سورة الإسراء: الآية 20]

فعروة بن الزبير ولد بسنة واحدة بقيت من خلافة الفاروق عمر رضي الله عنه، في بيت من أعز بيوت المسلمين شأناً وأرفعها مقاماً، أبوه هو الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول من سل سيفاً في الإسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأمه هي أسماء بنت أبي بكر الملقبة بذات النطاقين، وجده لأمه هو أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار، وجدته لأبيه هي صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم، وخالته هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد نزل إلى قبرها حين دفنت بنفسه وسوى عليها لحدها بيده، أفنظن أن بعد هذا النسب نسباً ؟

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي هناك أمنية تمناها سيدنا عروة بن الزبير حبذا أن نتحدث عن هذا الجانب ؟

أخ جمال: ولكي يحقق عروة بن الزبير أمنيته التي تمناها على الله عند الكعبة المعظمة أكب على طلب العلم، الإمام الشافعي يقول: إذا أردت الدنيا، فعليك بالعلم وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، فهذا التابعي الجليل أكب على طلب العلم وانقطع له واغتنم البقية الباقية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفق يأم بيوتهم ويصلي خلفهم ويتتبع مجالسهم حتى روى عن علي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف وزيد بن ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، وأسامة بن زيد، وسعيد بن زيد، وأبي هريرة، وعبد الله بن عباس، والنعمان بن البشير، وأخذ كثيراً عن خالته عائشة أم المؤمنين حتى غدا أحد فقهاء المدينة السبعة الذين يفزع إليهم في الفتوى، ويستعين بهم الولاة الصالحون على ما استرعاهم الله جل جلاله في أمر من أمور العبادة.

في ذلك أن عمر بن عبد العزيز حين قدم المدينة والياً عليها من قبل الوليد بن عبد الملك جاءه الناس فسلموا عليه فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة وعلى رأسهم عروة بن الزبير فلما صاروا عنده رحب بهم وأكرم مجالسهم ثم حمد الله جل جلاله وأثنى عليه ثم قال إني دعوتكم لأمر تؤجرون

عليه وتكونون لي فيه أعوان لي على الحق فأنا لا أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم فإن رأيتم أحداً يتعدى على أحد، أو بلغكم عن عامل لي مظلمة فأسألكم بالله عز وجل أن تبلغوني ذلك.

أذكر أن سيدنا عمر بن عبد العزيز عين أحد كبار العلماء مرافقاً له اسمه عمر بن مزاحي، قال له: يا عمر كن معي، إن رأيتني ضللت فأمسكني من تلابيبي وهزني هزاً عنيفاً وقل لي اتق الله يا عمر فإنك ستموت.

فإن رأيتم أحداً يتعدى على أحد، أو بلغكم عن عامل لي مظلمة فأسألكم بالله عز وجل أن تبلغوني ذلك، فدعا له عروة بن الزبير بخير ورجا له من الله السداد والرشاد، وقد جمع عروة بن الزبير العلم إلى العمل فقد كان صواماً في الهواجر، قواماً في العتمات، رطب اللسان دائماً بذكر الله تعالى.

أن يطلب الإنسان العلم شيء وأن يكون عابداً من الطراز الأول شيء آخر، وأن يجمع بينهما شيء... لاشك أن الله عز وجل أعطى الإنسان إمكانات عالية جداً، قال تعالى:

(وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً)

[سورة الإسراء: الآية 19]

ويرى نتائج عمله في الدنيا قبل الآخرة، كان هذا التابعي الجليل خديماً لكتاب الله عز وجل، عاكفاً على تلاوته فكان يقرأ ربع القرآن كل نهارٍ نظراً في المصحف ثم يقوم به الليل تلاوةٍ عن ظهر قلب ولم يعرف عنه أنه ترك ذلك منذ صدر شبابه إلى يوم وفاته إلا مرة واحدة لخطب نزل به سيأتيك نبأه بعد قليل.

ولقد كان عروة بن الزبير يجد في الصلاة راحة نفس وقرة عين وجنته على الأرض فيحسنها كل الإحسان ويتقن شعائرها أتم الإتقان ويطيلها غاية الطول، كان عليه الصلاة والسلام أخف الناس صلاة إذا أم أصحابه أما إذا صلى وحده يصلي ما شاء.

روي عنه أنه رأى رجلاً يصلي صلاةً خفيفة فلما فرغ من صلاته دعاه إليه وقال له يا بن أخي أما كانت لك عند ربك جل وعز حاجة، والله إني لأسأل الله تبارك وتعالى في صلاتي كل شيء حتى الملح.

ياليت أن نتكلم عن أهم الصفات التي كان يتحلى بها سيدنا عروة بن الزبير ؟

من أهم الصفات التي كان يتحلى بها هذا التابعي الجليل أنه كان جواداً، وقد أثر عن جوده أنه كان له بستان من أعظم بساتين المدينة عذب المياه ظليل الأشجار باسق النخيل وكان يسور بستانه طوال العام بحماية أشجاره من أذى الماشية وعبث الصبية حتى إذا آن أوان الرطب وأينعت الثمار وطابت واشتهاها الناس كسر حائط بستانه في أكثر من جهة ليجيز للناس دخول هذا البستان، فكانوا يلمون به

ذاهبين آيبين ويأكلون من ثمره ما لذ لهم الأكل، ويحملون منه ما طاب لهم الحمل، وكان كل ما دخل بستانه هذا ردد قوله تعالى:

(وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)

[سورة الكهف: الآية 39]

عندما تابعنا ترجمة عروة بن الزبير لاحظنا أن الله سبحانه وتعالى ابتلاه بمصيبة وامتحنه، كيف علمنا الصبر من خلال هذا الابتلاء ؟

في ذات سنة من خلافة الوليد بن عبد الملك شاء الله جل وعز أن يمتحن عروة بن الزبير امتحاناً لا يثبت له إلا ذوي الأفئدة التي عمرها الله بالإيمان وأترعها باليقين، فلقد دعا خليفة المسلمين عروة بن الزبير لزيارته في دمشق فلبى دعوته وصحب معه أكبر بنيه، ولما قدم على الخليفة رحب بمقدمه أعظم ترحيب وأكرم وفادته أوفى الإكرام، وبالغ في الحفاوة به، ثم شاء الله سبحانه وتعالى أن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ذلك أن ابن عروة دخل إلى اسطبل الوليد ليتفرج على جياده الصافنات فرمحته دابة رمحةً قاضية أودت بحياته، ولم يتب الأب المفجوع ينفض يديه من تراب قبر ولده حتى أصابت إحدى قدميه الآكلة، مرض الموات فتورمت ساقه وجعل الورم يشتد ويمتد بسرعة مذهلة فاستدعى الخليفة لضيفه الأطباء من كل جهة وحضهم على معالجته بأية وسيلة لكن الأطباء أجمعوا على أنه لا مندوحة من بتر ساقه قبل أن يسري الورم إلى جسده كله فيكون سبباً في القضاء عليه، فلم يجد بداً من أن يدعى لذلك ولما حضر الجراح لبتر الساق وأحضر معه مباضعه لشق اللحم ومناشره لنشر العظم، قال الطبيب لعروة: أرى أن نسقيك جرعة من مسكر لكي لا تشعر بآلام البتر المبرحة، قال: هيهات لا أستعين بحرام على ما أرجوه من العافية، فقال له: إذاً نسقيك المخدر قال: ما أحب أن أسلب عضواً من أعضائي دون أن أشعر بألمه وأحتسب ذلك عند الله، ولما هم الجراح بقطع الساق تقدم نحو عروة طائفة من الرجال فقال: ما هؤلاء ؟ فقيل له: لقد جيء بهم ليمسكوك فربما اشتد عليك الألم فجذبت قدمك جذبةً أضرت بك، قال: ردوهم لا حاجة لي بهم وإني لأرجو أن أكفيكم ذلك بالذكر والتسبيح.

ثم أقبل عليه الطبيب فقطع اللحم بالمضبع ولما بلغ العظم وضع عليه المنشار وطفق ينشره به وعروة يقول: لا إله إلا الله والله أكبر، وما فتئ الجراح ينشر وعروة يهلل ويكبر حتى بترت ساقه بتراً ثم أغلي الزيت في مغارف الحديد وغمست به ساق عروة لإيقاف تدفق الدم وحسم الجراح الجرح فأغمي عليه إغماءةً طويلة حالت دونه وأن يقرأ حصته من كتاب الله وكانت المرة الوحيدة التي فاته فيها ذلك الخير منذ صدر شبابه ولما صحا عروة دعا بقدمه المبتورة فناولوه إياها وجعل يقبلها بيده ويقول: فما والذي حملني عليك في عتمات الليل إلى المساجد إنه ليعلم أنني ما مشيت بك إلى حرام قط، ثم تمثل بأبيات

لبعض الشعراء ولقد شق على الوليد بن عبد الملك ما نزل بضيفه الكبير من النوازل، فقد احتسب ابنه وفقد ساقه في أيام معدودات فجعل يحتال بتعزيته وتصبيره على ما أصابه.

وصادف أن نزل بدار الخلافة جماعة من بني عبس فيهم رجل ضرير فسأله الوليد عن سبب كف بصره فقال: يا أمير المؤمنين لم يكن في بني عبس رجل أوفر مني مالاً ولا أكثر أهلاً وولداً، فنزلت مع مالي وعيالي في بطن واد من منازل قومي فطرقنا سيل لم نرَ مثله قط فذهب السيل بما كان لي من مال وأهل وولد ولم يترك لي إلا بعير واحد وطفل صغير حديث الولادة وكان البعير صعباً فند مني فتركت الصبي على الأرض ولحقت بالبعير فلم أجاوز مكاني حتى سمعت صيحة الطفل فالتفت فإذا رأسه في فم ذئب وهو يأكله، فبادرت إليه غير أني لم أستطع إنقاذه إذا كان قد أتى عليه فلحقت بالبعير فلما دنوت منه رماني برجله على وجهي رمية حطمت جبيني وذهبت ببصري.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 14 : التابعي عامر بن عبد الله التميمي
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-12-04

بسم الله الرحمن الرحيم

كان عامر بن عبد الله التميمي فتىً في بواكير الصبا، غض الإهاب، ريان الشباب، ويضيء الوجه، زكي النفس، تقي القلب، كانوا أعلام هذه
الأمة فلقد كان زهاداً بما في أيدي الناس رغاباً بما عند الله.

لا تسألن بني آدم حاجــة وسل الذي أبوابه لا تغلــق

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسألُ يغضب

كان معرضاً عن الدنيا وزينتها مقبلاً على الله ومرضاته وكان رجل البصرة الأول الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ونضر الله في الجنة وجهه، فهو والي المدينة الزاهرة، وهو قائد جيوش المسلمين المنطلقة منها في كل اتجاه وهو إمام أهلها ومعلمهم ومرشدهم إلى الله عز وجل.

لزم هذا التابعي الجليل عامر بن عبد الله التميمي أبا موسى الأشعري في سلمه وحربه، وصحبه في حله وترحاله فأخذ عنه كتاب الله رطباً طرياً كما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وروى عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحاً موصولاً بالنبي الكريم، وتفقه على يديه بدين الله عز وجل، فلما اكتمل له ما أراد من العلم جعل حياته أقسام ثلاثة:

فشطر في حلقات الذكر يقرأ فيه الناس القرآن في مسجد البصرة.

وشطر في خلوات العبادة ينتصب فيه قائماً بين يدي الله عز وجل حتى تكل قدماه.

وشطر في ساحات الجهاد يسل سيفه غازياً في سبيل الله.

ولم يترك في حياته موضعاً لغير ذلك أبداً حتى دعي بعابد البصرى وزاهدها.

يا ليت الشيخ محمد راتب النابلسي أن نستزيد في التوضيح من صورة هذا التابعي الجليل.

من أخبار هذا التابعي الجليل ما حدث أحد أبناء البصرة قال: سافرت في قافلة فيها عامر بن عبد الله التميمي فلما أقبل علينا الليل نزلت بغيظة فجمع عامر متاعه وربط فرسه بشجرةٍ وطول له زمامها وجمع له من حشائش الأرض ما يشبعه وطرحه أمامه ثم دخل الغيظة وأوغل فيها فقلت في نفسي والله لأتبعنه ولأنظرن ماذا يصنع في أعماق هذه الغيظة فمضى حتى انتهى إلى رابيةٍ ملتفة الشجر مستورة عن الأعين فاستقبل القبلة وانتصب قائماً يصلي، فما رأيت أحسن من صلاته ولا أكمل ولا أخشع فلما صلى ما شاء الله أن يصلي طفق يدعو الله ويناجيه فكان مما قاله:

إلهي لقد خلقتني بأمرك وأقمتني في هذه الدنيا بمشيئتك ثم قلت لي استمسك، كيف أستمسك إن لم تمسكني بلطفك يا قوي يا متين، إلهي إنك تعلم أنه لو كانت لي هذه الدنيا بما فيها ثم طلبت مني مرضاةً لك لوهبتها لطالبها فهب لي نفسي يا أرحم الراحمين، إلهي إني أحببتك حباً سهل علي كل مصيبةٍ ورضاني بكل قضاء فلا أبالي مع حبي لك ما أصبحت عليه وما أمسيت.

قال الرجل البصري: ثم إني غلبني النعاس فأسلمت جفني إلى الكرى ثم مازلت أنام وأستيقظ عامر بن عبد الله التميمي منتصب في موقفه ماض في صلاته ومناجاته حتى تبسم الصبح، فلما بدا الفجر أدى المكتوبة ثم أقبل يدعو فقال:

اللهم قد أصبح الصبح وطفق الناس يغدون ويروحون يبتغون من فضلك وإن لكلاً منهم حاجة وإن حاجة عامر عندك أن تغفر له، اللهم فاقض حاجتي وحاجاتهم يا أكرم الأكرمين اللهم إني سألتك ثلاثاً فأعطيتني اثنتين ومنعتني واحدة اللهم فأعطنيها حتى أعبدك كما أحب وأريد ثم نهض من مجلسه فوقع بصره علي فعلم بمكاني منه في تلك الليلة فجذع لذلك أشد الجذع وقال لي في أسىً: أراك كنت ترقبني الليلة يا أخا البصرة، قلت: نعم، قال: استر ما رأيت مني ستر الله عليك.

هذا البعد عن الرياء والقرب من الإخلاص.

فقلت: والله لتحدثني بهذه الثلاث الذي سألتها ربك أو لأخبرن الناس بما رأيت - هدده - فقال: ويحك لا تفعل، قلت: هو ما أقول فلما رأى إصراري قال: أحدثك على أن تعطيني عهد الله وميثاقه أن لا تخبر بذلك أحداً، قال: قلت لك علي عهد الله وميثاقه أن لا أفشي لك سراً ما دمت حياً. قال: لم يكن شيئاً أخوف علي في ديني من النساء فقلت ربي أسألك أن تنزع من قلبي حبهم فاستجاب لي حتى صرت لا أبالي امرأة رأيت أم جداراً، فقلت: هذه واحدة فما الثانية ؟ قال: الثانية أني سألت ربي أن لا أخاف أحداً غيره فاستجاب لي حتى إني والله ما أرهب شيئاً في الأرض ولا في السماء سواه. قال: فما الثالثة ؟ قال: سألت ربي أن يذهب عني النوم حتى أعبده ليلاً ونهاراً فمنعني هذه الثالثة.

فلما سمعت منه ذلك قلت له رفقاً بنفسك فإنك تقضي ليلك قائماً وتقطع نهارك صائماً وإن الجنة تدرك بأقل مما تصنع وإن النار تتقى بأقل مما تعاني، فقال: إني لأخشى أن أندم حيث لا ينفع الندم.

أستاذ جمال: العاقل لا يندم، قرأت مرةً عن أحد الصحابة أنه قال: والله لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، في قول آخر والله لو علمت أن غداً أجلي ما قدرت أن أزيد في عملي.

هؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

فقال: إني لأخشى أن أندم حيث لا ينفع الندم، والله لاجتهدن في العبادة ما وجدت للاجتهاد سبيلاً فإن نجوت فبرحمة الله وإن دخلت النار فبنفسي.

كان خوفهم من الله شديداً، دكتور يتحدثون عن هذه الشخصية هو متعبد وناسك وقريب جداً من الله سبحانه وتعالى، هل هناك مجالات أخرى كان يتمتع بها سيدنا التابعي عامر بن عبد الله التميمي ؟

نعم هذا التابعي الجليل كان من أولئك المجاهدين الذين يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع، فهو يغشى الوغى كما لا يغشاه أحد سواه ولكنه يعف عن المغانم كما لا يعف عنه أحد غيره فهذا سعد بن أبي وقاص ينزل بعد القادسية في إيوان كسرى و يأمر عمرو بن المقرن أن يجمع الغنائم و يحصيها ليرسل خمسها إلى بيت مال المسلمين و يقسم باقيها على المجاهدين فاجتمع بين يديه من الأموال و الأعلاق و النفائس ما يفوق الوصف، ويعز على الحصر، فهنا سلال كبيرة مختمة بالرصاص مملوءة بأنية الذهب و الفضة كان يأكل الملوك بها، و هنا صناديق من نفيس الخشب كدست فيها ثياب كسرى و أوشحته و دروعه المحلاة بالجوهر و الدر و هنا أسفاط مملوءة بنفائس الحلي و روائع المقتنيات، و تلك أغماد فيها سيوف ملوك الفرس ملكاً بعد ملك، و سيوف الملوك و القواد الذين خضعوا للفرس خلال التاريخ، و فيما كان العمال يحصون هذه الغنائم على مرأى من المسلمين و مسمع منهم أقبل على القوم رجل منهم أشعث أغبر و معه حُقٌ كبير الحجم ثقيل الوزن حمله بيديه كلتيهما فتأملوه فإذا هو حقٌ لم تقع عيونهم على مثله قط، و لا وجدوا فيما جمعوه شيئاً يعدله أو يقاربه، فنظروا في داخله فإذا هو قد ملئ بروائع الدر و الجوهر، فقالوا للرجل: أين أصبت هذا الكنز الثمين ؟ قال: غنمته في معركة كذا في مكان كذا، فقالوا: و هل أخذت منه شيئاً ؟ قال: و الله إن هذا الحق و جميع ما ملكته ملوك فارس لا يعدل عندي قلامة ظفر، و لولا حق بيت مال المسلمين فيه ما رفعته من أرضه، و لا أتيتكم به، قالوا: من أنت أكرمك الله؟ قال: لا و الله لا أخبركم لتحمدوني و لا أخبر غيركم ليقرظوني، و لكني أحمد الله تعالى و أرجو ثوابه ثم تركهم و مضى، فأمروا رجلاً منهم أن يتبعه و يأتيهم بخبره، فما زال يمضي وراءه و هو لا يعلم حتى بلغ أصحابه فلما سألهم عنه قالوا ألا تعرفه إنه زاهد البصرة عامر بن عبد الله التميمي هو نفسه جاء بحق كبير فيه جواهر و ذهب و ما شاكل ذلك، و قدمه لبيت مال المسلمين.

قضى هذا التابعي الجليل بقية حياته في بلاد الشام و اختار بيت المقدس داراً لإقامته و نال من بر أمير الشام معاوية بن أبي سفيان و إجلاله و تكريمه ما هو جدير به، فلما مرض مرض الموت دخل عليه أصحابه فوجدوه يبكي فقالوا: ما يبكيك و قد كنت و كنت ؟ قال: و الله ما أبكي حرصاً على الدنيا أو جزعاً من الموت، و إنما أبكي لطول السفر و قلة الزاد، إذا كان هذا يشعر أنه قليل الزاد فكيف بغيره! و لقد أمسيت بين صعود و هبوط إما إلى الجنة و إما إلى النار فلا أدري إلى أيهما أصير ثم لفظ أنفاسه و لسانه رطب بذكر الله، و هناك في أولى القبلتين و ثالث الحرمين و مسرى سيدنا رسول الله ثوى عامر بن عبد الله التميمي، نور الله لعامر قبره و نضر في جنات الخلد وجهه.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 15 : التابعي صلة بن أشيم العدوي .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-12-05

بسم الله الرحمن الرحيم

الشخصية التي بين أيدينا الآن تابعي جليل اسمه صلة بن أشيم العدوي بداية كيف نتحدث عن هذه الشخصية الإسلامية ؟

هذا التابعي الجليل كان عابداً من عباد الليل، و فارساً من فرسان النهار، فكان إذا نشر الظلام أستاره على الكون قام فأسبغ الوضوء ثم صف في محرابه و دخل في صلاته و هام وجداً بربه، فيشرق في نفسه سناً إلهي ينير لبصيرته أرجاء الكون، و كان إلى ذلك مولعاً بقرآن الفجر، فإذا أقبل الهزيع الأخير من الليل انحنى بصلبه على أجزاء القرآن، و انطلق يرتل آيات الله البينات بصوت ندي و جرس شجي، فتارة يجد للقرآن حلاوة تأخذ بمجامع قلوبه، و تستأثر بمكامن نفسه من خشية الله، و أخرى يستشعر للقرآن خشعة تصدع فؤاده، و لم يكن صلة بن أشيم يفتر عن عبادته هذه قط، لا فرق في ذلك بين حله و ترحاله، و شغله و فراغه، حكى جعفر بن زيد قال: خرجنا مع جيش من جيوش المسلمين في غزاة إلى مدينة كابل ـ هي الآن عاصمة أفغانستان ـ رجاء أن يفتحها الله لنا، و كان في الجيش صلة بن أشيم، فلما أرخى الليل سدوله و نحن في بعض الطريق حط الجند رحالهم و أصابوا شيئاً من الطعام و أدوا العشاء الأخيرة ثم مضوا في مسيرتهم يلتمسون عندها حبة من الراحة فرأيت صلة بن أشيم يمضي إلى رحله كما مضى، و يسلم جنبه إلى الرقاد كما فعل، فقلت في نفسي: أين الذي يروونه من صلاة الرجل و عبادته و يشيعون من قيامه حتى تتورم قدماه ؟ و الله لأرمقنه الليلة حتى أرى ما يكون منه فما إن غرق الجند في نومهم حتى رأيته يستيقظ من رقدته، و ينحاز عن العسكر مستتراً بالعتمة و يدخل في غابة لفاء، باسقة الأشجار، وحشية الأعشاب، كأنها لم تطأها قدمان منذ دهر طويل، فمضيت في إثره فلما بلغ منها مكاناً قصياً التمس القبلة و اتجه إليها و كبر للصلاة و استغرق فيها، فنظرت إليه من بعد فرأيته مشرق الوجه، ساكن الأعضاء، هادئ النفس، كأنما يجد في الوحشة أنساً، و في البعد قرباً، و في الظلمة ضياء منيراً، و فيما هو كذلك ـ هنا المفاجأة ـ طلع علينا سبع من الجانب الشرقي للغابة فما إن أثبته أي تأكدت منه حتى انخلعت فؤادي هلعاً منه، فعلوت شجرة باسقة لواذاً من شره فمازال السبع يدنو من صلة بن أشيم و هو غارق في صلاته حتى أصبح على قيد خطوات منه، فوالله ما التفت إليه و لا حفل به فلما سجد قلت: الآن يفترسه، فلما نهض من سجوده و جلس وقف السبع بإيذائه كأنه يتأمله فلما سلم نظر إلى السبع في سكون و حرك شفتيه بكلام لم أسمعه فإذا بالسبع ينصرف عنه في هدوء، و يعود من حيث جاء، و لما انبلج الفجر نهض فأدى المكتوبة ثم طفق يحمد الله عز وجل بمحامد لم أسمع

مثلها قط، ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار، و هل يجترئ عبد خاطئ مثلي أن يسألك الجنة، انظر إلى هذا الأدب، و طلب الجنة من دون عمل ذنب من الذنوب و مازال يكررها حتى بكى و أبكاني ثم رجع إلى الجيش دون أن يفطن له أحد و بدا لعيون القوم كأنه بات على الحشايا، و عدت أنا في إثره و بي من سهر الليل و فتور الجسم و خوف السبع ما الله به عليم.

فعلاً فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي صلة بن أشيم العدوي نتحدث عن عبارته التي فيها القرب من الله سبحانه و تعالى، حبذا أن نستزيد في هذه الشخصية الفذة ؟

و لقد كان صلة بن أشيم إلى هذا كله لا يدع سانحة من سوانح الموعظة و التذكير إلا اغتنمها، و كان أسلوبه في ذلك يدعو إلى الله عز وجل بالحكمة و الموعظة الحسنة، و ما من داعية مخلص إلا و يُلهم الحكمة في دعوته فيستميل النفوس النافرة و يستلين القلوب القاسية، من ذلك أنه كان يخرج إلى البرية في ظاهر البصرة للخلوة و التعبد، فكانت تمر به طائفة من الشباب أرخت للصبا عنانه فتلهو و تلعب و تسرح و تمرح فكان يحييهم بأنس، و يخاطبهم في رفق، و يقول لهم: ما تقولون في قوم أزمعوا سفراً لأمر عظيم غير أنهم كانوا في النهار يحيدون عن الطريق ليلهو و يلعبوا و في الليل يبيتون ليستريحوا؟ فمتى ترونهم ينجزون رحلتهم و يبلغون غايتهم ؟ و دأب على قول ذلك المرة تلو المرة فلقيهم ذات مرة و قال لهم مقالته تلك فنهض شاب منهم و قال إن و الله ما يعني بذلك أحداً غيرنا فنحن بالنهار نلهو و بالليل ننام، ثم انحاز الشاب عن رفاقه و اتبع صلة بن أشيم من ذلك اليوم، و مازال في صحبته حتى أتاه اليقين، من ذلك أنه كان يمضي ذات نهار في ثلة من أصحابه إلى غاية لهم فمر بهم شاب رائع الشباب، ريان الشباب، قد أطال إزاره حتى جعل يجره على الأرض جر خيلاء، فهم أصحابه بالشاب و أرادوا أن يأخذوه بألسنتهم و أيديهم أخذاً شديداً، فقال لهم صلة: دعوني أكفكم أمره، ثم أقبل على الشاب و قال في رفق الأب الشفيق و نظرة الصديق الحميم: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة فتوقف الفتى و قال: و ما هي يا عم ؟ قال: أن ترفع إزارك فإن ذلك اتقى لربك، و أنقى لثوبك و أدنى لسنة نبيك، فقال الفتى في خجل: نعم و نعمة عين يا عم، ثم بادر و رفع إزاره، فقال صلة لأصحابه: إن هذا أمثل مما أردتم، من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف.

و هذه هي الحكمة هي فعل ما ينبغي على الشكل الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي و لو أنكم ضاربتموه و شاتمتموه لضاربكم و شاتمكم، و أبقى إزاره مجدلاً يمسح به الأرض، و لقد جاءه مرة فتى من فتيان البصرة فقال: علمني يا أبا الصهباء مما علمك الله ؟ فهش له صلة و بش و قال: لقد أذكرتني يا ابن أخي ماضياً لا أنساه، حيث كنت إذا ذاك شاباً مثلك فأتيت من بقي من أصحاب رسول الله و قلت لهم: علموني مما علمكم الله ؟ فقالوا لي: اجعل القرآن عصمة نفسك، و ربيع قلبك، و انتصح له، و انصح المسلمين به، و أكثر من دعاء الله عز وجل ما استطعت، فقال له الفتى: أدع لي جزيت خيراً، فقال:

رغبك الله تعالى فيما يبقى، و زهدك فيما يفنى، ووهب لك اليقين الذي تسكن إليه النفوس، و يعول عليه في الدين.

لقد كان لصلة بن أشيم ابنة عم تدعى معادة العدوية، و كانت هي الأخرى تابعية مثله، حيث لقيت أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها و أخذت عنها، ثم لقيها الحسن البصري نضر الله روحه و سمع منها و كانت تقية نقية عابدة زاهدة، و كان من عادتها إذا أقبل عليها الليل أن تقول: قد تكون هذه آخر ليلة لي فلا تنامي حتى تصبحي، و إذا أقبل عليها النهار أن تقول: قد يكون هذا آخر يوم لي فلا يطمئن لها جنب حتى تمسي، و كانت تلبس رقيق الثياب في فصل الشتاء حتى يمنعها البرد من الركون إلى النوم و الانقطاع عن العبادة، و كانت تحيي الليلة صلاة و دعاء، فإذا غلبها النعاس قامت فجالت في الدار و هي تقول: أمامك يا نفس نوم طويل، غداً تطول رقدتك في القبر، إما على حسرة و إما على سرور، فاختاري يا معادة لنفسك اليوم ما تحبين أن تكوني عليه غداً.

و لم يكن صلة بن أشيم صاحب هذا اللقاء على الرغم من شدة عبادته و فرط زهادته ليرغب عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، خطب ابنة عمه معادة لنفسه، فلما كان يوم إهدائها إليه، قام ابن أخ له بشأنه فمضى به إلى الحمام ثم أدخله عليها في بيت مطيب، فلما سارا معاً قام يصلي الركعتين المسنونتين، فقامت تصلي بصلاته و تقتضي به، ثم اجتذبهما سحر الصلاة فمضيا يصليان معاً حتى برق الفجر، فلما كانت الغداة جاءه ابن اخيه و قال: يا عم لقد أهديت إليك ابنة عمك فقمت تصلي الليل كله و تركتها؟ فقال: يا ابن أخي إنك أدخلتني أمس بيتاً أسكنتني به النار، ثم أدخلتني آخر أسكنتني به الجنة فمازلت أنا و إياها نصليان حتى انفجر الفجر، و لم يكن صلة بن أشيم أواهاً، أواباً، عابداً، زاهداً فحسب، و إنما كان إلى ذلك فارساً مجاهداً.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 16 : عبد الرحمن الغافقي أمير الأندلس1

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-12-06

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف نبدأ فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي بالحديث عن عبد الرحمن الغافقي ؟

الحقيقة ما كاد أمير المؤمنين و خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز ينفض يديه من تراب سلفه سليمان بن عبد الملك حتى بادر يعيد النظر في أمراء الأمصار ـ الأقاليم ـ و يعزل و يولي، و كان في طليعة من استعمله السمح بن مالك الخولاني، فلقد أسند إليه ولاية الأندلس و ما جاورها من المدن المفتوحة في بلاد فرنسا، ألقى الأمير الجديد رحاله في بلاد الأندلس و انطلق يفتش عن أعوان الصدق و الخير، فقال لمن حوله: أبقي في هذه الديار أحد من التابعين ؟ فقالوا: نعم أيها الأمير إنه ما يزال فينا التابعي الجليل عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ثم ذكروا له من علمه بكتاب الله و فهمه لحديث رسول الله و بلائه في ميادين الجهاد و تشوقه إلى الاستشهاد، و زهده بعرض الدنيا الشيء الكثير، ثم قالوا له: إنه لقي الصحابي الجليل عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه و عن أبيه و أنه أخذ عنه ما شاء الله أن يأخذ، وتأسى به أعظم التأسي، دعا السمح بن مالك الخولاني عبد الرحمن الغافقي إلى لقاءه، فلما جاءه رحب به أكرم الترحيب، و أدنى مجلسه منه، ثم قعد معه ساعة من نهار يسأله عن كل عمّله، و يستشيره في كثير مما أشكل عليه، و يروجه ليقف على طاقته، فإذا هو فوق ما أُخبر عنه، و أعظم مما ذكر له، فعرض عليه أن يوليه عملاً من كبير أعمال الأندلس، فقال له: أيها الأمير إنما أنا رجل من عامة الناس ـ هذا من تواضعه ـ و لقد وفدت إلى هذه الديار لأقف على ثغر من ثغور المسلمين و نذرت نفسي لمرضاة الله عز وجل، و حملت سيفي إعلاء لكلمته في الأرض و ستجدني إن شاء الله تعالى ألزم لك من ظلك ما لزمت الحق، دقق في هذا الوعي سيدنا الصديق قال: أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم، قال له: و ستجدني إن شاء الله تعالى ألزم لك من ظلك ما لزمت الحق، وأطوع لك من بنانك ما أطعت الله و رسوله من غير ولاية و لا إمارة، لم يمض غير قليل حتى عزم السمح بن مالك الخولاني على غزو فرنسا كلها، و ضمها إلى عقد دولة الإسلام العظمى، و أن يتخذ من ديارها الرحبة طريقاً إلى دول البلقان، و أن يفضي من دول البلقان إلى القسطنطينية تحقيقاً لبشارة النبي صلى الله عليه وسلم و كانت الخطوة الأولى لتحقيق هذا الهدف الكبير إنما تتوقف على احتلال مدينة أربونة ذلك أن أربونة كانت من أكبر المدن الفرنسية التي تجاور بلاد الأندلس، و كان المسلمون كلما انحدروا من جبال البيرنيه وجدوها تنتصب أمامهم كما ينتصب المارد الجبار، و هي فوق ذلك

مفتاح فرنسا الكبرى، و مطمح الطامحين إليها، حاصر السمح بن مالك الخولاني مدينة أربونة ثم عرض على أهلها الإسلام أو الجزية فعز عليهم ذلك و أبوه، فهب يهاجمهم الهجمة تلو الأخرى و يقذفهم بالمنجنيقات حتى سقطت المدينة العريقة الحصينة في أيدي المسلمين بعد أربعة أسابيع من الجهاد البطولي الذي لم تشهد أوربا نظيراً له من قبل، ثم بادر القائد المظفر المنتصر فتوجه بجيشه الجرار إلى مدينة تولوز عاصمة مقاطعة أوكتانيا، فنصب حولها المنجنيقات من كل جهة و قذفها بآلات الحرب التي لم تكن تعرف في أوربا حتى أوشكت المدينة المنيعة الحصينة أن تخر بين يديه، عند ذلك وقع ما لم يكن في حسبان أحد، فلنترك الحديث للمستشرق الفرنسي رينو ليسوق لنا خبر هذه المعركة، قال رينو: لما أصبح النصر قاب قوسين من المسلمين أو أدنى هب دوق أوكتانيا يستنفر لحربهم البلاد و العباد، أرسل رسله فطافوا أوربا من أقصاها إلى أقصاها و أنذروا ملوكها و أمراءها باحتلال ديارهم، و سبي نسائهم و ولدانهم، فلم يبق شعب في أوربا إلا أسهم معه بأشد مقاتليه بأساً و أكثرهم عدداً وقد بلغ من نصرة الجيش وعنف حركته وثقل وطأته ما لم تعرف له الدنيا نظيراً من قبل حتى إن الغبار المتطاير تحت أقدامه قد حجب عن منطقته عين الشمس ولما تدانى الجمعان خيل للناس أن الجبال تلاقي الجبال ثم دارت بين الفريقين رحى معركة ضروس لم يعرف التاريخ لها مثيلاً من قبل وكان السمح يظهر أمام جنودنا في كل مكان ويتواثب أمام عسكره في كل اتجاه وفيما هو كذلك أصابته رمية من سهم فخر صريعاً عن جواده، فلما رآه المسلمون منجدلاً فوق الثرى فت الموقف في عضدهم وبدأت صفوفهم تتداعى وأصبح في وسع جيشنا الجرار أن يبيدهم عن بكرة أبيهم، لولا أن تداركتهم العناية الربانية لقائد عبقري عرفته أوربا فيما بعد هو عبد الرحمن الغافقي، هنا دخلنا في الموضوع فتولى أمر انسحابهم بأقل قدر من الخسائر وعاد بهم إلى إسبانية ولكنه عقد العزم على أن يعيد الكرة علينا من جديد هذا كلام المؤرخ الإفرنسي.

وبعد: هل رأيت الغيوم كيف تنقشع عن البدر في الليلة الظلماء فيستضيء بنوره التائهون ويهتدي بثناه الحيارى، كيف انقشعت معركة تولوز عن بطل الإسلام الفذ عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي هل أبصرت العطاشى الموفين على الهلاك في جوف الصحراء كيف يلوح لهم الماء، كان كالماء في الصحراء، فيمدون أيديهم إليه ليغترفوا غرفة ماء ترد إليهم الحياة، هكذا مدّ جند المسلمين أيديهم إلى القائد العظيم ينشدون عنده النجاة و يبايعونه على السمع و الطاعة.

و لا غرو فقد كانت معركة تولوز أول جرح غائر أصيب به المسلمون منذ وطئت أقدامهم أوروبا، و كان عبد الرحمن الغافقي بلسم هذا الجرح، و اليد الحامية التي أحاطته بالعناية و الرعاية، و القلب الكبير الذي أصاب عليه الحنان، أمرضت أنباء النكسة الكبرى التي مني بها المسلمون في فرنسا فؤاد الخلافة في دمشق، و أجج مصرع البطل الكمي السمح بن مالك الخولاني في صدرها نار الحمية للأخذ

بالثأر، فأصدرت أوامرها لإقرار الجند على مبايعتهم لعبد الرحمن الغافقي، و عهدت إليه بإمارة الأندلس من أقصاها إلى أقصاها، و ضمت إليه ما جاورها من الأراضي الإفرنسية المفتوحة، و أطلقت يده في العمل كيف يشاء، و لا غرو فقد كان الغافقي حازماً صارماً تقياً نقياً حكيماً مقداماً.

بادر عبد الرحمن الغافقي منذ أنثيت إليه إمارة الأندلس يعمل على استعادة ثقة الجند بأنفسهم، و استرداد شعورهم بالعزة و القوة و الغلبة و تحقيق الهدف الكبير الذي طمح إليه قادة المسلمين في الأندلس، ابتداء من موسى بن نصير و انتهاء بالسمح بن مالك الخولاني، فلقد انعقدت همم هؤلاء الأبطال على الانطلاق من فرنسا إلى إيطاليا و ألمانيا و الإفضاء منها إلى القسطنطينية، و جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية و تسميته ببحر الشام، مكان بحر الروم، لكن عبد الرحمن الغافقي كان يوقن بأن الإعداد للمعارك الكبرى إنما يبدأ بإصلاح النفوس و تزكيتها، هذه حقيقة خطيرة جداً، كانوا يعتقدوا أن الإعداد للمعارك الكبرى يبدأ بإصلاح النفوس و تزكيتها لأن الله عز وجل يقول:

(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47))

[سورة الروم: الآية 47]

و يعتقد أنه ما من أمة تستطيع أن تحقق غاياتها في النصر إذا كانت حصونها مصدعة مهدمة من الداخل، لذلك هب يطوف بلاد الأندلس بلداً إثر بلد و يأمر المنادين أن ينادوا في الناس: من كانت له مظلمة عند والٍ من الولاة، أو قاض من القضاة، أو أحد من الناس فليرفعها إلى الأمير، و أنه لا فرق في ذلك بين المسلمين و غيرهم من المعاهدين، العدل للجميع ثم طفق ينظر في المظالم مظلمة مظلمة فيقتص للضعيف من القوي ويأخذ للمظلوم من الظالم، ثم جعل يحقق في أمر الكنائس المغتصبة والمستحدثة فيرد ما قضت به العهود إلى أصحابها ويهدم ما بني منها بالرشوة ثم نظر في أمر عماله واحداً واحداً فعزل من ثبتت له خيانته وانحرافه وولى مكانه من استوثق من حكمته وحنكته وصلاحه، وقد قرن عبد الرحمن القول بالفعل ودعم الآمال بالأعمال فطفق منذ اللحظة الأولى لولايته يعد العتاد ويستكمل السلاح ويرمم المعاقل ويبني الحصون.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 17 : عبد الرحمن الغافقي أمير الأندلس2

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-12-07

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة و الأخوات:

أمس كان حديثاً شيقاً حول سيدنا عبد الرحمن الغافقي لنا متابعة كما وعدنا الأخوة المستمعين ، تفضل:

بسم الله الرحمن الرحيم:

من المناسب جداً أن أنقل للإخوة المستمعين وصف جيوش المسلمين من قبل شاعر إنكليزي كتب يصف هذه الجيوش ، جموع لا تحصى يجمعهم إيمان ثائر راسخ الفتوة ، وحمية متلظية كالشرف وأخوة مذهلة لا تفرق بين البشر ولم يكن قادتهم أقل منهم ثقةً بالنصر بعد أن سندوا بحمية الظفر واختالوا بتلك القوة القوية التي لا يقف أمامها شيء وأيقنوا أن جيوشهم لا يمكن أن يلم بها الكلال فهي دائماً فتية مشبوبة كما انطلقت أول مرة ، وآمنوا أن حيثما تحركت مشى في ركابها النصر والغلب ، وأنها ستندفع دائماً إلى الأمام حتى يصبح الغرب المغلوب كالشرق يطأطئ الرأس إجلالاً لاسم محمد ، وحتى ينهض الحاج من أقاسي المتجمد إلى أن يطأ بأقدام الإيمان الرمال المحرقة المنتثرة على صحراء العرب ويقف فوق صخور مكة الصلبة.

أقول لهذا الشاعر: لم تكن أيها الشاعر بعيداً عن الحقيقة أو هائماً في أودية الخيال في كثير مما قلت ، فقد كانت الجيوش التي قادها المجاهدون لإخراج آبائك من جاهليتهم الجهلاء كما وصفت ، ففيها عرب أقوياء ؛ أقوياء بالله هبوا إليكم من الشام ومن الحجاز ومن نجد ومن اليمن ، ومن كل مكان في جزيرة العرب كما تهب الريح المرسل.

نعم لقد كان الجيش الذي قاده عبد الرحمن الغافقي فيه الأبيض والأسود والعربي والأعجمي ، لكنهم انصهروا جميعاً في بوتقةِ الإسلام فأصبحوا بنعمة الله إخواناً ، وقد كان همهم كما ذكرت أن يجعلوا البشرية كلها تطأطئ الرأس لإله الناس ، وأن يعم نور الإسلام بطاحكم وأوديتكم ، وأن تشرق شمسه في كل بيت من بيوتكم ، وأن يسوي عدله بين ملوككم وسوقتكم وكانوا قد عزموا على أن يدفعوا أرواحهم ثمناً لهدايتكم إلى الله وإنقاذكم من النار وبعد.

فهذه هي القصة الأخيرة لهذا الجيش وخبر بطله الفذ عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ونحن في الحلقة الثانية.

رضي الله تعالى عز وجل على سيدنا التابعي عبد الرحمن الغافقي حبذا فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي أن نستزيد حول هذه الشخصية الإسلامية الرائعة.

تناهت إلى دوق أو كتانية الأخبار المفزعة عن مصرع صهره عثمان ابن أبي مسعى وبلغته أنباء النهاية الحزينة التي صارت إليها ابنته الحسناء ميلين ، فأدرك أن طبول الحرب قد دقت وأيقن أن أسد الإسلام عبد الرحمن الغافقي ممسٍ في دياره أو مصبح ، وتأهب للدفاع عن كل شبر من أرضه دفاع المستميت واستعد للنضال دون نفسه ومملكته استعداد المستبسل ، فقد كان يخشى أن يساق هو الآخر أسيراً إلى دار الخلافة في الشام كما سيقت ابنته أو أن يحمل رأسه على طبق ويطاف به في أسواق دمشق كما طيف برأس نزريق ملك أسبانيا من قبل.

لم يُكذب عبد الرحمن الغافقي ظن الدوق فانطلق بجيشه اللجب من شمال الأندلس كما ينطلق الإعصار وانصب على جنوبي فرنسا من فوق جبال البرنييه كما ينصب السيل وكانت عدة جيشه مئة ألف مجاهد بين جوانح كل منهم قلب أسد في عروقه عزيمة مارد ، يمم الجيش الإسلامي وجهه شطر مدينة أرل الواقعة على ضفاف نهر الرون ، فلقد كان له معها حساب ، ذلك أن أرل هذه كانت قد صالحت المسلمين على أن تدفع لهم الجزية فلما استشهد السمح بن مالك الخولاني بمعركة طولوز وتضعضع المسلمون لمصرعه نبذ أهل أرل الطاعة ونكثوا العهد وامتنعوا عن دفع الجزية ولما بلغ عبد الرحمن الغافقي ضواحي المدينة وجد أن أود دوق أو كتانية قد عبأ قواته الكثيفة عندها وحشد حول تخومها وتصدى لصد الزحف الإسلامي عليها ثم ما لبث أن التقى الجيشان وجهاً لوجه ، ودارت بين الفريقين معركة طحون قذف خلالها عبد الرحمن الغافقي بكتائب من جيشه تحب الموت أكثر مما يحب أعداءها الحياة فزلزل أقدام العدو ومزق صفوفه ودخل المدينة في هذه المرة حرباً فأعمل السيف في رقاب أهلها وأثخن فيهم إثخاناً وغنم منهم غنائم عزت على الحصر.

وأما الدوق أود فقد فر بمن بقي حياً من جنوده وطفق يعد العدة للقاء آخر مع جيوش المسلمين ، فقد كان يعلم أن معركة أرل كانت بداية الطريق وليست نهايته ، عبر عبد الرحمن الغافقي بجيشه الجرار نهر الجارون وطفق كتائبه الظافرة تجوس مقاطعة أو كتانية ذات اليمين وذات الشمال وأخذت المدن والقرى تتساقط تحت سنابك خيله كما تتساقط أوراق الشجر في فصل الخريف فإذا هبت عليها الرياح الهوج، وأضاف المسلمين إلى غنائمهم السابقة غنائم لاحقة لم ترها عين من قبل ولم تسمع بها أذن وقد حاول دوق أو كتانية أن يتصدى لهذا الزحف الكبير مرةً أخرى فاشتبك مع المسلمين في معركة ضروس لكن المسلمين ما لبثوا أن هزموه هزيمةً طاحنة وأنزلوا به نكباً ساحقة مدمرة ومزقوا جيشه شر ممزق وتركوا جنده بين قتيل وأسير وهزيم.

ثم اتجه المسلمون إلى مدينة بوردو كبرى المدن الإفرنسية آنذاك وعاصمة مقاطعة أو كتانية وخاضوا مع أميرها معركة لا تقل هولاً عن المعارك السابقة استبسل فيها المهاجمون والمدافعون استبسالاً يثير العجب والإعجاب ، لكن المدينة الكبيرة الخطيرة ما لبثت أن سقطت بين أيدي المسلمين كما سقطت أخواتها من قبل وما لبث أميرها أن قتل فأحرز المسلمين من غنائم بوردو ما هون في أعينهم كل ما أحرزوه من غنائم وقد كان سقوط بوردو في أيدي المسلمين فاتحةً لسقوط مدن أخرى كثيرة وخطيرة ، أهمها ليون ، وبزداشنش ، وسان ، وكانت هذه الأخيرة لا تبعد عن باريس أكثر من مئة ميل.

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي حديث رائع فعلاً عن سيدنا عبد الرحمن الغافقي من خلال هذه الأحداث التي تكلمت بها اهتزت أوربا من أقصاها إلى أقصاها لسقوط نصف فرنسا الجنوبي كله في يد عبد الرحمن الغافقي وذلك كان في وقت قياسي في بضعة أشهر ، الحديث يحلو عن هذا الموضوع.

فتح الفرنجة أستاذ جمال أعينهم على الخطر الداهم ودب الصريخ في كل مكان يدعو العجزة والقادرين إلى الوقوف في وجه هذا الهول القادم من الشرق ويحضهم على التصدي له بالصدور إذا عزت السيوف ويدعوهم إلى سد الطريق أمامه بالأجساد إذا انعدم العتاد فاستجابت أوربا إلى دعوة الداعي وأقبل الناس على الانضواء تحت لواء شارل مارتل ومعه الشجر والحجر والشوك والسلاح ، وكان الجيش الإسلامي آنذاك قد بلغ مدينة تور طليعة مدن فرنسا وفرةً في السكان ، وقوةً في البنيان ، وعراقة في التاريخ.

أستاذ جمال في العشر الأخير من شهر شعبان سنة أربع ومئة للهجرة زحف عبد الرحمن الغافقي بجيشه اللجب على مدينة بواتييه و هناك التقى مع جيوش أوربا الجرارة بقيادة شارل مارتل و وقعت بين الفريقين إحدى المعارك الفاصلة ، لا في تاريخ المسلمين و الفرنجة فحسب و إنما في تاريخ البشرية كلها ، و قد عرفت هذه المعركة بمعركة بلاط الشهداء ، و كان الجيش الإسلامي يومئذ في ذروة انتصاراته الباهرة لكن كاهله كان مثقلاً بتلك الغنائم التي انصبت عليه انصباب الغيث ، هناك أخ جمال تعليق لطيف جداً ، يقول أحد ملوك الفرنجة: أنعمت النظر في هذا الأمر طويلاً فرأيت ألا نتعرض لهؤلاء القوم في وثبتهم هذه ، فإنهم الآن كالسيل الجارف يختضع كل ما يعترض طريقه ، و يحتمله معه ، و يلقي به حيث يشاء ، ووجدت أنهم قوم لهم عقيدة و نية تغنيان عن كثرة العدد و العُدد ، و لهم إيمان و صدق يقومان مقام الدروع ، و لكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم ، و يتخذوا لأنفسهم الدور و القصور ، فعند ذلك تتمكنون منهم بأيسر السبل و أقل الجهد ، قال تعالى:

(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ(47))

قال تعالى:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنَاً يَعْبُدُونَنِي)

[سورة النور: الآية 55]

أما:

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (59))

[سورة مريم: الآية 59]

و هذا ما حصل للمسلمين في بلاد الأندلس ، نرجو الله سبحانه و تعالى أن يعيد لهذه الأمة تاريخها المشرق و أن يجعل هدفها نبيلاً ، و أن يحقق بها هذه الرسالة التي أنيطت بها ، و جعلها الله مشرفة من أجلها.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 18 : التابعي رفيع بن مهران
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-12-08

بسم الله الرحمن الرحيم

قيل لم يكن هناك أحد أعلم بالقرآن بعد الصحابة من أبي العالية وأبي العالية كنية رفيع بن مهران، رفيعا بن مهران المكنى بأبي العالية علم من أعلام المسلمين ورائعة من روائع القراء والمحدثين، كان من أعلم التابعين بكتاب الله وأدراهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقدرهم على فهم القرآن العزيز والنفوذ إلى أغواره، وأعمقهم في إدراك مراميه وأسراره، فحياته غنية بروائع المواقف والصور حافلة بثمين العظات والعبر.

حبذا أن نتحدث عن مولده سيدنا رفيع بن مهران.

ولد سيدنا رفيع بن مهران في بلاد فارس وعلى أرضها نشأ وترعرع ولما شرع المسلمون بغزو بلاد الفرس ليخرجوا أهلها من الظلمات إلى النور كان رفيع هذا أحد الشبان الأرقاء الذين وقعوا في أيدي المسلمين الحامية وآلوا إلى رحالهم الخيرة البانية، فلم يلبث أن وقف هو ومن معه على سمو الإسلام ووازنوا بينه وبين ما كانوا عليه من عبادة الأوثان فاتفقوا أن يدخلوا في دين الله أفواجاً ثم أقبلوا على كتاب الله وجعلوا يتملون من حديث رسول الله، حدث سيدنا رفيع بن مهران عما كان عليه وما آل إليه فقال:

وقعت أنا ونفر من بني قومي أسارى في أيدي المجاهدين ثم ما لبثنا أن غدونا مملوكين لطائفة من المسلمين في البصرى، الرقيق الذي أخذ أسيراً في الحرب يعامل معاملةً تفوق حد التصور الأمر الذي جعله يدخل في هذا الدين ويتغلغل الإيمان إلى أعماقه يقول هذا التابعي الجليل: فلم يمض علينا طويل وقت حتى آمنا بالله وتعلقنا بحفظ كتاب الله وكان منا من يؤدي الضرائب لمالكيه ومنا من يقوم على خدمتهم وكنت واحداً من هؤلاء. يعني يقوم على خدمة من ملكه. فكنا نختم القرآن الكريم في وقت قصير فلقينا بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكونا لهم مما نكابده من السهر في قراءة كتاب الله فقالوا: اختموه كل أسبوع مرةً، فأخذنا بما أرشدونا إليه وجعلنا نقرأ القرآن طرفاً من الليل وننام طرفاً آخراً منه فلم يشق علينا بعد ذلك ولقد آل سيدنا رفيع ابن مهران إلى امرأة من بني تميم وكانت هذه المرأة سيدة رصاناً رزاناً مفعمة تقىً وإيماناً فكان يخدمها بعض النهار ويرتاح في بعضه الآخر فأتقن القراءة والكتابة في أوقات فراغه وتلقى خلالها طرفاً من علوم الدين دون أن ينال ذلك شيئاً من حقوقها عليه وفي ذات يوم من أيام الجمع توضأ سيدنا رفيع بن مهران فأحسن الوضوء ثم استأذن سيدته بالانصراف فقالت: إلى أين يا رفيع ؟ فقال: أبتغي المسجد.

فقالت: أي المساجد تريد.

فقال: المسجد الجامع، يعني تقام فيه صلاة الجمعة.

فقالت: هيا بنا. ثم مضيا معاً ودخلا المسجد مع الداخلين وهو لا يعلم ما تريد فما أن امتلأ الجامع وارتقى الإمام المنبر حتى أمسكت بيدي رفيع وقالت: اشهدوا يا معشر المسلمين أني أعتقت غلامي هذا رغبة في ثواب الله وطمعاً بعفوه ورضاه وأنه ليس لأحد عليه من سبيل إلا سبيل المعروف ثم نظرت إليه وقالت: اللهم إني أدخره عندك ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وقد عرّف العلماء القلب السليم: هو كل قلب سلم من شهوة لا ترضي الله وسلم من تحكيم لغير شرع الله وسلم من قبول خبر يتناقض مع وحي الله وسلم من التوجه إلى غير الله.

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89))

[سورة الشعراء]

ولما قضيت الصلاة انطلق رفيع إلى سبيله وانطلقت هي الأخرى إلى سبيلها أيضاً هذا التابعي الجليل دأب من ذلك اليوم على التردد إلى المدينة المنورة فحظي بلقاء الصديق رضوان الله عليه وذلك قبيل وفاته بقليل كما سعد بالاجتماع إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقرأ عليه القرآن وصلى خلفه، وكما أكب سيدنا رفيع بن مهران المكنى بأبي العالية على كتاب الله فقد تعلق بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يسمع روايته من التابعين الذين كان يلقاهم في البصرى لكنه ما لبث أن طمحت نفسه إلى ما هو أثبت من ذلك فأخذ يمضي إلى المدينة حيناً بعد حين ليسمعه أي الحديث من أفواه صحابة رسول الله أنفسهم حتى لا يكون بينه وبين النبي عليه الصلاة والسلام إلا شخص واحد هو الصحابي فأخذ عن عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وأبي أيوب الأنصاري وأبي هريرة وعبد الله بن عباس وغيرهم وغيرهم ولم يقتصر أبو العالية على رواة الحديث في المدينة المنورة وإنما كان ينشد حديث رسول الله في كل مكان فإذا وصف له رجل بالعلم ضرب إليه أكباد الإبل مهما كان بعيد الدار نائي المزار.

انظر أخ جمال كانوا يضربون أكباد الإبل من المدينة إلى البصرى ليأخذوا حديثاً واحداً عن رسول الله بينما الآن الأمور متوافرة بشكل يفوق حد الخيال.

فإذا وصل إليه بادر فصلى خلفه فإذا وجده لا يتقن صلاته أحسن الإتقان ولا يوفيها حقها أكمل التوفية أعرض عنه وقال في نفسه إن الذي يتهاون في صلاته يكون أشد تهاوناً في غيرها. دقق في هذه الفكرة الصلاة عماد الدين من أقامها أقام الدين و من هدمها هدم الدين فإذا صلى خلف راو لحديث رسول الله ولم يكن متقناً لصلاته انصرف عنه فإذا كان مهملاً لهذه الصلاة فهو لغيرها أشد إهمالاً.

لقد بلغ أبو العالية منزلةً في العلم فاق بها جميع أقرانه من ذلك أن أحد أصحابه قال: رأيت أبو العالية يتوضأ والماء يقطر من وجهه ويديه والطهارة تتألق على كل عضو من أعضائه فحييته وقلت له: إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، فقال: يا أخي ليس المتطهرين الذين يتطهرون بالماء من الدرن إنما هم الذين يتطهرون بالتقوى من الذنوب فتأملت مقاله وأدركت أنه أصاب وأخطأت وقلت: جزك الله خيراً وزادك علماً وفهماً.

حينما قال الله عز وجل عن سيدنا يوسف عليه السلام:

(وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)

[سورة يوسف: الآية 6]

معنى شيء ثمين جداً أن تفهم أبعاد النص وحقيقته ومراميه.

لقد دأب أبو العالية على حض الناس على طلب العلم وجعل يرسم لهم سبل الوصول إليه فيقول: روضوا أنفسكم على طلب العلم وأكثروا من السؤال عنه واعلموا أن العلم لا يخفض جناحيه لمستحٍ أو متكبر، والكبر والعياذ بالله يمنع من دخول الجنة:

"عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ..."

[مسلم، الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد]

لأن الكبرياء لله عز وجل وقد ورد في الحديث القدسي:

((الكبرياء إزاري والعظمة ردائي فمن نازعني فيهما شيئاً أذقته عذابي ولا أبالي))

وكان يحض طلابه على تعلم القرآن ورعايته والاستمساك بما جاء فيه والإعراض عما يتقوله المتقولون فيقول: تعلموا القرآن فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام وإياكم وهذه الأهواء فإنها توقع بينكم العداوة والبغضاء ولا تحيدوا عن الأمر الذي كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتفرقوا فنقلوا ذلك إلى الحسن البصري فقال: لقد نصحكم أبو العالية والله وصدقكم. والحسن البصري كما تعلمون سيد التابعين سئل مرة بما نلت هذا المقام ؟ قال: باستغنائي عن دنيا الناس وحاجتهم إلى علمي. كان العالم الجليل الصادق المطبق المخلص أمة بذاته، مرةً كان عند يزيد بن معاوية وقد جاءه توجيه لعله إذا نفذه لا يرضي الله عز وجل فوقع في حيرة من أمره فسأل الحسن البصري ماذا أفعل ؟ أجابه بكلمة تكتب بماء الذهب قال: إن الله يمنعك من يزيد ولكن يزيد لا يمنعك من الله.

كما كان يرسم لطلاب العلم الطريق الأمثل لحفظ القرآن فيقول: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات فإنه أيسر على أذهانكم وأقوى على أفواهكم. فإن جبريل عليه السلام كان ينزل به على النبي خمس آيات خمس آيات.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 19 : التابعي رفيع بن مهران
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-12-09

بسم الله الرحمن الرحيم

كان حديثاً شيقاً حول هذا التابعي الجليل سيدنا رفيع بن مهران و كانت صور مشرقة من أعماله الصالحة و سجاياه، كيف نتابع اليوم و من أين نبدأ ؟

الحقيقة أستاذ جمال أن الإنسان قد يكون عالماً و قد يكون موجهاً، فالعلم يتجه إلى العقل و التوجيه يتجه إلى القلب، و الإنسان عقل و قلب و كلاهما يجب أن يكون مستهدفاً في الدعوة إلى الله، فالقرآن الكريم خاطب العقول و خاطب القلوب في آيات كثيرة، بل في بعض الآيات خاطب القلب و العقل معاً، و لك تنجح الدعوة إلى الله إلا إذا خاطبت جوانب الإنسان كله فقال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6))

[سورة الانفطار: الآية 6]

إنه يخاطب القلب.

(الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7))

[سورة الانفطار: الآية 7]

إنه يخاطب العقل.

و الإنسان كل لا يتجزأ فهذا التابعي الجليل فضلاً عن أنه كان عالماً من كبار العلماء بالقرآن الكريم كان مرشداً و موجهاً، فكان يغذي عقول طلابه بالمعرفة النافعة، و يغذي قلوبهم بالموعظة الحسنة، و يجمع بين الأمرين في كثير من الأحيان، من ذلك قوله لهم:

" إن الله قضى على نفسه أنه من آمن به هداه، و مصداق ذلك قول الله عز وجل

(وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ)

[سورة التغابن: الآية 11]

و أنه من توكل على الله كفاه، و مصداق ذلك قوله تبارك و تعالى:

(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)

[سورة الطلاق: الآية 3]

و أن من أقرضه جازاه و مصداق ذلك قول الله عز وجل:

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً)

[سورة البقرة: الآية 245]

العبرة أن العلم يصل إلى العقل فيقنع لكن الموعظة تصل إلى القلب فيأخذ موقفاً و الإنسان يحتاج إلى قناعة و إلى حركة، فالحركة أساسها القلب و القناعة أساسها العلم، و هل الإنسان إلا عقل يدرك و قلب يحب؟ و أن من أقرضه جازاه و مصداق ذلك قوله عز من قائل:

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً)

[سورة البقرة: الآية 245]

و أنه من دعاه أجابه و مصداق ذلك قوله علت كلمته:

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)

[سورة البقرة: الآية 186]

فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي فعلاً كلام فيه حكم هو مشتق من كلام الله عز وجل وأحاديث النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام هذا التابعي الجليل سيدنا رفيع بن مهران يعني له كلام جميل ليتك تتابع بشيء من المزيد عما كان يقوله هذا التابعي الجليل.

كان يقول هذا التابعي الجليل لتلاميذه: اعملوا بالطاعة وأقبلوا على المطيعين بطاعتهم واجتنبوا المعصية وعادوا العصاة بمعصيتهم وهذا يذكرنا بما يسمى بالإسلام بالولاء والبراء، ينبغي أن توالي المؤمنين ولو كانوا ضعافاً وفقراء وأن تتبرأ من المنحرفين ولو كانوا أقوياء وأغنياء والذي يؤكد إيمانك هو ولاءك وبراءك ثم يقول:

كلوا أمر العصاة إلى الله فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم أنتم لستم قضاةً عليهم ولكنكم دعاة إلى الله.

كلوا أمر العصاة إلى الله فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر له وإذا سمعتم الرجل يرفع من شأن نفسه فيقول إنني أحب في الله وأكره في الله وأفضل كذا مرضاةً لله وأعرض عن كذا خوفاً من الله فلا تعتدوا به، لماذا ؟ لأن الله عز وجل يقول:

(فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ)

[سورة النجم: الآية 32]

وهؤلاء الذين يزكون أنفسهم قرعهم الله عز وجل.

هناك فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي هناك صفحات مضيئة في جهاد سيدنا رفيع بن مهران حبذا أن نطلع الإخوة المستمعين حول هذا الجانب.

نحن ألفنا أن يكون العالم عالماً فقط وألفنا أن يكون المقاتل مقاتلاً لكن في عصور ازدهار الإسلام كان العالم مجاهداً وكان المجاهد عالماً لأن النبي عليه الصلاة والسلام ربى أصحابه فكانوا رهباناً في الليل فرساناً في النهار وأن الحق يحتاج إلى القوة.

عند الغربيين القوي هو على حق، القوة تصنع الحق فقط، لكنه في ضوء وحي الله عز وجل الحق ما جاء به الوحي ولكنه يحتاج إلى قوة، فالقوة لا تصنع الحق لكن الحق يصنع القوة والقوة من دون حكمة تدمر صاحبها لذلك قال تعالى:

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً)

[سورة البقرة: الآية 269]

هذا التابعي الجليل فضلاً على أنه كان من كبار علماء القرآن وكان أيضاً من كبار الواعظين والمرشدين كان أيضاً مجاهداً يخوض المعارك يخوضها بقوة وحزم وشجاعة فوق حد التصور. إذاً كان هذا التابعي الجليل مجاهداً فكان يقضي قدراً من وقته في ميادين الجهاد مع المجاهدين أو مرابطاً على الثغور ثغور الأعداء مع المرابطين ولقد آثر أن يشرق في جهاده وأن يغرب فحارب الروم في بلاد الشام كما حارب الفرس في بلاد ما وراء النهر، وكان أول من رفع الأذان في تلك الديار وقد بقي أبو العالية طوال حياته أسوان *أسفاً لأنه لم يحظ بلقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا طبعاً من شدة حبه للنبي الأعظم عليه الصلاة والسلام.

وكتعليق على هذا نحن إذا ألغينا الحب من الإسلام ألغينا الطاقة المحركة، إذا ألغينا الحب غدا الإسلام ثقافة ليس غير، فكان الحب شيئاً أساسياً في الإسلام، فكان يحاول أن يعبر عن هذا بالتقرب من كرام الصحابة الذين توثق صلتهم بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يؤثرهم ويحبهم وكانوا يؤثرونه ويفضلونه. ومن آيات ذلك أن أنساً خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه أهدى له تفاحةً كانت في يده فأخذها منه وجعل يقبلها ويقول تفاحة مستها يد مست يد رسول الله، تفاحة مستها يد حظيت بمس يد رسول الله. ومن ذلك أيضاً أنه دخل ذات مرة على عبد الله بن عباس وكان يومئذ يتولى ولاية البصرى من قبل علي بن أبي طالب فرحب به عبد الله بن عباس أجمل الترحيب ورفعه على سريره وأجلسه على يمينه وكان في المجلس طائفة من سادة قريش فتغامزوا به وتهامسوا بينهم وقال بعضهم لبعض: أرأيتم كيف رفع ابن عباس هذا العبد على سريره. وقد أدرك ابن عباس ما يتغامزون به فالتفت إليهم وقال: إن العلم يزيد الشريف شرفاً ويرفع قدر أهله بين الناس ويجلس المماليك على الأسرة.

العلم وأهميته في كل زمان ومكان.

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل. طالب العلم يؤثر آخرته على دنياه فيربحهما معاً والجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً. بل إن أزمة أهل النار أزمة علم فقط:

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10))

[سورة الملك: الآية 10]

وطلب العلم تلبية لحاجة في الإنسان عليا، الإنسان لا يؤكد إنسانيته إلا إذا طلب العلم لذلك كلمة مؤمن كلمة كبيرة جداً إنها تعني مرتبة أخلاقية لأن المؤمن تحكمه مجموعة من القيم الإيمان قيد الفتك ولا يفتك المؤمن والمؤمن تعني مرتبة علمية لأنه عرف الحقيقة العظمى في الكون وانسجم معها وهذا هو العقل وما كل ذكي بعاقل قد نتفوق في اختصاصاتنا وقد نأخذ أعلى الشهادات أو إذا ما عرفنا سر وجودنا وغاية وجودنا ومن خلقنا ومن أين وإلى أين ولماذا فنحن لسنا عقلاء وقد مر النبي عليه الصلاة والسلام بأصحابه فرأوا مجنوناً فسألهم سؤال العارف من هذا ؟ قالوا: هذا مجنون، قال: لا هذا مبتلى المجنون من عصى الله. ما كل ذكي بعاقل لكن كل عاقل هو حتماً ذكي.

نتابع إذاً الحديث عن سيدنا رفيع بن مهران التابعي الجليل.

لقد بلغ من تقى أبو العالية وترقبه لليوم الآخر واستعداده للقاء ربه أنه أعد لنفسه كفناً وأنه كان يلبس هذا الكفن كل شهر مرةً ثم يرده إلى مكانه ولقد أوصى سبع عشرة مرة وهو صحيح سليم وكان يحدد لكل وصية أجلاً فإذا جاء أجلها نظر فيها فإما أن يعدلها وإما أن يبدلها وإما أن يمضيها وفي شهر شوال سنة ثلاث وتسعين للهجرة مضى أبو العالية إلى لقاء ربه طاهراً نقي النفس واثقاً برحمة ربه متشوقاً إلى لقاء نبيه صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 20 : التابعي الأحنف بن قيس
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-12-10

بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ بالحديث عن هذه الشخصية المباركة بكلام سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه.

يقول هذا الخليفة الراشد رضي الله عنه عن الأحنف بن قيس: إن هذا الغلام والله هو السيد و إنه سيد أهل البصرة، في ذات يوم تلقى عتبة بن غزوان كتاباً من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمره بأن يرسل إليه عشرة من صلحاء عسكره و أحسنهم بلاء في القتال ليقف منهم على أحوال الجيش و ليتملى مما عندهم من رأي و مشورة، أي ألم يقل الله عز وجل يأمر نبيه المعصوم الذي يوحى إليه:

(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

[سورة آل عمران: الآية 159]

و الشورى في الإسلام منهج أساسي في الحياة، فصدع عتبة بالأمر و جهز عشرة من صفوة رجاله، و جعل بينهم الأحنف بن قيس، مثّل رجال الوفد بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فرحب بهم و أدنى مجلسهم ثم سألهم عن حوائجهم و حوائج عامة الناس فنهضوا إليهم تباعاً و قالوا: أما عامة الناس فأنت وليهم، و صاحب شؤونهم، و أما نحن فنتكلم عن خاصة أنفسنا، ثم طلب كل منهم حاجتهم التي تعنيه و كان الأحنف بن قيس آخر رجال الوفد كلاماً لأنه كان أصغرهم سناً، لاحظ أنّ بقية الوفد تكلموا عن حوائجهم الخاصة لكن النفوس الكبيرة لا تهتم بحوائجها الخاصة، تهتم بحوائج الناس عامة، و كلما اتسعت دائرة الاهتمام ارتقى الإنسان عند الله، فكان النبي عليه الصلاة و السلام يبكي على أعدائه يقول:

((عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا))

[البخاري، الترمذي، أحمد]

كان الأحنف بن قيس آخرهم كلاماً كما قلت قبل قليل فحمد الله و أثنى عليه ثم قال يا أمير المؤمنين إن جند المسلمين الذين حلوا في مصر قد نزلوا في الخضرة و النضرة و الخصب من منازل الفراعنة، و إن الذين حلوا في ديار الشام قد نزلوا في الرغد و الثمار و الرياض من منازل القياصرة، و إن الذين حلوا في ديار الفرس قد نزلوا على ضفاف الأنهار العذبة و الجنان الوارفة من منازل الأكاسرة، لكن قومنا الذين حلوا في البصرة قد نزلوا في أرض هشاشة بشاشة لا يجف ترابها و لا ينبت مرعاها، أحد طرفيها بحر أجاج و طرفها الآخر فلاة قفر، وصف بليغ، فأزل يا أمير المؤمنين ضرهم و أنعش حياتهم، مُرْ مواليك على البصرة أن يحفر لهم نهراً يستعذبون منه الماء و يسقون الأنعام و الزرع،

فتحسن حالهم و يصلح عيالهم و ترخص أسعارهم، و يستعين بذلك على الجهاد في سبيل الله، فنظر إليه عمر في إعجاب و قال لرجال الوفد: هلا فعلتم فعل هذا إنه و الله لسيد، و قدم للأحنف جائزته فقال: و الله يا أمير المؤمنين ما قطعنا إليك الفلوات و لا ضربنا للقاؤك أكباد الإبل في البكور و العشيات لنيل الجوائز و مالي من حاجة لديك إلا حاجة قومي التي ذكرت، فإن تقضها لهم تكن قد كفيت و وفيت فازداد عمر إعجاباً به و قال: هذا الغلام سيد أهل البصرة، و لما انفض المجلس و همّ رجال الوفد بالانصراف إلى رواحلهم ليبيتوا عندها أجال عمر بصائره على حقائبهم فرأى طرف ثوب خارجاً من إحداها فقام فلمسه بيده و قال: لمن هذا ؟ هذا ملمح دقيق جداً، قال: لمن هذا ؟ فقال الأحنف: لي يا أمير المؤمنين و قد أدرك أنه استغلاه، فقال له عمر: بكم اشتريته، فقال الأحنف: بثمانية دراهم، و لم يعرف عن نفسه أنه كذب في حياته كلها غير تلك الكذبة ذلك لأنه اشتراه باثني عشر درهماً، فنظر إليه عمر في رفق و قال، هلا اكتفيت بواحد و وضعت فضلة مالك في موضع تعين به مسلماً ثم قال: خذوا من أموالكم ما يصلح شأنكم.

هذا تعليم فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي في عدم الإسراف.

وضعوا الفضول في مواضعها تريحوا أنفسكم و تربحوا آخرتكم، حينما نربي أبناءنا على أن يأكلوا حاجتهم و يطعموا ما فضل عنهم، حينما نربي أبناءنا على المآثرة، يتماسك مجتمعنا، لذلك قال عليه الصلاة و السلام:

((و الله ما آمن، و الله ما آمن، و الله ما آمن، من بات شبعان و جاره إلى جانبه جائع و هو يعلم))

ثم إن أمير المؤمنين أذن لرجال الوفد بالعودة إلى البصرة غير أنه لم يسمح للأحنف بالبراح معهم، و استبقاه عنده حولاً كاملاً، فلقد أدرك عمر بثاقب نظره ما توافر للفتى التميمي من حدة الذكاء و نصاعة البيان و سمو النفس و علو الهمة و غنى المواهب، فأراد أن يبقيه قريباً منه ليصنعه على عينه، و ليلقى كبار الصحابة فيهتدي بهديهم، و يتفقه في دين الله على أيديهم ثم إنه كان يريد أن يختبره عن كثب، و أن ينفذ إلى دخيلة نفسه قبل أن يوليه بعض شؤون المسلمين، سيدنا عمر عبقريته تتجلى في أنه أحسن اختيار عماله، مرة عين عاملاً على ولاية و قال: ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ؟ قال: أقطع يده، قال: إذاً فإن جاءني من رعيتك من هو جائع أو عاطل فسأقطع يدك، إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم، و نوفر لهم حرفتهم، فإن وفينا لهم ذلك، تقاضيناهم شكرنا، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً.

سيدنا عمر كان يريد والياً إن كان والياً حقاً بدا و كأنه واحد من إخوانه، بدا و كأنه والٍ عليهم، لشدة غيرته على المؤمنين، هذه مقاييس اختيار الولاة عند عمر.

سيدنا عمر كما يقال كان يخشى من الأذكياء المقاول الذين عندهم قدرة على الإقناع الفصحاء أشد الخشية، فهم إذا صلحوا ملئوا الدنيا خيراً، و إذا فسدوا كان ذكاؤهم وبالاً على الناس، أي الذكاء قوة حيادية إما أن تكون في خدمة الناس، أو أن تكون عبئاً عليهم، و لما انتهى الحول قال عمر للأحنف يا أحنف إني قد بلوتك و اختبرتك فلم أرَ إلا خيراً، و قد رأيت علانيتك حسنة، و إني لأرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك، أي دقق في هذا الموقف الموضوعي، لما سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ولى عمر بعض الصحابة خافوا شدته فقال أتخوفونني بالله، إذا لقيت ربي أقول: يا ربي وليت عليهم أرحمهم، ثم قال: هذا علمي به، فإذا بدل و غير فلا علم لي بالغيب، أي المؤمن أحكامه موضوعية، معتدلة، متوازنة، قال: رأيت علانيتك حسنة، و إني لأرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك، ثم وجهه لحرب الفرس، و كتب لقائده أبي موسى الأشعري ما بعده فأدني الأحنف بن قيس منك و شاوره و اسمع به، انضوى الأحنف تحت ألوية المسلمين المشرقة و المغربة في بلاد فارس، و أبدى من ضروب البطولات ما جعل سهمه يعلو و نجمه يتألق، و أبلى هو و قومه بنو تميم في قتال العدو أكرم البلاء، و بذلوا أسخى البذل، حتى فتح الله على أيديهم مدينة تستر درة التاج الكسروي و أوقع في أسره الهرمزان.

الحقيقة أن الهرمزان من أشد قواد الفرس بأساً، و أقوى أمرائهم شكيمة، و أمضاهم عزيمة، و أوسعهم مكيدة في الحروب، وقع أسيراً و لقد ألجأته انتصارات المسلمين إلى مصالحتهم أكثر من مرة غير أنه كان يغدر بهم كلما سنحت له الفرصة و ظن أنه قادر على النصر، كان غداراً، فلما أطبقوا عليه في تستر تحصن منهم في برج من أبراجها الممنعة و قال لهم: إن معي مئة سهم و والله ما تصلون إلي مادام في يدي شيء منها، و أنتم تعلمون أني رام لا تخطئ له رمية، فما جدوى أسركم إياي بعد أن أصيب منكم مئة بين قتيل و جريح ؟ فقالوا ماذا تريد ؟ فقال: أريد أن أنزل على حكم خليفتكم عمر و ليفعل بي ما يشاء؟ فقالوا: لك ذلك فرمى بقوسه على الأرض و نزل إليهم مستسلماً فشدوا وثاقه و أرسل إلى المدينة مع وفد من أبطال الفتح، و كان على رأسهم أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه و سلم، و الأحنف ابن قيس تلميذ المدرسة العمرية، مضى الوفد يحث الخطا بالهرمزان نحو المدينة ليبشر أمير المؤمنين بالفتح، أي بين الانتصار و بين البشارة يوجد شهر أو شهران، أما الآن التواصل سريع جداً، أي العالم أصبح قرية، ثم أصبح بيتاً و الآن غرفة العالم كله، هناك تفوق بالاتصالات يفوق حد الخيال.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 21 : التابعي الأحنف بن قيس
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-12-11

بسم الله الرحمن الرحيم

كنا فضيلة الشيخ قد تحدثنا عن التابعي الجليل الأحنف بن قيس و توقفنا عند الهرمزان كيف نتابع طبعاً حديث شيق عن هذا التابعي ؟

الحقيقة أن الهرمزان من أشد قواد الفرس بأساً، و أقوى أمرائهم شكيمة، و أمضاهم عزيمة، و أوسعهم مكيدة في الحروب، وقع أسيراً و لقد ألجأته انتصارات المسلمين إلى مصالحتهم أكثر من مرة غير أنه كان يغدر بهم كلما سنحت له الفرصة و ظن أنه قادر على النصر، كان غداراً، فلما أطبقوا عليه في تستر تحصن منهم في برج من أبراجها الممنعة و قال لهم: إن معي مئة سهم و والله ما تصلون إلي مادام في يدي شيء منها، و أنتم تعلمون أني رام لا تخطئ له رمية، فما جدوى أسركم إياي بعد أن أصيب منكم مئة بين قتيل و جريح ؟ فقالوا: ماذا تريد ؟ فقال: أريد أن أنزل على حكم خليفتكم عمر و ليفعل بي ما يشاء؟ فقالوا: لك ذلك، فرمى بقوسه على الأرض و نزل إليهم مستسلماً فشدوا وثاقه و أرسل إلى المدينة مع وفد من أبطال الفتح، و كان على رأسهم أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه و سلم، و الأحنف ابن قيس تلميذ المدرسة العمرية، مضى الوفد يحث الخطا بالهرمزان نحو المدينة ليبشر أمير المؤمنين بالفتح، أي بين الانتصار و بين البشارة يوجد شهر أو شهران، و يحمل إلى بيت مال المسلمين خمس الغنائم، و ليسلم ناكث العهود، خوان الذمم إلى الخليفة ليحكم عليه بحكمه، فلما بلغوا حواشي المدينة أعدوا الهرمزان ليعرضوه أمام المسلمين على هيئته الحقيقية، فألبسوه ثيابه المنسوجة من ثمين الديباج الموشاة بخيوط الذهب، و وضعوا على رأسه تاجه المرصع بالدر و الجواهر، و قلدوه صولجانه المصنوع من الإبريز المكللة باليواقيت و اللآلئ، فما إن وطأت أقدامهم أرض يثرب حتى تجمع الناس عليهم شيباً و شباناً، و جعلوا ينظرون إلى أسيرهم و يعجبون من هيئته و زيه أشد العجب، توجه الوفد بالهرمزان إلى دار عمر فلم يجدوه، فسألوا عنه فقيل لهم: إنه مضى إلى المسجد ليستقبل وفداً قدم عليه، فانطلقوا إلى المسجد فلم يروه هناك، و كانوا كلما طال بهم البحث عن الخليفة تكاثر الناس عليهم و اشتد زحامهم و فيما هم في حيرتهم هذه رآهم صبية صغار يلعبون، فقالوا لهم: ما شأنكم نراكم ذاهبين آيبين لعلكم تريدون أمير المؤمنين ؟ فقالوا: نعم نريده، فقالوا: إنه نائم في ميمنة المسجد متوسد برنسه، و كان عمر رضوان الله عليه قد خرج للقاء وفد من أهل الكوفة في برنس له، فلما انصرف الوفد خلع البرنس و وضعه تحت رأسه و أسلم جفنه إلى الكرى، فانطلق الوفد بالهرمزان إلى ميمنة المسجد فلما رأوا الخليفة نائماً جلسوا دونه و أجلسوا أسيرهم معهم، لم يكن

الهرمزان يفقه شيئاً مما حوله و ما كان يعلم العربية، و ما كان يخطر بباله أن هذا النائم في ناحية المسجد هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، حقاً إنه كان قد سمع عن تقشف عمر و زهده في زخارف الدنيا و زينتها لكنه ما كان يتخيل مجرد التخيل أن ينام قاهر الروم و كاسر الأكاسرة في طرف المسجد من غير غطاء، و لا وكاء، و لا حرس، و لا حُجّاب، و لما رأى القوم يجلسون صامتين ظنهم يتأهبون للصلاة و يترقبون قدوم الخليفة، و لكن الأحنف بن قيس جعل يشير إلى الناس أن يمسكوا عن الكلام و يكفوا عن الجلبة لكي لا يوقظوا الخليفة، فقد كان يعلم من صحبته له أنه قلما يغمض له جفن من ليل، فهو إما قائم في محرابه يعبد الله، أو متخفٍ في ثيابه يجوب أحياء المدينة ليعرف أحوال الرعية، أو عاس يحرس بيوت المسلمين في الطرقات، فأثارت إشارات الأحنف للناس انتباه الهرمزان فالتفت إلى المغيرة بن شعبة و كان يعرف الفارسية و قال: من هذا النائم ؟ فقال له المغيرة: إنه أمير المؤمنين عمر، ففغر الهرمزان فمه دهشة و قال: عمر، أين حرسه و حجابه ؟ قال له المغيرة: ليس له حارس و لا حاجب، قال الهرمزان: ينبغي أن يكون نبياً فقال المغيرة: بل يفعل فعل الأنبياء، إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه و سلم، ثم كثر الناس و ارتفعت الجلبة فاستيقظ عمر و استوى جالساً و نظر إلى الناس في دهشة فرأى الأمير الفارسي و على رأسه تاجه المتوهج تحت أشعة الشمس و في يده صولجانه الذي يخطف الأبصار، فحدق فيه و قال الهرمزان ؟! فقال له الأحنف: نعم يا أمير المؤمنين إنه الهرمزان، فتأمل عمر ما عليه من الذهب و اللآلئ و اليواقيت و الحرير ثم أشاح بوجهه عنه و قال: أعوذ بالله من النار، و أستعين به على الدنيا، الحمد لله الذي أذل هذا و أشياعه للإسلام، ثم قال: يا معشر المسلمين ـ دقق في هذه الكلمة لأننا في أمس الحاجة إليها في هذه الأيام ـ ثم قال: يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين و اهتدوا بهدي نبيكم الكريم و لا تبطرنكم الدنيا فإنها غرارة، فلما فرغ من كلامه بشره الأحنف بن قيس بالفتح المبين، فقال: لا أكلمه حتى تخلعوا ما عليه من مظاهر البطر و الأشر، فخلعوا عنه حليته و تاجه و أخذوا منه صولجانه، و ألبسوه ثوباً صفيقاً يستر جسده عند ذلك التفت إليه عمر و قال: إيه يا هرمزان كيف وجدت وبال الغدر و عاقبة أمر الله ؟ فأطرق الهرمزان في ذلة ثم قال: يا عمر لقد كنا في الجاهلية نحن و إياكم و لم يكن الله معنا و لا معكم فغلبناكم ـ و الله كلام بليغ ـ فلما أسلمتم و صار الله معكم غلبتمونا، فقال له عمر: لقد غلبتمونا لهذا الذي ذكرت و لأمر آخر هو اجتماعكم و تفرقنا، ثم نظر إليه بشدة و قال: ما عذرك في انتقاضك المرة تلو المرة يا هرمزان، فقال الهرمزان: أخاف أن تقتلني، فقال عمر لا بأس عليك حتى تخبرني، فلما سمع الهرمزان ذلك من عمر هدأ روعه بعض الشيء و قال إني عطشان، فأمر عمر له أن يشرب، فأوتي له بماء في قدح غليظ فتأمله و قال: و الله لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا الإناء، فأمر عمر فأوتي له بماء في إناء يرضاه، فلما أخذه في يده جعلت يده ترتجف، فقال له عمر: ما بك ؟ فقال: إني أخاف أن أقتل و أنا

أشرب هذه الجرعة من الماء، فقال له عمر: لابأس عليك حتى تشربها، فما كان من الهرمزان إلا أن كفأ الإناء و سفح الماء، فقال عمر: أحضروا له ماء غيره و لا تجمعوا عليه القتل و العطش فقال الهرمزان: لا حاجة لي بالماء و إنما أردت أن أستأمن به على نفسي من القتل، فقال له عمر: إني قاتلك، فقال الهرمزان: لقد أمنتني، فقال عمر: كذبت، فقال أنس بن مالك رضي الله عنه: صدق يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ويحك يا أنس أؤمن قاتل أخيك البراء بن مالك هيهات ؟ فقال أنس: لقد قلت له: لا بأس عليك حتى تخبرني، و قلت لا بأس عليك حتى تشرب الماء و أيد الأحنف قول أنس و أقر الحاضرون بأن أمير المؤمنين قد أمن الهرمزان، فنظر عمر إلى الهرمزان مغضباً وقال: لقد خدعتني و إني و الله لا أنخدع إلا لمسلم، فأسلم الهرمزان و فرض له عمر ألفين، لقد كان يقلق بال عمر كثرة نقض الفرس لعهودهم مع المسلمين و انقلابهم عليهم، فجمع رجال الوفد الذين قدموا مع الهرمزان و قال لهم: أيؤذي المسلمون أهل الذمة و يسيئون معاملتهم فينتقض عليهم ؟ فقال رجال الوفد: و الله يا أمير المؤمنين ما نعلم أن أحداً أساء لهم معاملة أو خفر لهم ذمة أو غشهم في عقد، فقال عمر: فما لهم ينقلبون عليكم كلما سنحت لهم الفرصة على الرغم مما بينكم و بينهم من عهود، فأجاب الوفد بكلام لم يقنع عمر، و لم يسترح له، عند ذلك قام الأحنف بن قيس و قال: أنا أخبرك بما سألت عنه يا أمير المؤمنين، فقال هات ما عندك ؟ قال: إنك يا أمير المؤمنين قد نهيتنا عن الانسياح في بلاد الفرس و أمرتنا بالاقتصار على ما في أيدينا من أراضيهم و مدنهم و إن الفرس مادام لهم ملك حي و مُلك قائم فسيقاتلوننا الكرة تلو الكرة لاسترجاع ما في أيدينا من قومهم و ديارهم، و سينضم إليهم من عاهدنا كلما دعاه الداعي، ولاحت له فرصة النصر، و إنه يا أمير المؤمنين لا يجتمع ملكان في أرض واحدة.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 22 : التابعي عامر بن عبد الله التميمي
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-12-12

بسم الله الرحمن الرحيم

من هي الشخصية الإسلامية التي هي كالشخصيات الأخرى تتميز بعطاءاتها و جلالها و علمها و أدبها و جهادها ؟ من هي الشخصية التي هي محور حديثنا لهذا اليوم ؟

إنه عامر بن عبد الله التميمي من التابعين الأجلاء و له خصائص سوف نراها من خلال هذا الحديث، فعامر بن عبد الله فتى في بواكير الصبا، غض الإهاب، ريان الشباب وضيء الوجه، زكي النفس، تقي القلب، و كانت البصرة على حداثتها من أغنى بلاد المسلمين غنىً و من أوفرها ثروة لما كان يتدفق عليها من غنائم الحرب، و ينصب فيها من الذهب النضار لكن الفتى التميمي عامر بن عبد الله لم يكن له أرب في ذلك كله فقد كان زهاداً بما في أيدي الناس رغاباً بما عند الله، معرضاً عن الدنيا و زينتها، مقبلاً على الله و مرضاه، و هذا يذكرنا بأن الإنسان إذا كان زاهداً شعر بقوة، بل إن في الضعف قوة بل الغارق في ألوان النعيم يجبن عن مواجهة العدو و يخشى على ما بيديه، لذلك إن في الضعف قوة، و إن في الزهد في الدنيا لغنية سيدنا أبو عبيدة بن الجراح كان قائد المسلمين في الشام دخلوا على بيته رأوا فيه سيفاً معلقاً و قدر ماء مغطى برغيف خبز و جلد غزال يجلس عليه، فقالوا: ما هذا يا أمير الفتوح ؟ قال: هو للدنيا و على الدنيا كثير، و كان رجل البصرة الأول الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه و نضر في الجنة وجهه هو والي المدينة الزاهرة و هو قائد جيوش المسلمين المنطلقة منها إلى كل اتجاه و هو إمام أهلها و معلمهم و مرشدهم إلى الله عز وجل، بالمناسبة أستاذ جمال النبي صلى الله عليه و سلم ربى أبطالاً عظاماً و هذه شهاداته الحقيقية، و الدعاة إلى الله اليوم أنا أرى أن يقاسوا بتلاميذهم أين وصلوا و ماذا فعلوا ؟

لزم عامر بن عبد الله التميمي أبا موسى الأشعري في سلمه و حربه و صحبه في حله و ترحاله، فأخذ عنه كتاب الله رطباً طرياً كما نزل على فؤاد محمد صلى الله عليه و سلم و روى عنه حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم صحيحاً موصولاً بالنبي الكريم، و تفقه على يديه في دين الله عز وجل، فلما اكتمل له ما أراد من العلم جعل حياته أقساماً ثلاثة فشطر في حلقات الذكر يقرئ فيه الناس القرآن في مسجد البصرة، و شطر في خلوات العبادة ينتصب فيه قائماً بين يدي الله عز وجل يصلي و يتهجد، و شطر في ساحات الجهاد يسل فيه سيفه غازياً في سبيل الله، و لم يترك في حياته موضعاً لشيء غير ذلك، قال تعالى:

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3))

[سورة المؤمنون]

و قال بعض المفسرين اللغو ما سوى الله، حتى دعي بعابد البصرة و زاهدها، و العبادة كما تعلمون هي علة وجود الإنسان في الأرض، هي طاعة طوعية تسبقها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية، و كان من أخبار عامر بن عبد الله ما حدث به أحد أبناء البصرة قال: سافرت في قافلة فيها عامر بن عبد الله فلما أقبل علينا الليل نزلنا بغيضة فجمع عامر متاعه و ربط فرسه بشجرة و طول له زمامه و جمع له من حشائش الأرض ما يشبعه و طرحه أمامه ثم دخل الغيضة و أوغل فيها فقلت في نفسي و الله لأتبعنه و لأنظرن ما يصنع في أعماق الغيضة في هذه الليلة فمضى حتى انتهى إلى رابية ملتفة الشجر مستورة عن الأعين فاستقبل القبلة و انتصب قائماً ليصلي فما رأيت أحسن من صلاته ولا أكمل و لا أخشع، فلما صلى ما شاء أن يصلي طفق يدعو الله و يناجيه، فكان مما قال: إلهي لقد خلقتني بأمرك، و أقمتني في بلايا هذه الدنيا بمشيئتك، ثم قلت لي استمسك، فكيف أستمسك إن لم تمسكني بلطفك يا قوي يا متين ؟ إلهي إنك تعلم أنه لو كانت لي هذه الدنيا بما فيها ثم طلبت مني مرضاة لك لوهبتها لطالبها فهب لي نفسي يا أرحم الراحمين، إلهي إني أحببتك حباً سهّل علي كل مصيبة و رضاني بكل قضاء فما أبالي مع حبي لك ما أصبحت عليه و ما أمسيت عليه، فقال الرجل البصري: ثم إنه غلبني النعاس فأسلمت نفسي إلى الكرى ثم مازلت أنام و أستيقظ و عامر منتصب في موقفه ماضٍ في صلاته و مناجاته حتى تنفس الصبح، ألم يقل الله عز وجل:

(أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً (78) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً (79))

[سورة الإسراء]

فلما بدا له الفجر أدى المكتوبة ثم أقبل يدعو فقال: اللهم ها قد أصبح الصبح و طفق الناس يغدون و يروحون يبتغون من فضلك، و إنّ لكل منهم حاجة و إنّ حاجة عامر عندك أن تغفر له، اللهم فاقض حاجتي و حاجاتهم يا أكرم الأكرمين، اللهم إني سألتك ثلاثاً فأعطيتني اثنتين و منعتني واحدة، اللهم فأعطينيها حتى أعبدك كما أحب و أريد، ثم نهض من مجلسه فوقع مجلسه عليّ فعلم بمكاني منه في تلك الليلة فجزع لذلك أشد الجزع و قال لي في أسى أراك كنت ترقبني الليلة يا أخا البصرة فقلت: نعم، فقال: استر ما رأيت مني ستر الله عليك، ورد في بعض الأحاديث أن أفضل الذكر إخفاء الذكر، هناك من يتاجر بذكره لكن الذاكر الحقيقي لا يحب أن يشيع عنه ذلك لئلا يقع في الرياء.

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي جلال الذكر برأيكم هل هو التفكر بآلاء الله ؟

و الله إن الذكر يدور مع الإنسان في كل شيء، إن تلاوة القرآن ذكر، و إن الاستغفار ذكر، و إن الدعاء ذكر، و إن التسبيح ذكر، و إن الحمد ذكر، و إن التهليل ذكر، و إن التكبير ذكر، و إن التفكر في خلق السماوات و الأرض ذكر، و إن طلب العلم الشرعي ذكر، فكل ما يتصل بالله عز وجل بشكل أو بآخر يعد ذكراً و الله عز وجل يخاطب المؤمنين فيقول:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (41))

[سورة الأحزاب: الآية 41]

و قال علماء التفسير: هذا العلم ينصب لا على الذكر بل على كثرة الذكر لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، هم يذكرون الله لكن الله نعى عليهم ذكرهم القليل.

إذاً و ما زلنا في رحاب ذاكر لله عز وجل التابعي الجليل عامر بن عبد الله التميمي و نجمل ختام هذه الحلقة بشيء عن هذا التابعي الجليل؟ الحقيقة أن الذكر شحنة روحية، كيف أن السيارة تحتاج إلى وقود كيف أن الجهاز الكهربائي يحتاج إلى كهرباء و إلى طاقة، فالإنسان عقل يدرك و قلب يحب، غذاء العقل العلم و غذاء القلب الذكر، و الذاكر هو القريب من الله، أي من هو الذي يتقي الله حق تقاته ؟ قال الذي يطيعه فلا يعصيه و يذكره فلا ينساه و يشكره فلا يكفره.

قال: استر علي ما رأيت ستر الله عليك، فقلت: و الله لتحدثنّي بهذه الثلاث التي سألتها ربك ؛ أو لأخبرن الناس بما رأيت منك، قال: ويحك لا تفعل، فقلت: هو ما أقول لك فلما رأى إصراري قال: أحدثك على أن تعطيني عهد الله و ميثاقه ألا تخبر بذلك أحداً، فقلت لك عليّ عهد الله و ميثاقه ألا أفشي لك سراً ما دمت حياً، فقال: لم يكن شيء أخوف عليّ في ديني من النساء فسألت ربي أن ينزع من قلبي حبهن فاستجاب لي حتى صرت ما أبالي امرأة رأيت أم جداراً، فقلت هذه واحدة فما الثانية ؟ قال الثانية: أني سألت ربي ألا أخاف أحداً غيره فاستجاب لي حتى أني و الله ما أرغب شيئاً في الأرض و لا في السماء سواه، فقلت: فما الثالثة ؟ فقال: سألت ربي أن يذهب عني النوم حتى أعبده في الليل و النهار كما أريد فمنغني هذه الثالثة فلما سمعت منه ذلك قلت له: رفقاً بنفسك فإنك تقضي ليلك قائماً و تقطع نهارك صائماً و إن الجنة تدرك بأقل مما تصنع، و إن النار تتقى بأقل مما تعاني، فقال: إني لأخشى أن أندم حيث لا ينفع الندم، و الله لأجتهدن في العبادة ما وجدت إلى الاجتهاد سبيلاً فإن نجوت فبرحمة الله، و إن دخلت النار فبتقصيري، غير أن عامراً بن عبد الله لم يكن راهباً من رهبان الليل فحسب و إنما كان فارساً من فرسان النهار أيضاً، فما أذن مؤذن الجهاد في سبيل الله إلا كان في طليعة من يجيب نداءه، و كان إذا نهض إلى غزوة من الغزوات مع المجاهدين وقف يتوسم الناس ليختار رفاقه فإذا وقع على رفقة توافقه قال لهم: يا هؤلاء إني أريد أن أصحبكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلاث خلال، فيقولون ما هم ؟ فيقول: أولاهن أن أكون لكم خادماً فلا ينازعني أحد منكم في الخدمة أبداً، و الثانية أن أكون لكم

مؤذناً فلا ينازعني أحد منكم النداء للصلاة، و الثالثة أن أنفق عليكم بقدر طاقتي فإن قالوا نعم انضم إليهم، و إن نازعه أحد منهم شيئاً من ذلك رحل عنهم إلى غيرهم.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 23 : التابعي عامر بن عبد الله التميمي

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-12-13

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كان عامر من أولئك المجاهدين الذين يكثرون عند الفزع، و يقلون عند الطمع، بينما معظم الناس يقلون عند الفزع و يكثرون عند الطمع، هو يغشى الوغى كما لا يغشاه أحد سواه، و لكنه يعف عند المغنم، كما لا يعف عنده أحد غيره هذا سعد بن أبي وقاص هذا صحابي جليل قال العلماء: ما فدّ النبي واحداً من أصحابه كما فدّ سعداً، كان يقول له في ساحة الوغى، ارمِ سعداً فداك أبي و أمي، و سعد أيضاً كان يداعبه النبي يقول إذا دخل عليه هذا خالي، أروني خالاً مثل خالي، و مع ذلك قال له عمر مرة: يا سعد لا يغرنك أنه قد قيل خال رسول الله فالخلق كلهم عند الله سواسية، ليس بينه و بينهم قرابة إلا طاعتهم له، أرأيت إلى هذا الدين العظيم ؟ فسيدنا سعد بن أبي وقاص ينزل بعد القادسية في إيوان كسرى، و يأمر عمرو بن مقرن أن يجمع الغنائم و يحصيها ليرسل خمسها إلى بيت مال المسلمين بحسب القرآن الكريم، و يقسم باقيها على المجاهدين، فاجتمع بين يديه من الأموال و الأعلاق و النفائس ما يفوق الوصف و يعز على الحصر، فهنا سلال كبيرة مختمة بالرصاص مملوءة بأنية الذهب و الفضة كان يأكل بها ملوك فارس، و هنا صناديق من نفيس الخشب كدست فيها ثياب كسرى و أوشحته و دروعه المحلاة بالجوهر و الدر، و هذه أصفاط مملوءة بنفائس الحلي و روائع المقتنيات، و تلك أغماد فيها سيوف ملوك الفرس ملكاً بعد ملك، و سيوف الملوك و القواد الذين خضعوا للفرس خلال التاريخ، و فيما كان العمال يحصون هذه الغنائم على مرأى من المسلمين و مسمع أقبل على القوم رجل أشعث أغبر و معه حقٌّ كبير الحجم ثقيل الوزن حمله بيديه كلتيهما فتأملوه فإذا هو حق لم تقع عيونهم على مثله قط، و لا وجدوا فيما جمعوا شيئاً يعدله أو يقاربه، فنظروا في داخله فإذا هو قد ملأ بروائع الدر و الجوهر، فقيل للرجل: أين أصبت هذا الكنز الثمين؟ فقال: غنمته في معركة كذا، في مكان كذا، فقالوا: و هل أخذت منه شيئاً ؟ قال: هداكم الله، و الله إن هذا الحق و جميع ما ملكت ملوك فارس لا يعدل عندي قلامة ظفر، و لولا حق بيت مال المسلمين فيه ما رفعته من أرضه، و لا آتيتكم به، فقالوا: من أنت أكرمك الله ؟ لا و الله لا أخبركم لتحمدوني و لا أخبر غيركم لتقربوني، و لكني أحمد الله تعالى و أرجو ثوابه ثم تركهم و مضى فأمروا رجلاً منهم أن يتبعه حتى يأتيهم بخبره، فمازال الرجل يمضي وراءه و هو لا يعلم حتى بلغ أصحابه فلما سألهم عنه قالوا: ألا تعرفه ؟ إنه زاهد البصرة عامر بن عبد الله التميمي صاحب هذه الحلقة.

ثم إن هذا التابعي الجليل وقع في مشكلة أدى إلى أن الخليفة خليفة المسلمين كلف واليه على البصرة أن يدعو عامراً إلى مجلسه و أن يسأله عما نسب إليه، و أن يرفع له خبره فاستدعى والي البصرة عامراً و قال: إن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه أمرني أن أسألك عن أمور نسبت إليك، فقال: سل عما أمر به أمير المؤمنين ؟ فقال: مالك تعزف عن سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و تأبى أن تتزوج ؟ فقال: ما تركت الزواج عزوفاً عن سنة النبي صلى الله عليه و سلم فأنا أشهد أنه لا رهبانية في الإسلام، و إنما أنا امرؤ رأى أن له نفساً واحدة فجعلها لله عز وجل و خشي أن تغلبه الزوجة عليها، فقال: مالك لا تأكل اللحم؟ فقال: بل آكله إذا اشتهيته ووجدته، أما إذا لم اشتهيه أو اشتهيته و لم أجده فإني لا آكله، فقال: مالك لا تأكل الجبنة ؟ قال: إنا بمنطقة فيها مجوس يصنعون الجبن و هم قوم لا يعرفون الحلال و الحرام و لا يفرقون بين الميتة و المذبوحة و إني لأخشى أن تكون المنفحة التي صنع منها الجبن من شاة غير مزكاة فما شهد شاهدان من المسلمين على أنه جبن صنع بمنفحة شاة مذبوحة أكلته. قال: ما يمنعك من أن تأتي الولاة و أن تشهد مجالسهم ؟ فقال: إن في أبوابهم كثيراً من طلاب الحاجات فأدعوهم إليكم و اقضوا حوائجهم أنتم و اتركوا من لا حاجة له عندكم.

سأل أبو جعفر المنصور أبا حنيفة النعمان رضي الله عنه قال: يا أبا حنيفة لو تغشيتنا أي لو زرتنا، فقال أبو حنيفة: و لمَ أتغشاكم و ليس لي عندكم شيء أخافكم عليه، و هل يتغشاكم إلا من خافكم على شيء ؟ إنك إن أكرمتني فتنتني و إن أبعدتني أزريت بي فمالي حاجة في أن أتغشاكم.

رفعت أقوال عامر بن عبد الله إلى أمير المؤمنين فلم يجد فيها نبذاً لطاعة أو خروجاً عن السنة و الجماعة، غير أن ذلك لم يطفئ نار الشر، و كثر القيل و القال حول عامر بن عبد الله، أي إذا طعنت في الظهر فاعلم أنك في المقدمة، و قد قيل مرة و هذا على ذمة الراوي أن في مناجاة موسى عليه السلام لربه، سأل موسى ربه أن يا رب لا تدع لي عدواً ؟ فقال الله عز وجل لموسى: هذه ليست لي يا موسى، إذاً شأن الحياة أن فيها معركة بين الحق و الباطل، و هذه معركة أزلية أبدية، فالبطولة أن تكون مع الحق، و كل الحمق و الغباء أن تكون في خندق مناهض للحق، لأن الحق هو المنتصر و لأن الله هو الحق، و قد قال الله عز وجل:

(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ)

[سورة آل عمران: الآية 12]

ثم قال:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ)

[سورة الأنفال: الآية 36]

لم يكن في أقواله ما ينبئ أنه مخالف للسنة و أهل الجماعة، فأمر عثمان رضي الله عنه بتسييره إلى بلاد الشام و اتخاذها دار إقامة له، و أوصى واليه على الشام معاوية أن يحسن استقباله و أن يرعى حرمته، و في اليوم الذي عزم فيه عامر على الرحيل عن البصرة خرج خلق كثير من إخوانه و تلاميذه لوداعه و شيعوه حتى بلغوا معه ظاهر المربد و هناك قال لهم: إني داعٍ فأمّنوا على دعائي فاشرأبت إليه أعناق الناس و سكنت حركاتهم و تعلقت به عيونهم، فرفع يديه و قال: اللهم من وشى بي و كذب علي و كان سبباً في إخراجي من بلدي والتفريق بيني و بين صحبي، اللهم إني صفحت عنه فاصفح عنه، و هبه العافية في دينه و دنياه، و تغمدني و إياه و سائر المسلمين برحمتك و عفوك و إحسانك يا أرحم الراحمين.

ثم وجه مطيته نحو ديار الشام و مضى لسبيله، عامر بن عبد الله التميمي أمضى بقية حياته في بلاد الشام، و اختار بيت المقدس رده الله إلينا داراً لإقامته و نال من بر أمير الشام و إجلاله و تكبيره ما هو جدير به، فلما مرض مرض الموت دخل عليه أصحابه فوجدوه يبكي فقالوا ما يبكيك و قد كنت و كنت؟ فقال: و الله ما أبكي حرصاً على الدنيا أو جزعاً من الموت و إنما أبكي لطول السفر و قلة الزاد و قد أمسيت بين صعود و هبوط إما إلى جنة و إما إلى نار فلا أدري إلى أيهما أصير؟ ثم لفظ أنفاسه و لسانه رطب بذكر الله، و هناك في أولى القبلتين و ثالث الحرمين و مسرى رسول الله ثوى عامر بن عبد الله التميمي نور الله لعامر في قبره و نضر في جنات الخلد وجهه.

هذه الشخصيات الجليلة سماحة الشيخ تعطينا دروساً و عبر أن الإنسان إذا التزم طريق الخير و الحق كان جليلاً في دنياه و عظيماً في آخرته.

الحقيقة أن الإنسان إذا عرف الله صار بطلاً، المؤمن شخصية فذة، المؤمن عرف سر وجوده و غاية وجوده، المؤمن يحمل رسالة كبرى شرفه الله بها و أنا أقول كلمة دقيقة للإخوة المستمعين: أيها الأخ المسلم لا تقلق على هذا الدين إنه دين الله، إن الله قادر أن ينصره بالفاجر و بأعدائه، و لكن اقلق ما إذا سمح الله لك أم لم يسمح أن يعطيك شرف نصرته:

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69))

[سورة العنكبوت: الآية 69]

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الإمام الجليل التابعي محمد بن واسع الأزدي قال عنه مالك بن دينار للأمراء قراء و للأغنياء قراء و إن محمداً بن واسع لمن قراء الرحمن ، هذا ملقب عند جمهور الناس بزين الفقهاء ، و ملقب أيضاً بعابد البصرة ، هو تلميذ الصحابي الجليل أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله صلى الله عليه و سلم ، كان لهذا التابعي الجليل محمد بن واسع الأزدي مقام كبير في الجهاد على الرغم من ضعف بنيته و تقدم سنه ، ألم يقل الله عز وجل حينما أمر المؤمنين أن يجاهدوا قال:

(انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً)

[سورة التوبة: الآية 41]

إن كنت خفيفاً شاباً أو ثقيلاً هرماً ، و سيدنا أبو أيوب الأنصاري كان يغزو بلاد الروم في الثمانين من عمره و قبره في استنبول ، في القسطنطينية سابقاً ، و كان شاب هو أسامة بن زيد لا تزيد سنه عن سبعة عشر عاماً كان قائداً لجيش المسلمين ، و في جيشه عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب عظمة الإسلام أنه يستوعب كل الأعمار.

هناك حديث للنبي الأعظم فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي ، حديث للنبي عليه الصلاة و السلام:

((المرء بأصغريه قلبه و لسانه))

دخل مرة على سيدنا عمر بن عبد العزيز وفد المهنئين ، تقدمهم غلام صغير فانزعج منه و قال: أيها الغلام اجلس و ليقم من هو أكبر منك سناً ، فقال هذا الغلام الذي لا تزيد سنه عن عشرة أعوام أصلح الله الأمير ، المرء بأصغريه قلبه و لسانه ، فإذا وهب الله العبد لساناً لافظاً و قلباً حافظاً فقد استحق الكلام ، و لو أن الأمر كما تقول لكان في الأمة من هو أحق منك بهذا المجلس ، المرء بأصغريه قلبه و لسانه ، و قالوا: العالم شيخ و لو كان حدثاً ، و الجاهل حدث و لو كان شيخاً.

إذاً مقدمة جميلة و رائعة و نتابع في رحاب الشخصية الإسلامية الفذة التي نحن الآن بصددها سيدنا محمد بن واسع الأزدي هذا التابعي الجليل.

كان له مقام كبير في الجهاد على الرغم من ضعف بنيته و تقدم سنه ، فلقد كان جند المسلمين يستروحون بنور الإيمان الذي يتهلل من وجهه السمح ، و ينشطون لحرارة الذكر التي تشع من لسانه العذب ، و يطمئنون إلى دعواته المستجابة في لحظات الشدة و الكرب ، و كان من شأنه إذا أنشب قائد الجيش القتال أن ينادي يا خيل الله اركبي ، يا خيل الله اركبي فلا يكاد جند المسلمين يسمعون نداءه حتى

يهبوا إلى لقاء عدوهم كما تهب الأسود المستنفرة ، و يقبل على ساحة الوغى إقبال الظماء على الماء البرود في اليوم القائظ ، و في معركة من تلك المعارك الطاحنة الضروس برز من صفوف الأعداء فارس لم تقع العين على أجسم منه جسامة ، و لا أشد منه قوة ، و لا أوفى جرأة ، و لا أمضى عزماً ، و طفق يصول و يجول بين الصفوف حتى نحى المسلمين عن مواقعهم ، و بعث الخشية و الهيبة في قلوبهم ، ثم جعل يدعوهم إلى المبارزة متحدياً مستكبراً و يلح في الدعاء فما كان من محمد بن واسع الأزدي صاحب هذه الحلقة إلا أن همّ أن يبرز له ، عند ذلك دبت الحمية في نفوس فرسان المسلمين و أقبل على الشيخ واحد منهم و أقسم عليه ألا يفعل و سأله بأن يترك له ذلك ، فأبرّ الشيخ قسمه و دعا له بالنصر و التأييد ، أقبل كل من الفارسين على عدوه إقبال المنون و تواصلا مصاولة أسدين خادرين فتعلقت بهما عيون الجند و قلوبهم من كل مكان و استمرا ساعة يتصاولان و يتجاولان حتى أخذ الجهد منهما كل مأخذ ثم اختلفا أي تناوبا ضربتين بسيفيهما على رأسيهما في لحظة واحدة فثبت سيف التركي في حديد بيضة الفارس المسلم و نزل سيف المسلم على جبين الفارس التركي فشطر رأسه شطرين و فلق هامته فلقتين ثم عاد الفارس المنتصر إلى صفوف المسلمين في منظر لم تشهد العين مثله قط، فسيف في يده يقطر دماً و سيف مثبت في خوذة يتلمع تحت أشعة الشمس فاستقبله المسلمون بالتهليل و التكبير و التحميد و نظر يزيد بن المهلب إلى ائتلاق السيفين و البيضة و السلاح على الرجل فقال لله أبوه من فارس ، أي رجل هذا ؟ فقيل له إنه رجل باركته دعوات محمد بن واسع الأزدي و المؤمن مستجاب الدعوة و الدعاء سلاح المؤمن ، بل إن الله عز وجل يقول:

(قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ)

[سورة الفرقان: الآية 77]

و الدعاء هو العبادة ، لكن مرة حللت هذه الآية قلت أنت في الدنيا تدعو من ؟ تدعو من أنت مؤمن بوجوده ، ثم تدعو من يسمعك إذا دعوته ، ثم تدعو من هو قادر على تلبية حاجتك ثم تدعو من يحبك و يحب أن يلبي حاجتك ، فأنت لمجرد أن تدعو الله عز وجل أنت مؤمن بوجود الله و بسمعه ، مؤمن بقوته ، مؤمن برحمته ، لذلك الدعاء هو العبادة و مخها أيضاً ، و من لا يدعوني أغضب عليه ، و إن الله يحب من عبده:

((عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا حَتَّى يَسْأَلَ شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ))

[الترمذي]

و إن الله يحب من عبده أن يسأله حاجته كلها ، و إن الله يحب من عبده أن يسأله ملح طعامه ، نحن مقصرون في الدعاء و الناس بين رجلين رجل يستخف بالدعاء و لا يعبأ به فهو بعيد عن الله ، و رجل

آخر يظن أنه إذا دعا و لم يأخذ بالأسباب يستجاب له ، فالحقيقة أنه لابد أن تأخذ الأسباب و كأنها كل شيء و أن تدعو إلى الله عز وجل و كأن الدعاء هو كل شيء ، هذا الموقف المتوازن الذي يحتاجه المسلمون:

((عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ ؟ قَالَ: اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ))

[الترمذي]

أي ناقته ، و كأن السلوك القويم طريق على يمينه واد سحيق ، و على يساره واد سحيق ، فأنت إن أخذت بالأسباب و اعتمدت عليها وحدها فقد أشركت ، و إن لم تأخذ بها فقد عصيت ، و هذا درس يحتاجه المسلمون اليوم ، يقول النبي عليه الصلاة و السلام:

((عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ......قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

[أبو داود ، أحمد]

أي أن نستسلم ، أن نقول هذا قدرنا ، ماذا نفعل ؟ لا حيلة بيدينا ، عليك بالكيس أي عليك بالتدبير ، لا تقل حسبي الله و نعم الوكيل إلا إذا قهرت ، مادام هناك أسباب ينبغي أن تأخذ بها.

إذاً نعود للحديث فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي ، نعود للحديث عن محمد بن واسع الأزدي.

بعد مصرع هذا البطل الصنديد انقلب ميزان القوة بعد هذا المصرع الوبيل فسرى الجزع و الهلع في نفوس المشركين سان النار في الهشيم و اضطرمت نيران النخوة و العزة في صدور المسلمين فأقبلوا على أعداء الله إقبال السيل و أحاطوا بهم إحاطة الغل بالعنق و قطعوا عنهم الماء و الميرة فلم يجد ملكهم بداً من المصالحة ، فبعث إلى يزيد يعرض عليه الصلح ، و يعلن استعداده لتسليمه ما في يده من البلاد بكل ما فيها و من فيها على أن يؤمنه على نفسه و ماله و أهل بيته ، فقبل يزيد مصالحته ، و اشترط عليه أن يقدم له سبعمئة ألف درهم مقسطة ، و أن ينقده أربعمئة ألف معجلة و أن يقدم له أربعمئة دابة محملة زعفراناً و أن يسوق له أربعمئة رجل في يد كل واحد منهم جام من الفضة ، و الجام هو الكأس و على رأسه برنص من الخز و على البرنص طيلسان من القطيفة و سَرَقَةٌ من الحرير لتلبسها نساء الجند ، السرقة أي شقة من الحرير و لما وضعت المعارك أوزارها قال يزيد بن المهلب لخازنه: أحص لنا الغنائم حتى نعطي كل ذي حق حقه ، فحاول الخازن و من معه أن يحصوها فعجزوا عن ذلك ، فقسمت الغنائم بين الجند قسمة قائمة على التسامح ، و قد وجد المسلمون في هذه الغنائم تاجاً مصوغاً من خالص الذهب محلى بالدر و الجوهر ، مزخرفاً بروائع النقوش ، فتطاولت نحوه الرقاب و تسمرت على لآلئه العيون ، فأخذه يزيد بيده و رفعه حتى يراه من لم يستطع رؤيته من الجند ثم قال:

أترون أنَّ أحداً يزهد في هذا التاج ؟ فقالوا: أصلح الله الأمير و من ذا الذي يزهد به ، فقال: سترون أنه مازال في أمة محمد صلى الله عليه و سلم من يزهد به ، و بملء الأرض من مثله ، ثم التفت إلى حاجبه و قال التمس لنا محمد بن واسع الأزدي صاحب هذا اللقاء اليوم ، فانطلق الحاجب يبحث عنه في كل جهة فألفاه قد انتحى مكاناً قصياً عن الناس و انتصب قائماً يتوسل و يدعو و يبتهل و يستغفر فأقبل عليه و قال: إن الأمير يدعوك للقائه و يسألك أن تمضي إليه الساعة ، فمضى مع الحاجب حتى إذا صار عند الأمير حيَّ و جلس قريباً منه ، فرد الأمير التحية بأحسن منها.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 25 : التابعي محمد بن واسع الأزدي
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-12-15

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، و لما، و لما وضعت المعارك أوزارها قال يزيد بن المهلب لخازنه: أحص لنا الغنائم حتى نعطي كل ذي حق حقه، فحاول الخازن و من معه أن يحصوها فعجزوا عن ذلك، فقسمت الغنائم بين الجند قسمة قائمة على التسامح، و قد وجد المسلمون في هذه الغنائم تاجاً مصوغاً من خالص الذهب، محلى بالدر و الجوهر، مزخرفاً بروائع النقوش، فتطاولت نحوه الرقاب و تسمرت على لآلئه العيون، فأخذه يزيد بيده و رفعه حتى يراه من لم يستطيع رؤيته من الجند ثم قال: أترون أنَّ أحداً يزهد في هذا التاج ؟ فقالوا: أصلح الله الأمير و من ذا الذي يزهد به، فقال: سترون أنه مازال في أمة محمد صلى الله عليه و سلم من يزهد به، و بملء الأرض من مثله، ثم التفت إلى حاجبه و قال التمس لنا محمد بن واسع الأزدي صاحب هذا اللقاء، فانطلق الحاجب يبحث عنه في كل جهة فألفاه قد انتحى مكاناً قصياً عن الناس و انتصب قائماً يتوسل و يدعو و يبتهل و يستغفر فأقبل عليه و قال: إن الأمير يدعوك للقائه و يسألك أن تمضي إليه الساعة، فمضى مع الحاجب حتى إذا صار عند الأمير حيَّ و جلس قريباً منه، فرد الأمير التحية بأحسن منها، ثم رفع التاج بيده و قال: يا أبا عبد الله إن جند المسلمين قد ظفروا بهذا التاج الثمين و قد رأيت أن أؤثرك به و أن أجعله من نصيبك، فطابت نفوس الجند بذلك، فقال تجعله من نصيبي أنا أيها الأمير مستفهماً ؟ قال: نعم من نصيبك أنت، فقال: لا حاجة لي به أيها الأمير و جزيت و إياهم عنا كل خير، فقال: أقسمت عليك بالله لتأخذنه، فلما وقع قسم الأمير أخذ محمد بن واسع التاج ثم استأذنه و انصرف، فقال بعض الذين لا يعرفون الشيخ: ها هو ذا قد استأثر بالتاج و مضى به، فأمر يزيد غلاماً من غلمانه أن يتبعه مستخفياً عنه و أن ينظر ماذا يصنع بالتاج، و أن يأتيه بالخبر، فتبعه الغلام و هو لا يدري، و مضى محمد بن واسع في طريقه و التاج في يده فعرض له رجل أشعث أغبر زري الهيئة فسأله قائلاً من مال الله، فنظر الشيخ عن يمينه و عن شماله، و من خلفه، فلما استيقن أن أحداً لا يراه دفع بالتاج إلى هذا السائل ثم انطلق فرحاً جزلاً كأنما ألقى عن كاهله عبئاً كاد يثقل ظهره، و أمسك الغلام بيد السائل و أتى به الأمير و قصّ عليه خبره، فأخذ الأمير التاج من السائل و عوض عليه بمال وفير حتى أرضاه ثم التفت إلى الجند و قال أما قلت لكم إنه مازال في أمة محمد عليه الصلاة و السلام من يزهد بهذا التاج و أمثاله.

أستاذ جمال كان من أبرز من اتصل بهم محمد بن و اسع الأزدي والي البصرة بلال بن أبي بردة، و كان له مع هذا الوالي مواقف متداولة مشهورة و أخبار مروية مأثورة، من ذلك أنه دخل عليه ذات يوم و هو لابس مدرعة، و المدرعة جبة مشقوقة المقدم و جمعها مدارع دخل عليه و هو لابس مدرعة خشنة من الصوف فقال له بلال الوالي: ما يدعوك إلى لبس هذا الكساء الخشن يا أبا عبد الله ؟ فتشاغل عنه الشيخ و لم يجبه، فنظر إليه و قال: ما لك لا تجيبني يا أبا عبد الله ؟ فقال أكره أن أقول جهداً فأزكي نفسي، و أكره أن أقول فقراً فأشكو ربي و أنا لا أريد هذا و لا ذاك، فقال له: ألك من حاجة فنقضيها يا أبا عبد الله ؟ فقال: أما أنا فمالي من حاجة أسألها أحداً من الناس.

دكتور هذا الكلام الجميل لسيدنا محمد بن واسع الأزدي يعطينا أن المؤمن ممكن أن يكون متوازناً، أي أن يكون معتدلاً، أن يكون وسطياً أموره.

أستاذ جمال يروى أن أحد خلفاء المسلمين و لعله هارون الرشيد كان يحج بيت الله الحرام و هو في الحرم التقى بعالم جليل أراد أن يتقرب إلى الله بخدمته، قال: سلني حاجتك ؟ فقال هذا العالم الجليل: و الله إني لأستحي أن أسأل غير الله في بيت الله، فلقيه خارج الحرم فقال: سلني حاجتك ؟ قال: و الله ما سألتها من يملكها أفأسألها من لا يملكها ؟ قال: ما حاجتك، قال: أريد دخول الجنة و النجاة من النار، قال: هذا ليس لي، قال: إذاً ليس لي عندك حاجة يقول عليه الصلاة و السلام:

((ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير))

و يقول أيضاً:

((عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ))

[الترمذي، ابن ماجه، أحمد]

و قال أيضاً:

((من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه))

فعزة النفس من صفات المؤمن:

اجعل لربك كل عزك يستقر و يثبت فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

إذاً نتابع حول سيدنا محمد بن واسع الأزدي هذا التابعي الجليل.

قال له الوالي: ألك من حاجة فنقضيها يا أبا عبد الله ؟ فقال: أما أنا فمالي من حاجة أسألها أحداً من الناس، و إنما أتيتك في حاجة لأخي المسلم، فإن أذن الله في قضائها قضيتها و كنت محموداً، و إن لم يأذن في قضائها لم تقضها و كنت معذوراً، فقال: بل نقضيها بإذن الله ثم التفت إليه الوالي و قال: ما تقول في القضاء و القدر يا أبا عبد الله ؟ فقال: أيها الأمير إن الله عز وجل لا يسأل عباده يوم القيامة

عن القضاء و القدر و إنما يسألهم عن أعمالهم، أي الصحابة الكرام و التابعون وضعوا أيديهم على جوهر الدين، أي كما قال عليه الصلاة و السلام:

((سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))

[البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، أحمد]

أعرابي أو راع للغنم لقيه عبد الله بن عمر قال: بعني هذه الشاة ؟ قال: ليست لي قال: خذ ثمنها، قال: ليست لي، قال: خذ ثمنها، قال: و الله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها و لو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني، فإن عنده صادق أمين و لكن أين الله ؟ أنا أعلق على هذا أنّ هذا الراعي وضع يده على جوهر الدين، و قد يأتي إنسان و يحفظ و يدرس و ينال الشهادات و ليس مستقيماً على أمره، لم يضع يده على جوهر الدين، و قد قيل: كفاك علماً أن تخشى الله، و كفاك جهلاً أن تعصيه، فقال: ما تقول في القضاء و القدر يا أبا عبد الله ؟ فقال أيها الأمير إن الله عز وجل لا يسأل عباده يوم القيامة عن القضاء و القدر و إنما يسألهم عن أعمالهم، فاستحيا منه الوالي و لاذ بالصمت، و فيما هو جالس عنده حان موعد غدائه، فدعاه الوالي إلى طعامه فأبى ذلك، ألح عليه فجعل يتعلل بشتى العلل، فغضب الوالي و قال: أراك تكره أن تصيب شيئاً من طعامنا يا أبا عبد الله ؟ فقال: لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين، فوالله إن خياركم معشر الأمراء لأحب إلينا من أبنائنا و خاصة أهلينا، و لقد دعي محمد بن واسع الأزدي لتولي منصب القضاء أكثر من مرة فأبى أشد الإباء و عرض نفسه بسبب إبائه للإيذاء، من ذلك أن محمد بن المنذر صاحب شرطة البصرة دعاه إليه و قال: إن أمير العراق طلب مني أن أدعوك لتولي القضاء، فقال: أعفوني من ذلك أعفاكم الله، فعاوده مثنى و ثلاث فأصر على إبائه فقال له: و الله لتتولين القضاء أو لأجلدنك ثلاثمئة جلدة، فقال له: إن تفعل فإنك مسلط، و إن معذب الدنيا خير من معذب الآخرة، فخجل منه و صرفه بالحسنى، و قد كان مجلس محمد بن واسع في مسجد البصرة موئلاً لطلاب العلم و منهلاً لشداة الحكمة و الموعظة و قد حفلت كتب التاريخ و السيرة بأخبار مجالسه هذه، منذلك أن أحدهم قال له: أوصني يا أبا عبد الله فقال أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا و الآخرة، فدهش السائل و قال: و كيف لي بذلك يا أبا عبد الله فقال: ازهد بعرض الدنيا تكن ملكاً هنا بالاستغناء عما في أيدي الناس، و ملكاً هناك بالفوز بما عند الله من حسن الثواب، و قال له آخر: إني لأحبك في الله يا أبا عبد الله، فقال: أحبك الله الذي أحببتني من أجله، ثم ولى و هو يقول: اللهم إني أعوذ بك أن أُحبَّ فيك و أنت لي ماقت هذا يذكرني بأدعية قرأتها في كتاب تركت في نفسي أثراً بليغاً، من هذه الأدعية، اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني، و أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك، فقال: إني أعوذ بك أن أُحبَّ فيك و أنت لي ماقت، و كان كلما سمع ثناء الناس عليه و إطراءهم لتقواه و عبادته يقول لهم:

لو كان للذنوب رائحة تفوح لما استطاع أحد منكم أن يبلغ مني لما يصيبه من أذى رائحتي، تواضعاً هكذا، و قد كان محمد بن واسع لا يفتأ يحض طلابه على التزام كتاب الله عز وجل، و العيش في أكنافه و يقول: القرآن بستان المؤمن فأين ما حلّ منه نزل في روضة، كان كما يوصيهم بقلة الطعام فيقول: من قلّ طعامه فهم و أفهم و صفا و رق و إن كثرة الطعام لتثقل الرجل عن كثير مما يريد.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس 26 : التابعي عبد الرحمن الغافقي
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-12-16

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الرحمن الغافقي أمير الأندلس، فما كاد أمير المؤمنين و خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز ينفض يديه من تراب سلفه سليمان بن عبد الملك حتى بادر يعيد النظر في أمراء الأمصار، أي الولاة و في التعبير المعاصر المحافظين، و يعزل و يولي، و كان في طليعة من استعمله السمح بن مالك الخولاني، فلقد أسند إليه ولاية الأندلس و ما جاورها من الدول المفتوحة من بلاد فرنسا، ألقى الأمير الجديد رحاله في بلاد الأندلس و انطلق يفتش عن أعوان الصدق و الخير فقال لمن حوله، أبقي في هذه الديار أحد من التابعين ؟ فقالوا: نعم أيها الأمير إنه ما يزال فينا التابعي الجليل عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، ثم ذكروا له من علمه بكتاب الله و فهمه لحديث رسول الله و بلائه في ميادين الجهاد و تشوقه إلى الاستشهاد و زهده بعرض الدنيا الشيء الكثير، ثم قالوا له: إنه لقي الصحابي الجليل عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه و عن أبيه، و أنه أخذ عنه ما شاء الله أن يأخذ، و تأسى به أعظم التأسي، أي اقتدى به، دعا السمح بن مالك الخولاني عبد الرحمن الغافقي إلى لقاءه فلما جاءه رحب به أكرم الترحيب، و أدنى مجلسه منه، ثم قعد ساعة من نهار يسأله عن كل ما عنّ له، فإذا هو فوق ما أخبر عنه، و أعظم مما ذكر له، فعرض عليه أن يوليه عملاً من كبير أعماله في الأندلس فقال له: أيها الأمير إنما أنا رجل من عامة الناس و لقد وفد إلى هذه الديار لأقف على ثغر من ثغور المسلمين، و نذرت نفسي لمرضاة الله عز وجل، و حملت سيفي لإعلاء كلمته في الأرض، و ستجدني إن شاء الله تعالى ألزم لك من ظلك ما لزمت الحق، دقق في هذا الشرط لأن سيدنا الصديق قال: أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم، و القاعدة الثابتة أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، و أطوع لك من بنانك ما أطعت الله و رسوله، من غير ولاية و لا إمارة، و القاعدة أن طالب الولاية لا يولى، لأنه يريدها لمكاسبها المادية أما إذا عزف عنها الإنسان إذاً هي تبحث عنه، لم يمض غير قليل من الوقت حتى عزم السمح بن مالك الخولاني على غزو فرنسا كلها و ضمها إلى عقد دولة الإسلام العظمى، و أن يتخذ من ديارها الرحبة طريقاً إلى دخول البلقان، و أن يفضي من دول البلقان إلى القسطنطينية تحقيقاً لبشارة النبي عليه الصلاة و السلام و كانت الخطوة الأولى لتحقيق هذا الهدف الكبير إنما يتوقف على احتلال مدينة أربونة، ذلك أن أربونة كانت من أكبر المدن الفرنسية التي تجاور بلاد الأندلس و كان المسلمون كلما انحدروا من جبال البيرنيه وجدوها تنتصب أمامهم كما ينتصب المارد الجبار، و هي فوق ذلك مفتاح فرنسا الكبرى و مطمح الطامحين، و قد حاصر السمح بن مالك الخولاني

مدينة أربونة ثم عرض على أهلها الإسلام أو الجزية فعزّ عليهم ذلك و أبوه، فهب يهاجمهم الهجمة تلو الأخرى، و يقذفهم بالمنجنيقات حتى سقطت المدينة العريقة الحصينة في أيدي المسلمين بعد أربعة أسابيع من الجهاد البطولي الذي لم تشهد أوروبا نظيراً له من قبل ثم بادر القائد المظفر المنتصر فتوجه بجيشه الجبار إلى مدينة تولوز عاصمة مقاطعة أو كتانيا فنصب حولها المنجنيقات من كل جهة و قذفها بآلات الحرب التي لم تعرف لها أوربا نظيراً من قبل حتى أوشكت المدينة المنيعة الحصينة أن تخر بين يديه، عند ذلك وقع ما لم يكن في حسبان أحد فلنترك الحديث للمستشرق الفرنسي رينو ليسوق لنا خبر تلك المعركة قال: لما أصبح النصر قاب قوسين من المسلمين أو أدنى هبّ دوق أو كتانيا يستنفر لحربهم البلاد و العباد و أرسل رسله فطافوا أوربا من أقصاها إلى أقصاها، و أنذروا ملوكها و أمراءها باحتلال ديارهم و سبي نسائهم و بلدانهم فلم يبق شعب في أوربا إلا أسهم معه بأشد مقاتليه بأساً و أكثرهم عدداً، و قد بلغ من وفرة الجيش و عنف حركته و ثقل وطأته ما لم تعرف له الدنيا نظيراً من قبل حتى إن الغبار المتطاير تحت أقدامه قد حجب عن منطقة الرون عين الشمس، و لما تدانى الجمعان خيل للناس أن الجبال تلاقي الجبال ثم دارت بين الفريقين رحى معركة ضروس لم يعرف التاريخ لها مثيلاً من قبل.

و كان السمح يظهر أمام جنودنا في كل مكان و يتواثب أمام عسكره في كل اتجاه و فيما هو كذلك أصابته رمية من سهم فخر صريعاً عن جواده، فلما رآه المسلمون مجندلاً فوق الثرى فتَّ الموقف في عضدهم و بدأت صفوفهم تتداعى و أصبح في وسع جيشنا الجرار أن يبيدهم عن بكرة أبيهم، لولا أن تداركتهم العناية الربانية بقائد عبقري عرفته أوربا فيما بعد هو عبد الرحمن الغافقي ـ الكلام للمستشرق.

إذاً هنا سماحة الشيخ محمد راتب النابلسي تتجلى عظمة هذه الشخصية العظيمة عبد الرحمن الغافقي الذي شهد له القاسي و الداني و هنا بدأت أيضاً معالم جديدة. الآن بدأت تظهر شخصيتنا فتولى أمر انسحابهم بأقل قدر من الخسائر و الانسحاب أحياناً نوع من النصر، سيدنا خالد حينما حقن دماء الصحابة و انسحب سريعاً تهمه بعض أهل المدينة بأنه فرّار، فقال عليه الصلاة و السلام: بل كرّار.

تولى عبد الرحمن الغافقي أمر انسحابهم بأقل قدر من الخسائر لكنه عقد العزم على أن يعيد الكرة علينا من جديد ـ الكلام لهذا المستشرق ـ و بعد فهل رأيت الغيوم كيف تنقشع عن البدر في الليلة الظلماء فيستضيء بنوره التائهون و يهتدي بسناه الحيارى ؟ هكذا انقشعت معركة تولوز عن بطل الإسلام عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، و هل أبصرت العطاش الموفين على الهلاك في جوف الصحراء كيف يلوح لهم الماء فيمدون أيديهم إليه ليغترفوا منه غرفة ترد إليهم الحياة ؟ هكذا مدّ جند المسلمين أيديهم إلى القائد العظيم ينشدون عنده النجاة و يبايعونه على السمع و الطاعة، و لاغرو فقد كانت معركة تولوز أول جرح غائر أصيب به المسلمون منذ وطأت أقدامهم أوربا، و كان عبد الرحمن الغافقي بلسم

هذا الجرح و اليد الحانية التي أحاطته بالعناية و الرعاية و القلب الكبير الذي أفاض عليه الحنان.

أرمضت أنباء النكسة الكبرى التي مني بها المسلمون في فرنسا فؤاد الخلافة في دمشق، و أجج مصرع البطل الكمي السمح بن مالك الخولاني في صدرها نار الحمية للأخذ بالثأر، فأصدرت القيادة في دمشق إقرارها بإقرار الجند على مبايعتهم لعبد الرحمن الغافقي و عهدت إليه بإمارة الأندلس من أقصاها إلى أقصاها، هذا الدعم من العاصمة جاء، و ضمت إليه ما جاورها من الأراضي الفرنسية المفتوحة و أطلقت يده في العمل كيفما يشاء، و لا غرو فقد كان الغافقي حازماً صارماً تقياً نقياً حكيماً مقداماً، بادر عندئذ عبد الرحمن الغافقي منذ أسندت إليه إمارة الأندلس يعمل على استعادة ثقة الجند بأنفسهم و استرداد شعورهم بالعزة و القوة و الغلبة، و تحقيق الهدف الكبير الذي طمح إليه قادة المسلمين في الأندلس ابتداء من موسى بن نصير و انتهاء بالسمح بن مالك الخولاني، فلقد انعقدت همم هؤلاء الأبطال على الانطلاق من فرنسا إلى إيطاليا و ألمانيا و الإفضاء منهما إلى القسطنطينية و جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية و تسميته ببحر الشام بدلاً من بحر الروم، لكن عبد الرحمن الغافقي كان يوقن بأن الإعداد للمعارك الكبرى كان يبدأ بإصلاح النفوس و تزكيتها، و يعتقد أنه ما من أمة تستطيع أن تحقق غاياتها في النصر إذ كانت حصونها مصدعة مهددة من الداخل، لذلك هبّ يطوف بلاد الأندلس بلداً إثر بلد و يأمر المنادين أن ينادوا في الناس، من كانت له مطلبة عند والٍ من الولاة أو قاضٍ من القضاة أو أحدٍ من الناس فليرفعها إلى الأمير، هذا انطلاق صحيح، حتى نزول المطر يحتاج فضلاً عن الاستسقاء إلى رد المظالم، كذلك الانتصار في المعارك يحتاج فضلاً عن إعداد العدد إلى رد المظالم، و أنه لا فرق في ذلك بين المسلمين و غيرهم من المعاهدين، لأن النبي عليه الصلاة و السلام يقول:

((عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ))

[البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، أحمد، الدارمي]

و لو كان كافراً، ثم طفق ينظر في المظالم مظلمة مظلمة، فيقتص للضعيف من القوي و يأخذ للمظلوم من الظالم، الحقيقة هذا القائد العظيم يعرف قوانين الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 1 : الصحابي كعب بن مالك .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1997-01-12

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:

أستاذ راتب قصة كعب بن مالك قصة لها وقعها وتأثيرها بداية لو سمحتم أن نلقي الضوء حول هذه الشخصية الفذة، من صحابة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام، كعب بن مالك.

الأستاذ:

أستاذ جمال لهذا الصحابي الجليل سيدنا كعب بن مالك قصة رائعة مع رسول الله يمكن أن نستنبط منها عشرات المواعظ، فقد قال هذا الصحابي الجليل، لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنه، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله تعالى بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة.

المذيع:

أستاذ راتب ما هذا الصدق مع الله عز وجل ؟

الأستاذ:

الحقيقة أخ جمال أن هذا الصدق هو الذي نجاه، الصدق منجاة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً واستقبل عدداً كثيراً فجل للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوتهم فأخبرهم وجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرٌ لا يجمعهم كتاب حافظ. قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما لم ينزل فيه وحي من الله تعالى وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أميل، فتجهز النبي عليه الصلاة والسلام والمسلمون معه وطفقت أغدو لكي أتجهز معه فأرجع فلم أقض شيئاً، وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه ولم أقض من

جهازي شيئاً، ثم غدوت ورجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارق الغزو فهممت أن أرتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت، ثم لم يقدر ذلك لي فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى لي أسوةً إلا رجلاً مغموساً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء، ولم يذكرني النبي عليه الصلاة والسلام حتى بلغ تبوك، وكان هذا من عادته، كان عليه الصلاة والسلام يفقد أصحابه، قال وهو جالس في القوم في تبوك: ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه، والنظر إلى عطفيه، فقال له معاذ بن جبل: لا يا رسول الله والله ما علمنا عليه إلا خيراً، كان أصحاب النبي يدافع بعضهم عن بعض أمام النبي.

المذيع: وهذا معنى الأخوة الصادق.

الأستاذ:

والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت النبي عليه الصلاة والسلام، فبينما هو على ذلك رأى رجلاً يزور به الثراب فقال عليه الصلاة والسلام كن أبا خثيمة، فإذا هو أبو خثيمة الأنصاري وهو الذي تصدق بصاع تمر حينما هزمه المنافقون.

قال كعب: فلما بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بثي، يعني حضرني حزني، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول بماذا أخرج من سخط رسول الله غداً ؟ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أضل قادماً زاح عني الباطل حتى عرفت أني لم أنج منه بشيء أبداً ـ موطن القصة شاهدها الكبير هذه الكلمة ـ فأجمعت صدقاً يعني قررت أن أكون صادقاً معه، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً، وكان إذا قدم من سفرٍ بدأ في المسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس بالناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون إليه كعادتهم ويحلفون كذباً وكانوا بضعاً وثمانون رجلاً، فقبل منهم عليه الصلاة والسلام أعذارهم وعلانيتهم وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى، لأن الله لا تخف عليه خافية، حتى جئت فلما سلمت تبسَم تبسُم المغضب ثم قال: تعالى فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهراً ؟ قلت يا رسول الله والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدلاً، يعني أعطيت قوة إقناع، عندي لسان طليق لقد أعطيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذبٍ ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطنك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد به علي يعني تغضب مني إني لأرجو فيه عقب الله عز وجل، الآن يقول: والله يا رسول الله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حينما تخلفت عنك هذا هو الصدق وهذا هو التوحيد، لو أنه اعتذر له بعذرٍ يرضيه لأوشك الله أن يسخطه عليه.

المذيع: صدق مع الله ورسوله.

الأستاذ:

فقال عليه الصلاة والسلام: دقق في هذه الكلمة أخ جمال، قال عليه الصلاة والسلام: أما هذا فقد صدق، أشار إلى أن هؤلاء الثمانين الذين اعتذروا إليه هم كاذبون، أما هذا فقد صدق، قم حتى يقضي الله فيك، وسار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا، لقد عجزت في إلا أن تكون اعتذرت إلى النبي عليه الصلاة والسلام كما اعتذر به هؤلاء فقد كان كافيك ذنبك استغفار النبي عليه الصلاة والسلام لك، قال فوالله مازالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى النبي فأكذب عليه، ثم قلت لهم هل لقي هذا معي من أحد ؟ قالوا نعم، لقيه معك رجلان، قالا ما قلت، وقيل لهما مثل ما قيل لك، قلت من هما، قال مرارة بن ربيعة العمري، وهلال بن أمية الواقفي، قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامنا نحن الثلاثة، من بين من تخلف عنهم قال فجتنبنا الناس، أو قال تغيروا لنا، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف، فلبسنا على ذلك خمسين ليلةً فأما صاحبايا فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم، يعني أكثرهم شباباً، وأجلدهم فكنت أخرج وأشهد الصلاة، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه في رد السلام أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه، وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتاده وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام، قلت له يا قتاده أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله فسكت، فعدت فنشدته فسكت، فعدت فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذ نبطي من أنباط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه في المدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاءني فدفع إلي كتاباً من ملك الغسان، وكنت كاتباً، يعني كنت أقرأ فقرأته فإذا فيه، أما بعد، فإنا قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان، ولا مضيعة فالحق بنا نواسيك، فقلت حينما قرأتها، وهذه أيضاً من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها أي أحرقتها، حتى إذا مضت أربعون من الخمسين جاءني رسول من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لي: إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت أطلقها، أم ماذا أفعل ؟ قال لا بل اعتزلها فلا تقربنها، وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما يشاء، وفي صباح الليلة الخمسين من هذه القطيعة المرة، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا.

(حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ)

(سورة التوبة: 118)

وسمعت صوت صارخ على جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر فخررت ساجداً، وعرفت أنه قد جاء الفرج، فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله عز وجل علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبي يبشرون فركض رجل إلى فرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته، ثم دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يهرول حتى صافحني، وهنئني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره فكان كعب لا ينساها لطلحة، قال كعب فلما سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور، قال أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، فقلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال بل من عند الله عز وجل وكان عليه الصلاة والسلام إذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك من رسول الله.

(لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)

(سورة التوبة: 117)

(وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا)

(سورة التوبة: 118)

هذه قصة بنيت على الصدق.

وصدق الله العظيم، وصدق النبي الكريم، ورحم الله الصحابي الجليل كعب بن مالك.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 2 : الصحابي سراقة بن مالك
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1997-01-14

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:

أستاذ راتب سراقة بن مالك هذا الصحابي الجليل، حبذا لو نلقي الضوء بشيء من الإيضاح على شخصية هذا الصحابي الجليل تفضل.

الأستاذ:

سراقة بن مالك فارس من فرسان قومه المعدودين، طويل القامة عظيم الهامة، بصير باقتفاء الأثر، صبور على أهوال الطريق وكان إلى ذلك كله، أريباً، لبيباً، شاعراً، وكانت فرسه من عتاق الخيل.

المذيع:

ما معنى كلمة أريب ؟

الأستاذ:

فطـن.

بلغه أن قريش أعدت مائة ناقة لمن يأتي برسول الله حياً أو ميتاً، فلبس سراقة لأمته ؛ أي درعه، وتقلد سلاحه وامتطى صهوة فرسه، وطفق يغز السير ليدرك محمداً قبل إن يأخذه أحدٌ سواه ويظفر بجائزة قريش، مضى سراقة يطوي الأرض طياً، لكنه ما لبث أن عثرت به فرسه وسقط عن صهوتها فتشاءم من ذلك وقال ما هذا تباً لكِ من فرس، وعل ظهرها غير أنه لم يمضي بعيداً حتى عثرت به مرة أخرى، فأزداد تشاءماً، وهمَّ بالرجوع، فما رد عن همه إلا طمعه بالنوق المائة، التي وضعتها قريش لمن يأتي بمحمد صلى الله عليه وسلم، حياً أو ميتاً، وهذا في أثناء الهجرة، لم يبتعد سراقة كثيراً عن مكان عثور فرسه، حتى أبصر محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه فمد يده إلى قوسه، لكن يده جمدت في مكانها، ذلك لأنه رأى قوائم فرسه تسيخ في الأرض ـ أي تغوص في الأرض ـ والدخان يتصاعد من بين يديها، ويغطي عينيه وعينيها، فدفع الفرس فإذا هي قد رسخت في الأرض كأنما سمرت فيها من مسامير من حديد، فالتفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه وقال بصوت ضارع: يا هذان ادعوا لي ربكما أن يطلق قوائم فرسي، ولكما علي أن أكف عنكما، فدعى النبي صلى الله عليه وسلم، فأطلق الله له قوائم فرسه.

المذيع:

أستاذ راتب هل يعد هذا من معجزات النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام ؟

الأستاذ:

نعم، لأن الله عز وجل يقول:

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)

(سورة المائدة: 67)

النبي عليه الصلاة والسلام واثق من أن الله سبحانه وتعالى يعصمه ويعصم هذه الدعوة التي هي دعوة الله، لكن أطماعه ما لبثت أن تحركت من جديد فدفع فرسه نحوهما، فساخت قوائمها هذه المرة أكثر من ذي قبل، فاستغاث بهما وقال: إليكما زادي، ومتاعي وسلاحي فخذاه، ولكما علي عهد الله أن أرد عنكما من ورائي من الناس، فقالا له: لا حاجة لنا بزادك، ومتاعك، ولكن رد عنا الناس ثم دع له رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت فرسه، فلما هم بالعودة ناداهم قائلاً تريثوا أكلمكم فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه فقالا له ما تبتغي منا، فقال: والله يا محمد إني لأعلم أنه سيظهر دينك ويعلو أمرك فعاهدني إذا أتيتك في ملكك أن تكرمني، واكتب لي بذلك.

المذيع:

أستاذ راتب ما نوع هذا الإيمان الذي أمن به سراقه ؟

الأستاذ:

نوع هذا الإيمان أستاذ جمال، إيمان الفطرة، الله سبحانه وتعالى يقول:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8))

(سورة الشمس: 7 - 8)

وفي آية أخرى:

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)

(سورة الروم: 30)

إنه إيمان الفطرة.

فأمر النبي عليه الصلاة والسلام الصديق، فكتب له على لوح من عظم ودفعه إليه.

ولما هما بالانصراف قال له النبي صلى الله عليه وسلم:

دقق في هذا القول !

وكيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى ؟

فقال سراقة في دهشة ! كسرى بن هرمز !

فقال عليه الصلاة والسلام: نعم، كسرى بن هرمز.

شيء لا يصدق.

المذيع:

بالواقع أستاذ راتب من هنا بدأت المعجزة.

الأستاذ:

أن أعرابياً من البادية سيلبس سواري كسرى ابن هرمز، وهو من أعظم حكام الدنيا، عاد سراقة أدارجه فوجد الناس قد أقبلوا ينشدون رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويطلبونه، فقال لهم أرجعوا فقد نفضت الأرض نفضاً بحثاً عنهم وأنتم لا تجهلون مبلغ بصري بالأثر فرجعوا ثم كتم خبره مع محمد وصاحبه حتى أيقن أنهما بلغا المدينة وأصبحا في مأمنٍ من عدوان قريش، عند ذلك أذاعه فلما سمع أبو جهل بخبر سراقة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وموقفه منه لامه على تخاذله، وجبنه، وتفوته الفرصة.

تروي كتب التاريخ، أن سراقة كان شاعراً كم قلت قبل قليل فأجابه شعراً:

قال أبا حكمٍ والله لو كنت شاهداً بأمر جوادي إذا تصوغ قوائمه علمت ولم تشـــــكك بأن محمداً رسول ببرهان فمـن ذا يقاومــه

أستاذ جمال ثم دارت الأيام دورتها فإذا بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي خرج من مكة طريداً، شريداً، مستتراً بجنح الظلام يعود إليها سيداً، فاتحاً، تحث به الألف المؤلف من بيض السيوف وسمر الرماح، وإذا بزعماء قريش الذي ملئوا الأرض عنجهية وغطرسة، يقبلونا عليه خائفين واجفين يسألونه الرأفة ويقولون ماذا عساك تصنع بنا ؟

فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: في سماحة القواد العظام أذهبوا فأنتم الطلقاء.

المذيع:

أستاذ راتب تحت أية آية كريمة يندرج هذا الموقف العظيم ؟

الأستاذ:

الله جل جلاله يقول:

(كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي)

(سورة المجادلة: 21)

وفي آية أخرى:

(وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83))

(سورة القصص: 83)

وفي آية ثالثة:

(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47))

(سورة الروم: 47)

وفي آية رابعة:

(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)

(سورة محمد: 7)

عند ذلك أعد سراقة ابن مالك راحلته، ومضى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليعلن إسلامه بين يديه، ومعه العهد الذي كتب له قبل عشر سنوات.

قال سراقة: لقد أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بالجعران وهي مكان بين مكة والطائف، فدخلت في كتيبة من الأنصار، فجعلوا يقرعونني بكعوب الرماح ويقولون: إليك، إليك ماذا تريد ؟ فما زلت أشق صفوفهم حتى غدوت قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فرفعت يدي بالكتاب وقلت يا رسول الله: أنا سراقة بن مالك وهذا كتابك لي، فقال عليه الصلاة والسلام: أدنو مني يا سراقة أدنو، هذا يوم وفاء وبر، فأقبلت عليه وأعلنت إسلامي بين يدي ونلت من خيره وبره.

لكن لم يمضي على لقاء سراقة بن مالك برسول الله صلى الله عليه وسلم غير بضعة أشهر، حتى أختار الله نبيه إلى جواره، فحزن عليه سراقة أشد الحزن، وجعل يتراء له ذلك اليوم الذي هم فيه بقتله من أجل مائة ناقة، وكيف أن نوق الدنيا كلها، قد أصبحت اليوم لا تساوي عنده قلامة من ظفر النبي، وجعل يردد ويقول: كيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى دون إن يخامره شك في أنه سيلبسهما.

المذيع:

أستاذ راتب السؤال هنا كيف نفسر مقولة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام هذه ؟

الأستاذ:

هذه المقولة تفسر بأن النبي عليه الصلاة والسلام، مؤمن بأنه رسول الله، ومؤمن بأن الله سينصره، وهذه ثقة النبي بالنصر، حتى حينما كانت الدعوة في أدنى مستوياتها، كان عليه الصلاة والسلام يقول: إن الله ناصر نبيه.

ثم دارت الأيام دورتها كرة أخرى، وآل أمر المسلمين إلى الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهبت جيوش المسلمين في عهده المبارك على مملكة فارس، كما يهب الإعصار، فطفقت تدك الحصون، وتهزم الجيوش وتهز العروش، وتحرز الغنائم حتى أدان الله على يديه دولة الأكاسرة، وفي ذات يوم من أواخر أيام خلافة عمر قدم على المدينة رسل سعد بن أبي وقاص يبشرون خليفة المسلمين بالفتح، ويحملون إلى بيت مال المسلمين خمس ألفي الذي غنمه الغزاة في سبيل الله، فلما وضعت الغنائم بين يدي عمر، نظر إليها في دهشة، فقد كان فيها تاج كسرى المرصع بالدر، وثيابه المنسوجة بخيوط الذهب، ووشاحه المنظوم بالجوهر، وسواره اللذان لم ترى العين مثلهما قط، وما لا حصر له من النفائس الأخرى، فجعل عمر يقلب هذا الكنز الثمين بقضيب كان في يديه، ثم ألتفت إلى من حوله وقال:

إن قوم أدوا هذا لأمناء، فقال له علي بن أبي طالب وكان عندئذ حاضراً، إنك عففت فعفت رعيتك يا أمير المؤمنين، ولو ركعت لركعوا، وهنا دعا الفاروق رضوان الله عليه سراقة بن مالك فألبسه قميص كسرى، وسراويله، وقبائه وخفيه، وقلده سيفه، ومنطقته ووضع على رأسه تاجه، وألبسه سواري نعم سواري، هذه القصة تلخصها الآية الكريمة:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي)

(سورة النور: 55)

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 3 : الصحابي زيد الخير
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1997-01-16

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:

أستاذ راتب نسمع من خلال قراءتنا لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم نسمع عن اسمٍ أسمه زيد الخير، هذا الصحابي الجليل حبذا بداية لو نلقي الضوء ماذا تعني قصة زيد الخير ؟

الأستاذ:

قصة زيد الخير تعني تجسيدنا لحديث شريف، يقول عليه الصلاة والسلام: يا معاذ أخلص دينك يكفيك القليل من العمل.

فقصة زيد الخير تعني الإخلاص.

لما بلغت أخبار النبي عليه الصلاة والسلام سمع زيد الخيل وهذا أسمه في الجاهلية، وقف على شيءٍ مما يدعو إليه، عندئذ أعد راحلته، ودعا السادة الخبراء من قومه إلى زيارة يثرب، ولقاء النبي عليه الصلاة والسلام، فركب معه وفد كبير من قومه، فيهم جر بن سدوس، فلما بلغوا المدينة، توجهوا إلى المسجد النبوي الشريف وأناخوا ركائبهم ببابه، وصادف عند دخولهم، أنه كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، يخطب في أصحابه، من فوق المنبر فراعهم كلامه، وأدهشهم تعلق المسلمين به، وإنصاتهم له، وتأثرهم بما يقول، ولما أبصرهم النبي عليه الصلاة والسلام قال: ـ يخاطب المسلمين ـ إني خيرٌ لكم من العزى، ومن كل ما تعبدون، إني خيرٌ لكم من الجمل الأسود ؛ الذي تعبدونه من دون الله.

لقد وقع كلام الرسول صلوات الله وسلامه عليه في نفس زيد الخيل ومن معه موقعين مختلفين، فبعضهم استجاب للحق وأقبل عليه والبعض الآخر تول عنه واستكبر عليه، فريق في الجنة، وفريق في السعير.

أما جر ابن سدوس، فما كاد يرى رسول الله صلوات الله عليه في موقفه الرائع، تحثه القلوب المؤمنة، وتحوطه العيون الحانية حتى دب الحسد في قلبه وملئ الخوف فؤاده، ثم قال لمن معه: إني لأرى رجلاً ليملكن رقاب العرب، والله لا أجعلنه يملك رقبتي أبداً، ثم توجه إلى بلاد الشام وحلق رأسه وانحرف.

وأما زيد والآخرون فقد كان لهم شأنٌ آخر، فما إن انتهى النبي صلوات الله وسلامه عليه من خطبته، حتى وقف زيد الخيل بين جموع المسلمين، وكان من أجمل الرجال جمالاً، وأتمهم خلقة وأطولهم قامة، حتى إنه كان يركب الفرس، فتخط رجلاه على الأرض، وقف بقامته المشوقة وأطلق صوته الجهير وقال: يا محمد أشهد أنه لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

المذيع:

أستاذ راتب لقد استمعوا إلى كلام واحد، ووقفوا منه موقفين حبذا لو نوضح هذا المعنى.

الأستاذ:

أخ جمال هذا يؤكد أن الإنسان مخير، لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب، ولو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب ولو تركهم هملاً لكان عجزاً في القدرة، إن الله أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعصى مغلوباً، ولم يطع مكرهاً.

قال تعالى:

(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (3))

(سورة الإنسان: 3)

(وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ)

(سورة البقرة: 148)

(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى)

سورة فصلت: 17)

لولا الإنسان مخير لما كان هناك من قيمة للجنة، ولا للطاعة ولا للثواب.

المذيع:

شكراً جزيلاً على هذا الإيضاح أستاذ راتب، نعود والعود أحمد إلى قصة سيد الخير هذا الصحابي الجليل.

الأستاذ:

حينما سمع النبي هذا الكلام من زيد الخيل أقبل عليه وقال له من أنت ؟

قال له أنا زيد الخيل.

فقال عليه الصلاة والسلام: بل أنت زيد الخير، غير اسمه بل أنت زيد الخير، لا زيد الخيل، الحمد لله الذي جاء بك من سهلك وجبلك ورقق قلبك للإسلام.

فعرف بعد ذلك بزيد الخير، ثم مضى به النبي صلى الله عليه وسلم إلى منزله ومعه عمر بن الخطاب، ولفيف من الصحابة الكبار فلما بلغوا البيت طرح الرسول صلى الله عليه وسلم له متكئاً، فعظم على زيد أن يتكئ في حضرة النبي فرد المتكئ، ومازال النبي يعيده وزيد يرده تأدباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المذيع:

أستاذ راتب السؤال الذي يتبادر إلى الذهن من خلال سماع قصة هذا الصحابي الجليل زيد الخير،

السؤال هنا أيعقل أن يتأدب بأدب الإسلام ولم يمضي على إسلامه إلا وقت قصير ؟ يا ليت نوضح هذا المعنى، وهذا السر، في الموضوع ؟

الأستاذ:

أخ جمال: المؤمن إذا صدق في إيمانه، يحرق المراحل ولا يقطعها، فحينما يخلص الإنسان في معرفة الله، وحين يتوجه إليه بصدق يجد أن الزمن قد فقد معناه، وأصبح في طريق سريع إلى الله عز وجل.

ولما استقر بهم المجلس قال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد الخير:

يا زيد الخير.

ما وصف لي رجل قط، ثم رأيته، إلا وكان دون ما وصف إلا أنت يا زيد.

ثم قال له يا زيد: إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله.

قال وماهما يا رسول الله ؟

قال الأناة، والحلم.

فقال زيد: الحمد لله الذي جعلني على ما يحب الله ورسوله ثم التفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أعطني يا رسول الله ثلاثمائة فارس، وأنا كفيل لك، بأن أغير بهم على بلاد الروم، وأنال منهم.

فأكبر النبي الكريم همته هذه وقال له: لله درك يا زيد، أي رجل أنت ؟

ثم أسلم مع زيد جميع من صحبه من قومه، ولما هم زيد بالرجوع هو ومن معه إلى ديارهم في نجد، ودعه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أي رجل هذا ! كم سيكون له من الشأن لو سلم من وباء المدينة، وكانت المدينة المنورة أنذاك موبوءةً بالحمة، فما إن بارحها زيد الخير حتى أصابته فقال لمن معه جنبوني بلاد قيس فقد كانت بيننا حماسات من حماقات الجاهلية، ولا والله لا أقاتل مسلماً حتى ألقى الله عز وجل.

المذيع:

أستاذ راتب من خلال هذا الحديث، ومن خلال الصفتين الكريمتين اللتين وصف بهما رسول صلى الله عليه وسلم، زيد الخير بالحلم، والأناة، يا يليت نسلط الضوء على هاذين المعنيين.

الأستاذ:

أخ جمال:

الأناة ؛ الهدوء، والتوءدة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: لا يكون الفرق في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شأنه، في العجلة الندامة، وفي التأني السلامة، فالأناة أن تكون هادئاً، متبصراً متأملاً، لا تتخذ قراراً بسرعة ارتجالاً، بل تعد لكل شيء عدته وتهيئ لكل كلام حكمته، هذا ما تعنيه الأناة.

أما الحلم هو سيد الأخلاق، وكاد الحليم أن يكون نبياً، وكأنما مكارم الأخلاق جمعت في الحلم، والحلم من أخلاق الأنبياء، ولعل الحلم هو الذي يميز المؤمن عن غير المؤمن.

المذيع:

إذاً نعود لو سمحتم إلى صور من حياة الصحابة، والصحابي الجليل زيد الخير.

الأستاذ:

تابع زيد الخير سيره نحو ديار أهله في نجد، على الرغم من أن وطئت الحمى كانت تشتد عليه ساعة بعد أخرى، فقد كان يتمنى أن يلقى قومه، وأن يكتب الله لهم الإسلام على يده، وطفق يسابق المنية والمنية تسابقه لكنها ما لبثت أن سبقته فلفظ أنفاسه الأخيرة في بعض طريقه، ولم يكن بين إسلامه وموته متسع بأن يقع في ذنب.

أخ جمال قيمة العمل في الإخلاص، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

إنما الأعمال في النيات وإنما لكل امرأ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو وامرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

الإخلاص ينفع معه قليل العمل وكثيره، وعدم الإخلاص لا ينفع معه لا كثيره ولا قليله، أخلص دينك يكفك القليل من العمل، رب درهم سبق ألف درهم، الإخلاص عبادة القلب، الجوارح تعبد الله حينما تمتثل أمر الله، أما القلب يعبد القلب بإخلاصه، والمخلصون نخبة عباد الله الصالحين.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 4 : الصحابي عمر بن الخطاب
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1997-01-18

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:

يا ليت أستاذ راتب مع بداية هذا الحديث أن نسلط الضوء بشيئ من الإيضاح حول شخصية سيدنا عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه.

الأستاذ:

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عملاق الإسلام لقد جسد هذا الخليفة العظيم بسلوكه قيم الحق والخير، في أبها صورها جسدها بمواقفه وأحكامه، فكان بحق بطل مبدأ، مضى نحو تحقيقه من دون أن ينظر إلى الثمن.

ففي خلافته جاءه إلى المدينة جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة، يعلن إسلامه، يرحب به عمر، لكن بدوياً من فزاره يدوس إزار الملك الغساني، في أثناء طوافه حول الكعبة.

المذيع:

من دون قصد.

الأستاذ:

من دون قصد طبعاً، فيغضب الملك غضباً شديداً، ويلتفت إلى هذا البدوي فيضربه ويهشم أنفه. ماذا يفعل هذا الأعرابي ؟ ليس أمامه إلا إن يشكوه إلى عمر شكاه إلى عمر !.

فقال سيدنا عمر: ائتوني به.

فلما مثل جبلة بن الأيهم في حضرة عمر.

سأله يا ابن الأيهم، جاءني هذا الصباح مشهد يبعث في النفس المرارة بدوي من فزاره، بدماء تتظلم، بجراح تتكلم، مقلة غارت وأنف قد تهشم، وسألناه فألقى فادح الوزر عليك، بيديك، أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح.

أخ جمال هذا الحوار صاغه أحد الشعراء شعراً، آثرتم النص الشعري.

فأجاب جبلة: لست ممن ينكر أو يكتم شيئا، أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيديا.

قال عمر: أي حق يا ابن أيهم، عند غيري يقهر المستضعف العافي ويظلم، عند غيري جبهة بالإثم بالباطل تلطم، نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها، أقمنا فوقها صرحاً جديدا، وتساوى الناس

لدينا أحرار وعبيدا، أرض الفتى، لا بد من إرضائه، مازال ظفرك عالقاً بدمائه، أو يهشمن الآن أنفك وتنال ما فعلته كفك.

قال جبلة متعجباً !! كيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟! هو سوقا من عامة الناس، هو سوقة وأنا صاحبه تاج، كيف ترضى إن يخر النجم أرض، كان وهماً ما مشى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز، أنا مرتد إذا أكرهتني.

فقال عمر: عنق المرتد بالسيف تحز، عالم نبنيه كل صدع فيه، بشبا السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى.

المذيع:

أستاذ راتب، هذه الصورة عن عدل سيدنا عمر رضي الله عنه الذي سميا بالفاروق حبذا وهذه صورة من صور هذا الصحابي الجليل حبذا لو نتحدث عن صورة في رحمة سيدنا عمر رضي الله عنه.

الأستاذ:

تعليق قبل أن نتحدث عن رحمته، تعليقي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببعد نظره، أدرك أن التضحية بأكبر شخص، أفضل ألف مرة من أن يضحي بمبدأ، المجتمعات تنتهي حينما تنهار مبادئها ضحى بجبلة ملك الغساسنة وكانت هذه التضحية عنده أهون من أن يضحي بمبدأ في الإسلام وهو العدل.

المذيع:

نعود إلى رحمته، رحمة سيدنا عمر رضي الله عنه.

الأستاذ:

كان في الحديث عن رحمة هذا الخليفة العظيم قصص كثيرة من بعضها كان مرة مع سيدنا عبد الرحمن بن عوف، يتجولان في المدينة، فرأوا قافلة قد أقامت في ظاهر المدينة.

فقال له تعالى نحرسها لوجه الله، جلسا قبالة القافلة، فسمع عمر بكاء طفل فتوجه إلى أمه وقال أرضعيه، فأرضعته، ثم بكى ثانية، وتوجه إليها ثانية وقال أرضعيه، فأرضعته، ثم بكى ثالثة عندئذ أدرك عمر أنها لا ترضعه تتظاهر بإرضاعه، فذهب إليها وكان عصبي المزاج.

قال: يا أمة السوء ألا ترضعينه ؟

قالت: ما شأنك بنا ؟ ومن أنت ؟ إنني أفطمه.

قال: ولما ؟

قالت: لأن عمر لا يعطينا العطاء إلا بعد الفطام.

تروي كتب السيرة أنه ضرب جبهته، وقال ويحك يا عمر كم قتلت من أطفال المسلمين، توجه إلى المسجد وصلى الفجر بأصحابه، ولم يستمع أصحابه إلى نبرات صوته من شدة بكائه، كان يقول ربي هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي أم رددتها فأعزيها، وأصدر من توه قراراً عممه على الأبصار، بأن كل مولد ينال العطاء عند الولادة لا عند الفطام.

مرة أمتنع عن أكل اللحم أشهر طويلة، بسبب مجاعة ألمت بالمدينة، فخاطب بطنه وقال قرقر أيها البطن أو لا تقرقر، فو الله لن تذوق اللحم حتى يشبع منه صبية المسلمين.

المذيع:

ماذا عن شخصية هذا الصحابي الجليل بشيءٍ من الصور توضح ماهية هذه الشخصية ؟

الأستاذ:

هذا الخليفة العظيم أدرك أن القيم لا تجزأ، لذلك كان قدوة لمن حوله، ولا سيما من يلوذ به.

فكان هذا الخليفة العظيم إذا أراد إنفاذ أمرٍ، جمع أهله وخاصته وقال إني قد أمرت الناس بكذا، ونهيتهم عن كذا، والناس كالطير إن رأوكم وقعتم وقعوا، وأيم الله، لا أوتين بواحد وقع فيما نهيت الناس عنه، إلا ضاعفت له العقوبة لمكانه مني.

الآن أخ جمال دقق في هذه الكلمة.

فكانت القرابة من عمر مصيبة ! مصيبة ! لأنه سينال العقاب مرتين، مرة لأنه يستحقه، ومرة لأنه يلوذ بعمر.

المذيع:

أستاذ راتب هل من صورة تدل على هذا المعنى الذي تفضلت به ؟

الأستاذ:

نعم: رأى مرة في الطريق إبلاً سمينة، فقال هذا الصحابي الجليل عملاق الإسلام: لمن هذه الإبل ؟

قالوا هي لابنك عبد الله.

فقال أتوني به، وبدا عليه الغضب.

فلما جاءه، قال لمن هذه الإبل ؟

قال هي لي: اشتريتها بمالي، وبعثت بها إلى المرعى لتسمن فماذا فعلت ؟ يعني أي ذنبٍ ارتكبت ؟ أي معصية وقعت فيها ؟

فقال عمر رضي الله عنه: ويقول الناس: ارعوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين، اسقوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين وهكذا تسمن إبلك يا ابن أمير المؤمنين.

المذيع:

إذاً لها حظوة يعني.

الأستاذ:

نعم، قال له: وهكذا تسمن إبلك يا ابن أمير المؤمنين، أتعلم لماذا هي سمين لأنك ابني ؟ قال له بعد ذلك: بيع هذه الإبل، وخذ رأس مالك، ورد الباقي لبيت مال المسلمين.

المذيع:

أستاذ راتب حبذا لو نختم حديثنا عن هذا الصحابي الجليل بصور أخرى من حياته الكريمة.

الأستاذ:

أخ جمال مرة جاءه رسول من معركة نهوند، فسأله عن واقع المعركة وطمأنه.

لكن هذا الرسول قال: يا أمير المؤمنين مات خلقٌ كثير.

قال من هم ؟

قال: أنت لا تعرفهم.

فبكى عمر بكاء شديد، وقال قولة تكتب بماء الذهب، قال وما ضرهم أني لا أعرفهم إذا كان الله يعرفهم، وما ضرهم أني لا أعرفهم إذا كان الله يعرفهم.

هذا الخليفة الراشد كان إذا أصابته مصيبة، كان يقول الحمد لله ثلاثاً، الحمد لله إذا لم تكن في ديني، والحمد لله إذا لم تكن أكبر منها، والحمد لله إذا ألهمت الصبر عليها.

وكان يكره المظاهر الفارغة، فمرة شاهد في أثناء الطواف رجلاً قد التقط لوزة، وصاح بأعلى صوته من صاحب هذه اللوزة.

فغتاظ منه وقال أكلها يا صاحب الورع الكاذب، كلها، وأرحنا من صوتك هذا ورعٌ كاذب لوزة، من صاحب هذه اللوزة ؟ قال كلها يا صاحب الورع الكاذب.

من أقواله الشهيرة، لست بالخب ولا الخب يخدعني، أي لست من الخبث بحيث أخدع، ولا من السذاجة بحيث أخدع، هذا الموقف العاقل الذكي.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 5 : الصحابي عمير بن وهب
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-01-1997

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ: إنَّ قِصَّة هذا الصحابيّ الجليل تُؤَكِّدُ نُبَوَّةَ النبي صلى الله عليه وسلّم ؛ مِن حَيْثُ مِصْداقِيَّة الوَحْي ومِن حيث أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام يَغْدو أَلَدُّ أعْدائِهِ أعَزَّ أصْدِقائِهِ وأحْبابه، هذه القِصَّة مِن القِصص الفذَّة التي تُبَيِّنُ هذه الخصيصَة التي امْتاز بها النبي عليه الصلاة والسلام ففي ذاتِ ضُحًى تَوَجَّه عُمَيْرٌ إلى المَسْجِد للطَّواف بالكَعْبة والتَّبَرُّك بأصْنامِها فَوَجَد صَفْوان ابن أمَيَّة جالِسًا إلى جانب الحِجْر فأقْبَل عليه وقال: عِمْ صَبَاحًا يا سيِّدَ قُرَيْش ! فقال صَفْوان: عِمْ صباحًا يا أبا وَهْب اِجْلِس نتَحَّدث ساعَةً فإنَّما يُقْطَع الوقت بالحديث، فجَلَس عُمَيْر بإزاء صَفْوان ابن أُمَيَّة، وطَفِقَا الرَّجلان يتذاكَران بدْرًا، ومُصابَهُما العظيم ويُعَدِّدان الأسْرى الذين وَقَعُوا في أيْدي محمَّدٍ وأصْحابه، ويتفَجَّعان على عُظماء قريش ممَّن قَتَلَتْهُم سُيوف المسلمين، وغَيَّبَهُم القليب في أعْماقِه فَتَنَهَّدَ صفْوان ابن أُمَيَّة وقال: ليس والله في عَيْش خير بعْدهم ! فقال: عُمَيْر: صَدَقْتَ والله، ثمَّ سَكَت قليلاً وقال: ورَبِّ الكعْبَة، لولا دُيونٌ عَلَيَّ ليس عندي ما أقْضيها به، وعِيالٌ أخْشى عليهم الضَّياع مِن بعدي لَمضَيْتُ إلى محمَّد وقَتَلْتُه، وحَسَمْتُ أمْرَهُ وكَفَفْتُ شرَّه، ثمَّ قال: وإنَّ في وُجود ابن وَهْبٍ لَدَيْهم ما يَجْعَلُ ذهابي إلى يثْرب أمْرًا لا يُثيرُ الشُّبُهات فصَفْوان ابن أُمَيَّة اغْتَنَم كلام ابن وَهْب ولم يشأ أن يُفَوِّتَ هذه الفُرْصة فالْتَفَتَ إليه وقال: يا عُمَيْر، اِجْعَل دَيْنَكَ كُلَّهُ عليّ ، فأنا أقْضيهِ عنك مهما بلَغ ! وأما عِيَالُك فَسأظُمُّهم إلى عِيالي ما امْتَدَّت بي وبهم الحياة وإنَّ في مالي من الكثْرة ما يسَعُهم جميعًا، ويَكْفُل لهم العَيْش الرَّغيد، فقال: عُمَيْر إذاً أكْتُم حديثنا هذا ولا تُطْلِع عليه أحَدًا، فقال صَفوان: لك ذلك .

المذيع: الأستاذ راتب ؛ مِن خِلال حديثكم يتبيَّن أنَّ هناك تعاوُن بين صفوان مع عُمَير على العُدْوان والشرّ، فَكَيْف نتَحَدَّثُ فهذا الإطار ؟

الشيخ: الله جلّ جلاله في كتابه الكريم يقول:

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2))

[سورة المائدة]

وقال علماء التفسير البرّ صلاح الدنيا، والتقوى صلاح الآخرة، وفي الآية نفْسِها نَفْيٌ ؛ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فكأنَّ عُمَير بن وَهْب وصَفوان ابن أُمَيَّة تعاوَنا على العُدوان وتعاوَنا على إطفاء نور الله عز وجل، فقامَ عُمَير من المَسْجد ونيران الحقد تتأجَّج في فُؤادِه، على محمَّد صلى الله عليه

وسلَّم، وطَفِقَ يعُدُّ العُدَّة لإنفاذ ما عَزَمَ عليه، فما كان يَخْشى ارْتِيابَ أحَدٍ في سَفَره، ذلك لأنّ ذوي الأسْرى من القُرَشِيِّين كانوا يتردَّدون على يثْرب سَعْيًا وراء افْتِداء أسراهم .

أمَر عُمَيْر بن وهب بسَيْفِه فَشُحِد، وسُقِيَ سُمًّا، ودعا براحِلَتِهِ فأُعِدَّت له وقُدِّمَت وامْتَطى متنَها، ويَمَّمَ وَجْهَهُ شطْر المدينة، وملىء بُرْدَيْه الضَّغينة والشرّ، وبلغ عُمَيْرٌ المدينة ومضى نحو المَسْجِد يُريد رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، فلمَّا غدى قريبًا من بابه أناخَ راحِلَتَهُ ونزل عنها، وكان عمر بن الخطَّاب آنَذاك جالِسًا مع بعض الصَّحابة قريبًا من المَسْجِد، فحالَتْ مِن عُمَر التفاتي فرأى عُمَيْر بن وَهْب بينزل عن راحِلَتِه ويَمْضي نحو المَسْجِد مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ، فَهَبَّ مَذْعورًا، وقال: هذا عَدُوُّ الله عُمَيْر جاء يُريد شرًا، وقد ألَّب المشركين علينا في مكَّة، وكان عَيْنًا لهم علينا قُبَيْل بدْرٍ، ثمَّ قال لِجُلَسَائِه: اُمْضوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلَّم واحْذَروا أن يَغْدِرَ به هذا الخبيث الماكِر، ثمَّ بادَر عمر بن الخطَّاب إلى النبي صلى الله عليه وسلَّم وقال: يا رسول الله ! هذا عَدُوّ الله عُمَير بن وَهْب قد جاء مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ، وما أظنُّه إلا يُريدُ شرًا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم: أدْخِلْهُ عليّ، فأَقْبَلَ الفاروق على عُمَير بن وَهْب وأخذَهُ بِتَلابيبه، وطوَّق عُنُقَهُ بِحَمَّالِة سَيْفِه، ومضى به نحو رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، فلمَّا رآه النبي عليه الصلاة والسلام على هذه الحال قال لِعُمَر !

المذيع: هنا، يا أُستاذ تتَجَلَّى رحْمة النبي عليه الصلاة والسلام بألدِّ أعْدائِه .

الشَّيْخ: كان عليه الصلاة والسلام يُحِبُّ الإنسان أيَّ إنسان، قال: يا عمر أطْلِقْهُ، فأطْلَقَهُ، ثمّ قال: يا عمر اسْتَأخِر عنه، فتأخَّر عنه ثمَّ تَوَجَّه إلى عمير بن وهب وقال: اُدْنُ مِنِّي يا عُمَيْر، فقال: أنْعِم صباحًا ! وهي تَحِيَّةُ العرب في الجاهِلِيَّة، فقال عليه الصلاة والسلام: لقد أكْرَمَنا الله بِتَحِيَّةٍ خير من تَحِيَّتِك يا عُمَيْر؛ لقد أكرمنا الله تعالى بالسَّلام، وهو تَحِيَّةُ أهْل الجنَّة، فقال عُمَيْر: والله ما أنت ببَعيدٍ عن تَحِيَّتِنا، وإنَّك لحَديث عَهْدٍ بها، فقال عليه الصلاة والسلام: يا عُمَيْر، ما الذي جاء بك إلينا ؟ فقال عُمَيْر: جئتُ أرْجو فكاك هذا الأسير الذي في أيديكم ؟فقال: ما بال السَّيْف التي عاتِقِك، قال: قَبَّحَها الله مِن سُيوف، وهل أغْنَتْ عنَّا يوم بَدْر ؟! قال: اُصْدُقني ! ما الذي جئْتَ له يا عُمَيْر ؟ قال: ما جئتُ إلا لذاك ! قال: بل قَعَدْتَ أنت وصَفْوان بن أُمَيَّة عند الحِجْر فتَذاكَرْتُما أصْحاب القليد مِن صَرْعى قريش، ثمَّ قلْتَ: لولا دَيْنٌ عليَّ، وعِيالٌ عندي لخَرَجْتُ حتَّى أقْتُل محمَّدًا، فتَحَمَّل لك صفوان بن أُمِيَّة دَيْنَكَ وعِيالك على أن تَقْتُلني! والله حائِلٌ بينك وبين ذلك، فَذُهِلَ عُمَيْر لَحْظَةً ثمَّ ما لبث أن قال: أشْهَدُ أنَّك لرسول الله صلى الله عليه وسلَّم .

المذيع: مِن خلال هذا الحديث الرائِع عن هذا الصَّحابيّ الجليل يتَبَيَّن صِدْق نُبُوَّة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام .

الشيخ: لقد أوْحى الله إليه هذا الحديث الذي جرى بين صفوان وعُمَير ومِن أجل أن تكون القِصَّة مُأثَّرَةً لم يعلم أحَدٌ بهذا الحديث، فلمَّا أخبرهُ به النبي عليه الصلاة والسلام، قال: أشْهَد أنَّك محمَّدًا رسول الله ثمَّ أرْدَفَ يقول: لقد كُنَّا يا رسول الله نُكَذِّبُك بما كنت تأتينا به مِن خبر السَّماء، وما ينزل عليك من الوَحْي، لكنّ خبري مع صَفْوان بن أُمَيَّة لم يعْلم به أحَدٌ إلا أنا وهو، ولقد أيْقَنْتُ أنَّه ما أتاك به إلا الله، والحمد لله الذي ساقني إليك سَوْقًا لِيَهْدِيَني إلى الإسلام، ثمّ شَهدَ أنَّه لا إله إلا الله، وأنّ محمَّدًا رسول الله، وأسْلَم، فقال عليه الصلاة والسلام لأصْحابِه فقِّهوا أخاكم في دينِهِ، وعَلِّموه القرآن، وأطْلِقوا أسيرَه .

المذيع: أستاذ راتب النابلسي، ما تعْليقكم وإضافتكم على قَوْل صَفْوان ؟

الشيخ: الحقيقة أنَّ المؤمن الصادق لا يكْره الإنسان غير المؤمن لذاتِه بل يكرهه على عمَلِه، فإنْ اصْطَلَحَ مع الله، أحَبَّهُ، وكان أقْرب الناس إليه ويُؤَكِّدُ هذه الحقيقة أيْضًا أنَّ المسلمون فَرِحوا بإسلام وهب أشَدَّ الفَرَح، حتَّى أنَّ عمر بن الخطَّاب قال: لَخِنْزير كان أحَبَّ إلَيَّ مِن عُمَيْر بن وَهْب حينما قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وهو اليوم أحَبُّ إليَّ من بعض أبنائي، هذه الحقيقة التي ينبغي أنْ نتأكَّد من صِحَّتِها، وفيما كان عُمَير يُزَكِّي نفسَه بِتَعاليم الإسلام، ويُتْرِعُ فؤادَه بِنُور القرآن، ويَحْيى أرْوَعَ أيَّامِه وأغْناها مِمَّن أنْساهُ مكَّة من فيها، كان صَفْوان بن أُمَيَّة يُمَنِّي نفسَهُ الأماني ويمُرّ بِأنْدِيَة قرَيْش، ويقول: أبْشِروا بنبأ عظيم يأتيكم قريبًا فيُنْسيكم وَقْعَة بدْرٍ !

المذيع: أستاذ راتب كيف نُعلِّق على قول صَفْوان ؟

الشيخ: التَّعْليق المناسب أن نتْلُوَ قوله تعالى:

(إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36))

[سورة الأنفال]

ثمّ إنَّه لمَّا طال انْتِظار صَفْوان، والقَلَقُ يتسرَّب إلى نفْسِهِ شيئًا فشَيْئا، حتَّى غدى يتقلَّب على أحَرَّ من الجَمْر، وطفِقَ يسْأل الرُّكْبان على عُمير بن وهب، فلا يجد عند أحَدٍ جوابًا يشْفيه، إلى أن جاءَهُ راكبٌ فقال: إنَّ عُمَيْرً قد أسْلَمَ ! فَنَزَل عليه الخَبَر نُزول الصاعِقَة إذْ كان يظنُّ عمير بن وهب لا يُسْلِم ولو أسْلَم جميع على من ظَهر الأرض ! هذه قِصَّةُ عُمَيْر، التي تُؤَكِّد مِصْداقِيَّة الوَحْي وأنَّ العداوَة ليْسَت دائِمَة لِمُجَرَّد أن يصْطلح غير المؤمن مع الله، ينقلب إلى أخٍ صديقٍ مُحِبّ .

المذيع: في الواقِع ؛ أستاذ يتبيَّن مِن خِلال هذا الحديث الشَّيِّق أنَّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلّم هم مِلِيء القلب والفؤاد دائِمًا، إذْ أنَّ حياتَهم مَلآ بالأشْياء الجميلة والرائعة التي تدل على إيمان كبير بالله عز وجل .

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 6 : الصحابي عكرمة بن أبي جهل .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1997-01-22

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: في البداية، وكما هو دائمًا مَن هو عكرمة ابن أبي جهل ؟

الشيخ: إذا قلنا عِكرِمَة بن أبي جهل، نكون قد عَرَّفْناه، فأبا جَهْلٍ كان مِن ألدِّ أعداء النبي عليه الصلاة والسلام، لكنَّ مَغْزى هذه القِصَّة قِصَّةِ عِكْرِمَة بن أبي جَهْل، أنَّهُ سوف يَغْدو مِن أتْباعِه المُخْلِصين، وقِصَّته فريدَةٌ مِن نوْعِها وتُؤَكِّد أنَّ الإنسان قد ينتقِل من أقصى درجات العَدَاوَة إلى أقْصى درجات الوَلاء إذا أصْغى إلى الحقّ.

المذيع: وهنا يكمُن مَغزى هذه القِصَّة الجميلة والرائِعَة مِن خِلال حديثكم عِكْرِمَة وأبي جَهْل.

الشَّيْخ: في يوم فَتْح مكَّة رأتْ قريش أنَّه لا قِبَلَ لها بِمُحَمَّدٍ وأصْحابه فأزْمَعَتْ على أن تُخَلِّيَ له السَّبيل إلى مكَّة، وقد أعانَها على اتِّخاذ قرارها هذا ما عَرَفَتْهُ مِن أنّ النبي صلى الله عليه وسلَّم أمَرَ قُوَّادَه أن لا يُقاتِلوا إلا مَن قاتَلَهُم مِن أهْل مَكَّة، لكنّ عِكْرِمَة بن أبي جَهْل ونَفَرٍ معه خرجوا على إجْماع قُرَيش وتَصَدَّوا للجَيْش الكبير، فَهَزَمَهُم سيِّدُنا خالِدُ بن الوليد فيمَعْرَكَةٍ صغيرة قُتِلَ فيها مَن قُتَل ولاذَ بالفِرار مَن لاذ، وكان مِن جُمْلَةِ الفارِّين عِكْرِمة ابن أبي جَهْل، عند ذلك أُسْقِطَ في يدي عِكْرِمَة فَمَكَّةُ نبَتْ به بعد أن خَضَعَتْ للمسلمين، والنبي صلى الله عليه وسلَّم عفى عَمَّا سلفَ مِن قُرَيْش لكِنَّه اسْتَثْنى منهم نفَرًا سَمَّاهُم بِأسْمائِهم، وأمَرَ بقَتْلِهم وإن وُجِدوا تحت أسْتار الكَعْبة.

وكان في طليعة هؤلاء النَّفَر ؛ عِكْرِمَة بن أبي جهل، لِذا تَسَلَّل مُتَخَفِيًا مِن مكَّة ويَمَّمَ وَجْهَهُ شَطْر اليَمَن، إذْ لم يَكُن له مَلاذٌ إلا هناك ، عند ذلك مَضَتْ أمُّ حكيم زَوْجُ عكرمَة بن أبي جهل، وهِنْد بنت عُتْبة إلى منزل رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، ومعها عَشْرَةٌ مِن النِّسْوَة لِيُبايِعْنَ النبي عليه الصلاة والسلام، فَدَخَلْنَ عليه، وعنده اثنان من أزْواجِه وابنَتُه فاطِمَة، ونِساء مِن نِساء بني عبْد المُطَّلِب، فَتَكَلَّمَتْ هِنْدُ، وهِيَ مُتَنَقِّبَة وقالَتْ: يا رسول الله ! الحمد لله الذي أظْهَر الدِّين الذي اخْتارَهُ لِنَفْسِه، وإنِّي لأسْألُكَ أنْ تَمَسَّني رَحِمُكَ بِخَيْر، فإنِّي امْرأةٌ مؤمنة مُصَدِّقَة ثمَّ قالتْ يا رسول الله، أنا هِنْدُ بنتُ عُتْبَة، فقال لها النبي عليه الصلاة والسلام: مرْحَبًا بِك ! فقالَتْ: والله يا رسول الله، ولقد أصْبَحْتُ وما على وَجْه الأرض بيْتٌ أحَبُّ إليّ أن يَعِزَّ مِن بيتِك، ثمَّ قامَت أمُّ حكيم زَوْج عكرمة بن أبي جَهْل فأسْلَمَت وقالتْ: يا رسول الله، لقد هرَبَ منك عِكْرِمَة إلى اليَمَن خوْفًا منك أن تقتلَهُ فأَمِّنْهُ أمَّنَك الله ! فقال: عليه الصلاة والسلام: هو آمِنٌ، فَخَرَجَتْ مِن ساعَتِها في طلبه حتَّى أدْرَكَتْهُ في ساحِل البَحْر في منطقة تِهامَة، وهو يُفاوِضُ نوتِيًّا ؛ أي بحَّارًا، مُسْلِمًا على نَقْلِهِ، والنُّوتِيُّ يقول له: أخْلِص حتَّى أنْقُلَكَ، فقال له عِكْرِمَة: وكيف أُخْلِص ؟! قال تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشْهد أنّ محمَّدًا رسول الله، فقال عِكْرِمَة: ما هَرَبْتُ إلا مِن هذا ! وفيما

هو كذلك إذْ أقبَلتْ أمُّ حكيم على عِكرمَة، وقالتْ: يا ابن عمّ جئتُكَ مِن عند أفضل الناس ؛ وأبَرِّ الناس وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلَّم ابن عبد الله، وقد استأمنتك منه فأمَّنَكَ، فلا تُهْلِك نفسَك، فقال: أنْتِ كَلَّمْتِهِ ! فقالتْ: نعم أنا كَلَّمْتُهُ فأَمَّنَكَ ولا زالت به تُؤَمِّنُهُ وتُطَمْئِنُهُ حتَّى عاد معها، فلمَّا دنا عِكرمة من مكَّة قال النبي صلى الله عليه وسلَّم لأصْحابه: سَيَأتيكم عِكرمة بن أبي جَهْل مؤْمِنًا مُهاجِرًا فلا تَسُبُّوا أباه، فإنَّ سبَّ الحيّ يؤذي الحيّ، ولا يبْلُغُ الميِّت.

المذيع: الله أكبر ! ما أجْمل هذا الكلام، والحديث عن عِكْرمَة يا أُسْتاذ راتب، دِينُ الله عز وجل يَصِلُ كما تتفَضَّل إلى أعْمَق ما في النَّفْس.

الشَّيخ: الحقيقة أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام كان عالِمًا، وكان خطيبًا ومُفَوَّهًا، ومُجْتَهِدًا وقاضِيًا وكان فقيهًا، وقائِدًا، وزعيمَ أُمَّةٍ، أما حينما أراد الله تعالى أن يَمْدَحَهُ ؛ ماذا قال ؟ قال تعالى:

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4))

[سورة القلم]

المذيع: فِعْلاً لقد كان عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم.

الشَّيخ: وما هو إلا قليل حتى وَصَل عِكرمة وزوْجُه إلى حيث يجْل رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، فلمَّا رآه النبي صلوات الله عليه وثَبَ إليه مِن غير رداءٍ فرَحًا به ! ولمَّا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلَّم وقفَ عِكْرمَة بين يَدَيْهِ وقال: يا محمَّد ! إنَّ أمَّ حكيم قد الخْبرَتْني أنَّك أمَّنْتني، فقال عليه الصلاة والسلام: صَدَقَتْ فأنت آمِن، فقال عِكْرمَة: إلى ما تَدْعو يا محَمَّد ؟ فقال: أدْعوك إلى أن تشْهَد أنْ لا إله إلا الله وأنِّي عَبْدُ الله ورسوله وأن تُقيمَ الصلاة وأن تؤْتِيَ الزَّكاة حتَّى عدَّ أرْكان الإسلام كلَّها، فقال عِكرمَة: والله ما دَعَوْتَ إلا إلى الحقّ، وما أمَرْتَ إلا بِخَير، ثمَّ أرْدَفَ يقول: قد كنتَ فينا، والله قبل أن تَدْعُوَ إلى ما دَعَوْتَ إليه ؛ أنت أصْدَقُنا حديثًا، وأبَرُّنا بَرًّا ! ثمَّ بسَطَ يَدَهُ وقال: إنِّي أشْهَد أنْ لا إله إلا الله، وأنَّك عبْد الله ورسولُه.

المذيع: هنا ؛ الأستاذ راتب نسْتَشِفّ من هذا الحديث حديث عِكرمَة بن أبي جَهْل كيْفَ أنَّ النبي عليه الصلاة والسَّلام كان يُعالِجُ الأمور بِكُلِّ رَوِيَّةٍ وحِكْمَة، وبِكُلِّ أناة.

الشيخ: هذا مِن حِكْمَتِه، وأخْلاقِهِ العَلِيَّة.

المذيع: ودليل على ذلك هناك الثَّمْرَة اليانِعَة التي كان فيها إسلام عِكرمَة بن أبي جَهْل.

الشيخ: الحقيقة، يا أُستاذ جمال، أنَّ العُظَماء، والنبي عليه الصلاة والسلام أعظمهم، يَغْدو ألَدَّ أعدائِهِ أقربَ الناس إليه يقول عِكْرمَة: يا رسول الله، إنِّي أسْألك أن تسْتغفِرَ لي كلّ عَدَاوَةٍ عادَيْتُكَها، أو مَقامٍ لَقَيْتُكَ فيه، أو كلامٍ قُلْتُهُ في وَجْهِكَ أو في غَيْبَتِك، فقال عليه الصلاة والسلام: اللَّهمّ اغْفِر له كلّ عداوَةٍ عادَنيها، وكلّ مَسيرٍ سار فيه إلى مواضِعِ يُريدُ فيها إطْفاء نورك، واغْفِر له ما نال مِن عِرْضي في

وَجْهي، أو أنا غائِبٌ عنه ! فتَهَلَّلُ وَجْهُ عِكْرِمَة بِشْرًا وقال: أنا يا رسول الله لا أدَعُ نَفَقَةً كنتُ أنْفَقْتُها في صَدٍّ عن سبيل الله إلا أنْفَقْتُ ضِعْفَها في سبيل الله، ولا قِتالاً قاتَلْتُهُ صَدًّا عن سبيل الله إلا قاتَلْتُ ضِعْفَهُ في سبيل الله، ومنذ ذلك اليوم انْكَبَّ عِكْرِمَة إلى مَوْكِب الدَّعْوة كَفارِسٍ باسِلٍ في ساحات القِتال وقد كان عِكْرِمَةُ عبَّادًا - كثير العبادة - قوَّامًا، وقرَّاءً لِكِتاب الله في المساجِد فقد كان يَضَعُ المصحَف على وَجْهه ويقول: كتاب ربِّي، كلامُ ربِّي وهو يبْكي من خَشْيَة الله ! والحقيقة أنَّ عِكْرِمَة برَّ بما قطَعَهُ للنبي عليه الصلاة والسلام مِن عَهْد، فما خاض المسلمون مَعْرَكَةً بعد إسلامِه إلا وخاضَها معهم، وما خرَجوا في بَعْثٍ إلا كان في طليعَتِهم.

ففي يَوْم اليَرْموك أقْبل عِكْرِمةُ على القِتال إقْبال الظامِىء على الماء البارد ولمَّا اشْتَدّ الكَرْبُ على المسلمين في أحَدِ المواقف نَزَلَ عن جوادِهِ، وكسَرَ غِمْدَ سَيْفِهِ، وأوْغَلَ في صُفوف الرُّوم، فبادَرَ إليه خالِدُ بن الوليد وقال: لا تَفْعَل يا عِكْرِمَة فإنَّ قتْلكَ سَيَكون شديدًا على المُسْلمين، فقال عِكرمة: إليك عَنِّي يا خالِد، فقد كان لك مع رسول الله صلى الله عليه وسلَّم سابِقَة أما أنا وأبي فقد كُنَّا مِن أشَدِّ الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلَّم فَدَعْني أُكَفِّرْ على ما سَلَفَ مِنِّي ثُمَّ قال: لقد قاتَلْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم في مواطِنَ كثيرة وأفِرُّ اليوم مِن الرُّوم، إنَّ هذا لن يكون أبَدًا وكان عِكْرِمَة رضي الله عنه مِن شُهداء هذه المعركَة، وهكذا انْتَهَتْ حياتُهُ، وكُتِبَت له الشَّهادَة بعد أن كان مِن ألَدِّ أعْداء النبي عليه الصلاة والسلام.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 7 : الصحابي حذيفة بن اليمان .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 24-01-1997

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: الصَّحابيُّ الجليل حُذَيْفة ابن اليَمان ؛ هذا الصَّحابيُّ الجليل لهُ صُوَرٌ مُشْرِقة في تاريخِنا الإسلامي المُشْرِق، حَبَّذا لو نُلْقي الضَّوء بِدايَةً على هذه الشَّخْصِيَة الفذَّة.

الشَّيْخ: نشأ حُذَيْفة ابن اليَمان في بيْتٍ مُسْلِم، ورُبِّيَ في كَنَف أَبَوَيْن مِن السابِقين للدُّخول في الإسلام، فأسْلَمَ قبل أن تكْتَحِلَ عَيْناه بِمَرأى سَيِّدِ الأنام عليه الصلاة والسلام.

وكان شَوْقُ حُذَيْفة إلى لِقاء رسول الله صلى الله عليه وسلَّم يمْلأُ جوانِحَهُ فَهُوَ مازال منذ أسْلَمَ يتسَقَّطُ أخْبارَهُ، ويُلِحُّ في السُّؤال عن أوْصافِه فلا يزيدُهُ ذلك إلا ولَعًا، وحنينًا إليه.

فَرَحَلَ إلى مكَّة لِيَلْقاه، فما إن رأى النبي صلى الله عليه وسلَّم حتَّى سألَهُ يا رسول الله: أَمُهاجِرٌ أنا أم أنْصاري ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: إن شئْتَ كُنْتَ مِن المُهاجِرين وإنْ شئْتَ كُنْتَ مِن الأنْصار فاخْتَرْ لِنَفْسِكَ ما تُحِبّ، قال: بل أنا أنْصاريٌّ يا رسول الله.

ولمَّا هاجَرَ النبي صلى الله عليه وسلَّم إلى المدينة، لازَمَهُ حُذَيْفَةُ مُلازَمَة العَيْن لأُخْتِها، وشَهد معه المواقِع كلَّها إلا بدْرًا، أما تَخَلُّف هذا الصَّحابيّ الجليل عن موْقِعَة بدْر فلها قِصَّة يَرْويها حُذَيْفَة بنَفْسِه.

قال: ما مَنَعَني أن أشْهَدَ بدْرًا إلا أنِّي كُنْتُ خارِجَ المدينة أنا وأبي أخَذَنا كُفَّار قُرَيْش وقالوا: أين تَقْصِدون ؟ فقلنا المدينة ! فقالوا: إنَّكم تُريدون مُحَمَّدًا ! قلنا: ما نُريدُ إلا المدينة، فأَبَوا أن يُطْلِقونا إلا بعْد أن أخَذوا العَهْد علينا أن لا ننْصُر مُحَمَّدًا عليهم، وأن لا نُقاتِلَ معه، ثمَّ أطْلَقوا صراحَنا، ولمَّا قَدِمْنا على رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أخْبَرْناهُ بِما قطَعْناهُ مِن عَهْدٍ لِقُرَيْش وسألْناهُ ماذا نَصْنَع ؟ فقال: نَفي بِعَهْدِهم ونسْتَعينُ عليهم الله !

المذيع: ما هذا الوَفاء الرائِع الذي نَشْهَدُه في هذا الحديث ؟

الشيْخ: أخي جمال، يقول عليه الصلاة والسلام: ألا لا إيمان لِمَن لا أمانة له، ولا دِينَ لِمَن لا عَهْدَ له.

سَبَرَ النبي صلى الله عليه وسلَّم غَوْرَ حُذَيْفَة بن اليَمان فَتَجَلَّتْ فيه خِلالٌ ثلاث: ذكاءٌ فَذّ يُسْعِدُهُ في حلِّ المُعْضِلات، وبديهَةٌ مُطاوعَةٌ تُلَبِّيهِ كلَّما دعاها، وكِتْمانٌ للسِرّ فلا ينْفذُ إلى غَوْرِه أحَد، وكانت مِن سِياسة النبي عليه الصلاة والسلام أنَّهُ يحْرَصُ على اكْتِشاف مزَايا أصْحابه، والإفادَة مِن طاقاتِهم الكامِنَة في ذواتِهم، وذلك في وَضْع الرَّجل المناسب في المكان المناسب، وهو يُعَدُّ اليوم مِن أرْقى أنواع الإدارَة في المُجْتَمَع الحديث.

وكانت أكبر مُشْكِلَةٍ تُواجِه المسلمين في المدينة هي وُجودُ المنافقين وما يحيكُونَهُ للنبي صلى الله عليه وسلَّم وأصْحابِهِ مِن مكائِد، ودسائِس فأفْضى النبي صلوات الله عليه لِحُذَيْفَة بن اليَمان بِأسْماء المنافقين

وهو سِرٌّ لم يُطْلِع عليه أحَدًا مِن أصْحابه، فَعَهِدَ إليه برَصْد حركاتِهم وتتَبُّع نشاطِهم ودَرْء خطرهم على الإسلام والمُسلمين، ومنذ ذلك اليوم دُعِيّ حُذَيْفة بن اليَمان بصاحب سِرّ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وقد اسْتعان النبي صلى الله عليه وسلَّم بمَواهِب حُذَيْفَة في مَوْقِفٍ مِن أشَدِّ المواقف خطَرًا، وأحْوَجِها إلى الذَّكاء الفذّ، والبديهَة المُطاوعة وذلك في ذرْوَة غَزْوَة الخَنْدق، حيث كان المسلِمين قد أحاط بهم العدوّ مِن فوْقِهم ومن تحتهم، وطال عليهم الحِصار، واشْتَدَّ عليهم البلاء، وبلَغَ منهم الجُهْد والضَّنْك كلَّ مَبْلَغ، حتَّى زاغَت الأبصار وبلغَت القلوب الحناجِر وأخَذَ بعض المسلمين يظنُّون بالله الظُّنون، حتَّى أنَّ أحَدَهم قال: أيَعِدُنا صاحِبُكم - ولم يَقُل رسول الله - أن تُفتَحَ علينا بلاد قَيْصر وكِسرى وأحدنا لا يأْمَنُ أن يَقْضِيَ حاجَتَهُ، لكنّ الله عز وجل قال:

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (23))

[سورة الأحزاب]

المذيع: الأستاذ راتب بعد هذا الضِّيق الشديد الذي حَصل، ما الذي حصَل بعد ذلك ؟

الشَّيْخ: الحقيقة، أنَّ الذي حَصَل الأخ جمال يُشْبِهُ المُعْجِزَة، فلم تَكُن قُرَيْش وأحْلافُها مِن المشْركين في هذه الساعات الحاسِمات بأحْسَن حالاً مِن المسلمين، فقد صَبَّ الله عليها مِن غَضَبِهِ ما أوْهَنَ قُواها، وزَلْزَل عزائِمَها، فأرْسَلَ عليها ريحًا صرْصراً تقلبُ خِيامَها، وتَكْفؤُ قُدورها، وتُطفئ نيرانَها، وتَقْذِفُ وُجوهَها بالحَصْباء، وتَسُدّ عُيونها وخياشيمَها بالتُّراب، وفي هذه المواقف الحاسِمَة في تاريخ الحُروب يكون الفريق الخاسِر هو الذي يَئِنُّ أوَّلاً، ويكون الفريق الرابح هو الذي يضْبِطُ نفْسَهُ طرْفَة عيْن بعد صاحِبِه.

المذيع: يبْدو لي الفرق ؛ الأستاذ راتب الفرق بين الصَّبْر والمُصابَرَة

الشَّيْخ: نعم، وفي هذه اللَّحَظات التي تُكْتَبُ فيها مصائِرُ المعارك يكون لاسْتِخْبارات الجُيوش الفضْل الأوَّل في تَقْدير المَوْقف، وإسْداء المَشورَة وكان عليه الصَّلاة والسَّلام يُديرُ أُمَّتَهُ في أعْلى دَرَجات القِيادَة الحكيمة ففي هذه اللَّحظات احْتاج النبي صلى الله عليه وسلَّم لِطاقات حُذَيْفة ابن اليَمان وخِبْراتِه، وعَزَمَ أن يبْعَث به إلى قَلْب جَيْش العَدُوّ تحت جُنْح الظَّلام، ليأتيه بأخباره قبل أن يُبْرِمَ أمْرًا، فَلْنَتْرُكَ لِحُذَيْفَة ابن اليَمان لِيُحَدِّثَنا عن رِحْلَةِ الموت هذه.

قال حُذَيْفَة رضي الله عنه: كُنَّا في تِلْكَ اللَّيْلَة صافِّينَ قُعودًا وأبو سُفيان، ومعه مِن مشركي مكَّة فوْقَنا، وبنو قرَيْضَة من اليهود أسفل منَّا ؛ نخافهم على نِسائِنا، ودرارينا، وما أتَتْ علينا ليلة قطّ أشَدُّ ظلْمَة ولا أقْوى ريحًا منها، فأصْوات ريحِها مثل الصَّواعِق، وشِدَّةُ ظلامها تَجْعَلُ أحَدَنا لا يرى أُصْبعَهُ، فأخَذَ المنافقون يسْتأذِنون النبي عليه الصَّلاة والسَّلام ويقولون: إنَّ بُيوتنا مَكْشوفَة للعَدُوّ، وما هي بِمَكْشوفَة،

فما يسْتأذِنُه أحَدٌ منهم إلا وأذِنَ له، وهم يتسَلَّلون لِواذًا ناجينَ بأنْفُسِهم حتَّى بقينا في ثلاثمئة أو نحو ذلك من أصْحابِهِ، لِتُواجِهَ العرب كلّهم وقد جاؤوا ليَسْتأصِلوا شأفَة المسلمين.

عند ذلك قام النبي صلى الله عليه وسلَّم، وجعل يمُرُّ بنا واحِدًا واحِدًا حتَّى أتى إليّ، وما عليَّ شيءٌ يقيني مِن البَرْد إلا مِرْطٌ لامْرأتي ما يُجاوزُ رُكْبَتَي، فاقْتَرَبَ مِنِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وأنا جافٍ على الأرض قال مَن هذا ؟ فقلْتُ حُذَيْفَة يا رسول الله، فتَقاصَرْتُ إلى الأرض كراهِيَة أنْ أقوم مِن شِدَّة الجوع والبَرْد، فقال: إنَّهُ كائِنٌ في القَوم خَبَرٌ فتَسَلَّل إلى عَسْكَرهم واءتِني بِخَبَرهم ! - لعَلَّها رحْلَةُ المَوت - فَخَرَجْتُ وأنا مِن أشَدِّ الناس فزعًا وأكْثرهم برْدًا، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: اللَّهمّ احْفَظْهُ مِن بين يَدَيْه، ومِن خَلْفِه، وعن يمينِه، وعن شِمالِه، ومن فوْقِهِ ومِن تحتِه ودُعاء النبي عليه الصلاة والسلام لا يُرَدّ، فوالله ما تَمَّتْ دَعْوةُ النبي عليه الصَّلاة والسَّلام حتَّى انْتَزَع الله مِن جَوْفي كلّ ما أوْدَعَهُ مِن خوْفٍ وأزال عن جَسَدي كلّ ما أصابَهُ من برْدٍ، فلمَّا ولَّيْتُ، ناداني عليه الصَّلاة والسَّلام، وقال: يا حُذَيْفة، لا تُحْدِثَنَّ في القَوْم شيئًا حتَّى تأتِيَني ومَضَيْتُ أتَسَلَّلُ في جُنْح الظَّلام، حتَّى دَخَلْتُ في جُنْدِ المُشْركين وصِرْتُ وكأنِّي واحِدٌ منهم، وما هو إلا قليلٌ حتَّى قام فيهم أبو سُفْيان خطيبًا وقال: يا مَعْشَرَ قُرَيْش، إنِّي قائِلٌ لكم قوْلاً أخْى أن يبْلُغَ مُحَمَّدًا ! فليَنْظُر كلّ واحِدٍ منكم مَن جليسُهُ !! فما كان مِنِّي إلا أن أخَذْتُ بِيَدي الرَّجل الذي كان إلى جَنْبي، وقُلتُ له: مَن أنت ؟! قال: أنا فلان ابن فلان، وحينها قال أبو سُفيان: يا مَعْشَر قُرَيْش، إنَّكم والله، ما أصْبَحْتُم بِدارِ قرار لقد هوَت رواحلنا، وتَخَلَّتْ علينا بنو قُرَيْضَة، ولقينا مِن شِدَّة الرِّيح ما تَرَوْن فارتَحِلوا فإنِّي مُرْتَحل، ثمّ قام إلى جَمَلِه فَفَكَّ عِقالَهُ، وجَلَسَ عليه ثمَّ ضربَهُ فوَثَب قائِمًا، ولولا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أمَرَني أن لا أُحْدِثَ فيهم شيْئًا لقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ ! عند ذلك رَجَعْتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلَّم، فَوَجَدْتُهُ قائِمًا يُصَلِّي، فلمَّا رآني ادْناني إلى رِجْلَيْه وطَرَحَ عليَّ طرَفًا من المِرْط فأخْبَرْتُهُ الخَبَر فَسُرَّ به سُرورًا شديدًا، وحَمِدَ الله وأثنى عليه.

المذيع: هنا كان الفَرَج من الله عز وجل.

الشَّيخ: وبعْدها كفى الله المؤمنين القِتال، والحقيقة ظَلَّ حُذَيْفة بن اليمان مُؤْتَمَنًا على أسْرار المنافقين ما امْتَدَّتْ به الحياة، وظلَّ الخُلفاء الراشِدون يرْجِعون إليه في أمْرهم حتَّى إنَّ عمر ابن الخَطَّاب رضي الله عنه كان إذا مات أحَدُ المسلمين يسْألهُ أحَضَر حُذَيْفَةُ الصَّلاة عليه، فإن قالوا: نعم صَلَّى عليه، وإن قالوا: لا، شَكَّ فيه، وأمْسَك على الصَّلاة عليه، وسألَهُ مرَّةً يا حُذَيْفَة: أفي عُمَّالي أحَدٌ مِن المنافقين ؟ فقال: واحِد فقال: دُلَّني عليه ؟ فقال: لا أفْعَل، قال حُذَيْفَةُ لكِنَّ عُمَر رضي الله عنه ما لبِثَ أن عَزَلَهُ كأنَّما هُدِيَ إليه، ولعَلَّ قليلاً مِن الناس مَن يعْلَمُ أنّ حُذَيْفَة للمسلمين ناهَوَنْد وهَمَذان، كان سببًا في جَمْع المسلمين على مصْحفٍ واحِد بعد أن كادوا يفْترقون في كتاب الله، وعلى الرَّغْم من ذلك كان حُذَيْفة بن اليَمان شديد الخوْف على نفْسِه من الله، وعظيم الخَشْيَة من عِقابه، فَهُوَ حينما ثَقُل عليه مرضُ الموت جاءَهُ بعض

أصْحابه فقال: أيُّ ساعَةٍ هذه ؟ قالوا: نحن قريبٌ مِن الصُّبْح، فقال: أعوذ باله مِن صباحٍ يُفْضي بي إلى النار ! أعوذ باله مِن صباحٍ يُفْضي بي إلى النار ! ثمَّ قال: أجِئْتُم بِكَفَنٍ ؟ قالوا: نعم، فقال: لا تُغالوا بالأكْفان، فإن يكن لي عند الله خير بُدِّلْتُ به خيْرًا، وإن كانت الأخرى سُلِبَتْ مِنِّي، ثمَّ جَعَل يقول: اللَّهُمَّ إنَّك تعْلَمُ أنَّني كنتُ أُحِبّ الفقْر على الغِنى، والذِّلَّة على العِزّ وأحبّ الموت على الحياة، ثمَّ قال وروحُهُ تفيض، حينما جاءَهُ ملَكُ الموت:

حبيبٌ جاء على شَوْق لا أفْلح من نَدِم.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 8 : الصحابي جعفر بن أبي طالب.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1997-01-26

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع: الصَّحابي الجليل جَعْفر بن أبي طالب ؛ شَخْصِيَّة إسْلامِيَّة رائِعَة لها وَقْعُها وتأثيرُها في أيَّام النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام، بِدايَةً لو تُحَدِّثنا عن هذه الشَّخْصِيَة العظيمة ؟

الشيخ: سيِّدنا جعفر بن أبي طالب ابن عَمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، ورَأسُ المُهاجِرين إلى الحَبَشة.

مَضى رَكْبُ المهاجرين الأوَّلين إلى أرض الحبشة، وعلى رأسِهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، واسْتَقَرُّوا في كَنَفِ النَّجاشي مَلِكِها العادِل الصالِح، فَتَذَوَّقوا لأوَّل مرَّة منذ أسْلموا طَعْمَ الأمْن، واسْتَمْتعوا بِحَلاوَة العِبادة دون أن يُعَكِّر مُتْعَة عِبادتهم مُعَكِّرٌ، أو يُكَدِّر صَفْوَ سعادَتِهم مُكَدِّر لكنّ قريْشاً وكَيْدُها العظيم ما كادَت تعلم بِرَحيل هذا النَّفَر مِن المسلمين إلى أرْض الحَبَشة، وتَقِفُ على مانالوه في حِمى مليكِها من الطمأنينة على دينهم، والأمْن على عقيدتهم، حتَّى هَبَّتْ تأْتَمِرُ بهم لِتَقْتُلهم أو تسْتَرْجِعَهم إلى السِّجْن الكبير، فلْنَتْرُك الحديث لأمِّ سلمَة لِتَرْوي لنا الخبر كما رأتْهُ عَيْناها، وسَمِعَتْهُ أُذُناها، قالتْ أُمُّ سلَمَة:

لمَّا نزَلْنا أرْض الحبَشَة رأيْنا فيها خَيْر جوارٍ، فَأَمِنَّا على ديننا، وعَبَدْنا الله تعالى ربَّنا مِن غير أن نُؤْذى، أو أن نسْمَع شيئًا نَكْرَهُهُ، فلمَّا بلَغَ ذلك قُرَيْشًا ائْتَمَرَت بنا، فأرْسَلَتْ إلى النَّجاشي رَجُلَيْن جَلْدَيْن مِن رجالِها هما عَمْرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعَة، وبَعَثَت معهما بهَدايا كثيرة للنَّجاشي ولِبِطارقَتِه ممَّا كانوا يسْتطْرِفونه مِن أرْض الحِجاز ثمَّ أوْصَتْهُما أن يدْفَعا لِكُلِّ بطْريق هَدِيَّتَهُ قبل أن يتكلَّما إلى النَّجاشي في أمرنا فلمَّا قدِما الحبشة لَقِيا بطارقَة النَّجاشي، ودَفَعا إلى كلّ منهم بهَدِيَّتِه فلم يبْق واحِد منه إلا وأخذَ هَدِيَّتَهُ، وقالا له: إنَّه قد حلَّ في أرْض المَلِك غِلْمانٌ من سُفَهائِنا، صبَوْوا - أي خرجوا عن دين آبائِهم وأجْدادهم - وفرَّقوا كلمَة قوْمِهم، فإذا كلَّمْنا المَلِكَ في أمْرِهم فأشيروا عليه بأن يُسَلِّمهم إلينا دون أن يسْألهم عن دينهم، فإنَّ أشْراف قوْمِهم أبْصَرُ بهم وأعْلَم بما يَعْتَقِدون، فقال البطارقةُ: نعم، فقالتْ أُمُّ سَلَمة: ولم يَكُن هناك شيء أكْرَهُ لِعَمْرٍو ولِصاحِبِه مِن أن يسْتَدْعي النَّجاشي أحَدًا مِنَّا ويسْمَعُ كلامَهُ ثمَّ أتَيْنا النَّجاشيّ وقدَّمنا إليه الهَدايا فَأُعْجِبَ بها، ثمَّ كلَّماهُ فقالا: أيُّها المَلِك إنَّهُ قدْ أوى إلى ممْلَكَتِك طائِفَةٌ من أشْرار غِلْمانِنا، قد جاؤوا بِدِينٍ لا نعْرِفُه نحن ولا أنتم، ففارَقوا ديننا، ولم يدْخُلوا في دينكم، وقد بَعَثَنا أشْراف قومِهم مِن آبائِهم وأعْمامِهم وعشائِرِهم لِتَرُدَّهم إليهم، وهم اعْلَمُ الناس بِما أحْدَثوه مِن

فِتْنة، فَنَظَر النَّجاشي إلى بطارِقتِه فقال البطارقة: صدقا أيُّها المَلِك فإنَّ قوْمَهم أبْصَرُ بهم، وأعْلَمُ بما صنَعوا فَرُدَّهم إليهم ليَرَوا رَأيَهُم فيهم ! فهؤلاء البطارقة تكلَّموا بِسَبب الهدايا التي قُدِّمَت إليهم وليس عن قناعَتِهم، فَغَضِبَ المَلِك غَضَبًا شديدًا من كلام بطارقتِه وقال: لا والله، لا أسَلِّمهم لأحَدٍ حتَّى أدْعوهم، وأسْألُهم عَمَّا نُسِبَ إليهم فإنْ كان كما يقول هؤلاء الرَّجلان أسْلَمْتُهم لهما، وإن كان على غير ذلك حَمَيْتُهُم وأحْسَنْتُ جِوارَهم ما جاوَروني.

المذيع: هذا دليل فضيلة الشيخ، رجاحَةُ عَقْل النَّجاشي، وهو قول مُنْصف وعادِل، حبَّذا لو نُتابع هذا الموضوع !

الشيخ: ربُّنا جلَّ جلاله أخْبَرَنا عن سيِّدنا سليمان في آيَةٍ دقيقَةٍ هي أحْوَجُ ما يحْتاجُها القادة، قال تعالى:

(قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27))

[سورة النَّمل]

وخاطب المؤمنين فقال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6))

[سورة الحجرات]

قالتْ أمُّ سَلَمة يدْعونا لِلِقائِه، اجْتَمَعْنا قبل الذَّهاب إليه، وقال بعضنا لِبَعْض: إنّ المَلِك سَيَسْألُمن عن دينكم، فاصْدَعوا بما تُؤْمِنون به، ولْيَتَكَلَّم عنكم: جَعْفر ابن أبي طالب، ولا يتكلَّم أحدٌ غيرهُ.

المذيع: الأستاذ راتب، هذا تَكْتيك رائِع، وتنظيم بديع فيما يبْدو لي.

الشيخ: هذا من توجيه النبي عليه الصلاة والسلام، قال عليه الصَّلاة والسلام: إذا كنتم ثلاثة فأمِّروا عليكم...".

قالتْ أمُّ سَلَمَة فَوَجَدْناهُ قد دعى بطارِقَتَهُ فجَلَسوا عن يمينِه، وعن شِمالِه ووجَدْنا عنده عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، فلمَّا اسْتَقَرَّ بنا المَجْلس الْتَفَت إلينا النَّجاشي، وقال: ما هذا الدِّينُ الذي اسْتَحْدَثْتُموه لأنْفسِكم، وفارَقْتُم بِسَبَبِه دين قوْمكم، ولم تَدْخُلوا في ديني، ولا في دين أيٍّ من هذه المِلَل ؟! فتَقَدَّم منه جعْفر بن أبي طالبٍ وقال: أيُّها المَلِك كُنَّا قوْمًا أهْلَ جاهِلِيَّة، نعْبُدُ الأصنام، ونأكل المَيْتة، ونأتي الفواحِش ونقْطَعُ الأرْحام ونسيء الجِوار، ويأكل القَوِيُّ مِنَّا الضّعيف، وبقينا على ذلك حتَّى بعَثَ الله فينا رسولاً مِنَّا نَعْرفُ نَسَبَهُ، وصِدْقَهُ وامانتَهُ وعفافَهُ فدَعانا إلى الله، لِنُوَحِّدَه ونَعْبُدَهُ، ونَخْلَعَ ما كان يعْبُدُ آباؤُنا مِن الحِجارة والأوْثان، وأمَرَنا بِصِدْق الحديث، وأداء الأمانة وصِلَة الرَّحِم، وحُسْن الجِوار، والكَفِّ عن المحارِم والدِّماء، ونهانا عن الفواحِش وقوْل الزُّور وأكْل مال اليتيم، وقذْف المُحْصَنات.

السائل: فضيلة الشَّيْخ من خِلال هذا الكلام يتَّضِحُ أنَّ الإسلام بِناءٌ أخْلاقي رائِه، وهو ما أوْجَزَهُ الصَّحابي الجليل جعفر بن أبي طالب مِن كلامه للنَّجاشي.

الشيخ: الحقيقة الأخ جمال، يقول عليه الصلاة والسلام: بني الإسلام على خمْس، طَبْعًا أرْكان الإسلام هي دعائِمُ البناء، وليس هي البناء إنَّما البناء هو بناءٌ أخْلاقي، والإسلام كُلُّه خُلق مَعْنوي. وتابَعَ سيِّدنا جعفر بن أبي طالب كلامه للنَّجاشي وقال: وأمَرَنا أن نعْبُدَ الله وحْده ولا نُشْرِكَ به شيئًا، وان نُقيمَ الصَّلاة وأن نؤتي الزَّكاة ونصوم رمضان، فصَدَّقْناهُ وآمَنَّا به، واتَّبَعْناهُ على ما جاء به من عِند الله فَحَلَّلْنا ما أحَلَّ لنا، وحرَّمْنا ما حرَّما علينا، فما كان مِن قوْمِنا أيُّها المَلِك إلا أنْ عَدَوا علينا فَعَذَّبونا أشَدَّ العذاب لِيَفْتِنونا عن ديننا، ويرُدُّنا لِعِبادة الأوْثان فلمَّا ظلمونا وقهَرونا، وضَيَّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خَرَجْنا إلى بلادِك، واخْتَرْناك على ما سِواك، ورَغِبْنا في جِوارك، ورَجَوْنا أن لا نُظْلَم عندكَ.

المذيع: يا سلام على هذا الكلام البديع والرائِع من الصَّحابي الجليل جعفر بن أبي طالب، وهو يشْرح القِصَّة كامِلةً.

الشيخ: فالْتَفَت النَّجاشي إلى جعْفر بن أبي طالب، وقال: هل معك شيء ممَّا جاء به نَبِيِّكم عن الله تعالى؟ فقال: نعم، قال: فاقْرأهُ عليَّ فقرَأ عليه مَطْلَعَ سورة مريَم حتَّى أتَمَّ صَدْر السورة، فقالتْ أمُّ سَلَمَة فبَكى النَّجاشي حتَّى أخْضَلَتْ لِحْيَتُه من الدُّموع، وبكى أساقِفَتُه حتَّى بلَّلوا كُتُبَهم لما سَمِعوه من كلام الله، وهنا قال النَّجاشي: إنَّ هذا الذي جاء به نَبِيُّكم، والذي جاء به عيسى لَيَخْرُجُ من مِشْكاةٍ واحِدَة، ثمَّ الْتَفَتَ إلى عَمْروٍ وصاحِبِه، وقال لهما: اِنْطلِقا فوالله لا أُسْلِمُهم إليكما أبَدًا !

المذيع: فمع ذلك هذه الخُطَّة لم تنْجَحْ أبَدًا.

الشيخ: طبْعًا، وفوق ذلك قال النَّجاشي، وقد الْتَفَتَ إلى سيِّدنا جعفر بن أبي طالب وأصْحابه: اِذْهَبوا فأنْتُم آمِنون، ومَن سَبَّكم غَرِم - أي سَيُعاقب - ومَن تَعَرَّض لكم عوقِب، ووالله ما أُحِبُّ أن يكون لي جبَلٌ من ذهَبٍ، وأن يُصاب أحَدٌ منكم بسُوء، ثمَّ نظر إلى عَمْروٍ وصاحِبِه، وقال لهما: رُدُّوا على هذين الرجلين هداياهما فلا حاجة لي بهما، قالتْ أمُّ سلَمَة: فخرج عمرو وصاحبه مَكْسورَين ومَقْهورَيْن.

المذيع: وهذا تأكيد قول الله عز وجل: إنَّ الله يُدافع عن الذين آمنوا

الشيخ: قالتْ أمُّ سلَمَة: فخرج عمرو وصاحبه مَكْسورَين ومَقْهورَيْن يَجُرَّان أذْيال الخَيْبَة، بخَيْر دار مع أكرَم جار، وقضى جعفر ابن أبي طالب هو وزَوْجته في رِحاب النَّجاشي عَشْر سنوات آمِنين مُطْمئِنِّين، وفي السَّنة السابعة من الهِجْرة غادروا بلاد الحَبَشَة مع نَفَرٍ من المسلمين مُتَّجِهين إلى يثرب، فلمَّا بلغوها كان عليه الصَّلاة والسلام عائِدًا من خَيْبَر بعد أن فَتَحها الله له، فَفَرِحَ بِلِقاء جَعْفَرَ فرَحًا شديدًا، حتَّى قال: ما أدْري بأيِّهما أشَدّ فرَحًا ؛ بِفَتْح خَيْبر أم بِقُدوم جَعْفر، ولم تَكُن فرْحة المسلمين عامَّة والفقراء منهم

خاصّ ةًبعَوْدة جعْفر بأقلّ من فرْحة الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد كان سيِّدنا جعْفر شديد الحَدْب على الضُّعفاء، وكثير البرِّ بهم، حتَّى أنَّهُ كان يُلَقَّبُ بِأبي المساكين.

النبي عليه الصَّلاة والسَّلام حينما وَفَدَ عليه وَفْدُ النَّجاشي قام وخَدَمَهم بِنَفْسِه فلمَّا كَبُرَ على أصْحابه أن يفْعَلَ النبي هذا، قال: إنَّهم أكْرَموا أصْحاب يفَأُحِبُّ أن أكافِئهم بِنَفْسي ، رضِيَ الله عنه سيِّدنا جعفر ابن أبي طالب، ورَحِمَ الله تعالى النَّجاشي ؛ هذا الملِك العادِل الذي عاش المسلمون في كنَفِه، وفي عَدْلِه وبِلاده.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 9 : الصحابي كعب بن مالك رضي الله عنه

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-01-1997

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:

أستاذ راتب ؛ قِصَّة الصحابي كعب بن مالك هي قِصَّة لها وَقْعُها وتأثيرُها ؛ بِدايَةً لو سَمَحْتُم لو تُلْقي الضَّوء حول هذه الشَّخْصِيَّة الفذَّة من صحابة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام ؛ كعب بن مالك.

الشيخ: الأستاذ جمال ؛

في هذا الصَّحابي الجليل كعب بن مالك قِصَّة رائِعَةٌ مع سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم يُمكن أن نستنبط منها عشَرات المواعظ، فقد قال هذا الصَّحابيِّ الجليل: لم أتَخَلَّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم في غزْوَةٍ غزاها قطّ إلا في غزْوة تبوك غير أنِّي تَخَلَّفْتُ في غزْوة بدْر، ولم يُعاتِب أحَدًا تَخَلَّفَ عنه إنَّما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلَّم يريدون عير قريش، حتَّى جمَعَ الله بينهم وبين عدُوِّهم على غير ميعاد، ولقد شَهِدْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ليلة العقبة حينما توافقْنا على الإسلام، وما أُحِبُّ أنَّ لِيَ بها مَشْهد بدْر، وإن كانت بدْر أذْكَر في الناس منها، وكان مِن خَبَر حينما تخَلَّفْتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم في غزوة تبوك أنَّني لم أكن قطّ أقْوى ولا أيسَرُ مِنِّي حين تَخَلَّفْتُ عنه في تلك الغزْوَة، والله ما جَمَعْتُ قبلها راحِلَتَيْن قطّ حتَّى جمعتُهُما في تِلْك الغزوة.

المذيع:

ما هذا الصِّدْق الأستاذ راتب ؟

الشيخ:

الحقيقة يا أستاذ جمال ؛ أنَّ الصِّدْق هو الذي نجَّاه، والصِّدْقُ مَنْجاة، ولم يكن النبي عليه الصلاة والسلام يريدُ غَزْوَةً إلا ورَّى بغيرها حتَّى كانت تلك الغزوة فغَزاها رسول الله صلى الله عليه وسلَّم في حرٍّ شديد، واسْتَقْبَلَ سفَرًا بعيدًا، ومفازًا، واسْتَقْبَلَ عددًا كثيرًا من المسلمين ليتأهَّبوا أُهْبَة غزْوَتهم فأخبرهم بوَجههم الذي يريد، وكان عدد المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلَّك كثيرون لا يجْمعهم كتاب حافظ، فقال كعب: فقَلَّ رجلٌ يُريد أن يتغَيَّب إلا ظنَّ أنّ ذلك سَيَخْفى على رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ؛ ما لم ينزل فيه وحْيٌ من الله تعالى، وغزى رسول الله صلى الله عليه وسلَّم تلك الغزوة حين طابَتْ الثِّمار والظِّلال فأنا إليها أَمْيَل، وجَهَّزَ النبي عليه الصلاة والسلام، والمسلمون معه وطَفِقْتُ أغْدو لأتَجَهَّزَ معه، فأرْجِعُ ولم أقْض شيئًا ؛ فقُلْتُ في نفسي: أنا قادِرٌ على ذلك، فلم يزَل ذلك يتمادى بي حتَّى اسْتَمَرَّ بالناس الجِدّ، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلَّم غادِيًا والمسلمون معه ولم أقْض مِن

جهازي شيئًا، ثمَّ غدَوْتُ ورَجَعْتُ ولم أقْضِ من ذلك شيئًا فلم يزَل ذلك يتمادى بي حتَّى أسْرعوا وتفارَط الغَزْوُ فَهَمَمْتُ أن أرْتَحِل فأُدْركُهم فيا ليْتني فعلتُ، ثمَّ لم يُقَدَّر ذلك لي، فطَفِقْتُ إذا خرجْتُ في الناس بعد خُروج النبي صلى الله عليه وسلَّم يُحْزِنُني أنِّي لا أرى لي أُسْوةً إلا رجُلاً مغْموسًا عليه في النِّفاق، أو رجُلاً مِمَّن عذَر الله تعالى مِن الضُّعَفاء ولم يذْكُرني النبي عليه الصَّلاة والسلام حتَّى بلغَ تبوك، وكان هذا مِن عادَتِه - فقد كان عليه الصلاة والسلام يتفقَّد أصْحابه - وقال وهو جالسٌ بالقَوم بِتَبوك: ما فَعَل كعبُ بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة: حَبَسَهُ بُرْداه ونعْلاه والنَّظر إلى عطْفَيْه، فقال له معاذ بن جبل: لا، يا رسول الله والله ما علِمْنَا عليه إلا خيرًا ؛ فقد صحابة النبي عليه الصلاة والسلم يُدافع بعضهم عن بعض !

المذيع:

وهذا معنى الأُخُوَّة الصادِقة !

الشيخ:

نعم، فسَكَتَ النبي عليه الصلاة والسلام، فبَيْنَما هو على ذلك رأى رجُلاً يزول به السَّراب، فقال عليه الصلاة والسلام: كن أبا خُثَيْمة، فإذا هو أبو خثَيْمَة الأنصاري، وهو الذي تصدَّق بصاع تَمْرٍ حين لمزَهُ المنافقون.

قال كعب: فلمَا بلغني أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام قد توَجَّه قافِلاً مِن تبوك حضرني بثِّي - حُزْني - فَطَفِقْتُ أتذكَّرُ الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخط رسول الله صلى الله عليه وسلَّم غدًا، وأستعين على ذلك بِكُلِّ ذي رأيٍ من أهْلي، فلمَّا قيل: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم قد أضَلّ قادِمًا زاح عنِّي الباطل حتَّى عرَفْتُ أنِّي لم أنْجو منه بِشَيءٍ أبَدًا ومَوْطِنُ القِصَّة وشاهِدُها الكبير هذه الكلمة: فأجْمَعْتُ صِدْقَهُ ؛ أي قرَّرْتُ أن أكون صادِقًا معه، وأصبْح رسول الله صلى الله عليه وسلَّم قادِمًا، وكان إذا قَدِمَ من سفَرِه بدأ بالمَسْجِدِ فركَعَ فيه ركعتَيْن، ثمَّ جلس للناس فلمَّا فعل ذلك ؛ جاءَهُ الْخَلَّفون يعْتَذِرون إليه كعادَتِهم، ويحْلِفون كذِبًا، وكانوا بِضْعًا وثمانين رَجُلاً، فَقَبِلَ منهم رسول الله أعْذارهم وعلانِيَتَهُم وبايَعَهُم واسْتَغْفَرَ لهم ووكَّل سرائرهم إلى الله تعالى ؛ فالله تعالى لا تخْفى عليه خافِيَة.

حتَّى جِئْتُ فسلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَب، ثمَّ قال: تعال، فَجِئْتُ أمشي حتَّى جلَسْتُ بين يدَيْه، فقال لي: ما خلَّفَك ، ألم تكن قد ابْتَعْتَ ظهْرًا ؟ قلتُ: يا رسول الله، والله لو جلَسْتُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيْتُ أن أخرُجَ من سَخَطه بعُذْرٍ، لقد أُعْطيتُ جدَلاً - أي عندي قوَّة إقناع ولسانٍ طليق، لكن عَلِمْتُ إن حدَّثْتُكَ اليوم حديث كذِبٍ ترْضى به عَنِّي لَيُوشِكَنَّ الله أن يُسَخِّطَك عليّ ! وإن حدَّثْتُكَ حديث صِدْقٍ تجد فيه عليَّ - أي تغضب عليَّ- إنِّي لأرْجو فيه عُقْبَ الله عز وجل.

والآن يقول: والله يا رسول الله، ما كان لِيَ مِن عُذْرٍ، ووالله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيْسَرَ مِنِّي حينما تَخَلَّفْتُ عنك ؛ هذا هو الصِّدْق، وهذا هو التَّوْحيد، فلو اعْتَذَر له بعُذْرٍ يُرضيهِ لأوْشَكَ الله أن يُسَخِّطَهُ عليه.

المذيع: صدق مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وسلَّم.

الشيخ:

فقال عليه الصلاة والسلام: أمَّا هذا فقد صَدَق، وهي إشارة إلى هؤلاء الثمانين الذين اعْتِذروا إليه أنَّهم كاذِبون، قُمْ حتَّى يقْضِيَ الله فيك، وسار رجالٌ من بني سلمة فاتَّبعوني وقالوا: والله، ما عَلِمْناك أذْنَبْتَ ذَنْبًا قبل هذا، لقد عجَزْتَ كي أن لا تكون اعْتَذَرْتَ إلى النبي عليه الصلاة والسلام لِما اعْتَذَر به هؤلاء ! فقد كان كافيك ذَنْبُك اسْتِغْفار النبي عليه الصلاة والسلام لك ! قال: فوالله ما زالوا يُؤنِّبونَني حتَّى أرَدْتُ أن أرْجِع إلى النبي عليه الصلاة والسلام فأكْذِبَ عليه ! ثمَّ قلتُ لهم: هل لَقِيَهُ هذا معي من أحَد ؟ قالوا: نعم، لَقِيَهُ معك رجلان، وقالا ما قلتَ، وقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلتُ: من هما، فقالوا: مرارة بن ربيعة العُمَري وهِلال بن أمَيَّة الواقفي، قال: فذكروا لي رجُلَيْن صالِحَين قد شَهِدا بدْرًا فيهما أُسْوَةٌ، قال: فَضَيْتُ حتَّى ذَكَروهما لي، ونهى النبي صلى الله عليه وسلَّم عن كلامنا نحن الثلاثة.

قال: فاجْتَنَبَنا الناس، أو قال تغَيَّروا لنا، حتَّى تنَكَّرَتْ لي في نفسي الأرض فما هي بالتي أعرف، فلَبِثنا على تلك الحال خمسين ليلة فأمَّا صاحِباي فاسْتكانا وقعَدا في بيوتِهما يبْكيان، وأما أنا فكُنْتُ أشَدَّ القوم أي أشَدُّهم شبابًا، وأجْلدهم، وكنت أخْرج وأشْهَدُ الصلاة، وأتَجَوَّل في الأسواق فلا يُكَلِّمُني أحد، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُسَلِّمَ عليه وهو في مَجْلِسِه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: حرَّكَ شَفَتَيْه برَدِّ السلام أم لا ؟ ثمّ أصلِّي قريبًا منهم وأُسارِقُهُ النَّظر فإذا أقبلتُ على صلاتي نظر إليّ، وإذا الْتَفَتُّ نحوَهُ أعْرَضَ عنِّي، حتَّى إذا طال ذلك عليَّ مِن جَفْوَة المسلمين مَشَيْتُ حتَّى تسَوَّرْتُ جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمِّي وأحَبُّ الناس إليَّ فسَلَّمْتُ عليه، فوالله ما ردَّ عليَّ السَّلام، فقُلتُ: يا أبا قتادة أنْشدُك الله ؛ هل تعْلمني أُحِبُّ الله ورسوله، فسَكَتَ فَعُدْتُ فناشَدْتُهُ فَسَكَت، فَعُدْتُ فناشَدْتُهُ فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضَتْ عَيْناي وتوَلَّيْتُ حتَّى تسَوَّرْتُ الجِدار، فبَيْنما أنا أمشي في سوق المدينة إذْ نَبْطيٌّ من نبْط الشام ممَّن قَدِمَ بالطعام يبيعُهُ بالمدينة قول: من يدُلُّ على كَعْب بن مالِك ؟ فطَفِقَ الناس يُشيرون إليّ، فدَفَعَ إليَّ كتابًا مِن ملِكِ غسَّان، وكُنْتُ كاتِبًا - أي أقرأ - فإذا فيه: أما بعدُ: فإنَّا قد بلغنا أنَّ صاحِبَك قد جفاك، ولم يجْعلك الله بدار هوان، ولا مَضْيَعَ فالحَق بنا نُواسِكَ، فقُلتُ حين قرأتُها: وهذه أيْضًا من البلاء، فَتَيَمَّمْتُ بها التَّنور فسَجِرْتُها - أي أحْرَقْتُها - حتَّى إذا مَضَتْ أربعون من الخمْسين جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلَّم وقال لي: إنَّ رسول الله يأمرُكَ أن تعْتَزل امْرأتَك ! فَقُلتُ أُطَلِّقُها أم ماذا

أفْعَل ؟ قال: بل اعتَزِلْها ولا تقرَبَنَّها، وأرْسَل إلى صاحِبَيَّ بمِثل ذلك ؛ فقُلْتُ لامرأتي الْحَقي بأهْلِكِ و كوني معهم حتَّى يقْضِيَ الله فيَّ هذا الأمْر.

وفي صباح ليلة الخمْسين من هذه القطيعة المُرَّة، بينما أنا جالسٌ على الحال التي ذَكَر الله مِنَّا، وضاقتْ عليهم الأرض بما رَحُبَتْ، وضاقتْ عليهم أنفُسهم، سَمِعْتُ صَوْتَ صارخٍ على سَلْعٍ يقول بأعلى صَوْتِهِ: يا كعْبُ بن مالِكٍ أبْشِر فَخَرَرْتُ ساجِدًا وعرَفْتُ أنَّه قد جاء الفَرَج فآذَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم الناس بِتَوْبة الله عز وجل علينا حين صلَّى صلاة الفجْر، فَذَهَب الناس يُبَشِّروننا، فَذَهَب قبل صاحِبي مُبَشِّرون ورقَدَ رجُلٌ إلى فرسٍ فلما جاءني الذي سَمِعْتُ صوتَهُ يُبَشِّرُني نزَعْتُ له ثَوْبي وكَسَوْتُهما إياه لِبِشارَتِهِ ! ثمَّ دَخَلْتُ المسْجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم جالسٌ وحوله الناس، فقام طلْحة بن عُبَيْد الله رضي الله عنه يُهَرْوِلُ حتَّى صافَحَني وهنَّأني، والله ما قام رجُلٌ من المُهاجرين غيرُهُ فكان كَعْبُ لا ينْساها لِطَلْحَة، قال كعبُ: فلمَّا سلَّمْتُ على النبي صلى الله عليه وسلَّم، فقال: أبْشِرْ بِخَيْرِ يومٍ مرَّ عليك منذ ولَدَتْكَ أمُّك ! فقُلْتُ أمِن عندكَ يا رسول الله، أم من عند الله تعالى ؟ فقال: بل مِن عند الله عز وجل، وكان عليه الصلاة والسلام إذا سُرَّ اسْتنارَ وَجْهُهُ حتَّى كأنَّ وَجْهَهُ قِطْعَة قمَر ! وكُنَّا نتعرفُ ذاك من رسول الله صلى الله عليه وسلَّم.

وهكذا تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار، وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا، قال تعالى:

(وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118))

[سورة التوبة]

فهذه قِصَّةٌ بُنِيَت على الصِّدْق.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 10 : الصحابي عبد الله بن سلام
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1998-01-04

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ جمال : من هو الصحابي الجليل عبد الله بن سلام ؟

الأستاذ راتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أستاذ جمال، عبد الله بن سلام، هو الحصين بن سلام هو حبر من أحبار اليهود في يثرب، وكان أهل المدينة على اختلاف مللهم ونحلهم، يجلّونه ويعظمونه، فقد كان معروفاً بين الناس بالتقى والصلاح، موثوقاً بالإستقامة والصدق، وكان الحصين يحيى حياةً هادئةً وادعة، لكنها كانت في الوقت نفسه جادةً نافعة، فقد قسم وقته أقساماً ثلاثة، شطرٌ للوعظ والعبادة، وشطر في بستانٌ له يتعهد نخله بالتشذيب والتأبير، وشطر للتفقه في الدين.

الأستاذ جمال: أستاذ راتب ما معنى كلمة والتأبير ؟

الأستاذ راتب: تأبير النخل تلقيحه وإصلاحه، وكان كلما قرأ التوراة وقف طويلاً عند أخبارٍ تبشر بظهور النبي عليه الصلاة والسلام في مكة يتمم رسالات الأنبياء السابقين ويختمها، وكان يستحصي أوصاف هذا النبي المرتقب وعلاماته، ويهتز فرحاً بأنه سيهجر بلده الذي بعث فيه، وسيتخذ من يثرب مهاجراً له ومقام، وكان كلما قرأ هذه الأخبار أو مرَّت بخاطره، يتمنى على الله أن يفسح له في عمره حتى يشهد ظهور هذا النبي المرتقب، ويسعد بلقائه ويكون أول المؤمنين به.

الأستاذ جمال: أستاذ راتب النابلسي، السؤال الذي ورد في ذهني الآن هو بعد هذا التقصي الذي بحث عنه الصحابي الجليل عبد الله بن سلام عن شخصية النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام، السؤال: هل التقى وأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الأستاذ راتب: لا شك أن الله استجاب له، استجاب لدعائه، فنفس له في أجله، أي أخر له في أجله، حتى بعث نبي الهدى والرحمة، وكتب له أن يحظى بلقائه وصحبته، وأن يؤمن بالحق الذي أنزل عليه، فلنترك كما فعلنا في حلقةٍ سابقة للحصين الكلام ليسوق لنا قصة إسلامه، فهو لها أروى وعلى حسن عرضها أقدر.

الأستاذ جمال: إذاً الحديث الآن لعبد الله بن سلام.

الأستاذ راتب: قال الحصين بن سلام: لما سمعت بظهور النبي صلى الله عليه وسلم، أخذت أتحرى عن اسمه ونسبه وصفاته وزمانه ومكانه، وأطابق بينها وبين ما هو مسطورٌ عندنا في الكتب، حتى استيقنت من نبوته وتثبَّت من صدق دعوته، ثم كتمت ذلك عن اليهود، وعقلت لساني عن التكلُّم فيه، إلى أن كان

اليوم الذي خرج فيه النبي عليه الصلاة والسلام من مكة قاصداً المدينة، فلما بلغ يثرب، ونزل بقباء، أقبل رجل علينا وجعل ينادي في الناس معلناً قدومه، وكنت ساعة إذٍ في رأس نخلة أعمل فيها، وكانت عمتي خالدة بنت الحارث جالسة تحت الشجرة، فما إن سمعت الخبر حتى هتفت: الله أكبر الله أكبر، فقالت لي عمتى حين سمعت تكبيري: خيَّبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما فعلت شيئاً فوق ذلك !! فقلت لها أي عمة، إنه والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، وقد بُعث بما بعث به، فسكتت وقالت: أهو النبي الذي كنتم تخبروننا أنه يبعث مصدِّقاً لمن قبله، ومتمماً لرسالات ربه، فقلت: نعم، قالت: فذلك إذاً. ثم مضيت من توِّي إلى النبي عليه الصلاة والسلام، ورأيت الناس يزدحمون ببابه، فزاحمتهم حتى صرت قريباً منه، وكان أول ما سمعته منه

((أيها الناس أفشوا السلام، وأطعمو الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام))

فجعلت أتفرَّس فيه، وأتملى منه، فأيقنت أن وجه ليس بوجه كذَّاب، ثم دنوت منه وشهدت أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فالتفت إلي وقال: ما اسمك ؟ فقلت: الحصين بن سلام، قال: بل عبد الله بن سلام. فقلت: نعم عبد الله بن سلام، والذي بعثك بالحق ما أحب أن لي به إسماً آخر بعد اليوم، ثم انصرفت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتي، ودعوت زوجتي وأولادي وأهلي إلى الإسلام، فأسلموا جميعاً وأسلمت معهم عمتي خالدة، وكانت شيخةً كبيرة.

الأستاذ جمال: أستاذ راتب معلوماتنا أن هناك قصة عجيبة لعبد الله بن سلام، ياريت لو تسلط الضوء للإخوة المستمعين حول هذه القصة.

الأستاذ راتب: حسناً أستاذ جمال، يقول عبد الله بن سلام: ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقلت له: يا رسول الله إن اليهود قوم بهتانٍ وباطل، وإني أحب أن تدعو وجوههم إليك، وأن تسترني عنهم في حجرةٍ من حجراتك، ثم تسألهم عن منزلتي عندهم، قبل أن يعلموا بإسلامي، ثم تدعوهم إلى الإسلام، فإنهم إن علموا أنني أسلامت عابوني ورموني بكل ناقصةٍ وبهتوني، فأدخلني النبي عليه الصلاة والسلام في بعض حجراته، ثم دعاهم إليه، وأخذ يحضُّهم على الإسلام، ويحبب لهم الإيمان، ويذكِّرهم بما عرفوه في كتبهم من أمره، فجعلوا يجادلوه بالباطل ويمارونه في الحق، وأنا أسمع، فلما يأس من إيمانهم قال لهم: ما منزلة الحصين بن سلام فيكم ؟ فقالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرُنا وعالمنا، وابن حبرنا وعالمنا، فقال عليه الصلاة والسلام: أفرأيتم إن أسلم أفتسلمون ؟ قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم، أعاذه الله من أن يسلم، فخرجت إليهم وقلت: يا معشر اليهود، اتقوا الله واقبلوا ما جائكم به محمد، فوالله أنكم لتعلمون أنه رسول الله، وتجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، وإني أشهد أنه رسول الله وأومن به وأصدقه وأعرفه، فقالوا: كذبت، والله إنك لشرنا وابن شرنا،

وجاهلنا وابن جاهلنا، ولم يتركوا عيباً إلا عابوني به، فقلت: يا رسول الله ألم أقل لك إن اليهود قوم بهتانٍ وباطل، وإنهم أهل غدرٍ وفجور.

أقبل عبد الله بن سلام على الإسلام إقبال الظامىء الذي شاقَّه المورد، وأولع بالقرآن فكان لسانه لايفتأ رطباً بآياته البيِّنات، وتعلَّق بالنبي صلوات الله وسلامه عليه حتى غدا ألزم له من ظله، ونذر نفسه للعمل للجنة، حتى بشره رسول الله صلَّى الله عليه وسلم بشارةً زاعت بين الصحابة الكرام وشاعت، وكان لهذه البشارة قصة رواها قيس بن عبادة وغيره.

الأستاذ جمال: ياريت يا أستاذ راتب أن تسلِّط الضوء أكثر على هذه القصة.

الأستاذ راتب: يقول قيس بن عبادة وغيره: كنت جالساً في حلقةٍ من حلقات العلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، وكان في الحلقة شيخٌ تأنس به النفس ويستروِّح به القلب، فجعل يحدث الناس حديثاً حلواً مؤثراً، فلما قام، قال القوم: من سرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فالينظر إلى هذا، فقلت: من هذا ؟ قالوا: عبد الله بن سلام، فقلت في نفسي: والله لأتبعنَّه، فتبعته، فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة ثم دخل منزله، فاستأذنت عليه فأذن لي، فقال: ما حاجتك يا ابن أخي ؟ فقلت: سمعت القوم يقولون عنك لما خرجت من المسجد: من سره أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة، فالينظر إلى هذا، فمضيت في إثرك لأقف على خبرك ولأعلم كيف عرف الناس أنك من أهل الجنة، فقال: الله أعلم بأهل الجنة يا بني. فقلت: نعم، ولكن لابدَّ لما قالوه من سبب، قال سأحدثك عن سببه، قال: فقلت هات وجذاك الله خيراً، قال: بينما أنا نائمٌ ذات ليلةٍ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني رجل فقال لي: قم، فقمت، فأخذ بيدي، فإذا أنا بطريقٍ عن شمالي، فهممت أن أسلك فيها، فقال لي: دعها فإنها ليست لك، فنظرت فإذا أنا بطريقٍ واضحةٍ عن يميني، فقال لي: أسلكها، فسلكتها، حتى أتيت روضةً غنَّاء واسعة الأرجاء، كثيرة الخضرة واسعة النضرة، وفي وسطها عمودٌ من حديد أصله في الأرض ونهايته في السماء، وفي أعلاه حلقةٌ من ذهب، فقال لي: أرق عليه، فقلت لا أستطيع، فجاءني وصيفٌ فرفعني، فرقيت حتى صرت في أعلى العمود وأخذت بالحلقة بيدي كلتيهما، وبقيت متعلقاً بها حتى أصبحت، فلما كانت الغداة أتيت النبي عليه الصلاة والسلام وقصصت عليه رؤياي فقال

((أما الطريق التي رأيتها عن شمالك، فهي طريق أصحاب الشمال من أهل النار، وأما الطريق التي رأيتها عن يمينك، فهي طريق أصحاب اليمين من أهل الجنة، وأما الروضة التي شاقتك بخضرتها ونضرتها فهي الإسلام، وأما العمود الذي في وسطها، فهو عمود الدين، وأما الحلقة، فهي العروة الوثقى، ولم تزال مستمسكاً بها حتى تموت))

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 11 : الصحابي ثمامة بن آثال
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1998-01-06

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ جمال: فضيلة الشيخ، الصحابي الجليل الذي نحب أن نستمع عنه الشيء الجديد والكثير سيدنا ثمامة بن أثال، من هو هذا الصحابي الجليل ؟

الأستاذ راتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أستاذ جمال، سيدنا ثمامة بن أُثال ملكٌ من ملوك العرب، ففي السنة السادسة للهجرة، عزم النبي صلوات الله سلامه عليه أن يوسِّع نطاق دعوته إلى الله، كتب ثمانية كتبٍ إلى ملوك العرب والعجم، وبعث بها إليهم يدعوهم فيها إلى الإسلام، وكان في جملة من كاتبهم ثمامة بن آثالٍ الحنفي، ولا غرو فثمامة قيلٌ من أقيال العرب في الجاهلية.

الأستاذ جمال: ما معنى قيل ؟

الأستاذ راتب: القيل أي الملك، يعني إذا قال نفّذ كلامه، وسيدٌ من سادات بني حنيفة المرموقين، ملكٌ من ملوك اليمامة الذين لا يعصى لهم أمر، تلقّى ثمامة رسالة النبي عليه الصلاة والسلام بالزراية والإعراض، وأخذته العزة بالإثم، فأصم أذنيه عن سماع دعوة الحق والخير، ثم إنه ركبه شيطانه فأغراه بقتل النبي عليه الصلاة والسلام ووأد دعودته معه، فدأب يتحين الفرص للقضاء على النبي حتى أصاب منه غرةً، وكادت تتم الجريمة الشنعاء لولا أن أحد أعمام ثمامة ثناه عن عزمه في آخر لحظةٍ فنجّى الله نبيه من شره.

الأستاذ جمال: ذكرت أستاذ راتب كلمة غِرة.

أ.راتب: الغرة الغفلة، لكن ثمامة إذا كان قد كفَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يكف عن أصحابه، حيث جعل يتربَّص بهم، حتى ظفر بعددٍ منهم وقتلهم شرَّ قتله، فأهدر النبي عليه الصلاة والسلام دمه وأعلن ذلك في أصحابه، ولم يمض على ذلك طويل وقتٍ حتى عزم ثمامة بن أُثال على أداء العمرة، فانطلق من أرض اليمامة مولياً وجهه شطر مكة، وهو يمني نفسه بالطواف حول الكعبة والذبح لأصنامها.

أ.جمال: يبدو لهذا تحدي كبير، وهذا بالإضافة إلى العداوة التي يكنُّها في قتل النبي.

الأستاذ راتب: عدوٌ مجرم من أعداء النبي، لكن سوف يتضح بعد قليل أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يحوّل أعداءه إلى أصحابه، وبينما كان ثمامة في بعض طريقه قريباً من المدينة، نزلت به نازلةٌ لم تقع له في حسبان، ذلك أن سريةً من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تجوس خلال الديار،

تجوس خلال الديار أي تدور وتتنقّل، خوفاً من أن يطرق المدينة طارق، أو يريدها معتدٍ بشر، ذلك أن سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تجوس خلال الديار، خوفاً من أن يطرق المدينة طارقٌ، أو يريدها معتدٍ بشر، فأسرت السرية ثمامة وهي لا تعرفه، وأتت به إلى المدينة، وشدته إلى ساريةٍ من سواري المسجد، منتظرةً أن يقف النبي الكريم بنفسه على شأن الأسير، وأن يأمر فيه بأمره، ولما خرج النبي عليه الصلاة والسلام إلى المسجد وهم بالدخول فيه رأى ثمامة مربوطاً في السارية، فقال لأصحابه: أتدرون من أخذتم ؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هذا ثمامة بن أُثال الحنفي فأحسنوا أساره، هذه أخلاق الأنبياء، ثم رجع عليه الصلاة والسلام إلى أهله وقال: إجمعوا ما عندكم من طعامٍ وابعثوا به إلى ثمامة بن أُثال، ثم أمر بناقته أن تحلّب له، ثم رجع عليه الصلاة والسلام إلى أهله وقال: إجمعوا ما عندكم من طعامٍ وابعثوا به إلى ثمامة بن أُثال، ثم أمر بناقته أن تحلّب له في الغدو والرواح، وأن يقدم إليه لبنها، وقد تمَّ ذلك كلُّه قبل أن يلقاه النبي عليه الصلاة والسلام أو يكلّمه، طبعاً هذه حكمة بالغة من النبي عليه الصلاة والسلام.

الأستاذ جمال: ومقابلة الإساءة بالإحسان.

الأستاذ راتب: أُمرت كما قال عليه الصلاة والسلام أن أصل من قطعني وأن أعفو من ظلمني وأن أعطي من حرمني، ثم أن النبي عليه الصلاة والسلام أقبل على ثمامة يريد أن يستدرجه إلى الإسلام، وقال: ما عندك يا ثمامة ؟ فقال: عندي يا محمد خير، فإن تقتل تقتل ذا دم، أي من يستحق القتل، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعطى منه ما شئت، فتركه النبي عليه الصلاة والسلام يومين على حاله، يؤتى له بالطعام والشراب ويحمل إليه لبن الناقة، ثم جاءه فقال: ما عندك يا ثمامة ؟ فقال: ليس عندي إلا ما قلت لك من قبل، فإن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعطى منه ما شئت، فتركه النبي عليه الصلاة والسلام حتى إذا كان في اليوم التالي قال: ما عندك يا ثمامة ؟ قال: عندي ما قلت لك، فإن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال أعطيتك منه ما تشاء.

الأستاذ جمال: أستاذ راتب النابلسي ماذا حدث بعد ذلك ؟.

الأستاذ راتب: الذي حدث أستاذ جمال، أن النبي عليه الصلاة والسلام في أعلى درجات العفو إلتفت إلى أصحابه وقال: أطلقوا ثمامة، ففكوا وثاقه وأطلقوه، وغادر ثمامة مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، ومضى حتى إذا بلغ نخلاً في حواشي المدينة، أي في أطراف المدينة، قريباً من البقيع فيه ماءٌ، أناخ راحلته عنده، وتطهر من مائه فأحسن طهوره، ثم عاد أدراجه إلى المسجد، فما إن بلغه حتى وقف على ملأٍ من المسلمين وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، ثم اتجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا محمد دقق أستاذ جمال في هذا القول، يا محمد والله ما كان على ظهر

الأرض وجهٌ أبغض إليَّ من وجهك، وقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلّها إليَّ، والله ما كان دينٌ أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحبَّ الدين كلُّه إلي، ووالله ما كان بلدٌ أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحبَّ البلاد كلّها إلي.

الأستاذ جمال: أستاذ راتب لاحظ معي لو سمحت هناك سبب لهذا الموقف من ثمامة بن أُثال، السبب الإحسان سماحة النبي والإحسان...

الأستاذ راتب: نعم الإحسان والعفو " يادود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها ".

ثم أردف قائلاً: لقد كنت أصبت في أصحابك دماً، فما الذي توجبه علي ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لا تثريب عليك يا ثمامة فإن الإسلام يجبُّ ما قبله، وبشَّره بالخير الذي كتبه الله له بإسلامه، فانبسطت أسارير ثمامة وقال: والله لأصيبن من المشركين أضعاف ما أصبت من أصحابك، ولأضعن نفسي وسيفي ومن معي في في نصرتك ونصرة دينك، ثم قال: يا رسول الله إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى أن أفعل ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: إمضي لأداء عمرتك ولكن على شرعة الله ورسوله، وعلّمه ما يقوم به من المناسك.

شيءٌ عجيب حدث بعد ذلك، مضى ثمامة إلى غايته، حتى إذا بلغ بطن مكة وقف يجلجل بصوته العالي قائلاً: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، فكان ثمامة أول مسلمٍ على الإطلاق دخل مكة ملبياً، فلما سمعت قريش صوت التلبية، هبت مغضبةً مذعورةً، واستلت السيوف من أغمادها، وإتجهت نحو الصوت، لتبطش بهذا الذي اقتحم عليها عرينها، ولما أقبل القوم على ثمامة، رفع صوته بالتلبية تحدياً لهم، وهو ينظر إليهم بكبرياء، فهمَّ فتىً من فتيان قريش أن يرديه بسهمٍ، فأخذوا على يديه وقالوا: ويحك أتعلم من هذا ؟ إنه ثمامة بن أُثال ملك اليمامة، والله إن أصبتموه بسوء قطع عن الميرة وأماتنا جوعاً.

الأستاذ جمال: ما معنى الميرة ؟

الأستاذ راتب: القمح، ثم أقبل القوم على ثمامة بعد أن أعادوا السيوف إلى أغمادها وقالوا: ما بك يا ثمامة، أصبوت وتركت دينك ودين آبائك ؟ فقال: ما صبوت، ولكنني إتبعت خير دينٍ، إتبعت دين محمد.

الأستاذ جمال: أستاذ راتب النابلسي الشيء بالشيء يذكر، ومعلوماتنا أن هذا الصحابي الجليل ثمامة بن أُثال ضرب على مكة نوعاً من الحصار الاقتصادي، ماذا نضيف في هذا المجال.

الأستاذ راتب: ثمامة كان ملك اليمامة، وكان قمح مكة من عنده، لذلك أقسم ثمامة برب هذا البيت إنه لا يصل إلى مكة بعد عودته إلى اليمامة حبةٌ من قمحها، أو شيءٌ من خيراتها، حتى يتبعوا محمداً عن

آخرهم، إعتمر ثمامة بن أثال على مرأة من قريش كما أمره النبي صلوات النبي عليه وسلامه أن يعتمر، وذبح تقرُّباً لله عزَّ وجل، لا للأنصاب ولا للأصنام، ومضى إلى بلاده، فأمر قومه أن يحبسوا الميرة عن قريش، فصدعوا بأمره واستجابوا له، وحبسوا خيراتهم عن أهل مكة.

وأخذا الحصار الذي فرضه ثمامة على قريش يشتد شيئاً فشيئاً، فأرتفعت الأسعار، وفشى الجوع في الناس، واشتد علهم الكرب، حتى خافوا على أنفسهم وأبنائهم من أن يهلكوا جوعاً، عند ذلك كتبوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام يقولون: إن عهدنا بك أنك تصل الرحم وتحضُّ على ذلك، وها أنت قد قطعت أرحامنا، فقتلت الآباء بالسيف، وأمت الأبناء بالجوع، وإن ثمامة بن أثال قد قطع عنا ميرتنا وأضر بنا، فإن رأيت أن تكتب إليه أن يبعث إلينا بما نحتاج إليه فافعل، فكتب عليه الصلاة والسلام إلى ثمامة بأن يطلق لهم ميرتهم فأطلقها.

الأستاذ جمال: وهنا موقف جديد ومتجدد للنبي الأعظم عليه الصلاة والسلام في سماحة نفسه وكرم أخلاقه.

الأستاذ راتب: لأنه قال: إنما أنا رحمةٌ مهداة

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 12 : الصحابية أم سلمة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1998-01-08

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ جمال: فضيلة الشيخ بداية ولو سمحتم ولو بعنوان عريض، من هي الصحابية الجليلة أم سلمة ؟

أ.راتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أم سلمة رضي الله عنها، زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وهي أم المؤمنين، أبوها سيدٌ من سادات مخزوم المرموقين، وجوادٌ من أجواد العرب المعدودين، حتى إنه كان يقال له: زاد الراكب، لأن الركبان كانت لا تتزوَّد إذا قصدت منازله أو سارت في صحبته، وأما زوجها فعبد الله بن عبد الأسد أحد العشرة السابقين إلى الإسلام، إذ لم يسلم قبله إلا أبو بكرٍ الصديق ونفرٌ قليلٌ لا يبلغ أصابع اليدين عداً، وأما اسمها فهند، لكنها كُنيت بأم سلمة، ثم غلبت عليها الكُنية، أم سلمة أسلمت مع زوجها فكانت هي الأخرى من السابقات إلى الإسلام أيضاً، وما إن شاع نبأ إسلام أم سلمة وزوجها، حتى هاجت قريش وماجت، وجعلت تصبُّ عليها من نكالها، ما يزلزلها، فلم يضعفا، ولم يهنا ولم يترددا.

الأستاذ جمال: ما معنى كلمة نكال أستاذ راتب ؟

الأستاذ راتب: النكال هو الأذى الشديد، نكّل به أي أصابه بأذىً شديد، ولما اشتد عليها الأذى، وأذن النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة كانا أي هي وزوجها في طليعة المهاجرين، مضت أم سلمة وزوجها إلى ديار الغربة، وخلّفت ورائها في مكة بيتها وعزها الشامخ ونسبها العريق، محتسبةً ذلك كله عند الله سبحانه وتعالى، مستقلةً له في جنب مرضاته، وعلى الرغم مما لقيته أم سلمة وصحبها من حماية النجاشي نضَّر الله في الجنة وجهه، فقد كان الشوق إلى مكة مهبط الوحي، والحنين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم مصدر الهدى يفري كبدها وكبد زوجها فرياً، ثم تتابعت الأخبار على المهاجرين إلى أرض الحبشة بأن المسلمين في مكة قد كثر عددهم، وأن إسلام حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب قد شدَّ من أذرهم وكف شيئاً من أذى قريشٍ عنهم، فعزم فريقٌ منهم على العودة إلى مكة، يحدوهم الشوق ويدعوهم الحنين، فكانت أم سلمة وزوجها في طليعة العائدين، ولكن سرعان ما اكتشف العائدون أن ما نمي إليهم من أخبار كان مبالغاً فيه، وأن الوثبة التي وثبها المسلمون بعد إسلام حمزة وعمر قد قوبلت من قريشٍ بهجمةٍ أكبر، فتفنن المشركون في تعذيب المسلمين وترويعهم، وأذاقوهم من بأسهم ما لا عهد لهم به من قبل.

أ.جمال: هنا يا أستاذ راتب النابلسي ماذا فعل رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟.

أ.راتب: بعد هذه الشدة أذن النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه بالهجرة إلى المدينة، وهذه هي الهجرة الثانية.

فعزمت أم سلمة وزوجها على أن يكونا أول المهاجرين فراراً بدينهما وتخلُّصاً من أذى قريش، لكن هجرة أم سلمة وزوجها لم تكن سهلةً ميسرةً كما خُيِّل إليهما، وإنما كانت شاقةً مرةً خلفت وراءها مأساةً تهون دونها كل مأسات.

أ.جمال: أستاذ راتب النابلسي لو سمحتم عوتمونا في كل حديث أن نترك الشخص، أو الصحابي الجليل نتحدث عن وعن الأمور التي حصلت معه، فما رأيكم أن تتحدث أم سلمة عن كل تفاصيل حياتها وصحبتها.

الأستاذ راتب: بارك الله بكم أستاذ جمال، الحقيقة أن كتب السيرة تضمنت رواية لأم سلمة عن قصتها.

قالت أم سلمة: لما عزم أبو سلمة على الخروج إلى المدينة، أعد لي بعيراً ثم حملني عليه، وجعل طفلنا سلمة في حجري، ومضى يقود بنا البعير لا يلوي على شيء، وقبل أن نبتعد عن مكة رأنا رجالٌ من قومي، فتصدو لنا، وقالوا لأبي سلمة: إن كنت قد غلبتنا على نفسك فما بال امرأتك هذه وهي بنتنا، فعلام نتركك تأخذها منا وتسير بها في البلاد، ثم وثبوا عليه وانتزعوني منه انتزاعاً، وما إن رأهم قوم زوجي يأخذونني أنا وطفلي حتى غضبوا أشد الغضب وقالوا: لا والله لا نترك الولد عند صاحبتكم بعد أن انعتزعتموها من صاحبها انتزاعاً، فهو ابننا ونحن أولى به، ثم طفقوا يتجاذبون طفلي سلمة بينهم على مشهدٍ مني حتى خلعوا يده وأخذوه، وفي لحظاتٍ وجدت نفسي ممزقة الشمل وحيدةً فريدة ؛ فزوجي إتجه إلى المدينة فراراً بدينه ونفسه، وولدي اختطفه بنوا عبد الأسد من بين يدي محطماً مهيضاً، أما أنا فقد استولى علي قومي بني مخذوم وجعلوني عندهم، ففرِّق بيني وبين زوجي وبين إبني في ساعة، ومنذ ذلك اليوم جعلت أخرج كل غداةٍ إلى الأبطح، فأجلس في المكان الذي شهد مأساتي، وأستعيد صورة اللحظات التي حيل فيها بيني وبين ولدي زوجي، وأظل أبكي حتى يخيِّم علي الليل، وبقيت على ذلك سنةً أو قريباً من سنة، إلى أن مرَّ بي رجلٌ من بني عمي، فرقَّ لحالي ورحمني، وقال لبني قومي: ألا تطلقون هذه المسكينة، فرَّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ وما زال بهم يستلين قلوبهم، ويستدرُّ عطفهم حتى قالوا: إلحقي بزوجكِ إن شئتِ ولكن كيف لي أن ألحق بزوجي في المدينة، وأترك ولدي وفلذة كبدي في مكة عند بني عبد الأسد ؟ كيف يمكن أن تهدأ لي لوعةٌ أو ترقأ لعيني عبرةٌ وأنا في دار الهجرة وولدي الصغير في مكة لا أعرف عنه شيئاً؟ ورأى بعض الناس ما أعالجه من أحزاني وأشجاني، فرقَّت قلوبهم لحالي، وكلموا بني عبد الأسد في شأني، واستعطفوهم علي، فردوا لي ولدي سلمة.

الآن أصبحت مهيئةً للذهاب إلى زوجها، هكذا تقول أم سلمة: ولم أشأ أن أتريس في مكة حتى أجد من أسافر معه، فقد كنت أخشى أن يحدث ما ليس بالحسبان فيعوقني عن اللحاق بزوجي عائق، لذلك بادرت فأعددت بعيري، ووضعت ولدي في حجري، وخرجت متوجهة نحو المدينة أريد زوجي، وما معي أحدٌ من خلق الله، وما إن بلغت التنعيم (مكانٌ في ظاهر مكة يحرم منه المعتمرون) حتى لقيت عثمان بن طلحة، فقال: إلى أين يا بنت زاد الراكب ؟ فقلت: أريد زوجي في المدينة، قال: أوما معكِ أحدٌ ؟ قلت: لا والله إلا الله ثم بني هذا، قال: والله لا أتركك أبداً حتى تبلغي المدينة.

ثم أخذ بخطام بعيري وانطلق يهوي به، فوالله، (دقق أستاذ جمال، دقق في هذه المروءة التي كان يتمتع بها العرب في الجاهلية، ليس مسلماً هذا)، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أكرم منه ولا أشرف منه، كان إذا بلغ منزلاً من المنازل ينيخ بعيري ثم يستأخر عني، حتى إذا نزلت عن ظهره واستويت على الأرض، دنى إليه واقتاده إلى شجرةٍ وقيده فيها، ثم يتنحى عني إلى شجرةٍ أخرى فيضجع في ظلها، فإذا حان الرواح قام إلى بعيره فأعده وقدمه إلي، ثم يستأخر عني ويقول: اركبي، فإذا ركبت واستويت على البعير أتى فأخذ بخطامة وقاده، وما زال يصنع بي مثل ذلك كل يوم حتى بلغنا المدينة، فلما نظر إلى قريةٍ بقباء لبني عمرو، قال زوجكِ في هذه القرية فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة،ليس له عمل في المدينة إنما قدم لها هذه الخدمة وعاد إلى مكة.

إجتمع الشمل الشتيت بعد طول افتراق، وقرَّت عين أم سلمة بزوجها، وسعد أبو سلمة بصاحبته وولده، ثم طفقت الأحداث تمضي سراعاً كلمح البصر، فهذه بدرٌ يشهدها أبوا سلمة، ويعود منها مع المسلمين وقد انتصروا نصرا مؤزراً، وهذه أحدٌ يخوض غمارها بعد بدرٍ، ويبلي فيها أحسن البلاء وأكرمه، لكنه يخرج منها وقد جرح جرحاً بليغاً، فما زال يعالجه حتى بدا له أنه قد إندمل، أي شفي، لكن الجرح كان قد رمَّ على فسادٍ، فما لبث أن انتكأ وألزم أبا سلمة الفراش، وفيما كان أبو سلمة يعالج من جرحه، قال لزوجته: يا أم سلمة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلَّم يقول:

((لا تصيب أحداً مصيبة فيسترجع عند ذلك ويقول: اللهم أخلفني خيراً منها إلا أعطاه الله عزَّ وجل.. يسترجع أن يقول إنا لله وإنا إليه راجعون.

وظل أبو سلمة على فراش مرضه أياماً، وفي ذات صباح جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ليعوده، فلم يكد ينتهي من زيارته ويجاوز باب

داره، حتى فارق أبو سلمة الحياة.شعر المهاجرون والأنصار معاً بحق أم سلمة عليهم، فما كادت تنتهي من حدادها على أبي سلمة، حتى تقدم منها أبو بكر الصديق يخطبها لنفسه، فأبت أن تستجيب لطلبه، ثم تقدم منها عمر بن الخطاب فردته كما ردت صاحبه، ثم تقدم منها رسول الله صلى الله عليه

وسلَّم، فقالت: يا رسول الله، إن في خلالاً ثلاثة ؛ فأنا امرأةٌ شديدة الغيرة، فأخاف أن ترى مني شيئاً يغضبك فيعذبني الله به، وأنا امرأةٌ قد دخلت في السن، أي متقدمة في السن، وأنا امرأةٌ ذات عيال))

فقال عليه الصلاة والسلام:

((أما ما ذكرتي من غيرتكِ فإني أدعو الله عزَّ وجل أن يذهبها عنكِ، وأما ما ذكرتي من السن فقد أصابني مثل الذي أصابكِ، وأما ما ذكرتي من العيال فإنما عيالكِ عيالي))

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أم سلمة، فاستجاب الله دعائها وأخلفها خيراً من أبي سلمة.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 13 : الصحابي ربيعة بن كعب
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1998-01-10

بسم الله الرحمن الرحيم

أ. جمال:

اليوم الصحابي الجليل ربيعة بن كعب، شخصيةٌ فذَّة من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، الذين كتبوا صفحاتٌ بيضاء تضاف إلى أعمالهم وسجلاتهم، ماذا نقول عن هذا الصحابي الجليل ربيعة بن كعب.

أ. راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أستاذ جمال خير ما نقول عن هذا الصحابي الجليل هو ما قاله عن نفسه هو، فقال ربيعة بن كعب: كنت فتىً حديث السن، لما أشرقت نفسي بنور الإيمان وامتلأ فؤادي بمعاني الإسلام، ولما إكتحلت عينايا بمرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أول مرةٍ أحببته حباً ملك عليّ كل جارحةٌ من جوارحي، وأُولعت به ولعاً صرفني عن كل ما عداه، فقلت في نفسي ذات يوم: ويحك يا ربيعة لما لا تجرِّد نفسك لخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إعرض نفسك عليه، فإن رضي بك سعدت بقربه وفزت بحبه، وحظيت بخيري الدنيا والآخرة، ثم ما لبست أن عرضت نفسي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجوته أن يقبلني في خدمته، فلم يخيِّب رجائي، ورضي بي أن أكون خادماً له، وصرت منذ ذلك اليوم ألزم للنبيّ الكريم من ظله، أسير معه أينما سار، وأدور في فلكه كيفما دار، فما رمى بطرفه مرةً نحوي، إلا مثُلتُ واقفاً بين يديه، وما تشوَّف (أي تطلع) لحاجةٍ من حاجاته، إلا وجدني مسرعاً في قضائها، وكنت أخدمه نهاره كله، فإذا انقضى النهار، وصلى العشاء الأخيرة، وآوى إلى بيته إهِمُّ بالإنصراف، لكني ما ألبثُ أن أقول في نفسي: إلى أين تمضي يا ربيعة ؟ فلعلها تعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاجةٌ في الليل، فأجلس على بابه ولا أتحول عن عتبة بيته، وقد كان عليه الصلاة والسلام يقطع ليله قائماً يُصلي، فربما سمعته يقرأ بفاتحة الكتاب، فما يزال يكررها هزيعاً من الليل، حتى أملَ فأتركه أو تغلبني عينايا فأنام.

أ. جمال:

كلمة هزيعاً أستاذ راتب ما معناها ؟

أ. راتب:

الهزيع هو الشطر من الليل، ثلثه أو نصفه أو جُزءٌ منه.

وربما سمعته يقول: سمع الله لمن حمدّ، فما يزال يرددها زمناً أطول من ترديده لفاتحة الكتاب، كان عليه الصلاة والسلام إذا صلى وحده أطال، أما إذا صلى بأصحابه كان أخف الناس صلاةً، وقد كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ما صنع له أحدٌ معروفاً إلا أحب أن يُجازيه عليه بما هو أجلُّ منه، وقد أحب أن يُجازيني على خدمتي له فأقبل عليّ ذات يومٍ وقال:

" يا ربيعة بن كعب ". فقلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، فقال: " سلني شيئاً أُعطيه لك "، فروَّيت قليلاً ثم قلت: أمهلني يا رسول الله لأنظر فيما أطلبه منك ثم أُعلمك، فقال عليه الصلاة والسلام: "لابأس عليك".

طبعاً هذا موقف، وكنت يومئذٍ شاباً فقيراً لا أهل لي ولا مال ولا سكن، وإنما كنت آوي إلى صُفَّة المسجد مع أمثالي من فقراء المسلمين، (الصُفة مكان في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأوي إليه الفقراء الذين لا بيوت لهم) وكان الناس يدعوننا بضيوف الإسلام، فإذا أتى أحدٌ من المسلمين بصدقةٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعث بها كلها إلينا، وإذا أهدى له أحدٌ هديةً، أخذ منها شيئاً وجعل باقيها لنا، فحدثتني نفسي أن أطلب من رسول الله شيئاً من خير الدنيا، أغتني به من فقرٍ، وأغدو كالآخرين ذا مالٍ وزوجٍ وولد، لكني ما لبثت أن قلت: تباً لك ياربيعة بن كعب، إن الدنيا زائلة فانية، وإن لك فيها رزقاً كفله الله عزّ وجل فلا بد من أن يأتيك، والنبيّ عليه الصلاة والسلام في منزلةٍ عند ربه لا يُردُّ معها طلب، فاطلب منه أن يسأل الله لك من فضل الآخرة، فطابت نفسي لذلك واسترحت له، ثم جئتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

" ما تقول يا ربيعة " ؟ فقلت يا رسول الله: أسألك أن تدعو لي الله تعالى أن يجعلني رفيقاً لك في الجنة، فقال: " من أوصاك بذلك ؟" فقلت: لا والله ما أوصاني به أحد، ولكنك حين قلت لي: سلني أُعطك، حدثتني نفسي أن أسألك شيئاً من خير الدنيا، ثم ما لبثت أن هُدِيت على إيثار الباقية على الفانية، فسألتك أن تدعو الله لي بأن أكون رفيقك في الجنة، فصمت النبيّ عليه الصلاة والسلام طويلاً ثم قال: " أو غير ذلك يا ربيعة " ؟ فقلت: كلا يا رسول الله، فما أعدل بما سألتك شيئاً، فقال: " إذاً أعني على نفسك بكثرة السجود ".

أ. جمال:

أي دله على العمل.

أ. راتب:

نعم، " يا فاطمة بنت محمد، يا عباس عمّ رسول الله، أنقذا نفسيكما من النار، لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم، من يُبطيء به عمله لم يُسرع به نسبه ".

فجعلت أدأب في العبادة لأحظى بمرافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، كما حظيت بخدمته وصحبته في الدنيا، ثم إنه لم يمض على ذلك وقتٌ طويل حتى ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:

" ألا تتزوج يا ربيعة ؟ " فقلت: ما أُحب أن يشغلني شيئٌ عن خدمتك يا رسول الله، ثم إني ليس عندي ما أمهُر به الزوجة، ولا ما أُقيم حياتها به، فسكت ثم رآني ثانيةً وقال: " ألا تتزوج يا ربيعة ؟ " فأجبته بمثل ما قلت له في المرة السابقة، لكني ما إن خلوت إلى نفسي حتى ندمت على ما كان مني، وقلت: ويحك يا ربيعة، والله إن النبيّ لأعلم منك بما يصلح في دينك ودنياك، وأعرف منك بما عندك، والله لأن دعاني النبيّ عليه الصلاة والسلام بعد هذه المرة إلى الزواج لأُجيبنَّه، ولم يمض على ذلك طويلُ وقتٍ حتى قال ليّ رسول الله: " ألا تتزوج يا ربيعة ؟ " فقلت: بلى يا رسول الله، ولكن من يزوجني وأنا كما تعلم ؟ فقال: " إنطلق إلى آل فلان وقل لهم: إن رسول الله يأمركم أن تزوجوني فتاتكم فلانة".

فأتيتهم على إستحياءٍ وقلت لهم: إن رسول الله أرسلني إليكم لتزوجوني فتاتكم فلانة، فقالوا: فلانة ؟ فقلت: نعم، فقالوا: مرحباً برسول الله، ومرحباً برسول رسول الله، والله لا يرجع رسول رسول الله إلا بحاجته، وعقدوا ليّ عليها، (من دون تعقيدات) فأتيت النبيّ عليه الصلاة والسلام وقلت: يا رسول الله لقد جئت من عند خير بيتٍ، صدقوني ورحبوا بي وعقدوا ليّ على إبنتهم، فمن أين آتيهم بالمهر ؟ فاستدعى النبيّ بُريدة بن الخصيب، وكان سيداً من سادات قوم بني أسلم، وقال له: " يا بُريدة إجمع لربيعة وزن نواةٍ ذهباً "، فجمعوها لي فقال لي النبي الكريم: إذهب بهذا إليهم وقل لهم: هذا صداق إبنتكم، فأتيتهم ودفعته إليهم فقبلوه ورضوه وقالوا: كثيرٌ طيب، فأتيت النبيّ عليه الصلاة والسلام وقلت: ما رأيت قوماً قط أكرم منهم، فلقد رضوا ما أعطيتهم على قلّته، وقالوا: كثيرٌ طيب.

أستاذ جمال

ورد عن عائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَئُونَةً))

(رواه أحمد)

أ. جمال:

وهذا السؤال يا أستاذ راتب النابلسي الذي أحببت أن أتوقف عنده، أي الزواج فيه البركة ؟

أ. راتب:

أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أقلهن مهراً وأَيْسَرُهُنَّ مَئُونَةً .

فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت: ما رأيت قوماً قط أكرم منهم ف، لقد رضوا ما أعطيتهم على قلته، وقالوا: كثيرٌ طيب، فمن أين لي ما أُولمُ به يا رسول الله ؟ فقال النبيّ الكريم لبُريدة: "إجمعوا لربيعة ثمن كبشٍ "، فابتاعوا لي كبشاً عظيماً سميناً، فقال لي النبي الكريم: إذهب إلى عائشة وقل لها: " أن تدفع لك ما عندها من الشعير "، فأتيتها فقالت: إليك المكتل فيه سبع ءآصع شعيرٍ، لا والله ما عندنا طعامٌ غيره.

أ. جمال:

الآصُع، جمع صاع.

أ. راتب :

نعم، فانطلقت بالكبش والشعير إلى أهل زوجتي فقالوا: أما الشعير فنحن نُعِدُّه، وأما الكبش فمر أصحابك أن يعدوه لك، فأخذت الكبش أنا وناسٌ من أسلم، فذبحناه وسلخناه وطبخناها، فأصبح عندنا خبزٌ ولحم، فأولمت ودعوت رسول الله عليه الصلاة والسلام فأجاب دعوتي.

أ. جمال:

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي ماذا نستشف من هذه القصة لربيعة بن كعب؟

أ. راتب:

لقد سعد ربيعة رضي الله عنه بخدمة رسول الله في الدنيا والآخرة، سعد به في الدنيا إذ كان قريباً منه، وسعد به في الآخرة إذ دعا الله أن يكون رفيقه في الجنة.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

أ. جمال: الحديث اليوم عن الصحابي الجليل عمير بن سعد، ولنتابع مع الشيخ محمد راتب النابلسي.

أ.راتب : بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، سيدنا عُمير بن سعد صحابيٌ جليل، حينما كان غلاماً تجرَّع كأس اليتم والفاقة منذ نعومة أظفاره، فقد مضى أبوه إلى ربه دون أن يترك له مالاً أو معيلاً، لكن أمه ما لبست من أن تزوجت من ثريٍ من أثرياء الأوس، يدعى الجُلاَّس بن سويد، فكفل ابنها عميراً وضمه إليه، وقد لقي عمير من برِّ الجُلاس وحسن رعايته وجميل عطفه ما جعله ينسى أنه يتيم، فأحب عميرٌ الجلاس حب الابن لأبيه، كما أولع الجُلاس بعميرٍ ولع الوالد بولده، وكان كلما نما عميرٌ وشب يزداد الجلاس له حباً وبه إعجاباً، لما كان يرى فيه من أمارت الفطنة والنجابة التي تبدو على كل عملٍ من أعماله، وشمائل الأمانة والصدق التي تظهر في كل تصرفٍ من تصرفاته.

وقد أسلم عميرٌ وهو صغيرٌ لم يتجاوز العاشرة من عمره إلا قليلاً، فوجد الإيمان في قلبه الغضِ مكاناً خالياً فتمكن منه، وألفى الإسلام في نفسه الصافية الشفافة تربة خصبة فتغلغل في ثناياها، فكان على حداثة سنه لا يتأخر عن صلاةٍ خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت أمه تغمرها الفرحة كلما رأته ذاهباً إلى المسجد أو ءايباً منه تارتاً مع زوجها وتارة وحده.

أ. جمال: أستاذ راتب أذكر أن في حياة هذا الغلام حدثاً جعلة يتألق في سماء البطولة، حبذا لو أن نلقي الضوء أكثر.

أ.راتب: الأخ جمال، في السنة التاسعة للهجرة، أعلن الرسول صلوات الله عليه عزمه على غزو الروم في تبوك، وأمر المسلمين أن يستعدوا ويتجهزوا لذلك، وكان عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يغزو غزوةً لم يصرِّح بها، وأوهم أنه يريد جهة غير الجهةٍ التي يقصد إليها، إلا في غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبُعد الشُقَّة وعظم المشقة وقوة العدو ليكون الناس على بينةٍ من أمرهم، فيأخذوا للأمر أهبته، ويعدوا له عدته، وعلى الرغم من أن الصيف كان قد دخل والحر قد اشتد، والثمار قد أينعت، والظلال قد طابت، والنفس قد ركنت إلى التراخي والتكاسل، على الرغم من ذلك كلّه فقد لبى المسلمون دعوة نبيهم عليه الصلاة والسلام، وأخذوا يتجهَّزون ويستعدون.

وفي يوم من هذه الأيام التي سبقت رحيل الجيش، عاد الغلام عُمير بن سعد إلى بيته بعد أداء الصلاة في المسجد، وقد امتلأت نفسه بطائفة مشرقةٍ من صور بزل المسلمين وتضحيتهم، رأها بعينه وسمعها

بأذنيه، فقد رأى نساء المهاجرين والأنصار يقبلن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزعن حليهن ويلقونه بين يديه ليجهز بثمنه الجيش الغازي في سبيل الله، وأبصر بعيني رأسه عثمان بن عفان رضي الله عنه يأتي بجرابٍ فيه ألف دينارٍ ذهباً ويقدمه للنبي عليه الصلاة والسلام، وشهد عبد الرحمن بن عوف يحمل على عاتقه مئتي أوقيةٍ من الذهب ويلقيها بين يدي النبي الكريم، بل إنه رأى رجلاً يعرض فِراشه للبيع ليشترى بثمنه سيفاً يقاتل به في سبيل الله.

فأخذ عميرٌ يستعيد هذه الصورة الفذة الرائعة، ويعجب من تباطؤ الجلاس عمه عن الاستعداد للرحيل مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، والتأخر عن البذل على الرغم من قدرته ويساره، وكأنما أراد عميرٌ أن يستثير همَّة الجلاس، ويبعث الحمية في نفسه، فأخذ يقصُّ عليه أخبار ما سمع وما رأى، وبخاصةٍ خبر أولئك النفر من المؤمنين الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسألوه في لوعةٍ أن يضمَّهم إلى الجيش الغازي في سبيل الله، فردهم النبي عليه الصلاة والسلام لأنه لم يجد من الركائب ما يحملهم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما يبلّغهم أمنيتهم في الجهاد، ويحقق لهم أشواقهم إلى الاستشهاد.

لكن الجلاس وهنا بيت القصيد، ما كاد يسمع من عُمير ما سمع حتى أنطلقت من فمه كلمةٌ أطارت صواب الفتى المؤمن، ماذا قال الجلاس ؟ قال: إن كان محمداً صادقاً فيما يدعي من النبوة فنحن شرٌ من الحمير، الحقيقة هذه كلمة الكفر، لقد شُدِه عمير مما سمع، صعق، فما كان يظن أن رجلاً له عقل الجلاس وسنِّه تمدُّ من فمه هذه الكلمة، التي تخرج صاحبها من الإيمان دفعة واحدة، وتدخله في الكفر من أوسع أبوابه، وكما تنطلق الآلات الحاسبة الدقيقة في حساب ما يلقى إليها من المسائل، إنطلق عقل الفتى عُمير بن سعد يفكّر فيما يجب عليه أن يصنعه، لقد رأى أن في السكوت عن الجلاس والتستر عليه خيانة لله ورسوله، وإضراراً بالإسلام والمسلمين الذي يكيد له المنافقون ويأتمرون به، وأن في إذاعة ما سمعه عقوقاً بالرجل الذي ينزل من نفسه منزلة الوالد، ومجازاةً لإحسانه إليه بالإساءة له، فهو الذي أواه من يتمٍ، وأغناه من فقرٍ، وعوضه من فقد أبيه، وكان على الفتى أن يختار بين أمرين أحلاهما مرُّ، وسرعان ما اختار، ما الذي اختاره ؟

إلتفت إلى الجلاس وقال: والله يا جلاس ما كان على ظهر الأرض أحدٌ بعد محمد بن عبد الله أحب إليَّ منك، (دقق في كلمة ما كان) فأنت آسر الناس عندي، وأجلهم يداً علي، ولقد قلت مقالةً إن ذكرتها فضحتك، وإن أخفيتها خُنت أمانتي وأهلكت نفسي وديني، وقد عزمت على أن أمضي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قلت، فكن على بينةٍ من أمرك.

مضى الفتي عُمير بن سعد إلى المسجد وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام بما سمع من الجلاس بن سويد، فاستبقاه النبي صلوات الله عليه، وأرسل أحد أصحابه ليدعو له الجُلاس، وما هو إلا قليلٌ حتى جاء الجلاس فحيى رسول الله صلى الله عليه وسلّم وجلس بين يديه، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام:

((ياجلاس ما مقالةٌ سمعها منك عُمير بن سعد، وذكر له ما قال))

فقال كذب علي يا رسول الله وافترى، فما تفوّهت بشيءٍ من ذلك، وأخذ الصحابة يُنَقِّلون أبصارهم بين الجلاس وفتاه عمير بن سعد، كأنهم يريدون أن يقرأوا على صفحتي وجهيهما، ما يكنُّه صدرهما، وجعلوا يتهامسون، فقال واحدٌ من الذين في قلوبهم مرضٌ: فتىً عاق، أبا إلا أن يسيء إلى من أحسن إليه، وقال آخرون: بل إنه غلامٌ نشأ في طاعة الله، وإن قسمات وجهه لتنطق بصدقه. والتفت النبي صلوات الله عليه إلى عمير فرأى وجهه قد إحتقن بالدم، والدموع تتحدر مدراراً من عينيه، فتتساقط على خديه وصدره، وهو يقول: أللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به، أللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به، فانبرى الجلاس وقال: إنما ذكرته لك يا رسول الله هو الحق، وإن شئت تحالفنا بين يديك، وإني أحلف بالله أني ما قلت شيئاً مما نقله لك عمير، فما إن انتهى من حلفه، وأخذت عيون الناس تنتقل عنه إلى عمير بن سعد، حتى غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلّم السكينة، فعرف الصحابة أنه الوحي، فلزموا أماكنهم، وسكنت جوارحهم ولاذوا بالصمت وتعلّقت أبصارهم بالنبي عليه الصلاة والسلام، وهنا ظهر الخوف والوجل على الجُلاس، وبدى التلهُّف والتشوُّف على عُمير، وظل الجميع كذلك حتى سُرِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم فتلى قوله تعالى:

(يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا)

(سورة التوبة: آية " 74 ")

إرتعد الجُلاس من هول ما سمع، وكاد ينعقد لسانه من الجزع، ثم إلتفت إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال: بل أتوب يا رسول الله، بل أتوب، صدق عميرٌ يا رسول الله وكنت من الكاذبين، إسأل الله أن يقبل توبتي، جعلت فداك يا رسول الله، وهنا توجه النبي عليه الصلاة والسلام إلى الفتى عُمير بن سعد، فإذا دموع الفرح تبلل وجهه المشرق بنور الإيمان، فمد النبي عليه الصلاة والسلام يده الشريفة إلى أذنه وأمسكها برفقٍ وقال: وفّت أذنك يا غلام ما سمعت وصدقك ربك، وعاد الجلاس إلى حظيرة الإسلام وحسن إسلامه.

أ. جمال: السؤال الآن فضيلة الشيخ: كيف كانت علاقة الجلاس مع عمير بعد هذه الحادثة المشهودة ؟

أ.راتب: لقد عرف الصحابة صلاح حاله مما كان يغدقه على عميرٍ من بر، وقد كان يقول كلما ذُكر عُمير: جزاه الله عني خيراً، فقد أنقذني من الكفر.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 15 : الصحابي عمرو بن الجموح
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1998-01-13

بسم الله الرحمن الرحيم

أ. جمال: فضيلة الشيخ، سيدنا الصحابي الجليل عمرو بن الجموح شخصيةٌ كريمة من صحابة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام، حبَّذا لو نسلّط الضوء في هذه الليلة المباركة حول هذه الشخصية الفذَّة.

أ. راتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، هذا الصحابي الجليل له قصةٌ طريفة، فهو زعيمٌ من زعماء يثرب في الجاهلية، وسيد بني سلمة، وواحدٌ من أجواد المدينة وذوي المروءآت فيها، وقد كان من شأن الأشراف في الجاهلية أن يتخذ كل واحدٍ منهم صنماً لنفسه في بيته، ليتبرَّك به عند الغدوِ والرواح، وليذبح له في المواسم، وليلجأ له في المُلِمَّات، وكان صنم عمرو بن الجموح يُدعى مناة، وقد إتخذه من نفيس الخشب، وكان شديد الإسراف في رعايته والعناية به وتضميخه بنفائس الطيب، وكان عمرو قد جاوز الستين من عمره، حينما بدأت أشعة الإيمان تغمر بيوت يثرب بيتاً فبيتاً على يدِ سيدنا مصعب بن عمير، فآمن على يده أولاده الثلاثة، معوَّذ ومُعاذ وخلاَّد، وتربٌ لهم يدعى معاذ بن جبل، وآمنت مع أبنائه الثلاثة أُمهم هند، وهو لا يعرف من أمر إيمانهم شيئاً، رأت هند زوجة عمرو بن الجموح أن يثرب غلب على أهلها الإسلام، وأنه لم يبق من السادة الأشراف أحدٌ على الشرك سوى زوجها ونفرٍ قليلٍ معه، وكانت تحبه وتُجله، وتُشفق عليه أن يموت على الكفر فيصير إلى النار، وكان هو في الوقت نفسه يخشى على أبنائه أن يرتدوا عن دين آبائهم وأجدادهم، وأن يتبعوا هذا الداعية مصعب بن عمير، الذي استطاع في زمنٍ قليل أن يحوِّل كثيراً من الناس عن دينهم، وأن يدخلهم في دين محمد، فقال مرةً لزوجته: ياهند إحذري أن يَلتقي أولادك بهذا الرجل، يعني مصعب بن عمير، حتى نرى رأينا فيه، فقالت: سمعاً وطاعة، ولكن هل لك أن تسمع من إبنك معاذ ما يرويه عن هذا الرجل ؟ فقال: ويحك وهل صبأ معاذ عن دينه وأنا لا أعلم ؟ فأشفقت المرأة الصالحة على الشيخ وقالت: كلا، ولكنه حضر بعض مجالس هذا الداعية وحفظ شيئاً مما يقوله، فقال: أُدعوه لي، فلما حضر بين يديه قال: أسمعني شيئاً مما يقوله هذا الرجل، فقرأ سورة الفاتحة، فقال: ما أحسن هذا الكلام وما أجمله، أو كل كلامه مثل هذا ؟ فقال معاذ: وأحسن من هذا يا أبتاه، فهل لك أن تبايعه فقومك جميعاً قد بايعوه، سكت الشيخ قليلاً ثم قال: لست فاعلاً حتى أستشير مناةَ فأنظر ما يقول، فقال الفتى: وما عسى أن يقول مناةُ يا أبتاه وهو خشبٌ أصم لا يعقل ولا ينطق ؟! فقال الشيخ في حدة: قلت لك لن أقطع أمراً دونه، ثم قام عمرو بن الجموح إلى مناةَ، وكانوا إذا أرادوا أن يكلموه جعلوا خلفه امرأة عجوزاً فتجيب عنه ما يُلهمها إياه في زعمهم، ثم وقف أمامه بقامته

الممدودة، واعتمد على رجله الصحيحة، فقد كانت الأخرى عرجاء شديدةَ العرج، فأثنى عليه أطيب الثناء ثم قال: يا مناة لا ريب بأنك قد علمت بأن هذا الداعية الذي وفد علينا من مكة لا يريد أحداً بسوءٍ سواك، وأنه إنما جاء لينهانا عن عبادتك وقد كرهت أن أُبايعه على الرغم مما سمعت من جميل قوله حتى أستشيرك، فأشر عليّ، فلم يرد عليه مناة بشيء.

أ. جمال: عجيب يا أستاذ راتب النابلسي هذا الضعف في العقل.

أ. راتب: هكذا كانوا في الجاهلية، لما سُميت الجاهلية جاهليةً ؟ لأنها جهلٌ.

فقال لعلك قد غضبت، وأنا لم أصنع شيئاً يؤذيك بعدُ، ولكن لا بأس سأتركك أياماً حتى يسكت عنك الغضب، كان أبناء عمرو بن الجموح يعرفون مدى تعلُّق أبيهم بصنمه مناة، وكيف أنه غدى مع الزمن قطعة منه، ولكنهم أدركوا أنه بدأت تتزعزع مكانته في قلبه، وأن عليهم أن ينتزعوه من نفسه إنتزاعاً فذلك سبيله إلى الإيمان، أدلج أبناؤه مع صديقهم معاذ بن جبل إلى مناة في الليل، وحملوه من مكانه وذهبوا به إلى حفرةٍ لبني سلمة يرمون به أقذارهم وطرحوه هناك، وعادوا إلى بيوتهم دون أن يعلم بهم أحد، فلما أصبح عمرو دلف إلى صنمه لتحيته فلم يجده فقال: ويلكم من عدا على إلهنا هذه الليلة ؟

أ. جمال: ما معنى كلمة دلف ؟

أ. راتب: أي سلك.

فلم يجبه أحدٌ بشيء، فطفق يبحث عنه في داخل البيت وخارجه وهو يرغي ويزبد ويتهدد ويتوعد، حتى وجده منكساً على رأسه في الحفرة، فغسله وطهَّره وطيَّبه وأعاده إلى مكانه وقال له: أما والله لو أعلم من فعل هذا لأخذيته، فلما كانت الليلة الثانية، عدا الفتية على مناة، ففعلوا فيه مثل فعلهم بالأمس، فلما أصبح الشيخ إلتمسه فوجده في الحفرة ملطخاً بالأقذار، فأخذه وغسله وطيبه وأعاده إلى مكانه، ومازال الفتية يفعلون بالصنم مثل ذلك كل يوم، فلما ضاق بهم زرعاً راح إليه قبل منامه وأخذ سيفه فعلقه برأسه، وقال له: يا مناة إني والله ما أعلم من يصنع بك هذا الذي ترى، فإن كان فيك خيرٌ فادفع الشر عن نفسك، وهذا السيف معك، ثم آوى إلى فراشه، فما إن إستيقن الفتية من أن الشيخ قد غط في نومه حتى هبوا إلى الصنم، فأخذوا السيف من عنقه وذهبوا به خارج المنزل، وقرنوه بكلبٍ ميت، وألقوه بهما في بئرٍ لبني سلمة تسيل إليها الأقذار وتتجمع فيها، فلما استيقظ الشيخ ولم يجد الصنم خرج يلتمسه، فوجده مُكباً على وجهه في البئرِ مقروناً إلى كلبٍ ميت وقد سُلب منه السيف، فلم يخرجه هذه المرة من الحفرة، وإنما تركه حيث ألقوه وأنشأ يقول: والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلبٌ وسط بئرٍ في قرن، ثم مالبث أن دخل في دين الله.

أ. جمال: يبدو أستاذ راتب النابلسي أن حلاوة الإيمان بدأت تدخل إلى قلب هذا الصحابي الجليل عمرو بن الجموح، لنتابع والعود أحمد إلى هذا الحديث الشيِّق.

أ. راتب: الآن فُتحت صفحة في حياته جديدة، تذوَّق عمرو بن الجموح من حلاوة الإيمان ما تذوق، وما جعله يعُضُّ بنان الندم على كل لحظةٍ قضاها في الشرك، فأقبل على هذا الدين الجديد بجسده وروحه، ووضع نفسه وماله وولده في طاعة الله وطاعة رسوله، وما هو إلا قليلٌ حتى كانت أُحد، فرأى عمرو بن الجموح أبناءه الثلاثة يتجهزون للقاء أعداء الله، ونظر إليهم غادين رائحين كأُسد الشراى وهم يتوهَّجون شوقاً إلى نيل الشهادة والفوز لمرضات الله، فأثار الموقف حميَّته وعزم على أن يغدو معهم إلى الجهاد تحت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن الفتية أجمعوا على منع أبيهم مما عزم عليه، فهو شيخٌ كبير طاعنٌ في السن، وهو إلى ذلك أعرجٌ شديد العرج، وقد عذره الله عزّ جل فيمن عذرهم، فقالوا له: يا أبانا إن الله عذرك فعلام تُكلف نفسك عما أعفاك الله منه، فغضب الشيخ من قولهم أشد الغضب، وانطلق إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام يشكوهم، فقال: يا نبي الله إن أبنائي هؤلاء يريدون أن يحبسوني عن هذا الخير، وهم يتزرعون بأني أعرج، والله إني لأرجوا أن أطأ بعرجتي هذه الجنة.

أ. جمال: وهذه مقولة مشهورة، ونحن دائماً نعتز بهذه المقولة لأنها تدل على عمق الإيمان في قلب المؤمن الذي دخل هذا الإيمان إلى قلبه.

أ. راتب: ألم أقل في أو اللقاء إن له قصةً طريفة، فقال عليه الصلاة والسلام لأبنائه:

((دعوه لعل الله عزّ وجل يرزقه الشهادة))

فخلوا عنه إذعاناً لأمر النبي عليه الصلاة والسلام، وما إن أذف وقت الخروج حتى ودع عمرو بن الجموح زوجته وداع مفارقٍ لا يعود، ثم إتجه إلى القبلة ورفع كفيه إلى السماء وقال: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائباً، ثم انطلق يحيط به أبناؤه الثلاثة وجموعٌ كبيرة من قومه بني سلمة، ولما حمي وطيس المعركة، وتفرَّق الناس عن رسول الله صلوات الله عليه، شوهد عمرو بن الجموح يمضي في الرعيل الأول ويثب على رجله الصحيحة وثباً وهو يقول: إني لمشتاقٌ إلى الجنة، إني لمشتاقٌ إلى الجنة، وكان وراءه ابنه خلاَّد، ومازال الشيخ وفتاه يُجالدان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى خرا صريعين شهيدين على أرض المعركة، ليس بين الإبن وأبيه إلا لحظات، وما إن وضعت المعركة أوزارها، حتى قام النبي عليه الصلاة والسلام إلى شهداء أُحد ليواريهم ترابهم، فقال لأصحابه:

((خلوهم بدمائهم وجراحهم، فأنا الشهيد عليهم))

ثم قال:

((ما من مسلمٍ يُكْلَم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة يسيل دماً، اللون لون الزعفران، والريح ريح المسك " ثم قال: " إدفنوا عمرو بن الجموح مع عبد الله بن عمرو، فقد كانا متحابين متصافيين في الدنيا))

رضي الله عن عمرو بن الجموح وأصحابه من شهداء أحد، ونوَّر لهم قبورهم.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 16 : الصحابي عدي بن حاتم الطائي
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1998-01-15

بسم الله الرحمن الرحيم

أ. جمال: أستاذ راتب، السؤال الذي ورد إلى بالنا ونحن نتحدث عن صحابةٍ أجلاء هم ملء العين دائماً، عديٌّ بن حاتم الطائي شخصية فذّة سمعنا عنها الكثير وقرأنا عنها، اليوم إذا سمحتم من هو عديٌّ بن حاتم الطائي ؟

أ. راتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ الصادق الوعد الأمين، إن عدي بن حاتم الطائي ملكٌ من ملوك العرب، لان للإيمان بعد إعراضٍ وصد، وأعطى الطاعة للرسول عليه الصلاة والسلام بعد إيباءٍ، عدي بن حاتم ورث الرئاسة عن أبيه فملّكته طيٌّ عليها، وفرضت له الربع في غنائمها، وأسلمت إليه القياد، ولما صدع الرسول الكريم بدعوة الهدى والحق، ودانت له العرب حياً بعد حي، رأى عديٌّ في دعوة النبي عليه الصلاة والسلام زعامةً توشك أن تقضي على زعامته، ورياسةً ستفضي إلى إزالة رياسته، فعادى النبيّ صلى الله عليه وسلم أشد العداوة وهو لا يعرفه، وأبغضه أعظم البغض قبل أن يراه، وظل على عداوته للإسلام قريباً من عشرين عاماً، حتى شرح الله صدره لدعوة الهدى والحق.

أ. جمال: أستاذ راتب النابلسي، وما دام عدي بن حاتم الطائي على هذه العداوة والبغضاء للنبي الأعظم عليه الصلاة والسلام، السؤال الذي يطرح ذاته كيف أسلم هذا الصحابي الجليل ؟

أ. راتب: يا أخ جمال لإسلام هذا الصحابي الجليل قصةٌ لا تُنسى، فالنترك للرجل نفسه الحديث عن قصته، فهو بها أولى وبروايتها أجدر.

يقول عديُ بن حاتم: ما من رجلٍ من العرب كان أشد مني كراهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمعت به، فقد كنت امرأً شريفاً وكنت أسير في قومي بالمرباع، فآخذ الربع من غنائمهم كما كان يفعل غيري من ملوك العرب، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته، ولما عظُم أمره واشتدت شوكته، وجعلت جيوشه وسراياه تُشَرِّق وتُغَرِّب في أرض العرب، قلت لغلامٍ لي يرعى إبلي: لا أبا لك أعدد لي من إبلي نوقاً سماناً سهلة القياد واربطها قريباً مني، فإن سمعت بجيش محمدٍ، أو بسريةٍ من سراياه، قد وطأت هذه البلاد فأعلمني، وفي ذات غداةٍ أقبل علي غلامي وقال: يا مولاي ما كنت تنوي أن تصنعه إذا وطأت أرضك خيل محمدٍ فاصنعه الآن، فقلت: ولما ثكلتك أُمك ؟ فقال : إني قد رأيت راياتٍ تجوس خلال الديار، فسألت عنها فقيل لي: هذا جيش محمدٍ.

فقلت له: أعدد لي النوق التي أمرتك بإعدادها وقرِّبها مني، ثم نهضت لساعتي فدعوت أهلي وأولادي إلى الرحيل عن الأرض التي أحببناها، وجعلت أُغِذُّ السير إلى بلاد الشام لألحق بأهل ديني وأنزل بينهم، وقد أعجلني الأمر عن إستقصاء أهلي كلهم، فلما إجتزت مواضع الخطر تفقدت أهلي فإذا بي قد تركت أختاً لي في مواطننا في نجدٍ مع من بقي هناك من طي، ولم يكن لي من سبيلٍ إلى الرجوع إليها، فمضيت بمن معي حتى بلغت الشام وأقمت فيها بين أبناء ديني، وأما أُختي فقد نزل بها ما كنت أتوقعه، لقد بلغني وأنا في ديار الشام أن خيل محمدٍ صلى الله عليه وسلم أغارت على ديارنا، وأخذت أُختي في جملة من أخذته من السبايا وسيقت إلى يثرب.

أ. جمال: أستاذ راتب، ما حال أُخته وقد وقعت في أسر أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ؟

أ. راتب: الحقيقة يا أخ جمال، وضعت أُخته مع السبايا في حظيرةٍ عند باب المسجد، أخته أسمها سفَّانة، وضعت مع السبايا في حظيرةٍ عند باب المسجد، فمر بها النبي عليه الصلاة والسلام، فقامت إليه وقالت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد فمنن عليَّ من الله عليك، فقال: ومن وافدك ؟ فقالت: عدي بن حاتم، فقال: الفار من الله ورسوله، ثم مضى النبيّ عليه الصلاة والسلام وتركها، فلما كان الغدو مرّ بها فقالت له مثل قولها بالأمس، فقال لها مثل قوله، فلما كان بعد الغد مرة بها وقد يئست منه فلم تقل شيئاً، فأشار إليها رجلٌ من خلفه أن قومي إليه وكلميه، فقامت إليه وقالت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فمُن علي منَّ الله عليك، فقال: قد فعلت. فقالت: إني أُريد اللحاق بأهلي في الشام، فقال عليه الصلاة والسلام: ولكن لا تعجلي بالخروج حتى تجدِ من تثقين به من قومك ليبلّغك بلاد الشام، فإذا وجدت الثقة فأعلنيني، ولما انصرف النبيّ عليه الصلاة والسلام، سألت عن الرجل الذي أشار إليها أن تكلمه فقيل لها: إنه عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، ثم أقامت حتى قدم ركبٌ فيهم من تثق به، فجاءت النبي عليه الصلاة والسلام وقالت: يا رسول الله لقد قدم رهطٌ من قومي لي فيهم ثقةٌ وبلاغ، فكساها النبي صلوات الله عليه ومنحها ناقةً تحملها وأعطاها نفقةً تكفيها، فخرجت مع الركب.

أ. جمال: أستاذ راتب السؤال الذي يطرح نفسه الآن ماذا فعل أخوها بعد أن علم أن أُخته في الأسر ؟

أ. راتب: الحقيقة كان أخوها متألماً أشد الألم، قال عديٌّ: ثم جعلنا بعد ذلك نتنسم أخبارها، ونترقب قدومها ونحن لا نكاد نصدق ما روي لنا من خبرها مع محمدٍ، وإحسانه إليها كل ذلك الإحسان مع ما كان مني تجاهه، فوالله إني لقاعدٌ في أهلي إذ أبصرت امرأة في هودجها تتجه نحونا، فقلت: إبنة حاتم، فإذا هي هي، فلما وقفت علينا بادرتني بقولها: القاطع الظالم، لقد احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك وعورتك، فقلت: أي أُخية لا تقولي إلا خيراً، وجعلت أسترضيها حتى رضيت، وقصَّت عليّ خبرها، فإذا هو كما تناهى إلي، فقلت لها: وكانت امرأة حازمة عاقلة، ما ترين في أمر الرجل ؟ أي محمد عليه الصلاة والسلام، فقالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن نبياً فللسابق إليه فضله، وإن

يكن ملكاً فلن تذل عنده وأنت أنت، فقال عديٌ: هيَّأت جهازي، ومضيت حتى قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة من غير أمانٍ ولا كتابٍ، وكان بلغني أنه قال: إني لأرجو أن يجعل الله يدَ عديٍ في يدي، فدخلت عليه وهو في المسجد فسلمت عليه، فقال: من الرجل ؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام إلي وأخذ بيدي وانطلق بي إلى بيته، فو لله إنه لماضٍ بي إلى البيت إذ لقيته امرأة ضعيفةٌ كبيرة ومعها صبيٌ صغير فاستوقفته، وجعلت تكلّمه في حاجته لها، فظل معها حتى قضى حاجتها وأنا واقف، ألم تقل له أخته: إما أنه نبي وإما أنه ملك، فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك، ثم أخذ بيدي ومضى بي حتى أتينا منزله، فتناول وسادةً من أدمٍ محشوةٍ ليفاً، فألقاها إلي وقال: اجلس على هذه، فاستحييت منه وقلت: بل أنت تجلس عليها، قال: بل أنت، فامتثلت وجلست عليها، وجلس النبي صلى الله عليه وسلم على الأرض، إذ لم يكن في بيته سِوى هذه الوسادة، فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم التفت إلي وقال: إيهِ يا عديُ بن حاتم، إيهِ أي تكلم، ألم تكن رُكوسياً ؟ قلت: بلى. قال: ألم تكن تسير في قومك بالمرباع فتأخذ منهم ما لا يحل لك في دينك ؟ فقلت: بلى، وعرفت أنه نبيٌ مرسل يعلم ما يجهل، ثم قال لي: لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما تراه من حاجة المسلمين وفقرهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من قلة المسلمين وكثرة عدوهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف أحداً إلا الله، ولعلك إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين أنك ترى أن المُلك والسلطان في غير المسلمين، ويم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم، وأن كنوز كسرى بن هرمز قد صارت إليهم، فقلت: كنوز كسرى بن هُرمز ؟ فقال: نعم كنوز كسرى بن هُرمز، قال عدي:عندئذٍ شهدت شهادة الحق وأسلمت.

أ. جمال: رضي الله تعالى عن هذا الصحابي الجليل أستاذ راتب، كيف انتهت حياة عدي بن حاتم الطائي ؟

أ. راتب: الأخ جمال، سيدنا عدي بن حاتم عُمِّر طويلاً وكان يقول: لقد تحققت إثنتان وبقيت الثالثة وإنها والله لا بدَّ كائنة، فقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تبلغ هذا البيت، وكنت في أول خيلٍ أغارت على كنوز كسرى وأخذتها، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة، ولقد شاء الله أن يحقق قول نبيه عليه الصلاة والسلام فجاءت الثالثة في عهد الخليفة الزاهد العابد عمر بن عبد العزيز، حيث فاضت الأموال على المسلمين حتى جعل مناديه ينادي على من يأخذ أموال الزكاة من فقراء المسلمين فلم يجد أحداً، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

أ. جمال: أستاذ راتب، من هو محور لقائنا في هذا اليوم ؟ من هو الصحابي الجليل الذي سنكون اليوم في صدد الحديث عنه ؟

أ. راتب: سأجيبكم عن هذا السؤال بعد قليل، نحن الآن في السنة السابعة قبل الهجرة في مكة، ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه يكابد من أذى قريشٍ له ولأصحابه ما يكابد، ويحمل من هموم الدعوة وأعبائها ما أحال حياته إلى سلسلةٍ متواصلةٍ من الأحزان والنوائب، وفيما هو كذلك أشرقت في حياته بارقة سرور، فلقد جاءه البشير يبشِّره أن أم أيمن وضعت غلاماً، فأضاءت أساريره عليه الصلاة والسلام بالفرحة، وأشرق وجهه الكريم بالبهجة، فمن يكون هذا الغلام السعيد الذي أدخل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّ هذا السرور ؟ إنه أسامة بن زيد، محور هذا اللقاء.

أ. جمال: إذاً نحن الآن في صدد الحديث عن صحابي جليل إسمه أسامة بن زيد.

أ. راتب: لم يستغرب أحدٌ من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهجته بالمولود الجديد، وذلك لموضع أبويه منه، ومنزلتهما عنده، فأم الغلام هي بركة الحبشية المُكَنَّاة بأم أيمن، وقد كانت مملوكةً لآمنة بنت وهبٍ أم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فربته في حياتها، وحضنته بعد وفاتها، ففتح عينيه على الدنيا وهو لا يعرف لنفسه أماً غيرها، فأحبَّها أعمق الحب وأصدقه، وكثيراً ما كان يقول: هي أمي بعد أمي وبقية أهل بيتي، هذه أم الغلام المحظوظ، أما أبوه فهو حب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة، وابنه بالتبني قبل الإسلام، وصاحبه وموضع سرّه، وأحد أهله وأحب الناس إليه بعد الإسلام، هذا أبوه وهذه أمه، وقد فرح المسلمون بمولد أسامة بن زيد كما لم يفرحوا بمولودٍ سواه، ذلك لأن كلّ ما يفرح النبي عليه الصلاة والسلام يفرحهم، وكلَّ ما يدخل السرور على قلبه يسرهم، فأطلقوا على الغلام المحظوظ لقب الحبَّ ابن الحب.

أ. جمال: أستاذ راتب النابلسي ما معنى كلمة الحِب ؟

أ. راتب: الحِب هو المحبوب، أي هو محبوب رسول الله، وأبوه محبوب رسول الله، ولم يكن المسلمون مبالغين حينما أطلقوا هذا اللقب على الصبي الصغير أسامة، فقد أحبَّه النبي صلوات الله وسلامه عليه حباً تغبطه عليه الدنيا كلُّها، فقد كان أسامة مقارباً في السن لسبطه الحسن بن فاطمة الزهراء، وكان الحسن أبيض أزهر رائع الحسن شديد الشبه بجده رسول الله، وكان أسامة أسود البشرة، أفطس الأنف شديد الشبه بأمه الحبشية.

أ. جمال: أستاذ راتب قلتم كلمة سبط، ما معنى كلمة سبط ؟

أ. راتب: ابن الإبن، أي ابن الأولاد، أي نجل، لكن النبي صلوات الله وسلامه عليه ما كان يفرِّق بينهما في الحب، فكان يأخذ أسامة فيضعه على إحدى ركبتيه، ويأخذ الحسن فيضعه على ركبته الأخرى، ثم يضمهما معاً إلى صدره ويقول: اللهم إني أحبهما فأحبهما. وقد بلغ من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسامة أنه عثر ذات مرةٍ بعتبة الباب، فشجَّت جبهته وسال الدم من جرحه، فأشار النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضوان الله عليها أن تزيل الدم عن جرحه، فلم تطب نفسها لذلك، فقام إليه النبي عليه الصلاة والسلام، وجعل يضمِّد جراحه ويطيِّب خاطره بكلماتٍ تفيض عذوبةً وحناناً، وكما أحب النبي عليه الصلاة والسلام أسامة في صغره فقد أحبه في شبابه، فلقد أهدى حكيم بن حزامٍ أحد ثراة قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة ثمينةً شراها من اليمن بخمسين ديناراً ذهباً كانت لذي يزن أحد ملوكهم، فأبى النبي الكريم أن يقبل هديته لأنه كان يومئذٍ مشركاً، وأخذها منه بالثمن، ولقد لبثها النبي الكريم مرةً واحدة في يوم الجمعة، ثم خلعها على أسامة بن زيد، فكان يروح بها ويغدو بين أترابه من شبان المهاجرين والأنصار.

أ. جمال: أستاذ راتب السؤال الذي يخطر إلى البال الآن، هؤلاء الذين يتحدثون عن حقوق الإنسان، ليتهم يروا كيف عامل النبي عليه الصلاة والسلام هؤلاء المملوكين وكأنهم أقرب الناس إليهم ؟

أ. راتب: هذه رحمته صلى الله عليه وسلم وهذا من كماله وقد وصفه الله عزَّ وجل فقال:

(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4))

(سورة القلم)

ولما بلّغ أسامة بن زيد أشده بدى عليه من كريم الشمائل وجليل الخصائل ما يجعله جديراً بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان ذكياً حاد الذكاء، شجاعاً خارق الشجاعة، حكيماً يضع الأمور في مواضعها، عفيفاً يأنف عن الدنايا، آلفاً مألوفاً يحبه الناس، تقياً ورعاً يحبه الله.

أ. جمال: أستاذ راتب هل لنا أن نتحدث عن صورة من صور الشجاعة والبطولة عند أسامة بن زيد لنُطلع الإخوة المستمعين عن المزيد من حياة هذا الصحابي الجليل.

أ. راتب: نعم، في يوم أحد جاء أسامة بن زيد مع نفرٍ من صبيان الصحابة رضوان الله عليهم، يريدون الجهاد في سبيل الله، فأخذ النبي الكريم منهم من أخذ ورد منهم من رد لصغر أعمارهم، البطولة كانت تسري في دمائهم، فكان في جملة المردودين أسامة بن زيد، فتولى وعيناه الصغيرتان تفيضان من الدمع حزناً ألا يجاهد تحت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي غزوة الخندق جاء أسامة بن زيد أيضاً ومعه نفرٌ من فتيان الصحابة، وجعل يشدُّ قامته إلى أعلى ليجيزه النبي الكريم، فرقَّ له النبي عليه الصلاة والسلام وأجازه فحمل السيف جهاداً في سبيل الله وهو ابن خمس عشرة سنة.

أ. جمال: أيضاً أستاذ راتب معلوماتنا عن هذا الصحابي الجليل له موقفٌ في يوم حنين، يا ليت أن نتكلم عنه ؟

أ. راتب: وفي يوم حنين حينما إنهزم المسلمون ثبت أسامة بن زيد مع العباس عم رسول الله وأبي سفيان ابن عمه وستة نفرٍ آخرين من كرام الصحابة، فاستطاع النبي الكريم بهذه الفئة الصغيرة المؤمنة الباسلة أن يحول هزيمة أصحابه إلى نصرٍ، وأن يحمي المسلمين الفارين من أن يفتك بهم المشركون، وفي يوم مؤته جاهد أسامة تحت لواء أبيه زيد بن حارثة، وسنه دون الثامنة عشر، فرأى بعينيه مصرع أبيه، فلم يهن ولم يتضعضع وإنما ظلَّ يقاتل تحت لواء جعفر بن أبي طالب حتى صُرع على مرأى منه ومشهد، ثم تحت لواء عبد الله بن رواحة، حتى لحق بصاحبيه، ثم تحت لواء خالد بن الوليد، الذي استنقذ الجيش الصغير من براثن الروم، ثم عاد أسامة إلى المدينة محتسباً أباه عند الله، تاركاً جسده الطاهر على تخوم الشام راكباً جواده الذي استشهد عليه، وفي السنة الحادية عشر للهجرة أمر النبي الكريم بتجهيز جيشٍ لغزو الروم، وجعل فيه أبا بكرٍ وعمر وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح وغيرهم من جلَّة الصحابة وأمرَّ على الجيش أسامة بن زيد، شيءٌ لا يصدق وهو لم يجاوز العشرين بعده، شابٌ في العشرين تحت إمرته أبو بكرٍ وعمر وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح، وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء وقلعة الداروم القريبة من غزة من بلاد الروم، وفيما كان الجيش يتجهَّز مرض النبي الكريم، ولما اشتد عليه المرض توقف الجيش عن المسير انتظارا لما تسفر عنه حالة النبي عليه الصلاة والسلام.

أ. جمال: أستاذ راتب النابلسي، هل يصدق الإنسان أن يكون أسامة بن زيد في هذه المكانة عند النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام ؟.

أ. راتب: أولاً هذا يؤكد رحمة النبي ووفائه، ويؤكد بطولته وتفوقه معاً، قال أسامة: ولما ثقل على نبي الله المرض أقبلت عليه وأقبل الناس معي، فدخلت عليه فوجدته قد صمت فما يتكلم من وطأة الداء، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها علي، فعرفت أنه يدعو لي، ثم ما لبث النبي أن فارق الحياة، وتمت البيعة لأبي بكرٍ فأمر بإنفاذ بعث أسامة.

الآن.. لكن فئة من الأنصار رأت أن يؤخَّر البعث، إرسال هذا الجيش، وطلبت من عمر بن الخطاب أن يكلم في ذلك أبا بكر وقالت له: فإن أبا إلا المضي فأبلغه عنا أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة، وما إن سمع الصديق من عمر رسالة الأنصار حتى وثب لها وكان جالساً، وأخذ بلحية الفاروق، وقال مغضباً: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، إستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أنزعه، والله لا يكون ذلك، ولما رجع عمر إلى الناس سألوه عما صنع فقال: أمضوا ثكلتكم أمهاتكم فقد لقيت ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله، نقل إلى الصديق رأي الأنصار، فوقف هذا الموقف

الشجاع، فخضع الأنصار لهذا التوجيه، مضى أسامة بن جيش وأنفذ كلٌّ ما أمره به النبي الكريم، فأوطأ خيل المسلمين تخوم البلقاء وقلعة الداروم من أرض فلسطين، ونزع هيبة الروم من قلوب المسلمين، ومهَّد الطريق أمامهم لفتح ديار الشام ومصر والشمال الإفريقي كلّه حتى بحر الظُلمات، ثم عاد أسامةُ ممتطياً صهوة الجواد الذي استشهد عليه أبوه، حاملاً من الغنائم ما زاد عن تقدير المقدِّرين حتى قيل: إنه ما رؤي جيشٌ أسلم وأغنم من جيش أسامة بن زيد، هذا أسامة بن زيد.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 18 : الصحابي أبو العاص بن الربيع
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1998-01-18

بسم الله الرحمن الرحيم

أ. جمال: أستاذ راتب من هو ضيفنا في هذا اللقاء الطيِّب من برنامج صور من حياة الصحابة ؟

أ. راتب: ضيفنا سيدنا أبو العاص بن الربيع، صهر النبي عليه الصلاة والسلام، زوج ابنته السيدة زينب رضي الله عنها، كان أبو العاص بن الربيع العبشمي القرشي شاباً موفور الشباب، بهي الرونق رائع المنظر، بسطت عليه النعمة بلالها، وجلله الحسب بردائه، فغدا مثلاً للفروسية العربية بكل ما فيها من خصال الأنفة والكبرياء، ومآثر الاعتزاز بتراث الآباء والأجداد، وقد ورث أبو العاص حب التجارة عن قريشٍ صاحبة الرحلتين ؛ رحلة الشتاء ورحلة الصيف، فكانت ركائبه لا تفتأ ذاهبةً آيبةً بين مكة والشام، وكانت قافلته تضمُّ المئة من الإبل والمئتين من الرجال، وكان الناس يدفعون إليه بأموالهم ليتجَّر لهم بما فوق ماله لما بلوا من حذقه وصدقه وأمانته، لما بلوا أي لما عرفوا، وكانت خالته خديجة بن خويلد زوج محمد بن عبد الله، تنزله من نفسها منزلة الولد من أمه، وتفسح في له في قلبها وبيتها مكاناً مرموقاً ينزل فيه على الرحب والحُب، ولم يكن حبُّ محمد بن عبد الله لأبي العاص بأقل نمن حب خديجة له ولا أدنى، ومرَّت الأعوام صِراعاً خفافاً على بيت محمد بن عبد الله، فشبَّ، ت زينب كبرى بناته وتفتحت كما تتفتح زهرةٌ فوَّاحة، فطمحت إليها نفوس أبناء السادة من أشراف مكة، وكيف لا ؟ وهي من أعرق بنات قريشٍ حسباً ونسباً، وأكرمهن أماً وأباً، وأزكاهن خلقاً وأدباً، ولكن أنى لهم أن يظفروا بها وقد حال دونهم ودونها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع فتى فتيان مكة.

ولم يمض على اقتران زينب بنت محمد بأبي العاص إلا سنواتٌ معدودات حتى أشرقت بطاح مكة بالنور الإلهي، وبعث الله نبيه محمد بدين الهدى والحق، وأمره بأن ينذر عشريته الأقربين، فكان أول من آمن به من النساء زوجته خديجة بنت خويلد، وبناته زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة على الرغم من أن فاطمة كانت صغيرةً آن ذاك، غير أن صهره أبا العاص كره أن يفارق دين آبائه وأجداده، وأبى أن يدخل فيما دخلت فيه زوجته زينب، على الرغم من أنه كان يصفيها بصافي الحب ويمحضُها من محض الوداد، ولما اشتد النزاع بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين قريش قال بعضهم لبعض: ويحكم إنكم قد حملتم عن محمدٍ همومه بتزويج فتيانكم من بناته فلو ردتموهُنَّ إليه لانشغل بهن عنكم.

أ. جمال: أرادوا أن يفرقوا بين بناته وأصهاره.

أ. راتب: فقالوا: نعم الرأي ما رأيتم، ومشوا إلى أبي العاص وقالوا له: فارق صاحبتك يا أبا العاص، وردَّها إلى بيت أبيها، ونحن نزوجك أية إمرأةٍ تشاء من كرائم عقيلات قريش، فقال: لا والله إني لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بها نساء الدنيا جميعاً.

أما ابنتاه رقية وأم كلثوم فقد طُلِّقتا وحُملتا إلى بيته، فسرَّ النبي عليه الصلاة والسلام بردهما إليه وتمنى أن لو فعل أبا العاص كما فعل صاحباه، غير أنه ما كان يملك من القوة ما يرغمه على ذلك، ولم يكن قد شُرِعَ بعد تحريم زواج المؤمنة من المشرك.

ولما هاجر النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، واشتد أمره فيها، وخرجت قريش إلى قتاله في بدر، اضطر أبا العاص للخروج معهم اضطرارا، إذ لم تكن به رغبةٌ في قتال المسلمين، ولا أربٌ في النيل منهم، ولكن منزلته في قومه حملته على مسايرتهم حملاً، وقد انجلت بدرٌ عن هزيمةٍ منكرةٍ لقريش أذلت أنوف الشرك وقسمت ظهور طواغيته ؛ ففريقٌ قتل، وفريقٌ أسر، وفريق نجَّاه الفرار، وكان في زمرة الأسرى أبو العاص زوج زينب بنت محمد صلوات الله عليه وسلامه، وقف النبي أمامه يستعرض الأسرى، فلما وقعت عينه على صهره، قال عليه الصلاة والسلام: والله ما ذممناه صهراً. هو مشرك وجاء ليحاربه ولكن النبي ما نسي أنه كان زوجاً طيباً قال: والله ما ذممناه صهراً. فرض النبي عليه الصلاة والسلام على الأسرى فديةً يفتدون بها أنفسهم من الأسر، وجعلها تتراوح بين ألف درهمٍ وأربعة آلافٍ، بحسب منزلة الأسير في قومه وغناه، وطفقت الرسل تروح وتغدوا بين مكة والمدينة، حاملةً من الأموال ما تفتدي بها أسراها، فبعثت زينب رسولها إلى المدينة يحمل فدية زوجها أبي العاص، وجعلت فيها قلادةً كانت أهدتها لها أمها خديجة بنت خويلد يوم زفتها إليه، فلما رأى النبي عليه الصلاة والسلام القلادة (قلادة زوجته السيدة خديجة) غشيت وجهه الكريم غلالةٌ شفافةٌ من الحزن العميق، ورقَّ لأبنته أشد الرقاء، ثم إلتفت إلى أصحابه وقال: إن زينب بعثت بهذا المال لفداء أبي العاص، فإن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا لها مالها فافعلوا ؟ فقالوا: نعم ونعمة عينٍ يا رسول الله، الأسير صهره، والتي تفتدي أسيرها ابنته، ومبلغ الفدية هي قلادةٌ كانت للسيدة خديجة.

غير أن النبي عليه الصلاة والسلام اشترط على أبي العاص قبل إطلاق سراحه أن يسيِّر إليه إبنته زينب من غير إبطاء، فما كاد أبو العاص يبلغ مكة حتى بادر إلى الوفاء بعهده، فأمر زوجته بالاستعداد للرحيل، وأخبرها بأن رسل أبيها ينتظرونها غير بعيدٍ عن مكة، وأعدَّ لها زادها وراحلتها، وندب أخاه عمرو بن الربيع لمصاحبتها وتسليمها لمرافقيها يداً بيد، تنكبَّ عمرو بن الربيع قوسه وحمل كنانته جعبة سهامه، وجعل زينب في هودجها، وخرج بها من مكة جهاراً نهاراً على مرأى من قريشٍ، فهاج القوم وماجوا، ولحقوا بهما حتى أدركوهما غير بعيدٍ وروَّعوا زينب وأفزعوها، عند ذلك وتر عمرٌ قوسه، أي هيأه، ونثر كنانته بين يديه، وقال: والله لا يدنو رجلٌ منها إلا وضعت سهماً في نحره، وكان

رامياً لا يخطيء له سهم، فأقبل عليه أبو سفيان بن حرب، وكان قد لحق بالقوم وقال له: يا بن أخي كف عنا نبلك حتى نكلّمك، فكفَّ عنهم فقال له: إنك لم تصب فيما صنعت، فلقد خرجت بزينب علانيةً على رؤوس الناس، وعيوننا ترى، وقد عرفت العرب جميعها أمر نكبتنا في بدر، وما أصابنا على يد أبيها محمد، فإذا خرجت بابنته علانيةً كما فعلت رمتنا القبائل بالجبن، ووصفتنا بالهوان والذل، فارجع بها واستبقها في بيت زوجها أياماً حتى إذا تحدَّث الناس بأننا رددناها، فسلها من بين أنظرنا سراً، وألحقها بأبيها، فمالنا بحبسها عنه حاجة، فرضي عمرو بذلك وأعاد زينب إلى مكة، كان أبو سفيان حكيماً، ثم ما لبث أن أخرجها منها ليلاً بعد أيامٍ معدودات، وأسلمها إلى رسل أبيها يداً بيد كما أوصاه أخوه.
وأقام أبو العاص في مكة بعد فراق زوجته زمناً، حتى إذا كان قُبيل الفتح بقليل خرج إلى الشام في تجارةٍ له، فلما قفل راجعاً إلى مكة ومعه عيره التي بلغت مئة بعير، ورجاله الذين نيَّفوا على مئة وسبعين رجلاً، برزت له سريةٌ من سرايا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قريباً من المدينة، فأخذت العير، وأسرت الرجال، لكن أبا العاص أفلت منها فلم تظفر به، فلما أرخى الليل سدوله إستتر أبا العاص بجنح الظلام، ودخل المدينة خائفاً يترقَّب، ومضى حتى وصل إلى زينب واستجار بها، فأجارته.

ولما خرج النبي عليه الصلاة والسلام لصلاة الفجر، واستوى قائماً في المحراب، وكبر للإحرام وكبر الناس بتبكيره، صرخت زينب من صفة النساء وقالت: أيها الناس، أنا زينب بنت محمد وقد أجرت أبا العاص فأجيروه. فلما سلم النبي عليه الصلاة والسلام إلتفت إلى الناس وقال: هل سمعتم ما سمعتُ ؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: والذي نفسي بيده ما علمت بشيءٍ من ذلك حتى سمعت ما سمعتموه، وإنه يجير من المسلمين أدناهم، ثم انصرف إلى بيته وقال لابنته: أكرمي مثوى أبي العاص، وأعلمي أنك لا تحلين له، ثم دعا رجال السرية، التي أخذت العير وأسرت الرجال وقال لهم: إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أخذتم ماله، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له كان ما نحب، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم وأنتم به أحق ؟ فقالوا: بل نرد عليه ماله يا رسول الله، فلما جاء لأخذه قالوا: يا أبا العاص إنك في شرفٍ من قريش، وأنت ابن عم رسول الله وصهره، فهل لك أن تسلم ونحن نُنْزِل لك عن هذا المال كلّه فتنعُم بما معك من أموال أهل مكة وتبقى معنا في المدينة ؟ يعني المال أصبح غنيمة، هو حينما أسلم أصبحت أمواله التي معه غنيمةً للمسلمين.

اسمع أستاذ جمال ماذا أجاب، فقال أبو العاص: بئس ما دعوتموني أن أبدأ ديني الجديد بغدرةٍ، هذا من نبله ومن مروءته، ومضى أبو العاص بالعير وما عليها إلا مكة، فلما بلغها أدَّى لكل ذي حقٍ حقه ثم قال: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مالٌ لم يأخذه ؟ قالوا: لا، وجزاك الله عنا خيراً فقد

وجدناك وفياً كريماً، قال: أما وأني قد وفَّيت لكم حقوقكم، فأنا أشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدٍ رسول الله.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 19 : الصحابي سلمة بن قيس الأشجعي

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1998-01-20

بسم الله الرحمن الرحيم

أ. جمال: أستاذ راتب قرأنا وتابعنا عن سيدنا الصحابي الجليل سلمة بن قيس الأشجعي، صفاتٌ كريمة، وأعمال حميدة قام بها هذا الصحابي الجليل، لو سمحتم إطلاع الإخوة المستمعين على سلمة بن قيس الأشجعي.

أ. راتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ الصادق الوعد الأمين، قصة هذا الصحابي الجليل أساسها، أن سيدنا الفاروق رضي الله عنه كان يجول في المدينة، وكان خلال تجواله وتطوفه، يستعرض في ذهنه الأنجاد الأمجاد من صحابة رسول الله ليعقد لواحدٍ منهم الراية على الجيش الذاهب لفتح الأهواز، ثم ما لبث أن هتف قائلاً: ظفرت به، نعم ظفرت به إن شاء الله تعالى، ولما طلع عليه الصباح، دعا سلمة بن قيس الأشجعي وقال له: إني وليتك على الجيش المتوجه إلى الأهواز، فسر بسم الله، وقاتل في سبيل الله من كفر بالله، وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا فإما أن يختاروا البقاء في ديارهم ولا يشتركوا معكم في حرب غيرهم فليس عليهم إلا الزكاة، وليس لهم من الفيء نصيب، وإما أن يختاروا أن يقاتلوا معكم، فلهم مثل الذي لكم، وعليهم مثل الذي عليكم، فإن أبوا الإسلام فادعوهم إلى إعطاء الجزية، وادعوهم وشأنهم، واحموهم من عدوهم، ولا تكلفوهم فوق ما يطيقون، فإن أبوا فقاتلوهم فإن الله ناصركم عليهم، وإذا تحصَّنوا بحصنٍ ثم طلبوا منكم أن ينزلوا على حكم الله ورسوله فلا تقبلوا منهم ذلك، فإنكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله، وإذا طلبوا منكم أن ينزلوا على ذمة الله ورسوله، فلا تعطوهم ذمة الله ورسوله، وإنما أعطوهم ذممكم أنتم، فإن ظفرتم في القتال فلا تسرفوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً.

أ. جمال: هذه التعاليم أستاذ راتب النابلسي تعاليم سمحة، فيها القيم، وفيها الأخلاق، ما أجملها وما أروعها، نعود إلى سلمة وماذا قال ؟

أ. راتب: فقال سلمة: سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين، فودعه عمر بحرارة، وشدَّ على يديه بقوة، ودعى له بضراعة، فلقد كان يقدِّر ضخامة المهمة التي ألقاها على عاتقه وعاتق جنوده، ذلك لأن الأهواز منطقة جبلية وعرة المسالك، حصينة المعاقل، واقعة بين البصرة وتخوم فارس، يسكنها قومٌ أشداء، ولم

يمكن للمسلمين بدٌ من فتحها أو السيطرة عليها ليحموا ظهورهم من هجمات الأعداء، ويمنعوهم من اتخاذها ميداناً لجنودهم.

مضى سلمة بن قيس على رأس جيشه الغازي في سبيل الله، غير أنهم ما كادوا يتوغلون قليلاً في أرض الأهواز حتى دخلوا في صراعٍ مرير مع طبيعتها القاسية، فقد طفق الجيش يعاني من جبالها النخرة وهو مصعدٌ، ويكابد من مستنقعاتها الموبوءة وهو مسهلٌ، ويصارع أفاعيها القاتلة وعقاربها السامة يقظان نائماً، لكن روح سلمة بن قيس المؤمنة الشفافة كانت ترفرف بأجنحتها فوق جنده فإذا العذاب عزبٌ وإذا الحزن سهلٌ، فلقد كان يتخوَّلهم بالموعظة التي تهزُّ نفوسهم هزاً ويترعوا لياليهم بأرج القرآن، فإذا هم مغمرون بضيائه، سابحون في لآلائه، ناسون ما مسهم من عناءٍ ونصب، إمتثل سلمة بن قيس لأمر خليفة المسلمين، فما إن التقى بأهل الأهواز حتى عرض عليهم الدخول في دين الله، فأعرضوا ونفروا، فدعاهم إلى إعطاء الجزية فأبوا واستكبروا، فلم يبق أمام المسلمين غير ركوب الأسنة فركبوها مجاهدين في سبيل الله راغبين بما عندهم من حسن السواب.

دارت المعارك حامية اللظى مستطيرة الشرر، وأدى فيها الفريقان من ضروب البسالة ما لم تشهد له الحروب نظيراً إلا في القليل النادر، ثم ما لبثت أن إنجلت المعارك عن نصرٍ مؤزرٍ للمؤمنين المجاهدين لإعلاء كلمة الله، وهزيمةٍ منكرةٍ للمشركين أعداء الله.

أ. جمال: أستاذ راتب النابلسي جميل هذا الحديث عن الصحابي الجليل سلمة بن قيس الأشجعي، لكن السؤال الذي يطرح ذاته الآن بعد أن وضعت الحرب أوزارها ماذا فعل سلمة ؟

أ. راتب: أستاذ جمال لما وضعت الحرب أوزارها، بادر سلمة بن قيس إلى قسمة الغنائم بين جنوده، فوجد فيها حليةً نفيسةً، فأحب أن يتحف بها أمير المؤمنين، فقال لجنوده: إن هذه الحلية لو قسِّمت بينكم لما فعلت معكم شيئاً، فهل تطيب أنفسكم إذا بعثنا بها إلى أمير المؤمنين؟ فقالوا: نعم، فجعل الحلية في صفطٍ وندب رجلاً من قومه بني أشجع وقال له: امض إلى المدينة أنت وغلامك، وبشِّر أمير المؤمنين بالفتح، وأطرفه بهذه الحلية، فكان للرجل الأشجعي مع عمر بن الخطاب خبرٌ فيه عبرٌ وعظات.

فلنترك الكلام له ليروي لنا خبره بنفسه، قال الرجل الأشجعي: مضيت أنا وغلامي إلى البصرة، فاشترينا راحلتين مما أعطانا سلمة بن قيس، وأوقرناهما زاداً، ثم يمنا وجهينا شطر المدينة، فلما بلغناها نشدت أمير المؤمنين فوجدته واقفاً يغدِّي المسلمين وهو متكيءٌ على عصاه كما يصنع الراعي، وكان يدور على القصاع، ويقول لغلامه يرفأ: يا يرفأ زد هؤلاء لحماً، يا يرفأ زد هؤلاء خبزاً، يا يرفأ زد هؤلاء مرقاً، فلما أقبلت عليه قال: إجلس، فجلست في أدنى الناس وقدِّم لي الطعام فأكلت، فلما فرغ الناس من طعامهم قال: يا يرفأ إرفع قصاعتك ثم مضى فتبعته، فلما دخل داره إستأذنت عليه فأذن لي، فإذا هو جالسٌ على رقعةٍ من شعرٍ متكيءٌ على وسادتين من جلدٍ محشوتين ليفاً، فطرح إلي واحدةً،

فجلست عليها، وإذا خلفه سترٌ فالتفت نحو الستر وقال: يا أم كلثوم غداءنا، يعني إتينا بغدائنا، فقلت في نفسي: ماذا عسى أن يكون طعام أمير المؤمنين الذي خصَّ به نفسه ؟ فناولته خبزةً بزيتٍ عليها ملحٌ لم يدق، فإلتفت إلي وقال: كُل فامتثلت وأكلت قليلاً وأكل هو، فما رأيت أحداً أحسن منه أكلاً، ثم قال: اسقونا، فجاءوا بقدحٍ فيه شرابٌ من سويق الشعير.

أ. جمال: أي نقيع.

أ. راتب: نعم، فقال: أعطوا الرجل أولاً فأعطوني، فأخذت القدح فشربت منه قليلاً، إذ كان سويقي أطيب منه وأجود، ثم أخذه وشرب منه حتى روي، ثم قال: الذي الحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا وسقانا فأروانا. عند ذلك إلتفت إليه وقلت: جئتك برسالةٍ يا أمير المؤمنين، فقال: من أين ؟ فقلت: من عند سلمة بن قيس، فقال: مرحباً بسلمة بن قيس ومرحباً برسوله، حدثني عن جيش المسلمين ؟ فقلت: كما تحب يا أمير المؤمنين السلامة والظفر على عدوهم وعدو الله، وبشرته بالنصر، وأخبرته خبر الجيش جملةً وتفصيلاً فقال: الحمد لله أعطى فتفضَّل وأنعم فأجزل، ثم قال: هل مررت بالبصرة ؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: كيف المسلمون ؟ فقلت: بخيرٍ من الله، قال: كيف الأسعار عندكم ؟ فقلت: أسعارهم أرخص أسعارٍ، فقال: وكيف اللحم فإن اللحم شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا بشجرتها ؟ فقلت: اللحم كثيرٌ وفير، فالتفت إلى الصفط الذي معي وقال: ما هذا الذي بيديك ؟ فقلت: لما نصرنا الله على عدونا جمعنا الغنائم فرأى سلمة فيها حلية فقال للجند: إن هذه لو قسِّمت عليكم لما بلغت منكم شيئاً، فهل تطيبُ نفوسكم إذا بعثت بها إلى أمير المؤمنين ؟ فقالوا: نعم، ثم دفعت إليه بالصفط، فلما فتحه، ونظر إلى الأحجار الكريمة التي فيه من بين أحمر وأصفر وأخضر، وثب من مجلسه وجعل يده في خاصرته وألقى بالصفط على الأرض، فانتثر ما فيه ذات اليمين وذات الشمال، فجعلت أجمع ما انتثر من الصفط، ثم قال لي: قم غير محمودٍ لا أنت ولا صاحبك.

فقلت: إئذن لي بمركبٍ يحملني أنا وغلامي إلى الأهواز فقد أخذ غلامك راحلتي، فقال: يا يرفأ أعطه راحلتين من إبل الصدقة له ولغلامه، ثم قال لي: إذا قضيت حاجتك منهما ووجدت من هو أحوج لهما منك فادفعهما إليه، قلت: أفعل يا أمير المؤمنين، نعم أفعل إن شاء الله تعالى، ثم إلتفت إلي وقال: أما والله لأن تفرَّق الجند قبل أن يقسم فيهم هذا الحلي لأفعلن بك وبصاحبك الفاقرة، فمضيت من توي حتى أتيت سلمة وقلت:............ انتهى الشريط.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 20 : الصحابي النعمان بن مقرن المزني

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1998-01-22

بسم الله الرحمن الرحيم

أ. جمال: فضيلة الشيخ ياريت أن نسلّط الضوء ونتكلّم عن هذا الصحابي الجليل النعمان بن مقرِّن المُزني.

أ. راتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ الصادق الوعد الأمين، سيدنا عبد الله بن مسعود له كلمة حول هذا الصحابي الجليل، يقول: إن للإيمان بيوتاً وللنفاق بيوتاً، وإن بيت بني مُقرِّن من بيوت الإيمان، فقد كانت مزينة تتخذ منازلها قريباً من يثرب على الطريق الممتدة بين المدينة ومكة، وكان النبيّ عليه الصلاة والسلام قد هاجر إلى المدينة، وجعلت أخباره تصل تِباعاً إلى مزينة مع الغادين والرائحين، فلا تسمع عنه إلا خيراً، وفي ذات عشيةٍ جلس سيد القوم النعمان بن مقرِّن المزني في ناديه مع إخوته وقبيلته فقال لهم:

يا قوم والله ما علمنا عن محمدٍ إلا خيراً، ولا سمعنا من دعوته إلا مرحمة وإحساناً وعدلاً، فما بالُنا نُبَطِّيء عنه والناس إليه يسرعون، ثم أتبع يقول: أما أنا فقد عزمت على أن أغدو عليه إذا أصبحت، فمن شاء منكم أن يكون معي فليتجهز، وكأنما مست كلمات النعمان وتراً مرهفاً في نفوس القوم، فما إن طلع الصباح حتى وجد إخوته العشرة وأربعمئة فارسٍ من فرسان مزينة قد جهزوا أنفسهم للمُضي معه إلى يثرب للقاء النبيّ عليه الصلاة والسلام والدخول في دين الله، بيد أن النعمان استحى أن يفد مع هذا الجمع الحاشد على النبيّ عليه الصلاة والسلام دون أن يحمل له وللمسلمين شيئاً في يده، وكانت السنة الشهباء المجدبة التي مرت بها مزينة لم تترك لها ضرعاً ولا زرعاً، فطاف النعمان ببيته وبيوت إخوته، وجمع كل ما أبقاه لهم القحط من غنيمات، وساقها أمامه، وقدِم بها على النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأعلن هو ومن معه إسلامهم بين يديه، اهتزت يثرب من أقصاها إلى أقصاها فرحاً بالنعمان بن مقرِّن وصحبه، إذ لم يسبق لبيتٍ من بيوت العرب أن أسلم منهم أحد عشر أخاً من أبٍ واحد ومعهم أربعمئة فارس، وسُرَّ النبيّ عليه الصلاة والسلام بإسلام النعمان أبلغ السرور، وتقبل الله جلَّ جلاله غنيماته، وأنزل فيها قرآناً فقال:

(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (99))

(سورة التوبة)

إنضوى النعمان بن مقرِّن تحت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد معه غزواته كلَّها غير وانٍ ولا مُقصِّر، ولما آلت الخلافة إلى الصديق وقف معه وقومه من بني مُزينة وقفةً حازمةً كان لها أثرٌ كبير في القضاء على فتنة الردة، ولما صارت الخلافة إلى الفاروق كان للنعمان بن مقرن في عهده شأنٌ ما يزال التاريخ يذكره بلسانٍ نديٍ بالحمد وطيب الثناء.

فقبيلَ القادسية أرسل سعد بن أبي وقاص، قائد جيوش المسلمين وفداً إلى كسرى يزدجرد برآسة النعمان بن مقرِّن ليدعوه إلى الإسلام، ولما بلغوا عاصمة كسرى في المدائن إستأذنوا بالدخول عليه فأذن لهم، ثم دعا الترجمان فقال له: سلهم ما الذي جاء بكم إلى ديارنا، وأغراكم بغزونا ؟ لعلكم طمعتم بنا، واجترأتم علينا لأننا تشاغلنا عنكم ولم نشأ أن نبطش بكم. فالتفت النعمان بن مقرن إلى من معه وقال: إن شئتم أجبته عنكم، وإن شاء أحدكم أن يتكلّم آثرته بالكلام.

أ. جمال: أُنظر أُستاذ راتب إلى هذا الأدب والتواضع.

أ. راتب: إلى التواضع مع أعضاء وفده. فقالوا: بل تكلم، ثم التفتوا إلى كسرى وقالوا: هذا الرجل يتكلم بلساننا فاستمع إلى ما يقول. فحمد النعمان الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه وسلَّم ثم قال: إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلُّنا على الخير ويأمرنا به، ويُعرِّفنا بالشر وينهانا عنه، ووعدنا إن أجبناه إلى ما دعانا إليه أن يعطينا الله خيري الدنيا والآخرة، فما هو إلا قليلٌ حتى بدَّل الله ضيقنا سعةً، وذلتنا عزةً، وعداواتنا إخاءً ومرحمةً، وقد أمرنا أن ندعوا الناس إلى ما فيه خيرهم وأن نبدأ بمن يجاورنا، فنحن ندعوكم إلى الدخول في ديننا، وهو دينٌ حسَّن الحسن كله وحضَّ عليه، وقبَّح القبيح كله وحذَّر منه، وهو ينقل معتنقيه من ظلام الكفر وجوره إلى نور الإيمان وعدله، فإن أجبتمونا إلى الإسلام خلَّفنا فيكم كتاب الله، وأقمناكم عليه، على أن تحكموا بأحكامه ورجعنا عنكم وتركناكم وشأنكم، فإن أبيتم الدخول في دين الله أخذنا منكم الجزية وحميناكم، فإن أبيتم إعطاء الجزية حاربناكم.

فاستشاط يزدجرد غضباً وغيظاً مما سمع وقال: إني لا أعلم أُمةً في الأرض كانت أشقى منكم ولا أقل عدداً ولا أشد فُرقةً ولا أسوأ حالاً، وقد كنا نكل أمركم إلى ولاة الضواحي فيأخذون لنا الطاعة منكم، ثم خفف شيئاً من حدته وقال: فإن كانت الحاجة هي التي دفعتكم إلى المجيء إلينا أمرنا لكم بقوتٍ إلى أن تخصب دياركم، وكسونا ساداتكم ووجوه قومكم، وملّكنا عليكم ملكاً من قِبلنا يرفق بكم.

فرد عليه رجلٌ من الوفد رداً أشعل نار غضبه من جديد فقال: والله لولا أن الرسل لا تُقتل لقتلتكم، قوموا فليس لكم شيئٌ عندي، وأخبروا قائدكم إني مرسلٌ إليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معاً في خندق القادسية، ثم أمر فأُوتي له بحمل ترابٍ وقال لرجاله: حمِّلوا على أشرف هؤلاء وسوقوه أمامكم على مرأى من الناس حتى يخرج من أبواب عاصمة ملكنا.

فقالوا للوفد: من أشرفكم ؟ فبادر إليهم عاصم بن عمرو قال: أنا. فحمَّلوه عليه حتى خرج من المدائن، ثم حمله على ناقته وأخذه معه لسعد بن أبي وقاص، وبشره بأن الله سيفتح على المسلمين ديار أعدائهم ويملكهم تراب أرضهم.

ثم وقعت معركة القادسية واكتظ خندقها بجثث آلاف القتلى، ولكنهم لم يكونوا من جند المسلمين وإنما كانوا من جنود كسرى، لم يستكن الأعداء لهزيمة القادسية، فجمعوا جُموعهم وجيَّشوا جيوشهم حتى إكتمل لهم مئةٌ وخمسون ألفاً من أشداء المقاتلين، فلما وقف الفاروق على أخبار هذا الحشد لعظيم، عزم على أن يمضي إلى مواجهة هذا الخطر الكبير بنفسه، ولكن وجوه المسلمين ثنوه عن ذلك، وأشاروا عليه أن يُرسل قائداً يعتمد عليه في مثل هذا الأمر الجليل.

فقال عمر: أشيروا عليّ برجلٍ لأوليه ذلك الثغر. فقالوا: أنت أعلم بجندك يا أمير المؤمنين، فقال: والله لأولين على جند المسلمين رجلاً يكون إذا التقى الجمعان أسبق من الأسنة هو النعمان بن مُقرِّن المزني، فقالوا: هو لها.

فكتب إليه يقول: من عبد الله عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرِّن، أما بعد فإنه بلغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرةً قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم، فإن رجلاً واحداً من المسلمين أحبُّ إليّ من مئة ألف دينارٍ، والسلام عليك.

هب النعمان بجيشه للقاء العدو، وأرسل أمامه طلائع من فرسانه تكشف له الطريق، فلما اقترب الفرسان من نهاوند توقفت خيولهم فدفعوها فلم تندفع، فنزلوا عن ظهورها ليعرفوا ما الخبر، فوجدوا في حوافر الخيل شظايا من الحديد تشبه رؤوس المسامير فنظروا في الأرض فإذا العجم قد نثروا في الدروب المؤدية إلى نهاوند حسك الحديد ليعوقوا الفرسان والمشاة عن الوصول إليها، أخبر الفرسان النعمان بما رأوا، وطلبوا منه أن يمدهم برأيه، فأمرهم بأن يقِفوا في أمكنتهم وأن يوقدوا النيران في الليل ليراهم العدو، وعند ذلك يتظاهرون بالخوف منهم والهزيمة أمامه ليغروه باللحاق بهم وإزالة ما زرعه من حسك الحديد، وجازت الحيلة على العدو، فما إن رأوا طليعة جيش المسلمين تمضي منهزمةً أمامهم حتى أرسلوا عمَّالهم فكنَّسوا الطرق من الحسك فكر عليهم المسلمون واحتلوا تلك الدروب، وعسكر النعمان بن مقرن بجيشه على مشارف نهاوند وعزم على أن يباغت عدوه بالهجوم، فقال لجنوده: إني مكبرٌ ثلاثة، فإذا كبرت الأولى فليتهيأ ما لم يكن قد تهيأ، وإذا كبرت الثانية فليشدد كل رجلٍ منكم سلاحه على نفسه، وإذا كبرت الثالثة فإني حاملٌ على أعداء الله فاحملوا معي.

كبَّر النعمان تكبيراته الثلاث، واندفع في صفوف العدو كأنه الليث عادياً، وتدفق وراءه جنود المسلمين تدفق السيل، ودارت بين الفريقين رحا معركةٍ ضروس قلما شهد التاريخ لها نظيرة، فتمزَّق جيش العدو

شر ممزق، وملأت قتلاه السهل والجبل، وسالت دماؤه في الممرات والدروب، فزلق جواد النعمان بن مقرن بالدماء فصرع، وأُصيب النعمان نفسه إصابةً قاتلة، فأخذ أخوه اللواء من يده وسجَّاه ببردةٍ كانت معه، وكتم أمر مصرعه عن المسلمين، ولما تم النصر الكبير الذي سماه المسلمون فتح الفتوح سأل الجنود المنتصرون عن قائدهم الباسل النعمان، فرفع أخوه البردة عنه وقال: هذا أميركم قد أقرَّ الله عينه بالفتح، وختم له بالشهادة.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 21 : الصحابي أبو عبيدة بن الجراح
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1998-01-24

بسم الله الرحمن الرحيم

أ. جمال: أستاذ راتب، سيدنا الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجرَّح شخصيةٌ فذّة من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ياريت في هذا الوقت المبارك نلقي الضوء على هذه الشخصية الكريمة.

أ. راتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ الصادق الوعد الأمين، أبو عبيدة بن الجراح لقَّبه النبي الكريم بأنه أمين هذه الأمة، فقال عليه الصلاة والسلام:
لكل أمةٍ أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة.

كان وضيء الوجه، بهي الطلعة، نحيل الجسم، طويل القامة، خفيف العارضين، ترتاح العين لمرآه، وتأنس النفس للقياه، ويطمئن إليه الفوائد، وكان إلى ذلك رقيق الحاشية، جمَّ التواضع، أي كثير التواضع، شديد الحياء، لكنه كان إذا حزب الأمر وجد الجدُّ يغدو كأنه الليث عادياً، فهو يشبه نصل السيف رونقاً وبهاءً ويحكيه حدةً ومضاءً، ذلكم هو أمين هذه الأمة أمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم، عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي المكنى بأبي عبيدة.

أ. جمال: أستاذ راتب وصفه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال كلماتٍ مضيئة بحقه ياليت أن تتكلم؟.

أ. راتب: نعته عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال: ثلاثة من قريش أصبح الناس وجهاً، وأحسنها أخلاقاً، وأثبتها حياءً، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم لم يكذبوك، أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح، هذا إجابة عن سؤالكم.

وكان أبو عبيدة من السابقين الأولين إلي الإسلام، فقد أسلم في اليوم التالي لإسلام أبي بكر، وكان إسلامه على يدى الصديق نفسه، فمضى به وبعبد الرحمن بن عوف وبعثمان بن مظعون وبالأرقم بن أبي الأرقم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعلنوا بين يديه كلمة الحق، فكانوا القواعد الأولى التي أقيم عليها صرح الإسلام العظيم.

أ. جمال: أستاذ راتب أبو عبيدة له تجربة، قاسية ومريرة في مكة، ياليت أن نسلط الضوء.

أ. راتب: هذا الصحابي الجليل أبو عبيدة عاش تجربة المسلمين القاسية في مكة منذ بدايتها إلى نهايتها، وعانى مع المسلمين السابقين من عنفها وضراوتها وآلامها وأحزانها ما لم يعان أتباع دينٍ على ظهر الأرض، فثبت بالابتلاء، وصدق الله ورسوله في كل موقف، لكن محنة أبي عبيدة يوم بدرٍ فاقت في عنفها حسبان الحاسبين، وتجاوزت خيال المتخيلين.

أ. جمال: ماذا عن هذا الموضوع أستاذ راتب ؟.

أ. راتب: إنطلق أبو عبيدة يوم بدرٍ يصول بين الصفوف صولة من لا يهاب الردى فهابه المشركون، ويجول جولة من لا يحذر الموت فحذره فرسان قريش وجعلوا يتنحون عنه كلما واجوه، لقد أبلى هذا الصحابي الجليل في معركة بدرٍ بلاءً حسناً، فكان مقداماً شجاعاً غير هيَّابٍ قد قال عليه الصلاة والسلام مرةً يصف أصحابه: فرسان النهار رهبانٌ في الليل.

أ. جمال: أستاذ راتب فعلاً هذا الحديث عن صحابة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام حديث في متعة وفيه الفائدة وفيه النصيحة، ياليت أن نتابع لأنك شوقتنا من خلال حديثكم عن هذا الصحابي الجليل حبذا من متابعة ؟

أ. راتب: لم يكن ذلك عجيباً من أبي عبيدة، فقد بلغ من قوة إيمانه بالله ونصحه لدينه، والأمانة على أمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم مبلغاً طمحت إليه نفوسٌ كبيرة عند الله، حدَّث محمد بن جعفر، قال: قدم وفدٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا ليحكم بيننا في أشياء من أموالنا إختلفنا فيها، فإنكم عندنا معشر المسلمين مرضيون.

فقال عليه الصلاة والسلام: إتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين، فقال عمر بن الخطاب: فرحت إلى صلاة الظهر مبكراً وإني ما أحببت الإمارة حبي إياها يوم إذٍ رجاء أن أكون صاحب هذا النحت القوي الأمين، فلما صلى بنا النبي عليه الصلاة والسلام الظهر، جعل ينظر عن يمينه وعن يساره، فجعلت أتطاول له ليراني، فلم يزل يقلّب بصره فينا حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال: أخرج معهم فاقضي بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه.

فقلت: ذهب بها والله أبو عبيدة.

(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26))

(القصص)

في التعريف المعاصر القوي هو الكفء، والأمين هو المخلص، ولم يكن أبا عبيدة أيميناً فحسب وإنما كان يجمع القوة إلى الأمانة، وقد برزت هذه القوة في أكثر من موطن، برزت يوم بعث النبي الكريم جماعة من أصحابه ليتلقوا عيراً لقريش وأمَّر عليهم أبا عبيدة ري الله عنهم وعنه وزودهم جراباً من تمرٍ لم يجد لهم غيره، فكان أبا عبيدة يعطي الرجل من أصحابه كل يوم تمرةً، فيمصها الواحد منهم كما يمص الصبي ضرع أمه، ثم يشرب عليها ماءً فكانت تكفيه يومه إلى الليل، وفي يوم أحدٍ حين هزم المسلمون وطفق صائح المشركين ينادي: دلوني على محمد، دلوني على محمد، كان أبا عبيدة أحد النفر العشرة الذين أحاطوا بالنبي عليه الصلاة والسلام ليزودوا عنهم بصدورهم رماح المشركين، فلما انتهت المعركة كان عليه الصلاة والسلام قد كسرت رباعيته وشُج جبينه وغارت في وجنته حلقتان من حَلَق

درعه، فأقبل عليه الصديق يريد انتزاعهما من وجنته، فقال له أبو عبيدة: أقسم عليك أن تترك ذلك لي.فتركه، فخشي أبو عبيدة إن إقتلعهما بيده أن يؤلم النبي عليه الصلاة والسلام، فعض على أولاهما بثنيتيه عضاً قوياً محكماً فاستخرجهما ووقعت ثنيته، أي سنه الأمامي، ثم عضَّ على الأخرى بثنيته الثانية فإقتلعها فسقطت سنيته الثانية، فقال أبو بكرٍ: فكان أبي عبيدة من أحسن الناس هتماً، الأهتم هو الذي كُسِرت أسنانه الأمامية.

أ. جمال: ما هذا الحب وما هذا التفاني في خدمة النبي عليه الصلاة والسلام ؟

أ. راتب: أبو سفيان قال مرةً: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ.. لقد شهد أبا عبيدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها منذ صحبه إلى أن وفاه اليقين، فلما كان يوم السقيفة قال عمر بن الخطاب لأبي عبيدة: أبسط يدك أُبايعك، فإني سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: إن لكل أمةٍ أميناً وأنت أمين هذه الأمة. فقال أبو عبيدة: ما كنت لأتقدم بين يدي رجلٍ أمَّره النبي عليه الصلاة والسلام أن يؤمنا في الصلاة فأمنا حتى مات. يعني سيدنا الصديق.

ثم بويع بعد ذلك لأبي بكر الصديق، فكان أبو عبيدة خير نصيحٍ له في الحق، وأكرم معوانٍ له على الخير، ثم عهد أبو بكرٍ بالخلافة من بعده إلى الفاروق فدان له أبي عبيدة بالطاعة، ولم يعصه في أمرٍ إلا مرةً واحدة، هل تدري الأخ جمال ما الأمر الذي عصى فيه أبو عبيدة أمر خليفة المسلمين ؟

أ. جمال: ياريت أن نعرف.

أ. راتب: لقد وقع ذلك حين كان أبو عبيدة بن الجراح في بلاد الشام، يقود جيوش المسلمين من نصرٍ إلى نصرٍ حتى فتح الله على يديه الديار الشامية كلّها، فبلغ الفرات شرقاً وآسيا الصغرى شمالاً، عند ذلك دهم بلاد الشام طاعونٌ، مرضٌ وبائيٌ خطير، ما عرف الناس مثله قط، فجعل يحصد الناس حصداً، فما كان من عمر بن الخطاب إلا أن وجه رسولاً إلى أبي عبيدة برسالةٍ يقول فيها: إني بدت لي إليك حاجة لا غنى لي عنك فيها، فإن أتاك كتابي ليلاً فإني أعزم عليك ألا تصبح حتى تركب إلي، وإن أتاك نهاراً فإني أعزم عليك ألا يمسي حتى تركب إلي، فلما أخذ أبا عبيدة كتاب الفاروق قال: قد علمت حاجة أمير المؤمنين إلي، فهو يريد أن يستبقي من ليس بباقٍ ثم كتب إليه يقول (يعني أراد أن يبعده عن هذا الوباء) فكتب إليه يقول: يا أمير المؤمنين إني قد عرفت حاجتك إلي، وإني في جندٍ من المسلمين، ولا أجد بنفسي رغبة عن الذي يصيبهم، ولا أريد فراقهم حتى يقضي الله فيهم وفيَّ أمرهم، فإذا أتاك كتابي هذا فحللني من عزمك وأذن لي بالبقاء.

فلما قرأ عمر الكتاب بكى حتى فاضت عيناه، فقال له من عنده: لشدة ما رأوه من بكائه: أمات أبا عبيدة يا أمير المؤمنين ؟ قال: لا، ولكن الموت منه قريب. ولم يكذب ظن الفاروق إذ مال بسأب أبا عبيدة أن أصيب بالطاعون، فلما حضرته الوفاة أوصى جنده فقال: إني موصيكم بوصيةٍ إن قبلتموها لن تزالوا

بخير، أقيموا الصلاة وصوموا رمضان وتصدقوا وحجوا واعتمروا وتواصوا وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم ولا تلهكم الدنيا، فإن المرء لو عمِّر ألف حولٍ ما كان له بدٌ من أن يصير إلى مصرعي هذا الذي ترون، والسلام عليكم ورحمة وبركاته، ثم إلتفت إلى معاذ بن جبل وقال: يا معاذ صلِّي بالناس. ثم ما لبثت أن فاضت روحه الطاهرة، فقام معاذ وقال: أيها الناس إنكم قد فُجِعْتم برجلٍ، والله ما أعلم أني رأيت رجلاً أبر صدراً، ولا أبعد غائلة، ولا أشد حباً للعاقبة، ولا أنصح للعامة منه فترحموا عليه يرحمكم الله.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 22 : الصحابية أم هانئ .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-01-02

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذ جمال:

فضيلة الشيخ عودتمونا أن نتحدث عن شخصيات فذة من صحابة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام الذين ملأت أعمالهم وملأت سجاياهم الدنيا كلها من هي الشخصية اليوم في هذا الحديث المبارك ؟

إنها أم هانئ ولكن قبل الحديث عنها لابد من مقدمة عن حقوق المرأة في الإسلام ، فقد كرم الإسلام المرأة وليدة ، وفتاة ، وزوجةً وأماً ، وأختاً ، وبنتاً ، ولقد ذكر القرآن الكريم عدداً من النساء كان لهن دور بارز في تاريخ البشرية مثل حواء ، وأم موسى وأخته وزوجة فرعون ، وملكة سبأ ، ومريم بنة عمران ، كما حفلت آيات القرآن الكريم بإجابة عن أسئلة للنساء أو حل لمشكلاتهم في سورة المجادَلة ، وقد نزلت آيات من القرآن الكريم في عدد من النساء كما نزلت آيات أخرى في عدد من الرجال ، إلى جانب إفراد القرآن الكريم سورتين للنساء هما سورة النساء وسورة الطلاق ، والتي يسميها بعض العلماء سورة النساء الصغرى.

وقد تحدث القرآن الكريم عن المؤمنات اللائي جئن رسول الله صلى الله عليه وسلم مبايعات أو مهاجرات كما في سورة الممتحنة ما ذاك إلا لأن المرأة نصف الأمة بل هي بمنزلة القلب منها فإذا صلحت صلحت الأمة وإذا فسدت فسدت الأمة وقد أدرك هذا العلماء فقالوا إنك إن علمت فتاةً علمت أسرةً.

المرأة مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي

الشيء بالشيء يذكر ، ما هي الحقوق التي أعطاها الإسلام للمرأة لطالما نحن في مقدمة الحديث عن السيدة أم هانئ الصحابية الجليلة.

السيد جمال

لقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقاً لم تكن تعرفها من قبل رد لها حقها المسلوب في الحياة ، جعل لها حقاً مشروعاً في الميراث حقق لها الاستقلاق الاقتصادي فيما تملك ، جعل للزواج أحكاماً ووضع للطلاق وتعدد الزوجات شروطاً وقيوداً ، وقرر للزوجين من الحقوق والواجبات ما تستقيم بها الحياة الزوجية وتتقوى به الروابط والعلاقات الزوجية وأعطى الإسلام المرأة الحق في طلب العلم وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، جعلها شريكة الرجل في ميدان العمل أحياناً فيما يتناسب مع أنوثتها ، أوجب عليها

الخروج أحياناً لأداء واجباتها التي أناطها الله بها ، احترم الإسلام رأي المرأة واستمع إليه وقرره مبدأ يسير عليه التشريع العام ، ولما كانت المرأة قد حصلت على كثير من الحقوق فقد حملها الإسلام من المسؤوليات ما يتناسب مع ما حصلت عليه من الحقوق فجعلها مسؤولة عن نفسها وعن عبادتها وعن أسرتها ، هي مساوية للرجل في التكليف والتشريف والمسؤولية ولكن أستاذ جمال المرأة المسلمة اليوم تقع تحت ضغوط تكاد تبعدها عن منابع الإسلام الأولى وتحول بينها وبين تفهم رسالته ، وما أشد حاجتها الآن إلى وعي جديد بدينها وتعرف على قيمه ومبادئه التي انتصر بها وساد العالم.

فأم هانئ التي هي محور هذا الحديث ، فأم هانئ كما قلت قبل قليل هي فاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب ، إن سألت عنها فهي ابنة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمها فاطمة بنت أسود وهي إحدى ذوات الرأي والأدب الجميل في قريش ، خطبها النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وكان أبوها قد وعد بها هبيرة بن أبي لهب فبهر بها ، وفي مستهل الإسلام أسلمت أم هانئ ولم يسلم زوجها ففرق بينهما بحكم الإسلام وراحت تقوم على رعاية أبنائها الصغار الأربعة.

الآن أستاذ جمال

خطبها النبي صلى الله عليه وسلم ثانية فقالت قالت قولاً لا يصدق قالت: يا رسول الله لأنت أحب إلي من سمعي ومن بصري وحق الزوج عظيم فأخشى إن أقبلت على زوجي أن أضيع بعض شأني وولدي وإن أقبلت على ولدي أن أضيع حق زوجي فقال عليه الصلاة والسلام: إن خير نساءٍ ركبن الإبل نساء قريش أحناهن على ولد في صغره وأرعاهن على بعل في ذات يده.

وكان لأم هانئ شخصيتها القوية فلقد كانت المرأة العربية في عهد الإسلام تجير الخائف وتؤمن المروع، فلقد أجارت أم هانئ بنت أبي طالب رجلين من أحمائها كتب عليهما القتل وها هي ذي تحدثنا عن ذلك.

فضيلة الشيخ

قبل أن ننتقل إلى هذا الموضوع هذا الموقف التي اتخذته أم هانئ موقف عظيم وجليل وهذا ما أكده النبي صلى الله عليه وسلم لنا محطة في هذا الموضوع تربية الولد.

أولاً كم هي عظيمة تربية الأولاد في الإسلام ورد في الأدب المفرد للبخاري أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي ، قلت من هذه يا جبريل ؟ قال: هي امرأة مات زوجها وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلهن))

أستاذ جمال

أنا لا أقول إن المرأة التي مات زوجها محرم عليها أن تتزوج الشرع يسع الجميع ولكن هذا موقف شخصي وقفته هذه المرأة فاستحقت أن تكون الأولى في دخول الجنة ، نستنبط من هذا النص كم هي عظيمة تربية الأولاد في الإسلام ، هذه المرأة أم هانئ عرض عليها أن تكون السيدة الأولى في مجتمعها أن تكون زوجة سيد الخلق وحبيب الحق ، أن تكون في أعلى مرتبة أن تكون أم المؤمنين لكنها رأت أنها إذا قبلت هذا العرض المغري الذي هو عظيم في دنياها وفي آخرتها خافت أن تضيع حق أولادها ، فكم هي عظيمة تربية الأولاد في الإسلام ، الأولاد أحباب الله.

((عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ))

[أحمد]

فهذه الصحابية الجليلة أعطت درساً بليغاً هي تتمنى أن تكون زوجة لرسول الله ، تتمنى أن تكون السيدة الأولى ، تتمنى أن تكون أم المؤمنين ولكن على حساب أولادها والله سوف يحاسبها فلذلك أثنى عليها النبي ، والنبي بالمناسبة وقف موقفاً رائعاً لم يتألم منها مع أنها رفضت طلبه ، رأى في ذلك موقفاً أخلاقياً عظيماً.

الشيء بالشيء يذكر كما قلت قبل قليل لما برأ الله السيدة عائشة وقالت لها أمها قومي إلى النبي فاشكريه ، فقالت: لا أقوم إلا لله فتبسم النبي عليه الصلاة والسلام وقال: عرفت الحق لأهله ، كان عليه الصلاة والسلام في أعلى درجة من التواضع وفي أعلى درجة من الواقعية.

مرة شده أعرابي من ثوبه فقال: أعطني من هذا المال فهو ليس مالك ولا مال أبيك ، فتبسم النبي وقال: حقاً إنه مال الله.

يا سلام على هذا الكلام الجميل الرائع من مدرسة هي النبوة وعظمة الرسالة.

قالت أم هانئ لما نزل النبي عليه الصلاة والسلام بأعلى مكة فر إلي رجلان من أحمائي من بني مخزوم ، فأغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: مرحباً وأهلاً بأم هانئ ما جاء بكِ ؟ فأخبرته خبر الرجلين فقال: لقد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ وأمنا من أمنتِ فلا يقتلا.
لقد روى أصحاب الصحاح الست جميعاً عن أم هانئ وعاشت حتى جاوزت عهد أخيها علي بن أبي طالب ، أرأيت أستاذ جمال كيف رفع الإسلام المرأة ، أعلى مكانتها وأعلى منزلتها وحررها من القيود والعادات التي كانت شائعة في الجاهلية أعطاها حقوقاً لم يكن تعرفها من قبل ومما يدل على منزلة المرأة في الإسلام وإكرامها والمحافظة على شعورها أن النبي صلى الله عليه وسلم حافظ على عهدها ووفى بما وعدت به هذا القول الكريم قد أجرنا من أجرتِ.

أذكر مرةً أن امرأة جاءت إلى النبي الكريم تشكو زوجها زوجها فقال لها: لو تراجعيه ، فقالت: أفتأمرني ، قال: لا إنما أنا شفيع يعني النبي لم يرضى أن يضع مكانته الدينية بشأن شخصي ، قالت له لا أحبه ، فقال لها: طلقها تطليقة وردي له الحديقة.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 23 : الصحابي حجاج بن علاط السلمي رضي الله عنه

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-01-04

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذ جمال :

الحديث عن صحابي جليل اسمه الحجاج بن علاط السلمي، حديث بإذن الله سيكون محور حديثنا ولقاءنا في هذا اليوم كيف نبدأ عن سيدنا الحجاج تفضل .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين الصحابي الجليل الحجاج بن علاط السلمي له قصة نادرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قدم على رسول اله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر، الحجاج بن علاط السلمي فأسلم وكان غنياً كثير المال فقال: يا رسول الله إن مالي عند امرأتي أم شيبة ومتفرق في تجار مكة فائذن لي يا رسول الله أن آتي مكة لأخذ مالي، والمال كما يقال شقيق الروح، والمال أيضاً ابتلاء بالمناسبة ليس نعمةً وليس نقمة إنما هو ابتلاء بل موقوف على طريقة إنفاقه، فإذا أنفق في طاعة الله كان نعمةً وأية نعمة وإذا أنفق في المعاصي والآثام كان نقمة وأية نقمة، فهو ليس نعمة وليس نقمة بل تحدد قيمته من خلال طريقة إنفاقه، فالإسلام استوعب الأغنياء والغني الشاكر ليس أقل أجراً من الفقير الصابر بل إن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف .

وكان عليه الصلاة والسلام حريصاً على أصحابه وحريصاً على مصالحهم، والمؤمن الذي يعطي هذا قوة للمسلمين والنبي عليه الصلاة والسلام طلب النخبة لأنهم يحملون معه بينما الأناس الذين لا يتمتعون بأي ميزة هم عبء أحياناً يكونون .

فقال: يا رسول الله إن مالي عند امرأتي أم شيبة ومتفرق في تجار مكة فائذن لي يا رسول الله أن آتي مكة لأخذ مالي قبل أن يعلموا بإسلامي عندئذ لا أقدر على أخذ شيء منه، فأذن له النبي عليه الصلاة والسلام ثم قال الحجاج: يا رسول الله لابد من أن أقول وكان عليه الصلاة والسلام فطناً، أقول ماذا ؟ يعني أن أقول عليك كلاماً لا ترضاه من أجل أن يظنوا أني لست مسلماً حتى آخذ مالي قبل أن يعلموا بإسلامي، فأذن له النبي عليه الصلاة والسلام، فقال عليه الصلاة والسلام: قل ما شئت، هذا من فرط رحمته بأصحابه ومن تواضعه الشديد، فقال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء مكان قبل مكة رجالاً من قريش يستمعون الأخبار ويسألون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد

بلغهم أنه سار إلى خيبر لمحاربة اليهود وهي من أقوى قرى الحجاز، وهم يتجسسون الأخبار من الرهبان، طبعاً في ذلك الوقت ليس هناك اتصالات إعلامية ولا فاكس ولا شيء .

لابد من أن نقف على أطراف المدينة لنستقي الأخبار من المسافرين ويسألون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغهم أنه سار إلى خيبر، إذاً هم يتجسسون الأخبار من الرهبان وكان بينهم تراهن عظيم على مائة بعير حول من سيغلب النبي الكريم مع أصحابه الكرام أم أهل خيبر، التراهن مائة بعير، فلما رأوا الحجاج ولم يكونوا قد علموا بإسلامه قالوا الحجاج والله عنده الخبر اليقين قالوا: يا حجاج إنه قد بلغنا أن القاطع قاتلهم الله يعنون به رسول الله قد سار إلى خيبر فقال الحجاج: عندي من الخبر ما يسركم، فاجتمعوا عليه يقولون: إيه يا حجاج فقال الحجاج: فقلت لهم لم يلقَ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قوماً يحسنون القتل مثلهم فهزم هزيمةً لم يسمع بمثلها وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث فيه إلى مكة فنقتله بين أظهرهم لمن كان أصاب من رجالهم، فانطلق هؤلاء الرجال فرحين أشد الفرح إلى أهل مكة فقيل لهم قد جاءكم الخبر هذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم ثم قال لهم الحجاج أعينوني على غرمائي أريد أن اقدم فأصيب من غنائم محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى هناك، فجمعوا إلي مالي على أحسن ما يكون ففشى ذلك بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور وانكسر من كان بمكة من المسلمين وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب فجعل لا يستطيع أن يقوم من شدة حزنه بهذا الخبر، ثم بعث العباس إلى الحجاج غلاماً يقول له: يا حجاج الله أعلى وأجل من أن يكون الذي حدث حقاً .

المسلم لا يقبل أن الله يتخلى عن نبيه، لا يقبل أن الله يتخلى عن أوليائه، بهذه البساطة الخبر رفضه عقلاً، فقال الحجاج للغلام: اقرأ على أبي الفضل السلام ـ أبي الفضل كانت كنيته ـ وقل له ليخلي لي بعض بيوته لآتيه بالخبر على ما يسره وأكتم عني، فأقبل الغلام وقال أبشر يا أبا الفضل، فوثب العباس فرحاً كأنه لم يمسه شيء وأخبره بذلك، فأعتقه العباس رضي الله عنه لوجه الله فرحاً بهذا الخبر وقال لله علي عتق عشر رقاب على هذا الخبر السار، فلما كان الظهر جاءه الحجاج وأخبره بالخبر الصحيح وناشد العباس أن يكتم عليه ثلاثة أيام فقال إني أخشى الطلب فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك وطالت على العباس تلك الأيام الثلاث، قالوا: دقيقة الألم ساعة وساعة اللذة دقيقة، طالت على العباس هذه الأيام الثلاث ثم عمد العباس رضي الله عنه إلى حلة فلبسها وتخلق بخلوق أي تطيب بنوع من الطيب وأخذ بيده قضيباً ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم لا يصيبك إلا الخير يا أبا الفضل، علموا أنه سمع الخبر واهتزت أركانه لهذا الخبر، هذا والله من التجلد بحر المصيبة، قال: كلا والله الذي حلفتم به لم يصبني إلا خير بحمد الله أخبرني الحجاج أن خيبر فتحها الله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم وجرت فيها سهام الله وسهام رسوله وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية

بنت ملكهم، وإنما قال لكم ذلك ليخلص ماله منكم وإلا فهو ممن أسلم ورد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين فقال: المشركون ألا يا عباد الله انفلت عدو الله يعنون حجاج أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر الدقيق .

أستاذ جمال

هذه القصة يمكن أن نستنبط منها بعض الحقائق الحقيقة الأولى تتعلق بسنة من سنن الله في خلقه وهي أن الله جل جلاله ينصر رسوله والذين أمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يعني من سابع المستحيلات أن يخذل الله نبيه والمؤمنين معه، قال تعالى:

(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47))

[سورة الروم]

بل إن الله عز وجل يقول:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55))

[سورة النور]

أما إذا لم يكن هناك نصر، يقول الله عز وجل:

(وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173))

[سورة الصافات]

معنى ذلك أن هناك خللاً في جنديتنا لله عز وجل، وقد يجاب عن هذا السؤال بقول تعالى:

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (59))

[سورة مريم]

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي

هناك قواعد للنجاح وهناك أسس إذا نفذت بحذافيرها كان نصر الله وإن لم يأتِ النصر كان هناك يعني مشيئة من الله تعالى .

الأسس والقواعد والشروط تتلخص بكلمتين، الإعداد والإيمان الإيمان لقوله تعالى:

(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47))

[سورة الروم]

والإعداد لقوله تعالى:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60))

[سورة الأنفال]

ولكن الإيمان المطلوب هو الإيمان الذي يحملك على طاعة الله والعمل الصالح والإعداد المطلوب هو الإعداد التي تستنفذ به كل القوى، فإذا توافر الإيمان الذي تتبعه استقامة، والإعداد الذي يستنفذ كل القوى كان النصر من الله عز وجل مكافأةً للمؤمنين والحقيقة الثانية تتعلق بخلق عظيم من أخلاق الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وهو أنه رحيم بأصحابه رحيم بهم، وبمصالحهم، فهو قد سمح له أن يقول كلاماً غير صحيح من أجل أن يجمع ماله كله وهذا من كرم أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام.

الحقيقة الثالثة حكم فقهي، ملخص بقاعدة أصولية وهي أن حقوق الله عز وجل مبنية على المسامحة، بينما حقوق العباد مبنية على المشاححة، لذلك حقوق العباد لا تسقط إلا بحالتين، بالأداء أو بالمسامحة، لو أن إنساناً ذهب إلى الحج وتوهم أنه يعود من الحج كيوم ولدته أمه، نقول له: فيما بينك وبين الله أما حقوق العباد لابد من أن تؤدى هذه بعض الحقائق المستنبطة من قصة الصحابي الحجاج بن علاط السلمي .

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 24 : الصحابية خولة بنت مالك بن ثعلبة رضي الله عنها .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-01-06

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ

السيدة خولة بنت مالك بن ثعلبة شخصية فذة وصحابية جليلة من صحابة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام كيف نبدأ بالحديث عن هذه الشخصية الإيمانية ؟

بسم الله الرحمن الرحيم خولة بنت مالك بن ثعلبة ذات فصاحة وبلاغة كانت على صلة بالله لم تفقد إيمانها به في أحنك اللحظات بل راحت تحتكم إلى الله ورسوله، قصتها مع زوجها نضعها بين يدي الأزواج والزوجات حينما يكون خلاف وجدال ومراجعة وخصام يقول عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))

[أحمد]

هذه النظرة الموضوعية نظرة علمية، ونظرة أخلاقية أن ترى ما لهذا الإنسان وما عليه، أن ترى المحاسن والمساوئ، أن تكون مرآةً صادقة تعكس المحاسن والمساوئ .

فقصتها مع زوجها قصة مؤثرة جداً قالت خولة بنت مالك بن ثعلبة فيّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله عز وجل قرآن في صدر سورة المجادلة، فقالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه بالمناسبة الإنسان إذا كانت له بداية مشرقة كانت له نهاية مشرقة وخريف عمره متعلق بشبابه، فمن أمضى شبابه بطاعة الله كان له خريف عمر متألق أما من أمضى شبابه في معصية الله كان له خريف عمر مظلم، وقد كان أحد الصالحين وقد بلغ السادسة والتسعين رآه تلامذته في حال طيب منتصب القامة حاد البصر مرهف السمع، يا سيدي ما هذه الصحة التي حباك الله إياها وأنت في السادس والتسعين، قال: يا بني حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقياً عاش قوياً .

قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وضجر، قالت فدخل علي يوماً فراجعته بشيء فغضب وقال: أنت علي كظهر أمي ثم خرج .

ما معنى هذا القول فضيلة الشيخ ؟ يعني أنت محرمة علي لا أقربكِ والحقيقة الإنسان أمه أمه، أما زوجته ليست أمه هذا كلام غير صحيح .

وقال: أنت علي كظهر أمي ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعةً ثم دخل علي فإذا هو يريدني فقلت: كلا والذي نفسي بيده لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا، هي ظنت طلاقاً وهي ورعة وخافت أن يقربها بالحرام، قالت: فواثبني ـ أي أرادني بالقوة ـ فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني، ثم خرجت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه وذكرت إليه ما لقيت منه، فجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: يا رسول الله، إن زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهل ومال وجمال، فلما كبرت سني ونثر بطني وذهب مالي وتفرق أهلي، قال: أنت علي كظهر أمي ثم خرج، ولي منه أولاد إن تركتهم إليه ضاعوا أنا أربيهم، وإن ضممتهم إلي جاعوا هو ينفق عليهم .

أستاذ جمال

القضية دقيقة جداً المرأة الرجل متكاملان هو يعمل ويكسب المال وينفق على أسرته وهي تربي الأولاد وكل يقدم مهمة كبيرةً وله دور خطير، عملية تكاملية، إن تركتهم إليه ضاعوا أنا أربيهم وإن ضممتهم إلي جاعوا، والذي أتمنى أن يكون واضحاً عند الأخوة المستمعين أن المرأة تكمل الرجل وإنه يكملها هو يسكن إليها لأنه يكمل نقصه فيها، وهي تسكن إليه لأنها تكمل نقصها فيه، هو يتمتع بالقوة وهي تتميز بالعاطفة والقوة والعاطفة إذا اجتمعا تكاملتا.

قالت: والله ما برحت حتى نزل في قرآن فتغشى رسول الله صلى الله علية وسلم ما كان يتغشاه ثم سري عنه فقال يا خويلة: قد أنزل الله فيكِ وفي صاحبكِ قرآناً ثم قرأ عليها:

(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1))

[سورة المجادلة]

إلى قوله تعالى:

(مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4))

[سورة المجادلة]

فقال عليه الصلاة والسلام: ائمريه أن يعتق رقبة هذه كفارة الظهار فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: فليصم شهرين متتابعين، قالت فقلت: والله يا رسول الله إنه لشيخ كبير ما به من طاقة، قال: فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر، قالت فقلت يا رسول الله ما ذاك عنده، فقال عليه الصلاة والسلام: فإنا سنعينك بعزق من تمر، فقلت: يا رسول الله وأنا سأعينه بعزق آخر، فقال قد أصبت وأحسنتي فاذهبي وتصدقي به عنه، واستوصي بابن عمك خيراً .

لاحظ فضيلة الشيخ

سماحة الإسلام ويسر الدين، الإسلام بعيد عن الحرج وتكليف ما لا يطيق الإنسان وما من شيء أودعه الله في الإنسان إلا وجعل له قناةً نظيفةً، أريد أن أقول أستاذ جمال ليس في الإسلام حرمان، في الإسلام تنظيم، يعني ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناةً نظيفة تجري من خلالها لأن هذه الشهوات التي أودعها الله فينا شهوات حيادية هي سلم نرقى بها أو دركات نهوي بها، إذا وظفت هذه الشهوات في الحق كانت سلماً نرقى بها وإن استخدمت بالباطل كانت دركات نهوي بها هي حيادية بل إن الشهوات سبب رقي الإنسان عند الله عز وجل لأنها قوى محركة، الوقود في السيارة إذا وضع في مستودعاته المحكمة وسال في الأنابيب المحكمة وانفجر في الوقت المناسب وفي المكان المناسب ولد حركة نافعة، وإذا خرج عن مساره وأصاب المركبة شرارة أحرق المركبة ومن فيها، هي كالبنزين قوة انفجارية إذا وظفت بشكل صحيح كان حركةً نافعة، فإذا خرج عن مساره فالشهوة حيادية نرقى بها أو نهوي بها .

قالت: ففعلت، وهذه خولة في قصتها دروس عظيمة لالتئام الحياة الزوجية والإسهام في رأب الصدع ورعاية القرابة، وكبر السن بين الأزواج، أستاذ جمال دقق، قال تعالى:

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (29))

[سورة الشورى]

(وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37))

[سورة فصلت]

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21))

[سورة الروم]

فكما أن السماوات والأرض من آيات الله الدالة على عظمته كذلك الزواج من آيات الله الدالة على عظمته، وأعظم من هذه الآية هذا الود والرحمة من الزوجين وإن لم يكن بين الزوجين فهي حالة مرضية تقتضي المعالجة لأن هذا من خلق الله عز وجل، سئل النبي عليه الصلاة والسلام من أعظم الرجال حقاً على المرأة ؟ قال: زوجها، ثم سئل من أعظم النساء حقاً على الرجل قال: أمه .

فهذه قصة مؤثرة، روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بها في زمن خلافته وهو يركب دابةً والناس حوله، فنزل من على الدابة ووقف أمامها بأدب جم يستمع إليها، بعض من حوله لم يعرفها فقالوا: أتقف لهذه العجوز هذا الموقف، يعني هل من المعقول خليفة المؤمن ينزل من على دابته ويقف بأدب جم أمام امرأة عجوز، قال: أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات، أيسمع رب السماوت والأرض قولها ولا يسمعه عمر .

ما شاء الله على هذه الحكمة وهذه الذاكرة عند سيدنا الفاروق .

لم تلجأ خولة إلى العنف، لم تفكر في عمل طائش فإن هذا ليس من خلق الإسلام، بل راحت تلتمس الحل عند الله وعند رسوله وتشكو أمرها إلى الذي خلقها فهو القادر على أن يفك كربها ويجعل من بعد عسر يسرا .

وإن شئت أيها الأخ الكريم أن تسمع وهي تعرض شكواها على النبي صلى الله عليه وسلم فتعال إلى ما أخرجه ابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن عائشة رضي الله عنها قالت:

تبارك الذي وسع علمه كل شيء هذا قول النبي الكريم إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه:

((عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ إِنِّي لأَسْمَعُ كَلامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلَ شَبَابِي وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهَؤُلاءِ الآيَاتِقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ))

[النسائي]

وقد أوصى النبي عليه الصلاة والسلام بالنساء خيراً فقال:

((أكرموا النساء فوالله ما أكرمهن إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم))

((إنهن المؤنسات الغاليات))

وكان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، وكان عليه الصلاة والسلام زوجاً كريماً، زوجاً وفياً، وكانت عائشة تقول له: يا رسول الله كيف حبك لي ؟ فيقول لها: كعقدة الحبل، تسأله من حين لآخر ما العقدة ؟ أصبحت هذه العقدة شيفرة بينهما، ما العقدة ؟ يقول: على حالها .

هكذا كان النبي زوجاً كريماً وأباً رؤوفاً رحيماً وهو قدوةً لنا وقد قال الله عز وجل:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21)

[سورة الأحزاب]

حقاً فضيلة الشيخ شخصيات فذة من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم الذين تربوا في بيت النبوة فكانوا فعلاً مثال يحتذى في الأخلاق والعلم والأدب والتربية .

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 25 : الصحابية أم سليم رضي الله عنها .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-01-08

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ

نحن اليوم في رحاب شخصية مؤمنة الصحابية الجليلة حبذا بداية أن نستهل حديثنا بكلمات عن هذه الشخصية الفذة .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، الأنظار بدأت تتجه إلى أم سليم رضي الله عنها فجمالها الآسر وذكائها النادر جعلاها مهوى أفئدة الكثير من الشباب، ومن أجل ذلك سارع ابن عمها مالك بن النضر فخطبها من أبيها وتم الزفاف السعيد بينهما على أهنأ بال وأرغد عيش لا يعكر صفوه شيء، وابتسمت لهم الدنيا ووضعت أم سليم مولودها الجميل وراحت القلوب تهتف ماذا نسميه ثم أجمعوا على أن يكون أنس على اسم عمه أنس بن النضر، حتى كان أنس يعطي قدميه للريح ويشتد مع الغلمان ليرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمع الناس يتحدثون عنه ولا ينسى ذلك اليوم المشرق الذي ارتجت المدينة فيه باستقباله راح أنس يحدث أمه عن كل ما رآه ويبثها سعادته في هذا الوفد الجديد، وبخاصة أنه نزل في حيهم بني النجار، وقال لأمه:شهدته يا أماه فما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من اليوم الذي دخل به المدينة، وكان قلب أم سليم يخفق بعنف شوقاً لمحمد بن عبد الله وتتمنى لو تمضي فتعلن إسلامها بين يديه لكنها انتظرت أن يأتي المساء فتفاتح زوجها وتبثه هذه الأشواق ويمضيان معاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمان بين يديه وكانت قد خرجت إلى جاراتها أثناء النهار فلم يكن لهن حديث إلا رسول الله ويقبل البيعة منهن بأن يقولن له أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وما كان يأتي المساء حتى سارعت إلى زوجها تبثه مشاعرها وتحدثه عن ما سمعت من نساء الحي عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن زوجها عندما سمع حديثها انقبضت أساريره وغدا متجهم الوجه، ولاحظت أم سليم أنه لا يحب أن يسمع هذا الحديث فتشاغل عنه وراح يسألها عن طفلها الحبيب أنس، كظمت أم سليم مشاعرها في اليوم الأول وآذاها هذا الإعراض من زوجها مالك، وما أن خرج صباح اليوم التالي من البيت إلا وانتابها قلق عظيم من جراء عواطف زوجها اتجاه هذا الحدث الكبير لقد جرح عواطفها وكبرياءها من عدم مبالاته التي قابل بها هذا الحديث وراحت في هواجسها شاردة أتعلن إسلامها مهما كانت العواقب وخيمة، ولكن هذا سوف يحول البيت إلى بركان ثائر أتحافظ على سعادة بيتها وتدع هذا

الإسلام وتكتفي من دنياها برضى زوجها عنها، ولكن كيف يكون ذلك وهذه الأصنام التي تعبد كانت تمقتها وتكرهها .

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي

لنا سؤال هنا من هذه النقطة التي تحدثت عنها وهي الحكمة، وضع الأشياء في مواضعها وهنا التصرف من أم سليم .

قال تعالى :

(وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (60))

[سورة القصص]

وفي آية ثانية قال تعالى :

(أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (77))

[سورة النساء]

لكن الله يقول :

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269))

[سورة البقرة]

وازن بين كلمة متاع الدنيا قليل، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا هي الآن في صراع وفي المناسبة أستاذ جمال المرأة مسؤولة عن نفسها وعن إيمانها اتجاه الله ولا يحميها من هذه المسؤولية رضا زوجها عنها، امرأة فرعون قالت، قال تعالى :

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11))

[سورة التحريم]

هذا درس بليغ لكل امرأة، المرأة مستقلة في إيمانها وفي مسؤوليتها وفي تكليفها عن زوجها ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لكن بالمقابل إذا صلت المرأة خمسها و صامت شهرها و حفظت نفسها و أطاعت زوجها في ما أمر الله دخلت جنة ربها فطاعة زوجها بالمعروف ربع دينها .

إذاً نعود إلى الصحابية الجليلة أم سليم ؟

ماذا تفعل أتحافظ على سعادة بيتها وتدع هذا الإسلام وتكتفي من دنياها برضا زوجها عنها، ولكن كيف يكون ذلك وهذه الأصنام التي تعبد كانت تمقتها وتكرهها، هل تستطيع أن تسجد لها ثانية ؟ أبداً إن قلبها لينفر سأماً و بغضاً لها و رب السماوات و الأرض يبعث رسولاً تشهد بصدقه كيف لا تهتم فيه ؟ كيف لا تستجيب له ؟ فصممت أن تسلم و صممت أيضاً دفع ابنها أنساً إلى الإسلام فلعل زوجها يلين قلبه و يدخل في الدين الجديد و طردت الوساوس التي كانت تطاردها بين الفينة و الفينة، مالك و مال هذه

المتاعب دعي عنك الإسلام فتسعدين بزوجك و رأت أن تستجيب لداعي الله مهما كان داعي الهوى جامحاً قوياً قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24))

[سورة الأنفال]

الحياة الحقيقية الحياة التي تليق بالإنسان، الحياة التي تسعد الإنسان هي حياة القلب و حياة القلب بأن يعرف الإنسان ربه و أن يصطلح معه و أن يتبع منهجه و أن يسعد بقربه .

جاء المساء و بدأت أم سليم بحديثها عن الإسلام و نظرت في وجه زوجها إنه يعود إلى انقباضه و ألقت كلمتها الحاسمة فكانت كالقنبلة المتفجرة قالت:أشهد أنه لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله و غضب مالك منها فلم تكتفِ بذلك ها هي ذي تشير بعينيها لولدها الحبيب أنس و تتحرك شفتا الطفل الوديع أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله و تحركت لدى مالك كل المشاعر مشاعر الاعتزاز بالإثم فوقف غاضباً ثائر الرأس و أعلمها أنه سوف يخرج من البيت هائماً على وجهه و لن يعود حتى تعود عن دينها الجديد و كررت بعزيمة أقوى من الصخر مرة ثانية أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله و كرر أنس الوديع ما قالته أمه و كانت ساعة الفراق الأخيرة لقد مضى مالك بلا عودة و بقيت أم سليم صابرة محتسبة و نظرت إلى ابنها أنس و ضمته إلى صدرها و قبلته قبلة أودعته فيها كل ما تملك من حنان، لقد مضى زوجها و لن يعود أما هي فإما الإسلام و إما الزوج و الهناء و الرغد و آثرت ربها على زوجها ووضعت يدها على جرحها الغائر من جراء تفتت أسرتها و اتجهت إلى رب السماوات و الأرض أن يرعاها و أن يرعى ابنها الحبيب من غوائل اليتم و التشريد، أستاذ جمال ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه خيراً منه في دينه و دنياه .

و قال تعالى عز وجل :

(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9))

[سورة الحشر]

و من آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً، و من آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً .

و الله فضيلة الشيخ

هنا موقف عظيم من الصحابية الجليلة أم سليم بنت ملحام فعلاً موقف بطولي .

لقد تناقل الناس هذا الخبر إن مالكاً بن النضر قد قتل من قبل أحد أعدائه و أحست بدمعة كبيرة تنحدر على وجنتيها و لا تزال في عنفوان شبابها فأصبحت أرملة لكنها احتسبت كل ذلك في سبيل الله و آثرت

رضا الله عز وجل على كل شيء و ها هي الفتاة الشابة الحصون التي لم تذق بعد لذة الحياة و طعمها الجميل، نظرت في ابنها أنس و راحت قلقة كيف تجعل منه رجلاً جلداً على مشقات الحياة و هو ابن العاشرة من عمره و خطر على بالها خاطر سرعان ما طارت فرحاً به و نسيت بهذا الخاطر كل متاعب دنياها إنها تريد أن توثق الصلة برسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما لا يكون أنس خادماً لرسول الله، و لما لا يعيش في بيته فيتلقى من منبع النور و العلم والحكمة و الهداية و هو في هذه السن، ويردها بكل ما يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تتمالك إزاء هذا الخاطر أن قامت ومضت ميممةً شطر رسول الله عليه صلوات الله وأخذت بيد ابنها أنس إليه، وتقدمت من الحبيب العظيم صلوات الله عليه على استحياء وعرضت عليه أن يكون أنس خادماً عنده فرحب بها وأقر عينها بذلك وعادت وهي لا تتمالك نفسها من شدة فرحها بذلك، ومضى الناس يتحدثون عن أنس بن مالك وأمه كان أبو طلحة من كبار أثرياء يثرب هو الذي يحلم بالزواج من أم سليم، ولم تكن أم سليم نكرة من النكرات، هو الذي يحلم بالزواج من أم سليم، فتقدم إليها وأفصح عن ما في نفسه لقد كان بستان أبي طلحة أكبر بساتين المدينة وفيه تسعة مائة نخلة ولم يكن يخطر في ذهنه لحظةً من اللحظات أن ترده فتاة يطلب يدها مهما كانت إلا أن المفاجأة أذهلته وأي مهر أغلى من المهر الذي يقدمه أبو طلحة، يمكن أن يقدمه أي شاب من شباب يثرب، قالت له وقد أبعدت حديث الزواج في لطف وأناة:يا أبا طلحة أرأيت حجراً تعبده لا يضرك ولا ينفعك، أو خشبة تأتي بها فينجزها لك النجار هل يضرك أو ينفعك، أطرق أبو طلحة إلى الأرض وراح يعبث بيديه، إنه يسمع الكلام أول مرة وأحس بضيق شديد من هذا الحديث، فعاد يلوح لها بالمهر الغالي والعيشة الرغيدة، فصارحته أنها قد دخلت الإسلام وأنها تأبى الزواج بمشرك وكانت صدمةً عنيفةً وقعت على رأسه كالصاعقة، فقام غاضباً وراح إلى بيته مسترخياً على فراشه ماله وأم سليم وهل خلت المدينة من النساء فصورة أم سليم ماثلة بين عينيه وعاد في اليوم الثاني يمني بالمهر الأكثر على أمل أن تلين أم سليم وتقلع عن عنادها الغريب .

وراحت أم سليم الذكية اللبيبة وهي ترى الدنيا تتراقص أمام عينيها المال، والجاه، والقوة، والفتوة، وما تطلب أم سليم لكن قلعة الإسلام في قلبها أكبر من نعيم الدنيا كله، فعادت تقول:يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده إنما هو شجرة تنبت من الأرض وإنما نجرها لك حبشي بني فلان وتمنت من خالص قلبها لو يؤمن أبو طلحة فترضاه زوجاً وكفئاً وعادت تقول له:أما تعلم يا أبا طلحة أن ألهتكم التي تعبدونها ينحتها عبد آل فلان النجار وأنكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحترقت، وراح يسأل نفسه هل يحترق الرب ؟ وأحس بانفعال ملء عليه كل كيانه وأحس بقشعريرة اهتز لها كل ذرة من جسده ووقف له شعر رأسه، وأحس بلسانه ينساب كأنه السحر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 26 : الصحابية أم الفضل بنت الحارث .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-01-10

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذ جمال:

فضيلة الشيخ كيف نبدأ بالحديث حول هذه الشخصية الفذة السيدة أم الفضل بنت الحارث من صحابة النبي عليه الصلاة والسلام ؟

أستاذ جمال

حضرت معركة بدر وجاء العباس بن عبد المكلب مهموماً لأم الفضل زوجته وأنبأها أنه لا مندوحة له من الخروج مع قريش فهو لا يريد أن يكشف هويته للمشركين، هو مسلم سراً وعين النبي في مكة، فلما جاءت معركة بدر إذا لم يخرج كشف هويته فلذلك لا مندوحة من أن يخرج فهو لا يريد أن يوضح للمشركين من هو على حقيقته لأنه لو تلكأ عن الخروج معهم لكشفوا أمره وحاربوه وحالوا دون تعرفه على أسرارهم أنصتت أم الفضل لكلام زوجها العباس واعتراها الوجوم قليلاً فكيف تبقى هي وبنوها وحدهم بين المشركين وقد يقتل العباس في خروجه هذا، وحبست دمعات كنَّ يتحدرن على وجنتيها ودعت له بالسلامة في الذهاب والإياب لقد كان قلبها موزعاً بين جانبين، بين الأمل في نصر دين الله وتحقيق موعوده وبين الخوف على زوجها الحبيب أن يمسها السوء.

لكن بالمناسبة أستاذ جمال النبي عليه الصلاة والسلام قال: لا تقتلوا عمي العباس ولم يضف على ذلك شيئاً، بعض أصحاب النبي قال: ينهانا عن قتل عمه وأحدنا يقتل أباه وأخاه، والعباس كان مسلماً قال: تصدقت عشر سنين رجاء أن يغفر الله لي سوء ظني برسول الله، فالعباس كان مسلماً.

وضرعت إلى الله تعالى أن يحفظ لها زوجها وأن ينصر نبيه ودينه على أعدائه الألداء، ومرت الأيام تترا وأم الفضل شاردة الذهن قلقة الأعصاب تنتظر خبراً يثلج صدرها عن لقاء قريش مع محمد صلى الله عليه وسلم، وكان العباس قد وقع أسيراً بيد الجيش الإسلامي وبينما المسلمون فرحون بانتصارهم في بدر وقد قرت أعينهم بتحقيق موعود الله عز وجل لم تذق عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم النوم لما وقع بعمه، فقال عليه الصلاة والسلام: أسمع تضور العباس في وثاقه، لا يستطيع أن يقول لهم أنه مسلم كشف هويته فانتهى دوره، ولا يستطيع أن يسكت، لو سكت لقتلوه ولا يستطيع العباس أن لا يخرج مع المشركين كشف أمره القضية دقيقة جداً وكان الأنصار ينظرون مهوى فؤاد النبي عليه الصلاة والسلام فتهلل وجهه فرحاً لنجاة عمه لأنه أعرف الناس به وأعرف الناس بالدور السري الملقى

على عاتقه ولم يكن من المصلحة أن يعلم أحد بإسلامه لكن الحديث جرى وكاد يكشف إسلام العباس لولا أن تداركه النبي عليه الصلاة والسلام بحكمته وذلك من خلال بحث موضوع فداء العباس من الأسر.

فالأنصار قالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه، فقال عليه الصلاة والسلام: لا تدعون منه درهماً، ثم توجه لعمه العباس قائلاً: يا عباس أفدي نفسك وابني أخويك، وحليفك، فالعباس قال إنما كنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني، فقال عليه الصلاة والسلام الله أعلم بما تقول إن يكن ما تقول حقاً فالله يجزيك، وأفهمه بدوره قائلاً ولكن ظاهر أمرك علينا، ابقى على ما أنت عليه، فقال العباس ما ذاك عندي يا رسول الله ـ لا يوجد عندي هذا المال الكافي لفداء أربعة ـ فالعباس قال عندئذ: والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا الشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل، ورأى العباس أنه سيدفع مالاً كثيراً فداءه وفداء أخويه وحليفه، فحاول التنصل قائلاً، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي لقد وعى العباس دوره ـ عملية تمثيلية حتى يبقى على هويته السابقة ـ فعاد يرخي ستار الكتمان على شخصه وبدأ يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه فرد من المشركين فقال عليه الصلاة والسلام: ذاك شيء أعطانا الله منك، وبدأت طلائع العائدين تصل إلى مكة وكلها تشير إلى هزيمة قريش فغمرها وبنيها فرح ما بعده فرح ولكنها بقيت وقلبها واجفةً تنتظر من يخبرها بسلامة زوجها الحبيب.

وخيم الحزن والقلق على أجواء مكة وراح أهلها يكذبون أنباء انتصار محمد وراحت الأنباء تتضارب حول مصير زعماء مكة وكان أبو لهب حمو أم الفضل الذي ينز حقداً وكراهيةً لمحمد أعدى العدو يكاد يفقد صوابه من هذه الأنباء، وأوصت أم الفضل بنيها ومولاها أبا رافع أن يكتموا فرحهم بهزيمة قريش حتى لا يصب جام غضبه عليهم، وبخاصة أمام أبي لهب الذي يود أن يفرغ حقده كله بمن يقع غضبه عليه.

ورأى أبو لهب غباراً من بعيد ما لبث أن تكشف عن ابن أخيه أبي سفيان بن الحارث وعلى وجهه علائم الذعر والخوف فأسرع كمن وقع على بغيته يقول لأبي سفيان: يابن أخي هلم إلي فعندك لعمري الخبر، سمعت أم الفضل صوت حميها أبي لهب وصوت حميها أبي سفيان بن الحارث فخرجت مهرولةً تستمع الخبر وخرج وراءها مولاها أبو رافع وجلسا في زاوية البيت حيث يستمعان للحديث وكان أبو لهب لم تغادره عنجوهيته فجلس لابن أخيه يستمع له والناس قيام حوله فقال أبو لهب: أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ فقال أبو سفيان والله ما هو إن التقينا حتى منحناهم أكتافنا يقتلون منا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا.

ونظرت أم الفضل إلى مولاها أبي رافع والسرور يبرق من وجهها وتابعت مع مولاها بشغف واهتمام حديث أبي سفيان بينما كان أبو لهب يتجهم وجهه ويربد، وتابع أبو سفيان قوله: ويم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض لا يقوم لها شيء والتفتت أم الفضل مرةً ثانية إلى أبي رافع لتظهر لها سعادتها بالخبر فإذا به يصرخ وقد فقد أعصابه من الفرح بغير وعي وقال تلك والله الملائكة وقد ورد هذا في القرآن الكريم.

وقام أبو لهب والشرر يتطاير من عينيه وضرب أبو رافع ضربةً شديدةً أودعها كل غلظته وحقده وقسوته ومضى يفرغ جام غضبه على المولى المسكين المسلم أبي رافع، إيه أم الفضل هذا مولاكِ المسلم يضربه عدو الله أبو لهب ونسيت أم الفضل في لحظة انفعالها هذه خطة إخفاء الإسلام لهذا البيت على أهل مكة وقامت إلى عمود من عمد البيت وجمعت كل قوتها وفرغتها في ضربة هائلة على رأس أبي لهب فشجته أعنف شج حتى غمر وجهه الدم وصاحت فيه أضعفته إن غاب عنه سيده فابتلي بمرض معدي اسمه العدسة وتحاشاه الناس وانفضوا عنه خوفاً من أن يصيبهم المرض، حتى حمالة الحطب تركته يئن وحده وينازع سكرات الموت، وحتى ولده ابتعدوا عنه إلى أن صرعه الموت فأضحى جثة هامدة.

يقول أبو رافع: فو الله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة وهي قرحة تشاءم بها العرب فتباعد عنه بنوه قتله الله وبقي ثلاثة أيام لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه فلما خافوا السبة، العدوى في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وانتهى أبو لهب عدو الله جيفةً قذرةً تعافها حتى الكلاب ويتقززه الناس حتى بنوه، قال تعالى:

(لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (34))

[سورة الرعد]

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس 27 : الصحابية أسماء بنت عميس رضي الله عنها .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1999-01-12

بسم الله الرحمن الرحيم

أسماء بنت عميس زوجة سيدنا جعفر بن أبي طالب، النبي عليه الصلاة والسلام أرسل جيشاً إلى مؤتة وعين له قادةً ثلاث زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواح، وكانت المعركة قاسيةً جداً، فأخذ الراية سيدنا زيد بن الحارثة فقاتل بها حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب زوج أسماء بنت عميس محور هذا اللقاء فقاتل بها حتى قتل، ثم صار دور عبد الله بن رواح فأخذ الراية وقال بيتين من الشعر:

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليتِ

إن تفعلي فعلهما رضيتي وإن توليتي فقد شقيتِ

فقاتل بها حتى قتل، والقصة طويلة لكن النبي عليه الصلاة والسلام وهو بين أصحابه في المدينة أخبر أصحابه في المدينة أخبر أصحابه بما كان في هذه المعركة، فقال: أخذ الراية أخوكم زيد فقاتل بها حتى قتل وإني لأرى مقامه في الجنة، ثم أخذ الراية أخوكم جعفر فقاتل بها حتى قتل وإني لأرى مقامه في الجنة، ثم سكت النبي عليه الصلاة والسلام، فقلق أصحاب النبي على أخيهم عبد الله فقالوا: يا رسول الله ما فعل عبد الله ؟ قال: ثم أخذها عبد الله وقاتل بها حتى قتل، لكن هناك شيء قال: إني لأرى في مقامه ازوراراً عن صاحبيه لأنه تردد، لأن الله عز وجل قال:

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111))

[سورة التوبة]

هذا التردد الذي ما دام أكثر من ثلاثين ثانيةً جعل مقامه في الجنة يزور ـ أي ينخفض عن مقام صاحبيه ـ فأسماء بنت عميس رضي الله عنها كانت تعيش انتصارات المسلمين نصراً بعد نصر، فمن خيبر إلى عمرة القضاء إلى أن أعلن في المدينة عن توجه جيش إلى الشام وكان بين أمرائه الثلاثة زوجها الحبيب جعفر بن أبي طالب وأحست بلذع النار يوم الوداع، وإن كان جعفر رضي الله عنه قد طغت عليه علائم الفرحة العارمة، بأن يحمل سيفه في سبيل الله فكم طاق لمثل هذا اليوم وقد سبقه أخوه علي في هذا الجهاد.

مضت الأيام تترا وأسماء تعدها يوماً بعد يوم حتى تقر عينها برؤية زوجها الغائب الحبيب، وتحدثنا أسماء عن ذلك اليوم الفاجع في حبيبها فتقول: أصبحت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر وأصحابه فأتاني النبي عليه الصلاة والسلام وقد كان قدومه مفاجأةً غير متوقعة ولقد كانت في أقصى حالات الإرهاق، فقد دبغت أربعين جلداً ثم رأت بأنها بحاجة إلى الخبز فعجنت عجينها وتركته يختمر ثم التفتت إلى أولادها فرأت بعض الاتساخ بهم فقامت وغسلت وجوههم ونظفتهم ودهنتهم، آنذاك قدم النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا أسماء: أين بنو جعفر ؟ تقول أسماء فجئت بهم إليه فضمهم وشمهم ولم تجد غربة في ذلك لطالما ضمهم النبي عليه الصلاة والسلام إلى صدره الشريف وكان يحبهم حبه لأبيهم وأشد، إنما الذي هلع قلبها من الرعب أن ذرفت عيناه فبكى، بكى النبي حينما ضمهم وشمهم فسألته بجزع بادٍ في وجهها أي رسول الله لعله بلغك عن جعفر شيء فقال عليه الصلاة والسلام والدمع يتحدر على وجهه الشريف نعم قتل اليوم، ولم ينته النبي عليه الصلاة والسلام من كلامه حتى قامت تصيح وبدأ النسوة يتبادرن إلى البيت بصياحها وفي قلب هذا الجزع وأمام هذه المصيبة لم يملك رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أن يوصي أسماء قائلاً: يا أسماء لا تقولي هجراً ولا تضربي صدراً ومضى يعالج أحزانه على أحبائه الثلاث وقد قرت عينه بشهادتهم وما أن دخل البيت حتى فوجئ بفاطمة ابنته تبكي وتقول: واه عماه ووسط مشاعر التأثر البالغة وفي لهيب الفجيعة المحزنة قال عليه الصلاة والسلام على مثل جعفر فلتبكِ البواكي.

كان من أحب أصحابه إليه، ولم تكن بنت عميس تحسب أنها ستدخل بهذه السرعة في عالم الأحزان وأنها ستكون المعزاة ولم يمر بعد على سعادتها في مدينة رسول الله العام وبعض العام، وعرف النبي عليه الصلاة والسلام الصدمة القاسية على قلب الأم في أوج صباها فقال لأهله: اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم.

أنا ذكرت في حلقة سابقة أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول أول من يمسك بحلق الجنة أنا فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي قلت من هذه يا جبريل ؟ قال: هي امرأة مات زوجها وترك لها أولاداً صغاراً فأبت الزواج من أجلهن.

ثم جفت دموع أسماء لكن قلبها لم يجف بعد فكأنما ينزف دماً، إنما كان يرفؤه ويهدأه ما تناقلته بيوتات المدينة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ـ أستاذ جمال دقق في قول النبي ـ لقد رفعوا إلي في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سرير صاحبيه فقلت عما هذا ؟ فقيل لي: مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى وراحت في نشوة من الأحلام وجعفر هذا الذي كانت زوجاً له هو الذي عاشت معه عمرها كله التي كانت تأكل معه وتشرب معه وتتحدث معه وتتناجى معه هو الآن في الجنة، يا الله ليت كانت معه فتفوز فوزاً عظيماً، ترى هل

تكتحل عينها بمرآه فتكون زوجاً له في الجنة وها هي ذي تسمع اليوم أخباراً أحلى وأجمل عن زوجها الحبيب.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((دخلت الجنة البارحة فرأيت جعفراً يطير مع الملائكة وجناحاه مضرجان بالدم))

وأدخل هذا الوصف على القلب الحزين آيات الرضا بالقضاء وراحت تضرب في بيداء الظنون إلى أن أهل الجيش قادماً من بعيد وقامت فاطمة رضوان الله عليها المفجوعة بعمها جعفر مع سلمى مولاة النبي عليه الصلاة والسلام تصنعان الطعام استجابةً لأمر النبي عليه الصلاة والسلام وكان الدمع يترقق في عيني النبي كلما تذكر اليتامى الصغار الذين يدرجون في أول طفولتهم وسرعان ما بعث من جاء بهم إليه فراحوا يتراكضون للنبي الكريم الحبيب الذي كان يحنو عليهم ويطعمهم بيده ويمسح دموعهم التي ذرفت من عيونهم وهم ينظرون إلى أمهم الولهة تصيح.

يقول عبد الله بن جعفر: فعمدت سلمى مولاة النبي عليه الصلاة والسلام إلى شعير فطحنته ثم آدمته بزيت وجعلت عليه فلفلاً وأكلت منه وحبسني النبي صلى الله عليه وسلم مع أخوتي في بيته ثلاثة أيام وكانت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ترمق الجو من بعيد وتنظر في وجه زوجها الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام فترى آثار الحزن قد جللت وجهه الشريف فتحاشت أن تناجيه في هذا الموقف العصيب كما تقول: لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله صلى الله عليه والسلام الحزن وجلست ترمق الجو من بعيد لولا لفت نظرها دخول رجل مسرع على النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يا رسول الله إن النساء عنيننا وفتننا، ومضت الأيام الثلاثة بالفاجعة على الأرملة الشابة التي ذاقت لأول مرة لوعة الترمل وهي في ريعان شبابها وجلست في زاوية البيت بعد أن عاد إليها يتاماها الثلاثة فضمتهم لحضنها وحبست الدموع في عينيها المتحجرتين حفاظاً على مشاعر فلذات أكبادها الثلاث وجفت دموع أسماء، خرج الصبيان يشتدون وقد تردد في أرجاء المدينة أن الجيش فر من الزحف، وكان عبد الله بن جعفر يشتد مع الصبيان، وخرج النبي عليه الصلاة والسلام يتلقى جيشه الجريح المجاهد غير أنه لم ينسَ أبداً عبد الله ولد جعفر الحبيب.

وما يدري لعل عبد الله يسأل الركبان عن أبيه ويحسب أنه لم يمت بعد، لعل عبد الله يتفرس في وجوه العائدين على أمل أن يلقى أباه بين العائدين، لقد كان أسامة بن زيد أشب بكثير، أما عبد الله فلم يكن يدري ما الموت بعد، من أجل هذا قال عليه الصلاة والسلام:

خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر فأخذه وحمله بين يديه.

ولم يغفر الصبيان للجيش أوبته دون انتصار وبخاصة وقد خلف قادته الأبطال مجندلين في الساح فراحوا يحثون التراب في وجه الجيش ويقذفونهم بالحصى قائلين يا فرار، فررتم في سبيل الله وكان قلب النبي عليه الصلاة والسلام يهتف مع كل قلب من جنوده بل هم الكرار إن شاء الله.

وكانت أسماء تنتظر بحرقة قدوم الجيش لتسمع أخبار زوجها الشهيد بعد أن حدثها النبي عليه الصلاة والسلام عنه في الجنة و تناهى لها عن طريق أحد المسلمين قوله و هم يصفون جعفر، و الله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل و هو يقول:

يا حبذا الجنة و اقترابها طيبة و بارد شرابها

و الروم روم قد دنى عذاب ها كافرة بعيدة أنسابها

علي إذ لاقيت ضرابها

ثم أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل، و أدركت أسماء آنذاك لما كان جعفر ذا الجناحين يطير بهما في أبهاء الجنة.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - سؤال وجواب - الحلقة 1 : سؤال وجواب.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1993-05-04

بسم الله الرحمن الرحيم

في القرآن الكريم.

يجيب عن هذا السؤال الأستاذ محمد راتب النابلسي.

في القرآن الكريم سور، أي مجموعة آيات متكاملة، تشتمل على فاتحة وموضوع، أو موضوعات، وخاتمة، وهي كالسور تحيط بآياتها، والآية هي علامة على صدق من أتى بها، وعجز المتحدى بها، والآية قرآن مركب، من جمل ولو تقديراً، ذات مبدأ ومقطع مندرج ضمن السورة، وقد أورد الزمخشري في البرهان، طرف من فوائد تفصيل القرآن الكريم وتقتطعيه إلى سور وآيات.

من هذه الفوائد:

أن الجنس إذا انطوى تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون باب واحد.

ومن هذه الفوائد:

أن القارئ إذا ختم سورة أو جزء، ثم أنتقل إلى آخر، كان أنشط له.

من هذه الفوائد:

أن الحافظ إذا حفظ سورة مستقلة، يعظم عنده ما حفظ.

وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: كان الرجل إذا قرئ البقرة وآل عمران جل فينا، والآن جاء دور الإجابة عن السؤال:

ترتيب الآيات في السورة، وترتيب السور في القرآن، أجمع العلماء سلفاً وخلفاً، على أن ترتيب الآيات في السور، توقفي، أي أتبع الصحابة فيه أمر النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي تلقاه عن سيدنا جبريل عليه السلام، وجبريل تلقاه عن ربه، لا يشتبه في ذلك أحد، ولا يختلف في هذا اثنان.

يقول أبو جعفر ابن الزبير: ترتيب الآيات في سورها، واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم، وواقع بأمره، في غير خلاف في هذا بين المسلمين.

ويقول القاضي أبو بكر الباقلاني: ترتيب الآيات أمر واجب حكم لازم ، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا.

وأما ترتيب السور في القرآن فقد أجمع جماهير العلماء، على أن ترتيب سور القرآن، توقفي، من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ربه وليس باجتهاد الصحابة كما يتوهم بعضهم.

أيها الأعزاء:

السؤال الأول في حلقة اليوم، ورد من المستمع وائل مخزوم من محافظة حلب، يطلب فيه فكرة موجزة عن المنهج التربوي المعجز في القرآن الكريم.

يجيب عن هذا السؤال، الأستاذ محمد راتب النابلسي، الأستاذ في كلية التربية بجامعة دمشق.

إذا تأملنا كتاب الله عز وجل، بفكر الباحث التربوي، وقد رب هذا الكتاب الكريم أجيال من البشر، ذوي نفوس وعقليات وطبائع متباينة ومختلفة، حتى صاغ جميعها في نفس إنسانية واحدة، وبنى الإنسان المسلم بناء فكري، ونفسي، وخلقي، واجتماعي، وجمالي.

المسلم الذي رباه القرآن، يتمتع بروية صحيحه، وأدراك دقيق ووعي عميق، له قلب كبير، وعزم متين، و إرادة صلبه، هدفه أكبر من حاجاته، ورسالته أسمى من رغباته، يملك نفسه ولا تملكه، ويقود هواه ولا ينقاد له ، تحكم القيم ويحتكم إليها، من دون أن يسخرها أو يسخر منها.

هذا الكتاب الذي رب الإنسان المسلم، تربية أساسها السيطرة على الذات، وطبعت أجيال متعاقبة، بطابع أخلاقي، ولا بد من أن يكون مرتكزاً في أصول دعوته، وطرائق تربيته على أسس رائعة مثلى.

فمن أساليب القرآن، اعتماده على المناقشة، والحوار، في إقناع المخاطب، وهذا الأسلوب ينمي شخصية المخاطب.

قال تعالى:

(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61))

(سورة النمل: 60 - 61)

وأعتمد القرآن أيضاً، أسلوب القصة في تربية المؤمنين، لكن منهج القرآن في القصة خاص به، فهو لا يسوق من القصة، إلا ما يتعلق بالغرض الذي سيقت القصة من أجله، فهو يترفع عن التفاصيل التي لا تسهم في إيضاح الغرض، وتعد عبئ على القصة، وكثيراً ما يعقب على أحداث القصة، تعقيباً يشبه القانون الثابت، ليستفيد منه قارئ القرآن، في كل زمان ومكان، فقد قص القرآن علينا قصة سيدنا يونس، وهاهو ذا يونس عليه الصلاة والسلام النبي الكريم، ينادي ربه وهو في بطن الحوت:

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ)

انتهت القصة التعقيب

(وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88))

(سورة الأنبياء: 87 - 88)

هذه هي القاعدة، التي أدخلها القرآن في خليات القصة، ليجعل من القصة قانوناً، وليبعدها على أن حدثاً وقع ولا يقع مرةً ثانية.

وبما أن الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، لذلك خاطب القرآن عقله من خلال الحوار، وخاطب وجدانه من خلال الإثارات العاطفية، قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8))

(سورة الإنفطار: 6 إلى 8)

وأستخدم القرآن الكريم أسلوب المثل، وفي المثل تقريب للحقائق المجرد وتجسيد لها في صور حسية، قال تعالى:

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39))

(سورة النور: 39)

هذه لمحات سريعة عن أساليب القرآن في تربية الإنسان، لكن هذا الموضوع، لا تتسع له المجلدات، ولكن أخذ القليل خير من ترك الكثير.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - سؤال وجواب - الحلقة 2 : سؤال وجواب بمناسبة عيد المولد

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1996-01-23

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:

أستاذ راتب، نحن نحتفل اليوم بهذه الذكرى العظيمة ذكرى مولد النبوي الشريف، ولهذا الاحتفال، ولهذه المناسبة معانيها ودلالتها الخلقية، والإنسانية العميقة، والتي علينا جميعاً أن نتمثلها لنتوقف قليلاً أستاذ راتب عند هذه المعاني السامية لو تكرمت.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

لا يسلم الإنسان، ولا يسعد سواء في الدنيا أم في الآخرة، إلا إذا اتبع منهج ربه، وشرعة خالقه، ومنهج الله هو القرآن الكريم الذي أنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم دقائقه من خلال سنته القولية، وجسد أحكامه من خلال سنته العملية، وحينما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت:

كان خلقه القرآن.

والنبي صلى الله عليه وسلم ونحن نحتفل اليوم بذكرى مولده الشريف هو سيد الخلق، وحبيب الحق، وقد ذكى الله عقله فقال:

(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2))

(سورة النجم: 2)

وزكى لسانه فقال:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3))

(سورة النجم: 3)

وزكى شرعه فقال:

(إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4))

(سورة النجم: 4)

وزكى جليسه فقال:

(عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5))

(سورة النجم: 5)

وزكى فؤاده فقال:

(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأى (11))

(سورة النجم: 11)

وزكى بصره فقال:

(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طغى (17))

(سورة النجم: 17)

وزكاه كله فقال:

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4))

(سورة القلم : 4)

وقد بين الباري جل جلاله أن علامة حب الله إتباع النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ)

(سورة آل عمران: 31)

وهنا تجدر الإشارة إلى أن حقيقة الاحتفال بيوم مولده صلى الله عليه وسلم هو معرفة شمائله، وفضائله، ثم إتباعه من خلالها، فقد بين النبي عليه الصلاة والسلام أن أحسن الناس إسلاماً، أحسنهم خلقاً وأن أكملهم إيماناً أحسنهم خلقاً، وأن من أحب العباد إلى خلق الله أحسنهم خلقاً، وأن أقرب المؤمنين مجلساً منه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أحسنهم خلقاً.

فيوم كان صلى الله عليه وسلم طفلاً، عزف عن لهو الأطفال وعن ملاعبهم، وكان يقول لأترابه، إذا دعوه إلى اللهو، أنا لم أخلق لهذا، فهل عرفنا نحن الكبار لماذا خلقنا ؟ ولماذا جاء الله بنا إلى الدنيا وما حقيقة الدنيا ؟ وماذا بعد الموت ؟ ومن هو الفائز ؟ ومن هو الخاسر ؟

وحينما جاءت النبي صلى الله عليه وسلم رسالة الهدى وحمل أمانة التبليغ دعته زوجته السيدة خديجة إلى أخذ قسط من الراحة فقال صلى الله عليه وسلم قال لها: انقض عهد النوم يا خديجة.

فهل عرفنا نحن من خلال القرآن الذي أنزل عليه، ومن خلال بيانه له عظم الرسالة التي حملها الإنسان؟ وما حقيقة مهمته في الدنيا.

ويوم دانت الجزيرة العربية له من أقصاها إلى أقصاها، وجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجا، صعد عليه الصلاة والسلام المنبر، واستقبل الناس باكياً، وقال لهم: من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليقتد منه، ومن كنت أخذت له مالاً، فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء فإنها ليست من شأنه، ولا من طبيعته، فهل نستطيع نحن إذا بلغنا قمة النجاح، أن نحافظ على تواضعنا، ونزاهتنا وعدالتنا، وعبوديتنا لله عز وجل.

ويوم كان النبي صلى الله عليه وسلم، يصلي بأصحابه وهو في قمة الغبطة والنشوة أنهى صلاته على عجل، وعلى غير عادته لأنه سمع بكاء طفل صغير ينادي أمه ببكائه، إن أمه كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنهى صلاته على عجل، على غير عادته رحمةً بهذا الرضيع.

وكان صلى الله عليه وسلم، يرتجف إذا رأى دابة تحمل على ظهرها أكثر مما تطيق، فهل في قلوبنا رحمة بالخلق، كهذه الرحمة ؟

ورد في الحديث القدسي: أن إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي

ويوم كان مع أصحابه في سفرٍ، وأرادوا أن يعالجوا شاة ليأكلوها، قال أحدهم عليّ ذبح الشاة، وقال آخر.. عليّ سلخها، وقال الثالث.. وعليّ طبخها، فقال عليه الصلاة والسلام: وعليّ جمع الحطب، فقالوا: نكفيك ذلك يا رسول الله قال: أعلم ذلك لكن الله يكره أن يكون عبده متميزاً على أقرانه.

فهل نتعامل مع بعضنا بعضاً بهذه الطريقة ؟ وهذا الأسلوب ؟

مرةً ثانية أيها الأخوة الكرام:

إن حقيقة الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف هي أن نتعرف إلى هذا النبي الكريم، قال تعالى:

(لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ)

(ورة المؤمنين: 69)

أن نتعرف إلى مبادئه، إلى شمائله، إلى أخلاقه الرضية، ثم نقتدي بها ونعيشها، لا أن نردد حلو الكلام، ونأكل أطايب الطعام.

يا سيدي يا رســول الله:

يا من له الأخلاق ما تهوى العُلا منها وما يتعشق الكبـــــراء

فإذا سخوت بلغت بالجود المـدى وفعلت مالا تفعل الأنـــــواء

وإذا عفوت فقادراً ومقـــدراً لا يستهين بعفـــوك الجهـــلاء

وإذا رحمـــت فأنت أم أو أبٌ هذان في الدنيا هما الرحمـــــاء

وإذا غضبت فإنما هي غضبـــة في الحق لا ضغن ولابغضـــــاء

وإذا خطبت فللمنابر هــــزة تعرو الندي وللقلوب بكـــــاء

يأيها الأمي حســبك رتبـــة في العلم أن دانت لك العلمــاء

هذه أيها الأخوة:

حقيقة الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف، نرجوا من الله أن نكون كذلك.

والحمد لله رب العالمين

هنا تظل هذه المناسبة أستاذ محمد راتب، تظل هذه المناسبة في الواقع مصدر إلهام لنا جميعاً، وينبوعاً نكتشف منه كل المعاني الخلقية، الإنسانية، السامية، الصدق، والأمانة، والمحبة، وبكلمة مختصرة نتعلم من هذه المناسبة مكارم الأخلاق.

الأستاذ:

بارك الله بكم.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - سؤال وجواب - الحلقة 3 : سؤال وجواب1.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 25-01-1996

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأعزاء:

السؤال الأول في حلقة اليوم:

هل يتوجب على الإنسان دفع الزكاة على امتلاك الأرض الزراعية ؟

وما هي كمية أدائها في هذه الحالة ؟

ولماذا سميت الزكاة، زكاة ؟

يجيب عن هذا السؤال الأستاذ محمد راتب النابلسي.

قال تعالى:

(وَآَيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35))

(سورة يس: من 33 - إلى 35)

أجل إنما تخرجه الأرض من زرع وثمر، إنما هو من فضل الله تعالى، ومن عمل يده سبحانه، لا من عمل أيدينا القاصرة، هو جل جلاله الزارع المنبت حقيقة، لا نحن الزارعون، فلا عجبا أن يطالبنا سبحانه وتعالى بالشكر، على هذه النعمة السابغة، التي جاءتنا عفواً صفواً، وأكلنا منها هنيئاً مريئاً.

(لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35))

وأول مظاهر الشكر:

أداء الزكاة مما خرج من الأرض وفاءاً ببعض حقه سبحانه وتعالى، ومواساةً للمحتاجين من خلقه، وإسهاماً في نصرة دينه، هذه الزكاة عرفت في الفقه الإسلامي بأنها زكاة الزروع، والثمار، هذه الزكاة لا يشترط فيها حولان الحول، بل تجب بمجرد الحصول عليها.

أما الأرض إذا اشتريت وبيعت بقصد تحقيق الربح، أصبحت عروضاً تجاريةً، تجب الزكاة في ثمنها، لا في إنتاجها، وبنسبة أثنين ونصف في المائة وعندئذٍ يشترط حولان الحول.

أما إذا زرعت الأرض فالزكاة تجب في كل ما أخرجته من نبات، تجب الزكاة، وتدفع يوم الحصاد، من عين الإنتاج، أو من ثمنه، بحسب مصلحة الفقير، وبنسبة العشر للأراضي البعلية ونصف العشر للأراضي المروية، من دون أن تحسم المصاريف لأن الأرض المروية التي تستلزم المصاريف خفضت زكاتها إلى النصف.

قال تعالى:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)

(سورة التوبة: 103)

وقد سميت الزكاة صدقةً، لأنها موقف عملي مبني على البذل والعطاء، وهو يؤكد صدق إيمان المؤمن، وسميت زكاة لأنها تطهر نفس المزكي، وتطهر نفس المزكا، وتطهر المال نفسه، وتنمي وتطهر الغني من الشح، وتطهر الفقير من الحقد، وتطهر المال من تعلق حق الغير به، وتنمي نفس الغني، فيشعر بقيمته الاجتماعية من خلال عمله الطيب، وتنمي نفس الفقير، حينما يرى أن مجتمعه مهتم به، وبأحواله المعاشية، وتنمي المال من خلال ارتفاع القوة الشرائية لدى الفقير، وتنميه وتحفظه من خلال العانية الإلهية المباشرة.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: حصنوا أموالكم بالزكاة، وقال أيضاً: ما تلف مال في بر أو بحر إلا بحبس الزكاة.

سؤال ثاني:

في القرآن الكرم: يجيب عن هذا السؤال الأستاذ محمد راتب النابلسي.

في القرآن الكريم سور ؛ أي مجموعة آيات متكاملة، تشتمل على فاتحة وموضوع، أو موضوعات، وخاتمة، وهي كالسور تحيط بآياتها.

والآية هي علامة على صدق من أتى بها، وعجز المتحدى بها، والآية قرآن مركب من جمل ولو تقديراً، ذات مبدأ ومقطع مندرج ضمن السورة.

وقد أورد الزمخشري في البرهان، طرفاً من فوائد تفصيل القرآن الكريم، وتقطيعه سوراً وآياتٍ.

من هذه الفوائد: أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع و أصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون باباً واحداً.

ومن هذه الفوائد: أن القارئ إذا ختم سورة، أو جزءاً ثم انتقل إلى آخر كان أنشط له.

ومن هذه الفوائد: أن الحافظ إذا حفظ سورةً مستقلةً يعظم عنده ما حفظ.

وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: كان الرجل إذا قرأ البقرة، وآل عمران جل فينا.

والآن جاء دور الإجابة عن السؤال:

ترتيب الآيات في السورة، وترتيب السور في القرآن أجمع العلماء سلفاً وخلفاً على أن ترتيب الآيات في السور توقيفي ؛ أي اتبع فيه الصحابة أمر النبي صلى الله عليه وسلم والنبي تلقاه عن سيدنا جبريل علي السلام، وجبريل تلقاه عن ربه لا يشتبه في ذلك أحد، ولا يختلف في هذا اثنان.

يقول أبو جعفر ابن الزبير: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم، وواقع بأمره في غير خلاف في هذا بين المسلمين.

ويقول القاضي أبو بكر الباقلاني: ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا، بموضع كذا.

وأما ترتيب السور في القرآن:

فقد أجمع جماهير العلماء على أن ترتيب سور القرآن توقيفي من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ربه، وليس باجتهاد الصحابة كما يتوهم بعضهم.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - سؤال وجواب - الحلقة 4 : سؤال وجواب2.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 27-01-1996

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأعزاء:

السؤال الأول في حلقة اليوم: يطلب فيه فكرة موجزة عن منهج التربوي المعجز في القرآن الكريم: يجيب عن هذا الجواب الأستاذ محمد راتب النابلسي الأستاذ في كلية التربية في جامعة دمشق.

إذا تأملنا كتاب الله عز وجل في فكر الباحث التربوي، وقد رب هذا الكتاب الكريم أجيال من البشر، ذوي نفوس، وعقليات وطبائع متباينة ومختلفة، حتى صاغها جميعاً في نفس إنسانية واحدة وبنى الإنسان بناءاً فكرياً، ونفسياً، وخلقياً، واجتماعاً، وجمالياً.

فالمسلم الذي رباه القرآن يتمتع برؤية صحيحة، وإدراك دقيق ووعي عميق، له قلب كبير، وعزم متين، وإرادة صلبة، هدفه أكبر من حاجاته، ورسالته أسما من رغباته يملك نفسه ولا تملكه، ويقود هواه ولا ينقاد له، تحكمه القيم ويحتكم إليها، من دون أن يسخرها أو يسخر منها، هذا الكتاب الذي ربا الإنسان المسلم تربية أساسها السيطرة على الذات، وطبعت أجيال متعاقبة بطابع أخلاقي، لابد من أن يكون مرتكزاً في أصول دعوته، وطرائق تربيته على أسس رائعة مثلى.

فمن أساليب القرآن اعتماده على المناقشة والحوار، في إقناع المخاطب، وهذا الأسلوب ينمي شخصية المخاطب.

قال تعالى:

(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61))

(سورة النمل: 60 - 61)

واعتمد القرآن أيضاً أسلوب القصة في تربية المؤمنين، لكن منهج القرآن في القصة خاص به، فهو لا يسوق من القصة إلا ما يتعلق بالغرض الذي سيقت القصة من أجله، فهو يترفع عن التفاصيل التي لا تسهم في إيضاح الغرض، وتعد عبئاً على القصة، وكثيراً ما يعقب على أعقاب القصة تعقيباً يشبه القانون الثابت ليستفيد منه قارئ القرآن في كل زمان ومكان، فقد قص القرآن علينا قصة سيدنا يونس وهاهو ذا يونس النبي الكريم يناجي ربه وهو في بطن الحوت.

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ)

(سورة الأنبياء: 87 - 88)

انتهت القصة، التعقيب.

(وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88))

(سورة الأنبياء: 88)

هذه هي القاعدة التي أدخلها القرآن في ثنيات القصة ليجعل من القصة قانوناً وليبعدها عن أن تكون حدثاً وقع ولا يقع مرةً ثانية.

وبما أن الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، لذلك خاطب القرآن عقله من خلال المناقشة والحوار، وخاطب وجدانه من خلال الإثارة العاطفية.

قال تعالى:

(فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8))

(سورة الإنفطار: 6 - 7)

واستخدم القرآن الكريم أسلوب المثل، وفي المثل تقريب للحقائق المجردة وتجسيد لها في صور حسية.

قال تعالى:

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39))

(سورة النور: 39)

هذه لمحات سريعة عن أساليب القرآن في تربية الإنسان، لكن هذا الموضوع لا تتسع له المجلدات، ولكن أخذ القليل خير من ترك الكثير.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (01-18) : القوة في الإسلام
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 30-04-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع:
من أين نبدأ حلقتنا؟ كما في المقدمة عبادة الله عز وجل هي القوة، والحصن للمؤمن في حياته، ليسعد في دنياه وآخرته، تفضل سيدي.

المنهج الإسلامي منهج تفصيلي شمولي :

الدكتور راتب :
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .
أستاذ جمال جزاك الله خيراً .
بادئ ذي بدء: لو أن طالباً ذهب إلى باريس، ليلتحق بجامعة السوربون، وينال الدكتوراه، فهذه المدينة الكبيرة المترامية؛ فيها المتاحف، فيها الجامعات، فيها الأسواق، فيها الأبنية، فيها المعامل، سبب وجوده في هذه المدينة شيء واحد هو نيل الدكتوراه، نقول بلغة أخرى: علة وجوده نيل هذه الشهادة، فإذا سألنا أنفسنا: هذا الإنسان، جاء الله به إلى الدنيا، ما علة وجوده في الدنيا؟ ما سبب وجوده في الدنيا؟ ما أثمن شيء يفعله في الدنيا؟ ما الذي يندم عليه إذا غادر الدنيا؟ إنها عبادة الله، لقوله تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات الآية: 56]

أستاذ جمال، لكن عامة المسلمين يفهمون العبادة فهماً ضيقاً جداً، يتوهمون أنهم إذا صلوا، وصاموا، وحجوا، فقد أدوا العبادات، المنهج الإسلامي منهج تفصيلي، شمولي، يدور مع الإنسان في كل مكان، وفي أي زمان، وفي أي حال وشأن.

عبادة الله وحده هي علّة وجود الإنسان :

لذلك العبادة تدوم مع الإنسان في كسب ماله، في إنفاق ماله، في زواجه، في تربية أولاده، في علاقاته بمن حوله، بمن فوقه، بمن دونه، في أوقات لهوه، العبادة منهج تفصيلي، والله لا أبالغ لو قلت لك: العبادة خمسمئة ألف بند، تبدأ من فراش الزوجية، وتنتهي بالعلاقات الدولية، قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ)

[سورة البقرة الآية: 21]

أي هناك منهج تفصيلي، كيف أتاجر؟ كيف أربح؟ كيف أكسب المال؟ كيف أصنع؟ كيف أقدم منتجاً غذائياً من مصنعي؟ هناك تفاصيل في الشريعة مذهلة، فلذلك العبادة في أدق تعاريفها: طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.

في هذا التعريف؛ جانب معرفي، وجانب سلوكي، وجانب جمالي، المعرفي هو الأصل، والسلوكي هو الحاسم، والجمالي هو الثمرة، طبعاً مبادئ الإسلام من دون تطبيقات عملية قد لا تقنع، فلا بد من أن تجسد هذه المبادئ بقصص ووقائع.

قصة تجسد مبادئ الإسلام ووقائعه :

رجل من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ـ جليبيب ـ طبعاً القصة واقعية، لكنها نادرة، رجل فقير، معدوم، جائع البطن، حافي القدمين، مغمور النسب، لا جاه، ولا مال، ولا عشيرة، ليس له بيت يأوي إليه، ولا أثاث، ولا متاع، يشرب من الحياض العامة بكفيه مع الواردين، وينام في المسجد، وسادته ذراعه، فراشه الأرض، وكان في وجهه دمامة، لكنه صاحب ذكر لربه.

أعطيتك -أستاذ جمال- حالات نادرة جداً، أي صفر في كل شيء، لكنه كان ذاكراً لربه، كان يتلو كتابه، لا يغيب عن الصف الأول في كل الصلوات، ولا في كل الغزوات ـ مجاهد ـ ويكثر من الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم، قال له النبي عليه الصلاة والسلام ذات يوم: "يا جليبيب، ألا تتزوج؟ فقال: يا رسول الله! ومن يزوجني؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أنا أزوجك يا جليبيب".

أستاذ جمال قبل أن أتابع هذه القصة التي تكاد لا تصدق، لكن أردت منها أن أري أخوتي المستمعين الإسلام، كيف أن هذه الأقنعة المزيفة حطمها الإسلام، إنسان بهذا الفقر، بهذه الدمامة، قال له: من يزوجني؟ لا بيت، ولا مال، ولا عمل، قال له: أنا أزوجك، فالتفت جليبيب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: إذاً: تجدني كاسداً يا رسول الله! فقال عليه الصلاة والسلام: "غير أنك عند الله لست

بكاسد".

أريد هنا أن أؤكد، قد يكون شأن الإنسان في الدنيا ضعيفاً، قد يكون في الدرجة السفلى من السلم الاجتماعي، قد يكون كاتباً، قد يكون مراسلاً، قد يكون ساعي بريد في الدرجة الدنيا الاجتماعية، وهو عند الله كبير.

المذيع:

و هذا الأهم، لذلك ورد في الأحاديث:

((ابتغوا الرفعة عند الله))

[كنز العمال عن ابن عمر]

من أطاع الله وعبده حقّ العبادة رفع الله له شأنه :

الدكتور راتب :

فقال له النبي الكريم: لكن يا جليبيب، أنت عند الله لست بكاسد، ثم لم يزل النبي يتحين الفرص حتى يزوج جليبيباً".

((جاء في يوم من الأيام رجل من الأنصار، قد توفي زوج ابنته، فجاء إلى النبي الكريم يعرض الفتاة عليه ليتزوجها، فقال له النبي الكريم: نعم، ولكن لا أتزوجها أنا، فسأله الأب: لمن يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أزوجها جليبيباً، فقال ذلك الرجل: يا رسول الله، تزوجها لجليبيب! انتظر حتى أستأمر أمها ـ أي هو في الحقيقة صقع، فتاته جميلة، هذا الفقير الذي يعاني ما يعاني ـ ثم مضى إلى أمها، وقال لها: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إليك ابنتك، قالت: نعم لرسول الله، ومن يرد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لها: إنه ليس يريدها لنفسه، قالت: لمن؟ قال: يريدها لجليبيب، قالت: لجليبيب! لا لعمرو الله ـ أي مستحيل ـ لا أزوج جليبيباً، وقد منعناها فلاناً وفلاناً ـ من أصحاب الشأن والمال ـ فاغتم أبوها لذلك، ثم قام ليأت النبي صلى الله عليه وسلم ـ يا الله! ـ فصاحت الفتاة في خدرها ـ استمعت إلى الحديث ـ وقالت لأبويها: من خطبني إليكما؟ قال الأب: خطبك رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: أفتردان على النبي الكريم أمره!؟ ادفعاني إلى رسول الله، فإنه لن يضيعني، قال أبوها: نعم، ثم ذهب إلى النبي الكريم وقال: يا رسول الله! شأنك بها وافقت، فدعا النبي جليبيباً، ثم زوجه إياها، ورفع النبي صلى الله عليه وسلم كفيه الشريفتين إلى السماء وقال: ((اللهم صب عليهما الخير صبّاً، و لا تجعل عيشهما كدّاً)) ثم لم يمض على زواجهما أيام، حتى خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في غزوة، وخرج معه جليبيب، فلما انتهى القتال، اجتمع الناس، وبدؤوا يتفقدون بعضهم بعضا، فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نعم يا

رسول الله! نفقد فلاناً، وفلاناً ـ ونسوا جليبيباً في غمرة الحديث؛ لأنه ليس لامعاً، و لا مشهوراً ـ فقال صلى الله عليه وسلم : ولكنني أفقد جليبيباً، فقوموا نلتمس خبره، ثم قاموا وبحثوا عنه في ساحة القتال، وطلبوه مع القتلى، ثم مشوا، فوجدوه في مكان قريب، وقد استشهد، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم أمام جسده المقطع، ثم قال: أنت مني، وأنا منك، ثم تربع النبي صلى الله عليه وسلم جالساً بجانب هذا الجسد، ثم حمل هذا الجسد، ووضعه على ساعديه، وأمرهم أن يحفروا له قبرا، قال أنس: فمكثنا والله نحفر القبر، وجليبيب ماله فراش غير ساعدي النبي صلى الله عليه وسلم، قال أنس: فعدنا إلى المدينة، وما كادت تنتهي عدة زوجة جليبيب، حتى تسابق إليها كبار الصحابة ليخطبوها))

[أخرجه مسلم عن أبي برزة الأسلمي في الصحيح]

أردت من هذه القصة النادرة: أن الإنسان إذا أطاع الله، وعبده حق العبادة، يرفع الله له شأنه . إن الفقر والخمول ما كان في يوم من الأيام عائقاً في طريق التفوق والوصول، وأنا أخاطب الأخوة المستمعين: إنسان قد يكون فقيراً، وقد يكون غير معروف في التعتيم، لكنه عند الله ليس بكاسد، لذلك البطولة أن نبتغي الرفعة عند الله، إن قيمتك أيها الإنسان في معانيك الجليلة، وصفاتك النبيلة، لا في درهمك ودينارك، ولا في بيتك ومتاعك، فالعبادة قوة.

الدعاء سلاح المؤمن :

لذلك أنت بالدعاء أقوى إنسان، والدعاء سلاح المؤمن، بل إن الله سبحانه وتعالى يقول:

(قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ)

[سورة الفرقان الآية : 77]

أنت بالدعاء معك أقوى الأقوياء، معك خالق الأرض والسماء، أنت بالدعاء أقوى من أعدائك كلهم، فلذلك لو أن الإنسان أحسن استخدام هذه العبادة ـ لأن الدعاء عبادة ـ لكان أقوى من كل الأقوياء.

المذيع:

كيف يمكن أن نصل إلى حقيقة العبادة التي تتفضل وتتحدث عنها؟

حقيقة العبادة :

الدكتور راتب :

أولاً: هي طاعة لله، فالذي يعصي الله، ليس في عبادته إطلاقاً، فالعبادة طاعة طوعية، وليست قسرية، تنطلق من محبة لله، ممزوجة بمحبة قلبية، فما عبد الله من أحبه ولم يطعه، كما أنه ما عبد الله من

أطاعه ولم يحبه، هي طاعة ليست قسرية؛ لأن الأقوياء يطاعون قسراً، طاعة طوعية، الله عز وجل ما أراد أن نعبده خوفاً، ما أراد أن نعبده خضوعاً، أراد أن نعبده عن حب، ، بل إن الله سبحانه وتعالى أراد أن تكون علاقته بعباده علاقة حب، أن يأتوه طائعين، أن يأتوه محبين، أن يأتوه بمبادرة منهم، قال تعالى:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

[سورة البقرة الآية : 256]

أراد أن تكون المحبة أساس العلاقة بينه وبين عباده، قال: يحبهم ويحبونه، بل قال:

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

[سورة البقرة الآية:165]

الإنسان لأنه جانب عقلي، وجانب قلبي، و جانب مادي، فالعقلي يحتاج إلى علم، أما القلبي فيحتاج إلى حب، فالحب جزء من الدين، لذلك العبادة طاعة طوعية، لكنها ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، العبادة كامل الخضوع لله، وكامل الحب له، أو غاية الخضوع، و غاية الحب.

المذيع:

إذاً دكتور هل العبادة تعني فقط الصلاة والزكاة والحج؟

للعبادة منهج تفصيلي يشمل كل نواحي الحياة :

الدكتور راتب :

هذا الوهم الخطير الذي توهمه معظم المسلمين، العبادة منهج تفصيلي، قد يقترب من خمسمئة ألف بند، في كل نواحي الحياة، في كل أطوار الحياة، في كل شؤون الحياة، في كل الأوقات، في الأمكنة، كيف تأكل؟ كيف تنام؟ كيف تتزوج؟ كيف تنجب؟ كيف تربي أولادك؟ كيف تكسب مالك؟ كيف تنفق مالك؟ علاقتك بأقربائك، بجيرانك، بأصحابك، كيف تخدم أمتك؟ كيف تسهم في المجهود العام؟ كيف تسهم في رفع راية هذه الأمة الإسلامية؟ كله من العبادة، ومن العبادات: أن تصوم، وأن تحج، وأن تزكي، أما حينما يقتصر الدين على العبادات الشعائرية نكون قد جهلنا حقيقة الدين، فالعبادة تحتاج إلى طاعة، الطاعة تمهد لك أن تصلي صلاة يقبلها الله عز وجل، أما العاصي فمعصيته حجاب بينه وبين ربه.

المذيع:

تلاوة القرآن ماذا تحقق؟

القرآن الكريم نوع من العبادة و هو كلام الله عز وجل :

الدكتور راتب :

نوع من العبادة:

(فاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ)

[سورة المزمل الآية:20]

هو كلام الله، إذا كان الكون قراناً صامتاً، فالقرآن كون ناطق، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي، فالقرآن كلام الله، ويمكن أن تعرف الله من خلال خلقه الكون ـ آياته الكونية ـ ومن خلال أفعاله ـ آياته التكوينية ـ ومن خلال كلامه ـ آياته القرآنية ـ.

الآيات الثلاثة: الكونية، والتكوينية، والقرآنية، طرق سالكة إلى الله عز وجل.

المذيع:

إذاً كيف يمكن للبائع، أو التاجر، والذي يتعامل مع الناس بشكل آني، ولحظي، ويومي، كيف يمكن أن يعبد الله عز وجل؟

الدين أن ينفع الإنسان من حوله ويسهم فيما أوجب عليه :

الدكتور راتب :

صدق أستاذ جمال ولا أبالغ، أن الدين ليس في المسجد، الدين في الدكان، في المكتب التجاري، في مكتب المحامي، في عيادة الطبيب، في قاعة الدرس، الدين أن تتقن عملك، الدين أن تنفع من حولك، الدين أن تسهم فيما أوجب عليك، الدين أن تكون عنصراً، خيراً، معطاءً، الدين أن تعطي لا أن تكتفي بالأخذ، بل إنه يقع على رأس قمم البشرية جمرتان: الأقوياء والأنبياء.

الأقوياء أخذوا ولم يعطوا، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، الأقوياء ملكوا الرقاب، الأنبياء ملكوا القلوب، الأقوياء عاش الناس لهم، الأنبياء عاشوا للناس، الأقوياء لا يقبلون النصيحة، الأنبياء يقبلونها، الأقوياء يمدحون في حضرتهم، أما الأنبياء فيمدحون في غيبتهم، لذلك أحب الناس الأنبياء، وخافوا من الأقوياء، و بطولة الأقوياء أن يتخلقوا بأخلاق الأنبياء.

المذيع:

دكتور: أليس من مظاهر القوة التي نتحدث عنها قوة العبادة؟ وتتفضل بحديث شيق ورائع فيه حيثيات الأمور، أين نحن في أداء زكاة المال وقوة العبادة؟ ما هو الرابط بينهما؟

الرابط بين أداء زكاة المال وقوة العبادة :

الدكتور راتب :

الحقيقة، نحن في الإسلام عندنا تكافل اجتماعي، هذا التكافل على أساسين: على أساس جغرافي (حقوق الجار)، وعلى أساس نسبي (حقوق النسب) .

على أساس جغرافي (حقوق الجار) أربعون بيتاً شرقاً من الجيران، وأربعون غرباً من الجيران، وجنوباً، وشمالاً، وقد نضيف إليها فوق، وتحت، هؤلاء كلهم جيران وهناك أحاديث لا تعد ولا تحصى تتحدث عن حقوق الجار، فكأن التكافل الاجتماعي في منهج الله عز وجل، كان على أساسين: على أساس الجغرافيا، وعلى أساس النسب.

أما زكاة المال، هذه الزكاة تؤخذ من أغنياء الأمة، وترد إلى فقرائها، وكأن هذه النسبة من وضع حكيم عليم.

المذيع:

لو أن الزكاة دفعت من كل أغنياء المسلمين، لكانت هذه الزكاة كافية كي تحل مشكلات الأمة، لكنه مع الأسف الذين يدفعون الزكاة قلة، وليسوا كثرة، بل لو كانوا يدفعون الزكاة جميعاً لكنا في وضع آخر.

الدكتور راتب:

نحن نتوهم أن الزكاة تعطى لفرد، الزكاة يمكن أن تقام بها مشاريع، توفر يداً عاملة، توفر فرص عمل، توفر طاقات كبيرة، الزكاة يمكن أن تحل بها مشكلات الأمة من دون استثناء، قال تعالى:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً)

[سورة التوبة الآية : 103]

تؤكد صدقهم، تؤكد حبهم لله، تؤكد طاعتهم له :

(خذ من أموالهم صدقة)

[سورة التوبة الآية : 103]

الزكاة تحصن مال الإنسان و تنميه :

سميت صدقة لأنها تؤكد صدقهم في طاعة الله، تزكيهم :

(صَدَقَة تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ)

[سورة التوبة الآية : 103]

تطهر المال من تعلق حق الغير به، تطهر الغني من الشح، تطهر الفقير من الحقد، تطهر الغني من الشح ـ والشح مرض خطيرـ، تطهر الفقير من الحقد ـ والحقد مرض خطيرـ، تطهر المال من تعلق الغير به، قال تعالى:

(وتزكيهم)

[سورة التوبة الآية : 103]

المال ينمو بأداء الزكاة، ينمو نمواً عجيباً، ينمو وفق قوانين الأرض، لأن الغني إذا دفع زكاة ماله، جعل في يد الفقراء قوة شرائية، هناك القوة تعود عليه بالخير، هذا بحسب القوانين، وبحسب قوانين العناية الإلهية، ورد في الحديث:

((ما نقص مال من صدقة))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

والإنسان يحصن ماله بالزكاة، قال النبي الكريم:

((ما تلف مال في بر أو بحر إلا بحبس الزكاة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن أبي هريرة]

(وتزكيهم)

[سورة التوبة الآية : 103]

تزكي نفس الغني، تزكي نفس الفقير، تزكي المال.

المذيع:

إذاً: من خلال كلام فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي يتضح تماماً أن قوة عبادة المؤمن تتجلى وخاصة الغني في أداء زكاة ماله، الدعاء لله عز وجل، حيث هو القوة الكامنة العظيمة عند المؤمن للوصول إلى السعادتين الدنيوية، والأخروية.

((الدعاء مخ العبادة))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

كما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقوة التي نتحدث عنها اليوم في حلقتنا لها علاقة بالدعاء كما تفضلت.

القوة الحقيقية هي قوة المال وقوة العلم وقوة المنصب :

الدكتور راتب :

أي بشكل أو بآخر طفل صغير، لكن أباه غني كبير، نقول: هذا الطفل الصغير غني بغنى أبيه.

المذيع:

وكذلك المؤمن غني بالله، فالله عز وجل هو الغني، هو القوي، هو المعطي، هو المانع، هو الرافع، هو الخافض، هو المعز، هو المذل، فالمؤمن إذا توجه إلى الله كان غنياً، فكان الدعاء قوة بكل معاني القوة.

الدكتور راتب :

القوة الحقيقية هي قوة المال، وقوة العلم، وقوة المنصب، قوة المنصب بتوقيع تحق حقاً وتبطل باطلاً، تقر معروفاً وتزيل منكراً، بتوقيع واحد، والعلم :

(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

[سورة الزمر الآية:9]

والمال قوة تحل به المشكلات، فلذلك: الدعاء قوة.

قصة قرآنية ذات دلالة كبيرة :

لكن أضع بين أيدي أخوتي المستمعين قصة قرآنية لكنها ذات دلالة كبيرة جداً.

أنا أقول: هل من وضع أضعف من أن يجد الإنسان نفسه في فم حوت أزرق!؟ الحوت الأزرق الذي يزن مئة وخمسين طناً، ويستخرج منه خمسين طناً لحماً، وخمسين طناً دهناً، وخمسين طناً عظماً، ويستخرج منه تسعون برميلاً من الزيت، وجبته المعتدلة بين الوجبتين أربعة طن، فالإنسان كله لقمة واحدة، الحوت رضعة صغيره ثلاثمئة كيلو، ثلاث رضعات في اليوم طن حليب، فإنسان يجد نفسه ببطن حوت في ظلمات ثلاثة: في ظلمة الليل، وفي ظلمة البحر، وفي ظلمة بطن الحوت .

سيدنا يونس، نبي كريم، وجد نفسه فجأة في بطن الحوت، قال تعالى:

(فنادى في الظلمات)

[سورة الأنبياء الآية : 87]

فسر العلماء الظلمات: بأنها ظلمة الليل أولاً، والإنسان إذا غاص في أعماق البحر، بعد مئتي متر ظلام دامس ولو كان في النهار، ينتهي ضوء الشمس بعد مئتي متر، هناك ظلمة الليل، و ظلمة البحر، و ظلمة بطن الحوت، قال تعالى:

(فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك)

[سورة الأنبياء الآية : 87]

سيدنا يونس في بطن الحوت، وفي ظلمة الليل، وفي ظلمة بطن الحوت، وفي ظلمة البحر، قال تعالى:

(فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك)

[سورة الأنبياء الآية : 87]

(فاستجبنا له ونجيناه من الغم)

[سورة الأنبياء الآية : 88]

المؤمن بالدعاء أقوى من كل إنسان :

أستاذ جمال، الشيء الرائع بالآية أن هناك تعقيباً جاء بعد الآية: أي أيها الإنسان، يا من تعاني فقراً! يا من تعاني مرضاً! هل من مصيبة أكبر من أن تجد نفسك في بطن حوت؟ ومع ذلك نادى في الظلمات:

(أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)

[سورة الأنبياء الآية : 87]

(فاستجبنا له ونجيناه من الغم)

[سورة الأنبياء الآية:88]

والآن استمع إلى التعقيب:

(وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)

[سورة الأنبياء الآية: 88]

في كل زمان، وفي كل مكان، وفي كل عصر، وفي كل مصر، وفي كل ظرف، وفي كل موقف، قال تعالى:

(وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)

[سورة الأنبياء الآية: 88]

فأنت أيها المؤمن بالدعاء أقوى من كل إنسان، تقوى على المرض، تقوى على الفقر، تقوى على القهر، تقوى على كل مشكلات الحياة، الدعاء سلاح المؤمن، بل إن الله عز وجل يقول:

(قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً)

[سورة الفرقان الآية:77]

المعنى المخالف لهذه الآية: أن الله يعبأ بنا إذا عرفنا قيمة الدعاء، أي يكفي الإنسان أن يدعو الله صادقاً.

الاستقامة أساس استجابة الدعاء :

((إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ربكم إلي السماء الدنيا فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له؟ حتى يطلع الفجر))

[أخرجه أحمد عن أبي هريرة]

والله أستاذ جمال ما شكا أحد إليّ مشكلة عويصة، وكبيرة، إلا نصحته أن يستيقظ قبل الفجر، وأن يطبق هذا التوجيه النبوي عن رب العزة:

((إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ربكم إلي السماء الدنيا فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له؟ حتى يطلع الفجر))

إذاً: فالإنسان حينما يعرف الله، يعرف قوته، يعرف غناه، يعرف رحمته، يعرف حكمته، يعرف علمه، يستعين به، ويرجوه، لكن سبحان الله! قد يسأل سائل: لماذا ينصرف المسلمون عن الدعاء؟

الحقيقة تقصيرهم مع الله، ووقوعهم في بعض المخالفات، يجعلهم في خجل من الله عز وجل، فالإنسان المستقيم يدعو، ويدعو، وهو واثق، ثقة الإنسان بربه، واستقامته على أمره، تجعله يدعو ربه، لكن التقصير في أداء العبادات، واقتراف بعض المعاصي، والآثام، هذه المعاصي والآثام تكون حاجباً بينه وبين ربه.

لذلك أدعو أخوتي الكرام إلى الاستقامة قبل الدعاء، مع الاستقامة يستجاب الدعاء.

ليس بين المؤمن و ربه وسيط أو حجاب :

لذلك :

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب)

[سورة البقرة الآية : 186]

بالمناسبة: مثل هذه الآية، وردت في عشر مرات، في عشرة أماكن :

(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم)

[سورة البقرة الآية : 219]

(ماذا ينفقون قل العفو)

[سورة البقرة الآية :219]

(يسألونك عن المحيض قل هو أذى)

[سورة البقرة الآية : 222]

هناك عشر آيات بهذه الصياغة يوجد كلمة(قل) تتوسط بين السؤال والجواب، إلا في هذه الآية، لا يوجد قل، استنبط العلماء أنه: ليس بين العباد وبين ربهم أية عقبة، وأي حاجز بينهم وبينه" .

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)

[سورة البقرة الآية : 186]

أي إذا دعاني من أعماق قلبه، إذا دعاني مخلصاً، إذا دعاني واثقاً، قال تعالى:

(فليستجيبوا لي)

[سورة البقرة الآية : 186]

ليستقيموا، قال تعالى:

(وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)

[سورة البقرة الآية : 186]

المذيع:

بكلمات موجزة سيدي هذا العبد الذي يتوجه إلى ربه عز وجل بدقيقتين هل لنا أن نختتم حديثنا؟ أما على هذا الإنسان قبل أن يدعو ربه أن يؤدي حقوق الآخرين حتى تستجاب هذه الدعوة؟

أداء حقوق الآخرين طريق الإنسان إلى ربه عز وجل :

الدكتور راتب :

أنا أقول: إن لم يؤد حقوق الآخرين يخجل أن يدعو ربه، بل يحجم عن دعوة الله عز وجل، أنت حينما تؤدي ما عليك، أو حينما تستقيم على أمر الله، حينما تؤدي الحقوق، الطريق بينك وبين الله سالك، هناك خط مفتوح بينك وبينه، تماماً كالهاتف، أحياناً إن كان عندك هاتف باهظ الثمن ولا تملك خطاً فلا قيمة لهذا الهاتف إطلاقاً، وقد تملك هاتفاً قديماً لكن له خط.

فأنت حينما تستقيم على أمر الله، يكون هناك خط بينك وبين الله، الخط مفتوح، لذلك الله عز وجل يحب أن ندعوه، بل يريدنا أن ندعوه دائماً، بل إن الله عز وجل ما أمرنا أن ندعوه إلا ليستجيب، هذه حقيقة دقيقة جداً، فالدعاء مخ العبادة، وفي بعض الروايات: الدعاء هو العبادة.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (02-18) : نعمة الأمن والأمان
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-05-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال :
نعمة الأمن والأمان التي نعيشها في بلدنا، وكثير من الناس في العالم يعيشون هذه النعمة، كيف نتحدث عن نعمة هي كنعمة الغذاء والدواء والشراب والصحة والعافية؟

الأمن و السلامة :

الدكتور راتب:
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

أستاذ جمال جزاكم الله خيراً، بادئ ذي بدء الله عز وجل يقول:

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)

[سورة آل عمران الآيات : 81-82]

هذه النعمة لا تعدلها نعمة، هناك فرق بين السلامة وبين الأمن، إنسان عاش سنة من عمره لم يصب بشيء نقول: عاش سنة سلامة لكن ما عاش سنة أمن، الأمن غير السلامة، السلامة عدم حدوث شيء مزعج، أما الأمن فعدم توقع شيء مزعج، فرق كبير بين أن تعيش بقلق ولم يحدث شيء يزعجك، وبين أن تكون في مأمن من توقعات مزعجة، لذلك الله عز وجل طمأن المؤمنين:

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا)

[سورة التوبة الآية : 51]

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا)

(لَنْ)

لتأبيد النفي،

(إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا)

لنا ولم يقل علينا، فرق أيضاً كبير بين كتب لنا، لمصلحتنا، لخيرنا، وبين كتب علينا، إذاً هذه نعمة لا تعدلها نعمة والدليل جعلها الله في رأس نعمه الكبرى:

(أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)

[سورة قريش الآية :4]

أعظم نعمة على الإطلاق أن يتمتع الإنسان بالأمن :

كما تفضلتم قبل قليل هناك أناس كثيرون تغيب عنهم هذه النعمة، هي أعظم نعمة على الإطلاق أن تتمتع بنعمة الأمن، أي ألا تتوقع شركاً، لذلك قال علماء النفس: توقع المصيبة مصيبة أكبر منها، وأنت من خوف الفقر في فقر، وأنت من خوف المرض في مرض، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها، فلذلك هناك أمراض تصيب القلب بسبب الخوف من أمراض القلب، القلق الشديد على قلب الإنسان قد يورثه مرضاً في القلب، فلذلك نعمة الأمن بنص القرآن الكريم يتمتع بها المؤمن، فإذا كنا في بلدة طيبة نعرف حقوق بعضنا بعضاً، نعرف نعم ربنا الكبرى، فالله عز وجل يسبغ علينا هذه النعمة، وهذه النعمة لا يعرفها إلا من فقدها، أنا قابلت إنساناً من بلد مجاور محتل من قبل العالم الغربي، أقسم لي بالله أنه يُوَدّع أهله وأولاده كل يوم، لأن احتمال موته خمسون بالمئة، فأحدنا يرسل ابنه الساعة الثانية ليلاً ليأتي له بحاجة من البقالية، وهو آمن عليه، فهذه النعمة أقول لك مرة ثانية، وثالثة، ورابعة، لا تعدلها نعمة، لذلك هذا الحديث الشريف:

((مَنْ أصبَحَ منكم آمِنا في سِرْبِه))

[أخرجه الترمذي عن عبيد الله بن محصن]

الأمن الذي لا يعدله نعمة على الإطلاق أمن الإيمان لا الأمن المادي :

لكن أنا لي تعليق دقيق هنا لا أقصد الأمن المادي، أمن الإيمان، أنت حينما ترضي الواحد الديان، أنت حينما ترضي الله، الذي بيده كل شيء، الذي هو في السماء إله وفي الأرض إله، أنت حينما ترضي الإله الذي بيده مقادير كل شيء، الذي بيده من هو فوقك، ومن تحتك، ومن حولك، ومن دونك، بيده رزقك وصحتك، بيده الشريان التاجي، بيده عمل الكليتين، بيده كل عضو من أعضائك، أنت حينما ترضي الإله جلّ جلاله، يتفضل عليك بنعمة لا تعدلها نعمة على الإطلاق:

(أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)

[سورة قريش الآية :4]

يقابل هذه آية:

(وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ)

[سورة النحل الآية : 112]

دقق:

(أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)

(فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ)

لذلك ما من مصيبة على الإطلاق تصيب الإنسان إلا بسبب منه، وهنا أقول هذه الكلمة: لا يخافن العبد إلا ذنبه، ولا يرجون إلا ربه، فإن هاتين الكلمتين جمعتا الدين كله.

الأستاذ جمال:

الدكتور محمد راتب النابلسي أستشف من مقدمتك الرائعة حول نعمة الأمن والأمان التي نعيشها في أوطاننا، وأقول: هناك قضية هامة جداً تحقق الأمن للجميع ألا وهي الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

الأمن أن يصطلح الإنسان مع الله عز وجل :

الدكتور راتب:

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ*الَّذِينَ آمَنُوا)

لماذا؟ أنت حينما تؤمن بإله واحد أحد، فرد صمد، بيده مقاليد كل شيء تتوهمه، أي الإنسان حريص على صحته، صحتك بيد الله عز وجل، حريص على علاقته بزوجته، العلاقة الزوجية بيد الله، حريص على أن يكون أبناؤك أبراراً، كي يكون الولد باراً أمره بيد الله عز وجل، حريص على رزقك، فكل طموحات الإنسان عند الله موجودة.

لذلك: "إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم ، ويتبغضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إليّ، من أقبل عليّ منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي ـ الله رؤوف رحيم ـ لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها" .

أستاذ جمال لماذا المؤمن ينعم بالأمن؟ لأن كل علاقاته مع جهة واحدة، إله بيده كل شيء يرضيه، إذا أرضيته أرضى عنك الناس.

((من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى الناس عنه، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط الناس عليه))

[أخرجه الترمذي والإمام أحمد عن عائشة أم المؤمنين]

هناك قواعد أساسية في الدين، فالإنسان حينما تستقيم وجهته إلى الله عز وجل، وحينما يصطلح معه، ورد في بعض الآثار:" إذا رجع العبد العاصي إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله"، قمة الأمن أن تصطلح مع الله.

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لـغيرنا

و لـو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا

ولــو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا

* * *

الأستاذ جمال شيخ بكري :

إذا أرضى الله عز وجل هذا الإنسان عاش في أمان في نفسه أولاً، ثم انعكس هذا الأمن والأمان على من حوله؛ الجيران، الزوجة، الأهل، الوطن، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "حب الوطن من الإيمان".

الأمن والأمان الذي يعيشه المؤمن في نفسه ينعكس على أهله ومجتمعه :

الدكتور راتب:

الإنسان المؤمن ينتمي إلى المجموع، أنا أريد أن أوضح ما معنى أن تنتمي إلى ذاتك؟ أذكر هذا المثل أعيده كثيراً، إنسان اضطجع تحت شجرة تفاح قد قطفت، إلا أن الذي قطفها نسي تفاحة كبيرة ذات لون أصفر مثير، وخد أحمر كما يقول عوام الناس، فاشتهى هذه التفاحة، معه منشار شجر، قطع الشجرة ليأكل هذه التفاحة، هذه مشكلة الانتماء الفردي، المؤمن ينتمي للمجموع، انتماؤه للمجموع يرفع قدره عند الله وعند الناس، الإنسان دائماً عنده حاجات شخصية، وحاجات عامة، إذا خرج من ذاته، من شخصه، من مصالحه، من شهواته، من أهوائه، إلى خدمة المجموع، ارتقى عند الله، لأن الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، فلمجرد أن تفكر في الآخر، في أن يكون الآخر سعيداً، لماذا نقول نحن: اللهم صلِّ على أسعدنا محمد؟ لأنه إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين، أستاذ جمال قبل ثلاثين سنة فيما أذكر كنت أقتني مجلة "ريدل دايجز" هذه مجلة تلخص أجمل ما في مقالات المجلات

في العالم، اسمها المختار من "ريدل دايجز"، هناك مقالة انتهت برأس الصفحة، هناك صفحة فارغة فكتبوا حكمة في هذه الصفحة الفارغة، هذه الحكمة لا أنساها حتى الموت، إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين تكن أسعدهم.

لذلك هؤلاء الذين يقدمون الخير للبشرية هم أسعد البشر، عاشوا للآخرين، هذا ينقلنا إلى أن الهرم البشري الضخم ستة آلاف مليون، على رأسهم زمرتان، الأقوياء والأنبياء، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا.

من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله الهموم كلها، فالمؤمن لأنه يعمل لوجه واحد، المؤمن يشعر بالأمن لأنه يتعامل مع جهة واحدة هي الله، المؤمن يشعر بالأمن والطمأنينة لأن الذي بيده كل شيء إلى جانبه، إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟ ويا رب ماذا وجد من فقدك؟ وماذا فقد من وجدك؟

الأستاذ جمال:

إذاً الأمن والأمان الذي يعيشه المؤمن أولاً في نفسه ثم ينعكس هذا من خلال إيمان هذا الإنسان على أهله، على أسرته، على مجتمعه، هذا هو الأمان الذي نشعر به في أوطاننا، نسأل الله عز وجل أن يهبنا الأمن والأمان، دكتور عندما نتحدث عن الأمن والأمان تحدثت عن موضوع الإيمان الذي ما إن تغلغل في القلب حتى تحول رحمة من هذا الإنسان تجاه كل إنسان، هذه الرحمة حبذا لو نسلط الضوء عليها، لأنها إن تحققت في قلب مؤمن عمّ الأمن وعمّ الأمان.

الاتصال بالله يملأ القلب رحمة وهي أعظم عطاء إلهي :

الدكتور راتب:

هذه الرحمة أستاذ جمال أعظم عطاء إلهي، لك أن تسميها السكينة، هذه الرحمة تسعد بها ولو فقدت كل شيء، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء، هذه الرحمة عطاء الله الأكبر، هل تكون الرحمة صحة؟ هي صحة، زواج ناجح، أولاد أبرار، رزق وفير، سمعة طيبة، مكانة اجتماعية، هدى، وضوح، بيان، دعوة، فالرحمة تكاد تكون عطاء الله الأكبر:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

[سورة آل عمران الآية : 159]

لأن الله عز وجل أودع في قلب نبيه الرحمة فكان ليناً لهم، وهذه الآية أستاذ جمال تنقلنا إلى قانون رائع جداً كمعادلة رياضية، حينما يتصل الإنسان بالله يشتق منه الرحمة، هذه الرحمة تنعكس في تعامله مع الآخرين ليناً ولطفاً، يلتفون عنه، صار هناك اتصال، رحمة، لين، التفاف، ولو كان المرء منقطعاً

عن الله لامتلأ القلب قسوة، ولانعكست القسوة غلظة، فانفض الناس من حولك، وكأن الآية معادلة رياضية، اتصال رحمة لين التفاف، انقطاع قسوة غلظة انفضاض، فهذه الآية يحتاجها الأب والأم وكل إنسان وكل إنسان أوكله الله بمجموعة من البشر، فباتصالك بالله يمتلئ القلب رحمة، وهي أعظم عطاء إلهي :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

[سورة آل عمران الآية : 159]

فالتفوا من حولك:

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

[سورة آل عمران الآية : 159]

يحتاجها الأب، والمعلم، وأي منصب قيادي على الإطلاق، هذه الرحمة أكبر عطاء إلهي، أن يشعر القلب بحب الآخر، أن يشعر بعطفه عليه، والإنسان بقدر إحسانه يرقى عند الله وعند الناس.

العبادة علة التطمين و التمكين و الاستخلاف :

أنا الذي أتمنى أن يكون واضحاً هو أن الله عز وجل:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)

[سورة النور الآية : 55]

والاستخلاف شيء كبير جداً:

(كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى)

[سورة النور الآية : 55]

وكأنه قانون:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا)

الإيمان الذي يحملهم على طاعته،

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)

البند الثاني:

(وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ)

والبند الثالث:

(وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً)

نعمة الاستخلاف، العرب في جاهليتهم كانوا رعاة للغنم، فلما عرفوا الله، واصطلحوا معه، وآمنوا به، وأطاعوه، أصبحوا قادة للأمم، والبون كبير جداً بين أن تكون الأمة رعاة للغنم وبين أن تكون قادة للأمم:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ)

هناك ملمح دقيق في الآية، أي دين وعد الله بتمكينه؟ الدين الذي يرتضيه، فإن لم نُمكّن معنى ذلك أن فهمنا للدين لم يرضِ الله عز وجل:

(وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً)

هنا الشاهد، وقد تكون الحقيقة المُرّة أفضل ألف مَرّة من الوهم المريح، فإذا كان المسلمون اليوم ليسوا مستخلفين، وليسوا ممكنين، وليسوا آمنين، فهناك علة فينا، لأن الآية تقول:

(يَعْبُدُونَنِي)

[سورة النور الآية : 55]

فعلة هذا التمكين، وهذا التطمين، وذلك الاستخلاف، العبادة، فإذا أخلّ الطرف الآخر بما عليه فالفريق الأول وهو الله عز وجل في حلٍّ من وعوده الثلاث، فلذلك القضية دقيقة جداً إذا كنا مع الله كان الله معنا، وإذا كنا مع الله كنا أقوى أمة، وهذا الدين عظمته أنه دين جماعي، ودين فردي، لو طبقه الفرد المسلم وحده قطف كل ثماره، ولو طبقته الأمة قطفت الأمة ثمارها، وثمار هذا الدين أن تنتصر على أعدائها.

القلب السليم :

النقطة الدقيقة أن الله عز وجل قال:

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

[سورة الشعراء الآيات :88-89]

ومن أجمل ما قرأت عن تفسير القلب السليم، أنه القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، والقلب السليم هو القلب الذي لا يصدق خبراً يتناقض مع وحي الله، والقلب السليم هو القلب الذي لا يعبد غير الله، والقلب السليم هو القلب الذي لا يحتكم إلا لله، هذه مقتطفات من الرحمة التي وعد الله بها المؤمنين.

الأستاذ جمال:

دكتور محمد راتب النابلسي، لطالما نتعرف عن تحقيق نعمة الأمن والأمان في أوطاننا، كيف نتحدث عن العلاقة ما بين الناس فيما بينهم في أداء الحقوق، ألا يؤدي أداء الحقوق إلى أن يؤدي كل إنسان ما عليه للآخرين في تحقيق الأمن والأمان في أي مجتمع؟

الفلاح والنجاح :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال الإنسان يعيش بشيئين إما بإيمانه أو بذكائه، فالذكي أحياناً يؤدي ما عليه، فيسعد بمن حوله، لكن هذا الذكاء يوصله إلى القبر فقط، وبعد القبر هناك حساب آخر، فالإنسان يعيشه بذكائه أو بإيمانه، بالذكاء تستطيع أن تجلب الناس حولك، وأن تعيش معهم حياة هادئة ناعمة، ولكن هذا ينتهي عند الموت، لكن الإيمان يسعدك في الدنيا والآخرة، قد ينفعك الذكاء في الدنيا بينما الإيمان يسعدك في الدنيا والآخرة، لذلك فرق العلماء بين كلمة نجاح وكلمة فلاح، فالنجاح في الدنيا قد ينجح الإنسان في جمع ثروة طائلة، لكن إذا جاء الموت ولم يكن قد عرف ربه، ولم يكن قد طبق منهجه، ولم يكن قد أعدّ للآخرة عملاً صالحاً يشقى، لكن بالإيمان يسعد في الدنيا والآخر، لذلك الله عز وجل يقول :

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)

[سورة آل عمران الآيات : 81-82]

دقق في هذا الاستثناء، آمن لكن لم يلبس إيمانه بظلم، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة، لأن الخلق كلهم عيال الله.

الفلاح والنجاح سبيلا الإنسان للوصول إلى سعادة الدنيا قبل سعادة الآخرة :

أستاذ جمال ما من صحابي كان النبي عليه الصلاة والسلام يرحب به كسيدنا سعد بن أبي وقاص، كان إذا دخل على النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((هذا خالي، فَلْيُرِنِي امرُؤٌ خالَه))

[الحاكم في المستدرك عن جابر]

وكان في الحرب يفديه بأمه وأبيه، وما فدى النبي عليه الصلاة والسلام في حياته صحابياً بأمه وأبيه إلا سعد بن أبي وقاص، قال :

((يا سعد ارم فداك أبي وأمي))

[ابن ماجه وأحمد عن علي]

لكن لعملاق الإسلام سيدنا عمر رضي الله عنه كلمة رائعة لهذا الصحابي الجليل قال له : "يا سعد، لا يغرَّنك أنه قد قيل خال رسول الله، فالخلق كلُّهم عند الله سواسية، ليس بينه وبينهم قرابة إلا طاعتهم له".

وهذا معنى قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)

[سورة الحجرات الآية : 13]

فالإنسان بإيمانه ينجح في الدنيا والآخرة، والنجاح في الدنيا والآخرة معاً يعد فلاحاً:

(قَدْ أَفْلَحَ)

[سورة المؤمنون الآية : 1]

أما الذكاء كما يفعل إنسان ذكي يأخذ ما له ويدع ما ليس له يكسب محبة من حوله، هذه السعادة تنتهي عند الموت، فالبطولة أن نكون سعداء في الآخرة.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

إذاً الفلاح والنجاح سبيلان للوصول إلى سعادة الدنيا قبل سعادة الآخرة، وأيضاً يحققان في مجتمعاتنا الأمن والأمان الذي ننشده.

دكتور محمد راتب النابلسي، أين نحن من تربية أولادنا التربية الصالحة للوصول إلى الأمن والأمان الذين ننشده دائماً.

الإنسان حينما يلبي حاجات عقله وقلبه وجسمه يتفوق ويسعد وينعم بالأمن :

الدكتور راتب: أستاذ جمال جزاك الله خيراً، الإنسان بشكل مختصر عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، فحينما يلبي الإنسان حاجات عقله وقلبه وجسمه يتفوق، ويسعد، وينعم بالأمن، تغذية عقله بالعلم، باليقينيات لا بالأباطيل، لا بالأوهام والترهات، لا بما يشاع في صفوف الناس من أشياء غير دقيقة، أما غذاء القلب الحب، هناك حب يسمو بك، وحب يهوي بك، الحب ميل القلب، فالذي يحب الله عز وجل من فروع محبة الله أن يحب أنبياءه، ورسوله، ويحب أصحاب نبيه جميعاً، وأن يحب المؤمنين، وأن يحب أهل بلدته، بل أهل وطنه، بل أمته، علامة حبه لأمته أن يسعى لخدمتها لرقيها، فالمؤمن يعمل لصالح المجموع، المؤمن ينتمي للمجموع، المؤمن يعد فريق عمل وحده، هذه النقطة الدقيقة أن غذى عقله بالعلم، وغذى قلبه بالحب، بل إن محبة الزوجة ـ كما قال بعض العلماء ـ فرع من محبة الله، لأن هذا الإله العظيم صمم لك هذه الزوجة، العلاقة بين الذكر والأنثى علاقة زواج، هناك

إنجاب أولاد، هناك بنات و أصهار و زوجات أبناء، هناك أحفاد، نقول نحن في عقود القران:"اللهم بارك للزوجين، بارك لهما وفيهما وعليهما، أنجب منهم الكثير الطيب"، فأنت حينما تتحرك بدافع الهوى وفق منهج الله فأنت في رضوان الله، والدليل الآية الكريمة:

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ)

[سورة القصص الآية : 50]

المعنى المخالف، أي أن الذي يتبع هواه وفق هدى الله عز وجل لا شيء عليه، بل إن الله يباركه، فلذلك أنا حينما أغذي عقلي بالعلم الصحيح، وأغذي قلبي بالحب الذي يسمو بي، وأغذي جسمي بالطعام والشراب المدروس، أتفوق، وأشعر بنعمة الأمن.

السلامة و السعادة :

شيء آخر: ذكرت أستاذ جمال عن تربية الأولاد، الإنسان فضلاً عن ذلك جُبل من قبل الله، أو فطر، اسمان لمسمى واحد، فطر أو جبل على حبّ وجوده، و على حبّ سلامة وجوده، و على حبّ كمال وجوده، و على حبّ استمرار وجوده، بادئ ذي بدء أنت أعقد آلة في الكون، هذا التعقيد تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز، ولهذه الآلة صانع حكيم، ولهذا الصانع الحكيم تعليمات التشغيل والصيانة، فالجهة الوحيدة في حياة الإنسان التي ينبغي أن تتبع تعليماتها هي الجهة الصانعة، فلمجرد أن تطبق تعليمات الصانع نلت الأمن، كما تعتني بمركبة وتطبق تعليمات المصنع بدقة بالغة، تنعم بهذه المركبة طوال حياتك، فلذلك الإنسان أعقد آلة في الكون، ولهذه الآلة صانع حكيم، ولهذا الصانع الحكيم تعليمات التشغيل والصيانة، فالمجرد أن تطبق تعليمات الصانع تنعم بالأمن والرحمة.

هذه واحدة، هذه تحقق السلامة، طاعتك لله تحقق السلامة، لكن تقربك إليه بعمل صالح لخدمة خلقه، لخدمة الأمة، بالانتماء للمجموع، بالبذل، والتضحية، هذا يسعدك، السلامة شيء والسعادة شيء آخر، أنت بتطبيقات تعليمات الصانع تسلم، لكن بالتقرب إلى الصانع بخدمة عباده تسعد، لكن متى تحقق استمرار وجودك؟ بتربية أولادك، أنت حينما تربي أولادك كأنه استمر وجودك، مبدؤك قيمك بل نجاحك، بل كان السلف الصالح إذا نجح الإنسان في حرفة ما، ابنه سيخلفه في هذه الحرفة، فهذه الخبرات المتراكمة من قبل الأب أخذها الابن، وتابع مسيرة والده، فأنت بتربية أولادك يستمر وجودك، وبتقربك من الله تسعد، وباستقامتك على أمره تسلم، فأنت مجبول على حبّ وجودك، وعلى حبّ سلامة وجودك، و على حبّ كمال وجودك، و على حبّ استمرار وجودك، فبتطبيق تعليمات الصانع تسلم، وبالتقرب إليه بالعمل الصالح تسعد، وبتربية أولادك يستمر وجودك، هذا معنى قوله تعالى:

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)

[سورة الكهف الآية : 110]

الأستاذ جمال شيخ بكري :

وبذلك يتحقق الأمن في مجتمعاتنا.

الدكتور راتب:

الأمن أساسه أن نعرف الله أولاً فإذا عرفناه عرفنا حقوقنا، وعرفنا واجباتنا.

الأستاذ جمال:

في ختام هذا اللقاء الدكتور نابلسي ماذا نقول؟ كيف يمكن أن يتحقق الأمن لنا أو لمجتمعاتنا؟

الطريق الأمثل لتحقيق الأمن لنا و لمجتمعاتنا :

الدكتور راتب:

إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله، المؤمن يعامل من قبل الله أطيب معاملة، والدين كما قلت: دين جماعي ودين فردي: إن طبقته الأمة تنتصر على أعدائها انتصاراً مؤزراً، وإن طبقه الفرد أعطاه الله مكافأة خاصة.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

الدين الحقيقي.

الدكتور راتب:

الدين الحقيقي الذي أراده الله:

(وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ)

أي دين وعد بتمكينه؟ الدين الذي يرتضيه الله عز وجل، الله لا يرتضي ديناً فلكلورياً، دين مشاعر إسلامية فقط لك، إنما هناك أعمال، دين زخرفة إسلامية، دين بطاقة إسلامية، دين خلفية إسلامية، الدين منهج إذا طبقنا هذا المنهج قطفنا ثماره في الدنيا والآخرة، وهذا تؤكده بعض الجرعات المنعشة التي أعطانا الله إياها في حرب أخوتنا في غزة، كيف أن هؤلاء الأبطال العشرة آلاف وقفوا أمام رابع جيش في العالم اثنين وعشرين يوماً، دون أن يحقق هذا الجيش ولا هدف من أهدافه، هذا جرعة منعشة.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (03-18) : الامتحان -1

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 14-05-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور عندما نتحدث عن الإنسان نتحدث عن مزايا يتمتع بها، وأهم ميزة يحبها هذا الإنسان هي السعادة في حياته قبل الدار الآخرة، يسعى هذا الإنسان للسعادة من خلال النجاح، من خلال التفوق على أقرانه، على نفسه أولاً و أقرانه ثانياً، ليكون ظاهراً في مجتمعه، سعيداً، طيباً، وأحلى لحظات الحياة سيدي هي لحظة النجاح، و قد علمتمونا أن السعادة هي النجاح، كيف يمكن لهذا الإنسان أن يصل إلى النجاح؟ ونحن هذه الأيام سيدي يعيش طلابنا في الجمهورية العربية السورية على اختلاف مراحلهم الدراسية الدراسة بكل أبعادها الابتدائية، والإعدادية، والثانوية، والجامعية، ونسأل الله عز وجل أن يحقق لهم المراد، كيف نتحدث بداية عن هذا الموضوع؟

كل إنسان جُبل على حبّ وجوده و سلامة و كمال وجوده :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صاحبته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أستاذ جمال كتعليق على ما تفضلتم به، ما من إنسان على وجه الأرض من الستة آلاف مليون إنسان يعيشون على سطح الأرض إلا وقد جبل وفطر على حبّ وجوده، وعلى حبّ سلامة وجوده، وعلى حبّ كمال وجوده، وعلى حبّ استمرار وجوده.

بشكل مختصر سلامة وجوده بتطبيق تعليمات صانعه، كأية آلة بالغة التعقيد، سلامة وجوده بطاعة ربه، وكمال وجوده بالتقرب إليه بالعمل الصالح، واستمرار وجوده بتربية أولاده، فالذي يطع الله فيما

أمر ثم يتقرب إليه بالعمل الصالح ثم يربي أولاده، فقد حقق سلامة وجوده، وكمال وجوده، واستمرار وجوده.

الإنسان يسعد بسعادة أولاده ويشقى بشقائهم :

الآن كيف يربي أولاده؟ أودع الله في الإنسان قوة إدراكية، هذه القوة الإدراكية ما لم تلبَّ بطلب العلم، هبط الإنسان عن مرتبة إنسانيته إلى مرتبة أخرى لا تليق به، لأنه ما من صفة في الإنسان إلا وفي الحيوان صفة تفوقه بها، إلا أن الإنسان تميز بهذه القوة الإدراكية، هذه القوة الإدراكية غذاؤها العلم، فإذا صحّ أن الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، نقول: وغذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب.

إذاً أنا حينما أربي ابني ما من شيء يلتصق بالإنسان، ويعتد امتداداً له كالابن، فالإنسان يسعد بسعادة أولاده، ويشقى بشقائهم، وطريق السعادة الأول أن يكون الإنسان عالماً، فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، فما من أب على وجه الأرض ولو كان أمياً إلا ويتمنى أن يكون ابنه أعلم العلماء، فلذلك حرص الآباء على تحصيل أبنائهم تحصيلاً علمياً شيء ثابت في كل أنحاء الأرض، ونحن على وشك أن نصل إلى الامتحانات الانتقالية والرسمية من إعدادية، وثانوية، وجامعية، الامتحان أساس التعليم، كما أنه لا إنسان يأتي إلى الدنيا إلا وهو ممتحن كذلك لا طالب ينتسب إلى مدرسة إلا وهو ممتحن، لأن الامتحان أصبح على الأبواب، فلا بد من إرشاد أبنائنا الأعزاء إلى الطريقة المثلى التي يدرسون بها أولاً، ويؤدون امتحاناتهم ثانياً.

من صلحت نيته و خلص مقصده لله عز وجل حقق نجاحاً باهراً :

إذاً نحن في شهر الامتحانات، وتعيش البيوت في هذا الشهر ـ بيوت الناس جميعاً ـ أزمة الامتحانات، التي تطرق الأبواب كل عام، وما إن يقترب هذا الموسم حتى ترى كثيراً من البيوت وقد أعلنت عن حالة التأهب القصوى، والاستعداد الكامل، لدخول معمعة الامتحان، التي يكرم فيها المرء أو يهان، وهذا جهد مشكور، وعمل مأجور، ووعي عميق، وإدراك دقيق، من قبل أولياء الأمور، فإذا صلحت النية، وخلص المقصد لله عز وجل حقق هذا النجاح، وكان الابن وسام شرف على صدر أبيه وأمه، وكان الابن قرة العين، بل إن الله عز وجل كافأ الآباء والأمهات بمكافأة في الدنيا فقال:

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)

[سورة الفرقان الآية : 74]

الأستاذ جمال شيخ بكري :

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي لطالما تتحدث عن أن الأب قرة عينه أن يكون ابنه عالماً، متفوقاً، ناجحاً، أين يكمن دور الأهل في هذه الأيام في تهيئة الظروف المناسبة والملائمة ليكون هذا الابن ناجحاً؟ فهناك البيت يجب أن يكون ـ سواء من الجيران، أو الأب، أو الأم، أو الأخوة الذين لا يقدمون امتحاناً ـ منضبطاً.

التعلم والتعليم قوام الدين :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال قبل كل شيء، إن التعلم والتعليم قوام هذا الدين، ولا بقاء لجوهره ولا ازدهار لمستقبله إلا به، والناس أحد رجلين متعلم يطلب النجاة، وعالم يطلب المزيد، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((العالم والمتعلم شريكان في الخير، ولا خير في سائر الناس))

[ابن ماجه عن أبي أمامة]

وتعلُّم العلوم المادية تأكيداً لما تفضلت به، وتعلُّم العلوم المادية يحقق عمارَةَ الأرض عن طريق استخراج ثرواتها، واستثمار طاقاتها، وتذليل الصعوبات فيها، وتوفير الحاجات، تحقيقاً لقوله تعالى :

(هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)

[سورة هود الآية: 61]

أي أرادكم أن تعمروها، وتعلم العلوم المادية، فيزياء، كيمياء، رياضيات، فلك، طب، هندسة، والتفوق فيها قوة، يجب أن تكون في أيدي أبناء الأمة ليجابهوا أعداءهم، أعداء الحق، أعداء الخير، أعداء السلام، تحقيقاً لقوله تعالى:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)

[سورة الأنفال الآية : 60]

قوة هذا العصر هي قوة العلم فعلينا التسلح به :

أستاذ جمال، لأن القوة ـ قوة هذا العصر ـ هي قوة العلم، بل إن الحرب الحديثة ليست حرباً بين ساعدين، بل هي حرب بين عقلين، هذه حقيقة دقيقة، وبالتحرر من الجهل والوهم، وباعتماد النظرة العلمية، واتباع الطريقة الموضوعية، نستطيع أن نسقط كل الدعاوى الباطلة المزيفة التي يطرحها أعداؤنا، أعداء الدين، للنيل من إمكاناتنا وطموحاتنا، فباعتماد النظرة العلمية تصح رؤيتنا، وبإيماننا بالله، واستقامتنا على أمره الذي نستمد منه قوتنا، قال تعالى :

(إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)

[سورة آل عمران الآية : 160]

للأهل دور كبير وخطير في تهيئة الأجواء لأبنائهم :

أستاذ جمال، نحن بمناسبة قدوم الامتحان نخص طلابنا الأعزاء، وطالباتنا العزيزات، بهذا الموضوع المتعلق بحياتنا اليومية، فالإسلام هو الحياة وأبناؤنا هم أهم ما في حياتنا، لأنهم خير كسب، وشبابنا وشاباتنا هم أمل أمتنا، هم مستقبلها، تفوقهم في التحصيل العلمي، وانضباطهم في الجانب السلوكي، أحد أسباب انتصارنا أمام التحديات التي تواجهنا، لذلك هناك بعض الحقائق أستاذ جمال أضعها بين أيدي أخوتنا الطلاب، وهم على مشارف الامتحان، لكن كما تفضلت في سؤالك الأهل لهم دور كبير، ودور خطير، في تهيئة الأجواء، في إحاطة هذا الطالب بجو هادئ بعيد عن الضجيج، بعيد عن الاحتفالات، والمناسبات، والدعوات، والولائم، هذا شهر هدوء في البيت، شهر سكون، شهر نهيئ فيه لطلابنا كل الأجواء التي تساعدهم على الدراسة، ولا يقول أحدهم: ليس عندي أولاد في المدارس، جارك له حق عليك، فإذا كنت لا تعاني من مشكلة ابن يؤدي امتحاناً فجارك يعاني هذه المشكلة، لذلك إن شاء الله في وقت لاحق من هذا اللقاء الطيب سأتحدث طويلاً عن هذه النقطة الدقيقة في هذا اللقاء.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

نتابع أيها الأعزاء موضوع الامتحانات التي يعيشها طلابنا الأعزاء، ونسأل الله سبحانه أن يكونوا جميعاً من المتفوقين الناجحين، بما فيه مصلحة الأمة، وخيرها، ونجاحها، دكتور خطر في بالي الآن سؤال؛ الطالب يطمح ليكون متفوقاً، لكن هذا التفوق له قواعد، له أسس، كيف يمكن لهذا الطالب أن يصل إلى القمة؟ لا نقبل أن يكون إلا في الطليعة هكذا تعلمنا، أبناء سوريا تعلموا أن يكونوا في الطليعة، كيف يمكن لطلابنا وطالباتنا أن يكونوا في الطليعة في موضوع الدراسة تحديداً؟

بعض الحقائق المتعلقة بالدراسة والامتحان :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال، سؤال رائع ولكن إن شاء الله ـ إن أمدّ الله في عمري ـ أتمنى أن أجري ندوة مطولة في أول العام الدراسي عن أسلوب الدراسة الناجح، الآن أختصره.

أولاً: ثبت أن قراءة التصفح وأنت مستلق على مقعد وثير، أو على شرفة، تمتع النظر بالغادي والرائح، أو في غرفة الجلوس مع أهلك، وأخوتك الصغار، لا تثمر شيئاً، أنت لا تذكر من الذي قرأته أية معلومة اللهم إلا انطباعاً عاماً، وهل تعتمد امتحاناتنا حتى الآن وهي لا تزال تقليدية إلا على ما في الذاكرة من معلومات، وإذا صحّ أن للجهد المبذول في فهم الكتاب المقرر، و القدرة على الإجابة عن أسئلة الامتحان، يقاس بوحدات كما تقاس الحرارة بالدرجات، مثل هذه القراءة ـ قراءة التصفح ـ وأنت مع أهلك، مع أخوتك، مع أولادك، وأنت على شرفة، وأنت في مكان جميل، وأنت تنظر إلى الغادي والرائح، هذه القراءة لا قيمة لها إطلاقاً، ولا يبقى في ذهن القارئ من المعلومات شيء إطلاقاً إلا انطباعاً عاماً.

فإذا كان طلابنا الأعزاء يقرؤون هذه القراءة لن يحققوا شيئاً، هذه اسمها قراءة التصفح، هذه لا تقدم ولا تؤخر، لذلك لو أن هناك وحدات للجهد المبذول في فهم الكتاب ـ كيف أن هناك وحدات حرارية، وحدات طاقة، وحدات كهرباء ـ هذه القراءة لا تحقق من المئة درجة خمس درجات فقط، فهذه القراءة مرفوضة، وهذه القراءة لا تقدم ولا تؤخر، ولا تسمن ولا تغني من جوع، ولا تذكر من الذي قرأته شيئاً، وتصبح وهماً، يتوهم أنه درس، أما حينما يجلس الطالب وراء طاولة بعيداً عن الضجيج، بعيداً عن المناظر التي تدعو إلى الشرود، ويفتح الكتاب المقرر، ويقرأ بتأن وبتعمق، ويضع علامة بقلم شفاف تحت كل فكرة رئيسة، وخطاً بالرصاص تحت كل فكرة فرعية، ثم يلخص الفقرة على الهامش، ويضع خطاً باللون الأحمر مثلاً تحت كل كلمة يحب أن يضيفها إلى قاموسه اللغوي، وخطاً باللون الأحمر تحت كل عبارة يحب أن تغنى بها أساليبه التعبيرية، ثم يضع إشارة بلون ثالث عند كل فكرة غامضة يسأل عنها أستاذه، أو صديقه المتفوق في تلك المادة، وبعدها يرسم مخططاً للبحث الذي قرأه، يملأه بالأفكار الرئيسة، ثم يسمعه لمن حوله، أو يحاول أن يراجعه من ذاكرته، أو أن يكتبه، هذه القراءة المجدية.

المشاكل التي يعاني منها الطلاب :

1 ـ التعثر في الكتابة أثناء الامتحان :

ذلك أن الإنسان حينما يقرأ يودع الذي قرأه في ذاكرة سماها العلماء الذاكرة التعرفية، لكن هو لا يستطيع أن يأخذ منها شيئاً، مثلاً أنت تقرأ كلمة وشيجة تفهمها لكن وأنت تتحدث عن علاقة لا تذكر كلمة وشيجة، هذه مشكلة كبيرة يعاني منها الطلاب وهي أنهم يستمعون إلى الدروس كثيراً، ويقرؤون

كثيراً، أما أنهم إذا جلسوا في قاعة الامتحان يتعثرون في الكتابة، ذلك لأن في الإنسان ذاكرة تعرفية يغذيها جهد الأخذ، القراءة، الاستماع، وفي الإنسان ذاكرة أخرى استرجاعية، يغذيها جهد العطاء كإلقاء الدرس، ككتابة البحث، كالتذكر، فهناك ذاكرة استراجعية وذاكرة تعرفية، الذي تأخذه من الكتاب، أو الذي تستمع إليه، أو الذي تنظر إليه، يوضع في الذاكرة التعرفية، هذا إذا رأيته تعرفه، أو إذا قرأت الكلمة المودعة بالذاكرة التعرفية تعرفها، لكن إذا أردت أن تكتب، أن تنشئ، أن تجيب عن سؤال، كل هذه الحقائق المودعة في الذاكرة التعرفية لا تجدها في الذاكرة الثانية الاسترجاعية، متى تغذى؟ بالعطاء، بإلقاء الموضوع، بكتابة الموضوع، بالمناقشة، بالحوار، فحينما تعطي يودع هذا في ذاكرة استرجاعية، وحينما تأخذ يودع هذا في ذاكرة تعرفية، المشكلة الكبيرة أن الطالب في الامتحان يحتاج إلى الذاكرة الاسترجاعية، فإذا كانت فارغة و كل معلوماته في الذاكرة التعرفية وقع في خطأ كبير، مثلاً إذا أردت أن تتقوى في الإعراب، يجب أن تعرب لا أن تقرأ بيتاً معرباً، إن أردت أن تتقوى في التعبير يجب أن تكتب، أن تحل مسألة.

الامتحان بالنهاية يحتاج إلى ذاكرة استرجاعية، أن تكون المعلومات جاهزة تحت يديك، فهذا الذي أتمنى على طلابنا الأعزاء أن يقرأ ويكتب، أن يقرأ ويتكلم، أن يقرأ ويعيد، أن يقرأ ويلقي على صديقه، أو على أمه، أو على أخوته الذي قرأه، فالذي تعطيه يودع في ذاكرة استرجاعية، هذه الذاكرة وحدها تفيدك في الامتحان.

2 ـ القراءة و عدم محاولة الكتابة :

أستاذ جمال القضية دقيقة، أنا أتمنى أن يدرس الطلاب فن الدراسة، كيف يدرس في جهد لكنه ضائع؟ في وقت يمتد طويلاً في الدراسة لكنه غير مجدي، فما دام الطالب يدرس لينجح، ما دام يدرس ليكتب في الامتحان، ما دام يدرس ليتذكر، فلا بد من إيداع معلوماته في الذاكرة الاسترجاعية لا في الذاكرة التعرفية، الذاكرة التعرفية يغذيها الذي تأخذه، أما الذاكرة الاسترجاعية يغذيها الذي تعطيه، أنت تقرأ بحثاً في الفيزياء ـ أقول هذا المثل في كتاب الصف الثالث الثانوي ـ بعد أن قرأته حاول أن تكتبه تجد صعوبة بالغة، تجد تعثراً كبيراً، تجد القلم ليس سيالاً، السبب لأن الذي قرأته أودعته في الذاكرة التعرفية، أما الآن أنت تستخدم ذاكرة استرجاعية فارغة، فمحاولة الكتابة، محاولة كتابة موضوع في التعبير، محاولة إعراب بيت، كل هذا الجهد الذي أساسه العطاء يخزن في الذاكرة الاسترجاعية، هذه القراءة من أجل أن تغذي الذاكرة الاسترجاعية، تقرأ وتكتب، تقرأ وتتكلم، تقرأ وتلخص، تقرأ وتحاور، تقرأ وتناقش، هذا الجهد المبذول في تفاعل الطالب مع الكتاب هو الذي يعينه على تذكر الحقائق في

الامتحان، أما إذا بقي يأخذ ويأخذ ويأخذ، وأنا والله أشفق على طلاب كثيرين يمضون أوقات طويلة في القراءة ولا يحاولون أن يكتبوا إطلاقاً، حتى لو قرأت فصلاً في التاريخ، حاول أن تكتب من حين لآخر، حاول أن تكتب فصلاً في التاريخ قرأته، معظم الكلمات طارت منه، معظم الأفكار طارت من ذهنك، فلذلك العطاء له ميزة، العطاء يثبت في الذاكرة الاسترجاعية.

هذه أشياء دقيقة جداً أستاذ جمال، الإنسان يدرس ليتعلم، والتعلم هو ما تستطيع أن تقوله من دون ورقة، أنت اقرأ أي كتاب وأنت في جلسة لا تذكر من الذي قرأته شيئاً إلا القليل، ما قيمة هذه القراءة؟ مضيعة للوقت، أما حينما تقرأ وتلخص، تقرأ وتكتب، تقرأ وتتذكر، تقرأ وتحاول في لقاء مع صديق أن تحدثه بما قرأت، الآن تغذى الذاكرة الاسترجاعية، أي معلومات تحت الطلب، معلومات بين يديك، معلومات تملكها، معلومات تحفظها، هذا الذي يعين الطالب في الامتحان، هذه الحقيقة دقيقة.

3 ـ قلة عدد المفردات التي لها قيمة كبيرة في دقة أسلوب الطالب :

هناك شيء آخر مثلاً جاؤوا بإنسان أمي وضعوا في رقبته آلة تسجيل، وسجلوا كل أقواله خلال أسبوع، وفرغوها، وحذفوا المتكرر، هذا الإنسان الغير متعلم يستخدم في حياته كلها ثلاثمئة كلمة، وضعوا هذه المسجلة في صدر أستاذ جامعي، وسجلوا كلامه خلال سبعة أيام كتبوها على ورق، وحذفوا المتكرر، يتكلم بألف وخمسمئة كلمة، فكلما نمت كلماتك دقت عبارتك، أوضح مثل لو أردت أن ترسم منظراً طبيعياً بالريشة، معك لونان فقط أبيض وأسود، المنظر غير مقبول، أما إذا كنت تملك أربعة ألوان فالمنظر أقوى، فكلما كثرت هذه الألوان، يكون المنظر أقوى وأقوى، فلذلك مبدئياً عدد المفردات له قيمة كبيرة جداً في دقة أسلوبك.

نأتي بمثل أستاذ جمال، نستخدم كلمة نظر إذا نظرت إلى الشيء، لكن كلمة رأى فيها معنى آخر، قد تقول: رأيت العلم نافعاً، هذه ليست رؤية بصرية إنما هي رؤية قلبية، رأيت النضال مجدياً، هذه رأى لا تعني أنك رأيت بعينك هذه لا تعني أنك رأيت بعين الرأس تعني أنك رأيت بعين القلب، حدّج : نظر إلى الشيء مع المحبة، وفي الحديث:" حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم"، نظر شزراً : رؤية مع احتقار، إنسان مختلس، إنسان سارق، تنظر إليه محتقراً، لكن شعرت بأصوات في السقف، والبيت على وشك أن يتداعى، تنظر وأنت خائف تقول: شَخَصَ، شخص مع الخوف، حدّج مع الحب، رنا مع المتعة، رنوت إلى هذا المنظر، إلى منظر البحر، إلى منظر الجبل الأخضر، هناك رنا، ونظر شزراً، وشخص، ورأى، بين الغيوم ظهرت طائرة نقول: لاحت الطائرة، معنى لاح ظهر واختفى، باب مفتوح وأنت تمشي في الطريق نظرت أنت إلى الباب المفتوح فإذا امرأة فغضضت بصرك نقول: لمح، لاح

شيء ولمح شيء آخر، نظرت أراقب الطلاب في الامتحان وجدت طالباً يتطامن، وكأنه يأخذ من صديقه، فأنا أتمطى، نقول: تمطى نظر أي استشرف، والاستشراف مع التمطي، قد أعطيت قميصاً أمسكه بيدي وأتلمس خيوطه أهي خيوط طبيعية من الصوف أم من البترول؟ هذه استشف، استشف: نظر مع التلمس، النظر مع الخوف شخص، مع المحبة حدج، مع المتعة رنا، مع الاحتقار شزراً، شيء ظهر واختفى لاح، نظرت وأعرضت لمح، هناك حوالي خمسين أو ستين أو سبعين فعلاً، فكلما كثرت الكلمات التي تستخدمها دقت عبارتك وقوي أسلوبك.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور لقد أجدت سيدي في إقناعنا، كيف يمكن أن تكون القراءة الحقيقية لكل متتبع، لكل من يطلب العلم، لكل طالب يريد أن يتفوق؟ طالب وضع برنامجاً اليوم أريد أن أكمل مادة الفيزياء إن كان في الثالث الثانوي أو التاسع أو الجامعة، يصيبه الملل يضيع جزءاً كبيراً من الوقت في هذا اليوم والنتيجة صفر مؤلمة، ماذا نقول؟

على الطلاب أن يسلسلوا كتبهم وفق الصعوبة :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال، أنا أقول هناك خطأ في وضع البرنامج الدراسي، ماذا يفعل الطلاب عادة بل ماذا يفعل معظم الطلاب؟ يضع برنامج سبت أحد اثنين فيزياء، ثلاثاء أربعاء خميس رياضيات، مثلاً سبت أحد اثنين الثاني مثلاً جغرافيا، كتاب ضخم يقرأ أول فصل يمل، ماذا ينبغي أن يفعل؟ أنا أقترح على أبنائنا الطلاب والطالبات أن يسلسلوا كتبهم وفق الصعوبة، أي أصعب كتاب ما هو؟ قد يكون الرياضيات، قد يكون الفيزياء، وقد يكون الكيمياء، وقد يكون الطبيعيات، أسهل كتاب قد يكون التاريخ، أي كتب التربية الاجتماعية، فأنت حينما ترتب هذه الكتب ترتيباً تصاعدياً في الصعوبة، وتقرأ من كل كتاب فصلاً فقط، ما الذي يحصل؟ أستاذ جمال عندنا حالة اسمها الإعياء، تضع كيلو غرام بكفك وترفعه مرة، اثنتين، ثلاثة، خمسة، عشرة، ستين، بعدها لا تستطيع أن ترفع الكيلو إطلاقاً، نقول: هذه العضلة أصيبت بالإعياء، لو وضعت في كفك نصف كيلو، ترفعه مئة مرة ثانية، ثم أصيبت اليد بالإعياء، لو وضعت مئتي غرام ترفعها مرة ثالثة، فأنت حينما تنتقل في اليوم الواحد من كتاب إلى كتاب، من كتاب صعب إلى كتاب أسهل إلى أسهل يمكن أن تمضي عشر ساعات متواصلة في الدراسة دون أن تتعب، عندما يتبدل الكتاب يتبدل الموضوع، تتبدل الصعوبة إلى أسهل، صار هناك نشاط دائم، أوضح مثل رفع كيلو غرام، فكلما نزل مستوى الكتاب أمكنك أن تتابع الدراسة.

السأم والضجر وتضييع الوقت سببه خطأ في وضع البرنامج الدراسي :

فأنا أتمنى على أخوتنا الطلاب والطالبات أن يجمعوا صفحات كتبهم كلها، فرضاً عشرة آلاف صفحة، وهذا البرنامج يجب أن أقرأه في عشرين يوماً، فالعشرة آلاف على عشرين يوماً في اليوم فرضاً مئتي صفحة، أقرأ فصل فيزياء، فصل كيمياء، فصل طبيعيات، فصل تاريخ، فصل جغرافيا، فكلما بدلت من كتاب صعب إلى كتاب أسهل، وجدت نشاطاً، وحيوية، وقدرة على متابعة الدراسة، فبهذه الطريقة أولاً تنوع الموضوعات ممتع، تنتقل من كتاب إلى كتاب، لكن كل كتاب عليك أن تقرأ منه فصلاً متكاملاً، تقرأه قراءة متأنية على طاولة، مع تلخيص أفكاره، مع كتابة ملخص لكل فقرة، مع إشارة لبعض الكلمات والجمل والتعابير، كما تكلمت قبل قليل، تقرأ فصلاً واحداً قراءة متأنية، أنت حينما ترتاح عشر دقائق وتنتقل إلى فصل آخر إلى كتاب آخر تشعر بنشاط عجيب.

فالسأم، والملل، والضجر، وتضييع الوقت، سببه خطأ في وضع البرنامج الدراسي، أنا أرفض ـ وهذه نصيحة ـ أن تجعل بضعة أيام مستمرة في كتاب واحد، هذا شيء ممل، فأنت خذ في كل كتاب فصلاً، أولاً: تنوع الموضوعات ممتع، ثانياً: موضوعات متدرجة في الصعوبة، تبدأ بالأصعب صباحاً قبل أن تنام تأخذ كتاباً فيه فصل يحتوي على معلومات خفيفة فقط.

هذا التنوع في اليوم الواحد من كتاب صعب إلى كتاب سهل، وهذا التنوع في الموضوعات يعينك على متابعة الدراسة، بل إنني أرى أنه لا بد للطالب من دقائق يرتاح فيها كل ساعة أي يجعل خمسين دقيقة دراسة وعشر دقائق راحة، يجلس مع أهله يأكل شيئاً، يشرب شيئاً، ويتابع الدراسة.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (05-18) : التلازم الحتمي بين التدين الصحيح والخلق القويم

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-05-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال:

أيها الأعزاء، من الدعاء الذي دائماً نلجأ إليه: "ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب".

أيها الأعزاء: دائماً هناك أثر للإيمان بالله سبحانه و تعالى في تقويم الأخلاق، هذه الأخلاق التي ما إن حلت في مجتمع إلا كان هذا المجتمع ناجحاً بكل المقاييس.

التلازم الحتمي بين التدين الصحيح والخلق القويم :

الدكتور راتب:

الحقيقة أن هناك تلازماً ضرورياً و حتمياً بين التدين الصحيح والخلق القويم، فقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم الغاية الأولى من بعثته، والمنهج الأول لدعوته، فقال عليه الصلاة والسلام:

((وإنما بعثت معلماً))

[ابن ماجه عن ابن عمرو]

((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))

[رواه أحمد عن أبي هريرة]

فالهدف الأول لدعوته هو إرساء البناء الأخلاقي للفرد والمجتمع؛ لأن هذا البناء الأخلاقي ثمن سعادة الدنيا والآخرة، والمتتبع لنصوص القرآن الكريم، ولنصوص السنة المطهرة الصحيحة، يجد ذلك التلازم الضروري بين التدين الصحيح والخلق القويم، وأعني بالتدين الصحيح، الاتباع، قال تعالى:

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ)

[سورة الماعون الآيات : 1-2]

هذا التلازم بين التكذيب بالدين وبين الخلق السيئ، و يقابله التلازم بين التدين الصحيح والخلق القويم، قال تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص الآية:50]

وكأن هذه الآية بينت أن هناك طريقين لا ثالث لهما، إما أن يستجيب الإنسان لمنهج الله، أو أن يستجيب لهوى نفسه، فإن لم تكن على الخط الأول، فأنت على الخط الثاني حتماً:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص الآية:50]

الإيمان أساس الفضائل ولجام الرذائل :

حديثنا أستاذ جمال عن هذا التلازم الدقيق، والشمولي، والعفوي، والمستمر، بين التدين الصحيح والخلق القويم،فعن أنس بن مالك قال:

((ما خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم إلا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له))

[أحمد عن أنس بن مالك]

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

((الحياء والإيمان قرنا جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر))

[الأدب المفرد عن ابن عمر]

إذا رفع أحدهما رفع الآخر.

لذلك يعد الإيمان أساس الفضائل، ولجام الرذائل، وقوام الضمائر وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الصحيحة ذلك فقال:

((إن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً، وإن أكملهم إيماناً أحسنهم خلقاً، وإن من أحبّ العباد إلى الله أحسنهم خلقاً، وإن من أقرب المؤمنين مجلساً مني يوم القيامة أحسنهم خلقاً))

[رواه الطبراني عن جابر بن سمرة]

((خير ما أعطي الرجل المؤمن خُلُقٌ حسن))

[الطبراني عن أسامة بن شريك]

((إنَّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القائِمِ))

[أبو داود عن عائشة]

((إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة))

[رواه الطبراني عن أنس بن مالك]

((الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل))

[الطبراني عن عبد الله بن عباس]

أستاذ جمال هذه كلها أحاديث في أعلى درجة من الصحة، تؤكد في مجملها أن هناك تلازماً ضرورياً حتمياً، مستمراً، شمولياً، عفوياً، بين التدين الصحيح و بين الخلق القويم.
هذه سنته القولية، صلى الله عليه وسلم، فماذا عن سنته العملية؟

النبي صلى الله عليه وسلم هو النموذج الأسمى لاجتماع المبدأ والسلوك :

إن النبي صلى الله عليه وسلم هو النموذج الأسمى لاجتماع المبدأ والسلوك، وتطابق المعتقد مع القول، بل تطابق القول مع العمل، إن أعظم المسلمين منه قرباً صلى الله عليه وسلم أولئك الذين ضاقت المسافة بين سلوكهم وبين مبادئهم، وقيمة المؤمن في تطبيق ما يقول.
إن ظاهرة النفاق التي تحدث عنها القرآن الكريم وتحدثت عنها السنة الصحيحة بشكل مطول تعني خللاً في مطابقة الأقوال للمعتقدات، وتعني خللاً في مطابقة الأفعال للأقوال؛ فالنوع الأول هو النفاق الإعتقادي، أن تقول ما لا تعتقد، الذي يخرج صاحبه من الملة، والنوع الثاني هو النفاق العملي الذي إن طال عليه الأمد كان وخيم العاقبة.
أستاذ جمال، إن أهم مصدر للسعادة الحقيقية، انسجام حركة المرء في الحياة مع ما يعتقد؛ حيث يشعر المرء بتيار يجتاحه من البهجة، والارتياح، والأمن، كلما تخطى عقبة من العقبات التي تحول بينه وبين مثله وقيمه العليا.
أستاذ جمال، إن الملذات الحسية لا تخترق غشاء القلب، بل ولا تحوم حوله، لكن الذي يصل إلى أعماق القلب، ويغمره بالسعادة والطمأنينة؛ هو نشوة الانتصار على الأهواء والمغريات، وضغوط الشهوات والمصالح.

القاعدة الدينية الأخلاقية تُمكّن الناس من تحمل الظروف الصعبة دون أن ينحرفوا :

إن السعادة الحقيقية لا تجلب من الخارج أبداً، إنما هي شعاع من نور، يولد ويكبر في داخل الإنسان، ويضيء جوانب الحياة كلها، ويجعلها أكثر انسجاماً، و منطقية، وأكثر تهيئاً للنمو والتقدم والاستمرار،كل ذلك مرهون بأوضاع تسود فيها القيم الأخلاقية، ويعلو فيها صوت الالتزام والاستقامة، وترفرف في أرجائها إشراقات الاتصال بالله.
إن القاعدة الدينية الأخلاقية في أي مجتمع؛ هي التي تتحمل الأثقال التي تنتج عن طبيعة الحياة المادية والاجتماعية؛ وعن الانتكاسات التي تصاب بها الأمة في ميادين الحياة المختلفة.

أستاذ جمال، إن هذه القاعدة الدينية الأخلاقية هي التي تُمكّن الناس من تحمل الظروف الصعبة؛ إذا كان هناك مبادئ، وقيم، فالضائقات المالية، والظروف الصعبة في الحياة؛ هذه القاعدة الدينية الأخلاقية تتحمل ذلك، هذه القاعدة الدينية الأخلاقية تُمكّن الناس من تحمل الظروف الصعبة دون أن يتحللوا ـ أن يصابوا بالانحلال ـ ودون أن ينحرفوا؛ فحين يصاب الناس بضائقة شديدة؛ فإن القاعدة الأخلاقية تدفعهم إلى إغاثة الملهوف، وإطعام الجائع، والصبر على المدين المعسر، إلى جانب التمسك الشخصي، وعدم الرضوخ لمقتضيات الظروف الصعبة، فنجد المسلم يمتنع عن كل كسب حرام مع فاقته الشديدة، وذلك اتكاء على ما لديه من قيم ومقاومة روحية لدواعي التحدي.

الأستاذ جمال:

إذاً للإيمان أثر كبير في تقويم الأخلاق، لكن هذه الشحنة الإيمانية البديعة التي يأخذها المؤمن كيف يمكن أن ينميها و يحسنها؟

هناك أناس يتعبدون الله عز و جل لكن هناك ما نسميه الشحنة التي يجب أن يأخذها المؤمن، ليقف سداً منيعاً بهذه الأخلاق التي يأخذها من الإيمان، كيف يمكن أن ننمي هذه الشحنة عند الإنسان ليقف أمام هذه الأشياء؟

الاتصال الحقيقي بالله عز وجل يزود الإنسان بأكبر شحنة إيمانية :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال، جزاك الله خيراً، أنت سألت وأجبت.

كيف أجبت؟

قلت: إن الإنسان يحتاج إلى شحنة؛ والحقيقة الدقيقة أن اتصاله بالله ـ لا أقول الصلاة الجوفاء التي يؤديها ـ إن اتصاله بالله الحقيقي، يعطيه أكبر شحنة؛ هناك شحنات يومية؛ كل شحنة تكفي للشحنة القادمة؛ في الصلوات الخمس، هناك شحنة أسبوعية؛صلاة الجمعة؛ معها خطاب، معها توضيح، معها حديث، معها شرح، معها آيات قرآنية، معها أحاديث صحيحة، معها أحكام فقهية، معها قصص مؤثرة؛ فالصلوات خمس شحنات تغذي إيمان المؤمن، وتغذي عقله، في اليوم خمس مرات، لكن الله جعل لهذا الدين شحنة أسبوعية في خطاب؛ فقال:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)

[سورة الجمعة الآية:9]

قال علماء التفسير: ذكر الله: "الخطبة"؛ والناس يتوهمون أنه إذا استطاع أن يلحق بالأمام بصلاة الجمعة فقد أدرك الجمعة! لا والله ما أدركها؛ حينما قال عز وجل:

(فاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)

[سورة الجمعة الآية:9]

أجمع العلماء على أن ذكر الله هو سماع الخطبة، هي الشحنة العلمية؛ إن صحّ أن الصلوات الخمسة شحنة روحية، فخطبة الجمعة مع صلاتها شحنة علمية روحية في الوقت نفسه، وجعل الله لهذا الإنسان شحنة مكثفة لثلاثين يوماً هي شحنة الصيام؛ ثلاثون يوماً ندع الطعام والشراب، ونصلي كل يوم مساء عشرين ركعة ـ صلاة التراويح ـ، هناك شحنة سنوية، ربما كفت لعام بأكمله.

فالصلاة شحنة من وقت إلى وقت، والجمعة شحنة من أسبوع إلى أسبوع، والصيام شحنة من سنة إلى سنة، وهناك شحنة العمر إنها حج بيت الله الحرام.

فكما تفضلت هذا الزاد الخلقي، هذا الموقف الصامد المتماسك، هذا الاعتزاز بالقيم، هذا الشعور بقيمة الإنسان، هذا يكون عن طريق شحنات علمية روحية، يتلقاها كل يوم، وكل أسبوع، وفي العام مرة، وفي العمر مرة.

الأستاذ جمال:

دكتور في حياتنا التي نعيشها، هناك القوي، وهناك الغني، وهناك الأخلاقي، أيهما الأبقى؟ أيهما الأرقى؟ أيهما المؤثر في هذه الحياة ولماذا؟

طابع الرقي الحقيقي هو طابع أخلاقي :

الدكتور راتب:

بارك الله بك أستاذ جمال.

الحقيقة،إن هذه القاعدة الإيمانية الأخلاقية هي الرصيد الاحتياطي الضخم، الذي تعتمد عليه الأمة، في ترميم العديد من جوانب شخصيتها وحياتها، القاعدة الإيمانية الأخلاقية هي التي تعتمد عليها الأمة، في ترميم جوانب شخصيتها، من هنا ندرك أن حجم الجريمة التي ارتكبت في حق هذه الأمة حينما دفعت دفعاً من حيث تريد أو لا تريد، ومن قبل أعدائها المستعمرين، على المستوى الداخلي والخارجي، وعلى مستوى التطبيق، إلى جعل القيم الأخلاقية الدينية في المرتبة الدنيا من اهتماماتنا، فلما واجه الناس ما واجهوه من ضائقات العيش، ومن شح في المتطلبات، لم يجدوا لديهم سنداً خلقياً كريماً يعتمدون عليه في الصمود أمام المغريات، ومحفزات الانحدار المختلفة، وأمام الضغوط الشديدة، ومسببات الاستسلام والسقوط.

إن الذين ـ وهذا هو الجواب الدقيق لسؤالك الكريم ـ نَكُنّ لهم عظيم الاحترام ليسوا أولئك الذين يملكون المال الكثير، وليسوا أولئك الذين يملكون الدهاء والمكر، وليسوا أولئك الذين يملكون القوة الجسدية

الخارقة، وليسوا أولئك الذين يملكون الرقاب، إنما أولئك الذين يملكون الخلق الكريم، ويترفعون عن سفاسف الأمور، أولئك الذين انتصروا على التحديات داخل نفوسهم، أولئك الذين يملكون قوة الانتظار، الانتظار قوة ـ أولئك الذين يملكون التضحية بالعاجل من أجل الآجل، أولئك الذين يملكون الإيثار مع مسيس الحاجة إلى ما يحتاجونه، أولئك الذين يملكون القلوب، هؤلاء الذين نُكنّ لهم عظيم الاحترام؛ إن صحّ أن هناك من يملك الرقاب فإن هناك من يملك القلوب، إن صحّ من يعيش الناس له هناك من يعيش للناس، إن صحّ أن هناك من يأخذ، فهناك من يعطي، فلذلك هؤلاء الأخلاقيون، هؤلاء الذين يستندون إلى قاعدة إيمانية أخلاقية، هم يتحملون كل الضغوط من أجل الحفاظ على مبادئهم وقيمهم، وهؤلاء في الأمة صمام الأمان، هؤلاء في الأمة هم الذين يقودون هذه الأمة إلى طريق العزة والخلاص، بالإمكان أن نقول: إن طابع الرقي الحقيقي، هو طابع أخلاقي.

الاستقامة والنبل والتضحية الطرق الوحيدة لكسر أغلال التبعية للغرب :

أستاذ جمال، أنا حضرت ملتقى لبعض الكفاءات الصناعية، في بعض الدول العربية؛ فالذي قيل في هذا اللقاء: إن أي معمل لا يحترم التعامل مع الآخرين؛ فهذا المعمل لن ينجح.

لذلك طابع الرقي الحقيقي هو طابع أخلاقي أكثر من أن يكون طابعاً عمرانياً تنظيمياً، والجاذبية التي تتمتع بها القرون الأولى من الإسلام شيء عجيب، هناك الآن تقدم عمراني مذهل في إنشاء العمارات المرتفعة، في الأنفاق، في القطارات، في الطائرات، في المعامل؛ لكن هذه القصص القديمة التي عاشها أجدادنا، والتي فيها من القيم ما فيها، هذه تبدو متألقة دائماً، وكأنها تشدنا إليها، لذلك الجاذبية التي تتمتع بها القرون الأولى من تاريخ الإسلام، تنبع بشكل أساسي من طابع الاستقامة، والنبل، والتضحية، وليس من التفوق في الحروب، أو العلوم، أو العمران، ولعل الطريق الوحيدة إلى كسر أغلال التبعية للغرب؛ يكون عن طريق إحداث انتفاضة روحية أخلاقية، يستعلي بها المرء على المعطيات المادية للوضع الحضاري الراهن، ويلتفت إلى إثراء حياته بوسائل لا تحتاج إلى المال؛ صناعي، تجاري، زراعي، لا ينجح إلا إذا اعتمد على قيم أخلاقية، دعك من الآخرة ـالآخرة حق ـ لكن لا ننجح في الدنيا إلا بمجموعة قيم أخلاقية، قال هذا بعض أصحاب المعامل الكبيرة: ما لم يكن هناك قواعد أخلاقية في التعامل مع الآخرين فهذا العمل لن ينجح.

مصير الإنسان يتوقف على أمرين؛ علاقته بربه وعلاقته بأخيه الإنسان :

إن دراسة الحضارات الإنسانية توقفنا على حقيقة كبرى، هذه الحقيقة هي أن مصير الإنسان يتوقف دائماً على أمرين، علاقته بربه، وعلاقته بأخيه الإنسان، والآية الدقيقة التي وردت على لسان سيدنا عيسى:

(وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً)

[سورة مريم:الآية31]

أي هناك حركة نحو الله؛ إيماناً، وطاعة، وعبادة، وتقرباً؛ وهناك حركة نحو الخلق؛ إحساناً، وإيثاراً؛ لذلك تقوم هذه الحضارة على أمرين اثنين، علاقة المرء بربه وعلاقته بأخيه الإنسان، والبعد الروحي والأخلاقي هو المركز والمحور في هاتين العلاقتين، وحين ينحط الإنسان وينحط المجتمع يتحول الإنسان عن عبادة ربه إلى عبادة لذاته وشهواته، وتسود علاقته بالآخرين؛ القوة بدل الرحمة، والقمع بدل التفاهم، وينصرف عن العناية بالروح إلى العناية بالجسد، وعن الاهتمام بالمبدأ إلى الاهتمام بالمصلحة، ويتحول المجتمع كله إلى غابة يشعر فيها كل واحد أن من حقه افتراس الآخرين، كما أنه من الممكن أن يكون فريسة لواحد منهم، هذا هو مجتمع الغاب وهذا يذكر في اللقاءات كثيراً؛ مجتمع الغاب مجتمع الأقوياء، مجتمع القسوة، مجتمع القهر.

الطريق الوحيد للحيلولة دون هذه الحالة؛ يكمن في تدعيم الرقابة الذاتية، وتعزيز علاقة العبد بربه جلّ وعلا، وتحفيز الإرادة الخيرة في الناس؛ وهذا الحل ـ وإن كان مكلفاً على المدى القريب ـ إنه سفينة نوح على المدى البعيد؛ لا يوجد سواه، لن يكون بإمكان أفضل النظم الاجتماعية، ولا بإمكان أقسى العقوبات الصارمة، أن تُقوّم الاعوجاج، ولا أن تملا الفراغ الناشئ عن ذبول الروح، وانحطاط القيم، فالعقوبات الشديدة لا تنشئ مجتمعاً، لكنها تحميه، والنظم مهما تكن محكمة ومتقنة، لن تحول دون تجاوز الإنسان لها، وتأويلها بما يجهضها، وكل الحضارات المندثرة تركت تنظيماتها وأدوات ضبطها خلفها، شاهدة على نفسها بالعقم والعجز.

الأستاذ جمال:

إذاً الموضوع فعلاً يحتاج إلى تأنٍّ، ومراجعة للإنسان مع ذاته، ليقوي صلته بخالقه العظيم، هذه العلاقة القوية مع الله سبحانه تجعل هذه الشحنة الإيمانية تقوى؛ ليكون للإيمان أثر في التقويم الأخلاقي. هناك موضوع خطر ببالي الآن؛ وهو هل من الممكن للشحنة الإيمانية أن تقوى عند الإنسان، ليعيش حياة هانئة سعيدة، وإذا انتقل ـ ولابد أن ينتقل ـ إلى محكمة قاضيها رب العالمين؛ لابدّ من الابتعاد في حياته عن مسألة هامة جداً؛ وهي التعدي على حق الآخرين، أكل حقوق الأيتام، التعدي على الناس

بموضوع اسمه الظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة؛ كيف نبين للأخ المستمع ماهية هذا الموضوع لو سمحت؟

الرادع الحقيقي الضابط لحركة الإنسان هو خشية الله عز وجل :

الدكتور راتب:

سؤال دقيق لكنه يحتاج إلى تمهيد أنت متى تنضبط؟ إذا أيقنت يقيناً قطعياً أن كل خطأ ترتكبه لابد من أن تحاسب عليه؛ بمعنى آخر؛ أن المؤمن ينطلق من أن الله بينه وبين الآخر، فالمؤمن يخشى الله أن يظلم الآخر، يتقرب إلى الله بخدمة الآخر، مادام الله بين شخصين، بين زوجين، بين شريكين، بين جارين، بين أخوين، بين زميلين، مادام الله بينهما، كل طرف يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر، وكل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر؛ لذلك:

((والذي نفس محمد بيده ما تواد اثنان ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما))

[أحمد عن ابن عمر]

وأنت حينما تتحرك دائماً الحركة تنطلق من عقيدة، ومن يقين، أن هذا أخي لو اعتديت عليه؛ فهناك رب سيحاسبني عليه؟

أنا قناعتي أن الشيء الرادع الحقيقي الوحيد هو خشية الله عز وجل، الرادع الحقيقي الضابط لحركة الإنسان؛ الذي يجعل الإنسان يتحرك وفق منهج؛ هو الخوف من الله عز وجل وقد قيل:

((رأس الحكمة مخافة الله))

[رواه البيهقي عن عبد الله بن مسعود]

فالإنسان أحياناً يكون في مجتمع فيه نظام، وعقوبات رادعة، وربما تكون قاسية جداً، فقبل أن يتحرك حركة تخالف المنهج؛ يعد للمليون خوفاً من إنسان، فكيف من الواحد الديان؟ فكيف لمن يراك في بيتك وفي عملك؟ كيف لمن يعلم حقيقة النوايا التي تنطوي عليها؟

الانضباط الحقيقي للإنسان هو انضباط ديني :

أستاذ جمال، أنا لا أرى من ضابط، من رادع، من محفز للاستقامة؛ كالإيمان بالله لأن الله معنا:

(أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً * وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً)

[سورة الإسراء الآيات : 78- 80]

فالإنسان حينما يرى أن الله معه، وأنه سيحاسبه؛ هذا أكبر رادع؛ لأن المشرع معك دائماً، ويعلم الخبايا، والنوايا، والبواعث، والأهداف؛ فلذلك إذا كان التشريع من قبل إنسان، قد يكون هذا المشرع ذكياً، وقد يكون المواطن أذكى منه؛ لذلك مثل بسيط، في أمريكا وضعت لاقطات للسرعات الزائدة، فاخترع جهاز في السيارة ينبهك قبل الوصول لهذه اللاقطات، فهذا التشريع الذكي الذي ترجم بأجهزة حساسة، أتى إنسان آخر ترجمه بشيء معاكس، والآن الدولة هناك تبحث عن جهاز يكشف هذه الأجهزة في السيارات؛ فالمعركة مستمرة؛ إذا كان المشرع من بني البشر والمشرع له من بني البشر فهي إذاً معركة بين عقلين، أما حينما يكون المشرع خالق البشر؛ لا يستطيع الإنسان أن يتحرك لا يمنة ولا يسرة؛ لذلك الانضباط الحقيقي هو انضباط ديني؛ لأن المشرع معك، وأنت في قبضته، وهو على كل شيء قدير، فيبدو أن أحد أسباب الاستقامة عند المؤمنين، أن التشريع من قبل خالقهم، ومن قبل ربهم، وهو معهم أينما كانوا، وهم في قبضته، فلذلك دائماً وأبداً الإنسان يشرع، وقد يأتي من يحتال عليه؛ هذه هي مشكلة الإنسان من أقدم الأزمان.

الأستاذ جمال:

إذاً في ختام لقائنا الإنسان يحتاج إلى هذا الإيمان الذي تتفضل به، وهذه الرقابة الداخلية، وهذا الوازع الداخلي الذي ينعكس على أعماله وصفاته، وبالتالي يعيش إنساناً سعيداً في دنياه، ينعكس هذا على المجتمع فيكون إنساناً صالحاً، وبالتالي يرضي الله سبحانه وتعالى، والناس جميعاً.

تنمية الوازع الديني ضمان لسلامة و استقامة الإنسان :

الدكتور راتب:

الحقيقة أن الوازع الديني أكبر وازع، والرادع الديني أكبر رادع؛ لأنه ـ كما قلت قبل قليل ـ المشرع معك، وأنت في قبضته، لكن إذا كان المشرع إنساناً، فمن يضمن؟ هذا الذي يعجن العجين، الساعة الثانية ليلاً، إذا خالف النظام والقانون من يضمن لنا أن يُحاسب؟ لا يحاسب إلا من قِبَل الله، الذي يراه حين يقوم، إذاً أنت حينما تنمي الوازع الديني في المجتمع؛ عندئذ تضمن النتائج المبهرة.

والله أعلم أن سائقاً وجد في مركبته عشرين مليون ليرة، وبقي أربعة أيام يبحث عن صاحبها، ما الذي يمنعه أن يأخذها؟

الأستاذ جمال:

الإيمان.

الدكتور راتب:

ويحل بها كل مشكلات حياته؟ الإيمان منعه، لكن صاحب هذا المبلغ بعد أن عثر عليه؛ اشترى له مركبة بمليوني ليرة؛ وهذا شيء رائع جداً.

الأستاذ جمال:

أخذ المليوني ليرة حلالاً.

أكبر خصيصة للمؤمن أن الله يراقبه :

الدكتور راتب:

حلالاً،نعم.

لذلك أنا أرى أن الإنسان حينما ننمي فيه الوازع الديني؛ نضمن استقامته، لأنك جعلت خالق الكون رقيباً عليه، يراه حين يقوم، والله مطلع على النوايا، مطلع على كل ما في الإنسان من نوازع، لذلك:

(أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً)

[سورة الإسراء الآية: 78]

الأستاذ جمال:

لأن هذا القرآن يعلم.

الدكتور راتب:

(الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ)

[سورة الشعراء الآيات: 218 - 219]

لذلك الله مطلع علينا، أي أكبر خصيصة للمؤمن أن الله يراقبه، وإذا كان الله يراقبه والله لا يستطيع أن يحيد يمنة ولا يسرة.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (06-18) : العلم و قراءاته
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 04-06-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال شيخ بكري :
دكتور من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم، وأول آية نزلت:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

[سورة العلق الآية : 1]

هناك مفاهيم عظيمة ومدلولات عميقة لأهمية العلم في حياتنا، في وجودنا، كيف نوضح هذه الآية الكريمة وهذا الحديث الشريف؟

الإنسان هو المخلوق المكرم و المكلف و الأول رتبة :

الدكتور راتب:
بارك الله بك أستاذ جمال، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.
أستاذ جمال يقولون: من عرف نفسه عرف ربه، من الإنسان؟ الإنسان هو المخلوق الأول رتبة، لقوله تعالى:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ)

[سورة الأحزاب الآية : 72]

والإنسان هو المخلوق المكرم، لقوله تعالى :

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)

[سورة الإسراء الآية : 70]

والإنسان هو المخلوق المكلف، لقوله تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات الآية : 56]

والعبادة في أدق معانيها، طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، لكن ما من صفة في الإنسان إلا وفي الحيوان صفة تفوقه بها، من حيث الوزن، والسرعة، والطعام، والشراب، إلى آخره، مثلاً الحوت الأزرق الذي يزن مئة وخمسين طناً، ويستخرج منه ما يقدر بخمسين طناً لحماً، وخمسين طناً دهناً، وخمسين طناً عظماً، وتسعين برميل زيت، والإنسان يقف في فمه، وجبته المعتدلة بين الوجبتين أربعة طن، يأكل ثلاث وجبات، يرضع صغيره ثلاثمئة كيلو في الرضعة الواحدة، ثلاث رضعات طن من الحليب، فما من صفة في الإنسان إلا في الحيوان صفة تفوقه بها، الكلب شمه مليون ضعف الإنسان، الصقر يرى ثمانية أمثال الإنسان، لكن الإنسان انفرد من بين المخلوقات كلها بقوة إدراكية، أودعها الله فيه، هذه القوة الإدراكية غذاؤها العلم، فالإنسان ما لم يبحث عن الحقيقة، ما لم يطلب العلم، هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به.

ارتباط القراءة في الإسلام بهدفٍ سامٍ و هو الإيمان بالله عز وجل :

لذلك أول كلمة في أول آية في أول سورة نزلت هي: اقرأ، إلا أن القراءة في الإسلام مربوطة بهدف:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

[سورة العلق الآية :1]

أي اقرأ من أجل أن تؤمن، اقرأ من أجل أن تعرف الله، اقرأ من أجل أن تعرف المنهج، اقرأ من أجل أن تنضبط، اقرأ من أجل أن تتقرب إلى الله، أي

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

لكن هناك علم ممتع نافع، قد يحمل طبيب اختصاصاً نادراً، دخله اليومي فلكي، فعلم الطبيب ممتع ونافع، أما أي علم لو قرأ الإنسان الأوديسا والإلياذة شعر قديم ممتع، فكل علم ممتع لكن هناك علم ممتع نافع، إلا أن معرفة الله علم ممتع نافع مسعد في الدنيا والآخرة، لذلك ربط الله عز وجل القراءة بالإيمان، أي

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

هناك آيات في خلق الإنسان مذهلة، في شبكية العين بالميليمتر المربع مئة مليون مستقبل ضوئي، بينما في أعلى آلة تصوير رقمية احترافية، يوجد بالميليمتر عشرة آلاف مستقبل ضوئي.

الإنسان لو ذهب إلى فنلندا، والحرارة سبعون تحت الصفر، كل شيء يتجمد وفي عينه ماء إذاً ينبغي أن يفقد الإنسان بصره، لذلك أودع الله في ماء العين مادة مضادة للتجمد.

برأس الإنسان ثلاثمئة ألف شعرة، لكل شعرة شريان، ووريد، وعصب، وعضلة، وغدة دهنية، وغدة صبغية، آلية الشم، آلية الرؤية، آلية السمع، آلية البصر، آلية الذوق، في الإنسان أجهزة حتى إنه قد قيل:

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

***

أستاذ جمال للتقريب، إنسان يمشي في الطريق، استمع إلى صوت بوق مركبة، ينحرف يساراً، لمَ انحرف يساراً ولم ينحرف يميناً؟ لأن في دماغ الإنسان جهازاً بالغ التعقيد، يحسب هذا الجهاز التفاضل بين صوت الشيء الذي دخل إلى الأذنين، وبينهما واحد على ألف وستمئة وعشرين جزءاً من الثانية، إذاً أنت بالأذنين تعرف جهة الصوت، وبالعينين تدرك البعد الثالث.

آيات الله عز وجل آيات معجزة :

في الإنسان دقائق من خلقه مذهلة، لذلك الله عز وجل قال له:

(اقْرَأْ)

أي تعلم، لكن أقرب آية إليك نفسك التي بين جنبيك، أقرب آية إليك هذا الجسم بحواسه الخمس، بالأعضاء، والعضلات، والجهاز العظيم، هذا الجسم معجزة قائمة، فلذلك:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

تعلم من خلال عظمة هذا الخلق، أستاذ جمال قال تعالى:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

[سورة فصلت الآية : 53]

في الآفاق آيات مذهلة، بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب إلى الأرض أربع سنوات ضوئية، وابنك الصغير اليوم بإجراء على الآلة الحاسبة يحسب كم هي المسافة بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب.

الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر كم يقطع بالدقيقة؟ ضرب ستين، كم يقطع بالساعة؟ أيضاً ضرب ستين، كم يقطع في اليوم؟ ضرب أربع وعشرين، كم يقطع في السنة؟ ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين، كم يقطع في أربع سنوات؟ ضرب أربعة، أي إن أردنا أن نصل إليه بمركبة أرضية سرعتها مئة متى نصل إليه؟ نحتاج إلى خمسين مليون عام، متى نصل إلى نجم القطب بعده عنا أربعة آلاف سنة؟ متى نصل للمرأة المسلسلة التي تبعد عنا مليوني سنة ضوئية؟ متى نصل إلى أحدث نجم اكتشف حديثاً؟ أربع وعشرين مليار سنة ضوئية، أربع سنوات ضوئية تحتاج إلى سير بمركبة

أرضية ما يقدر بخمسين مليون سنة إذاً متى نصل إلى هذا النجم الذي يبعد عنا أربع و عشرين مليار سنة ضوئية؟ الآن الآية الكريمة، قال تعالى :

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ *)

[سورة الواقعة الأيات : 75-76]

لذلك:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر : الآية 28]

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل .

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور طالما نتحدث عن العلم، هناك حصيلة علمية يكسبها الإنسان في حياته، لكن ألا يحتاج هذا العلم إلى قيم أخلاقية تعطي النتيجة الحقيقية لأهمية هذا العلم؟

حاجة العلم إلى القيم الأخلاقية ليبتعد عن القتل و التدمير :

الدكتور راتب:

هل تريد أستاذ جمال أن ترى علماً بلا قيم؟ حينما تفوق الغرب، وصنعوا القنابل الفسفورية، والانشطارية، والعنقودية، والقنابل الحارة، والخارقة، والقنابل التي تركب أشعة الليزر، هذا كله علم دقيق جداً لكن هذا العلم من أجل تدمير الإنسان، لذلك في سورة:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

قال: هناك قراءة بحث وإيمان، وهناك قراءة شكر وعرفان، وهناك قراءة وحي وإذعان، وهناك قراءة طغيان وعدوان، من هؤلاء الذين طغوا وتجاوزوا الحدود ضرب الله عز وجل لنا مثلاً عنهم قوم عاد، قال تعالى:

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ* أرم ذَاتِ الْعِمَادِ *الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)

[سورة الفجر]

أي هؤلاء القوم كانوا أقوياء لدرجة أنه ليس بينهم وبين الله أحد، ما الدليل؟ الدليل أن الله ما أهلك قوماً إلا ذكرهم أنه أهلك من هو أشد منهم قوة إلا عاداً حينما أهلكها قال تعالى:

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً)

[سورة فصلت الآية : 15]

تفوق قوم عاد في شتى المجالات :

إذاً قوم عاد كانوا أقوياء، طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، أي طغوا بأسلحتهم الفتاكة، وأفسدوا بفنونهم الإباحية، و قوم عاد مثال نموذجي، هناك عاد ثانية، وثالثة، ورابعة، إذاً ماذا فعلوا؟

(طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ)

ما خصائصهم؟ قال تعالى:

(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ)

[سورة الشعراء الآية : 128]

التفوق الأول عمراني كبير جداً، وهناك تفوق صناعي:

(وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)

[سورة الشعراء الآية : 129]

وتفوق عسكري:

(وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ)

[سورة الشعراء الآية : 130]

و تفوق علمي:

(وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ)

[سورة العنكبوت الآية : 38]

وكان مع كل هذا التفوق غطرسة:

(مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)

[سورة فصلت الآية : 15]

تفوقت علمياً، تفوقت عمرانياً، صناعياً، عسكرياً، بنيانياً، ومع كل هذا التفوق غطرسة، ولم يخلق مثلها في البلاد.

الأمم الطاغية ينتهي أجلها وتنتهي حضارتها وتبقى جرائمها :

بماذا أهلكهم الله عز وجل؟

(فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)

[سورة الحاقة الآيات : 6-7]

إذاً الله عز وجل ضرب لنا مثلاً قوم عاد للأمة الطاغية التي تبني مجدها على أنقاض الآخرين، على أنقاض الشعوب، وتبني غناها على إفقار الشعوب، وتبني ثقافتها على محو ثقافات الشعوب، وتبني

عزها على إذلال الشعوب، هذه القوة الطاغية ولو أنها لوقت ما ليس بينها وبين الله أحد، إلا أن الله عز وجل يقول:

(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ)

[سورة الأعراف الآية : 34]

وينتهي أجلها، وتنتهي حضارتها، وتبقى جرائمها.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

فعلاً موضوع العلم يستحق أن نتوقف عنده لما له من أهمية في حياتنا، لا يمكن أن تنجح الأمم إلا بالعلم، والتفوق، ومختلف صنوف هذا العلم، تفضلت وتحدثت عن هذا الموضوع، إلى أين وصلنا في محاورنا؟

العلم بحدّ ذاته قيمة مطلقة و قراءاته هي :

الدكتور راتب:

هو أولاً كما تفضلت قالوا في القرآن الكريم المطلق على إطلاقه، فإذا قال الله عز وجل:

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

[سورة الزمر الآية : 9]

العلم هنا مطلق، أي العلم بحد ذاته قيمة مطلقة.

1 ـ قراءة البحث و الإيمان :

لذلك الله عز وجل لما قال:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

[سورة العلق الآية : 1]

قراءة البحث والإيمان لكن:

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)

[سورة العلق الآية : 3]

ما معنى وربك الأكرم؟ الله عز وجل تفضل علينا بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والرشاد، هذه كلها من فضل الله علينا، أنت موجود وهذه نعمة الإيجاد، وقد أمدك الله بالطعام، والشراب، والهواء، والزوجة، والولد، وبكل الحاجات التي بين يديك، وتفضل علينا بأن بعث الأنبياء والرسل، ليدلنا إلى الطريق إليه وإلى سعادة الآخرة، إذاً نقرأ لنؤمن، ونقرأ لنشكر، لذلك قال تعالى:

(مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا)

[سورة النساء الآية : 174]

أي لأن هذا الكون مسخر لنا تسخير تعريف وتكريم، ردّ فعل التعريف أن تؤمن، وردّ فعل التكريم أن تشكر، لمجرد أنك آمنت وشكرت حققت الهدف من وجودك، وإذا حُقق الهدف من الوجود تتوقف كل أنواع المعالجة، قال تعالى:

(مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا)

[سورة النساء الآية : 174]

خلقكم ليرحمكم، فالقراءة الأولى قراءة البحث والإيمان، اقرأ، تعلم، اطلب العلم، من أجل أن تؤمن بالواحد الديان، من أجل أن تعرفه، أن تصل إليه، أن تسعد بقربه.

2 ـ قراءة الشكر والعرفان :

والآن اقرأ قراءة ثانية من أجل أن تشكره، لأنه منحك نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والرشاد، وكأن علة وجود الإنسان أن يعبده، وبالعبادة يكون شاكراً له، والآية الفيصل في هذا الموضوع:

(مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا)

[سورة النساء الآية : 174]

فالإيمان والشكر علة وجودنا في الأرض، هذه القراءة الثانية قراءة الشكر والعرفان، القراءة الأولى قراءة البحث والإيمان، والقراءة الثانية قراءة الشكر والعرفان.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور قال تعالى:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية : 28]

تتحقق الخشية وكلما تعلم الإنسان ازداد مخافة من الله، إنه يعلم تماماً حقيقة الخلق، كيف نفسر:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

قضايا الدين تصنف في ثلاث دوائر هي :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال جزاك الله خيراً، الله عز وجل قال:

(لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ)

[سورة الأنعام الآية : 103]

لذلك بحواسنا الخمس لا يمكن أن نرى الله ولكن العقول تصل إليه، فلذلك الإيمان بالله هو إيمان استدلالي، لأن هناك ثلاث دوائر في حياتنا.

1 ـ دائرة المحسوسات :

دائرة اليقين الحسي، الأشياء المادية التي ظهرت عينها وآثارها، وأداة اليقين بها الحواس الخمس، واستطالتها كالميكروسكوب والتليسكوب مثلاً .

2 ـ دائرة المعقولات :

لكن هناك أشياء غابت عينها وبقيت آثارها، كالكهرباء، مثلاً أنت لا ترى الكهرباء ولكن ترى مصباحاً متألقاً، ومروحة تدور، وصوتاً يكبر، هذه آثار الكهرباء، فإذا غابت عينها وبقيت آثارها، أداة اليقين بها العقل، العقل يحتاج إلى شيء ملموس غابت عينه وبقيت آثاره، يكتشف الحقيقة من خلال الآثار، فالتسيير يدل على المُسيّر، والخلق يدل على الخالق، والحكمة تدل على الحكيم، وهكذا.

الحلقة الثانية في المعرفة دائرة المعقولات، أداة اليقين بها العقل، أستاذ جمال أول دائرة المحسوسات، أداة اليقين بها الحواس الخمس واستطالاتها، أما الدائرة الثانية دائرة المعقولات أداة اليقين بها العقل، لكن لا بد في هذه الدائرة من شيء مادي يستنبط منه الشيء الذي غاب عنا، أوضح مثل وجود الله عز وجل، كل هذا الكون ينطق بوجوده، ووحدانيته، وكماله، الأبصار لا تدركه ولكن العقول تصل إليه، هذه المعرفة الثانية.

3 ـ دائرة الإخباريات :

المعرفة الثالثة شيء غابت عنا عينه وغابت آثاره، ولا سبيل إلى اليقين به إلا الخبر الصادق، فأنت إذا كنت عند صديق لك وهناك خزانة مغلقة، مهما تكن عبقرياً لن تعرف ماذا في الخزانة، لكن الصديق لا يكذب أبداً، سألته عما فيها فقال: دفاتر حسابية قديمة، إذاً عندنا دائرة ثالثة اسمها دائرة الخبر الصادق، فنحن إيماننا جزء منه عقلي، وجزء منه إخباري، يسميها علماء العقيدة المسموعات، الإخباريات، لكنني أنا أنصح أخوتنا المستمعين أنك حينما تحاور إنساناً اهتز عنده الإيمان بالله ألا تلقي على سمعه الإخباريات، لأنه لا دليل لها إلا إخبار الله عنها، فإذا قال لك أحدهم أين الملائكة؟ وما الدليل على وجودهم؟ ليس معك دليل، الدليل أن الله أخبرنا، ما الدليل على وجود الجن؟ لا دليل إلا أن الله أخبرنا.
إذاً بهذه المقدمة أبين أن هناك دائرة المحسوسات أداة اليقين بها الحواس الخمس واستطالتها، ودائرة المعقولات وأداة اليقين بها العقل، ولكن يحتاج إلى منطلق مادي، يحتاج إلى شيء ظاهر، والدائرة الثالثة دائرة الإخباريات أداة اليقين بها الخبر الصادق.

التفكر في خلق السماوات والأرض أحد الطرق السالكة لمعرفة الله :

لذلك الله عز وجل أمرنا أن نتفكر في خلق السماوات والأرض، لأن هذا الكون من آثار الله عز وجل، بل هو الثابت الأول في الحياة، إذاً التفكر في خلق السماوات والأرض أحد الطرق السالكة لمعرفة الله، لذلك قال تعالى:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران الآيات : 190-191]

إذاً من أجل أن نعرف الله ينبغي أن تفكر في خلق السماوات والأرض.

4 ـ قراءة الوحي والإذعان :

لذلك هناك قراءة البحث والإيمان، والقراءة الثانية قراءة الشكر والعرفان، وفي النهاية هناك قراءة الوحي والإذعان، فالذي عجز عقلك عن إدراكه أخبرك الله عز وجل به، وأوضح مثل عندك ميزان غال جداً، فيه ذواكر، وفيه حسابات دقيقة، لكن هذا الميزان مصمم لبقالية، أي حدود استعماله من خمس

غرامات لخمسة كيلو غرام فقط، إن أردت أن تزين به مركبة حطمته، المركبة كتب وزنها على مكان في هيكلها، إذاً هناك أشياء العقل لا يستوعبها يأتي الخبر الصادق فيبين لنا ذلك.

إذاً هناك قراءة البحث والإيمان، وهناك قراءة الشكر والعرفان، وهناك قراءة الوحي والإذعان.

5 ـ قراءة العدوان و الطغيان :

وهناك قراءة العدوان والطغيان ونعوذ بالله منها.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

أيها الأعزاء إذا إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، إذاً هذه هي نتيجة الكلام مع الدكتور محمد راتب النابلسي، دكتور كيف نختم حديثنا في هذا الموضوع الشيق الذي هو السبيل الأقوى لمعرفة الله عز وجل ؟

العلم قيمة حيادية قد يكون أداة خير وقد يكون أداة شر :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال كما في الآية الكريمة هناك قراءة البحث والإيمان، وقراءة الشكر والعرفان، وقراءة الوحي والإذعان، وقراءة العدوان والطغيان، فالعلم قد يكون أداة خير وقد يكون أداة شر، هو قيمة حيادية، لذلك هناك العدوان والطغيان عن طريق العلم، فالقنابل الفسفورية، والانشطارية، والعنقودية، والقنابل الحارقة والخارقة، هذه الأسلحة التي تكلف البشرية أموالاً طائلة لو أنفقت على خير البشرية لكان الناس في حال آخر، لكن هذه حقيقة الإنسان، الإنسان يؤمن فيسمو ويرقى، يبتعد عن الله فيكون مجرماً بحق البشرية، لذلك قال تعالى:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ*عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ* كَلَّا)

[سورة العلق الآية : 1-6]

كلا أداة ردع:

(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى)

[سورة العلق الآية : 6]

بالعلم، فهذه القنابل المخيفة، هذه الأسلحة الجرثومية الكيماوية، هذه الأسلحة الفتاكة، التي تلغي الاتصالات، تلغي الطاقات، هذه الأسلحة التي جهد بها أعداؤنا لمئات السنين، فلما ملكوها فرضوا على البشرية إباحيتهم، وثقافتهم، هذه نحن قصرنا في تحصيلها، لذلك قال تعالى:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)

[سورة الأنفال الآية : 60]

فالقوي مرهوب الجانب، وقد يمتلك سلاحاً نووياً لا يستخدمه لمئة عام، لكن هذا السلاح لوجوده بين يديه، يغدو مرهوب الجانب.

الحق لا يحصن إلا بالقوة :

لذلك أنا أتمنى أن الحق لا يحصن إلا بالقوة، هم في الغرب يؤمنون أنك إذا كنت قوياً فأنت على حق، هذه مقولة مرفوضة لكن في وحي السماء الحق ما جاء به وحي السماء ولكن يحتاج إلى قوة، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

وأنا أقول: إذا كان طريق القوة، القوة تعني العلم، وتعني المال، وتعني المنصب، فإذا كنت قوياً في مالك فتحت الجامعات، وأنشأت المستشفيات، وفعلت الخيرات، وأطعمت الجياع، وزوجت الشباب، هناك أعمال لا يعلمها إلا الله تكون عن طريق المال، وبالعلم أيضاً تنير العقول، وتضيء السبيل، وتأتي قوة القرار، بجرة قلم تحق حقاً وتبطل باطلاً، وتقر معروفاً وتزيل منكراً، لذلك العلم يحتاج إلى قوة، والإيمان يحتاج إلى قوة، هم يرون أنك إذا كنت قوياً فأنت على حق، لكن نحن نقول: ما دام الوحي من السماء إذا طبقته فأنت على حق، ولكن الحق يحتاج إلى قوة، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (07-18) : تفسير سورة العصر

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 11-06-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور من أين نبدأ في تفسير هذه الآية الكريمة؟

(وَالْعَصْرِ*إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

سورة العصر منهج قويم للإنسان في علاقته بربه :

الدكتور راتب:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات. أستاذ جمال، جزاكم الله خيراً سألتني من أين نبدأ؟ أقول لك: نبدأ من قول الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ قال عن هذه السورة: "لو أن الناس تدبروا هذه السورة لكفتهم"، ونبدأ أيضاً من أن الصحابة الكرام ما تفرقوا إلا من بعد أن يقرؤوا هذه السورة، ولعل هذه السورة ـ إن صحّ التعبير ـ جامعة مانعة، ولعل هذه السورة منهج قويم لهذا الإنسان في علاقته بربه، السبب أن هذا الإنسان من أدق أدق تعريفاته، وهذا التعريف للإمام الجليل الحسن البصري، يعرف الإنسان بأنه بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، فالإنسان في نص هذا التعريف زمن، والزمن أستاذ جمال هو البعد الرابع للأشياء، النقطة إذا تحركت رسمت خطاً، والخط إذا تحرك رسم سطحاً، والسطح إذا تحرك شكّل حجماً، والحجم إذا تحرك شكّل زمناً، فالزمن هو البعد الرابع، أي هناك طول وعرض وارتفاع وزمن، فالزمن مفهومه دقيق جداً، الزمن مرتبط بالحركة، لأن هذا الكون يتحرك إذاً هناك زمن، فالإنسان زمن، بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا بن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

الإنسان هو المخلوق الأول رتبة :

الله عز وجل يخاطب هذا الإنسان، هذا الإنسان هو المخلوق الأول رتبة لقوله تعالى:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ)

[سورة الأحزاب: 72]

المخلوق الأول رتبة، سيدنا علي يقول: رُكّب الملَك من عقل بلا شهوة، وركّب الحيوان من شهوة بلا عقل، وركّب الإنسان من كليهما، فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان.

فالإنسان هو المخلوق الأول، ولأنه زمن ـ هنا الشاهد ـ أقسم الله له بمطلق الزمن:

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

[سورة العصر: 1-2]

جواب القسم: أن الإنسان خاسر لا محالة، السؤال يا رب لماذا هو خاسر؟ فهنا الجواب لأن مضي الزمن يستهلكه فقط، أنا بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع مني، فمضي الزمن وحده يستهلك الإنسان، فلذلك أقسم الله بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول عند الله رتبة، الذي هو في حقيقته زمن، هو زمن وأقسم له بالزمن، قال: أنت زمن وأقسم لك بالزمن أنك خاسر لا محالة، لأن مضي الزمن وحده يستهلكك، كل واحد منا يولد، يكبر، بالسابعة عشرة، بالعشرين، بالثلاثين، بالأربعين، بالسبعين، ثم تأتي نعوته، هو بضعة أيام، لكن الله جلّ جلاله أكّد لهذا الإنسان أنك خاسر لا محالة، والإنسان كما ترى أستاذ جمال قد يسعى ويسعى في الدنيا، يصل إلى مستوى معين من الدخل، من المكانة، بثانية واحدة يفقد كل شيء، إذا توقف قلبه، أو تجمد الدم في عروقه، أو نمت خلاياه نمواً عشوائياً، أصبح خبراً بعد أن كان رجلاً، تكتب نعوته وتلصق على الجدران، فالإنسان بلحظة واحدة لا يدري متى يكون رجلاً ملء السمع والبصر فإذا هو خبر على الجدران، لذلك الله عز وجل حينما قال:

(وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ)

[سورة المؤمنون: 44]

كانوا قوماً عتاة جبابرة فأصبحوا أحاديث، والإنسان مهما علا، مهما امتد به العمر، مهما قوي، مهما اغتنى، مهما سيطر، في لحظة واحدة يفقد كل شيء ويصبح خبراً، لذلك أقسم الله لهذا الإنسان، لهذا الإنسان الأول عنده، المخلوق الأول أقسم له بمطلق الزمن، وهو البعد الرابع للأشياء.

البطولة والذكاء أن يكتشف الإنسان حقيقة الكون والدنيا ونفسه قبل فوات الأوان :

بالمناسبة أينشتاين اكتشف السرعة المطلقة في الكون هي سرعة الضوء، الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر، أي جسم سار مع الضوء أصبح ضوءاً، وأي جسم إذا سار بهذه السرعة توقف الزمن، هذا اللقاء الطيب يصدر عنه إشعاعات، لو إنسان ركب هذه الإشعاعات، يرى هذا المنظر إلى أبد الآبدين، لو أن الإنسان سار مع الضوء توقف الزمن، فإن سبق الضوء تراجع الزمن، نظرية محضة، لو تمكنت أن أركب مركبة سرعتها أكبر من الضوء لرأيت غزوة بدر بعينه، لو سبق الضوء تراجع الزمن، لو قصر عن الضوء تراخى الزمن، لو سار مع الضوء توقف الزمن، هذه النظرية جاء بها أينشتاين، يعد هذا العالم الكبير قد أحدث في الفيزياء تطورات جذرية، حينما اكتشف السرعة المطلقة للأشياء، إنها سرعة الضوء، فالله عز وجل قال:

(والْعَصْرِ)

[سورة العصر: 1]

أقسم بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول رتبة عنده، الذي هو في حقيقته زمن، أقسم له بمطلق الزمن، وجواب القسم:

(إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

[سورة العصر: 2]

كل مكتسباته يفقدها في ثانية واحدة، كل مكانته يفقدها في ثانية واحدة، كل هيمنته يفقدها في ثانية واحدة، كل ثروته يفقدها في ثانية واحدة، فلذلك البطولة، والعقل، والذكاء، أن يكتشف الإنسان حقيقة الكون، وحقيقة الدنيا، وحقيقة نفسه، هو كائن يعد بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، خلق لجنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

إذاً القسم من الله عز وجل بالعصر لينتبه الإنسان إلى موضوع الزمن.

مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي كونوا معنا أيها الأعزاء في تفسير سورة العصر:

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

كيف نتابع مجريات هذه الآيات العظيمة جداً؟

الإنسان خاسر لا محالة لأن مضي الزمن يستهلكه :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال ينبغي أن يعلم الإنسان أنه خاسر بمعنى أن مضي الزمن وحده يستهلكه، لأنه بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، الإنسان كائن متحرك إلى هدف ثابت، فكل دقيقة تمضي تقربه من هذا الهدف، تماماً كراكب القطار، المحطة النهائية بعد مئة كيلو متر، فإذا نظر هذا الراكب إلى ساعته، كل دقيقة تمضي تقربه من الهدف، فهو بضعة أيام، إذاً أقسم الله بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول رتبة الذي هو في حقيقته زمن، أقسم له بمطلق الزمن وجاء جواب القسم أن الإنسان خاسر لا محالة، لأن مضي الزمن يستهلكه، والذي نراه كل يوم الإنسان يتحرك، يجمع المال، يصل إلى أعلى المراتب، يسكن في أجمل البيوت، يقتني أجمل المركبات، يسافر ثم تأتيه المنية فإذا هو تحت الأرض، لو وازنا بين بيته الذي يسكنه وبين القبر الذي آل إليه، لوجدنا أن المسافة كبيرة جداً، من قصر منيف، بيت مساحته مئتا متر، من مركبة، من زوجة، من أولاد، من سفر، من إقامة بالفنادق، من حفلات، إلى قبر تحت الأرض.

بطولة الإنسان أن يتكيف مع أخطر حدث مستقبلي ألا وهو مغادرة الدنيا :

أستاذ جمال تعلمنا في الجامعة أن الذكاء هو التكيف، الذكاء بحث طويل وله مئات التعاريف، لكن ما رأيت تعريفاً للذكاء جامعاً مانعاً كهذا التعريف، إنه التكيف، التكيف مع ماذا؟ مع أخطر حدث مستقبلي، هو مغادرة الدنيا، أي هل يستطيع إنسان على وجه الأرض أن ينكر حدث الموت؟ ما من حدث واقعي كحدث الموت، فالموت مصير كل حي، كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت :

والليل مهما طال فلابد من طلوع الفجر   والعمر مهما طال فلابد من نزول القبر

***

و كل ابن أنثى و إن طالت سلامته   يوماً على آلة حدباء محمول

فإذا حملت إلى القبــور جنازة   فاعلم بأنك بعدهـا محمول

***

أستاذ جمال، الأذكياء والعقلاء يعيشون المستقبل، والأقل عقلاً يعيشون الحاضر، والأغبياء يتغنون بالماضي، فالبطولة أن تعيش المستقبل، وأخطر حدث مستقبلي مغادرة الدنيا، ولهذا قدّم الله الموت على الحياة، قال في الآية الكريمة:

(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)

[سورة الملك: 2]

السبب أنت حينما تبدأ الحياة أمامك خيارات لا تعد ولا تحصى، أما حينما يأتي ملك الموت فأنت أمام خيارين لا ثالث لهما، إما إلى جنة يدوم نعيمها، أو إلى نار لا ينفد عذابها، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، إذاً:

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

[سورة العصر: 1-2]

الذكي و العاقل :

أستاذ جمال، الإنسان إن لم يعرف ربه، إن لم يعرف سرّ وجوده، إن لم يعرف غاية وجوده، إن لم يسأل ماذا بعد الموت؟ من أين وإلى أين ولماذا ؟ مقامر ومغامر، ماذا عند الموت؟ ماذا بعد الغنى؟ ماذا بعد القوة؟ ماذا بعد المتع؟ ماذا بعد الشهوات؟ ماذا بعد الانغماس بالملذات؟ بعدها الموت، ماذا أعددنا لهذه الساعة؟ هنا البطولة، لذلك الأغبياء يعيشون الماضي، والأقل غباءً يعيشون الحاضر، والأذكياء يعيشون المستقبل.

ولا بدّ من التفرقة لأخوتنا المستمعين بين الذكي وبين العاقل، ما كل ذكي بعاقل، قد يبرع الإنسان باختصاص ما فيسمى ذكياً، لكن العاقل الذي عرف سرّ وجوده، وعرف غاية وجوده، وعرف حقيقة الحياة الآخرة، وعرف ما بعد الموت، إذاً الإنسان مهما تفوق، مهما علا شأنه، مهما جمع من أموال طائلة، مهما انغمس بالمتع الحسية، سوف يغادر الدنيا إلى ما لا رجعة، في بعض الدول التي تعد الإقامة فيها مغنماً كبيراً هناك كلمة توضع على الجواز، إذا قرأتها صاحب الجواز انخلع قلبه: مغادرة بلا عودة، والموت مغادرة بلا عودة، ونحن نرى كل يوم أصحاب الحظوظ العالية من الدنيا كيف يموتون، وكيف ينتقلون من بيتهم الرائع إلى قبر صغير، ماذا في القبر؟ لذلك ورد أن أصعب ليلة للميت الليلة الأولى، قال: هناك من ينادي الميت: أن عبدي رجعوا وتركوك، وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبقَ لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت.

المؤمن يعيش المستقبل :

إذاً:

(والْعَصْرِ)

[سورة العصر: 1]

أقسم بمطلق الزمن، لهذا المخلوق الأول، الذي هو في حقيقته زمن، جاء جواب القسم إنك أيها الإنسان خاسر لا محالة لأن مضي الزمن يستهلكك، ولا يستطيع إنسان في الأرض مؤمن كان أو غير مؤمن أن ينكر حدث الموت، لكن قد تسألني أستاذ جمال ما دام كل البشر موقنون بالموت، بماذا يتفاوتون؟ يتفاوتون بمدى الاستعداد له، المؤمن يستعد لهذه اللحظة، لذلك دائماً وأبداً المؤمن يعيش المستقبل، كالطالب تماماً يعيش الامتحان من أول العام، فإذا جاء الامتحان لا يفاجأ، هو يعد له العدة، ويعيش له طوال العام، ولا أنسى، مرة سُئل طالب حقق الدرجة الأولى في الشهادة الثانوية، كيف نلت هذا المجموع؟ قال: لأن لحظة الامتحان لم تفارق مخيلتي ولا ثانية في أثناء العام الدراسي.

والإنسان عندما لا ينسى هذه اللحظة، يوم يسأل عن كل كلمة قالها، وعن كل موقف، وعن كل عطاء، وعن كل منع، وعن كل غضب، وعن كل رضا، لماذا فعلت هذا؟ الإنسان حينما يستدعى ليسأل من قبل إنسان لكنه قوي لا ينام الليل، من قبل إنسان من بني جلدته لكنه أقوى منه لا ينام الليل، فكيف إذا كان الاستدعاء للواحد الديان ليسألك عن كل صغيرة وكبيرة؟ وعن كل حركة وسكنة؟ وعن كل عطاء ومنع؟ وعن كل رضا وغضب؟ لماذا فعلت هذا؟

(فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

[سورة الحجر: 92-93]

محاسبة الله عز وجل للإنسان يوم القيامة محاسبة شديدة :

لذلك:

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى)

[سورة القيامة: 36]

هؤلاء الذين يقصفون البلاد، يقصفون الدول، يقصفون الشعوب، يحتلون الأراضي، يسفكون الدماء، هؤلاء غابت عنهم حقيقة خطيرة أن الله عز وجل سيحاسبهم أشد الحساب:

(وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ)

[سورة إبراهيم: 42]

(فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)

[سورة إبراهيم: 47]

(لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ*مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)

[سورة آل عمران: 196-197]

هؤلاء الذين يبنون مجدهم على أنقاض الشعوب، على حريات الشعوب، على رزق الشعوب، هؤلاء الذين يبنون أمجادهم على الآخرين، هؤلاء سيلقون من الله حساباً دقيقاً جداً.

الموت ينهي كل شيء :

إذاً الله عز وجل قال:

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا)

أستاذ جمال، رحمة الله في إلا، هذا الاستثناء فيه رحمة كبيرة، أي شيء تأكله ينتهي عند الموت، أي مكان تسكنه ينتهي عند الموت، أي مكانة ترتقي إليها تنتهي عند الموت، الموت ينهي كل شيء، ينهي قوة القوي، وضعف الضعيف، وغنى الغني، وفقر الفقير، ووسامة الوسيم، ودمامة الدميم، وصحة الصحيح، الموت ينهي كل شيء، قطع، لذلك لأن الموت ينهي كل شيء صار الإنسان خاسراً، فكل متع الدنيا، وكل المكاسب، وكل الميزات، هذه منوطة بضربات القلب، فإذا توقفت هذه الضربات انتهى كل شيء، وكل هذه المكاسب والإمكانات مرتبطة بنمو الخلايا، فإذا نمت نمواً عشوائياً انتهى الإنسان، وكل هذه المكاسب مرتبطة بسيولة الدم، فإذا تجمد الدم في الأوعية انتهت حياة الإنسان، الله عز وجل يقول:

(وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

والذي يلفت النظر أن هذه الكلمات الأربعة هي أركان النجاة، كما سماها الإمام الشافعي، أي لا بدّ من أن تعرف الحقيقة، ولابدّ من أن تعمل وفقها، ولابدّ من أن تدعو إليها، ولابدّ من أن تصبر على البحث عنها، والعمل بها، والدعوة إليها، لذلك هناك عمل يقوم به الإنسان ينتهي عند الموت، ما الذي أكلته؟ ما الذي شربته؟ إلى أين سافرت؟ ماذا فعلت؟ أين سكنت؟ ماذا أنفقت؟ هذه كلها مستهلكات، قال تعالى:

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ)

[سورة الكهف:46]

بعضهم قال: الباقيات الصالحات، الأعمال الصالحة.

إنفاق الإنسان الوقت استهلاكاً أو استثماراً :

الآن أنت أمام منطقة دقيقة جداً، فكل عمل يؤدي بي إلى الخسارة، لأنه ينتهي عند الموت، لكن حينما أفعل في الزمن الذي سينقضي عملاً ينفعني بعد انقضاء الزمن، أكون عاقلاً، لذلك الإنسان إما أن ينفق وقته استهلاكاً، أو أن ينفق وقته استثماراً، والفرق كبير جداً، معظم الناس ينفقون وقتهم استهلاكاً، يأكلون، ويشربون، ويتمتعون، ويغفلون عن حالة صعبة جداً عند مغادرة الدنيا، إلى أين، ماذا بعد الموت؟ ماذا في القبر؟ ماذا يوم القيامة؟ أين المصير؟ لذلك قال تعالى:

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

[سورة العصر: 3]

الأستاذ جمال شيخ بكري :

إذاً إلى أين المصير؟ إلى محكمة قاضيها رب العالمين كما يشير الدكتور محمد راتب النابلسي حول تفسير الآية الكريمة:

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

دكتور كيف نختتم حلقتنا بهذا الموضوع الشيق والهام مصير الإنسان إلى أين؟

المؤمن يستثمر الوقت لا يستهلكه لينجو من عذاب الله عز وجل :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال، رحمة الله في إلا، أي أنت بما بعد إلا تلغي الخسارة، الإنسان خاسر لا محالة إلا أنه بإمكانه أن يتلافى هذه الخسارة إذا فعل ما بعد إلا، إذا فعل ما بعد إلا فهو يستثمر الوقت، لا يستهلكه، لذلك الناس إما أن يستهلكوا الوقت أو يستثمرونه، استثمار الوقت أن تفعل في الزمن الذي سينقضي عملاً ينفعك بعد انقضاء الزمن، ودائماً بالمنطق التجاري أي تاجر ينفق من رأسماله سوف ينتهي، أما بطولة التاجر أن ينفق من ريع رأسماله، فالمؤمن يستثمر الوقت لا يستهلكه، يستثمر الوقت، استثمار الوقت أن أفعل وأنا في الدنيا عملاً ينفعني بعد الموت، ما الأعمال التي تنفعني بعد الموت؟ أربعة أعمال لا بدّ منها جميعاً، ليست واحدة تكفي،

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)

عرفوا الحقيقة، عرفوا سرّ وجودهم، عرفوا حقيقة الكون، عرفوا حقيقة الحياة الدنيا، عرفوا حقيقة الإنسان، عرفوا مهمته في الدنيا، عرفوا ماذا بعد الموت، عرفوا حقيقة الجنة، عرفوا أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض، أن الإنسان كلفه الله أن يعبده، قال تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات: 56]

عرفوا أن هذه الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيه ملك عادل، عرفوا أن الحياة الدنيا هي حياة دنيا وليست عليا، وأن الآخرة هي الحياة العليا، وأن الإنسان مخلوق لجنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولأن الله أودع في الإنسان قوة إدراكية فما لم تلبَ هذه القوة الإدراكية لا يعد إنساناً ناجحاً في الحياة، إذاً:

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)

أخذوا من وقتهم وقتاً ثميناً لمعرفة الله، لمعرفة حقيقة الإنسان، لمعرفة منهج خالق السماوات والأرض، لمعرفة ماذا بعد الموت،

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)

أستاذ جمال، لا يقدر إنسان أن يضع على بطاقته "د" قبل اسمه إلا إذا كان معه ابتدائية، إعدادية، وثانوية، وليسانس، ودبلوم عامة، دبلوم خاصة، ماجستير، ودكتوراه، حتى يضع "د"، من أجل الدنيا فقط تريد أن تكون مؤمناً، أن تصل إلى جنة عرضها السماوات والأرض إلى أبد الآبدين من دون أي جهد؟ من دون طلب علم ؟من دون فهم القرآن؟ من دون فهم السنة؟ من دون استقامة؟ من دون عمل صالح؟ هذا شيء يؤلم أشد الألم،

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)

يجب أن تطلب العلم، يجب أن تقتطع من وقتك وقتاً لطلب العلم، يجب أن تسأل، يجب أن تسأل لماذا؟ من أنا؟ ما حقيقتي في الدنيا؟ أين كنت؟ وإلى أين المصير؟ لماذا خلقت في الدنيا؟ ما حقيقة العمل الصالح في الدنيا؟ لأن الإنسان حينما يغادر الدنيا، يقول:

(رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ)

[سورة المؤمنون: 99-100]

العلم في الإسلام ليس هدفاً لذاته بل قيمته في تطبيقه :

إذاً:

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)

أن نعرف الله، أن نعرف أنه هو الخالق، والرب، والمسير، والموجود، والواحد، والكامل، وأن أسماءه حسنى، وصفاته فضلى، حينما نعرف حقيقة الأنبياء، حقيقة النبوة، حقيقة هذا الدين العظيم، حقيقة هذا القرآن الكريم:

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)

إذاً لا بدّ من طلب العلم،

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

والعلم في الإسلام ليس هدفاً لذاته، العلم في الإسلام قيمته في تطبيقه،

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)

وتحركوا وفق إيمانهم،

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

أي آمن وعمل صالحاً ثم دعا إلى الله، والدعوة بهذه الآية فرض عين على كل مسلم، وبعد ذلك صبر على معرفة الله، والعمل بمنهجه، والدعوة إليه، عندئذ تلافى الخسارة، ونجا منها، وأصبح من الفائزين، وألغيت كلمة:

(إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (08-18) : تفسير سورة الليل
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-06-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال شيخ بكري :

أيها الأخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إلى هذا اللقاء الطيب بمشيئة الله، لأن كلام الله عز وجل فيه كل الغنى، وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً فيها الغنى، لأن النبي عليه الصلاة والسلام وحي يوحى، الله عز وجل يقول في سورة الليل:

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى *وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى*وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى*فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى*وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى*إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى)

[سورة الليل: 1-12]

أيها الأعزاء: عندما نتحدث عن تفسير هذه الآية نتوجه مباشرة إلى صاحب الفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، دكتور السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الكون كله دلائل تشير إلى وجود الله ووحدانيته وكماله :

الدكتور راتب:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أستاذ جمال جزاكم الله خيراً، وقبل أن نبدأ في الإجابة، على هذا السؤال الرائع، نقول: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أستاذ جمال، الله عز وجل لا تدركه الأبصار، كيف نعرفه؟ هذا الكون بسماواته وأرضه، بنجومه، بكازاراته، بمجراته، هذه الأرض بجبالها، بوديانها، بصحاريها، بسهولها، هذه الأنهار، هذه البحيرات، هذه البحار، هذه الأسماك، هذه الأطيار، كلها دلائل تشير إلى وجود الله، ووحدانيته، وكماله، لذلك في القرآن الكريم ما يزيد عن ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون، ونحن نعلم أنك إذا قرأت آية فيها أمر

ينبغي أن تأتمر فيما أمرك الله، وإذا قرأت آية فيها نهي ينبغي أن تنتهي عما نهاك الله، وإذا قرأت آية فيها قصة قوم سابقين انحرفوا فأهلكهم الله ينبغي أن تتعظ، وإذا قرأت آية فيها وصف للجنة ينبغي أن تسعى لدخول الجنة، وإذا قرأت آية فيها وصف للنار ينبغي أن تجتنبها، هذا كله واضح، فإذا قرأت ألفاً وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون ما موقفنا منه؟ هنا السؤال، الموقف هو التفكر في خلق السماوات والأرض لأننا بالتفكر نعرف الله، الله عز وجل لا تدركه الأبصار، غابت عنا ذاته لكن هذا الكون من آثاره، فنحن بالتسيير نعرف المسير، وبالحكمة نعرف الحكيم، وبالخلق نعرف الخالق، وبالرحمة نعرف الرحيم.

الكون معرض لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى :

إذاً هذا الكون معرض لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى، لذلك في أكثر السور في جزء عم:

(وَالْفَجْرِ * ولَيَالٍ عَشْرٍ)

[سورة الفجر: 1-2]

(وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا)

[سورة الشمس: 1-2]

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى*وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى)

[سورة الليل: 1-2]

هذه الآيات إشارة إلى الكون، وكأن الله يقول لنا: إذا أردتم أن تعرفوني فتفكروا في خلقي، والدليل القاطع قوله تعالى:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران: 190-191]

التفكر في خلق السماوات والأرض طريق إلى معرفة الله :

أستاذ جمال، لو تساءل الإنسان لما المسلمون ليسوا كما ينبغي؟ لما تاريخ الصحابة يشع بالبطولات؟ لما وصل المسلمون إلى أطراف الدنيا ونحن نعاني ما نعاني من الأقوياء؟ أين الخلل؟ أقول لك: لأنهم عرفوا الآمر ثم عرفوا الأمر فتفانوا في طاعة الآمر، لكن المتأخرين من المسلمين عرفوا الأمر ولم يعرفوا الآمر فتفننوا في معصية الآمر، لذلك أنا أرى أن النبي عليه الصلاة والسلام بقي في مكة سنوات

عديدة يُعرف أصحابه بالله، بل إن الأجزاء الأخيرة من القرآن طافحة بالآيات الكونية، وكأن الله عز وجل أراد أن يبين لنا أنه ما من طريق إلى معرفة الله إلا التفكر في خلق السماوات والأرض، والتفكر فريضة عبادية، بل هو من أرقى أنواع العبادة، وقد ورد في بعض الآثار: "تفكر ساعة خير من قيام ليلة"، لذلك جاءت الآية:

(وَاللَّيْلِ)

[سورة الليل: 1]

ماذا يعني الليل؟ يعني الأرض كرة، هناك منبع ضوئي كبير هو الشمس، وبين الأرض والشمس مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر، والشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، هذه الأرض من دورتها حول نفسها يكون الليل والنهار، لكن لو كان المحور الذي تدور حوله الأرض متوازياً مع مستوي الدوران، لكان الليل سرمدياً والنهار سرمدياً، لكن الله لحكمة بالغة جعل محورها ليس في مستوي دورانها، لكن لو كان محورها قائماً على مستوي دورانها ما الذي يحصل؟ الفصول ألغيت، الشمس هنا والأرض تدور، في هذه المنطقة صيف أبدي، وهنا شتاء أبدي، لكن حكمة الله جعلت هذا المحور مائلاً، فيكون في الصيف في القسم الشمالي من الأرض، وفي الشتاء في القسم الجنوبي، إذاً هذه من آيات الله الدالة على عظمته:

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى*وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى)

[سورة الليل: 1-2]

الليل والنهار آيتان كبيرتان من آيات الله الدالة على عظمته :

أستاذ جمال، الليل والنهار آيتان كبيرتان من آيات الله الدالة على عظمته، الليل والنهار:

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ)

[سورة القصص: 71]

معنى ذلك أن من أعظم الآيات الليل والنهار، من تعاقب الليل والنهار يكون الزمن، تصور ليس هناك ليل ولا نهار، فلم يعد هناك زمن، و لم يعد هناك عام ألفين وعشرة، التغى الزمن، التغت الأشهر، التغت الأسابيع، التغى الليل والنهار، إذاً:

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى*وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى)

[سورة الليل: 1-2]

أراد الله عز وجل أن يلفت أنظارنا إلى آية من آيات الله الدالة على عظمته، بل إن طريق التفكر في خلق السماوات والأرض هو الطريق الموصل إلى معرفة الله:

(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ)

[سورة الجاثية:6]

من عرف الآمر ثم عرف الأمر تفانى في طاعة الآمر :

بل إن النبي عليه الصلاة والسلام حينما ذكر آية التفكر:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران: 190-191]

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: "الويل ما لم يتفكر في هذه الآية".

فهذا التعليق على قوله تعالى:

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى*وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى)

[سورة الليل: 1-2]

أي طريق معرفة الله هو التفكر في خلق السماوات والأرض، لأن الله عز وجل لا تدركه الأبصار ولكن العقول تصل إليه، أما النتيجة أستاذ جمال، إذا عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور سورة الليل فيها التوجيه السليم، إلى أين وصلنا في محاور هذه الآية؟

كلما قوي الآمر كان أمره يقتضي الطاعة :

الدكتور راتب:

الحقيقة أن الله عز وجل حينما قال:

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى*وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى)

[سورة الليل: 1-2]

أراد أن يعلمنا أن طريقة معرفته هي التفكر في خلق السماوات والأرض، وأن المؤمنين إذا عرفوا الآمر ثم عرفوا الأمر تفانوا في طاعة الأمر، أما إذا عرفوا الأمر ولم يعرفوا الآمر تفننوا في معصيته، فكأن الله يريد أن يقول لنا: ينبغي أن تعرفوني بعدها تطيعوني، وقد قال بعض العلماء الكبار: من أعجب العجب أن تعرفه ثم لا تحبه، ومن أعجب العجب أيضاً أن تحبه ثم لا تطيعه.

لذلك طريق الطاعة أن نعرفه، نحن في حياتنا اليومية قد يأتي إنسان إلى دائرة البريد، يدعى إلى تسلم رسالة مسجلة، قد يذهب وقد لا يذهب، لكن أحياناً جهة قوية تستدعيه، لا ينام الليل، ما الفرق بين الدعوتين؟ الآمر، فكلما قوي الآمر كان أمره يقتضي الطاعة، فكأن الله يعرفنا بذاته العلية من خلال هذه الآيات الكونية:

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى* وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى)

أي كيف أن الله عز وجل اختار لعباده أن يكونوا ذكوراً وإناثاً، وكيف أن الله عز وجل اختار لعباده هذا النظام الزوجي، و نظام التوالد، وأن هذه الطريقة التي تستمر بها حياة البشر، ولولا التزاوج لانقرض البشر.

مساواة المرأة للرجل في التكليف و التشريف و المسؤولية :

الله عز وجل أودع فينا حاجة إلى الطعام والشراب، حفاظاً على بقاء الفرد، وأودع فينا حاجة إلى الطرف الآخر، الذكور للإناث والإناث للذكور حفاظاً على بقاء النوع، وأودع فينا حاجة إلى التفوق حفاظاً على بقاء الذكر، فالإنسان ما الذي يحركه؟ حاجته إلى الطعام والشراب حفاظاً على وجوده كفرد، ويحركه حاجته إلى زوجة، وحاجة المرأة إلى زوج حفاظاً على بقاء النوع عن طريق التوالد، ويدفعه أيضاً حاجته إلى تأكيد الذات حفاظاً على بقاء الذكر، إذاً حاجات ثلاث تجعل هذا الإنسان كائناً متحركاً.

الآن إذا جاءت هذه الحركة وفق منهج الله سلم وسعد، فإن جاءت بخلاف منهج الله شقي وهلك، البطولة أن هذه الحركة بدافع الحفاظ على حياتنا كأفراد عن طريق الطعام والشراب، والحفاظ على نوعنا عن طريق التزاوج، والحفاظ على مكانتنا عن طريق التفوق، حاجات ثلاثة تدفعنا إلى الحركة.

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى)

لكن المرأة في الإسلام مساوية للرجل تماماً في التشريف، والتكليف، والمسؤولية، مكرمة كما هو مكرم، مشرفة كما هو مشرف، مسؤولة كما هو مسؤول، في آيات كثيرة الله عز وجل يقول:

(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ)

[سورة الأحزاب: 35]

إلى آخر الآيات.

البشر على كل اختلاف تقسيمات الأرض لا يزيدون عن نموذجين :

إذاً:

(وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى)

أين جواب القسم؟

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى)

قسم،

(وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى)

متابعة للقسم، أين جواب القسم؟ جواب القسم:

(إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)

سكان الأرض الذين يزيدون عن ستة آلاف مليون، ينطلقون صبيحة كل يوم إلى أعمالهم، كل إنسان بذهنه هدف:

(إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)

أستاذ جمال انظر إلى شارع مزدحم في دمشق الساعة الثامنة صباحاً، كل إنسان ينطلق إلى هدف، هذا إلى وظيفة، هذا إلى محل، هذا لزراعة أرضه، هذا ليقيم دعوى على إنسان، هذا إلى نزهة:

(إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)

لكن عظمة هذه السورة تكمن في هذا السعي المختلف المتنوع المتعدد الذي لا نهاية له، بل إذا كان على سطح الأرض ستة آلاف مليون، فهناك ستة آلاف سعي أليس كذلك؟ :

(إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)

لكن كيف أن الله ضغط كل هذه الحركات في حقلين، إن سعيكم المتنوع المتعدد، الخير الشرير، المادي المعنوي، الأدبي العلمي، التجاري الصناعي:

(إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)

لكن الله عز وجل جمع كل هذه الحركات في نموذجين، وكأن هذا التقسيم ضغط كل هذه الحركات لبني البشر في حقلين، في خانتين، في طريقين، فقال تعالى:

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل: 5-6]

قال :

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)

[سورة الليل: 7-10]

تقسيمات أهل الأرض لا قيمة لها عند الله عز وجل :

الآن مساعي ستة آلاف مليون، حركة ستة آلاف مليون، أهداف ستة آلاف مليون، منطلقات ستة آلاف مليون، ضغطت كلها في حقلين، في نموذجين، نحن في حياتنا الدنيا هناك تقسيمات للبشر لا تنتهي، يقول: العرق الآري، الأنكلو سكسوني، والعرق السامي، والبيض، والملونين، دول الشمال، دول الجنوب، والعالم الغربي، والدول المتقدمة والنامية، والأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، والمُستغِلون والمستغَلون، هذه تقسيمات لا تنتهي، كل هذه التقسيمات ألغاها الله عز وجل، هذا عربي وهذا كردي، وهذا تركي وهذا أفريقي، وهذا مسلم وهذا غير مسلم، هذه التقسيمات بالمئات، بعشرات المئات، هذه التقسيمات ألغيت عند الله، وكأن البشر كما قال الله عز وجل:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)

[سورة الحجرات: 13]

فالناس على كثرتهم، وعلى تنوعهم، وعلى ثقافاتهم، وعلى أصولهم، وعلى أعراقهم، وعلى أنسابهم، وعلى طوائفهم، لا يزيدون عن نموذجين، هذا تقسيم القرآن الكريم هذا تقسيم خالق السماوات والأرض، أول نموذج، عرف الله فانضبط بمنهجه، وأحسن إلى خلقه، فسلم وسعد في الدنيا والآخرة، والثاني غفل عن الله وتفلت من منهجه، وأساء إلى خلقه، فشقي وهلك في الدنيا والآخرة، ولن تجد صنفاً ثالثاً، الآيات قال تعالى:

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل: 1-12]

يجب أن ننتبه إلى الترتيب جاء معكوساً، صدق بالحسنى، والحسنى هي الجنة، أيقن أنه مخلوق للجنة، وأن هذه الدنيا مجال لدفع ثمن الجنة في الدنيا:

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل: 1-12]

فأنت مخلوق لجنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

المؤمن حينما يعرف حقيقة الحياة الدنيا تأتي حركته صحيحة :

أنت مخلوق للأبد لا لسنوات معدودة، فهذه الدنيا ممر وليست مقراً، هذه الدنيا دار ابتلاء لا دار جزاء، هذه الدنيا دار عمل وليست دار أمل، فلذلك حينما يعرف المؤمن حقيقة الحياة الدنيا تأتي حركته صحيحة، فلذلك هؤلاء الصنف الأول أيقنوا أنهم مخلوقون للجنة، ماذا يترتب على هذا الإيمان؟ اتقوا أن

يعصوا ربهم، وبنوا حياتهم على العطاء إن صحّ التعبير، المؤمن إستراتيجيته العطاء، من هنا قدم أحدهم كتاباً عن رسول الله، وفي مقدمة الكتاب توجه إليه فقال: يا سيدي يا رسول الله، يا من جئت الحياة فأعطيت و لم تأخذ، يا من قدست الوجود كله، ورعيت قضية الإنسان، يا من زكيت سيادة العقل، و نهنهت غريزة القطيع، يا من هيأك تفوقك لتكون واحداً فوق الجميع فعشت واحداً بين الجميع، يا من كانت الرحمة مهجتك، والعدل شريعتك، والحب فطرتك، والسمو حرفتك، ومشكلات الناس عبادتك.

هذا النبي العظيم أعطى ولم يأخذ، والبشر قسمان، المؤمنون أتباع للأنبياء، يتخلقون بأخلاقهم، فالأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، الآن:

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

لأنه صدق بالحسنى اتقى أن يعصي الله، الذي يؤمن بالله يستقيم على أمره.

شيء ثان مهم جداً، بنى حياته، بنى منطلقاته، بنى أهدافه، بنى استراتيجيته على العطاء، والأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، والأقوياء أخذوا ولم يعطوا، الأنبياء ملكوا القلوب، الأقوياء ملكوا الرقاب، الأنبياء عاشوا للناس، الأقوياء عاش الناس لهم.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

عندما نتحدث عن آية الليل نتحدث عن معجزاتها، عما فيها من ألغاز وأسرار، دكتور أين وصلنا في المحور الأخير؟

البشر صنفان عند الله مؤمن وغير مؤمن :

الدكتور راتب:

وصلنا أستاذ جمال،

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

هذا النموذج الأول، كيف أن الناس على اختلاف مللهم، ونحلهم، وانتماءاتهم، وأعراقهم، وأنسابهم، وطوائفهم، الله عز وجل أفرغهم في حقلين، البشر صنفان عند الله مؤمن وغير مؤمن، المؤمن منضبط بمنهج الله، غير المؤمن غير منضبط، المؤمن له عمل صالح، غير المؤمن له عمل سيئ، المؤمن يسعد في الدنيا والآخرة، غير المؤمن يشقى في الدنيا والآخرة، هذا تقسيم رائع، تقسيم خالق السماوات والأرض:

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

من لم يستقم على أمر الله فلن يقطف من ثمار الدين شيئاً :

أول شيء كل أسباب انضباطه، وعمله الصالح، وسعادته، أنه صدق أنه مخلوق للجنة، فلما صدق أنه مخلوق للجنة اتقى أن يعصي الله، استقام على أمره، أستاذ جمال، التجارة لها نشاطات لا تعد ولا تحصى، ولكن يمكن أن تضغط التجارة كلها بكلمة واحدة ؟ الربح، فإن لم يربح التاجر فليس تاجراً. الآن نشاطات الدين لا تعد ولا تحصى ولكن يمكن أن تضغط بكلمة واحدة إنها الاستقامة، ما لم نستقم على أمر الله فلن نقطف من ثمار الدين شيئاً، هذا القسم الأول:

(أعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

إيمانه أنه مخلوق للجنة حمله على أن يتقي أن يعصي الله، مستقيم لا يكذب، ولا يغش، لا يأخذ ما ليس له، لا يتعالى، لا يظلم، لا يحقد، استقام على أمر الله.

الاستقامة أساسها الامتناع لكن طابعها سلبي :

هناك شيء ثان أهم، الاستقامة طابعها سلبي، الاستقامة تبدأ بما، ما غششت، ما كذبت، ما اغتبت، الاستقامة أساسها الامتناع، لكن الاستقامة طابعها سلبي، أما هناك عمل إيجابي كبير، وأعطى، استقام وعمل صالحاً، لذلك:

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

لأنه صدق بالحسنى اتقى أن يعصي الله، ولأنه اتقى أن يعصي الله بنى حياته على العطاء، فالمؤمن يعطي وغيره يأخذ، هناك من الناس من يعطي ويأخذ، أما إن صحّ التعبير منطلقات المؤمن، أهداف المؤمن، استراتيجية المؤمن، العطاء، يعطي، والأنبياء قمم في العطاء، والطغاة قمم في الأخذ، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، الطغاة أخذوا ولم يعطوا، الأنبياء عاشوا للناس، الأقوياء عاش الناس لهم، الأنبياء ملكوا القلوب، الأقوياء ملكوا الرقاب، فلذلك فرق كبير بين نبي كريم وبين طاغية مستبد ملأت جرائمه أطراف الأرض كما نرى ونسمع فيما يجري حولنا، هذا القسم الأول:

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

[سورة الليل: 7]

اليسرى هي الجنة، هو في طريق الجنة، في طريق سعادة أبدية، في طريق جنة عرضها السماوات والأرض، في طريق جنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، في طريق سعادة الدارين، في طريق حفظ الله،

(أعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

كأن الله ضغط أعمال المؤمنين بجانب عقدي، صدق بالحسنى، وجانب انضباطي استقام على أمر الله، اتقى أن يعصيه، وجانب في عطاء هو العمل الصالح، جانب إيديولوجي، جانب عقدي، جانب فكري، جانب اعتقادي، وجانب انضباطي، منضبط بالشرع، وجانب خيري:

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

الرد الإلهي:

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

[سورة الليل: 7]

في حياته، في زواجه، في بيته، في عمله:

(وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل: 8-9]

انطلق من تكذيبه بالجنة، آمن بالدنيا وكفر بالآخرة، فلما آمن بالدنيا استغنى عن طاعة الله وبنى حياته على الأخذ لذلك:

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)

[سورة الليل: 10]

في عذاب الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (09-18) - مدلولات الآية الكريمة : وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 25-06-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور الله عز وجل يقول في كتابه الحكيم:

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)

[سورة القصص: 105]

هذه الآية الكريمة لها مدلولات عظيمة حيث إن الإنسان يعيش حياته إذا ابتغى عملاً طيباً صالحاً في حياته يبتغي وجه الله عز وجل عاش سعيداً في دنياه، ووصل إلى المبتغى الحقيقي، ألا وهي جنة الله التي أعدت للذين عملوا عملاً صالحاً، كيف نقدم للأخ المستمع شرحاً موجزاً ثم سماحتكم تخوضون في التفاصيل الجميلة الرائعة التي تغني الموضوع.

لا تصح حركة الإنسان إلا إذا عرف سرّ وجوده :

الدكتور راتب:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أستاذ جمال جزاكم الله خيراً على هذا السؤال، القصة دقيقة جداً وخطيرة ذلك أن الإنسان لا يصح عمله بل لا تصح حركته في الحياة، هو في الأصل كائن متحرك ما الذي يحركه؟ حاجته إلى الطعام والشراب، وحاجته إلى الطرف الآخر إلى الزواج، وحاجته إلى تأكيد ذاته، حاجات ثلاثة أودعها الله في الإنسان، هذه الحاجات الثلاثة تجعله كائناً متحركاً، هناك كائنات ساكنة لا تتحرك كهذه الطاولة، الإنسان أودع الله فيه الشهوات، أودع الله فيه الحاجات، هذه الشهوات والحاجات تجعله كائناً متحركاً، الآن السؤال متى تصح حركة الإنسان؟ حركة الإنسان قد تصح وقد لا تصح، قد تكون هذه الحركة وفق

الهدف الذي خلق من أجله، وقد تكون هذه الحركة بعيدة عن الهدف الذي خلق من أجله، متى تصح الحركة؟ السؤال الدقيق إجابته إذا عرف سرّ وجوده، وغاية وجوده، أوضح مثل، إنسان سافر إلى باريس، نزل في أحد الفنادق، وفي صبيحة اليوم الأول سأل: إلى أين أذهب ؟ نسأله نحن: لماذا أتيت إلى هنا؟ إن جئت طالب علم اذهب إلى المعاهد والجامعات، وإن جئت سائحاً اذهب إلى المقاصف والمتنزهات، وإن جئت تاجراً اذهب إلى المعامل والمؤسسات، فالإنسان كائن متحرك هذه الحركة تصح فيسلم ويسعد، أو لا تصح فيشقى ويهلك، متى تصح هذه الحركة؟ إذا عرف سرّ وجوده.

العبادة علة وجود الإنسان في الدنيا :

الحقيقة الدقيقة هو أن الإنسان خلق في الدنيا ليعبد الله بنص الآية الكريمة:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات: 56]

علة وجوده عبادة الله، فلذلك هذه العبادة هي حركة، هي عمل، هي سلوك، هي نشاط، فالإنسان أراده الله كائناً متحركاً، عن طريق هذه الحاجات التي أودعها فيه، وهذه الشهوات التي بثها في كيانه، إذاً هو كائن متحرك تصح الحركة إذا عرف سرّ وجوده، لماذا هو في الدنيا؟ من أجل أن يعبد الله لا بالمفهوم الضيق التي يتوهمه الناس، بالمفهوم العميق والواسع، العبادة خضوع كامل لمنهج الله، الإنسان أعقد آلة في الكون، ولهذه الآلة بالغة التعقيد صانع حكيم، ورب كريم، فتصح حركة الإنسان إذا عرف سرّ وجوده، وغاية وجوده، فلذلك الحركة من دون معرفة حركة عشوائية، حركية غير هادفة.

أجري استفتاء لألف شاب الجواب كان ثلاثة بالمئة فقط يعلمون لماذا هم في الدنيا، هناك حالة عشوائية غير هادفة، فالإنسان الأولى به وقد خلقه الله إنساناً عاقلاً أن يسأل هذا السؤال الكبير لماذا أنا في الدنيا؟ إنسان سافر إلى بلد، إن كان طالب علم فهناك حركة، وإن كان تاجراً فهناك حركة، وإن كان سائحاً فهناك حركة، العمل الصالح يتأتى من سبب أيديولوجي، من سبب عقائدي، حينما يعلم الإنسان لما هو في الدنيا تأتي حركته موافقة لهدفه، هذا الذي يجعل الإنسان يتحرك بحركة صحيحة، لكن هؤلاء الذين غابت عنهم هويتهم، وغاب عنهم سبب وجودهم، وغاب عنهم غاية وجودهم، يتحركون:

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ)

[سورة محمد: 12]

الإنسان هو المخلوق الأول :

لذلك الإنسان حينما يلغي سرّ وجوده، حينما يلغي غاية وجوده، حينما يغفل عن حقيقته، ما الإنسان؟ هو المخلوق الأول:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات: 56]

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)

[سورة الأحزاب: 72]

عندما يعرف سرّ وجوده ليس ظلوماً ولا جهولاً، أما إذا غفل عن سرّ وجوده، وعن غاية وجوده، هو في الحقيقة ظلوم جهول.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور كلام رائع جداً إذاً غاية الوجود وسرّ الوجود أن نعرف أننا خلقنا للعمل ولنعبد الله عز وجل، ما هي أهم الأعمال التي توصلنا إلى الله عز وجل؟

أهم الأعمال التي توصلنا إلى الله عز وجل :

الدكتور راتب:

الحقيقة الأعمال تنقسم إلى قسمين، أعمال صالحة وأعمال سيئة، العمل الذي يتناغم مع سرّ الوجود وغاية الوجود هو عمل صالح، العمل الذي يتناغم مع الشهوات والغرائز هو عمل سيئ، مع أن هذه الشهوات التي أودعها الله فينا ما أودعها الله فينا إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، أنا أقول لك وأخاطب الأخوة المستمعين: إن الشهوات التي أودعها الله فينا ما أودعها فينا إلا لنرقى بها إلى رب الأرض والسماوات، أي لا يوجد بالإسلام حرمانٌ، ما من شهوة أودعها الله فينا إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، أنا أتمنى أن نبعد عن أذهاننا هذا الوهم الذي يسيطر على عقول عامة الناس من أن الدين قيود، الدين حدود، وفرق كبير بين أن نفهم الدين قيوداً وبين أن نفهمه حدوداً، الدليل أنك إذا كنت في أرض فلاة ورأيت لوحة كتب عليها: ممنوع التجاوز، حقل ألغام، هل يشعر هذا الإنسان المواطن الواعي أن الذي وضع هذه اللوحة أراد أن يحد من حريته؟ لكنك تشعر وتمتن منه لأنه أراد أن يحفظ لك سلامتك، في اللحظة التي أفهم فيها أن أوامر الدين حفظاً لسلامتي وليست قيداً لحريتي أكون فقيهاً.

إذاً العمل الصالح هو الذي يرقى بك إلى الله، هو الذي يتناغم مع سر وجودك، العمل الصالح هو العمل

الذي يفضي بك إلى جنة عرضها السماوات والأرض، العمل الصالح الذي يصلح للعرض على الله، العمل الصالح العمل الذي فيه الخير، فيه الحب، فيه العطاء، العمل الصالح الذي هو سر وجودك في الدنيا، والدليل الإنسان حينما يغادر الدنيا يقول:

(قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً)

[سورة المؤمنون: 99-100]

معنى ذلك لا يندم من فارق الدنيا على شيء إلا على عمل صالح فاته.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور المطلوب أن نعمل صالحاً لنصل إلى جنة الله عز وجل، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، السؤال هو: الأعمال الصالحة التي يجب أن نقوم بها في حياتنا؟ حقيقة يجب ألا يضيع الإنسان في حياته لحظة إلا ويستفيد منها.

الإنسان وقت فعليه استغلال كل لحظة من حياته بالأعمال الصالحة :

الدكتور راتب: جزاك الله خيراً على هذه الملاحظة، هذه ملاحظة جانبية، بمعنى أن الإنسان هو في الأصل وقت، ما من تعريف جامع مانع للإنسان كالتعريف التالي فهو بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، أنا ،أنت زمن، لذلك الله عز وجل أقسم بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن، أقسم له فقال:

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

[سورة العصر: 1-2]

أي جواب القسم أن الإنسان خاسر، وقد نتساءل لماذا هو خاسر؟ والجواب لأن مضي الزمن وحده يستهلكه، لذلك هذا الزمن الذي هو أنت وأنا، هذا الزمن الذي هو الإنسان، إما أن ينفق استهلاكاً أو أن ينفق استثماراً، وفرق كبير بين من ينفق وقته استهلاكاً وبين من ينفق وقته استثماراً، أن ننفق الوقت استهلاكاً هذا شأن معظم الناس، يأكلون، ويشربون، ويتمتعون، أما أن ينفق الإنسان وقته استثماراً، هذا كلام دقيق جداً وخطير أن يعمل الإنسان في الوقت الذي سينقضي عملاً ينفعه بعد انقضاء الوقت، فلذلك الله عز وجل قال:

(إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

[سورة العصر: 2]

خاسر لأن مضي الزمن يستهلكه، لكنه استثنى من هذه الخسارة:

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

[سورة العصر: 3]

أنا حينما أمضي الوقت إما في معرفة الله عز وجل، أو في طاعة له، أو في عمل صالح أتقرب به إليه، عندئذ أكون ناجحاً ورابحاً ولست خاسراً.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

كم هو جميل فضيلة الدكتور هذا الإنسان الذي جمع المال، لنقل من مصدر حلال، وأن يجري حساباته لأنه صاحب الآلاف المؤلفة من الملايين، وكم هو أجمل عندما يقوم بعمل صالح، وكم هو أجمل عندما يرى كم هي نسبة المال التي عليها زكاة وخدمة المال، كم هو جميل أن يحصن المال بالزكاة والعمل الصالح.

الفرق بين المؤمن وغير المؤمن :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال الحقيقة الفرق بين المؤمن وغير المؤمن ليس فرقاً بين إنسان يصلي أو لا يصلي، الفرق أعمق، الفرق كبير في المنطلقات، في الإيديولوجيات، في العقائد، في الأهداف، الفرق في السلوك، الفرق في الانضباط، الفرق بالحركات، لا تجد إنساناً يعرف سر وجوده إلا ويستثمر وقته بعمل صالح يلقى الله به، فهذا المعنى للعمل الصالح ـ الذي هو محور هذا اللقاء الطيب ـ ينطلق من عقيدة، ينطلق من فهم عميق، ينطلق من أن إنساناً عرف لماذا خلق في الدنيا، أنا أتمنى أن كل أخ كريم يستمع لهذا اللقاء الطيب أن يبحث بحثاً عميقاً ودقيقاً عن سرّ وجوده وغاية وجوده، مثلاً لو إنسان ذهب إلى مدينة في أوربا، له في هذه المدينة هدف واحد أن ينال الدكتوراه، مدينة كبيرة عملاقة، فيها مبان، ومؤسسات، فيها ملاعب، وملاه، فيها دور سينما، هذا الذي ذهب لينال الدكتوراه علة وجوده في هذه المدينة علة واحدة، هدف وجوده في هذه المدينة هدف واحد، غاية وجوده في هذه المدينة غاية واحدة، أنا حينما أفهم سرّ وجودي في الدنيا، وغاية وجودي، أن الله عز وجل خلقني لجنة عرضها السماوات والأرض، وجاء بي إلى الدنيا لأدفع ثمن هذه الجنة استقامة على أمره، وعملاً صالحاً أتقرب به إليه.

الإنسان مقهور على أن يكون في جماعة :

من هنا جاء الإنسان كما أراده الله كائناً اجتماعياً، كيف؟ أستاذ جمال الله عز وجل مكّن كل إنسان من إتقان عمل واحد، أو عدة أعمال، لكنه بحاجة إلى ملايين الحاجات، أنت بحاجة إلى قميص، إلى زر لهذا القميص، بحاجة إلى حذاء، بحاجة إلى كتاب، هذه الحاجات أنت تتقن واحدة منها، وأنا أتقن واحدة، بقية الحاجات يتقنها الآخرون، فكأن الله أرادني أن أكون في جماعة، أنت تشتري رغيف خبز وتأكله،

لكن لو كلفت أن تصنعه لاحتجت إلى أرض، وزراعة، وسقاية، وسماد، وجني محصول، ومعالجة هذا القمح، درساً، و تصويلاً، وطحناً، وخبزاً، أعمال يقوم بها آلاف الأشخاص، فأنت مكنك الله أن تتقن حاجة واحدة أو حاجتين، وأنت محتاج إلى مليون مليون حاجة، هذا يدعونا إلى أن نكون مع بعضنا بعضاً، شئنا أم أبينا، وهذا يدعونا أن نتفاعل مع بعضنا بعضاً، فذلك الإنسان إن صحّ التعبير مقهور على أن يكون في جماعة، وهو في هذه الجماعة إما أن يحسن فيكون عمله صالحاً، أو أن يسيء فيكون عمله سيئاً، إن أحسن كان هذا العمل الصالح الحسن سبب سلامته وسعادته، وإن كان عمله سيئاً كان سبب شقائه وهلاكه في الدنيا والآخرة.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

نعود إلى أصحاب الأموال سيدي.

المؤمن مواطن صالح لأنه أعطى و لم يأخذ :

الدكتور راتب:

قال: هؤلاء الذين مكنهم الله من جمع الأموال، المال قوة، أولاً: أنا أطمئن أخوتنا الكرام أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلّ خير))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

ما القوة؟ المال قوة، والعلم قوة، والمنصب قوة، والصحة قوة معينة، أما بالأساس أنت قوي حينما تحدث بعلمك أثراً في المجتمع، وأنت قوي حينما تحدث بمالك أثراً، وأنت قوي حينما تحدث بمنصبك أثراً، المنصب والمال والعلم قوة والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلّ خير))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

أنا أقول دائماً وهذه الكلمة دقيقة جداً: إذا كان طريق القوة ـ العلم والمال والمنصب ـ سالكاً وفق منهج الله يجب أن تكون قوياً، لأن المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، أستاذ جمال حينما تكون الأكثرية تائهة، شاردة، بعيدة عن الله، لا تعرف سرّ وجودها، هي أكثرية ضعيفة، أما حينما يفهم الإنسان غاية وجوده، وسر وجوده، حقق الهدف من وجوده، صار قوة كبيرة جداً، والحياة الآن فيها تنازع للأقوى، والأقوى هو الذي ينتصر في النهاية، والمؤمن ينبغي أن يكون قوياً، القوة تأتي من عمل صالح، من عمل منضبط، من عمل وفق هدف معين، من عمل ينطلق من رغبة في خدمة الآخر، في خدمة المجموع، لذلك المؤمن بالتعبير المعاصر مواطن صالح لأنه أعطى، والحقيقة الإنسان يأخذ

ويعطي لكن الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا، والناس جميعاً تبعٌ لقوي أو نبي، فاسأل نفسك هذا السؤال وليسأل كل أخ مستمع هذا السؤال: أنا ما مهمتي في الدنيا أن أعطي أم أن آخذ؟ إن كنت أعطي فأنا من أتباع الأنبياء، وإن كنت آخذ فقط ولا أعطي فأنا من أتباع الأقوياء، وفرق كبير بين أن تكون تابعاً لقوي أو لنبي، التابع لنبي يحمده كل من حوله، فإذا انقلب إلى الآخرة انقلب إلى جنة عرضها السماوات والأرض، بينما التابع لجهة قاهرة ظالمة فرضاً هو يأخذ ولا يعطي، لكنه مذموم عند الله وعند الناس.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور لطالما نتحدث عن أصحاب المال الذين جمعوا المال من وجوه حلال، وقاموا بتوزيع هذا المال إلى أماكن مختلفة كما تفضلت، لكن نعمة الأخذ أقل لذة من نعمة العطاء.

لذة العطاء لذة مقدسة :

الدكتور راتب:

لا شك لذة العطاء لذة مقدسة، الإنسان يرقى بعطائه، الإنسان يكون عند الله قريباً حينما يعطي ولا يأخذ، وقيمة العطاء أن تعطي من وقتك، وجهدك، وخبرتك، وعملك، كما تفضلت الإنسان المؤمن يعطي، حتى هذا الطالب الذي أدى امتحاناته، ودخل إلى فصل الصيف، هو إما أن يعطي أو أن يأخذ، لكننا إذا أقنعناه أنك إذا أعطيتك في هذا الوقت أعطيت أمتك من خبرتك، من مهاراتك، هذه الأمة تسعد بك.

في الحقيقة عندنا قيمة أنا أظن أن الغرب أتقنها تماماً، الانتماء إلى المجموع، وهذه القيمة تضعف في الدول النامية، الانتماء يكون انتماء فردياً لا انتماء إلى المجموع، أنا حينما أنتمي إلى مجموع هذه الأمة أكون مواطناً صالحاً، أنا حينما أنتمي إلى مجموع هذه الأمة أبني علاقتي الاجتماعية على العطاء، لذلك أنا أرقى عند الله حينما أعطي، أما حينما آخذ وأعيش على أنقاض الآخرين، أنا إنسان بعيد عن الله بعد الأرض عن السماء.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور لطالما نتحدث عن طلابنا الأعزاء الذين أنهوا امتحاناتهم الدراسية بمختلف المراحل، هناك قضية هامة وهي الاستفادة من هذا الوقت في عطلة الصيف، أحياناً شاب يقول لك: ضاق خلقي، ماذا أفعل؟ أين أذهب؟ هناك معايير وأسس يجب أن تتبع ليكون هذا الإنسان مواطناً طيباً صالحاً في مجتمعه، ويسعى أولاً لملء فراغه ثم ينعكس هذا على المجتمع.

الشباب درع للأمة فعلى الأمة العناية بهم :

الدكتور راتب:

والله أستاذ جمال هذه مشكلة كبيرة، أنا أرى أن حلها لا يكون من طرف الشباب فقط، من طرف الشباب والأمة، الأمة حينما تهيئ لهؤلاء الشباب مناشط تنمي قدراتهم، تنمي ملكاتهم، تنمي طاقاتهم، حينما تهيئ لهم مناشط منضبطة، مناشط خيرة، مناشط فيها عطاء، هذه الأمة انتبهت إلى أخطر فئة فيها إنهم الشباب، أنا أقول دائماً أستاذ جمال: الشباب هم المستقبل، والأمة التي ترعى شبابها، كيف ترعى شبابها؟ أنا أحمل الأمة مسؤولية كبيرة، حينما تهيئ لهم فرص عمل، تهيئ لهم مساكن، تهيئ لهم فرصاً للزواج، أنا أقول ببساطة: الشاب يريد أشياء ثلاث، يريد زوجة، ومسكن، وفرصة عمل، لو وفرت لهم هذه الأشياء الثلاث كان هؤلاء الشباب درعاً للأمة، حصناً للأمة، و أقول كلاماً مؤلماً لكنه واقعي، هؤلاء الشباب إما أن يجدوا لهم مكاناً في المجتمع، مكان يسكنون فيه، مكان يعملون فيه، مكان يؤون فيه إلى زوجاتهم، إما أن تحقق حاجاتهم الأساسية، أو أن يصبحوا عبئاً على الأمة، فهؤلاء الشباب ما لم نهتم بهم، ما لم نسعَ لتأمين فرص عمل، ما لم نسعى لتأمين حرفة يحترفونها، أو مهنة يمتهنونها، أو عمل يعملونه، وحينما نؤمن لهم أيضاً كل حاجاتهم، نكون قد حققنا أحد أكبر أهداف الأمة؛ أن هؤلاء الذين هم رمز المستقبل سيغدون عناصر بناءة، أما إذا أهملناهم فهناك مشكلة كبيرة تعاني منها المجتمعات النامية.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور خلال وجودنا في مجتمعنا السوري، نجد أن في مجتمعنا الجامعات في كل المحافظات، المراكز الثقافية المنتشرة في كل مدينة وقرية، نجد المشاريع القائمة الإنشائية البنائية في حرف مختلفة، أعود للآية الكريمة:

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)

[سورة القصص: 105]

تناقش هذه الآية الكريمة، المجتمع عني بالشباب، هناك مساكن للشباب، هناك آلاف الشقق تبنى للشباب، أعود لأقول للإنسان إنه يجب عليه أن يتعلم حرفة، لا أن يسعى باتجاه الوظيفة فقط، لكن من الأجمل أن يتعلم حرفة، أن يتعلم مجال عمل تجاري، أو صناعي، حتى يرقى بنفسه وبمجتمعه.

ترشيد الشباب إلى مناشط يبنون بها أمتهم عمل عظيم جداً :

الدكتور راتب:

أنا معك فيما تفضلت به؛ هناك مشاريع رائعة جداً للشباب، وهذا أنا أعده وعياً كبيراً في الحكومة، وعي لهؤلاء الشباب الذين يبحثون عن عمل، وعن مسكن، وعن زواج مشروع، فهذا مما تفضلت به أنا معك به قطعاً، لكن نريد أن نرشد نشاط الشباب ترشيداً، فالشاب كائن متحرك ونشيط، والشاب هو قوة الأمة الحقيقية، لكن ترشيد هؤلاء الشباب إلى مناشط يبنون بها أمتهم، يقدمون لها كلما يستطيعون، هذا عمل عظيم جداً، وأنسب وقت له هو الصيف.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

أنا أقول بعض الطلبة إن كان طالب جامعة، أو إعدادي، أو ثانوي، نجد أن وقت الصيف بالنسبة له يُسار إلى تعلم مهنة معينة يعمل عند تاجر، عن صناعي، تجده شعلة نشاط، أحدهم يركن إلى أنه عطلة ويريح نفسه بالمواقع السياحية، ومنهم من يسعى إلى تعلم مهنة، يريد الشهادة الجامعية ويريد أن يتعلم مهنة.

الأمة لا تقاس إلا بمدى عنايتها بشبابها :

الدكتور راتب:

الحقيقة أن الشاب حينما نرشده ونرشد نشاطاته نكون قد أخذناه إلى جانبنا، ونكون قد وظفناه لخدمة أمته، أما إذا أهملناه وهو بحث عن نشاط قد لا يرضي الله عز وجل، وقد لا يرضي أمته، نكون قد دفعناه بشكل أو بآخر إلى تحطيم ذاته، والشباب قوة، تصور أن هذه المناشط في الصيف، الإنسان أمضى تسعة أشهر في الدراسة، الآن هو أمام أشهر الصيف ينبغي أن تكون هذه الأشهر متنفساً له، متنفساً لحاجاته الشبابية، حينما تكون هناك مناشط للشباب منضبطة، وبريئة، وفعالة، وتنمي قدراته، نكون قد أحسنا العمل، هناك معسكرات الشاب يتدرب فيها على الحياة، على تحمل المسؤولية، على التعاون مع أخوته، على العطاء، فهؤلاء الشباب يحتاجون إلى مناهج، إلى برامج مبرمجة، يحتاجون إلى كوادر تقوم على مصالحهم، أنا أرى أن الأمة تقاس بمدى عنايتها بشبابها.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

وهذا قائم والحمد لله في مجتمعنا، أيها الأعزاء نتابع برنامج فيه هدى للناس، دكتور نعود إلى الآية الكريمة:

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)

[سورة القصص: 105]

كيف نختتم حديثنا لنجمل ما قلناه حول هذه الآية الكريمة التي هي فعلاً الغاية والهدف؟

ترشيد طاقة الشباب يعود على الأمة بالنفع الكبير :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال الإنسان يقيّم في النهاية من عمله، هذا العمل فيه عطاء إذاً ارتقى الإنسان، فيه أخذ غير مشروع سقط، فبين أن ترقى إلى أعلى عليين وبين أن تسقط إلى أسفل سافلين، من خلال العمل هناك أعمال خيرة، أعمال تعود على المجتمع بالخير، وهناك أعمال شريرة تعود على المجتمع بالسوء، فلذلك أنا حينما أرشد طاقات الشباب في الصيف على ما يمتعهم أولاً، وإلى ما ينمي قدراتهم ثانياً، إلى ما ينمي طاقاتهم، هذا عمل ذو هدفين، هدف أننا لبينا حاجة المتعة عند الشباب في الصيف، وحاجة تنمية القدرات، فلذلك البطولة دائماً في عمل مزدوج، كيف؟ له أهداف عديدة، أحياناً ألبي حاجة الشاب إلى رحلة بريئة، إلى علاقة طيبة، إلى مباراة، إلى تنمية قدراته، يحتاج إلى هذا، وأنا في النهاية هذه المشاريع التي أقوم بها من أجل الشباب تعود على الأمة بالنفع الكبير، فدائماً الأعمال الراقية تحتمل أكثر من هدف بالعبارة الدقيقة الإنسان بعمله يرقى، وبسوء عمله يسقط، والشباب درع الأمة، وقوام هذه الأمة، وأرجو الله عز وجل أن يرشدوا استهلاك وقتهم في الصيف، نقل دائماً عبارة حديثة ترشيد الاستهلاك، إما أن يكون هناك استهلاك مبذر، استهلاك مدمر، أو استهلاك مرشد، فحينما يستهلك الشاب وقته في الصيف استهلاكاً مرشداً، قد ينمي قدراته العضلية، بكرة، بهواية، قد ينمي قدراته الجمالية بفن رفيع مثلاً كالمطالعة، قد ينمي قدراته العقلية بنشاطات علمية، هذه قدرات عقلية، وجمالية، وأدبية، ورياضية، هذه إذا نميت وفق منهج صحيح، وضوابط صحيحة، نكون قد متعنا الشباب في الصيف، ونكون قد أخذنا منهم كل شيء.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

ماذا نقول في ختام لقائنا لسيدة المنزل التي عندها عدد من الأطفال من خلال قوله تعالى:

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)

[سورة القصص: 105]

وهي السيدة في المنزل، رب المنزل في عمله وهي السيدة في المنزل؟

تربية المرأة لأولادها أعظم عمل على الإطلاق :

الدكتور راتب:

أقول لها حديثاً شريفاً إذا وعته تكاد تذوب محبة لله، ورد في بعض الأحاديث الشريفة: "أول من يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت من هذه يا جبريل؟ قال: هي امرأة

ربت أولادها"، معنى ذلك أن تربية المرأة لأولادها أعظم عمل على الإطلاق، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله ـ يعدل الجهاد في سبيل الله ـ))

[عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

وكما نعلم أستاذ جمال أن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وهو أرقى عمل على الإطلاق، هذه المرأة الصالحة التي أحسنت رعاية زوجها وأولادها، هي عند الله بمرتبة المجاهد في سبيل الله، وحينما نعلم من خلال الأحاديث الشريفة أن المرأة عند الله مكرمة أية تكريم لأن الله عز وجل ذكر المؤمنين والمؤمنات، الصادقين والصادقات، الذاكرين والذاكرات، هؤلاء الذين يفرقون بين المرأة والرجل ابتعدوا عن حقيقة الدين، لذلك المرأة ترقى في الإسلام إلى أعلى درجات الجنة، وقد تجد امرأة لتربيتها لأولادها، ورعايتها لزوجها، تصل إلى أعلى درجات القرب من الله عز وجل، وأعيد على أخواتنا الكريمات:

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله ـ يعدل الجهاد في سبيل الله ـ))

[عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

هذه المرأة حينما عرفت قيمتها أنها المربية، أنها الأم، أنها الموجهة، أنها الراعية لهذا البيت، والإنسان مسؤول عن رعيته، والمرأة مسؤولة عن رعيتها.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

دكتور هذه المرأة الصالحة هي مكتملة في تربية أولادها ورعاية زوجها، من خلال الآية الكريمة:

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)

[سورة القصص: 105]

هذا الزوج الذي عنده زوجة صالحة، مؤمنة، مربية، كيف الآلية المثلى في تعامله مع هذه الزوجة؟

الآلية المثلى في تعامل الزوج مع زوجته :

الدكتور راتب:

الآلية التي أتمناها جاءت في حديث شريف:

((أكرموا النساء فوالله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم، ويغلبهن لئيم.....))

[ابن عساكر عن علي]

أكرموا النساء فو الله ما أكرمهن إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم ويغلبهن لئيم، لهذا الحديث روايات متعددة، إحدى رواياته:

((.... وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً، من أن أكون لئيماً غالباً))

الأستاذ جمال شيخ بكري :

قمة العظمة سيدي أن يكون هذا الزوج ليناً.

الدكتور راتب:

كلامك دقيق جداً هناك أزواج خارج البيت قمة في اللطف، والنعومة، والتهذيب، والابتسامة، لأن هذه مصلحة، مصلحته أن يكون له مكانة في المجتمع، المصلحة تحقق من خلال ابتسامته، ولطفه ونعومته، لكن إذا دخل إلى البيت وحش كاسر، هذه مشكلة كبيرة جداً.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

هذا لا يندرج ضمن قوله الله اعملوا؟

أخلاق الرجل الحقيقية لا تكون إلا في بيته :

الدكتور راتب:

لا هذا موضوع ثان، أنا أقول كلمة دقيقة: نحن حينما نفحص إنساناً في قيادة المركبة، نفحصه في أصعب قضية في القيادة، أن يرجع على طريق متعرج ضيق، وهناك شاخصات بلاستيكية، فإذا مس واحدة سقط، هذا أصعب شيء في القيادة، أن ترجع إلى الوراء بطريق متعرج ضيق، وهناك علامات، فإذا أتقن هذا العمل كل شيء بعده سهل، أنا أقول أصعب شيء الالتزام في البيت، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[أخرجه الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

الدكتور راتب:

أما خارج البيت فشيء طبيعي أن يكون لطيفاً، وأنيقاً، ومتعطراً، وعنده ابتسامة، هذه كلها أشياء تعود عليه بالخير.

الأستاذ جمال شيخ بكري :

كم هو جميل هذا الإنسان الرائع، أو هذه الإنسانة الرائعة عندما تنفذ قول الله عز وجل:

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)

[سورة القصص: 105]

في الواقع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي وضع يده منذ بدء هذا الحديث على مكمن الموضوع تفصيلاً، وبحث في حيثياته، دكتور أسعدنا هذا اللقاء.

الأم حينما تنجب أولاداً أبراراً كل أعمال أولادها في صحيفتها :

الدكتور راتب:

لكن أريد أن أنوه تنويهاً سريعاً أن الله عز وجل حينما قال:

(قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى)

[سورة آل عمران: 36]

لكن الله يقول :

(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ)

[سورة آل عمران: 36]

هذه الأنثى أنجبت السيد المسيح، معنى ذلك أن الأم حينما تنجب أولاداً أبراراً كل أعمال أولادها في صحيفتها:

(قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ)

[سورة آل عمران: 36]

هي أنثى لكنها ستنجب نبياً عظيماً.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (10-18) - تفسير قوله تعالى: إنا أعطيناك الكوثر

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 09-07-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العزة جلّ في علاه، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على حبيب الله محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أيها الأخوة والأخوات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهلاً بحضراتكم إلى هذا اللقاء الذي يجمعنا من خلال برنامج: " فيه هدىً للناس".

أيها الأعزاء، الله عز وجل يقول في كتابه العزيز:

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)

[سورة الكوثر]

عندما نتحدث عن آيات الله عز وجل، نتوجه مباشرةً إلى صاحب الفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

دكتور طيب الله أوقاتكم بالخير، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدكتور راتب :

وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته أستاذ جمال، جزاك الله خيراً على هذه الندوات.

الأستاذ جمال:

دكتور هذه الآية الكريمة فيها الخير، والشيء الكثير، من أين نبدأ؟

عطاء الله تعالى نوعان؛ عطاءٌ إلهيٌ يليق بكرامة الإنسان عند الله وعطاء مادي

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب

العالمين.

أستاذ جمال، هذه السورة ـ سورة الكوثر ـ تعني الشيء الكثير، فالله عز وجل يقول للنبي الكريم:

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر)

هناك عطاءٌ إلهيٌ يليق بكرامة الإنسان عند الله، وهناك عطاء مادي يعطيه الله لكل خلقه، كل خلقه يأكلون، ويشربون، ويتمتعون، لكن الذين يحبهم أعطاهم الكوثر، أعطاهم الإيمان، أعطاهم الصلة بالله عز وجل، أعطاهم العمل الصالح، فكلمة

(الْكَوْثَر)

تعني الشيء الكثير، والمطلق في القرآن على إطلاقه، أي ماذا نفهم من الكوثر؟ أعطاك علماً:

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

[سورة النساء]

أنا أضرب مثلاً بسيطاً، لو أن طفلاً عقب أيام العيد، قال لعمه: أنا معي مبلغ عظيم، أنا أقدر هذا المبلغ بخمسمئة ليرة، لأنه ابن موظف، وأقرباؤه من أصحاب الدخل المحدود، مجموع الذي أخذه في العيد لا يزيد عن خمسمئة ليرة، فإذا قال هذا الطفل: عندي مبلغٌ عظيم، نقدر هذا المبلغ بحسب القائل، القائل طفل، لو قال موظف كبير بالبنتاغون: أعددنا لحرب هذه الدولة مبلغاً عظيماً، قد نقدره بمئتي مليار دولار، فإذا قال ملك الملوك، ومالك الملوك، إذا قال خالق الأكوان، رب السماوات، إذا قال:

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

هذا العطاء عطاء العلم.

معرفة الله أعظم عطاءٍ ينـاله الإنسان من الله تعالى :

لذلك هذه الآية تؤكد أن أعظم عطاءٍ تناله من الله أن تعرف الله، إن عرفته عرفت كل شيء، وإن فاتتك معرفته فاتك كل شيء، إن عرفت الله وجدت نفسك، إن عرفت الله وجدت سعادتك، إن عرفت الله ضمنت سلامتك، إن عرفت الله وصلت إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض.

فلذلك كلمة

(الْكَوْثَر)

المطلق في القرآن على إطلاقه، الجنة عطاء، العلم عطاء، الفهم عطاء، الصلة بالله عطاء، الحكمة عطاء، الأمن عطاء، التفوق عطاء، الرضا عطاء، أي لو ذهبت أستعرض عطاءات الله، عطاءات الله لا تعد ولا تحصى، لكن هذه العطاءات كلها جمعت في كلمة واحدة، إنها رحمة الله، لهذا الله عز وجل حينما يتحدث عن الرحمة يصفها بأنها من عطاءات المؤمنين.

(وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً)

[سورة الفرقان]

ليغيثهم به، رحمة الله واسعة، تبدأ من الأشياء المادية، وتنتهي بالقرب من الله، وهو أعلى مرتبة ينالها الإنسان، وقد ورد في بعض الأحاديث:

((سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ))

[مسلم من حديث عبد الله بن عمرو]

هو الوسيط الأول والأخير بين العباد وربهم:

((سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ))

الكوثر نهر في الجنة و هو عطاء الله لمن آمن به :

إذاً

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر)

المطلق في القرآن على إطلاقه، قد أفهمها صحة، قد أفهمها كفاية، قد أفهمها زوجة صالحة، تسرك إن نظرت إليها، تحفظك إذا غبت عنها، تطيعك إن أمرتها، قد أفهمها توفيقاً في العمل، قد أفهمها عملاً صالحاً، قد أفهمها قرباً من الله، فالمطلق على إطلاقه،

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر)

طبعاً بعض المفسرين قالوا: هو نهرٌ في الجنة، هذا لا يمنع، لأن القرآن حمالُ أوجه، أي القرآن كلام الله، لا يمكن لإنسان أن يحيط به، لكن كل إنسان ـ إن صحّ التعبير ـ يعيش مع القرآن حالات إيمانية. لذلك أحد كبار العلماء حينما فسر القرآن، سماه خواطر إيمانية، أنا تأتيني خواطر حول هذه الآية، أنا لا أستطيع أن أسميها تفسيراً، التفسير أكبر من هذا بكثير، والعلماء أكثرهم يقولون: نحن لنا اجتهادات في فهم هذه الآيات، إذاً هذه الآية لها معان مطلقة، الخير الكثير، بكل أنواعه المادي، والمعنوي، والإيماني، فالعلم خير كثير، والفهم خير كثير، والحكمة خير كثير، والرحمة خير كثير، والقرب من الله خير كثير، وتقصي الأشياء الصالحة في السلوك خير كثير، إذاً

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر)

أي عطاءٍ موجهٍ إلى النبي الكريم لكل مؤمنٍ من هذا العطاء نصيب :

طبعاً الآن هناك ملاحظة، هناك من يتوهم أن هناك عطاءات تخص النبي عليه الصلاة والسلام، أنا مع هذا القول، لكن مع التحفظ، أي عطاءٍ فيما يبدو موجهٍ إلى النبي عليه الصلاة والسلام، لكل مؤمنٍ من هذا العطاء نصيب، لكن هذا النصيب بقدر إيمانه، وإخلاصه، فإذا قال الله عز وجل لنبيه الكريم، لسيد الخلق وحبيب الحق، لسيد ولد آدم:

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)

ولأي مؤمنٍ إن شاء الله له، يمشي على نهج النبي، ويستقي من النبي منهجه، له من هذه الآية نصيب:

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)

أي للمؤمن، الله عز وجل قال:

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ)

[سورة السجدة]

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

[سورة الجاثية]

(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)

[سورة القلم]

فالمؤمن له عطاء من الله كبير، هذا العطاء ملخص بكلمة

(الْكَوْثَرَ)

له منها نصيب بقدر إيمانه وإخلاصه، أما الآية فيما يبدو موجهة إلى سيد الخلق وحبيب الحق، والنبي الكريم كما قلت:

((سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ))

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)

الأستاذ جمال:

دكتور ألا تعتقد أنت سماحتك،

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)

والنعمة العظيمة التي أعطيها الإنسان في حياته، والتي هي الملاذ، ألا وهي نعمة الإيمان.

نعمة الإيمان أعظم نعمة على الإطلاق :

الدكتور راتب :

هذه أعظم نعمة، لأن الإنسان المؤمن عرف الله، إن عرفته عرفت كل شيء، وإن فاتتك معرفة الله فاتتك كل شيء، الله عز وجل هو كل شيء، إلهنا، وربنا، وخالقنا هو الله، فإذا وصلت إليه وصلت إلى كل شيء، وإن فاتتك هذه الصلة فاتتك كل شيء.

((ابن آدم اطلبنِي تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

ولا أنسى هذه الكلمات، يا رب ماذا وجد من فقدك؟ وماذا وجد من فقدك؟ وإذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟ من هنا يقول الله عز وجل في بعض الآثار القدسية:

((إني والإنس والجن في نبأٍ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليَّ صاعد، أتحبب إليهم بنعمي، وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إليَّ بالمعاصي، وهم أفقر شيءٍ إليَّ، من أقبل عليَّ منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها))

[رواه البيهقي والحاكم عن معاذ، والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداء]

((عبدي خلقت لك ما في السماوات والأرض، ولم أعيَّ بخلقهن، أفيعييني رغيفٌ أسوقه لك كل حين؟ لي عليك فريضة، ولك عليَّ رزق، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك))

[ورد في الأثر]

الأستاذ جمال:

إذاً، نفهم دكتور محمد راتب النابلسي من حديثكم أن التجارة مع الله رابحة.

التجارة الرابحة هي التجارة مع الله عز وجل :

الدكتور راتب :

أربح شيء، بل إن الله يريد أن نربح عليه، قال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

[سورة الصف]

أربح شيءٍ أن تتاجر مع الله، تعطي الشيء القليل، وتأخذ الكثير الكثير، فلذلك البطولة أن تعرف الله، وأن تعرف كيف تتاجر معه، أن تعرف أن الله خلقك لجنةٍ عرضها السماوات والأرض، وأن هذه الدنيا لا قيمة لها، إلا إذا كانت مناسبة لمعرفة الله، فالدنيا من دون معرفة الله لا شيء إطلاقاً، ضياعٌ بضياع، وضائقة بضائقة، ولكنك إذا عرفت الله فأنت أسعد الناس في الدنيا، لذلك أسعد الناس في الدنيا أرغبهم عنها، وأشقاهم فيها أرغبهم فيها.

الأستاذ جمال:

إذاً، أيها الأعزاء نتابع مع حضراتكم الآية الكريمة:

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)

أيها الأعزاء، لقاؤنا إذاً أسبوعي، صباح يوم كل جمعة، فيه هدىً للناس، من الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً، وحتى الثانية عشرة والربع، دكتور،

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر)

هذا النداء لرسول الله، والمؤمن له منه نصيب، النصيب وكما تفضلت نعمة الإيمان، كيف يمكن لهذا الإنسان أن يصل حقيقةً؟ ماذا يفعل ليصل إلى الإيمان الحقيقي المرجو والمطلوب؟.

الإيمان يزيد وينقص فما كل إيمانٍ ينجي :

الدكتور راتب :

أستاذ جمال، جزاك الله خيراً، الإيمان كلمة واسعة جداً، يقول الله عز وجل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا)

[سورة البقرة]

معنى ذلك أن إيمانكم لا يكفي، فالإيمان يزيد وينقص، والإيمان يتجدد، فالإيمان كلمة واسعة جداً، بل إن أي إنسانٍ أقرّ أن لهذا الكون إلهاً هو مؤمن، لكن هذا الإيمان لا يجدي، لذلك يمكن أن أقرب هذا المعنى إلى الأخوة المستمعين على الشكل التالي، دائرة كبيرة جداً، كل من أقرّ بوجود خالقٍ لهذا الكون، وربٍ له، ومسير ضمن هذه الدائرة، لذلك إبليس اللعين نفسه مؤمن، بدليل قال ربي:

(فَبِعِزَّتِكَ)

[سورة ص الآية: 82]

آمن به رباً، وآمن به عزيزاً، إبليس اللعين نفسه آمن به خالقاً، قال له:

(خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)

[سورة الأعراف الآية: 12]

إبليس اللعين آمن باليوم الآخر، قال:

(أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

[سورة الأعراف]

ومع ذلك هو إبليس.

إذاً: ما كل إيمانٍ ينجي، فهذه الدائرة الكبيرة جداً، أي إنسانٍ أقرّ أن لهذا الكون خالقاً ضمن هذه الدائرة، لكن هذه الدائرة الكبيرة في وسطها دائرة ثانية، كل من التزم بما يؤمن، كل من أطاع الله، كل من وقف عند الحلال والحرام، كل من جعل حركته في الدنيا وفق منهج الله، كل من أطاع الله، كل من قلب إيمانه إلى عمل، كل ملتزم، كل مطبق، كل إنسان أطاع الله، دخل في الدائرة الثانية، هذه الدائرة الثانية ينجو فيها الإنسان، لكن هذه الدائرة الكبيرة والثانية لها مركز واحد، أنا أظن أن في هذا المركز الأنبياء، والمرسلون المعصومون، هناك أشخاص معصومون، وهناك مؤمنون مطبقون لإيمانهم، و مؤمنون غير مطبقين، ومن أنكر وجود الله أصلاً فهو خارج هذه الدائرة الكبرى، أصبح عندنا دائرة كبيرة جداً، خارجها من أنكر وجود الله، و داخلها من أقرّ بوجود الله، أما هناك دائرة أصغر، من طبق منهج الله، ومركز هذه الدائرة الأنبياء والمرسلون الذين عصمهم الله من أن يخطئوا.

الأستاذ جمال:

معنى ذلك أن الإيمان إذا حصل عليه الإنسان حصل على سعادة الدنيا والآخرة:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)

[سورة طه]

ألا نصل من خلال هذه الآية أن الإنسان إذا فقد نعمة الإيمان حقيقة عاش تعيساً في حياته؟

الحياة و العيش :

الدكتور راتب :

طبعاً لأن الله عز وجل قال:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً)

هو عائش أي قلبه يخفق، رئتاه تتحركان، يمشي، يأكل، يشرب، هذا المستوى من العيش، مستوى عيش المخلوقات المتدنية، نقول له: عائش، يأكل، ويشرب، لكن:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)

[سورة الأنفال الآية: 24]

الحياة شيء، والعيش شيءٌ آخر، تناول الطعام والشراب، هو عيش، أما معرفة الله حياة،

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)

فالله عز وجل يدعونا لحياة نفوسنا، يدعونا لجنةٍ عرضها السماوات والأرض، يدعونا لتزكية قلوبنا، يدعونا إلى خير الدنيا والآخرة، إذاً الله عز وجل يدعونا للخير، الخير الذي نُدعى إليه هو حياة حقيقية، أما أن نأكل ونشرب فهذه معيشة، والفرق واضح جداً، بين إنسانٍ عائش، وبين إنسانٍ حي، دعوة الله لنا دعوة إلى الحياة، حياة القلب، حياة النفس، حياة الإيمان، حياة المبادئ والقيم، حياة المثل، وأما دعوة غير الله عز وجل فيدعوك إلى طعامٍ وشراب، يدعوك إلى متع مادية رخيصة، لا يدعوك إلى سمو النفس.

الأستاذ جمال:

إذاً دكتور نعود إلى ظلال الآية الكريمة التي نحن في صدد تفسيرها من سماحتكم

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر * فَصَلِّ)

الكوثر لا يصل المؤمن إليه إلا باتصاله بالله و اتصاله بالله يكون عن طريق الصلاة :

الدكتور راتب :

هنا جاء الجواب، كيف أصل إلى هذا الكوثر؟ عن طريق الصلاة، عن طريق اتصال هذا الكائن الضعيف المحدود بخالق السماوات والأرض، هذا هو الدين أساساً، ويمكن أن يضغط الدين كله بالاتصال بالله، السيد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قال الله عنه:

(وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً)

[سورة مريم]

وكأن السيد المسيح بهاتين الكلمتين لخص الدين كله، الدين أن يكون لك اتصالٌ بالله، وإحسانٌ إلى الخلق، متصل بالله، محسن للخلق، هذا هو الدين، والدين بمفهومه الواسع والشمولي هو الحياة، الدين هو الرقي، الدين هو السلامة، الدين هو السعادة،

(وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً)

لذلك:

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر * فَصَلِّ)

أي هذا الكوثر أيها المؤمن لا تصل إليه إلا باتصالك بالله، لذلك لا خير في دينٍ لا صلاة فيه، الصلاة عماد الدين، وعصام اليقين، وسيدة القربات، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات.

الأستاذ جمال:

ما بالك دكتور محمد راتب النابلسي، بأناس يصلون، لكن حقيقةً عندما تنظر إلى صلاتهم تجدها تحصيل حاصل، جوفاء، أو على عجالة، هكذا، أي ألا يجب أن نتعقل في هذه الصلاة؟.

الصلاة هي معراج المؤمن إلى رب السماوات و الأرض :

الدكتور راتب :

والله أنا أجيبك بحديثٍ قدسي، يقول الله عز وجل:

((ليس كل مصلٍّ يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكف شهواته عن محارمي، ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان، ورحم المصاب، وأوى الغريب، كل ذلك لي، وعزتي وجلالي، إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس، على أن أجعل الجهالة له حلماً، والظلمة نوراً، يدعوني فالبيه، يسألني فأعطيه، يقسم علي فأبره، أكلأه بقربي، أستحفظه ملائكتي، مثله عندي كمثل الفردوس، لا يمس ثمرها، ولا يتغير حالها))

[أخرجه الديلمي عن حارثة بن وهب]

أستاذ جمال، لو أن المسلمين يصلون كما ينبغي، وكما يريد الله لهم أن يصلوا، لكنا في حال غير هذا الحال، ذلك لأن النبي الكريم يقول في الحديث الصحيح:

((ولن يُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفا مِنْ قِلَّةٍ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]

لكن لو وجد هذا العدد الذي يصلي صلاةً كما أراد الله، الكلمة الدقيقة:

((ليس كل مصلٍّ يصلي))

المسلمون يزيدون عن مليار وخمسمئة مليون، بعضهم قال: مليون من هؤلاء يصلون، لكن هؤلاء المليون الذين يصلون هل رافقت صلاتهم استقامة على أمر الله؟ إذا رافقت صلاتهم الاستقامة حققوا كل أهداف الصلاة، أما إذا كانت صلاتهم عبادة شكلية، لا تقدم ولا تؤخر، فعندئذٍ لا يأخذون من الصلاة فوائدها التي أرادها الله.

الأستاذ جمال:

إذاً الصلاة هي معراج المؤمنين.

الاتصال بالله يحتاج إلى عملٍ صالح و استقامة :

الدكتور راتب :

نعم، لذلك

(فصَلِّ)

إن أردت هذا الكوثر

(فصَلِّ)

هذا الكوثر العطاء المطلق، أستاذ جمال، مرة ثانية هذا الكوثر يعني كل شيء، بدءاً من كفاية، من صحة، من بيت رائع، من زوجة صالحة، من أولاد أبرار، من صحة جيدة، من سمعة كبيرة، ثم معرفة الله عز وجل، و التقرب منه، هذه كلها من أنواع الكوثر،

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فصَلِّ)

الكوثر يأتيك من خلال اتصالك بالله،

(فصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)

بعضهم قال: انحر شهواتك، بعضهم قال: انحر الأضحية، أي اعمل عملاً صالحاً، وكأن الله أشار إلى أن الاتصال بالله يحتاج إلى عملٍ صالح، قال:

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً)

[سورة الكهف الآية: 110]

أنا أضرب مثلاً بسيطاً: مجند غر التحق بالجيش من يومين، هذه أدنى مرتبة في أي جيش بالعالم، مجند غر، طبعاً فوق المجند هناك عريف، وعريف أول، و مساعد، ومساعد أول، و ملازم، وملازم أول، و نقيب، و رائد، و مقدم، و عقيد، وعميد، ولواء أركان، ...إلخ، هل يستطيع هذا المجند الغر، الذي التحق من يومين، أن يقابل قائد اللواء أركان حرب؟ لا يستطيع، إلا في حالة واحدة، أن يرى ابنه في المسبح، يكاد يغرق فينقذه، يدخل إلى مكتبه، ويرحب به، ويقدم له الضيافة، ويجلسه إلى جنبه، لأنه قدم عملاً.

هذا الكلام ملخصه:

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً)

لذلك هذا الكوثر طريقه الصلاة، وسبب الصلاة العمل الصالح،

(فصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)

إما أن تنحر الشهوات، أي أن تستقيم على أمر الله، وإما أن تنحر الأنعام تقرباً إلى الله، كأن

(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)

إما أن تعني الاستقامة، أو العمل الصالح، أو أن تعني الاستقامة والعمل الصالح معاً.

الأستاذ جمال:

أي الإنسان ليس بحاجة إلى واسطة بينه وبين الله.

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)

[سورة البقرة الآية: 186]

الإنسان ليس بحاجة إلى واسطة بينه وبين الله عز وجل :

الدكتور راتب :

لذلك القرآن الكريم طافح بآيات كثيرة، قد تصل إلى أكثر من عشر آيات:

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ)

[سورة البقرة الآية: 219]

(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ)

[سورة البقرة الآية: 219]

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً)

[سورة البقرة الآية: 222]

أكثر من عشر آيات تبدأ بيسألونك، ويأتي الجواب، وبينهما قل، أنت المسؤول، أنت الوسيط، إلا في آيةٍ واحدة، تفضلت بها قبل قليل،

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)

ليس بين العبد وبين ربه وسيط.

((رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره))

[أخرجه الحاكم عن أبي هريرة]

الأستاذ جمال:

ألا يقودنا هذا إلى أننا كمصلين، ونؤمن بالله عز وجل، أن نحرص على عدم أذى الآخرين في أعراضهم، وفيما يمس شرفهم.

المصلي الحقيقي يجب أن يكون لسانه مستقيماً بكل معاني هذه الكلمة :

الدكتور راتب : والله أستاذ جمال، وضعت يدك على قضيةٍ خطيرة، أنا لا أصدق، ولا أؤمن، أن إنساناً أساء إلى خلق الله يستطيع أن يتصل بالله، مستحيل! يستطيع أن يقف، وأن يقرأ الفاتحة، ويركع،

ويسجد، لكن لا يستطيع أن يتصل بالله، عندنا صلوات، وعندنا صلاة فيها وقوف بين يدي الله، وقراءة، وركوع، وسجود، وعندنا اتصال بالله، صلاة، واتصال، الصلاة أعمال المصلي الظاهرة، أما الاتصال حقيقة الصلة بالله، الاتصال بالله ممنوع على كل من بنى حياته على أنقاض الآخرين، بنى قوته على إضعافهم، بنى غناه على فقرهم، بنى أمنه على خوفهم، بنى حياته على موتهم.

الأستاذ جمال:

المصلي الحقيقي يجب أن يكون لسانه مكبوحاً، مستقيماً.

الدكتور راتب :

مستقيم بكل معاني هذه الكلمة، لأن:

((إن الله طيِّب، لا يقبلُ إلا طيباً))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

أستاذ جمال للتوضيح: إنسان قوي، يكون له أتباع، أتباعه لا يدقق في استقامتهم، ماداموا معه، يؤيدونه، يوالونه، فهو يقبلهم، هذا شأن الأقوياء، لكن شأن خالق الأرض والسماء ليس كذلك، لا يمكن أن يقبلك، ولا أن يُقبل عليك، ولا أن يدعمك، ولا أن يرحمك، إلا إذا كنت مستقيماً مع خلقه، لذلك الفرق كبير بين عالم الإيمان وعالم المادة، فالأقوياء أحياناً يقبلون من ينصرهم، من يواليهم، من يلتزم بمنهجهم، دون أن يكون مستقيماً مع ربه، لكن الله عز وجل لا يقبل عبداً، إلا إذا كان مستقيماً مع خلقه.

الأستاذ جمال:

إذاً لا يستطيع الإنسان ـ ونحن أيها الأعزاء ـ أن يفسر الآية الكريمة، ويتابعها حقيقة بكل تفاصيلها صاحب الفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، لا نستطيع أن يصل إلى

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)

إلا بالشيء الكثير من العمل.

دكتور، ماذا نضيف لنصل إلى الكوثر الذي وعد به رسول الله، ونحن نتأسى برسول الله؟

أكبر عطاء يناله المؤمن أن الله سبحانه وتعالى هيأه لجنةٍ عرضها السماوات والأرض :

الدكتور راتب :

في الحقيقة أستاذ جمال، هناك دنيا، وهناك آخرة، أكبر عطاء يناله المؤمن أن الله سبحانه وتعالى هيأه لجنةٍ عرضها السماوات والأرض.

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً)

[سورة الكهف]

الأخسرين اسم تفضيل، أي أشد الناس خسارةً:

(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)

[سورة الكهف]

فالذي يعرف سرّ وجوده، وغاية وجوده، لماذا أنا في الدنيا؟ لماذا جاء الله بي إلى الدنيا؟ ماذا في الدنيا؟ ماذا بعد الموت؟ ماذا بعد يوم القيامة؟ بعد يوم القيامة هناك يوم ممدود، نحن عندنا يومٍ مفقود، الماضي، والماضي لا جدوى إطلاقاً من الحديث عنه، و يومٍ مشهود، وهو أخطر أيامنا، ويومٍ موعود، الموت، ويومٍ مورود، يوم القيامة، ويومٍ ممدود، بين يومٍ مفقود، ويومٍ مشهود، ويومٍ موعود، ويومٍ مورود، ويومٍ ممدود، وفي النهاية الإنسان إما في جنةٍ يدوم نعيمها أو في نارٍ لا ينفذ عذابها، كلام دقيق. لذلك

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر)

وأي إنسان تبعك، ومشى على منهجك، وعلى سنتك، وأطاعك فيما شرعت أنت أيها النبي الكريم، أي مخلوقٍ يتابع النبي الكريم، وقد أمرنا الله أن نطيعه، وأن نطيع رسوله، لأن السنة واجبة أيضاً، أي مخلوقٍ أطاع الله وأطاع رسوله عندئذٍ يتصل به، فإذا اتصل به جاءه الكوثر.

الأستاذ جمال:

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)

البشر عند الله نموذجان لا ثالث لهما :

1 ـ رجل عرف الله فانضبط بمنهجه وأحسن إلى خلقه فسعد في الدنيا والآخرة :

الدكتور راتب :

هذا الذي أراد الدنيا، وضع كل جهده فيها، نسي الآخرة، والحقيقة أستاذ جمال هذا يقودنا إلى تقسيم دقيق جداً، أن البشر على اختلاف مللهم، ونحلهم، وانتماءاتهم، وأعراقهم، وأنسابهم، وطوائفهم، واتجاهاتهم، كل هذه التقسيمات، أن البشر عند الله نموذجان لا ثالث لهما هذان النموذجان تؤكدهما الآية الكريمة:

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل]

الأصل أنه

(صَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

أي صدق بالجنة، صدق بالجنة فاتقى أن يعصي الله، فصدق بالجنة فعمل الصالحات،

(أعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

هذا النموذج الأول، لأنه

(َصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

اتقى أن يعصي الله، ولأنه اتقى أن يعصي الله بنى حياته على العطاء،

(َصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

واتقى أن يعصي الله،

(أعْطَى)

بكل معاني هذه الكلمة، أعطى بالمعنى الشمولي، أعطى من علمه، من وقته، من أدبه، من أخلاقه، أعطى من ماله، أعطى من خبرته، أعطى كل شيء، هذا الإنسان الرد الإلهي:

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

[سورة الليل]

الإله العظيم ييسر لهذا الإنسان سبب وجوده، وهو السعادة في الدنيا والآخرة.

2 ـ و رجل غفل عن الله فتفلت من منهجه وأساء إلى خلقه فهلك في الدنيا والآخرة

(وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل]

كذب أنه مخلوقٌ للجنة، وآمن بالدنيا، لذلك استغنى عن طاعة الله، وعندما استغنى عن طاعة الله، وجد أن الذكاء لا في العطاء بل في الأخذ، فالصفات متناقضة،

(َصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

فاتقى أن يعصي الله، بنى حياته على العطاء،

(َكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

فاستغنى عن طاعة الله، وبنى حياته على الأخذ، هذان النموذجان تندرج فيهما ملايين الملايين، هذا هو الكلام الدقيق، فالذي استغنى عن طاعة الله،

(إِنَّ شَانِئَكَ)

مبغضك،

(هُوَ الْأَبْتَرُ)

مقطوع عن هذا الخير.

فالآية دقيقة:

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر)

الخير الكثير، بكل أنواعه، بكل مستوياته، بكل شمائله،

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)

طريق هذا الكوثر الاتصال بالله، طريق الاتصال الاستقامة على أمره، بمعنى انحر الشهوات، والعمل الصالح بمعنى انحر الأنعام تقرباً إلى الله،

(إِنَّ شَانِئَكَ)

مبغضك يا محمد

(هُوَ الْأَبْتَرُ)

هو المحروم، هو المقطوع.

الأستاذ جمال:

إذاً في ختام هذا اللقاء نستطيع دكتور محمد راتب النابلسي أن نصل إلى نتيجةٍ مفادها أن الإنسان المؤمن في حياته يجب أن يسعى بكل ما أوتي من إيمان، وعطاءٍ، وخير، وارتباط بالله عز وجل إلى الكوثر.

طريق الكوثر الاتصال بالله وطريق الاتصال بالله الاستقامة على أمره والعمل الصالح :

الدكتور راتب :

هو العطاء الكبير، والمطلق في القرآن على إطلاقه، فكل إنسان يتمنى صحة جيدة من الكوثر، يتمنى رزقاً وفيراً من الكوثر، يتمنى حياة أسرية راقية من الكوثر، يتمنى سمعة طيبة من الكوثر، يتمنى دعوة إلى الله من الكوثر، يتمنى قرباً من الله من الكوثر، الخير الكثير بكل مستوياته، وأطيافه، وأنواعه، بدءاً من صحةٍ، وانتهاءً بقربٍ من الله عز وجل، طريق هذا الكوثر

(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)

الاتصال بالله، وطريق الاتصال بالله الاستقامة على أمره والعمل الصالح، والطرف الآخر هو المحروم.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (11-18) - تفسير قوله تعالى في سورة التكاثر

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-07-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال:

بارك الله فيك، دكتور،

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

أي شغلكم عن طاعة ربكم

(التَّكَاثُرُ)

كما في كلمات التفسير تقول: التكاثر التباهي بكثرة نعم الدنيا، من أين نبدأ في تفسير هذه الآية التي لها مدلولات عظيمة في كتاب الله جلّ جلاله؟

الإنسان خلق للجنة و العمل الصالح ثمن دخولها :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أحرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أستاذ جمال، جزاك الله خيراً، هذه السورة تبتدئ بالآية الكريمة،

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

ألهاكم من اللهو، واللهو أن يلتهي الإنسان بالشيء الخسيس، وأن يدع النفيس، كأن يلتهي الغواص بجمع الأصداف، ويُعرض عن جمع اللآلئ، وفرقٌ كبير بين ثمن الأصداف وثمن اللآلئ.

فالإنسان إذا جاء إلى هذه الدنيا، جاء إليها من أجل أن يعرف الله، من أجل أن يستقيم على أمره، من أجل أن يتقرب إليه، ليكون عمله الصالح ثمن دخول جنةٍ عرضها السماوات والأرض، فيها:

((ما لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ ، ولا خطر على قلبِ بَشَرْ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

البشر عند الله نموذجان لا ثالث لهما :

الإنسان خلق للجنة، والبطولة أن هؤلاء البشر على اختلاف مللهم، ونحلهم، وانتماءاتهم، وأعراقهم، وأنسابهم، وطوائفهم، واتجاهاتهم، وتياراتهم، هم عند الله نموذجان لا ثالث لهما، نموذج أول عرف الله، وعرف منهجه، فانضبط بمنهجه، وأحسن إلى خلقه، فسلم، وسعد في الدنيا والآخرة، ونموذجٌ آخر غفل عن الله، وغفل عن منهجه وتفلت من منهجه، وأساء إلى خلقه فشقي، وهلك في الدنيا والآخرة، ولن تجد نموذجاً ثالثاً، فهذا الذي شُغل بالفاني عن الباقي، بالدنيا عن الآخرة، بالمتعة عن الأعمال الصالحة، بالانغماس في الملذات عن طلب العلم، هذا الذي غفل عن الآخرة، بل غفل عن سرّ وجوده، وغفل عن غاية وجوده، وغفل عن منهج ربه، ولم يسأل هذا السؤال الخطير، لماذا أنا في الدنيا؟ والشيء الدقيق أستاذ جمال، أن الإنسان إذا عرف سرّ وجوده، صحت حركته، فلو سافر إنسان إلى بلد أجنبي، وقال: إلى أين أذهب؟ نسأله نحن لماذا أتيت إلى هنا؟ إن جئت طالب علمٍ فاذهب إلى المعاهد والجامعات، وإن جئت تاجراً فاذهب إلى المعامل والمؤسسات، وإن جئت سائحاً فاذهب إلى المقاصف والمتنزهات، فحركة الإنسان في الدنيا لا تصح إلا إذا عرف سرّ وجوده، ذلك أن الإنسان كائن متحرك، ما الذي يحركه؟ حاجته إلى الطعام، والشراب، وحاجته إلى الطرف الآخر، وحاجته إلى تأكيد الذات، فحينما يعرف سرّ وجوده تصح حركته، لعلي لا أبالغ إذا قلت: إن أخطر سؤالٍ يطرحه الإنسان على نفسه أن يقول: لماذا أنا في الدنيا؟ لا تصح حركته، ولا ينجح، ولا يتفوق، إلا إذا عرف سرّ وجوده، للتقريب: لو أن طالباً ذهب إلى باريس لينال دكتوراه، هذه المدينة المترامية الأطراف، العملاقة، فيها معامل، منشآت، فيها جسور، فيها حدائق، فيها نوادٍ ليلية، فيها جامعات، هذه المدينة العملاقة لهذا الطالب هدفٌ واحدٌ فيها أن ينال الدكتوراه، فإذا عرف هذا الطالب سرّ وجوده في هذه المدينة حقق هدفه.

من شغل بالدنيا عن الآخرة وعن الهدف الأكبر الذي خلق من أجله خسر الدنيا و الآخرة :

المؤمن يعلم علم اليقين أن الله خلقه في الدنيا ليعرفه، والدليل:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات]

والعبادة طاعة طوعية، ممزوجة بمحبةٍ قلبية، أساسها معرفةٌ يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، فهذا الذي ألهاه التكاثر، أي شُغل بالفاني عن الباقي، بالمتعة عن العمل الصالح، بالدنيا عن الآخرة، بشيءٍ ينتهي

عند الموت، وغفل عن شيءٍ ينفعه بعد الموت، فالآية دقيقة جداً، ولها معان عميقة جداً، ويحتاجها كل إنسان،

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

(أَلْهَاكُمُ)

أي جعلكم تغفلون عن سرّ وجودكم، وعن غاية وجودكم، وعن الهدف الأكبر الذي خلقتم من أجله، بهذه الطريقة غفلتم عما يسعدكم، ما يسلمكم، ما يرفعكم إلى أعلى عليين، شغلتم بالدنيا فتركتم الآخرة، والدنيا محدودة، والآخرة أبدية، وفرقٌ كبير بين الأبدي وبين الوقت المحدود.

أستاذ جمال، أكبر رقم تتصوره إذا نسب إلى اللانهاية فهو صفر، واحد في الأرض وأصفار إلى الشمس، مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر، كل ميلي صفر، هذا الرقم المذهل الذي يصعب للعقل تصوره إذا نسب إلى اللانهاية فهو صفر،

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

أي ألهتكم هذه الدنيا الفانية، بمتعها الرخيصة، بحطامها، بمالها، بنسائها، بمباهجها، بقصورها، بمركباتها، ألهتكم عن حياةٍ أبدية، فيها:

((ما لا عين رأتْ، ولا أذن سمعتْ ، ولا خطر على قلبِ بَشَرْ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

هذا الذي أراد الله جلّ جلاله أن يقوله لنا.

الأستاذ جمال:

دكتور محمد راتب النابلسي، لطالما نحن نتحدث عن سورة التكاثر

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

تفضلت بمقدمة فيها، كل معاني هذه الآية كمقدمة، لكن هل منعنا الدين أن نستمتع ونمتع في هذه الحياة؟.

قيمة الإنسان بما يحمل من رسالة :

الدكتور راتب:

معاذ الله! الجواب:

((ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه، حتى يصيب منهما جميعاً، فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة))

[الديلمى وابن عساكر عن أنس]

أنا ما قصدت أبداً أن هذه الآية تعني أن ندع الدنيا، العمل عبادة، أن يكون لك حرفة عبادة، أن تخدم بها أمتك عبادة، أن تكون مكتفياً عبادة، أن تكون يدك هي العليا عبادة، أن يكون لك بيت وأهل وأولاد عبادة، أن يكون لك عمل تعتز به عبادة، أنا ما أردت هذه المعاني إطلاقاً، حينما ننسى الآخرة، ولا نعبأ بها، وننسى سرّ وجودنا، وغاية وجودنا، حينما نتحرك من أجل شهوتنا فقط، لا من أجل هدفٍ كبير، الإنسان قيمته بما يحمل من رسالة، هناك إنسان يأكل، ويشرب، ويعيش، وانتهى عند الناس وعند الله، لكن هناك إنسان يحمل همّ أمته، يحمل همّ المسلمين، يحمل همّ الحق، يحمل همّ الناس جميعاً، فهذا الذي يحمل همّ الناس جميعاً عند الله كبير، لأنه خرج من ذاته الضيقة إلى الخلق، والأنبياء لماذا هم أسعد البشر؟ لأنهم بكوا على أعدائهم.

((لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً))

[أخرجه الحاكم، عن أبي الدرداء]

الأستاذ جمال:

هذه هي الرحمة.

الإنسان كلما كبر عند الله يحمل همّ أمته :

الدكتور راتب:

نعم، لذلك كلما ارتقى الإنسان عند الله امتلأ قلبه بالرحمة، وكلما امتلأ القلب بالرحمة عمت هذه الرحمة من حوله، فالإنسان كما قال الله عز وجل يصف إبراهيم عليه السلام قال:

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً)

[سورة النحل الآية: 120]

والإنسان كلما كبر عند الله يحمل همّ أمته، يحمل همّ الفقراء، يحمل همّ المتعبين، همّ المرضى، فإذا عاش الإنسان بمبادئه وقيمه حمل همّ من حوله، وإذا عاش لذاته، وكان أنانياً، هذا الذي يبغضه الله عز وجل، ولا ينظر إليه.

الأستاذ جمال:

هناك من الناس دكتور محمد راتب النابلسي من يدّعي الزهد، وحقيقة الزهد كما تعلمنا من سيادتك، ليس الزهد ألا تملك الدنيا، ولكن الزهد ألا تملكك الدنيا، هل معاني هذه الآية الكريمة

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

تبعدنا أم تقربنا من الزهد؟.

الزهد أن ينقل الإنسان الدنيا من قلبه إلى يديه :

الدكتور راتب:

والله الزهد بالمعنى الذي أراده الله، الله عز وجل أراد لك أن تعرفه، وأن تسعى لـ:

(وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ)

[سورة آل عمران الآية: 133]

لكن النقطة الدقيقة في هذا الموضوع، أن ثمن الجنة هو العمل الصالح، والعمل الصالح يحتاج إلى علم، أو إلى مال، أو إلى قوة، فالعمل من أجل أن تكون قوياً، إما بمالك، أو بعلمك، أو بمنصبك، هذا من أجل العمل الصالح، لأن حجمك أستاذ جمال عند الله في النهاية بحجم عملك الصالح، والعمل الصالح يحتاج إلى بذل، أي هذا المتعلم، العالم، أكبر عمل صالح له إلقاء العلم، وهذا الغني أكبر عمل صالح له إنفاق المال، وهذا القوي أكبر عمل صالح له إحقاق الحق، أو إبطال الباطل.

فلذلك الإنسان لا قيمة له من دون عملٍ صالحٍ يرقى به، والعمل الصالح يحتاج إلى قوة، لذلك ليس معنى الزهد في الإسلام أن تدع الدنيا، بل أن تنقلها من قلبك إلى يديك، معنى الزهد أن تنقل الدنيا من قلبك إلى يديك، لذلك قال تعالى:

(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ)

[سورة النور الآية: 36]

ثم يقول:

(رِجَالٌ)

[سورة النور الآية: 37]

أي أبطال.

الإنسان لا قيمة له من دون عملٍ صالحٍ يرقى به :

بالمناسبة أستاذ جمال، كلمة رجل في القرآن الكريم والسنة لا تعني أنه ذكر، تعني أنه بطل، الذكر شيء، والبطل شيء، قال:

(رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

[سورة النور الآية: 37]

إذاً هم يتاجرون، ويبيعون ويشترون، إنسان لا يعمل لا قيمة له، قيمتك ما تحسن، بل إن سيدنا علي يقول: "قيمة المرء ما يحسن"، فأنت تحتل مكانةً في مجتمعك بقدر إتقانك لصنعتك.

الأستاذ جمال:

دكتور محمد راتب النابلسي، هل لنا أن نُذكر الأخ المستمع بمواقف من حياة الصحابة، والتابعين، وآل البيت فيها زهد، فيها الناس الذين عرفوا حقيقة هذه الآية الكريمة:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ* ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

هل لنا أن نضع الأخ المستمع بأمثلة ونماذج تدل على هذا الزهد؟.

الانتماء إلى المجموع من علامة تقدم المجتمعات :

الدكتور راتب:

سيدنا عمر يقول: "إني أرى الرجل لا عمل له فيسقط من عيني".

لأن الله سبحانه وتعالى أرادك أن تتقرب إليه بماذا؟ بعملٍ صالح، كيف يكون العمل صالحاً؟ إذا كنت في مجتمع إذا كنت عالماً تُعلم، قوياً تنصر، غنياً تعطي، فالعمل الصالح هو سرّ وجودك، لا عمل صالح من دون تفوق، فالمتفوق له عمل صالح، إن بعلمه، أو بماله، أو بقوته، فلذلك إنسان ينسحب من الحياة ليس مؤمناً، الإيمان ليس موقفاً سلبياً، أو إعجاباً سلبياً، ليس لنا علاقة، ليس لنا دخل، ليس هذا إيماناً، الإيمان أن تكون إيجابياً، أن تسهم بشكلٍ أو بآخر في خدمة أمتك، أن تسهم في تخفيف الآلام عن أمتك، أن تسهم في رفعة شأنها، أن تسهم في قوتها، أن تسهم في عزتها وكرامتها، لذلك الإنسان الذي لا ينتمي إلى المجموع، هذا إنسان ناقص، من علامة تقدم المجتمعات الانتماء إلى المجموع.

أنا أضرب مثلاً دائماً: لو أن إنساناً اضطجع تحت شجرة تفاح، وقد قطفت، إلا أن الذي قطفها نسي تفاحة كبيرةً جداً، ورائعة اللون، هذا الذي استلقى تحتها، اشتهى هذه التفاحة، ومعه منشار شجر، فقص الشجرة من أجل تفاحة، هذا الإنسان لا ينتمي إلى المجموع، أما الذي ينتمي إلى المجموع لا يمكن أن يقطع شجرة من أجل تفاحة، هذا مثل صارخ طبعاً.

أنا أقصد أن الإنسان حينما يُغلّب مصلحة أمته على مصلحته الشخصية ينتمي لهذه الأمة، أما إذا غلّب مصلحته الشخصية على مصلحة أمته يكون هذا لا ينتمي إليها إطلاقاً.

الأستاذ جمال:

الإنسان دكتور النابلسي في حياتي، وفي مجتمعي، أنت تقول: الإنسان يجب أن يهتم بالمجموع، وبالجماعة، لأن يد الله عز وجل فوق الجماعة، أو مع الجماعة، كيف نتحدث عن ترشيد الطاقة؟ الإنسان الذي يبذر، الذي يسرف، الذي يبتعد عن حقيقة أو عن مبدأ أنه ليس لنا دخل، يا أخي الكهرباء متوفرة، والماء متوفر، هناك كلام جميل، يندرج ضمن هذه الآية الكريمة؟

القيم الحضارية أصلٌ في ديننا الإسلامي :

الدكتور راتب:

أنا أقول لك أستاذ جمال: مع الأسف الشديد، هناك قيمٌ سبب قوة الغرب، الشيء المؤسف جداً أن هذه القيم أصلٌ في ديننا، فترشيد الاستهلاك هذا أمر إلهي:

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا)

[سورة الأعراف الآية : 31]

ترشيد الاستهلاك، الانتماء للمجموع، العمل المؤسساتي، فريق العمل، إدارة الوقت، إدارة المال، إدارة الذات، أي ترشيد الاستهلاك، هناك قيم رائعة تجدها في أعلى درجة عند الغربيين، وهي سبب قوتهم، وهي أصلٌ في ديننا، ولو عدنا إلى هذا الدين العظيم لوجدنا هذه القيم التي تسمى الآن القيم الحضارية هي سبب تقدم الجماعات، ونحن في أمس الحاجة إليها، ولا نحتاج أن نستوردها من الغرب، إنها جزءٌ من ديننا، منها ترشيد الاستهلاك،

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا)

ما قال تعالى: لا تسرفوا في الطعام، والشراب، قال لك:

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا)

ولا تسرفوا في أي شيء، في أي شيء مطلقاً.

الأستاذ جمال:

حتى الفلاح الذي يسقي أرضه حالياً، عندما يستخدم أسلوب سقاية المزروعات بالتنقيط يوفر الماء، هذا أيضاً من الدين الحنيف.

ترشيد الاستهلاك حضارة :

الدكتور راتب:

أريد أن أقول لك كلمة: الآن هناك دول قوية، لا تعطي قروضاً لدول نامية إلا إذا استخدمت الري بالتنقيط، أما الري بالغمر، وبالتسييح، نستهلك عشرة أضعاف كمية الماء، لذلك هناك دول الآن قوية لا تمنح القروض لدول ضعيفة، إلا إذا استخدمت الري بالتنقيط، الري بالتنقيط يمنعنا من النباتات الضارة، الري بالتنقيط نحتاج إلى عُشر الماء الذي نستهلكه بالري بطريقة أخرى فهذا من ترشيد الاستهلاك.

الأستاذ جمال:

إذاً قال الله عز وجل ونحن في صدد هذه الآية الكريمة:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

هذه الآية تبعث فينا الحياة، تقول:

(حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)

تذكرنا الآية بأن انطلقوا إلى الحياة الحرة الكريمة.

الدكتور راتب:

كلمة صغيرة قبل أن نتابع، لو أطفأ كل مواطن في سورية مصباحاً واحداً لاستغنينا عن مولدة للطاقة، قيمتها خمسمئة مليون دولار، واستهلاكها في العام من الغاز خمسمئة مليون أيضاً، مليار دولار، إذا أطفأ المواطن مصباحاً واحداً لا يحتاجه، فترشيد الاستهلاك حضارة.

أريد أن أقول لك كلاماً قد لا يصدق: العالم الغربي الغني، القوي، يستخدم نصف الماء الذي نستخدمه نحن، وعنده كل شيء، هناك ترشيد، لو أن صنبوراً معطلاً هذا قد لا تصدق يستهلك مئات الأمتار المكعبة في الشهر، و نحن لا نشعر، لذلك ترشيد استهلاك الطاقة، ترشيد استهلاك الماء، والكهرباء، والوقود، هذه حضارة، وهذه دين، وهذه اقتصاد، وهذه حيوية بالأمة، المشكلة نحتاج إلى وعي.

ملاحظات دقيقة حول قلة الوعي في الدول النامية :

أنا وقد فتحت هذا الموضوع لي ملاحظات دقيقة: عندنا أمراض وبيلة، من هذه الأمراض مرض يصيب الدم، هذا المرض مشكلته أنه لا يكون إلا إذا تزوج إنساناً مصاباً بهذا المرض مع امرأة مصابة، يأتي ولد مصاب، لو أجرينا فحصاً قبل الزواج، لألغينا هذه المشكلة، بإيطاليا هناك أربع حالات من التليسيما، مرض يصيب الدم، هذا يكلف كل ولد أربعمئة أو خمسمئة ألف تبديل دم أسبوعياً، عندنا ألفا مصاب في سوريا، من ضعف الوعي فقط، لو أجرينا فحصاً قبل الزواج، لاختفى هذا المرض، هذا المرض لا يأتي إلا من زوج وزوجة مصابين، لو الزوج فقط لا يوجد مشكلة إطلاقاً، الزوجة فقط لا يوجد مشكلة، لو أجرينا فحصاً استغنينا عن ألفي حالة، يكلفون تقريباً مبالغ ليس من المعقول أن تصدقها ميزانيات دول، ثمن دم كل أسبوعين، المرض اسمه تليسيميا، هذا يصيب الدم، إذا فحصنا هذا الزوج والزوجة، إذا أحدهما مصاب لا يوجد مشكلة، أما إن كان الاثنان مصابين فلا يوجد زواج فقط، التغى المرض، فبلد مثل إيطاليا، فيها سبعون مليوناً، عندها أربع حالات، سوريا فيها ثمانية عشر مليوناً، عندها ألفا حالة، من ضعف الوعي، نحن عندنا مشكلة غير الفقر وهي قلة الوعي.

الآن مثلاً: مرضى السكر أستاذ جمال، يتطور مرض السكر إلى عمى، وإلى شلل، وإلى أمراض وبيلة جداً، في بلاد المسلمين أربعة وخمسون بالمئة من مرضى السكر يتحولون إلى هذه المضاعفات

الخطيرة، في ألمانيا قرأت إحصاء أربعة بالمئة فقط يتحولون من مرض السكر العادي إلى مضاعفاته، وعي، الآن نحن الحديث عن الوعي فقط، فقراء أغنياء ليس مشكلة، المشكلة مشكلة وعي، لو فحصنا زوجين قبل الزواج لاستغنينا عن أمراض لا تعد ولا تحصى.

الأستاذ جمال:

دكتور حق زواج الأقارب، أي له بنت عم، بنت خالة، التحليل قبل الزواج من الدين.

الدكتور راتب:

يضعف، أجروا تجربة في أمريكا، فثبت لهم أن نفقات تلقيح الشعب بأكمله أقل من نفقات معالجة الأمراض الناتجة عن عدم التلقيح، تلقيح الشعب بأكمله، اثنا عشر لقاحاً، كلفة اللقاحات اثنا عشر لقاحاً لكل طفل، مجموع أمة بأكملها، كلفة هذا التلقيح الجماعي الكامل أقل من معالجة أمراض ناتجة عن عدم التلقيح، فالقضية الآن قضية حسابات دقيقة.

الأستاذ جمال:

أيها الأعزاء نتابع مع حضراتكم برنامج "فيه هدىً للناس"، الذي يأتيكم يوم الجمعة صباحاً، من الحادية عشرة والنصف وحتى الثانية عشرة والربع ظهراً، إذاً نحن في صدد الآية الكريمة:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ* ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

دكتور، أين وصلنا في تفسير هذه الآية الكريمة؟.

آية التكاثر تتحدث لا عمن يكسب رزقه بل عمن يبتغي الجمع :

الدكتور راتب:

الآن:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

(التَّكَاثُرُ)

الإنسان في مرحلة من حياته يسعى لكسب رزقه، وضع طبيعي، وجيد، ورائع، وشيء يثنى عليه، لكن بعد أن يكسب رزقه، تنشأ عنده حالة مرضية اسمها الجمع، حقق رزقه الحقيقي، لكن الآن يريد أن يجمع، لذلك قال تعالى:

(وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)

[سورة الزخرف]

أحياناً التنافس على الجمع فقط، وهذا الجمع أحياناً ننسى ديننا، ننسى مبادئنا، ننسى قيمنا، ننسى الدار الآخرة، ننسى أخوتنا الفقراء، من أجل الجمع، فالآية تتحدث لا عمن يكسب رزقه، تتحدث عمن يبتغي الجمع،

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

أي الجمع، أن أسأل زميلي كم ربحت هذا العام؟ يقول لك: خمسة ملايين، لا أنا عشرة، التَّكَاثُرُ بالجمع، قد يحتاج إلى مليون واحد طوال السنة، فلذلك عندما يتجاوز الإنسان مرحلة طلب الرزق إلى الجمع، يكون قد دخل بحالة مرضية، لذلك جاء هنا ذمها،

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

الإنسان قد يجمع أموالاً تكفيه لمئتي عام، وعمره ستون سنة، سيدع كل هذا ويمشي، لمن تركت هذا؟ لو أنه مال حلال لا يوجد مشكلة، لكن لو عصى الله من أجل هذا المال، وتركه، لذلك:

((إن روح الميت ترفرف فوق النعش، تقول: يا أهلي، يا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا، كما لعبت بي، جمعت المال مما حلّ وحرم، فأنفقته في حله، وفي غير حله، فالهناء لكم، والتبعة علي))

[ورد في الأثر]

و يقول عليه الصلاة والسلام:

((ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح في كل بيت ثلاث مرات، فمن وجده منهم قد استوفى رزقه، وانقضى أجله، قبض روحه؛ وأقبل أهله برنة، وبكاء، فيأخذ ملك الموت بعضادتى الباب فيقول: مالي إليكم من ذنب، وإني لمأمور، والله ما أكلت لكم رزقاً، ولا أفنيت لكم عمراً، ولا انتقصت لكم أجلاً، وإن لي فيكم لعودة، ثم عودة، ثم عودة، حتى لا أبقي منكم أحداً، قال الحسن: فو الله لو يرون مقامه، ويسمعون كلامه، لذهلوا عن ميتهم، ولبكوا على أنفسهم))

[ابن أبى الدنيا في ذكر الموت وأبو الشيخ عن الحسن]

الكسب والرزق :

أستاذ جمال، الإنسان يسعى لما لا يستهلك، لذلك العلماء فرقوا بين الكسب والرزق، الرزق ما انتفعت به، الذي أكلته فقط، الذي لبسته من ثياب، البيت الذي تسكنه، السرير الذي تنام عليه فقط، هذا هو رزقك، والإنسان قد يجمع مئات الملايين، لا يستهلكها، يحاسب عليها ولا يستهلكها، الكسب شيء، والرزق شيءٌ آخر، الرزق ما انتفعت به مباشرةً، أما الكسب، حجمك المالي، الرصيد في المصرف، هذا هو الرزق، الكسب، فالكسب محاسب عليه، مع أنه لم ينتفع به، لذلك أندم الناس غنيٌ دخل بماله

النار، ودخل ورثته بماله الجنة، أنفقوا هذا المال في طاعة الله فدخلوا الجنة به، هو كسبه من حرام، فدخل به النار.

الأستاذ جمال:

ألا يجعلنا هذا نتوقف عند الذين كسبوا المال، ولنقل من وجوه حلال، فالإنسان العاقل هو الذي جمع المال من وجوهٍ حلال، وأنفقه في وجوهٍ مختلفة لمساعدة الناس، كم هي اللذة و العطاء؟.

العمل الصالح علة وجود الإنسان في الدنيا :

الدكتور راتب:

أقسم لك بالله أستاذ جمال، أنني أقول دائماً: إذا كان طريق الغنى سالكاً وفق منهج الله فيجب أن تكون غنياً، يجب لماذا؟ لأن علة وجودك في الدنيا العمل الصالح، وفرص العمل الصالحة المتاحة للأغنياء ليست متاحة للفقراء، متاحٌ لك أيها الغني أن تزوج الشباب، أن تشتري البيوت، أن تؤلف الجمعيات الخيرية، أن تنفق على المساكين، أن تطعم الفقراء، أن تكسو العراة، أن ترعى الأرامل، أن ترعى الأيتام، أمام الغني فرص العمل الصالح لا تعد ولا تحصى، لذلك والله الذي لا إله إلا هو كلما التقيت بغني مؤمن، أقول له: والله ما جعلك الله غنياً إلا لتصل بمالك إلى أعلى درجات الجنة، الغنى شيء محبب، الغني المؤمن من أروع ما يكون، هذا المال يأخذ منه حاجته، والباقي ينفع به الأمة.

الأستاذ جمال:

خاصة سيدي أن:

((ما عُبد الله بأحب من جبر الخواطر))

[ورد في الأثر]

الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق :

الدكتور راتب:

طبعاً، أحياناً غني ينشئ مستشفى، مستوصفاً، مدرسة، أعرف أغنياء والله لا أنسى هذا الغني، أنشأ أبنية ثلاث، البناء، الطابق ستون متراً، أجّره للشباب بألفي ليرة، ثمن الإيجار عشرون ألفاً، إيجار رمزي كي يشجع الزواج.

أنا أقول لك أستاذ جمال: الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، والله هناك أعمال صالحة لا تعد ولا تحصى، والله أنا أغبط الأغنياء على أن الله أعطاهم مالاً بإمكانهم أن يصلوا به إلى أعلى درجات الجنة، والأعمال الصالحة التي أمام الغني لا تعد ولا تحصى.

الآن أحياناً فرضاً بعض الأغنياء إذا رأوا طالباً متفوقاً، يبعثون به للدراسة العليا على حسابهم، ماذا فعلوا؟ جلبوا للأمة عالماً، لأن الأعداء مهمتهم قتل العلماء، في العراق تمّ قتل ثلاثة آلاف وتسعمئة عالم، أرادوا أمةً بلا علماء، أمةً جاهلة، أمة قطيع، لذلك الآن البطولة أن نشجع طلاب العلم، أن ندعمهم ببعثات خارجية، لأن قوتنا بعلمائنا، فلذلك العلم فريضة الآن، الأمة الضعيفة أهم شيء عندها العلم، قد نأتي بخبير يكلفنا راتب مئة ضعف عن مواطن عندنا، يأخذ مئة ضعف، وقد لا ينصحنا.

الأستاذ جمال:

وهذا المواطن هو أخلص لأمته، إذاً:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)

الحياة الدنيا فرصة ذهبية للإنسان ليعمل عملاً يؤهله لحياة أبدية :

الدكتور راتب:

كلمة مقابر أي: إنسان أصبح معه مئات الملايين، ثم ماذا بعد الغنى؟ القبر، استمتع بالحياة إلى أقصى درجة، ثم ماذا بعد الاستمتاع؟ القبر، القبر ينهي كل شيء، ينهي قوة القوي، وضعف الضعيف، وغنى الغني، وفقر الفقير، ينهي صحة الصحيح، ومرض المريض، ينهي وسامة الوسيم، ودمامة الدميم، الموت ينهي كل شيء، فأنت في الحياة الدنيا أمامك فرصة ذهبية لا تعوض، لتعمل عملاً في هذه الحياة تؤهلك لحياة أبدية، فهذا المعنى غاب عن معظم الناس واشتغلوا بالملذات الفنية، يأتي ملك الموت، ما قدم ولا عمل لآخرته، هذه المصيبة الكبرى، لذلك:

(قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)

[سورة الزمر]

الأستاذ جمال:

وقال تعالى:

(وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)

[سورة الصافات]

الدكتور راتب:

أن تخسر الآخرة خسرت كل شيء، أما الدنيا فقد تعوضها في الآخرة.

الأستاذ جمال:

إذاً الحديث فيه غنى دائماً من خلال الأمثلة، دكتور محمد راتب النابلسي تحدثت أنت عن غنى الغني في سلفنا الصالح، في أيام الصحابة والتابعين، وأهل البيت، هناك أمثلة تدل على سخائهم، على عطائهم، على بذلهم، لبناء أمتهم آنذاك، كيف نحن في هذه الأيام نسلك هذا السبيل لنصل إلى سعادة الدنيا والآخرة؟

أنواع الفقر :

الدكتور راتب:

سيدنا عثمان قال عنه النبي الكريم:" والله ما ضرّ عثمان ما فعله بعد اليوم ـ جهز بماله وحده جيشاً ـ قال: "والله ما ضرّ عثمان ما فعله بعد اليوم".

سيدنا الصديق أنفق كل ماله، فقال له النبي الكريم: "يا أبا بكر ماذا أبقيت لنفسك؟ قال: الله ورسوله".

أنا أقول أستاذ جمال: هناك ثلاثة أنواع للفقر، هناك فقر القدر، إنسان معه عاهة، هذا فقير، معه عاهة دائمة، صاحب هذا الفقر معذور، دعك منه، هناك فقر الكسل، كسول لا يعمل، لا يتقن، لا يلبي حاجة الناس، لا ينضبط بالمواعيد، هذا فقير أيضاً، هذا فقر الكسل فقر قذر، وهناك فقر القدر، وهناك فقر يعد وسام شرف، فقر الإنفاق:" يا أبا بكر ماذا أبقيت لنفسك؟ قال: الله ورسوله".

ففقر الإنفاق هذا وسام شرف، فقر القدر صاحبه معذور، أما فقر الكسل فصاحبه مذموم.

الأستاذ جمال:

سيدنا عبد الرحمن بن عوف أيضاً ضرب أمثلةً رائعة في البذل، والعطاء.

الصدقة الجارية صدقة كبيرة تستمر إلى يوم القيامة :

الدكتور راتب:

يبدو أنه سمع مرةً كلمة، أنه سوف يدخل الجنة حبواً ـ زحفاً ـ فقال: والله لأدخلنها رملاً، وما عليَّ إذا كنت أنفق مئةً في الصباح فيأتيني الله ألفاً في المساء، سأدخلنها خبباً.

أحد الصحابة قال: حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي، هذا الصحابي الجليل رسم للمال عند المسلم هدفين كبيرين، حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي.

كم زرت مستشفى أسسها إنسان، وتوفي هذا الإنسان، وإلى الآن تبقى تستقبل المرضى والمصابين،

هناك مياتم، ومستشفيات، ومستوصفات، ومعاهد شرعية، و تعليم، و تأليف كتب، الصدقة الجارية صدقة مذهلة، تستمر إلى يوم القيامة.

الأستاذ جمال:

إذاً نعود إلى ختام هذه الآية دكتور، ماذا تقول؟

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)

أندم الناس من عاش فقيراً ليموت غنياً :

الدكتور راتب:

والله كأن الله عز وجل لا يريدنا أن نهتم بالتكاثر، بجمع الدرهم والدينار، يريدنا أن نهتم بالعمل الصالح، لأنه سبب دخول الجنة، وأنا أقول مرة ثانية: ما جعل الله الغني غنياً إلا ليصل بماله إلى أعلى درجات الجنة، فبين أن تجمع المال من حله ومن غير حله، وبين أن تكنزه، أي من هو الغني والبخيل؟ هو الذي عاش فقيراً ليموت غنياً، وما أكثرهم، أحمق.

الأستاذ جمال:

دكتور، أنا سؤالي هنا تستوقفني حالة في بعض المجتمعات، إنسان يصلي، يحج بيت الله الحرام، يصلي خلف الإمام، وعنده عائلة وأهل، وغني، ولكنه بخيل، البخل كالذي جمع المال كما قلت بداية حديثك هو مرض جمع المال، أيضاً البخل مرض، وما أقبح هذا المرض.

الدكتور راتب:

سيدي أستاذ جمال، جزاك الله خيراً، ما تقول في الورم الخبيث؟ مرض خطير، مرض مميت، صدق ولا أبالغ، إذا كان الورم الخبيث مرضاً كبيراً جداً، ومميتاً، يصيب الجسم، فالشح لا يقل عنه، مرضٌ خبيث، يصيب النفس، الشحيح مريض، الشحيح أحمق، لأنه جمع المال وكنزه، وسوف يتركه، أندم الناس من عاش فقيراً ليموت غنياً، وهؤلاء الورثة وقد يكونوا بعيدين عن الحق، يتلفون مال أبيهم، لذلك أندم الناس من دخل النار بماله.

الأستاذ جمال:

وما بالك بأحد الأشخاص توفي والده، وترك له المال الوفير، والأطيان، والعقارات، وظلم أخوته في التوزيع من هذه التركة، هذا من جماعة

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

الابتعاد عن الظلم لأن الظلم ظلمات يوم القيامة :

الدكتور راتب:

نعم، لكن سبحان الله أستاذ جمال هذه للموعظة، والله عندي مئات القصص عن أسرةٍ توفي الأب، وترك أموالاً كثيرة، واغتصبها أحد الأولاد الكبار، بعد حين هذا الكبير ضيع كل المال، واشتغل عند أخوته الذين حرمهم، والله عندي عشرات القصص، هذا الابن الكبير الذي اغتصب المال كله، وأبقى أخوته جياعاً، وفقهم الله عز وجل، واغتنوا، وأتلف الله ماله، فاشتغل عندهم، الله كبير.

صدق أستاذ جمال أقول: الله كبير، أشعر أن هذه الكلمة تحتمل معاني لا نهاية لها، الله كبير، إياك ثم إياك أيها الأخ المسلم أن تأكل مالاً حراماً، الله يتلفه.

الأستاذ جمال:

((اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة))

[أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله]

إذاً الله عز وجل يقول في كتابه العزيز، في سورة التكاثر:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ* ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

ماذا نقول في:

(ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

أي شيء ينعم به الإنسان في الدنيا يُسأل عنه :

الدكتور راتب:

والله

(النَّعِيمِ)

أي أعطاك الله وقت فراغ، كيف استهلكته؟ أعطاك صحةً، ماذا فعلت بها؟ أعطاك مالاً، ماذا فعلت به؟ أعطاك أولاداً، هل ربيتهم؟ فأية نعمةٍ ساقها الله إليك سوف تُسأل عنها، هل شكرت الله عليها؟ هل أنفقتها وفق طاعة الله أم سخرتها لمعصية الله؟.

(ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

في بعض التفاسير قال: تُسأل عن الماء البارد يوم القيامة.

الأستاذ جمال:

ومن العلماء من قال: يُسأل الإنسان عن أجمل ما يتلذذ به في الدنيا.

الدكتور راتب:

نعم كل شيء، أي شيء تنعم به في الدنيا تُسأل عنه، التنعم ليس ممنوعاً عن المسلمين، لكن أن يبتغي التنعم فقط على حساب مبادئه ودينه، فهذا ممنوع.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (12-18) - تفسير قوله تعالى في سورة التكاثر : القبر! وماذا بعد القبر؟

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-07-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمدٍ بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أيها الأخوة والأخوات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهلاً بكم إلى هذه الحلقة المتجددة من لقائنا الأسبوعي: "فيه هدىً للناس".

أيها الأعزاء: كنا في الأسبوع الماضي كنا قد تحدثنا عن سورة التكاثر، بسم الله الرحمن الرحيم:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ* ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

[سورة التكاثر]

كنا قد التقينا مع صاحب الفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، ونتابع اليوم اللقاء مع سماحته، دكتور السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الدكتور راتب:

وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته أستاذ جمال، جزاك الله خيراً.

الأستاذ جمال:

دكتور،

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)

كيف نبدأ ونفهم هذا المعنى في كتاب الله عز وجل؟

الموت نهاية كل حيّ :

الدكتور راتب:

الحقيقة، سيدنا عمر يقول: كفى بالموت واعظاً يا عمر.

أستاذ جمال، ماذا بعد الغنى؟ الموت، ماذا بعد القوة؟ الموت، ماذا بعد الانغماس بكل ملذات الحياة؟ الموت، ماذا بعد الزواج؟ الموت، الموت ينهي كل مخلوق، أي كتب الله على عباده الموت، والموت نهاية كل حي، والموت قطع، أي من أعلى درجات الغنى إلى القبر، من أعلى درجات القوة إلى القبر، من أعلى مستويات الاستمتاع بالحياة إلى القبر، القبر فيه موعظة ما بعدها موعظة.

لكن القبر للمؤمن روضة من رياض الجنة، المؤمن يشبه طالباً عُرض عليه أن يأتي بدكتوراه، وبعدها يعين في أعلى منصب، ويسكن أجمل بيت افتراضاً، ويقتني أجمل مركبة، هو حينما نال هذه الدكتوراه انتهى وقت التعب، والسهر، والدراسة، والهموم، بدأت النتائج، بدأ الاستمتاع بالحياة، بدأت المكانة الكبيرة، بدأ المنصب الراقي، المركبة الفارهة، القصر الجميل، فالموت ينهي حياةً دنيا وتبدأ به حياة عليا.

لذلك قرأت تاريخ سبعين صحابياً، الشيء الذي يلفت النظر ما منهم واحدٌ إلا كان في أسعد لحظات حياته عند فراق الدنيا.

واكربتاه يا أبتي، سيدنا بلال قال: لا كرب على أبيك بعد اليوم، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه.

الموت عرس المؤمن :

الموت عرس المؤمن، الموت تحفة المؤمن، مرة ثانية: إنسان عُرض عليه وهو فقير جداً أن يدرس على حسابه ليشغل أعلى منصب بعد أن ينال الدكتوراه، اشتغل في المطاعم، غسل الصحون، اشتغل حارساً، ودرس، سبع سنوات أمضاها لا يعرف الراحة ولا دقيقة، من عمل مضن إلى دراسة مضنية، أخذ الدكتوراه وأخذ المصدقة وصدقها، وقطع تذكرة الطائرة، انظر الآن هذا الطالب الموعود بأعلى منصب في بلده، يقتني أجمل مركبة، يتزوج أجمل امرأة، وعنده أجمل بيت، الآن يضع رجله على سلم الطائرة، هذا الوضع على سلم الطائرة أنهى حياة التعب، بدأ حياة التكريم، هذا الوضع، فالموت تحفة المؤمن، الموت عرس المؤمن، الموت بداية السعادة الأبدية، الموت بداية العطاء الإلهي، لذلك قيل:

(قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي)

[سورة يس الآية: 26- 27]

في بعض الآثار النبوية: أن المؤمن حينما يرى مكانه في الجنة، مقامه في الجنة، يعرق عرق الخجل، فيقول: لم أرَ شراً قط، كل المتاعب التي ساقها الله له في الدنيا ينساها، وحينما يرى الذي غفل عن الله مكانه في النار يقول: لم أرَ خيراً قط، كل اللذائذ التي اقتنصها ينساها عند هذه اللحظة.

فالبطولة أستاذ جمال، أن نعيش المستقبل، وأخطر شيءٍ في المستقبل مغادرة الدنيا، الله عز وجل يقول:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

لكن ماذا بعد التكاثر؟ الموت، ماذا بعد الغنى؟ الموت، ماذا بعد القوة؟ الموت، فالموت نهاية كل حي، فالموت إما أن يكون تحفة بل عرساً، وإما أن يكون شقاءً ما بعده شقاء، مأتماً، أو عرساً.

الأستاذ جمال:

إذاً، يعني

(حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)

مغادرة الدنيا أخطر شيءٍ في المستقبل :

الدكتور راتب:

الحقيقة عن كلمة زرتم، الإنسان في القبر إلى حين، إلى يوم القيامة، القبر اسمه برزخ، البرزخ الوقت الذي بين موت الإنسان وبين يوم القيامة، لذلك الله حدثنا عن هذا البرزخ بآية تقول عن آل فرعون:

(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً)

[سورة غافر الآية: 46]

مثل إنسان محكوم بالإعدام، كلما فتح باب زنزانته يتصور أنهم جاؤوا ليعدموه:

(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)

[سورة غافر]

أستاذ جمال، البطولة لا أن تعيش الماضي، الأغبياء يتغنون بالماضي، والبطولة ألا تعيش الحاضر، الذكاء، والعقل، والبطولة أن تعيش المستقبل، وأخطر حدث في المستقبل مغادرة الدنيا:

((إن أكيسكم))

أي أعقلكم:

((قال رجل : يا رسول الله أي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً، قال : يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها؟ قال : نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت))

[ابن مردويه عن ابن مسعود]

((أكثروا ذكر هادم اللذات))

[أخرجه الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة]

مفرق الأحباب، مشتت الجماعات.

((عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارق، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌ به))

[أخرجه الحاكم عن سهل بن سعد]

التفكر بالموت له معنى إيجابياً وليس معنى سلبياً :

أستاذ جمال، الموت إذا ذُكر جعل الكثير قليلاً، والقليل كثيراً، كيف؟ الذي معه ملايين مملينة، الموت يعني انتهاء هذه الثروة، دخل إلى القبر، والفقير له أعمال صالحة كثيرة، الموت يعني أنه موعود بالجنة، فما ذُكر الموت في كثير إلا قلله، وما ذُكر في قليل إلا كثره، النبي قال:

((أكثروا ذكر هادم اللذات))

أنا لا أصدق، أو أنا لا أتصور، أنك ينبغي أن تدع العمل، تعمل، وتدرس، وتنجز، وتتفوق، وتؤسس شركة، وتقيم دعوة كبيرة، لكن وفق منهج الله، التفكر بالموت لا من أجل أن تدع الحياة، ولكن من أجل أن تنضبط في الحياة.

أنا كنت مرة في بلد بأمريكا والقصة قديمة جداً، وهناك شريط متحرك في المطار، وقفت عليه فهو يمشي، فأنا واقف ماشٍ، فلما سرت عليه، تضاعفت سرعتي، وكان عن يميني حاجز وعن يساري حاجز، تصورت أن هذا الشريط يشبه الموت، يسرع الخطا إلى الله، ويمنعك أن تعصيه يمنةً ويسرةً.

فالتفكر بالموت له معنى إيجابياً، وليس معنى سلبياً، اشتغل، واعمل، وادرس، وخذ شهادات، وتزوج، وتفوق بعملك، وخذ أوسمة، لا يوجد مانع، هكذا الحياة، لكن من أجل ألا تعصي الله، الموت يمنعنا أن نعصيه، فكأن الموت أصبح رادعاً، مستمراً.

((أكثروا ذكر هادم اللذات))

الله قال:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)

كنت أقول: ثم ماذا؟ مرة ألقيت درساً حول كلمة ثم ماذا؟ أصبحت أغنى أغنياء البلد، ثم ماذا؟ الموت، أصبحت أقوى أقويائه، ثم ماذا؟ الموت، أصح أصحائه، الموت، الموت إذا ذُكر قلب كل شيء، فالبطولة أن نستعد له قبل أن نفاجأ به، الآن الأذكياء دائماً لا يفاجؤون، الأغبياء يعيشون الماضي دائماً، يتغنون بالماضي، الأقل غباء يعيشون الحاضر، أما الأذكياء والعقلاء على مستوى الأمم والشعوب يعيشون

المستقبل، المستقبل في هذا الحدث، أخطر حدث مستقبلي مغادرة الدنيا، لا ينجو من الموت لا ملك، ولا وزير، ولا أمير، ولا فقير، ولا حقير، ولا غني، نهاية كل حي لذلك:

((أكثروا ذكر هادم اللذات))

والله قال:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)

من أدخل الموت في حساباته نجا من مفاجآته :

((بادِرُوا بالأعمال الصالحة))

حديث دقيق جداً، أستاذ جمال، فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟ تصور إنسان عائش:

((هل تُنْظرون إلا فقراً مُنْسياً))

فقر شديد ينسيك كل شيء:

((أو غِنى مُطغياً))

الغني على بصره غشاوة، غناه أنساه سرّ وجوده، وغاية وجوده، أنساه العمل الصالح، استعلى على الناس:

((بادِرُوا بالأعمال سبعاً: هل تُنْظرون إلا فقراً مُنْسياً، أو غِنى مُطغياً، أو مَرَضاً مُفسِداً، أو هَرَماً مُفنِداً، أو موتاً مُجْهِزاً، والدجال؟ والدَّجَّالُ شَرُّ غائب يُنْتَظرُ، والساعة ؟ والساعة أدْهَى وأمرُّ))

[أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

لذلك أستاذ جمال، الإنسان إذا أدخل الموت في حساباته نجا من مفاجآته.

الآن إنسان أحياناً للتقريب: يسافر إلى بيروت، أوضح مثل، وهو في الحدود رأى محاسبة على البضائع مذهلة، تضع كل شيء معك على طاولة لتحاسب عليه مثلاً، بعد أن رأى هذا المنظر وهو ذاهب إلى بيروت، هل يشتري آلات كبيرة؟ لا لن تدخل.

فالبطولة أن تقول: هذا العمل هل يقبله الله مني بعد الموت؟ هذه الوظيفة إن كانت في إيذاء الناس فرضاً، أو هذا العمل إذا كان فيه إفتان الناس، فيه أعمال لا ترضي الله، فيه أعمال مبنية على المعاصي والآثام، فيه أعمال مبنية على ابتزاز أموال الناس، فيه أعمال مبنية على إفساد علاقاتهم، يا ترى قبل أن تفعل شيئاً، قبل أن تحترف حرفة، قبل أن تقوم، قبل أن تصل، قبل أن تقطع، قبل أن تعطي، قبل أن تمنع، قبل أن ترضى، قبل أن تغضب، هل فكرت أن الله سيحاسبك؟ البطولة كلها أن تتصور وأنت مقدم على أي عمل أن الله سيسألك، لماذا فعلت هذا؟ ماذا تبتغي من هذا؟ والله:

(يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)

[سورة طه]

الخيار مع الإيمان ليس خيار قبول أو رفض إنما خيار وقت فقط :

لذلك:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا)

ليست كلا أداة نفي،

(كَلَّا)

أداة ردع،

(كَلَّا)

لا تكونوا كذلك، لا تكونوا قد التهيتم بالدنيا، وغفلتم عن الآخرة،

(كَلَّا)

الله يردعنا،

(سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)

ستعلمون مرتين، مرة عند الموت:

(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)

[سورة ق]

أكفر كفار الأرض الذي قال:

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

[سورة النازعات]

والذي قال:

(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)

[سورة القصص الآية: 38]

هذا الكافر العنيد، ماذا قال عند الموت عندما أدركه الغرق؟

(آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وأنا من المُسلمين)

[سورة يونس الآية:90]

أستاذ جمال، هناك قضية دقيقة جداً، أنت مع مليون موضوع مخير، خيار قبول أو رفض، عرضوا عليك سفراً، والسفر غير مريح، والتعويضات قليلة جداً فرفضته، عرضوا عليك بيتاً غالياً، وصغيراً، وبحيّ غير لائق، رفضته، قد يعرض عليك آلاف الأشياء ترفضها، إلا الإيمان الخيار مع الإيمان ليس

خيار قبول أو رفض، خيار وقت، إما أن تؤمن قبل فوات الأوان، وتنتفع بإيمانك، أو أنه لابد من أن تؤمن بعد فوات الأوان، الذي قال:

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

والذي قال:

(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)

عندما أدركه الغرق قال:

(آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ)

الإنسان إذا أدخل الموت في حساباته نجا من أخطاره :

أقول لك أستاذ جمال: كل أهل الأرض على اختلاف مللهم، ونحلهم، وانتماءاتهم، وأعراقهم، ومذاهبهم، وطوائفهم، وتياراتهم، هؤلاء جميعاً سوف يكتشفون الحقيقة التي جاء بها الأنبياء عند الموت.

هناك إنسان أستاذ جمال، دهسته سيارة، وغاب عن الحياة لدقائق، ثم ردت له الروح، أي حالات الموت المؤقت، فذكر ماذا رأى بعد أن مات، كتب كتاباً جاء عالم كبير، بحث عن هذه الحالات في العالم كله، فوجدها سبعين حالة، ألف كتاباً، الحياة بعد الموت، أي كل واحد مات لفترة محددة، ثلاث دقائق، أربع دقائق، ماذا رأى؟ الشيء الذي لا يصدق، أن هؤلاء الذين ماتوا موتاً مؤقتاً، على اختلاف دياناتهم، واختلاف طوائفهم، وأعراقهم، وحالاتهم الثقافية، والاجتماعية، والعلمية، تكلموا كلاماً واحداً، أنهم عرفوا أن الله خلقهم في الدنيا للعمل الصالح، وأنهم غفلوا عنه، الكتاب باللغة الإنكليزية، تُرجم للغة العربية، اسمه "الحياة بعد الموت"، سبعون أو ثمانون حالة، من أشخاص ماتوا موتاً مؤقتاً لدقائق، ثم عادت لهم الحياة، ماذا رأوا؟

فلذلك الإنسان إذا أدخل الموت في حساباته نجا من أخطاره، أما إذا غفل عن هذا الموت داهمته أخطاره،

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)

الأستاذ جمال:

إذاً:

(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)

كل إنسان يعرف الحقيقة عند الموت :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال، لو فرضنا طعاماً فيه سُم، والسم قاتل، والطعام له رائحة طيبة، وهناك مواد دسمة لها رائحة فواحة، وشيء مشهي، فالبطولة أن أتجاوز هذه الرائحة الطيبة للطعام، وأن أدرس السُّم الذي فيه.

فالإنسان أحياناً يكون بسذاجة، يتحرك بلا دراسة، بلا وعي، بلا مبادئ، بلا قيم، يقتنص الملذات، والشهوات، ثم يفاجأ أنه خسر الأبد:

(قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

[سورة الزمر الآية: 15]

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا)

إياكم أن تفعلوا هذا، لأنه

(كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)

لكن متى؟ عند الموت، لكن عند الموت يوم:

(لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً)

[سورة الأنعام الآية: 158]

والحقيقة الآن كإنسان لم يدرس، دخل الامتحان، ولم يكتب ولا كلمة، الآن رجع للبيت، وفتح الكتاب المقرر، وقرأ الإجابة الصحيحة، لكن هذه القراءة جاءت في غير وقتها، متأخرة، لا قيمة لها إطلاقاً، فالبطولة أن تعرف الإجابة أثناء الامتحان.

فلذلك الإنسان عند الموت يعرف الحقيقة، عرفها فرعون، الذي قال:

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

هو أكفر كفار الأرض، عرفها فرعون وكل إنسان سيعرفها، والله قال:

(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ)

الشهوة غطاء، الشهوة تعمي، وتصم،

(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)

ترى الحقيقة ناصعة، ترى الحقيقة التي جاء بها الأنبياء جميعاً عند الموت.

الأستاذ جمال:

إذاً المطلوب كما سألتك مع بداية حديثي، المطلوب من خلال كلامكم، وملاحظاتكم، المطلوب من الإنسان أن يكسب في كل لحظةٍ من حياته عملاً طيباً صالحاً.

الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه :

الدكتور راتب:

نعم، لأنه بضعة أيام، كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه، والله أستاذ جمال، ما وجدت تعريفاً للإنسان جامع، مانع، رائع، كهذا التعريف، هذا تعريف الحسن البصري، قيل له ما الإنسان؟ قال: هو بضعة أيام، كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه، فرضاً الإنسان له عند الله ثلاث وثمانون سنة، وسبعة أشهر، وثلاثة أسابيع، وأربعة أيام، وثماني ساعات، وأربع دقائق، وست ثوان، الآن كلما تحرك العقرب ثانية واحدة قرب من أجله، قال له: لأنه أنت بضعة أيام، هذا المفهوم للوقت مفهوم الإنسان الزمني، مفهوم خطير جداً، أنا سوف أرحل، ألق نظرة على سوق الحميدية في الشام قبل خمسين سنة هناك طقم آخر، أصحاب محلات، بكل مكان كل خمسين سنة هناك تبدل، البيوت والمتاجر، فالله جعلنا خلفاء بعضنا بعضاً، فالموت لابد منه، عند الموت لا ينفع إلا العمل الصالح.

الأستاذ جمال:

فهذه الدنيا لا تبقي على أحدٍ، ولا يبقى على حال لها شأن:

هي الأمور كما شاهدتها دولٌ من سره زمنٌ ساءته أزمان

***

أيها الأعزاء نتابع مع حضراتكم، مع صاحب الفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، بموضوع لقائنا الأسبوعي هذا "فيه هدىً للناس"، وصلنا إلى الآية الكريمة:

(ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)

عين اليقين و حق اليقين :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال، للتوضيح: أنا أقف أمام جدار، ويصعد خلف الجدار دخان، أنا بحسب معلوماتي التي أعرفها أقول: لا دخان بلا نار، حقيقة، هذا اسمه استنباط منطقي، مستوى من الحقائق، لو تحركت نحو وراء الجدار لرأيت الدخان بعيني، قال: هذا

(عَيْنَ الْيَقِينِ)

اقتربت من النار فشعرت بوهجها، هذا حق اليقين، أي في علم اليقين استنباط، هناك عين اليقين، وهناك حق اليقين

(كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ)

مثلاً إنسان يركب مركبة، والطريق منحدر انحداراً شديداً، و بنهاية الطريق انعطاف حاد، تسعون درجة، هذا السائق يفرح بهذه السرعة الرائعة لو علم عِلْمَ الْيَقِين أن المكبح معطل، يقول لك: انتهينا.

بطولة الإنسان أن يعد لكل سؤال جواباً يوم القيامة :

(لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)

هذا الغارق في الملذات، في المعاصي والآثام، يتوهم نفسه سعيداً، هذا لو يعلم ماذا ينتظره من حسابٍ دقيق، من سؤالٍ دقيق، يحاسب عن أعماله، عن كسب ماله، عن إنفاق مال، عن علاقاته، بنى مجده على أنقاض الناس، بنى حياته على موتهم، بنى غناه على فقرهم، لو أن هذا الإنسان يعلم

(عِلْمَ الْيَقِينِ)

أنه سيحاسب عن كل شيء:

(فَوَرَبِّكَ)

أقسم الله تعالى:

(لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

[سورة الحجر]

هذه الآية أنا أقول: قاصمة الظهر، سوف نُسأل عن كل شيء، فالبطولة أن نُعد لكل سؤالٍ جواباً،

(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)

أي إنسان ـ عفواً ـ إذا تاجر بالمخدرات، هو بعيد عن تصور نتائج هذه التجارة، الآن من يتاجر بالمخدرات يعدم، المتعاطي غير المتاجر، فهذا الذي تاجر بالمخدرات ربح أرباحاً طائلة، وغفل عن عقاب التجارة بالمخدرات، ثم سيق إلى حبل المشنقة، متى يعرف الحقيقة؟ عند حبل المشنقة، فالبطولة أن تعرف النهاية قبل أن تأتي:

(آَلْآَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ)

[سورة يونس الآية: 91]

(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)

هذا عند الموت،

(ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)

يوم القيامة،

(ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

هذا المال الذي أعطاك الله إياه ماذا فعلت به؟ أنفقته على الملذات والآثام والمعاصي أم أنفقته في طاعة الله؟ أنفقته على علاقةٍ بأنثى لا تحل لك أم على زوجتك التي أحلها الله لك؟ أنفقته على أولادك أم على أخلالك في الملاهي الليلية؟ على من أنفقته هذا المال؟ المال تُسأل عنه، والصحة تُسأل عنها، أي شيءٍ تنعمت به تُسأل عنه، لذلك الإنسان حينما يتحرك وفق منهج الله، كل أعماله صالحة، حتى لو أطعم أولاده، لو أكرمهم، لو أخذهم نزهة، لأن المؤمن عاداته عبادات، بينما المنافق عباداته سيئات، ولا يطؤون موطئاً إلا كتب لهم به عملٌ صالح، أنت حينما تعرف الله كل حركاتك وسكناتك أعمالٌ صالحة، تبتغي بها وجه الله، تبتغي منها إكرام الزوجة، إكرام الأم والأب، إكرام الأولاد، نفع المجتمع، أن ترقى بمجتمعك، أن ترق بأمتك، المؤمن نيته خيرٌ من عمله.

الأستاذ جمال:

يقودنا هذا إذاً إلى حفظ حقوق الجار دكتور محمد راتب النابلسي.

حفظ حقوق الجار :

الدكتور راتب:

أتدرون ما حق الجار؟ إذا استعان بك أعنته، وإن استقرضك أقرضته، وإن مات شيعته، وإن مرض عدته، وإن أصابه خيرٌ هنأته، إن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطل عليه بالبناء، فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فأهدِ له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك، إلا أن تغرف له منها، هذا حق الجار.

الأستاذ جمال:

كم من الجارات دكتور النابلسي نراها تصلي، وتدّعي أنها ملتزمة بحقوق ربها عز وجل، ونراها تتلفظ بالنميمة، والوشاية، والغيبة، أين هي هذه من موضوع

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)

الدكتور راتب:

النبي قال عن هذا:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ : هِيَ فِي النَّارِ))

[أحمد عن أبي هريرة]

لأن العبادة شيء، والاستقامة شيء آخر، لابد أن تستقيم على أمر الله.

((وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

[الترمذي عن أبي هريرة]

الإيمان هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان، والله عز وجل حينما أثنى على النبي الكريم، أثنى عليه بخلقه العظيم، والإيمان إذا لم يُتوصل منه إلى خلقٍ كريم فلا قيمة له.

الأستاذ جمال:

أيها الأعزاء نتابع مع حضراتكم تفسير الآية الكريمة سورة التكاثر، وصلنا سيدي إلى

(ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

ماذا نقول؟.

سؤال الإنسان عن أي نعيم تنعم به في الدنيا :

الدكتور راتب:

أيُّ نعيمٍ تنعمت به تُسأل عنه، وليكن نعيم المال، من أين اكتسبته؟ وفيمَ أنفقته؟ نعيم الجاه، أنت في جاهٍ كبير، هذا الجاه ماذا فعلت به؟ استخدمته لنصرة الضعيف أم التباهي على الناس؟ أي شيءٍ أعطاك الله إياه، يمكن أن يكون سُلماً ترقى به عند الله، أو دركاتٍ تهوي بها عند الله، فأي عمل، أي شهوة، أي حظ، المال، الوسامة، الذكاء، طلاقة اللسان، العلم، النسب، الحسب، أي شيءٍ منحك الله إياه، يمكن أن يكون سُلماً ترقى به، أو دركاتٍ تهوي بها، بينما هذه الشهوات التي أودعها الله فينا، ما أودعها فينا إلا لنرقى بها إلى رب الأرض والسماوات، فالشهوة إذا سارت في قناتها النظيفة كانت عملاً صالحاً، وإن سارت في قناةٍ أخرى كانت عملاً سيئاً، لأن الإنسان مخير إذاً كل شهواته حيادية، يمكن أن تكون سلماً يرقى بها، أو دركات يهوي بها، وكل حظوظه حيادية، أي حظ الذكاء، وطلاقة اللسان، والوسامة، وما إلى ذلك، هذه سلم نرقى بها، أو دركات نهوي بها، والإنسان دائماً مع الشهوات، إما أن يرقى بها إلى الله، وإما أن يسقط عند الله بها، هو إنسان مخير.

الأستاذ جمال:

ألا تقودنا هذه الآية الكريمة سيدي إلى الأمانة التي عجزت السماوات والأرض عن حملها، فحملها الإنسان؟.

من عرّف نفسه بربها وحملها على طاعته وزكاها فقد نجح وأفلح في الدنيا والآخرة:

الدكتور راتب:

هو معظم العلماء رأوا الأمانة أن الله ملكك نفسك التي بين جنبيك، جعلها عندك أمانة، وقال لك:

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

[سورة الشمس]

الذي يُعرف نفسه بربها، ويحملها على طاعته، ويزكيها، فقد نجح، وأفلح في الدنيا والآخرة، والذي يهملها، ولا يُعرفها بربها، ولا يحملها على طاعته، يطلق لها العنان، تشقيه في الدنيا والآخرة، قضية دقيقة جداً، هذه النفس أمانة بين جنبيك،

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)

بالمناسبة هناك آيتان بالقرآن

(قَدْ أَفْلَحَ)

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)

[سورة المؤمنون]

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)

فالفلاح النجاح في الدنيا والآخرة، أما النجاح فقد يكون في الدنيا فقط، والنجاح في الدنيا لا يسمى نجاحاً إلا إذا كان شمولياً، معنى شمولي أي نجحت في معرفة الله، وطاعته، والقرب منه، ونجحت مع أهلك وأولادك، ونجحت مع عملك واختصاصك، ونجحت مع صحتك.

الأستاذ جمال:

كل هذا يصب في مصلحة المجتمع الذي نعيش به أمانة.

صلاح الأسرة أساس صلاح المجتمع :

الدكتور راتب:

إن المجتمع مجموعة أفراد، فإذا كان كل فرد بأسرته قائداً، وبطلاً، وربى أولاده، وهذب بناته، ووجه زوجته إلى ما فيه الخير، الأسرة هذه لبنة في بناء عملاق، في بناء مئة طابق، فإذا صحت هذه اللبنة صحّ البناء، أنا أقول: أساس صلاح المجتمع صلاح الأسرة، لذلك كل الأنظمة التي تستقي من الله عز وجل مبادئها ترعى الأسرة، وكل المبادئ الهدامة التي نستوردها أحياناً من بلاد أخرى تفسد الأسرة، صلاح الأسرة صلاح المجتمع، وإفساد الأسرة إفساد المجتمع بأكمله.

الأستاذ جمال:

إذاً هذا يقودنا اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.

الدكتور راتب:

أي هو الذي يقابل هذا الكلام:

((ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا من ترك آخرته لدنياه، إلا أن يتزود منهما معاً فإن الأولى مطية للثانية))

الأستاذ جمال: هذه الآية الكريمة:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ* ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

بحثنا في موضوعها على مدى حلقتين، ماذا نقول بدقائق عن هذه الآية الكريمة؟.

بطولة الإنسان أن يتحرك وفق منهج الله عز وجل :

الدكتور راتب:

البطولة أن نتعلق بالآخرة، والبطولة أن نتحرك وفق منهج الله، و ألا ننسى الدنيا، والبطولة أن نجعل الدنيا مطية للآخرة، وأن نجعل الدنيا طريقاً للآخرة، هذا الذي أتمنى أن يكون.

الأستاذ جمال:

وموضوع الأمانة شيء هام في حياتنا، المهندس أثناء بنائه لمشروع، والمحامي عند الموكل، وأيضاً باني الجسور.

الأمانة و تعريفها :

الدكتور راتب:

أصحاب الحرف جميعاً، هذه الحرف أمانة في أعناقهم، أصحاب الاختصاصات، أصحاب الدرجات العلمية، المعلم في صفه، الأمانة مفهوم واسع جداً يطال كل شيء، لذلك:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)

[سورة الأحزاب]

فعلة وجودنا أداء الأمانة،

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)

في الحقيقة

(إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)

قد نفهمها بالمعنى الاستفهامي، هل كان ظلوماً جهولاً حينما قبل حملها؟ الجواب لا، أما إذا حملها ثم لم يؤدِ حقها

(كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)

فالأمانة أستاذ مفهومها واسع جداً، هناك مفهوم ضيق للأمانة نتوهمه أن إنساناً وضع عندك مبلغاً ثم استرده، هذا معنى جزئياً جداً، الأمانة نفسك أمانة، أولادك أمانة، حرفتك أمانة، المريض عند الطبيب أمانة، هل نصحه؟ الموكل عند المحامي أمانة، الطالب عند المعلم أمانة، والله أستاذ جمال مفهوم الأمانة يحتاج إلى ندوة خاصة، لأنه كل إنسان عمله، وحرفته، ومن حوله، ومن فوقه، ومن دونه، أمانة، ينبغي أن تنصح الأقوياء والضعفاء، الصغار والكبار، ومن حولك، ومن يلوذ بك أن تنصحه، ينبغي أن تؤدي عملك ببراعةٍ، وبحرفيةٍ عاليةٍ جداً، مقابل هذا الذي تأخذه من الناس، فأي شيءٍ اختل في مجتمعنا هو من ضعف الأمانة، والأمانة بالمعنى الواسع هو أن تعرف سرّ وجودك، وغاية وجودك.

الأستاذ جمال:

هل نستطيع أن نقول في نهاية حديثنا: إذا أدينا الأمانات إلى أهلها نستطيع أن ننقذ أنفسنا من ظلمة القبر؟.

القبر يلخص عمل الإنسان في الحياة الدنيا :

الدكتور راتب:

طبعاً، لأن القبر أستاذ جمال إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النيران، القبر يلخص عملنا في الحياة الدنيا، والقبر شيء خطير جداً، النقلة من بيت كبير إلى قبر، من مكانة عالية إلى قبر، من متع الحياة إلى قبر، من بيت فيه زوجة وأولاد وبنات وأصهار إلى قبر، فالقبر نقلة مخيفة، فالذي يخفف من مشكلته أن نستعد له، ما منا واحدٌ يجرؤ على أن ينكر حدث الموت إلا إذا كان مجنوناً، لا أحد ينكر حدث الموت، ولكننا نتفاوت في مدى الاستعداد للموت، نتفاوت لا في تصديق الموت وتكذيبه، الموت حق، ولا يمكن لواحد أن يكذبه، ولكننا نتفاوت في مدى الاستعداد له لذلك:

((أكثروا ذكر هادم اللذات الموت))

[أخرجه الترمذي وابن حبان، والحاكم عن أبي هريرة]

مفرق الأحباب، مشتت الجماعات.

((عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به))

[أخرجه الشيرازي عن سهل بن سعد و البيهقي عن جابر]

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (13-18) - تفسير قوله تعالى في آية: وفي أنفسكم أفلا تبصرون

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 30-07-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال:

الحمد لله رب العزة، وأفضل السلام وأتمّ التسليم على حبيب رب العالمين سيدنا محمد ابن عبد الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أيها الأخوة والأخوات، بالخير طابت أوقاتكم، نحييكم أطيب تحية في هذا اليوم، حيث نتابع مع حضراتكم حلقة جديدة ومتجددة من لقائنا الأسبوعي: "فيه هدى للناس"، في هذا البرنامج نحاول جاهدين أن نطل على آية كريمة من كتاب الله سبحانه التي فيها الدلالات المختلفة، الله عز وجل يقول أيها الأخوة يقول في محكم تنزيله:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية:21]

أيها الأعزاء، في هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على أن الإنسان معجز في خلقه، وفي كل ما يمت إليه بصلة، عندما نتحدث عن الإعجاز العلمي في هذا الكون، وعندما نتحدث على الإعجاز العلمي والتكوين للإنسان الذي خلقه الله سبحانه، نستضيف فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، أستاذ الإعجاز العلمي في كتاب الله سبحانه، وفي هدي النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، دكتور السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدكتور راتب:

وعليكم السلم ورحمة الله تعالى وبركاته أستاذ جمال جزك الله خيراً.

الأستاذ جمال:

دكتور الله عز وجل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

صدق الله العظيم.

عندكم الكثير من المعلومات التي تدل دلالة قاطعة على أن هذا الإنسان في كل ذرة بوجوده دلالة واضحة على خلق الله سبحانه وتعالى، تفضل.

كمال الخلق يدل على كمال التصرف :

الدكتور راتب:

بارك الله بك أستاذ جمال، الحقيقة وقبل أن أبدأ:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

أستاذ جمال، هناك مسلّمة تقول: كمال الخلق يدل على كمال التصرف، هذا الكون معجز بسماواته، بمجراته، بكازاراته، بمذنباته، معجز بأرضه، بينابيع الماء، بالأنهار، بالبحار، بالبحيرات، بالأسماك، بالأطيار، بالحيوانات، بالنباتات، بخلق الإنسان، هذا الكون معجز، وكمال الخلق يدل على كمال التصرف، هذا الإله العظيم، الذات الكاملة، لابد من أن ترسل رسلاً وأنبياء إلى العباد ليعرفوا سرّ وجودهم وغاية وجودهم.

إلا أن المشكلة أن النبي إذا قال: أنا نبي، أو أنا رسول، أو أنا من عند الله، ومعه منهج فيه افعل ولا تفعل، الذين ألفوا وتحركوا بلا منهج، وبلا ضوابط، وبلا مبادئ، ينزعجون من هذه الدعوة، لذلك ردّ الفعل الطبيعي أن يكفروا بالأنبياء، والدليل:

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً)

[سورة الرعد الآية: 43]

النبي الكريم لكل الأمم والشعوب فمعجزته علمية وليست حسية :

الآن الشاهد، كيف يشهد الله لعباده أن هذا الإنسان رسول؟ هنا الشاهد، الحقيقة الأنبياء الصادقون كانت شهادة الله لهم بشهادات حسية، بمعنى أن المعجزة حدث مادي وقع وانتهى، كتألق عود الثقاب تألقت وانطفأت، أصبحت خبراً يصدقه من يصدقه، ويكذبه من يكذبه، هذا الشيء السابق، فسيدنا موسى:

(فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ)

[سورة الشعراء الآية:32]

(وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ)

[سورة الأعراف]

ضرب البحر بعصاه أصبحت طريقاً يبساً، سيدنا إبراهيم ألقي في النار فلم يحترق، الأنبياء السابقون معهم شهادات الله لهم أنهم أنبياؤه، إلا أن الشهادات السابقة كلها كأنها حسية كتألق عود الثقاب ثانية تألقت وانطفأت فأصبحت خبراً يصدقه من يصدقه، ويكذبه من يكذبه.

أما المشكلة فمع خاتم الأنبياء والمرسلين، مع سيد خلق الله أجمعين، هذا النبي أرسله الله لكل الأمم والشعوب، ولنهاية الدوران، لا نبي بعده، خاتم الأنبياء، بعثته خاتمة البعثات، رسالته خاتمة الرسائل، قرآنه خاتم الكتب، لابدّ من أن تكون معجزته معجزة مستمرة، أما الأنبياء السابقون:

(وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)

[سورة الرعد]

النبي هادٍ لقومه، أما النبي الكريم فلكل الأمم والشعوب، لذلك لابد من أن تكون معجزته علمية وليست حسية، العلمية مستمرة.

حديث القرآن الكريم عن خلق الإنسان :

لذلك الآن دخلنا في موضوع هذه الحلقة، لذلك جعل الله في القرآن الكريم ألفاً وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون والإنسان، موضوع هذه الندوة عن الإنسان، هذه الآيات يمكن أن تكون سبقاً علمياً، الشيء الذي عُرف بالقرن العشرين، مع دراسات مذهلة ، مع جهود علماء مضنية، القرآن قبل ألف وأربعمئة عام أشار إليها، ولنأتي بمثل: الإنسان أستاذ جمال عندما صعد إلى الفضاء الخارجي، أثناء صعوده ـ الجو هكذا مضيء منير ـ فجأة يصيح رائد الفضاء: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، لِمَ؟ لأن الشمس حينما سُلطت على ذرات الهواء هذه الذرات عكستها على ذرات أخرى، فكان الضياء في الأرض، فلما تجاوز رواد الفضاء الخمس ـ ستون ألف كيلو متر ـ طبقة الهواء انتهت ظاهرة انتثار الضوء، فأصبح الجو مظلماً ظلاماً دامساً، فصاح رائد الفضاء: لقد أصبحنا عمياً، أما أن تأتي آية في القرآن قبل ألف وأربعمئة عام تقول:

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)

[سورة الحجر]

أنا انطلقت من هذه الآية، إذاً القرآن الكريم حدثنا عن خلقه، وعن خلق الإنسان، والدليل هذه الآية:

(سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

[سورة فصلت الآية: 53]

هذه الندوة عن

(وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

نكتفي بالحديث عن النفس.

آيات الله عز وجل في خلق الإنسان :

1 ـ الشعر :

بادئ ذي بدء: في رأس الإنسان ثلاثمئة ألف شعرة، لكل شعرة وريد، وشريان، وعصب، وعضلة، وغدة دهنية، وغدة صبغية، لكن لحكمة بالغةٍ بالغةٍ ليس في الشعر أعصاب حس، لو كان هناك أعصاب حس، تسأل صديقك: إلى أنت ذاهب؟ يقول لك: إلى المستشفى، لِمَ؟ لأجري عملية حلاقة، لو كان هناك أعصاب حس في الشعر لاحتجت إلى تخدير كامل، الحكمة بالغة في أن الشعر والأظافر ليس فيهما أعصاب حس، بينما في نقي العظام أعصاب حس، لماذا؟ قال: لأن هذا العظم إذا كسر، من شدة الألم، من شدة عصب الحس في نقي العظام، تبقي هذه القطعة على حالها، وإبقاؤها على حالها أربعة أخماس العلاج، فهناك حكم بالغة جداً.

إذاً هذا الشعر ثلاثمئة ألف شعرة، لكل شعرة وريد، وشريان، وعصب، وعضلة، وغدة دهنية، وغدة صبغية، هذه آيات من آيات الله.

2 ـ الدماغ :

الآن الدماغ: في دماغ الإنسان مئة وأربعون مليار خلية سمراء استنادية، لم تعرف وظيفتها بعد، لكن قشرة الدماغ فيها أربعة عشر مليار خلية قشرية، فيها الذاكرة، بالذاكرة مليار خلية قشرية، الذاكرة مساحتها كحبة العدس، فيها سبعون مليار صورة، في الدماغ مكان اتخاذ القرار أي المحاكمة، الله عز وجل قال:

(لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ)

[سورة العلق]

قسم الدماغ في مقدمة الرأس مكان اتخاذ القرار، والإنسان يخطئ من هنا ويصيب من هنا، فالله عز وجل يقول:

(لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ)

هذه الناصية،

(نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ)

مكان المحاكمة، مكان التذكر، مكان الاستنباط، مكان الاستنتاج، فالدماغ أعقد آلة في الكون، وهذا الدماغ عاجز عن فهم ذاته، والله أستاذ جمال هناك حقائق عن الدماغ العقل لا يصدقها.

بالمناسبة: الإنسان يتبدل كلياً كل خمس سنوات، الإنسان كل خمس سنوات إنسان آخر، شعره جديد، جلده جديد، عظامه جديدة، تبدل كلي، إلا أن الدماغ لا يتبدل، والقلب لا يتبدل، حكمة عدم تبدل الدماغ والقلب لأن الدماغ مركز المعلومات، لو تبدل الدماغ، وسألنا أخاً كريماً: ماذا تعمل؟ يقول لك: كنت طبيباً، ما دام تبدل دماغه فقد كل الذاكرة، كل المعلومات، فالدماغ لا يتبدل.

3 ـ القلب :

أما القلب: والله أستاذ جمال لي في الدعوة إلى الله ما يزيد عن ثلاثين عاماً، لا أعرف لماذا القلب لا يتبدل، إلا أنه ظهرت دراسات حديثة جداً تؤكد أن القلب مركز الأذواق، والأحاسيس، والمشاعر، كل هذه الأذواق، والأحاسيس، والجماليات، والمشاعر في القلب، لذلك عندما زرعوا ثلاثمئة قلب، ونقل قلب من إنسان لإنسان، فهذا الذي زُرع قلبه إنسان متقدم في السن، عمره سبعون سنة، يحب الموسيقى الكلاسيكية، فلما زُرع له قلب شاب أحب موسيقى الجاز، هذا الثاني بدأ يأكل أكلة لا يحبها سابقاً، القلب الثاني يحبها، هذا الثالث يتكلم كلاماً ليس له معنى إطلاقاً، فاتصل بزوجة من أخذ قلبه، قالت له: هذه الكلمة شيفرة بيننا معناها أن الأمور على ما يرام، عندي ثلاثمئة قصة حول هذا الموضوع.

طفلة صغيرة قُتلت فأُخذ قلبها لطفلة ثانية، الثانية دائماً تخاف، تخاف من إنسان سيقتلها، فلما أبدت بأوصافه ألقوا القبض عليه، فكان هو الذي قتل من أخذت قلبها، والله عندي قصص أقسم بالله العقل لا يصدقها، لما تمّ نقل قلب من إنسان إلى إنسان أخذنا كل مشاعر هذا الإنسان، وكل أذواقه، وكل خبراته، وكل أحاسيسه.

لذلك الحكمة التي يقشعر لها جسم الإنسان أن دماغ الإنسان لا يتبدل، معلوماته كلها، وقلب الإنسان لا يتبدل، لذلك أعرف مضغة في الإنسان إذا صلحت صلح الجسد كله، ألا وهي القلب، المضغة الصنوبرية، الآن أكتُشف أن هذه المضخة الصنوبرية فيها خلايا عصبية، قوتها خمسة آلاف ضعف عن الخلايا العصبية في الدماغ، الآن أحدث بحث أن القلب هو الذي يوجه الدماغ، فإذا قرأت آيات القلب في القرآن اقشعر جلدُك:

(لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا)

[سورة الحج الآية:46]

والله بعد أن قرأت هذا البحث العلمي الحديث جداً، وقرأت آيات القلب في القرآن، أقسم لك بالله لا تملك إلا أن تبكي، كيف أن هذا القرآن وصل إلى أحدث ما عرفه الإنسان، هذا هو الإعجاز العلمي.

فالقلب يضخ ثمانية أمتار مكعبة كل يوم، هذا القلب الصغير، أعتقد المواطن العادي يحتاج لمتر مكعب من الوقود السائل، قلبه باليوم الواحد يضخ ثمانية أمتار مكعبة، أما قلب إنسان عاش ستين عاماً يمكن أن يملأ أكبر ناطحة سحاب في العالم، هذا القلب.

أستاذ جمال، هذه المعلومات معلومات مُسلّم بها، بديهية جداً، يدرسها طلاب الطب في السنوات الأولى، أنا لا آتي بشيء خارج الطبيعة، هذه بديهيات الطب.

4 ـ العين :

الآن لو وصلنا إلى العين، في العين ماء، هذا الماء قابل للتجمد، إنسان يعيش في فنلندا، الحرارة تسع و ستون تحت الصفر، بإمكانه أن يضع على رأسه قبعة، أن يرتدي ثياباً صوفية، ومعطفاً صوفياً، وقفازات، وجوارب صوفية، وحذاء فيه فرو، لكن كيف يتعامل بعينيه مع تسع و ستين تحت الصفر والعين فيها ماء؟ فشيء طبيعي جداً أن ماء العين ينبغي أن يتجمد في هذه البلاد الشمالية، و لكن لحكمة بالغة بالغة جعل في ماء العين مادة مضادة للتجمد.

شيء آخر: الآن عندنا آلات تصوير تسمى بالأسواق رقمية، احترافية، ثمنها بالملايين، كالآلات التي يستخدمها التلفزيون، هذه الآلات أستاذ جمال يوجد بالمستقبل الضوئي بكل مليمتر عشرات آلاف مستقبل، أما في شبكية العين بالميليمتر هناك مئة مليون مستقبل، مئة مليون وأحدث آلة تصوير رقمية احترافية فيها عشرة آلاف، هذا المئة مليون من أجل أن تميز بين ثمانية ملايين لون، لو أخذنا لوناً واحداً العين البشرية السليمة تفرق بين درجتين.

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ)

[سورة البلد الآية:8]

الحديث عن العين يطول، القزحية، والملتحمة، لكن هناك نقطة لطيفة، كل جسم الإنسان يتغذى بطريق الشعريات إلا العين، الطبقة الأولى بالعين هذه الطبقة تتغذى بطريقة الحلول، ولو تغذت بطريقة الشعريات لرأيت كل شيء ضمن شبكة، الخلية الأولى في القرنية تأخذ غذاءها وغذاء جارتها، ويسري غذاء جارتها عبر غشاء خلوي، حتى يكون الشفافية مطلقة، حكمة من؟ علم من؟ قدرة من؟

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ)

5 ـ الأنف :

لو وصلنا إلى الأنف، هناك عشرون مليون عصب شمي، هذه الأعصاب تنتهي بأهداب، كل عصب ينتهي بسبعة أهداب، هذه الأهداب مغمسة بمادة كيماوية معينة، تتفاعل مع رائحة الطعام، يتشكل من هذا التفاعل شكلاً هندسياً، هو رمز الرائحة، ينقل هذا الرمز إلى الدماغ، بالدماغ هناك الذاكرة الشمية، تقريباً عشرة آلاف بند، هذا الرمز ـ رمز هذه الرائحة ـ يعرض على عشرة آلاف بند في الذاكرة الشمية، وحيثما توافق الرمز مع رمز مشابه له، تقول: في الشاي نعناع، أو بالطعام كمون مثلاً، هذه العملية بسيطة جداً عندك أنت، لكن حتى عرفت أن في الشاي نعناعاً عندك ذاكرة شمية في الدماغ فيها عشرة آلاف بند، وعندك تفاعل الرائحة مع أعصاب الشم العشرين مليوناً فيتشكل من التفاعل الشكل الهندسي، نُقل للدماغ، عرض على هذه الذاكرة الشمية، اكتشفت أنت أن في هذا الطعام المادة الفلانية، هذا من فضل الله علينا.

6 ـ الأذن :

الآن لو نزلنا إلى أجزاء الجسم، الأذن آية، الشم آية، الأذن لا يوجد بكل أجهزة الصوت جهازاً إذا جاء الصوت قوياً خفضه، وإن جاء ضعيفاً ضخمه، هناك أجهزة تُكبر الصوت وأجهزة تخمده، أما جهاز واحد يضخم إن كان ضعيفاً، ويخمد إن كان قوياً، فهي الأذن، لذلك

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

والحديث عن الأذن حديث يطول.

7 ـ جهاز التوازن :

أستاذ جمال لو نظرنا إلى تمثال موجود عند بائع الأقمشة في المحلات التجارية، لوجدنا قاعدة استناده تقدر بستين سنتيمتراً حتى يقف، فالإنسان يكون طوله بين مئة و ثمانين و مئة و تسعين يمشي على قدمين لطيفتين، كيف يتوازن هذا الإنسان؟ قال: لأن في الأذن الداخلية ثلاث قنوات، القنوات الثلاثة فيها سائل إلى نصفها، وهناك أشعار فوق السائل، فالإنسان إذا مال خمس درجات السائل أفقي يمس أشعار اليسار، فأنت تصحح، لولا هذا الجهاز ما ركب إنسان دراجة، ولا تمكن أن يقف، عفواً هل بإمكان أهل الأرض أن يوقفوا ميتاً؟ لأن الجهاز معطل، أما أنت تمشي بقدمين لطيفتين، لو لم يكن هناك جهاز لاحتاج الإنسان إلى قدمين كقدمي الفيل، تحتاج قاعدة استناد تقدر بسبعين سنتيمتراً.

الأستاذ جمال:

ولا يستطيع أن يمشي بشكل جيد.

التفكر في خلق السماوات والأرض أقصر طريق لمعرفة الله عز وجل :

الدكتور راتب:

نعم، لذلك التفكر في خلق السماوات والأرض، أعيد وأقول: أقصر طريق لمعرفة الله، وأوسع بابٍ ندخل به على الله، لأن يضعنا وجهاً لوجه أمام عظمة الله.

الأستاذ جمال:

لذلك دكتور محمد راتب النابلسي الله عز وجل قال:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 28]

أي كلما ازداد الإنسان علماً وبحثاً في المعجزات الكونية، والإنسانية، والحياتية، تعرف على الله بشكل أكبر.

الدكتور راتب:

مرة كنا في التعليم الثانوي، دخل إلينا دكتور يعلمنا مادة التشريح، قال كلمة لا أنساها حتى اليوم ـ قصة من أربعين سنة ـ قال: لم تبتل بعد أقدامنا ببحر المعرفة.

الأمام الشافعي يقول: "كلما ازددت علماً ازددت علماً بجهلي".

لذلك:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

أي كأن الله يقول في إنما، إنما أداة حصر وقصر، أي العلماء وحدهم، ولا أحد سواهم يخشى الله، من هنا أقول دائماً: إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أرتهما معاً فعليك بالعلم.

الأستاذ جمال:

دكتور، الدم في الإنسان أيضاً آية من آيات الله عز وجل، ويندرج هذا ضمن الآية الكريمة التي نحن بصددها وبتفسيرها من قبلكم

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

نتحدث عن هذا الدم.

الدم أخطر شيء في حياة الإنسان :

الدكتور راتب:

أخطر شيء بحياة الإنسان الدم، أين معامل الدم؟ أستاذ جمال كمقدمة سريعة الدماغ في الجمجمة، والقلب في القفص الصدري، والنخاع الشوكي بالعمود الفقري، والرحم بعظم الحوض، وأخطر جهاز يصنع الكريات الحمراء هذا الجهاز يصنع كل ثانية اثنين ونصف مليون كرية، هذا الجهاز لأنه أخطر جهاز أودعه الله بنقي العظام.

مثلاً عندما نصنع طعاماً معيناً، فيه لحم مع عظمه، هذه العظمة نضربها على يدنا فتخرج ماسورة رصاصية اللون، هذه نقي العظام، هذه معامل كريات الدم الحمراء، تصنع بكل ثانية اثنين ونصف مليون كرية، لأنه يموت بكل ثانية اثنان ونصف مليون كرية، هذه الكريات التي تموت ماذا ينبغي أن نفعل بها؟ قد يقول أحد منا: تطرح، لا، الاقتصاد كمال، هذه الكريات الميتة تذهب إلى المقبرة وهي الطحال، الطحال مقبرة الكريات الحمراء، تفكك إلى هيموغلوبين وحديد، الحديد يعاد تصنعيه، والهيموغلوبين يصبح الصفراء، فالإنسان إذا أكل آكلاً دسماً ولم يهضم الصفراء تجعل الطعام سائلاً، فكل إنسان استأصل الصفراء ممنوع أن يأكل الدهن، لأنه لو تعسر الهضم لا يوجد طريقة للهضم عنده.

لذلك الكريات الحمراء الميتة تذهب إلى المقبرة، إلى الطحال، والطحال يحللها إلى عوامله الأساسية، عوامله الأساسية هيموغلوبين هي الصفراء والحديد يرسل إلى معامل نقي العظام ثانية، ليعاد تصنيعه.

إذاً هذا المثل يؤكد أن الاقتصاد كمال، كمال إلهي، طبعاً الموضوع دقيق جداً، الآن الكرية الحمراء تعيش مدة طويلة، وتجول في أنحاء الجسم، لكن الشيء الدقيق أن معها كرية بيضاء، الكرية البيضاء هي حارس للجسم.

الله عز وجل كماله مطلق في خلق الإنسان :

أستاذ جمال، إنسان يمشي في بستان رأى ثعباناً، ما الذي يحصل؟ العلماء قالوا: تنطبع صورة الثعبان على شبكية العين إحساساً، في العين ليس هناك من يقرأ هذه الصورة، تنتقل هذه الصورة إلى الدماغ، بالدماغ هناك ملف الثعابين، هذا الملف من أين جاء؟ جاء من قصص سمعها من جدته، وجاء من دروس العلوم، وجاء من مشاهدات في متاحف الثعابين، مجموعة الصور، والزيارات، والقصص، تشكل ملف الثعابين، هذا الملف موجود في الدماغ، فإذا نقلت الصورة من الشبكية إلى الدماغ ملف الثعابين يقرأ الصورة، ويعرف الخطر، الدماغ ملك الجهاز العصبي، رسائله كهربائية، هناك ملكة ثانية هي الغدة النخامية ملكة الجهاز الهرموني، هذه الغدة رسائلها هرمونية، فالدماغ يلتمس من زميلته الغدة

النخامية أن تواجه الخطر، أي هناك ثعبان في البستان، طبعاً الإنسان إما أن يقتله أو أن يهرب منه، فالغدة النخامية عندها وزير داخلية اسمه الكظر، غدة فوق الكليتين، تعطي الغدة النخامية أمراً للكظر أن يواجه الخطر، الكظر يرسل خمسة أوامر فورية، الأمر الأول إلى القلب، يرتفع وجيبه ونبضه من ثمانين نبضة إلى مئة و ثمانين، الخائف نبضه يقدر بمئة و ثمانين نبضة، والأمر الثاني يذهب إلى الرئتين، يزداد وجيبهما حتى يتناسب وجيب الرئتين مع تسرع القلب، والأمر الثالث يذهب إلى الأوعية المحيطة بالجسم، فتضيق لمعتها، والخائف يصفر لونه، والأمر الرابع إلى الكبد بإطلاق سكر إضافي ليواجه الخطر، دم الخائف فيه ثلاثمئة ميليمتر سكراً، أما الإنسان العادي فنسبة السكر في دمه تقدر بتسعين ميليمتراً، أي هناك ثلاثة أضعاف، وهناك هرمون خامس هرمون التجلط، لو الخائف أصابه جرح سال دمه كله، الدم يتجلط، هذا يتم بثوان، إنسان رأى ثعباناً، الدماغ التمس من النخامية أن تواجه الخطر، النخامية بعثت رسالة هرمونية للكظر، وأول وحدة للقلب ارتفاع النبض، والثانية للرئتين، والثالثة للأوعية المحيطة، والرابعة للكبد لإطلاق سكر إضافي، والخامسة هرمون التجلط.

الآن هناك ملمح لو أدركه الإنسان لاقشعر جلده، نهانا النبي الكريم أن نقطع رأس الدابة كلياً حين ذبحها، أُمرنا أن نقطع أوداجها فقط ونبقي رأسها، لماذا؟ لا في حياته ولا بعد مئة عام من وفاته، ولا بعد مئتين، أو بعد ثلاثمئة، أو أربعمئة، أو خمسمئة، ولا بعد ألف عام، ولا بعد ألف وأربعمائة عام هناك جهة علمية في الأرض كلها قادرة على تفسير هذا التوجيه النبوي، لا تقطع رأس الدابة، الآن كُشف الأمر، إذا قطع رأس الدابة يتعطل أمر القلب الاستثنائي الذي يرفع النبض من ثمانين إلى مئة و ثمانين فلو بقي النبض ثمانين ضربة خرج من الدابة ربع الدم، وعندما صار مئة و ثمانين خرج الدم كله.

لي صديق ذهب ليشتري لحماً من بلاد شرقية، فلما طالبهم بطريقة الذبح الإسلامية رفعوا السعر، قالوا: هذه الطريقة تفقد الدابة كل دمها.

خلق الإنسان من آيات الله الدالة على خلقه :

فلذلك أستاذ جمال قضية خلق الإنسان من آيات الله الدالة على خلقه، قال تعالى:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)

[سورة العلق]

أول آية ذكرها القرآن لهذا الإنسان جسمه، اقرأ أي تعلم،

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)

أقرأ من أجل أن تؤمن،

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)

[سورة العلق]

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران]

الأستاذ جمال:

إذاً أيها الأعزاء نتابع مع حضراتكم برنامج "فيه هدى للناس"، مع صاحب الفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، أستاذ الإعجاز العلمي في كتاب الله جلّ جلاله وسنة النبي الهادي عليه الصلاة والسلام. دكتور، عندما نتحدث عن الإنسان، وكما تقول: هناك معجزات خارقة، الله عز وجل خلق هذا الإنسان فيه معجزات أي لا أبدع ولا أروع من ذلك، أليس مطلوب من هذا الإنسان أن يسجد لله سبحانه عبادة خالصة فيها كل معاني العبودية؟

على الإنسان أن يسجد لله لأنه خلقه بأفضل تقويم :

الدكتور راتب:

أنا أقول أستاذ جمال هذا الإله العظيم ألا يُخطبُ وده؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟.

تعصي الإله وأنت تظهر حبــه   ذاك العمر في المقــال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعتــه   إن المحب لمــن يحب يطيعه

***

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنـا   فإنا منحنا بالرضا من أحبنـــا

ولذ بحمانا واحتم بجنـابنـا   لنحميك مما فيه أشرار خلقنـــا

وعن ذكرنا لا يشغلنك شاغل   وأخلص لنا تلقى المسرة والهنـا

وسلم إلينا الأمر في كل ما يكن   فما القرب والإبعاد إلا بأمرنـــا

فيا خجلي منه إذا هو قال لي   أيا عبدنـــا ما قرأت كتابنـــا

أما تستحي منا ويكفيك ما جرى   أما تختشي من عتبنا يوم جمعنـا

أما آن أن تقلع عن الذنب راجعاً   وتنظر ما به جـاء وعدنـــا

فأحبابنا اختاروا المحبة مذهباً   وما خالفوا في مذهب الحب شرعنا

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنـا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنـا

ولو ذقت مـن طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنـا

ولو نسمت من قربنا لك نسمـة لمـت غريباً واشتياقاً لقربنا

فما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا له قـد جهلتنـا

***

أستاذ جمال، وأنت غارق في النوم، يجتمع اللعاب في فمك، تذهب رسالة من الفم إلى الدماغ، اللعاب ازداد، يأتي أمر من الدماغ إلى لسان المزمار، هذا اللسان يتنقل بين المريء والقصبة الهوائية، لسان المزمار هذا بعد أن يأتيه أمر من الدماغ يغلق القصبة الهوائية ويفتح المريء، فالإنسان وهو نائم يبلع لعابه، وأنت نائم يجتمع اللعاب، تذهب رسالة إلى الدماغ، يأتي أمر إلى الدماغ بإغلاق القصبة الهوائية وفتح المريء، فلذلك هذه حادثة مذهلة جداً، تبدل الفتحات من قصبة هوائية إلى مريء، لكن عند طبيب الأسنان يضع لنا شراقة إذا كانت العملية طويلة، حتى لا يخرج اللعاب بطريقة غير صحيحة.

أستاذ جمال وأنت غارق في النوم، هيكلك العظمي له وزن، وما فوق الهيكل من عضلات لها وزن، الهيكل العظمي مع ما فوقه من عضلات تضغط على ما تحته من عضلات، فإذا ضغطت الأوعية الدموية التي تحت الهيكل العظمي تضيق لمعتها، فتضعف التروية، وأنت نائم غارق في النوم أودع الله في الجسم مراكز ضغط، هذه المراكز تتحسس بالضغط فترسل رسالة إلى الدماغ، لقد ضغطنا، يأتي أمر تقلب وأنت نائم، الإنسان يقلب في الليلة من ثمان و ثلاثين إلى أربعين قلبة، لكن مرة على اليمين، ومرة على اليسار.

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

[سورة الكهف الآية: 18]

لو ذات اليمين وذات اليمين لوقع من على السرير،

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

هذه من آيات الله الدالة على عظمته.

الأستاذ جمال:

دكتور لطالما نتحدث عن الآية الكريمة قال تعالى جلّ جلاله:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

نتحدث عن قضية هامة دائماً تذهل ألا وهي شبكة الأعصاب، التي تحيط بهذا الجسم حيث إن أصيب الإنسان بشوكة في أخمص قدمه، توجه رسالة من هذه النقطة التي فيها الشوكة إلى الدماغ.

جسم الإنسان أكبر آية دالة على عظمة الله وعلى وجوده وعلى وحدانيته :

الدكتور راتب:

توزع الأعصاب مذهل، لكن هناك شيء ثان هو الإحساس بالألم، بالضغط، وهناك إحساس بالماء، توزع الأعصاب حسب الماء مختلفة، أنت تغسل يداك في الشتاء ببساطة، لكن وضع كأس ماء على ظهرك لا يحتمل، معنى هذا أن أعصاب الإحساس بالحرارة والبرودة في الظهر عالية جداً، حفاظاً على صحتك، أما المكان الذي ينبغي الغسيل فيه يومياً فالأعصاب فيه خفيفة، فالأعصاب قليلة جداً في اليدين والوجه، وأعصاب الإحساس بالبرودة موزعة توزيعاً مذهلاً في الجسم، فالمكان الذي يحتاج إلى تغسيل مستمر الأعصاب فيه خفيفة كاليدين، والوجه، والقدمين، والأماكن التي يؤذيها الماء البارد كالظهر فيه نسبة أعصاب عالية جداً، كل شيء فيه حكمة ودقة، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحدُ.

أستاذ جمال، موضوع الأعصاب موضوع دقيق جداً، الأعصاب هي أعصاب حس وأعصاب حركة، لكن هناك أعصاب لا سيطرة للإنسان عليها، يقولون: هناك جملة ودية ونظيرة ودية التي لا سيطرة للإنسان عليها، تقوم بأعمال مذهلة كضربات القلب، فلو أوكل الله لنا ضربات القلب لما استطعنا أن ننام، لو أوكل لنا الهضم بعد الطعام يبقى أربع ساعات، مرة الصفراء، مرة الكبد، مرة الأمعاء الدقيق، مرة الغليظة، أنت تأكل فقط، وتعمل، وتذهب، وتمشي، لذلك الحكمة بالغة، والله يا أستاذ! جسم الإنسان وحده يعد أكبر آية دالة على عظمة الله، وعلى وجوده، وعلى وحدانيته.

خاتمة و توديع :

الأستاذ جمال:

(فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)

[سورة المؤمنون]

وصدق الله العظيم عندما قال:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

صدق الله العظيم.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (14-18) - تفسير قوله تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-08-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال:

بسم الله الرحمن الرحيم، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على حبيب الله محمدٍ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

مستمعينا الكرام، سلام الله تعالى عليكم جميعاً ورحمته وبركاته، أهلاً بحضراتكم مع بداية هذه الحلقة المتجددة من لقائنا الأسبوعي يوم الجمعة صباحاً "فيه هدىً للناس".

نتحدث عن الإعجاز العلمي والحقيقي في هذا الكون العجيب المذهل في صنعه، وتحدثنا في الأسبوع السابق عن خلق الإنسان، تحدثنا عن الآية الكريمة:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية:21]

نبقى في سياق هذه الآية، ويقول الله جلّ جلاله:

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

[سورة التين الآية:4]

ما زلنا نبحث مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي في خلق الإنسان، هذا الخلق العظيم، وربنا جلّ جلاله يدلنا من خلال الآيات الكريمة على عظمة هذا الإنسان، الخالق هو الله والمطلوب من الإنسان أن يعبد الله، لماذا؟ للوصول إلى سعادة الدنيا قبل سعادة الآخرة.

دكتور نتابع الحديث:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

وربنا سبحانه وتعالى يقول:

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

من آيات الله الكبرى الدالة على عظمته :

1 ـ الغشاء العاقل :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أستاذ جمال ـ جزاك الله خيراً ـ ينزل مع الجنين عند الولادة قرص لحمي، يسمى في بلدنا الخلاص، أما عند علماء الطب يسمى المشيمة، في هذا القرص اللحمي يجتمع دم الأم ودم وليدها، ولا يختلطان، لو اختلطا لماتت الأم والوليد في ثانية واحدة، بشيء اسمه انحلال الدم، الآن لو أعطينا الإنسان دماً من غير زمرته يموت فوراً، هذه المشيمة يجتمع فيها دم الجنين مع دم الأم، دم الجنين زمرة ودم الأم زمرة، ولا يختلطان، كيف لا يختلطان؟ قال: بين دم الأم ودم الجنين غشاء، سماه الأطباء الغشاء العاقل، لأنه يقوم بأعمال يعجز عنها أطباء الأرض مجتمعين، ماذا يفعل؟ قال: هذا الغشاء العاقل يأخذ الأوكسجين من دم الأم ويضعه في دم الجنين، ثم يأخذ السكر من دم الأم ويضعه في دم الجنين، ثم يأخذ الأنسولين من دم الأم ويضعه في دم الجنين، صار في دم الجنين سكر، وأوكسجين، وأنسولين، يحترق السكر بالأوكسجين بوساطة الأنسولين، وتصبح الحرارة في الجنين سبعاً و ثلاثين درجة، من أين جاء الجنين بهذه الحرارة؟ من احتراق السكر بالأوكسجين بوساطة الأنسولين، هذه أول وظيفة.

هذا الغشاء العاقل يأخذ كل مناعة الأم، جميع الأمراض التي أصيبت بها في حياته وشفيت منها، وكسبت مناعة، عوامل هذه المناعة يأخذها الغشاء العاقل من دم الأم يضعها في دم الجنين، إذاً الجنين مُحصن من كل الأمراض التي أصيبت بها أمه.

الغشاء العاقل يأخذ المواد الغذائية، يحتاج إلى مئات المواد، سكر، شحوم ثلاثية، بروتينات، فيتامينات، معادن، أشباه معادن، بالمئات، الغشاء العاقل أخذ هذه المواد بنسب تتبدل كل ساعة، بحسب نمو الحنين، هذا العمل ـ وأنا أعني ما أقول ـ لا يستطيعه أطباء الأرض مجتمعين، الغشاء العاقل يأخذ ما يحتاجه الجنين من جميع المواد، بروتينات، سكريات، شحوم، دهون، فيتامينات، معادن، أشباه معادن، يأخذها بمعايير دقيقة جداً تتناسب مع حاجة الجنين، وتتبدل كل ساعة، ولو سلمنا هذه الوظيفة لكل أطباء الأرض مجتمعين لمات الجنين بساعة واحدة، هذا الغشاء العاقل.

الغشاء العاقل ماذا يفعل؟ عندما نقل السكر والأوكسجين والأنسولين إلى الجنين، احترق السكر بالأوكسجين بوساطة الأنسولين، الفضلات ثاني أوكسيد الكربون، الغشاء العاقل يأخذ ثاني أوكسيد الكربون من دم الجنين يضعه في دم الأم، فجزء من نفس الأم أو زفيرها زفير جنينها، والغشاء العاقل عندما نقل إلى الجنين المواد الدسمة، والسكرية، والشحوم، والشحوم الثلاثية، والمعادن، وأشباه المعادن، صار هناك حالة اسمها الاستقلاب ، الاستقلاب تحول الغذاء إلى دم، هذا التحول اسمه استقلاب، الاستقلاب من نتائجه حمض البول، الغشاء العاقل يأخذ حمض البول من دم الجنين يضعه في دم الأم، فجزء من بول الأم بول جنينها.

أما الشيء الذي لا يصدق، أن هذا الجنين يحتاج إلى كالسيوم، و بوتاسيوم، والأم لا تأكل هذا الطعام الذي فيه هذه المواد، فكيف يستطيع هذا الجنين إعلام الأم بحاجته لهذه المواد؟ الشيء الذي لا يصدق أن شهوة الأم الحامل هي حاجة حنينها، الطعام الذي تشتهيه المرأة في أثناء الحمل هو حاجة جنينها، شيء لا يصدق، والله لو لم يكن بالإنسان هذا الغشاء العاقل في المشيمة التي ترمى في المهملات بعد الولادة لكفت، الغشاء العاقل آية كبرى دالة على عظمة الله سبحانه وتعالى.

الأستاذ جمال:

دكتور، هناك مسألة هامة في خلق الإنسان، هي نعمة النطق، نعمة الكلام.

2 ـ النطق و الاستماع :

الدكتور راتب:

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)

[سورة الرحمن]

الحقيقة أنه البيان، ولولا البيان لما اهتدى الإنسان، البيان ينقل أفكار السابقين إلى اللاحقين، ينقل أفكار أمة إلى أمة أخرى، البيان تُعبّر به عن أفكارك ومشاعرك تعبيراً يعد أرقى تعبير، هو اللغة، مقاطع صوتية يُعبّر بها عن الفكر، فأنا حينما أنقل مشاعري وأفكاري بلساني، أنت تستمع إلى كلامي، النطق والاستماع أداة اتصال من أرقى أدوات الاتصال، أي اللغة أعلى وسيلة من وسائل الاتصال بين أفراد النوع، تنقل أفكارك ومشاعرك، وتأخذ أفكار الآخرين ومشاعرهم، لو دخلت الترجمة نقلنا أفكار أمة إلى أمة، أي الثقافة الآن تراكمية بالبشر سببها اللغة، لذلك جاء قوله تعالى:

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)

أستاذ جمال، هل تصدق أن كل حرف ينطق به الإنسان يسهم في صنعه سبع عشرة عضلة، وأنت تتكلم بطلاقة وعفوية ولا تشعر ماذا يحدث، فالنطق من خصائص الإنسان

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)

لكن هناك ملمحاً دقيقاً جداً هو أن الله عز وجل بدأ بتعليم القرآن قبل خلق الإنسان، هذا الشيء غير معقول! أيعقل أن يعلم الإنسان القرآن قبل أن يخلق؟ مستحيل! علماء التفسير قالوا: هذا الترتيب ترتيب رتبي لا ترتيب زمني، بمعنى أن وجود الإنساني لا معنى له من دون منهج يسير عليه.

الآن أستاذ جمال، أنا أمشي في الطريق ورائي مركبة، أطلقت بوقها، دون أن أشعر أنحاز نحو اليسار، لِمَ لم أنحاز نحو اليمين؟ قال: هناك جهاز بالدماغ بالغ التعقيد، يحسب تفاضل وصول الصوتين إلى الأذنين، أنا أمشي على يسار الطريق والمركبة أطلقت بوقها، دخل صوت البوق إلى أذني اليمنى قبل اليسرى، التفاضل بينهما واحد على ألف و ستمئة و عشرين جزءاً بالثانية، هذا الجهاز بالدماغ يحسب التفاضل، يكتشف هذا الجهاز جهة الصوت، فإذا أطلق بوق المركبة من على يميني أنا أتجه نحو اليسار.

وكطرفة، كنت مرة بطريقي من حمص إلى الشام بمركبتي، أمامي كان هناك قطيع غنم، أطلقت بوق المركبة فانزاح القطيع كله إلى اليسار، هذا الجهاز عند الحيوانات أيضاً موجود، شيء دقيق جداً هذا الجهاز يكشف لك جهة الصوت.

3 ـ منعكس المص :

أستاذ جمال، تعلمنا في الجامعة أن الطفل حينما يولد لا يملك أي قدرات، ولا مهارات، ولا أي شيء، إلا منعكس المص وهو منعكس بالغ التعقيد، منعكس المص لمجرد ولادة الطفل لو جاءت أصبع القابلة أمام شفتيه لمصها، والمص عملية معقدة، يحكم الشفتين حول حلمة الثدي، يحكم ويسحب الهواء، هل تستطيع جهة في الأرض أن تُعلّم هذا الجنين كيف يمص ثدي أمه؟ لولا هذا المنعكس ما كان هذا اللقاء، ولا كانت دمشق، ولا كان إنسان بالأرض، منعكس المص منعكس بالغ التعقيد، لمجرد أن تصل أصبع القابلة إلى شفة المولود يمصها، منعكس المص آلية معقدة جداً تولد مع الطفل، ولولا هذا المنعكس لما عاش إنسان على الأرض، لأنه لا يوجد قوة في الأرض يمكن أن تعلم الجنين كيف يمص ثدي أمه، هذا المنعكس يعد من آيات الله الدالة على عظمته.

لكن الله عز وجل لحكمه بالغة، بالغة بكل مليون طفل يأتي طفل لا يوجد عنده منعكس المص فيموت، لا يوجد قوة تعلمه، هذا من آيات الله الدالة على عظمته.

4 ـ ثقب بوتال :

هناك شيء آخر أستاذ جمال، أن الطفل في بطن أمه لا يوجد هواء ولا تنفس، ورئتاه معطلتان، جهاز التنفس بكامله معطل في الجنين، كيف ينتقل الدم؟ له دورة كبرى، من البطين الأيسر إلى الجسم كله ثم إلى الأذين، ومن الأذين إلى الرئتين، كيف تكون دورة الدم في بطن الأم؟ فتح الله ثقباً بين الأذنين، هذا الثقب اكتشفه عالم اسمه بوتال، اسمه ثقب بوتال، الشيء الذي لا يصدق أنه عند الولادة تأتي جلطة فتغلق هذا الثقب، ويكلف إغلاق هذا الثقب الآن قريب النصف مليون ليرة، لو بقي مفتوحاً لمات الطفل، يصبح معه مرض اسمه داء الزرق، كله أزرق، أي الدم بدل من أن يذهب إلى الرئتين ليتجدد، ينتقل من أذين إلى أذين عبر هذا الثقب، فيد من أغلقت هذا الثقب عند الولادة؟ لمجرد أن يقول الطفل: واع، أي الثقب أغلق، هذه آية من آيات الله الدالة على عظمته.

الأستاذ جمال:

(فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)

[سورة المؤمنون]

أيها الأعزاء، نتابع مع حضراتكم هذا اللقاء الأسبوعي مع صاحب الفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، مازلنا نتحدث عن حيثيات الآية الكريمة،

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

دكتور، هناك غدة اسمها البروستات، تشغل الناس كثيراً، يتحدثون عنها، خاصة كبار السن، ماذا عن هذه الغدة؟.

مهمة البروستات :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال، الكليتان أرقى جهاز تصفية في الإنسان، وقد لا أبالغ إذا قلت لك: إن كل كلية فيها طاقة تصفيه تساوي عشرة أضعاف حاجة الإنسان، الكليتان عشرون ضعفاً، أي الكليتان مجهزتان بإمكانيات تساوي عشرين ضعف حاجة الإنسان إلى تصفية الدم، الكليتان يطرح منهما بكل عشرين ثانية قطرة بول، كل كلية قطرة، الكليتان تطرحان قطرتي بول، فهذه قطرات البول تجتمع في المثانة، الآن الممر الذي يُخرج البول إلى خارج الجسم، هذا الممر ممر للبول، والممر هذا نفسه لماء الحياة ـ للحيوانات المنوية ـ فالبروستات مهمتها إذا كان الذي سيجري في هذا الأنبوب بول تفتح له الباب ليخرج، فإذا كان الذي سيجري هو ماء الحياة، البروستات تقذف مادة مطهرة، ثم مادة معطرة، ثم مادة مغذية، هذه صنع

من؟ البروستات مهمتها إطلاق مادة مطهرة، الأنبوب فيه بول سابقاً، الأنبوب واحد للبول ولماء الحياة، فهذه البروستات تطلق مادة مطهرة، ثم مادة معطرة، ثم مادة مغذية، إذا كان سيجري فيها ماء الحياة، أما إذا جرى البول تطلق مادة تتفاعل مع حامض البول، مادة قلوية لئلا تخدش جدران هذه القناة، إذا كانت الممر سيجري به البول تطلق مادة قلوية تتوازن مع المادة الحمضية، وإذا كان سيجري فيه ماء الحياة تطلق مادة مطهرة، ومادة معطرة، ومادة مغذية، هذه البروستات، هذا صنع الله.

(فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)

[سورة لقمان الآية:11]

كلما ارتقى إيمان الإنسان أغلقت عنده بوابات الألم :

أستاذ جمال، طريق الآلام، طريق الآلام في الجسم يبدأ من الخلايا العصبية الحسية، وينتقل عبر الأعصاب إلى النخاع الشوكي، ومن النخاع الشوكي إلى المخيخ في الدماغ، هناك مركز آلام بالدماغ، أحياناً الطبيب يقلع سن مريض من دون مخدر، أثناء قطع العصب يكاد يخرج المريض من جلده من شدة الألم، لحكمة بالغة، بالغة جعل الله على هذا الطريق ـ طريق الآلام ـ بوابات، هذه البوابات إذا أغلقت كان ألم الإنسان العشر، فإذا لم تغلق كان الألم عشرة أضعاف، هذا الذي يفسر أن المرض الواحد هناك مريض لا يحتمل، ومريض يحتمل، اكتشف أن هناك بوابات على طريق الآلام، أما الشيء اللطيف جداً ما الذي يتحكم بهذه البوابات؟ قال: الحالة النفسية للإنسان، فكلما ارتقى إيمان الإنسان أغلقت بوابات الألم.

أنا أذكر قصة أستاذ جمال، إنسان مصاب بورم خبيث في أمعائه، لكن أظنه صالحاً ولا أتألى على الله، فكان إذا قرع الجرس يأتي الممرضون، غرفة مريحة، المريض منور لطيف، لا يصيح، يعاني آلاماً لا تحتمل لكنه لا يصيح، ويرحب بمن يأتي إليه، فخلال أسبوع أو أسبوعين هذه الغرفة أصبحت قبلة لكل من في المستشفى، يدخل الممرض، الطبيب، يرتاح نفسياً، هذا الإنسان كلما زاره مريض يقول له: اشهد أنني راضٍ عن الله، الحمد الله، بعد أيام توفي أراد الله سبحانه وتعالى أن يعطي أطباء هذه المستشفى والموظفون جميعاً درساً لا ينسى، جاء مريض آخر مصاب بالمرض نفسه، الآلام التي آلمت به، الصياح الذي خرج منه، السباب الذي تلفظ به، شيء لا يحتمل، من في المستشفى رأوا مريضين بالمرض نفسه، بالآلام نفسها، الأول تلقى هذه الآلام بصبر، بفضل بوابات الألم التي أودعها الله في طريق الآلام، ولأن هذه البوابات مغلقة، إذاً الألم يكون بالمئة عشرة، رضاؤه عن الله وصبره أغلق هذه

البوابات، أما الثاني لم يكن راضياً عن الله، فلذلك جاءته آلام لا تحتمل، لذلك طريق الآلام فيه بوابات، المؤمن الذي يرضى بقضاء الله وقدره تغلق هذه البوابات.

الأستاذ جمال:

لذلك دكتور، الحديث الشريف :

((عَجَبا لأمر المؤمن))

الدماغ أخطر جهاز بالإنسان و هو من آيات الله الدالة على عظمته :

الدكتور راتب:

((إنَّ أمْرَه كُلَّه له خير ، إن أصابتْهُ سَرَّاءُ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابتْهُ ضرَّاءُ صَبَر، فكان خيراً له، وليس ذلك لغير المؤمن))

[أخرجه مسلم عن صهيب الرومي]

في بوابات الألم، في الدماغ أخطر جهاز بالإنسان، هناك مئة وأربعون مليار خلية لم تعرف وظيفتها بعد، هناك خلايا قشرية، لكن هذا الدماغ أي عطب أصابه أصيب الإنسان بالشلل، أو بفقد البصر، أو بفقد التوازن، شيء خطير، فكيف حمى الله هذا الدماغ؟ قال: هذا الدماغ وضعه الله في علبة عظمية هي الجمجمة، ووضع بين الجمجمة وبين عظم الرأس سائل، كل المركبات الفضاء قلدت هذه الطريقة، فالمركبة الفضائية التي فيها رواد فضاء بينها وبين الغلاف الخارجي سائل، لو جاءت صدمة هذا السائل يمتص الصدمة ويوزعها على كامل السطح، فمثلاً لو أن الإنسان وقع على الأرض وارتطم رأسه بالبلاط، تسمع صوتاً عالياً، هذه الضربة امتصها السائل الذي بين الدماغ والجمجمة، ووزعها على كل الدماغ، كانت الضربة تساوي مثلاً خمسة كيلو أصبحت غراماً واحداً، هذا التوزيع، لذلك المركبات الفضائية قلدت الدماغ مع الجمجمة في الإنسان، هذه من آيات الله الدالة على عظمته.

الأستاذ جمال:

إذا نتابع أيها الأعزاء مع حضراتكم الآية الكريمة:

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

الأنف آية من آيات الله الدالة على عظمته :

الدكتور راتب: أستاذ، النقطة الدقيقة هنا أن التنفس ينبغي أن يكون من الأنف، لذلك أكثر النزلات الصدرية في الشتاء سببها التنفس من الفم، ماذا في الموضوع؟ الهواء في الشتاء حرارته صفر أحياناً،

أو دون الصفر بخمس درجات أو عشر درجات، أو صفر، أو خمس درجات، والجسم حرارته تقدر بسبع و ثلاثين درجة، فالإنسان إذا تنفس من فمه يدخل فجأة هواء بارد إلى جسم الإنسان، ماذا يفعل الأنف؟ الأنف مجهز بأوعية شعرية فيها عضلات حلقية، هذه الحلقات تتسع وتضيق، في البرد الشديد الإنسان يحمر أنفه لماذا؟ لأن الأنف يوسع قطر الأوعية الدموية، فيأتي الدم غزيراً، حرارة الدم سبع و ثلاثون، فيدخل هواء من الأنف يمشي في طبقات متداخلة، الطبقة الأولى، الثانية، الثالثة، الرابعة، طبقات متداخلة، هذه الطبقات المتداخلة مغطاة بمادة لزجة، مادة مخاطية لزجة في الأنف، فالدم يمشي في طريق طويل جداً ذهاباً وإياباً بين هذه الطبقات، والدم حرارته سبع و ثلاثون والهواء حرارته صفر، خلال هذه الرحلة الطويلة عبر طبقات الأنف المتداخلة يصبح الهواء حرارته كحرارة الدم، الآن هذه السطوح المتداخلة في الأنف مغطاة بمادة لزجة فإذا كان هناك غبار مع الهواء تعلق على هذه السطوح، وإذا كان هناك شيء استطاع أن يمشي في الفراغات فقط فهناك أشعار تلقي القبض عليه، معنى ذلك التنفس من الأنف يجعل الهواء حرارته تقدر بسبع و ثلاثين، والمواد العالقة بالهواء ترتطم بالسطوح اللزجة فتعلق عليها، إذاً التنفس من الأنف مفيد جداً وقلّما يصاب الإنسان الذي يتنفس من أنفه بأمراض الشتاء، أما الذي يتنفس من فمه ألغينا كل الجهاز المعقد، السطوح الحارة المتداخلة الساخنة مع المادة اللزجة مع الأشعار.

الأستاذ جمال:

إلى أين وصلنا دكتور في قوله تعالى:

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

النطفة و البويضة من آيات الله أيضاً الدالة على عظمته :

الدكتور راتب:

أستاذ، باللقاء الزوجي الإنسان يفرز خمسمئة مليون حوين، أو الأصح من ثلاثمئة مليون لخمسمئة مليون حوين، الحوينات هذه خلايا، الشيء الدقيق أن البويضة تحتاج إلى حوين واحد، هذه الحوينات النطف تتسابق إلى أن تصل إلى البويضة، البويضة لها جدار منيع، هذه الحوين برأسه يوجد مادة نبيلة، مغطاة بطبقة رقيقة، فإذا ارتطم الحوين بجدار البويضة تمزق غشاء هذه المادة النبيلة، هذه المادة النبيلة تذيب غشاء البويضة، يدخل هذا الحوين ويغلق الباب وانتهى الأمر، فمن ثلاثمئة لخمسمئة مليون حوين البويضة تحتاج إلى حوين واحد، فإذا دخل حوين أو نطفة لهذه البيضة تلقحت، الآن البويضة في المبيض، تنتقل من المبيض عبر قناة فالوب إلى الرحم، خلال هذه المسيرة تنقسم البيضة الملقحة إلى

عشرة آلاف قسم في أثناء سيرها من البويضة إلى الرحم، تنقسم إلى عشرة آلاف قسم ولا يزداد حجمها، لو ازداد حجمها لعلقت في القناة، لكن السؤال الدقيق: ما الذي يحركها في هذه القناة؟ ليس لها أرجل، لكن بأرضية هذه القناة أشعاراً تتحرك هكذا من المبيض إلى الرحم، لولا هذه الأشعار لما كانت دمشق، ولا سوريا، ولا الشرق الأوسط، ولا العالم كله لولا هذه الأشعار التي تدفع البويضة من المبيض إلى الرحم، صنعة من؟ علمُ من؟ حكمة من؟ هذا الإله العظيم يعصى؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال بديـعُ

لـو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحـب يطيـعُ

* * *

الأستاذ جمال:

دكتور، لطالما تتحدث دكتور محمد راتب النابلسي عن موضوع النطفة، وخلق الإنسان، والبويضة، وملايين مملينة من الحيوانات المنوية.

لنتحدث قليلاً عن مسألة اسمها الجينات، المورثات، ماذا نضيف للأخ المستمع؟

المورثات :

الدكتور راتب:

أخ جمال، القضية دقيقة جداً، هذه المورثات أو الجينات فيها توجيهات لخلق هذا الجنين، توجيهات تزيد عن خمسة آلاف مليون توجيه، رقم مذهل، خمسة آلاف مليون توجيه، أي الإنسان طويل، قصير، أسمر، شعره أجعد، شعره غير أجعد، عينه زرقاء، ملايين الصفات، هذه الجينات تصنع الإنسان وفق صفات معينة، لكن الذي يلفت النظر أن هذه الجينات تنقسم قسمين، قسم يصنع هذا الإنسان، وقسم يودع في جهازه التناسلي ليكون ابنه على شاكلته، لذلك ترى الصينيين بشكل واحد، والشرق الأوسطين بشكل واحد، والأوربيين بشكل واحد، لأن هذه الجينات تقسم قسمين؛ قسم يودع في أجهزة الجنين التناسلية، وقسم يشكل الجنين، هذا يشكل كل صفات الإنسان، لذلك حينما قال الله عز وجل :

(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى)

[سورة الرعد الآية:8]

يقولون لك أنهم عرفوا الآن هل المولود ذكر أم أنثى، الحقيقة هذه الجينات معها خمسة آلاف مليون توجيه، أي أحياناً شامة على الخد، أحياناً بحة بالصوت، هناك تفاصيل في خلق الإنسان لا تعد ولا

تحصى، لكن من الذي يعرف كل هذه التفاصيل؟ عرف الإنسان أن الجنين ذكر أم أنثى لأن الله عز وجل يقول:

(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى)

(يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ)

كل صفات الجينات مودعة في هذا الجنين.

لكن عندما استنسخوا ما الذي حصل؟ هناك جينات المرأة بالبويضة وجينات الذكر بالحوين، هذه الجينات تلتحم، الجنين يأتي بأقوى الجينات، أي إذا الأب عنده ضعف في الكبد والأم ليست كذلك، الجنين يأتي لجينة الأم القوية، فهذا الجنين يأخذ صفات أقوى الزوجين، أما عندما استنسخوا من خلية واحدة، الخطأ تكرر وازداد، لذلك لم ينجح الاستنساخ، لأن الله قال:

(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً)

[سورة الإنسان الآية:2]

فكون أن الجنين من نطفة ومن بويضة، والنطفة فيها جينات، والجنين يأتي من صفات أقوى الجينيين.

الأستاذ جمال:

دكتور، ماذا عن السائل الأمينوسي لو سمحت؟

وظيفة السائل الأمينوسي :

الدكتور راتب:

الحقيقة أستاذ جمال، أن هذا الجنين بالرحم بينه وبين الرحم سائل، هناك غذاء أمينوسي يغذي الجنين، وبين الجنين وبين الرحم سائل اسمه السائل الأمينوسي، شيء لا يصدق أستاذ جمال، هذا السائل أولاً يغذي الجنين، أحد أكبر وظائفه تغذية الجنين من خلال هذا السائل، وهذا السائل معقم، أي مادة تؤذي الجنين هذا السائل يلغي وجودها، يعقمها، يسهل حركة الجنين، وهذا السائل هو الذي يسبق الجنين، يسميه العوام ماء الرأس، هذا السائل يسبق الجنين فيسهل خروجه، ولولا هذا السائل ما عاش إنسان على وجه الأرض، فعلم الجنين تَطور تطوراً مذهلاً، مع هذا التطور أكتشف أن الذي يحدد جنس الجنين ليست البويضة بل الحوين، هذا علم متطور جداً علم الأجنة، انتهى به المطاف إلى أن الذي يحدد جنس الجنين ليست البويضة ولكنه الحوين، أما القرآن يقول:

(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى)

[سورة النجم]

الآيات الكونية في خلق الإنسان تبين أن الله تعالى جعلها آيةً دالة على عظمته :

نهاية البحوث تأتي آية بكلمات، فلذلك إعجاز القرآن الكريم شهادة الله له أنه كلامه، بل إن إعجاز القرآن الكريم فيه لفتات علمية تزيد عن ألف و ثلاثمئة لفتة، هذا الإعجاز يؤكد أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن، إن هذه الآيات الكونية في خلق الإنسان تبين أن الله سبحانه وتعالى جعلها آيةً دالةً على عظمته، وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه واحدٌ، لذلك التفكر في خلق السماوات والأرض أرقى عبادة على الإطلاق، وتفكر ساعة خير من عبادة سنة.

التفكر بخلق السماوات والأرض والتفكر في خلق الإنسان أرقى عبادة على الإطلاق :

وحينما قال الله عز وجل :

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ)

[سورة القدر]

أن تقدر الله، أن تعرفه، فلذلك قال تعالى:

(إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ)

[سورة الحاقة الآية:33]

(وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ)

[سورة الحاقة]

الشاهد هنا:

(لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ)

إبليس آمن بالله، لكنه ما آمن به عظيماً، آمن بالله فقال :

(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)

[سورة ص الآية:82]

آمن به رباً، آمن به عزيزاً، آمن به خالقاً:

(قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

[سورة الأعراف الآية:14]

آمن باليوم الآخر، ومع ذلك والشاهد هنا

(إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ)

أستاذ جمال، التفكر بخلق السماوات والأرض، والتفكر في خلق الإنسان أرقى عبادة على الإطلاق، إن هذه العبادة تضعك وجهاً لوجه أمام عظمة الله، وإن هذه العبادة تدفعك إلى خشية الله وطاعته، لأنه إذا عرفنا الآمر ثم عرفنا الأمر تفانينا في طاعة الآمر، أما إذا عرفنا الأمر ولم نعرف الآمر تفننا في معصيته.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية – إذاعة دمشق - فيه هدى للناس – الدرس(15-18): الذوق - الأدبيات في التعامل مع الآخرين.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 03-09-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الأستاذ جمال:

دكتور، دخلنا كضيوف إلى بيت أحد الأصدقاء، أو الأخوة، أو دخل إلى بيوتنا، ما هي موضوعات الذوق في هذا المجال؟

من أدبيات الزيارة أن تكون قصيرة:

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أستاذ جمال، جزاك الله خيراً، أحياناً ينزل الإنسان عند أقاربه ضيفاً، ويمكث يوماً، أو يومين، أو ثلاثة، ويكرمه أهل البيت، وتتفنن الزوجة في الضيافة، وتجتهد لترضي ربها أولاً ثم لترضي زوجها لاستضافة أهله وإكرامهم، وتكون الطامة الكبرى حينما يمكث الضيف أسبوعاً أو أكثر، يصبح هذا الضيف ثقيلاً، قال: وإذا علم الثقيل أنه ثقيل فليس بثقيل، وهذه المصيبة، أن الثقيل لا يعلم أنه ثقيل، لكن من أدبيات الزيارة أن تكون قصيرة.

فحينما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، نزل في منزل أبي أيوب الأنصاري لحين بناء المسجد النبوي، وبناء بيته، وكان بيت أبي أيوب يتكون من طابقين، قال:

((لما نزل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: بأبي أنت وأمي إني أكره أن أكون فوقك وتكون أسفل مني))

[أخرجه الحاكم عن أبي أيوب الأنصاري]

هل تعرف أستاذ جمال لماذا فعل أبو أيوب ذلك؟ ولماذا كان هذا الاختيار؟ حتى لا تكون قدما أبي أيوب فوق النبي عليه الصلاة والسلام، يقول أبو سفيان: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، قمة في الذوق، قمة في الأدب، قمة في التعامل مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لو نظرنا إلى أدب النبي الكريم، وذوقه الرفيع، فقال النبي الكريم:

((إني أرفق بي أن أكون في السفلى لما يغشانا من الناس))

[أخرجه الحاكم عن أبي أيوب الأنصاري]

أصر على أن يكون في السفلي.

الأستاذ جمال:

وهذا دكتور راتب تعليم لنا، أن يحترم بعضنا بعض، أن يدلل بعضنا بعضاً، أن يحترم صغيرنا كبيرنا، وهناك حديث شريف في هذا المجال:

((لَيْسَ مِنا مَن لم يُوَقِّرْ كَبيرنا، ويعطف على صغيرَنا، ويعرف لعالمنا حقه))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

الذوقُ مفتاح القلوب وقلة الذوق تصد الناس عن سبيل الله: **الدكتور راتب:**

أستاذ جمال، لو دخلنا في الدعوة إلى الله، لها آداب كثيرة، أحياناً يتعود الناس على أشياء لم يرد لها أصل في السنة، وحينما نريد أن نقوّمها يكون التقويم بشكل خاطئ، بشكل منفر، وقف شيخ كبير في الصلاة، وكان بجواره شاب على وجهه علامات التدين وبعدما انتهى الإمام، أعجب الشيخ الكبير بصلاة هذا الشاب، لعله أعجبه الخشوع في الصلاة، مدّ الشيخ يده لهذا الشاب داعياً له أن يرزقه حجةً أو عمرةً ليصلي في بيت الله الحرام، فقال له مختصراً: حرماً، نظر الشاب إلى الشيخ بتجهمٍ وغلظةٍ قائلاً: هذا لم يرد في السنة، تقول لي: حرماً، فقال الرجل الكبير: وهل ورد في السنة قلة الذوق؟

أحياناً بالدعوة هناك غلظة، من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف، ومن نهى عن منكر فليكن نهيه بغير منكر، لكن غياب الفهم، غياب حسن التعامل مع الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، يظل هذا الشيخ على موقفه بسبب هذا الشاب، أيها الشاب افهم دينك، تلطف مع الناس، تأدب في التعامل معهم، فالذوقُ مفتاح القلوب، وقلة الذوق تصد الناس عن سبيل الله.

قصة رائعة أستاذ جمال، طفلان صغيران هما الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذات يوم وجد الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً كبيراً لا يحسن الوضوء، ماذا فعلا؟ انظر أيها المستمع إلى فعلهما، وتعلم الذوق في الدعوة إلى الله، ذهبا إليه فقال الحسن: يا سيدي، أخي هذا يدّعي أنه يتوضأ أحسن مني، وأنا أقسمُ أني أتوضأ كما توضأ النبي صلى الله عليه وسلم، فاحكم بيننا، وانظر إلى وضوئه ووضوئي، ثم قل أينا يتوضأ كما توضأ النبي الكريم؟ فدخل

الحسن وتوضأ وأسبغ الوضوء وأحسنه، ودخل الحسن وتوضأ مثل أخيه، فقال الرجل: والله أني لا أجيد الوضوء كما تتوضآن، ما رأيك أستاذ جمال في هذا التصرف الأديب الذوقي الذكي من هذين الطفلين الصغيرين؟.

لذلك قال أحد العلماء لشاب قليل الذوق: يا بني نحن إلى أدبك أحوج منا إلى علمك.

الأستاذ جمال:

دكتور، لي ملاحظة هنا، ولطالما نتحدث عن الذوق، هناك بعض الآباء، أو بعض الأمهات يخاطبن، أو يخاطب الأب الولد الصغير أو اليافع، هناك أدبيات التخاطب أمام الناس، مهما فعل يوبخه، تحس أن هذه الشخصية لهذا الطفل أو اليافع تبنى بناء فيه أخطاء.

الأبوة علم و فهم و ذوق و أخلاق :

الدكتور راتب:

أقسم لك بالله، أن الأب الذي يعنف ابنه أمام أخواته البنات، أو أمام أخوته، أو أمام أصدقائه، والله يرتكب بحق ابنه جريمة، يعقده، أنت غبي، هذه الكلمة خطيرة جداً قد تصاحبه خمسين عاماً، أنت غبي، فالبطولة أن ترفع معنوياته، أن تتلطف معه، الأبوة علم، الأبوة فهم، ذوق، أخلاق، الآن الذوق في الكلام مع الناس، هناك لطائف كثيرة، أول هذه الأشياء التي يقع فيها البعض هو المقاطعة، وعدم سماع آراء الآخرين، قال: إذا أردت أن يكرهك الناس فعليك بمقاطعتهم وعدم إعطائهم الفرصة ليعبروا عن وجهة نظرهم، وكلما عرضوا فكرة فقل لهم: إنكم على خطأ، وعندي أفضل منها، دائماً أوجد عندهم إحساساً بأنهم لا يفهمون، دائماً عليك بتوبيخهم، إذا فعلت هذا كرهك الناس جميعاً.

الموقف التالي يظهر تلطف النبي الكريم مع الآخرين و لين جانبه:

لنستمع إلى موقف كريم من مواقف النبي، جاء عقبة بن ربيعة ممثلاً لقريش، فجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا بن أخي، اسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها، لعلك تقبل بعضها، فقال صلى الهو عليه وسلم: قل يا أبا الوليد إني أستمع إليك فإن الاستماع من الذوق الرفيع، قل يا أبا الوليد إنني أستمع إليك، فقال: يا بن أخي إن كنت تريدُ لما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به ملكاً، ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رؤية لا تراه ولا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، إنها اختيارات عند النبي سخيفة، مال، ملكٌ، مداواةٌ من مرض، ولكن انظر أستاذ جمال إلى ذوق وأدب النبي الكريم، بدأ بكنيته يا أبا الوليد، من باب التلطف،

ولين الجانب، ثم قال له: قل يا أبا الوليد أنا أستمع إليك، فلم يقاطعه النبي، وبعد أن أنهى كلامه قال النبي صلى الله عليه وسلم: أفرغت يا أبا الوليد، قال: نعم، والقصة لها تتمة، يعرفها المستمعون، قال له:

((والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الدين ما تركته، حتى يظهره الله، أو أهلك دونه))

[السيرة النبوية]

الأستاذ جمال:

هذا موقف، أي هذا خط أحمر، هو جاملهم دبلوماسياً.

عدم إيذاء شعور الآخرين أياً كان الفعل:

الدكتور راتب:

استمع لم يقاطعهم، وتأدب معهم، يا أبا الوليد، إني استمع إليك، أفرغت يا أبا الوليد؟

الآن طالب جامعي بريطاني، أسلم بسبب الذوق الإسلامي، علمنا النبي صلى الله عليه وسلم حينما نكون ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث فإن هذا يؤذيه، وفي رواية يحزنه، كان هناك صديقان مسلمان من بلدنا الطيب من دمشق، يدرسان في بريطانيا، ويتحدثان العربية والإنكليزية، فكانا يتحدثان العربية طالما كانا بمفرديهما، وحين يأتي هذا الصديق الإنكليزي يتحولان إلى اللغة الإنكليزية، حدث هذا عدة مرات، تعجب هذا الصديق من ذلك أيما تعجب، أراد أن يستفسر ويعرف السبب، فقالا له: نهانا نبينا الكريم أن نتحدث سوياً بلغةٍ لا يفهمها الثالث، فما كان منه إلا أن قال باللغة الإنكليزية ما معناه: إن نبيكم هذا حضاري جداً، أسلم هذا الصديق بعد ستة أشهر، أول شيء وقع في قلبه هو ذوق الإسلام في التعامل مع الآخرين.

الحقيقة تريد أن نخرج من خلق الذوق بشيء هامٍ جداً، ألا وهو عدم إيذاء شعور الآخرين أياً كان الفعل، فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنكر فعلاً من إنسان لم يذكر اسمه صراحةً بل يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، والشخص أمامه وتأذى منه، يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، حتى لا يؤذيه.

الأستاذ جمال:

دكتور، فعلاً موضوع الذوق في الدين الإسلامي الحنيف موضوع فعلاً فيه الجمالية الخاصة، فيه أدبيات، فيه حيثيات لهذا الموضوع، موضوع نسميه الحوار أو الندوة بين اثنين.

على الإنسان أن يلتزم أدب الحوار عند مناقشته مع الآخرين:

الدكتور راتب:

هناك أدب الحوار، الحقيقة الإنسان عندما يحاور قد تزل قدمه إلى السباب، أي أقل كلمات السباب أنه يقول للآخر أنت لا تفهم، يمكن أن تحاور الآخر ساعات طويلة بالأدلة، الدليل بالدليل، الكلمة بالكلمة، الفكرة بالفكرة، الشاهد بالشاهد، السبب بالسبب، أما تتهم الآخر أنه لا يفهم، وأنك أكثر منه فهماً، فهذا من قلة الذوق.

أستاذ جمال، أذكر لك آيتين كريمتين تذهلان:

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

[سورة سبأ الآية:24]

أنت حينما تحاور الآخر ينبغي أن تشعره أنك في مستواه، وأنه في مستواك، وأن الحق كرة إما عندي أو عندك،

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ)

، الأول مؤمن،نبيٌّ كريم، صاحب الوحي، صاحب الرسالة، سيد الخلق، حبيب الحق، والثاني كافر، قال:

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

أبلغ من ذلك:

(لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

[سورة سبأ]

(لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا)

دعوته إلى الله لعلكم تظنوها جريمة،

(لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا)

لا تسألوا،

(عَمَّا تَعْمَلُونَ)

أي أنت حينما تحاور، يجب أن تكون متواضعاً، ألا تستخدم كلمات قاسية، ألا تستخدم السباب والشتم، ألا تقول لفلان لا يفهم، هو أحمق، هذا ليس حواراً، هذا سباب وشتائم، وأنا أقول لك: لو كان أي حوار ملتزم بقواعد الأدب ما نتج عن أي حوار عداوة أبداً، لكن الحوار ينقلب أحياناً إلى سباب وشتائم، فكل إنسان يدافع عن كرامته عندئذٍ.

الأستاذ جمال:

وهناك موضوع هام سيدي، موضوع التحضير لهذا الحوار، أي تجهيز المادة بشكل جيد بالحجة، أي قبل أن تدخل نقاشاً حاداً عليك أن تحضر بشكل ممتاز وجيد حتى تكون معك الحجة والبرهان.

السباب والشتائم دليل فقد الحجة:

الدكتور راتب:

أنا قناعتي، الإنسان حينما يفقد الحجة يسب ويشتم، السباب والشتائم دليل فقد الحجة، مادام معك حجة قوية فعليك ألا تشتم.

أذكر أن إنساناً ردّ على جهة فهمت حديثاً شريفاً فهماً خاطئاً، لكنه زلت قدمه وقال: شيخكم مخرف، فأُتهم هذه الإنسان بالكفر والزندقة، من كلمتين قالهما بالحوار.

أنت السؤال أجب عنه، الدليل ائتِ بدليل آخر، بفكرة ائتِ بفكرة أخرى، ولا تفعل ذلك.

الأستاذ جمال:

وعندما نصل إلى طريق مسدود في هذا الحوار، أي لم يعد عندي شيء أقدمه يمكن أن أعتذر، أو أعترف بعدم إمكانية متابعة هذا الحديث، أتحول دكتور مع حضرتك إلى موضوع من يحاضر، من يدعى إلى إلقاء كلمة في مناسبة، من يخطب الجمعة أمام جمهرة من الناس، أي موضوع له أهمية خاصة.

آداب الحوار مع الآخرين:

الدكتور راتب:

ألا يطيل، ألا يرفع صوته بشكل مزعج، ألا يكون كلامه عاماً، ليس له معان دقيقة، هذا الكلام ممل، والناس ينصرفون عن الخطاب الديني إن لم يكن ناجحاً، لكن نحن مادام نتكلم عن أدب الحوار فهناك لقطة مهمة جداً، هي الذوق مع أصحاب المراكز العليا، أمثال الملوك والأمراء والعلماء.

فمن السنة أن تنزل الناس منازلهم، إلا في حالة الحرب موضوع آخر، ونتعلم من النبي صلى الله عليه وسلم الذوق في التعامل مع أصحاب المناصب، بعث النبي صلى الله عليه وسلم برسالة لكسرى ملك الفرس، الذي يسجد للنار، فيقول له: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس، الذي يعبد النار هل هو عند النبي عظيم؟ يبعث برسالة أخرى إلى ملك الروم، يقول له: من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، هذا أدب التعامل مع أصحاب المناصب، إنسان دكتور، إنسان عميد، إنسان لواء، تكلم خاطبه كما يخاطبه من حوله، وهذا من الأدب أيضاً.

الذوق والأدب مع أصحاب الفضل على الإنسان:

الآن عندنا موضوع آخر هو الذوق والأدب مع أصحاب الفضل عليك، كل من كان له فضل عليك كان له حقّ عليك، أول هذه الحقوق أن تتأدب معه، وانظر أستاذ جمال إلى أدب العباس، فمن المعروف أن العباس أكبر سناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سُئل العباس أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال العباس كلمات رقيقة رائعة، كلها أدب وذوق وحب، قال: هو أكبر مني لكنني ولدت قبله، حينما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وسيدنا أبو بكر، انتظره الأنصار على مشارف المدينة، ولم يكن الأنصار يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم رأوا راحلتين قادمتين، ورأوا سيدنا الصديق هو المتقدم لأنه كان خائفاً على النبي، فكان يحميه، فظن الأنصار أن الرسول الكريم هو أبو بكر، فأسرعوا نحو أبي بكر وأخذوا فطامها، تصور الموقف الحرج صاحب الرسالة ظنوه الصديق، والصديق ظنوه رسول الله، كيف تصرف الصديق؟ لو قال أنا رسول الله مشكلة، لو قال الصديق: أنا لست رسول الله مشكلة ثانية، ماذا فعل؟ خلع رداءه وأظل به رأس النبي، فكانت لمحة طيبة، وذوقاً رفيعاً فعرف الأنصار أنه ليس برسول الله، وأسرعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حقاً إنه أبو بكر الصديق.

الأستاذ جمال:

فعلاً متابعة لطيفة في حيثيات ودقائق الأمور في مجال الذوق، هناك من يدّعي أنه يحبك، يدعي احترامك، يدعي محبتك، يريد أن ينفعك فيؤذيك، هذا نسميه الحب الأحمق، كيف نتحدث عن موضوع الذوق في هذا المجال؟.

المبالغة في الذوق من قلة الذوق:

الدكتور راتب:

أولاً: الإمام الشافعي من أعلام الأمة، لكن له أستاذاً، كان يقول: لا أستطيع أن أقلب الورقة بصوت مرتفع بين يدي أستاذي كي لا أزعجه، ولا أستطيع أن أشرب الماء إجلالاً له.

نحتاج نحن إلى هذه الأدبيات في التعامل مع من له علاقة علمية بأستاذه، لكن كما تفضلت الحب الأحمق أنا سميته: المبالغة في الذوق من قلة الذوق، كيف؟ لا تتكلف الذوق، اجعله طبيعياً، فمثلاً عند عيادتك للمريض، قلنا: لا تطيل إلا إذا أذن لك، أو كان يأنس بك، أحياناً المريض عنده كآبة، وغير مرتاح، هو رأى في زيارتك، وأنت عندك تعليمات من النبي أن تبقى عنده فواق ناقة – أي حلب ناقة - قال لك: رجاءً اجلس أنا مستأنس بك، فإذا أنت آثرت الذوق على طلب المريض فهذا من قلة الذوق، مادام مستأنساً بك، وأنت عندك وقت فينبغي أن تلبي طلبه.

لذلك يقال: إن المبالغة في الذوق من قلة الذوق، كلام الإمام الشافعي، بل إن الوقار في البستان من قلة المروءة، معك أصدقاؤك، النزهة مناسبة للمرح، اللهو البريء، والضحك، هو بالنزهة آخذ وقاراً، وهيمنة، وهيبة، قال: الوقار في البستان من قلة الذوق.

سبحان الله! أحياناً أخوانك يضحكون من قضية، فينبغي أن تضحك معهم، فكان عليه الصلاة والسلام يضحك مما يضحك منه أصحابه، كان معهم في أفراحهم، في أحزانهم، جلس مع تاجر يسأله عن الأسعار، أما دين فقط، لا يسمح بكلمة أخرى فهذا من قلة الذوق.

مرة إنسان جلس عند ضيف، قال له: اجلس هنا، فجلس بمكان آخر من باب الأدب، يبدو أن صاحب البيت عنده مكان مناسب للضيف، لا يكشف أهل البيت، المكان الآخر أمامه نافذة، قد تمر زوجته أمامه، لذلك مرة ثانية: لا تجلس في بيت من تزوره إلا في المكان الذي يدعوك إليه، لا تجلس في مكان تجلس وتصر عليه إلا أن يؤذن لك به، قد يكون المكان الذي اخترته يشرف على البيت كله، وزوجته محجبة كيف تتحرك في أرجاء البيت؟ فهذا من آداب زيارة الصديق.

آداب زيارة الصديق:

لا يجلس أحدكم على تكرمة الرجل إلا بإذنه، تجلس وراء المكتب، تقلب بالأوراق، هذا من قلة الذوق، تفتح دفتر أخيك هذا من قلة الذوق، الآن تمسك هاتفه الجوال من اتصل به؟ من بعث له برسائل؟ هذا من قلة الذوق، هذه ينبغي أن تكون من الخصوصيات.

شيء آخر: من ذوقيات عيادة المريض، كما قلنا قبل قليل أن تكون الزيارة خفيفة، إلا إذا كان المريض كما قلنا مستأنساً بك، وسعيداً بهذه الزيارة.

يروى أن أبا حنيفة رحمة الله تعالى، كان مريضاً وعاده أربعة رجال، فكانت زيارتهم ثقيلة وطويلة، وأطالوا الجلوس، الإمام مريض، فضاق بهم، وتعب تعباً شديداً، ومع ذلك هم لم يتحركوا، فماذا فعل الإمام؟ قال لهم: قوموا فقد شفاني الله عز وجل.

الأستاذ جمال:

دكتور راتب النابلسي، كيف تتحدث عن الذوق في آداب الإنسان للصدقة، مساعدة الفقير، مساعدة اليتيم، جبر الخاطر، هل هناك آلية معينة؟

من الذوق دفع الزكاة والصدقة بشكل سري إلا إن كانت متوجهة إلى مشروع خيري:

الدكتور راتب:

لا تقل له: هذه زكاة مالي، هذه هدية، سمِّها هدية، ادفعها في مناسبة المدارس، مناسبة مجيء رمضان، ادفعها بشكل عيني أحياناً، تعلم علماً يقينياً أن هذا الفقير يحتاج إلى ثياب لأولاده بمناسبة نجاحهم فرضاً ائتِ له بهذه الثياب كهدية، أما أن تقول له: أنت فقير وهذا زكاة مالي، فهذا من قلة الذوق.

الأستاذ جمال:

ومن الذوق دفع الزكاة والصدقة بشكل سري.

الدكتور راتب:

سري طبعاً، بالمناسبة أستاذ جمال، هناك توجيه نبوي وتوجيه قرآني، أنه يمكن أن تدفع علناً أو سراً، أنا أرى إن كانت هذه الصدقة متوجهة إلى مشروع بناء مدرسة، بناء مستشفى، بناء مجمع، بناء مستوصف، فينبغي أن تكون علانية، كي يتشجع الناس، أما إذا توجهت الصدقة إلى إنسان فينبغي أن تكون سراً.

الأدب والذوق مع الجيران:

وقد ننتقل إلى الأدب والذوق مع الجيران، ورد في بعض الآثار النبوية:

((أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعنته، وإن استنصرتك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن أصابه خيرٌ هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإن مات شيعته، وإن مرض عدته، ولا تستطل عليه في البناء فتحجب عليه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فأهدِ له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بك ولدك ليغيظ ولده، ولا تؤذيه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها))

أستاذ جمال، سامحني بهذا الكلام، أحياناً هناك إنسان موسع غني، يعطي ابنه في الحضانة خمسمئة ليرة، ويعطيه أطعمة غالية جداً بالمئات، أنا أرى من الذوق الإسلامي أن تعطي ابنك شيئاً معقولاً يستطيعه كل الأطفال، أما أن تجعل طفلاً صغيراً يكيد لأصدقائه بالخمسمئة ليرة أو بالطعام النفيس جداً، أطعمه هذا الطعام في البيت، أعطه هذا المبلغ في البيت ليضعه في خزانته، أما أن تعطيه في المدرسة خمسمئة ليرة هذا والله من قلة الذوق، من قلة الذوق التي لا تحتمل، هذا طفل صغير، هذا فيما يتعلق مع الجيران.

أنا أذكر أنه كان هناك شاب يسكن أمام بيت أبي حنيفة النعمان، وكان يشرب الخمر، ويغني طوال الليل وهو سكران، وأغنيته المشهورة:

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا لِيَوم كريهةٍ وطِعانِ خلس

* * *

يقوم أبو حنيفة لصلاة الفجر، هذا الجار المغني شارب الخمر يزعجه كثيراً، فكان أبو حنيفة يتحين الفرص ليعظ هذا الشاب، ويرقق قلبه للتوبة، وفي أحد الأيام قام أبو حنيفة ليصلي الفجر فلم يسمع صوت هذا الشاب، فسأل عنه فعرف أنه قد قبض عليه، لأنه ضبط يشرب الخمر، فذهب أبو حنيفة لصاحب الشرطة، وقال له: هلا أفرجتم عنه إنه جاري، فقالوا: إنه شرب الخمر، قال أخرجوه من أجلي، فأخرجوه، وجعله أبو حنيفة يركب خلفه على الدابة، ولم يتكلم معه كلمة واحدة حتى وصل إلى البيت، قال له أبو حنيفة: هل أضعناك يا فتى؟! فقال: لا والله، ولا أعود إلى الخمر والغناء أبداً.

إنه موقف رائع جداً، هذا العاصي يحتاج إلى قلب كبير يستوعبه.

الأستاذ جمال:

وهذه مهمة الإنسان الذي يأمر بالخير والمعروف أن يكون طبيباً، أن يكون حكيماً، ينظر لهذا إنسان على أنه إنسان خلقه الله سبحانه، وما علينا إلا أن نكون أطباء نرعى شؤونه كي يكون فاعلاً في مجتمعه.

من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف ومن نهى عن منكر فليكن نهيه بغير منكر:

الدكتور راتب:

من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف، ومن نهى عن منكر فليكن نهيه بغير منكر، أي قضية الأمر بالمعروف تحتاج إلى ذوق، إلى حكمة، إلى ملاطفة.

صديق عمر بن الخطاب ارتد عن الإسلام، وشرب الخمر، وذهب إلى الشام، أرسل له رسالة، قال له: أما بعد، أحمد الله إليك، غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، رسالة رقيقة جداً، قرأها وبكى، وبكاؤه حمله على التوبة، وعاد إلى عمر، فقال عمر رضي الله عنه: هكذا اصنعوا مع أخيكم إذا ضلّ، كونوا عوناً له على الشيطان، ولا تكونوا عوناً للشيطان عليه.

الحياة كلها ذوق أستاذ جمال، والله أنا اخترت هذا الموضوع لأنني أشعر أن المسلمين بحاجة إلى هذه المعاني الدقيقة، كي يكون التواصل بينهم، وكي يكونوا لحمة فيما بينهم.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (17-18) - قال تعالى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 17-09-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال:

كنا قد تحدثنا في حلقة ماضية عن الإعجاز العلمي في جسم الإنسان، هناك كلام يطولُ شرحه، فيه حيثيات، فيه دليل على أن الله عز وجل خلق هذا الإنسان في أبدع وأحسن صورة وخاصة من الداخل، هناك قضايا هامة جداً الأخ المستمع يحب أن يطلع عليها، تفضل سيدي.

من عرف الآمر ثم عرف الأمر تفانى في طاعة الآمر :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أستاذ جمال، سؤالك دقيق جداً، ذلك أن هناك موضوعين خطيرين جداً، الأول: معرفة الآمر، والثاني: معرفة الأمر، لو أن الإنسان تعرف إلى الأمر ولم يتعرف إلى الآمر، تفنن في معصية الآمر، أما إذا عرف الآمر ثم عرف الأمر تفانى في طاعة الآمر، وكأنني أضع يدي على مشكلة المسلمين الأولى، أن الأمر بين أيديهم، درسوه في المدارس، استمعوا إليه من خطباء المساجد، لكن الآمر وهو الله جلّ جلاله ما عرفوه حق المعرفة، وما قدروه حق التقدير.

لذلك حينما نبحث عن آيات الله الدالة على عظمته في خلق الإنسان، فنحن في طريق لمعرفة الآمر، والذي أتمنى أن يكون واضحاً ما من معصيةٍ يقترفها الإنسان إلا بسبب ضعف معرفته بالآمر.

الآيات الذي بثها الله في الكون وفي الإنسان لا تعد ولا تحصى :

لذلك الآيات الذي بثها الله في الكون وفي الإنسان لا تعد ولا تحصى، وفي كل شيءٌ له آيةٌ تدلُ على أنه واحدٌ، لكن هذه الآيات بعضها واضحٌ جداً، وبعضها يحتاج إلى دقيق تأمل، لكن الإنسان إذا أعرض عن هذه الآيات فلا سبيل له إلى الله، والدليل:

(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ)

[سورة الجاثية الآية:6]

حينما قال الله عز وجل في أول كلمة، في أول آيةٍ، في أول سورة نزلت:

(اقْرَأْ)

[سورة العلق الآية:1]

هذه دعوة إلى العلم، ذلك أن في الإنسانِ قوة إدراكية أودعها الله فيه، وبها ميزه على بقية المخلوقات، فما لم تلبَ هذه القوة الإدراكية، ما لم يبحث الإنسان عن العلم، ما لم يبحث في سرّ وجوده، وفي غاية وجوده، لا يستطيع أن يصل إلى الله عز وجل، إذاً هبط مستواه الإنساني إلى مستوى آخر لا يليق به، ما لم يبحث الإنسانُ على الحقيقة، ما لم يتعرف إلى أصل وجوده، وغاية وجوده، وكمال وجوده، هبط عن مستواه الإنساني، لذلك:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

[سورة العلق]

أنواع القراءات :

أقرب آية إلينا هي جسمنا، فقد قال تعالى:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)

[سورة العلق]

هذه القراءة تعني قراءة البحث والإيمان، ينبغي أن تقرأ ما في الكون، وما في جسمك من آيات قراءةٍ بحثٍ وإيمان كي تؤمن، وهناك قراءة ثانية أستاذ جمال، هي قراءة الشكر والعرفان،

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)

و قراءة ثالثة هي قراءةُ الوحي والإذعان، فأنت أمام قراءات ثلاثة، أن تقرأ ما في الكون قراءة بحث وإيمان، وقراءة شكر وعرفان، وقراءة وحيٍ وإذعان، ونعوذُ بالله من القراءة الرابعة، إنها قراءة العدوان والطغيان:

(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى)

[سورة العلق]

فإذا سُخر العلم لصنع الأسلحة الجرثومية، والكيماوية، والتدميرية، فكأن العلم سخر لإفناء الإنسان، صار عندنا أربع قراءات، قراءة البحث والإيمان، قراءة الشكر والعرفان، قراءة الوحي والإذعان، وقراءة العدوان والطغيان، المؤمن ينبغي أن يكون قوياً، لأن الحق هو وحي السماء، يحتاجُ إلى قوة، هذا الطرحُ في العالم الإسلامي، نحن معنا وحي السماء، وحي السماء يحتاج إلى قوة تدعمه، لكنه في الغرب ينطلقون من مقولة خاطئة أن القوة هي الحق، أنت قوي إذاً أنت على حق ولو دمرت الشعوب كلها، أنت قوي أنت على حق ولو تكلمت بالباطل، فالفرق بين العالم الإسلامي والعالم الآخر في هاتين المقولتين: عندهم القوي على حق ولو اعتدى، ولو نهب الشعوب، ولو قصف البلدان، وعندنا الحقُ ما جاءنا من وحي السماء، لكن يحتاج إلى قوة.

على الإنسان أن يقرأ ما في جسمه من آيات قراءةٍ بحثٍ وإيمان كي يؤمن :

لذلك جعل الله هذا الجسم الذي بين أيدينا، هناك آيات دالة على عظمته، أي لو وقفنا عند شعر الإنسان، ثلاثمئة ألف شعرة، في كل شعرة وريدٌ، وشريانٌ، وعصبٌ، وعضلةٌ، وغدة دهنية، وغدة صبغية، لو وقفنا عند عينيه، قال تعالى:

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)

[سورة البلد]

العين فيها ماء، تصور إنساناً يعيش في شمال الأرض، في منطقة القطب، هناك الحرارة تقدر بسبعين درجة تحت الصفر، ففي عينه ماء، والماء يتجمد بدرجة الصفر، إذاً كل إنسان مقيم في هذه البلاد سوف يفقد البصر عندما يتجمد ماء عينه، والإنسان يضع قبعة على رأسه، قفازات في يديه، معطف ثقيل، ألبسة صوفية، ماذا يفعل بماء العين؟ الذي يتجمد في الصفر، وهو في بلد حرارته تقدر بسبعين تحت الصفر، أستاذ جمال، أودع الله في ماء العين مادة مضادة للتجمد، يدُ من؟ علمُ من؟ رحمةٌ من؟ حكمةُ من؟.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   ذاك لعمري في المقال شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته   إن المحب لمن يحب يطيع

* * *

العين لها قرنية، هذه القرنية الطبقة الأولى الشفافة شفافية تامة، مع أن جسم الإنسان بأكمله يتغذى عن طريق الأوعية الشعرية، فلو غُذيت قرنية العين عن طريق الأوعية الشعرية لكانت كل رؤيتنا ضمن

شبكة، شبكة أوعية، لكن حكمة الله جلّ جلاله اقتضت أن القرنية بالعين هذه الطبقة الشفافة شفافية تامة تتغذى بطريقة أخرى، فكل خلية تأخذ غذاءها وغذاء جارتها وينتقل هذا الغذاء عبر الغشاء الخلوي، من جعل قرنية العين تتغذى بالحلول لا بالأوعية؟ حكمةُ من؟ قدرةُ من؟

التفكر في خلق السماوات والأرض أقصر طريق إلى الله :

لذلك الله عز وجل كما قال في كتابه العزيز:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)

[سورة الأنعام الآية:103]

ولكن العقول تصل إليه من خلال الكون، كل شيء في الكون يدل على وجود الله، ووحدانيته، وكماله، من هنا يعد التفكر في خلق السماوات والأرض أقصر طريق إلى الله، وأوسع بابٍ ندخل منه على الله، والأصل في هذا الموضوع هذه الآية الكريمة التي قال عنها النبي الكريم: " الويل لمن لم يتفكر في هذه الآية".

قال تعالى:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران]

إذاً أقرب آية إلى الإنسان جسمه، هذا الجسم كما تفضلت في بداية هذا اللقاء الطيب ذكرت قوله تعالى:

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)

[سورة التين]

إن لم يعرفه.

ملامح من علم الله في خلق الإنسان تتجلى بـ :

1 ـ الأذن :

النقطة الدقيقة أن الله عز وجل أعطى الإنسان أجهزة بالغة الدقة نحن لا نعرفها، مثلاً إنسان يمشي في الطريق وراءه سيارة، أطلقت بوقها، هو على يسار الطريق، فلما سمع صوت بوق المركبة ازداد انحرافه نحو اليسار، كيف عرف أنها جاءت نحو اليمن؟ قال: هناك جهاز في الدماغ يحسب تفاضل

وصول الصوتين إلى الأذنين، والتفاضل بينهما واحد على ألف و ستمئة و عشرين جزءاً من الثانية، هذا الجهاز في الدماغ يحسب تفاضل وصول الصوتين إلى الأذنين، دخل إلى هنا قبل هنا، إذاً هي المركبة من على اليمين، لو دخل إلى هنا قبل هنا إذاً هي على اليسار ،هل يدري أحد منا أن معه هذا الجهاز الذي يعرف به جهة الصوت؟

بل إنني مرة جئت من حمص إلى دمشق بمركبتي، كان أمامي قطيع غنم، أطلقت بوق السيارة، فإذا بهذا القطيع ينحرف نحو اليسار، معنى ذلك أن الجهاز بالغ الدقة أودعه الله في بقية المخلوقات حفاظاً على سلامتهم.

هذا معنى اسم المُسلّم، الله عز وجل يسلمنا من كل عطب، إذاً التفكر في خلق السماوات والأرض يعد أقصر طريق إلى الله، وأوسع بابٍ ندخل منه على الله.

2 ـ العين :

يرى الإنسان بمنطقة في قعر العين مساحتها ميلي وثلث، بالمناسبة قبل أن أتابع، آلة تصوير غالية جداً، رقمية، احترافية، هذه الآلة ثمنها خمسة ملايين تقريباً، تُستخدم في البرامج التلفزيونية، بهذه الآلة بالميليمتر المربع عشرة آلاف مستقبل ضوئي، بينما بالميليمتر المربع في شبكية العين مئة مليون مستقبل ضوئي، أعظم آلة احترافية، رقمية، مهنية، تستخدم في برامج التلفزيون، يبلغ ثمنها أكثر من خمسة ملايين أو عشرة، في العين بالميليمتر المربع مئة مليون مستقبل ضوئي، لذلك العين تفرق بين ثمانية ملايين لون، بل لو درجنا اللون الأخضر ثمانمئة ألف درجة لأدركت العين البشرية الفرق بين درجتين.

أنت حينما تقرأ قوله تعالى:

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)

والذي لا يصدق أنك حينما تستخدم آلة تصوير، وتأخذ الصورة وتطبعها، حجمها صغير، لكنك إذا رأيت بعينك شيئاً أو جبلاً تراه بحجمه الحقيقي، إلى الآن يصعب فهم هذه الظاهرة، ترى الشيء بحجمه الحقيقي.

لذلك التفكر أقصر طريق لمعرفة الله، وأوسع باب ندخل منه على الله.

3 ـ الكبد :

الآن لو تفكرنا في هذا الكبد، هذا الكبد تقريباً يقوم بخمسة آلاف وظيفة، والإنسان يخاف من الموت من خلال قلبه، الكبد أخطر، لذلك الإنسان يعيش بقلب مريض عشرين عاماً يتعايش معه، لكنه لا يستطيع أن يعيش من دون كبد ولو ساعات، تنتهي حياته فوراً، هذه الخلايا في الكبد تقوم بخسة آلاف وظيفة، لكن الذي يلفت النظر أن كل خلية وحدها تقومُ بكل هذه الوظائف، بمعنى لو أن طبيباً جراحاً استأصل أربعة أخماس الكبد بمبضعه لأعاد الكبد بناء نفسه في ستة عشر أسبوعاً، ما هذه الدقة بالخلق؟! هذا الكبد.

4 ـ العضلات :

الإنسان إذ تكلم كل حرفٍ يحتاج إلى سبع عشرة عضلة، فإذا كلمة فيها خمسة حروف، سبع عشرة ضرب خمسة، إذا جملة فيها خمس كلمات، إذا حديث لساعة؟!

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)

[سورة آل عمران]

لا معنى لوجود الإنسان من دون منهج يسير عليه :

وقد يسألُ سائل: أيعقل أن يتعلم الإنسان القرآن قبل أن يولد،

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ *)

قال علماء التفسير: هذا الترتيب ليس ترتيباً زمنياً، هو ترتيب رتبي، معنى ترتيب رتبي أن الإنسان لا معنى لوجوده من دون منهج يسير عليه، أحياناً نشتري آلة غالية جداً، ولها نفع كبير، و لها أرباح فلكية، لكن الشركة افتراضاً نسيت أن ترسل تعليمات التشغيل، نحن ماذا نفعل؟ نخاف أن نستخدمها بلا تعليمات فنعطبها، وإن لم نستخدمها خسرنا ثمنها، أليست هذه التعليمات أهم من هذه الآلة؟ هذا وضع الإنسان، تعليمات الصانع له مهمة جداً، بدليل أن الله عز وجل قال:

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)

5 ـ اللعاب :

أستاذ جمال، الإنسان نائم، غارق في النوم، يجتمع اللعاب في فمه تذهب رسالة من الفم إلى الدماغ أن اللعاب ازداد، يأتي أمر من الدماغ إلى لسان المزمار فيفتح طريق المريء ويغلق طريق القصبة الهوائية، وأنت لا تدري، وأنت نائم، هذا الخلق الدقيق من خلق الله عز وجل، نحن عند طبيب الأسنان إذا العمل طويل يضع لنا شراقة، حتى اللعاب يسحب، أما في خلق الله عز وجل، وأنت نائم وغارق في النوم، تذهب رسالة إلى الدماغ يأتي الجواب بإغلاق طريق الهواء، وفتح طريق المعدة، يبلع الإنسان لعابه.

6 ـ الهيكل العظمي :

وأنت نائم بأعمق نوم الهيكل العظمي له وزن، وما فوقه من عضلات لها وزن الهيكل العظمي مع ما فوقه من عضلات تضغطان على ما تحت الهيكل من عضلات، فإذا تمّ هذا الضغط الأوعية الدموية تضيق لمعتها، وتضعف التروية، والإنسان يصاب بحالة اسمها الخدران أو التنميل، وأنت نائم بأعمق أعمق نوم تذهب رسالة من مراكز الضغط في جسم الإنسان إلى الدماغ أن قد انضغطنا، تأتي رسالة من الدماغ إلى العضلات فالإنسان يقلب على جنب آخر، قال تعالى:

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

[سورة الكهف الآية:18]

هذا التقليب لولاه لما عاش الإنسان، وفي بعض المرضى يصابون بالسبات، السبات والسكون الدائم، فهؤلاء لهم أسرّة غالية جداً، لأنها تقلبهم، فالإنسان قد يغفل عن هذه النعم، في الليل يتقلب الإنسان حوالي أربعين مرة، والشيء اللطيف أنه

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

لو كان ذات اليمين وذات اليمين لوقع من على السرير،

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

أستاذ جمال، الحديث في هذا البحث شيء جميل، وشيء ممتع جداً، ويقربنا من الله عز وجل.

الأستاذ جمال:

دكتور محمد راتب النابلسي، فعلاً هذا الحديث يقربنا من الله سبحانه وتعالى عبادة وطاعة، وهذا الإله العظيم دائماً من خلال خلقه وإعجازه يخطب وده ـ كما تقولون ـ وترجى رحمته وعطاؤه، ما زلنا نتحدث عن موضوع الإنسان وخلق الإنسان، من خلال لقائنا الأسبوعي هذا "فيه هدىً للناس"، نتحدث

عن الجلد، جلد الإنسان هذا الشيء المعجز أيضاً لو سمحت، ولما نتحدث عن الإعجاز في خلق الإنسان.

7 ـ الجلد :

الدكتور راتب:

والله هذا الجلد، أولاً الله عز وجل جميل يحب الجمال، فأنت انظر إلى إنسان على مستوى الهيكل العظمي مخيف، أحياناً يضعون علامات الخطر؛ جمجمة وعظمتان، فالإنسان عظمياً مخيف، وحتى عضلياً مخيف، فإذا كساه الله هذا الجلد الجميل صار قطعة جمالية، والإنسان كائن جميل جداً، جميل بهذا الجلد، وهذا الجلد له خصائص مذهلة، والحديث عنها حديث ممتع جداً، لكن البطولة أن هذا الجلد يتلقى الصدمات الأولى، ومزود بخصائص مذهلة، أي هناك أجهزة للتدريب والتكييف في الأعصاب موزعة توزيعاً حكيماً جداً، مثلاً أنت مضطر أن تغسل يديك كل يوم ثلاث مرات، أعصاب الإحساس بالبرد والحر في اليدين قليلة جداً، لكن ضع الماء على ظهرك لا تحتمل، أعضاء الحس من أجل أن ترتدي ثيابك وألا تؤذي جسمك، أعصاب الحرارة بالظهر عالية جداً، فكل مكان بالجسم فيه أعصاب معينة من أجل أن تصل بها إلى السلامة، إذاً موضوع توزع الأعصاب في الجلد مهم جداً، ولولا هذه الأعصاب ما الذي يحصل؟.

الفرق النوعي الكبير بين المؤمن و غير المؤمن :

دائماً يقولون: إنه عندنا طريق آلام، هذا الطريق يبدأ من أعصاب الجلد، هذه الأعصاب تتجمع في أعصاب أكبر منها إلى أن تصل إلى النخاع الشوكي، والأعصاب بالنخاع الشوكي تنتقل عبر النخاع إلى الدماغ، فعندنا شيء اسمه بوابات الألم، أنا أعرف إنساناً أصيب بمرض خبيث بأمعائه ـ وأنا أظنه صالحاً ولا أزكي على الله أحداً ـ فكان إذا دخل إنسان زائر له في المستشفى يقول له: اشهد أنني راضٍ عن الله، يا ربي لك الحمد، خلال جمعة استقطبت هذه الغرفة أطباء المستشفى، والموظفون، بهذه الغرفة راحة نفسية عجيبة، إنسان معه مرض خبيث، وهذا المرض الخبيث آلامه لا تحتمل، وكلما دخل عليه زائر يقول له: الحمد لله اشهد أنني راض عن الله، فالنتيجة بعد أسبوع توفاه الله، جاء إنسان آخر السباب للذات الإلهية لا يحتمل، قسوة بالكلام، المرض نفسه، والآلام نفسها، ثم اكتشفت العلماء أن في طريق الآلام بوابات، هذه البوابات إذا أُغلقت وصل من الألم عشره، وإن لم تغلق كان الألم عشرة أضعاف، فكاتب المقال العلمي ليس مسلماً وبعيد عن الدين الإسلامي كلياً، قال في نهاية المقال: الذي

يتحكم بهذه البوابات حالة الإنسان النفسية، فالمؤمن راضٍ عن الله، فهذه المستشفى رأت مريضين في المرض نفسه، وفي الآلام نفسها، إلا أن الأول كان راضياً عن الله، وكان صابراً، وأصبحت غرفته جاذبة لكل من في المستشفى، والثاني نفر منه الناس من شدة سبابه للذات الإلهية.

إذاً قضية الآلام فيها حكمة بالغة، اكتشف أن في طريق الآلام بوابات تتحكم فيها حالة المؤمن، المؤمن راض عن الله، وعلامة المؤمن أنه يرضى عن الله عز وجل في أفعاله، ف النقطة الدقيقة أستاذ جمال، نحن نقول: الصلاة فرض، الصلاة لها أهداف كبيرة جداً ففي قوله تعالى:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

[سورة طه]

أنت في الصلاة تذكر الله، وقد قيل: إذا أردت أن تحدث ربك فادعه، وإذا أردت أن يحدثك الله عز وجل فاقرأ القرآن، أنت إذا قرأت القرآن يحدثك الله، وإذا دعوته تحدثه.

فلذلك الإنسان اكتشف أن المؤمن له معاملة خاصة من حيث الآلام تقريباً، والدليل هذه البوابات التي تقف على طريق الآلام إلى الدماغ، فالمؤمن له وضع خاص، أنا لا أقول: إن المؤمن يصلي فقط، هناك فرق نوعي كبير بين المؤمن وبين غير المؤمن، المؤمن عرف سرّ وجوده، وعرف غاية وجوده، وسلك الطريق الموصل إلى مرضاة ربه، إذاً هو في رحمة الله وفي بحبوحة الله.

تزويد الإنسان بآلية معجزة من قِبل الله تعالى :

لي صديق أرسل لشراء لحم من بلاد آسيا البعيدة، لما طالب بذبح الحيوان بالطريقة الإسلامية رفعوا السعر، فأنا انتبهت لهذه النقطة، لماذا؟ إذا أمرت هؤلاء الذين سيبيعوننا اللحم أن يكون بالطريقة الإسلامية، لماذا ارتفع السعر؟ فكان جوابهم: إذا ذبح على الطريقة الإسلامية لا يبقى من دم الحيوان شيئاً في جسمه، أما إذا ذُبح على الطريقة التقليدية يعلق الحيوان من رجليه ويقطع رأسه كلياً، عندئذٍ يبقى معظم الدم فيه، ما تفسير ذلك؟.

أستاذ جمال، القضية تحتاج إلى صبر قليلاً، أنا أتمنى من الأخوة المستمعين أن يصبروا عليّ، الإنسان لو كان يمشي في طريق ، أو في بستان، وشاهد ثعباناً، ما الذي يحصل؟ صورة الثعبان تنطبع على شبكية العين إحساساً، هذه الصورة في العين لا تقرأ، تحول إلى مركز البصر في الدماغ، فإذا انتقلت هذه الصورة من شبكية العين إلى الدماغ، في هذا المركز ملفات، أحد هذا الملفات ملفات الثعابين، في ضوء هذا الملف يدرك الإنسان أن هناك خطراً محدقاً قاتلاً، الدماغ ملك الجهاز العصبي، وهذا الملك يستخدم رسائل كهربائية، بينما في الدماغ غدة صغيرة، لا يزيد وزنها عن نصف غرام، هي الغدة النخامية، هذه الغدة ملكة الجهاز الهرموني، تستخدم رسائل هرمونية، فالدماغ ملك الجهاز العصبي

يتصل بملكة الجهاز الهرموني يقول لها: هناك خطر عليك أن تواجهيه، الغدة النخامية معها رسائل هرمونية، ماذا تفعل؟ ترسل رسالة عاجلة وسريعة إلى الكظر، الكظر غدة فوق الكلية، أو غدتان، فوق كل كلية هناك غدة كظر، الكظر يتولى مواجهة الخطر، يرسل خمس رسائل، الأولى رسالة إلى القلب يرفع النبض من ثمانين إلى مئة وثمانين، الإنسان بالخطر بحاجة إلى وقود، والوقود كثافته بنبض القلب، فإذا ارتفع نبض القلب جرى الدم سريعاً، إذاً أول أمر يرسله الكظر إلى القلب برفع النبض، فالخائف لو حسبت نبضه لوجدته مئة وثمانين نبضة، الأمر الثاني يذهب إلى الرئتين ليزداد وجيبهما ليتناسب عمل الرئتين مع عمل القلب، القلب الآن صار سريعاً جداً، يحتاج إلى تبديل أوكسجين بشكل كثيف جداً، فأمر إلى القلب برفع النبض، وأمر إلى الرئتين برفع الوجيب.

الآن الإنسان أوعيته الدموية المحيطة بالجلد واسعة، لذلك يكون لونه وردياً، وهو خائف لا يحتاج لهذا اللون الجميل، أمر ثالث إلى الأوعية المحيطة بالجسم، تضيق لمعتها، فإذا ضاقت لمعتها اصفر الإنسان، فالخائف قلبه ينبض بسرعة كبيرة، ورئتاه وجيبهما عال جداً، ولونه صار أصفر، هذا الأمر الثالث.

الأمر الرابع يذهب إلى الكبد ليطلق كمية سكر إضافية، فالإنسان بالحالة الطبيعية معه بالميليمتر ما يقدر بتسعين غراماً من السكر، لكن لو فحصنا دم الخائف لوجدنا أن نسبة السكر تقدر بثلاثمئة و خمسين غراماً، لأنه راح أمر للكبد أن أطلق كمية سكر إضافية لتكون وقوداً إضافياً للعضلات، وعندنا أمر خامس يذهب إلى الكبد لإطلاق هرمون التجلط، فالخائف دمه لزج لئلا يسيح الدم كله بضربة سكين.

لكن الذي يلفت النظر وهذه نصيحة لأخوتنا المستمعين، أنا النيكوتين في الدخان يفعل كل هذه الأفعال، يرفع النبض، ويرفع وجيب الرئتين، ويضيق الأوعية المحيطية، ويزداد سكر الدم، ويزدان هرمون التجلط، لذلك المدخنون معرضون ثمانية عشر ضعفاً من غيرهم إلى الجلطات بسبب أن الخوف له أعراض، والنيكوتين يصنع هذه الأعراض كلها.

إذاً ما هذا الخلق؟.

الأستاذ جمال:

سبحانه وتعالى قال:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات]

وصاحب الفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي تحدث ملياً عن الآية الكريمة:

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

دكتور، موضوع أعصاب الإنسان لها أهمية خاصة، وجسم الإنسان محاط بآلة كبيرة وشبكة لا متناهية من الأعصاب، هل لنا أن نحدث المستمع عن وظيفة الأعصاب وعن أهميتها في حياتنا.

وظيفة الأعصاب و أهميتها في حياة الإنسان :

الدكتور راتب:

والله لها وظيفة وقائية، ووظيفة علاجية، أمسك الدبوس، في أي مكان غرسته من الجسم تشعر بالألم، معنى بأي مكان حتى على مستوى الميليمتر هناك أعصاب حس، وهذه موزعة توزيعاً مهماً جداً، الأعصاب بالإنسان أعصاب حس وأعصاب حركة، هناك عصب محرك، وهناك عصب ينقل لك الإحساس، فرضاً لو أن الله سبحانه وتعالى أودع في شعر الإنسان أعصاب حس، سألت إنساناً إلى أين أنت ذاهب؟ يقول لك: إلى المستشفى لأجري عملية حلاقة، لابد من تخديره تخديراً كاملاً حتى يُقص شعره، لو كان بالشعرة عصب حس، لكن هناك عصب حركة، لكل شعرة وريد، وشريان، وعضلة، وعصب، وهناك عصب محرك، يقول لك: وقف شعر بدني، إذا إنسان شعر بالبرد تجد أن الشعر وقف، معنى هذا أن هناك عضلة ائتمرت بعصب، فشدت فوقفت الشعرة، إذاً هناك أعصاب حس، ما الحكمة من غياب أعصاب الحس في الشعر؟ تحلق بكل بساطة، تقص الشعر بكل بساطة، ما الحكمة من غياب أعصاب الحس في الأظافر؟ لو كان هناك أعصاب حس صار الإنسان وحشاً، انظر الحكمة؟ هنا لا يوجد أعصاب حس.

لكن لماذا في نقي العظام أعصاب حس مهمة جداً؟ أستاذ جمال، العصب الحسي بنقي العظام له فائدة مذهلة، لو صار هناك كسر ـ لا سمح الله ـ من شدة الألم تبقي العظمة كما هي، وبقاء العظمة كما هي أربعة أخماس معالجتها، الآن هناك عصب حس بالأسنان، لو لم يكن هناك عصب حس يفقد الإنسان كل أسنانه دون أن يشعر، يتسوس السن، ينتخر، يسقط، أما أول ما يصل النخر إلى لب السن لا تنام الليل، هذه الأعصاب جهاز إنذار مبكر.

الحكمة من عدم تبدل خلايا القلب و الدماغ :

الحقيقة أن الأعصاب فيها فائدة كبيرة جداً، وهذا ينقلنا إلى أن جسم الإنسان يتبدل كلياً، أي بعد خمس سنوات كل شيء بجسمك يتغير، الجلد، الشعر، القرنية، العين، كل شيء من دون استثناء، لأن أقصر عمر خلية هي خلية الجلد بثلاث ساعات، وأطول عمر خلية خلية العظم بخمس سنوات، فالإنسان يتبدل كلياً، لا يوجد شيء فيك موجود قبل خمس سنوات، كله تبدل، هذا التجدد، إلا أن الدماغ لا يتبدل،

والقلب لا يتبدل، أما الحكمة من عدم تبدل الدماغ فكبيرة جداً، لو تبدلت خلايا الدماغ لنسي الإنسان دراسته، علمه، شهادته، لو كان هناك تبدل لخلايا الدماغ وسألت إنساناً ماذا تعمل؟ يقول لك: كنت طبيباً، فلما تبدلت هذه الخلايا نسيتُ الطب كله، ما الحكمة من بقاء هذه الخلايا ثابتة؟.

لي ثلاثون عاماً بالدعوة، الحكمة واضحة عندي تماماً، لكن حكمة بقاء خلايا القلب كما هي ليست واضحة، القلب أيضاً لا تتبدل خلاياه، ثم اكتشف بعدما تمّ زرع ثلاثمئة حالة بالعالم، زرع قلب بكامله من إنسان إلى إنسان، أن هذا الإنسان الذي جاءه قلب من آخر، تتبدل مشاعره، تتبدل أذواقه، تتبدل ميوله للطعام، أنا عندي تقريباً ثلاثمئة قصة مكتشفة، أن إنساناً لا يحب طعاماً ما، فلما أخذ قلباً آخر صار يحبها، لا يحب موسيقا معينة، عندما أخذ قلباً صار يحبها، حتى هناك حالات أدق من ذلك، أن طفلة قتلت قتلاً، أخذوا قلبها لطفلة أخرى، دائماً خائفة إلى أنها استطاعت أن تصور ملامح المجرم، وتمّ القبض عليه.

الآن كنا نظن أن هناك ذاكرة بالدماغ، الكشف المذهل أن لكل خلية ذاكرة، فلما أخذت قلباً من فتاة قتلت، هذا منظر القاتل انطبع في ذاكرة الخلايا، فلما أعطي هذا القلب لفتاة أخرى أصبحت خائفة، وقد تمّ القبض على المجرم من وصف الطفلة الثانية الذي أخذ لها قلب هذه الفتاة المقتولة، لذلك أنا أقول كلما ازددنا علماً ازددنا علماً بجهلنا.

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبرُ

* * *

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)

لذلك القلب الآن فيه خلايا عصبية.

كلما تقدم العلمُ أُكتشف جانب من عظمة القرآن الكريم :

تقرأ القرآن أستاذ جمال:

(لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا)

[سورة الحج الآية:46]

والله أنا اعتقدت من ثلاثين سنة أن هذا القلب هو قلب النفس، الآن لا، لا، هذا القلب الصنوبري، الذي في الصدر بالجهة اليسرى، هذا القلب يعقل، الخلايا العصبية بالقلب قوتها خمسة آلاف ضعف خلايا الدماغ، بل إن هذه الخلايا تأمر خلايا الدماغ، الإله بكتابه الكريم العزيز قال تعالى:

(لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا)

فمعنى ذلك كلما تقدم العلمُ اكتشف جانب من عظمة هذا القرآن، والله أستاذ جمال، بعد هذا البحث الذي قرأته، والله آيات القلب بالقرآن صار لها معنى آخر ، وأوضح آية

(لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بهَا)

معنى ذلك أن الخلايا العصبية التي في القلب والتي تتمتع بقدرة خمسة آلاف ضعف عن خلايا الدماغ، وهي التي تأمر الدماغ مصداق لهذه الآية، والشيء الآخر أن الخلية اكتشف لها ذاكرة، كل حياتنا نعيش أن في الإنسان ذاكرة، لكن اكتشف أن لكل خلية ذاكرة، والدليل:

(يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ)

[سورة النور الآية:24]

فمعنى ذلك أن الخلايا لها ذاكرة.

والحمد لله رب العالمين

ندوات إذاعية - إذاعة دمشق - فيه هدى للناس - الدرس (18-18) - قال تعالى : قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 24-09-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جمال:

دكتور بارك الله فيك، من أين نبدأ في هذا الكون العجيب الذي يدلُ دلالة قاطعة على وجود الله سبحانه؟ تفضل.

كمال الخلق يدل على كمال التصرف :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارَض عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أستاذ جمال جزاك الله خيراً على هذه الندوات، ولكن حينما سألتني من أين نبدأ؟ أقول لك: كمال الخلق يدل على كمال التصرف، مثلاً شركة صناعية عملاقة لها نظام محاسبة رائع جداً، لا يتناسب نظام محاسبة متخلف مع شركة عملاقة، فكمال الخلق يدل على كمال التصرف، وهذا الكون معجز بسمائه، بأرضه، ببحاره، ببحيراته، بجباله، بنباتاته، بمخلوقاته، بخلق الإنسان، بمجراته، هذا الكون معجز، إذاً لا بد من تصرف حكيم من خالقه، من لوازم إعجاز الكون أن الله سبحانه وتعالى أفعاله كاملة كمالاً مطلقاً، فلا بدّ من أن ينبه عباده إلى سرّ وجودهم وغاية وجودهم، وإلى منهج ربهم الذي يسعدهم في الدنيا والآخرة.

الأنبياء معهم منهج هو ضمان لسلامتهم وسعادتهم :

إذاً لا بد من إرسال الرسل، اقتضت حكمة الله، ورحمته، وعلمه، ولطفه، أن يبعث أناساً من بني البشر

هم رسله وأنبياؤه، لكن الذي يحصل أن هؤلاء الرسل والأنبياء حينما يؤكدوا للناس أنهم رسل الله، ومعهم منهج، النقطة الدقيقة معهم منهج، أي افعل ولا تفعل، إعلان الولاء سهل جداً، أي إنسان قوي له أتباع، هؤلاء لا يعنيه استقامتهم يعنيه ولاؤهم، فلذلك الولاء سهل أما الاتباع فصعب، الأنبياء معهم منهج فيه محرمات، فيه شيء حلال، شيء حرام، شيء واجب، شيء فرض، لأن معهم منهجاً هو ضمان لسلامتهم وسعادتهم، وهو ثمن جنة ربهم، هناك أناس كثيرون يرفضون هذا المنهج، بل يرفضون رسالتهم أصلاً ويتهمونهم بالكذب، قال تعالى:

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً)

[سورة الرعد الآية:43]

معجزات الأنبياء شهادة الله للخلق أنهم أنبياؤه :

الآن: كيف يشهد الله لأنبيائه ورسله أنهم أنبياؤه ورسله؟ هنا دخلنا في الموضوع ، الذي وقع أن الله يجري على أيديهم خرقاً لنواميس الكون، لا يستطيعه إلا خالق الأكوان، يجري الله على أيدي الأنبياء والمرسلين خرقاً لنواميس الكون، فالنار تحرق هذا من خصائصها، لكن حينما ألقي فيها سيدنا إبراهيم:

(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)

[سورة الأنبياء]

لو قال: كوني برداً، لمات من البرد، ولو قال: سلاماً، ما مات من البرد لكن النار لا تحرق بعدها أبداً، قال: على إبراهيم وحده،

(يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)

فهذا النبي الذي يقول: أنا رسول الله، ومعه منهج، معه شهادة من الله أنه رسول، فسيدنا موسى:

(فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ)

[سورة الأعراف]

إذاً معجزات الأنبياء شهادة الله للخلق أنهم أنبياؤه، مثلاً أنت واقف على الميناء، غادرت الميناء سفينة عملاقة تحمل مليون طن، قال لك إنسان قصير القامة: أنا آمر هذه السفينة، أمرها بيدي، فأنت لم تصدقه، فدخل إلى غرفته واتصل أمامك بربان السفينة وقال له: ارجع، سفينة حاملة مليون طن رجعت إلى الميناء، معنى هذا أنه فعلاً هو قائد السفينة، مادام رأيت بعينك أن هذا الإنسان أعطى أمراً لهذه السفينة العملاقة ورجعت فهو قائدها.

معجزة النبي الكريم معجزة مستمرة إلى يوم القيامة :

الآن الله عز وجل يجري على يدي رسله خرقاً لنواميس الكون لا يستطيعها إلا خالق الأكوان، فالنار لم تحرق إبراهيم، سيدنا موسى

(أَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ)

(فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً)

[سورة طه الآية:77]

وكل أنبياء الله ورسله لهم معجزات.

الآن النقطة الدقيقة: أن الأنبياء السابقين معجزاتهم حسية، مادية، كتألق عود ثقاب تألقت وانطفأت، فأصبحت خبراً يصدقه من يصدقه، ويكذبه من يكذبه، إلا أن نبينا عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين، بعثته خاتمة البعثات، كتابه خاتم الكتب.

((لا نَبيَّ بعدي))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

فلا بدّ من أن تكون معجزته مستمرة، المعجزة الحسية كتألق عود الثقاب تألقت وانطفأت، أصبحت خبراً، لكن سيأتي نبي آخر تحل به المشكلة، أما هنا فآخر نبي، خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعثته لكل الأمم أجمعين، فلا بدّ من أن تكون معجزته علمية، هذه المعجزة هي التي تفضلت به في مطلع هذا اللقاء الطيب، الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة.

الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل القرآن :

في القرآن ألف وثلاثمئة آية، إشارات إلى حقائق، اكتشفت حديثاً، أي بعد تطور علم الأجنة تطوراً مذهلاً لمئات السنين توصل علماء الأجنة إلى أن الذي يحدد جنس المولود ذكراً كان أم أنثى ليس البويضة ولكن الحوين المنوي، النطفة، تقرأ القرآن:

(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى)

[سورة النجم]

معنى ذلك أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن.

رائد الفضاء بأول مركبة فضائية أبولو، هذه المركبة نقلت رائد الفضاء إلى القمر، في أثناء تجاوز طبقة الهواء، أستاذ جمال طبقة الهواء سمكها يقدر بخمسة و ستين ألف كيلومتر، فهذه المركبة تخطت هذه المسافة كلها، فلما دخلت فيما بعد الهواء، صاح رائد الفضاء بعد أن تجاوز طبقة الهواء التي تزيد عن خمسة وستين ألف كيلومتر، قال: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، السبب أن حادثة اسمها انتثار

الضوء لا تكون إلا في الهواء، إذا سلطت أشعة الشمس على ذرات الهواء، ذرات الهواء تعكس هذه الأشعة على ذرات أخرى، فضمن الهواء هناك ضوء، إذا تجاوزنا الهواء ينعدم الضوء، يبقى ظلام دامس، فقال: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، لو فتحنا كتاب الله عز وجل الذي أنزل قبل ألفٍ وأربعمئة عام، قال تعالى:

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)

[سورة الحجر]

فحينما تأتي آية من قبل ألف وأربعمئة عام تتطابق مع أحدث كشف في الفضاء الخارجي، معنى ذلك أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن.

آيات الإعجاز في القرآن شهادة الله لنبيه أن هذا القرآن من عند الله :

لذلك الإعجاز العلمي آيات قرآنية في كتاب الله نزلت قبل ألف وأربعمئة عام تشير إلى حقائق اكتشفت حديثاً، بل إن بعض علماء الإعجاز طاف معظم بلاد العالم، وعرض على العلماء بعض الآيات الكريمة، ما كان منهم إلا أن أسلموا، لأن في القرآن دليلاً قطعياً معجزاً على أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن، إذاً آيات الإعجاز في القرآن الكريم شهادة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أن هذا القرآن من عند الله، بدليل تطابق لفتاته العلمية مع أحدث القوانين العلمية والمكتشفات، هذا منطلق الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة.

الأستاذ جمال:

إذاً الحديث له أهمية كبرى، نبقى دكتور راتب النابلسي في الفضاء، لنتحدث عن النجوم، المعجزات، المجرات، عن الشموس والأقمار، تفضل.

الآيات الكونية تنطق بوجود الله ووحدانيته وكماله :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال، أقرب نجم ملتهب للأرض عدا الشمس، يبعد عن الأرض أربع سنوات ضوئية، أوضح لأخوتي المستمعين، ماذا تعني أربع سنوات ضوئية؟ الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلومتر، كم يقطع في الدقيقة؟ ضرب ستين، كم يقطع بالساعة؟ ضرب ستين، كم يقطع باليوم؟ ضرب أربع و عشرين، كم يقطع بالعام؟ ضرب ثلاثمئة و خمسة و ستين، فأنا أضرب ثلاثمئة ألف كيلومتر

ضرب ستين ضرب ستين ضرب أربع و عشرين ضرب ثلاثمئة و خمسة و ستين بأربع سنوات ضرب أربع، معي رقم، هذا الرقم لو أردت أن أصل بمركبة لهذا النجم، بمركبة أرضية سرعتها مئة لاحتجت إلى خمسين مليون عام في قيادة السيارة، تصور إنساناً، عمره ستون سنة، مضطر أن يقود سيارة لمدة خمسين مليون عام ليصل إلى أقرب نجم ملتهب للأرض، متى نصل إلى نجم القطب؟ بعده عنا أربعة آلاف سنة ضوئية، متى نصل إلى مجرة المرأة المسلسلة؟ بعدها عنا مليونا سنة ضوئية، متى نصل إلى مجرة اكتشفت حديثاً؟ بعدها عنا يقدر بأربعة و عشرين ألف مليون سنة ضوئية، الأربع سنوات ضوئية نحتاج إلى خمسين مليون عام كي نصل إليها بمركبة أرضية، فكيف بمجرة بعدها عنا يقدر بأربعة و عشرين ألف مليون؟ لذلك قال تعالى :

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة]

إذاً الآيات الكونية تنطق بوجود الله، ووحدانيته، وكماله.

أستاذ جمال، ومضةٌ ثانية: بين الأرض والشمس مئة و ستة و خمسون مليون كيلومتر، والشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، الآن الله عز وجل يقول:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ)

[سورة البروج]

كما تعلم أستاذ جمال الأرض تدور حول الشمس كل عام دورة في مسار اهليلجي أي بيضوي، هذا المسار تمر الأرض في مسيرتها حول الشمس باثني عشر برجاً، قال تعالى:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ)

من هذه البروج برج العقرب.

مرة كنت بأمريكا دخلنا إلى القبة السماوية، هذه الأبراج في السماء وصلوا بين أنجمها بخط فظهر عقرب، هناك برج الحمل، وبرج الجدي، وبرج العقرب، الآن نأخذ برج العقرب، هذا البرج أحد أبراج السماء، فيه نجم صغير أحمر اللون، متألق، اسمه قلب العقرب، أستاذ جمال الآن دقق، يتسعُ قلب العقرب للأرض والشمس مع المسافة بينهما، هذا الإله العظيم يعصى؟ ألا يخطب وده؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟.

الأستاذ جمال:

سيدي عندما نتحدث عن مكتشفات جديدة في عالم الفضاء من خلال متابعتكم وخلال أحاديثكم لوسائل الإعلام المختلفة، هل هناك جديد في عالم الفضاء في مجال النجوم والأقمار والشموس والمجرات؟ تفضل.

بقاء الأرض على مسارها حول الشمس آيةٌ عظمى دالةٌ على عظمة الله :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال، الأرض تدور حول الشمس في مسار إهليلجي، أنا أتكلم عن أبسط الحقائق، وعن أقربها إلينا، أرضنا تدور حول الشمس في مسار إهليلجي بيضوي، كل عام دورة، الآن ما معنى مسار بيضوي؟ أي له قطران، قطر أطول وقطر أصغر، الآن الأرض في القطر الأطول تتجه في مسارها حول الشمس إلى القطر الأصغر، حينما تتجه إلى القطر الأصغر تقل المسافة بينها وبين الشمس، ومع نقصان المسافة تزداد الجاذبية مع ازدياد الجاذبية هناك احتمال كبير أن تنجذب إلى الشمس، وإذا انجذبت الأرض إلى الشمس والحرارة بالشمس تقدر بعشرين مليون درجة، قالوا: تتبخر الأرض كلها في ثانية واحدة، لو أن الأرض انجذبت إلى الشمس لتبخرت في ثانية واحدة، ما الذي يحصل؟.

قال: الأرض وهي جماد غير عاقلة ترفع سرعتها لينشأ من رفع السرعة قوة نابذة تكافئ القوى الجاذبة فتبقى على مسارها.

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر الآية:41]

إذاً قضية بقاء الأرض على مسارها حول الشمس آيةٌ عظمى دالةٌ على عظمة الله عز وجل، ترفعُ الأرض سرعتها لينشأ من رفع السرعة قوةٍ نابذةٍ تكافئ القوة الجاذبة فتبقى على مسارها، ولو رفعت سرعتها ولم تخفضها لكان هناك مشكلة كبيرة، لو رفعت سرعتها ولم تخفضها لتفلتت الأرض من جاذبية الشمس، وسارت في الفضاء الخارجي، وإذا تفلتت -أصبحت الحرارة عليها تقدر بمئتين و سبعين تحت الصفر، هذا صفر مطلق- لمات كل ما عليها، إذاً تنتهي الحياة على الأرض إذا لم ترفع الأرض سرعتها في مكان وتنتهي الحياة على الأرض إن لم تخفض من سرعتها.

إذاً:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

أستاذ جمال، بعض العلماء قالوا: لو إن الأرض تفلتت من جاذبية الشمس - والقضية افتراض علمي محض- وأردنا أن نعيدها، ماذا نفعل؟ قال: نحتاج إلى مليون مليون حبل فولاذي، نغرسها على سطح الأرض المقابل للشمس، ونربطها بالشمس كي تعود إلى مسارها، كل حبل فولاذي قطره خمسة أمتار، ومعنى حبل فولاذي قطره خمسة أمتار أي يحمل مليوني طن، قوى الشد بالحبل الفولاذي الذي قطره خمسة أمتار تقدر بمليوني طن، نحن بحاجة إلى مليون مليون حبل، وكل حبل قوة تحمله تقدر بمليوني

طن، أي الأرض مربوطة بالشمس بقوة جاذبية تساوي مليون مليون ضرب مليونين، كل هذه القوة العملاقة من أجل أن تحرف الأرض ثلاثة مليمترات عن مسارها حول الشمس.

مرة ثانية هذا الإله العظيم يعصى؟ ألا يخطب وده؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيعُ

لو كان حبك صادقاً لاطعتـه إن المحب لمن يحب يطيعُ

* * *

الأستاذ جمال:

إذاً أيها الأعزاء نتابع مع فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي حديث الجمعة هذا الصباح فيه هدى للناس، ونتحدث عن الإعجاز العلمي في كتاب الله عز وجل، وفي هدي النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم.

دكتور راتب النابلسي، هذا الكون البديع بمساحاته بكل ما فيه من معجزات، الله الخالق العظيم، ما وسعته السماء ولا الأرض، لكن وسعه قلب العبد المؤمن، هذا الإيمان إن رسخ في القلب صنع المعجزات، كيف نتحدث عن هذا الموضوع تحديداً لو سمحت؟

المؤمن هو المخلوق الأول رتبة عند الله عز وجل :

الدكتور راتب:

المؤمن هو المخلوق الأول عند الله رتبة، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى قال:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)

[سورة الأحزاب الآية:72]

فلما قبل الإنسان حمل الأمانة:

(وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ)

[سورة الجاثية الآية:13]

تسخير تعريف وتكريم، فأي شيء خلقه الله له وظيفتان؛ له وظيفة في الدنيا كالقمر، يقدم لك الضياء في الليل وهو تقويم، مثلاً النبي قال عن الهلال:

((هلالُ خَيْرٍ ورُشْدٍ إلى ربنا))

[أخرجه أبو داود عن مرسل قتادة]

اعتقد يقيناً أن كل شيء خلقه الله عز وجل من دون شك له وظيفتان، له وظيفة نفعية ننتفع بها، وله وظيفة إرشادية ترشدنا إلى الله، والحقيقة أن الوظيفة النفعية ضئيلةٌ جداً جداً جداً أما الوظيفة الإرشادية فترشدنا إلى الله، أقول لك مثلاً: لو أن الإنسان فقير جداً لا يتيح دخله أن يلعق لعقة عسل واحدة، لكنه قرأ كتاباً عن خصائص النحل والعسل، وبكى مراتٍ كثيرة خشوعاً لله عن هذه الحقائق، أقول لك والاجتهاد اجتهادي الشخصي، إن هذا الإنسان الذي لم يذق طعم العسل بحياته، لكنه عندما قرأ كتاباً عن النحل والعسل بكى خشوعاً لله، أقول هذا الإنسان حقق الهدف الأكبر من خلق العسل، لأنه تعرف من خلاله إلى الله عز وجل.

لذلك العالم الغربي حقق النفع العلمي في الدنيا، انتفعوا من الدنيا نفعاً يفوق حدّ الخيال لكن العالم الإسلامي يحقق الهدف النفعي والهدف الإرشادي ، لذلك قول النبي الكريم حينما رأى هلالاً:

((هلالُ خَيْرٍ ـ ننتفع منه في الدنيا ـ ورُشْدٍ ـ يرشدنا إلى ربنا))

من هنا كان قوله تعالى:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران]

العبادة علة وجود الإنسان على سطح الأرض :

إذاً الإنسان هو المخلوق الأول لأنه قَبِل حمل الأمانة، فلما قبل حمل الأمانة صار المخلوق المكلف، مكلفٌ أن يعبد الله، وعلة وجود الإنسان على سطح الأرض أن يعبد الله، والآية الكريمة تقول:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات]

فالإنسان هو المخلوق الأول لأنه قبل حمل الأمانة، ولأنه قَبِل حمل الأمانة كلفه الله أن يعبده، فالعبادة علة وجوده على سطح الأرض، والعبادة في أدق تعريفها: طاعة طوعية، ليست قسرية، لأن الأقوياء يطاعون قسراً، لكن الله عز وجل ما أراد أن تكون علاقته بنا علاقة قهر ولا علاقة إكراه، بل أراد أن تكون علاقته بنا علاقة حب، قال:

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

[سورة المائدة الآية:54]

الإنسان ما لم يبحث عن الحقيقة هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به :

لذلك:

(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)

[سورة الكهف الآية: 26]

الإنسان مخير، فالإنسان خلق في الأرض ليعبد الله، وهي طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، في هذا التعريف جانب معرفي فالإنسان عنده قوة إدراكية، ما لم يبحث عن الحقيقة هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به، وجانب سلوكي حركة، افعل ولا تفعل، استقامة، ضبط المشاعر، ضبط الحواس، ضبط الأهداف، ضبط الشهوات، كلمة الضبط تكفي للاستقامة، الإنسان يضبط شهواته ومشاعره وكل ما يملكه، جانب معرفي، وجانب سلوكي، وجانب جمالي، الجمالي عبّر عنه بعض العارفين إلى الله بقوله:

فلـو شاهدت عيناك من حسننا ... الـذي راؤه لمـا وليت عنا لغيرنـا

ولو سمعت أذناك حُسن خطابنا ... خلعت عنك ثياب العجب و جئتنـا

ولو ذقت من طعم المحبَّة ذرةً ... عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنـا

ولو نسمت مـن قربنا لك نسمة ... لمُت غريباً واشـتياقاً لقربنـا

ولو لاح من أنوارنا لـك لائحٌ ... تركـت جميع الكـائنات لأجلنـا

فما حبنا سهلٌ وكل مـن ادعى ... سـهولته قلنا لـه قد جهلتنـا

فأيسر ما في الحب للصب قتله ... وأصعب مـن قتل الفتى يوم هجرنـا

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا ... فإن منحنا بالرضا من أحبنـا

ولذ بحمانا واحتم بجنابنـا ... لنحميك مما فيه أشرار خلقنـا

وعن ذكرنا لا يشغلنك شاغلٌ ... واخلص لنا تلقى المسرة والهنـا

وسلم إلينا الأمر في كل ما يكن ... فما القرب والإبعاد إلا بأمرنـا

* * *

لذلك يقول هذا العارف بالله في نهاية هذه القصيدة:

فيا خجلي منه إذا هو قال لي ... أيا عبدنـا ما قرأت كتابنـا

أما تستحي منا ويكفيك ما جرى ... أما تختشي من عتبنا يوم جمعنـا

أما آن أن تقلع عن الذنب راجعاً ... وتنظر ما به جـاء وعدنـا

فأحبابنا اختاروا المحبة مذهباً   وما خالفوا في مذهب الحب شرعنا

* * *

الأستاذ جمال:

إذاً المطلوب دكتور محمد راتب النابلسي منا أن نقرأ كتاب ربنا عز وجل.

طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً :

الدكتور راتب:

كتابان، قالوا: الكون قرآنٌ صامت والقرآن كونٌ ناطق، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآنٌ يمشي، هناك كون ناطق هو القرآن، و قرآن يمشي على رجلين هو النبي عليه أتمّ الصلاة والسلام.

الأستاذ جمال:

فالمطلوب إذاً التعلم، ثم طلب العلم ومعرفته.

الدكتور راتب:

لأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي أودع الله فيه قوة إدراكية، ما لم تلبَ هذه القوة الإدراكية هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به، إنسان من دون علم لا يسمى إنساناً يسمى مخلوقاً آخر، فقد ميزته، فقد خاصيته.

لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل، طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً.

الأستاذ جمال:

إذاً نبقى في موضوع الكون، نعود إلى الكون، إلى الفضاء، لنقول كلاماً جديداً ونفسر الآية الكريمة:

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

النظرية النسبية لأينشتاين مدرجة بآية واحدة ببضع كلمات في القرآن الكريم :

الدكتور راتب:

أستاذ جمال، في المؤتمر الخامس للإعجاز العلمي الذي عقد في موسكو، بحث من ثمانين صفحة، ألقي في هذا المؤتمر، الحقيقة شيء لا يصدق، نحن نعلم بالفيزياء أن أينشتاين يعد من أعلم علماء الفيزياء

في الأرض، هو الذي جاء بالنظرية النسبية، هذه النظرية التي قلبت مفاهيم الفيزياء، والتي أكدت السرعة المطلقة في الكون، إنها سرعة الضوء ثلاثمئة ألف كيلومتر بالثانية تقريباً، لكن هذا البحث مبني على معطيات دقيقة، على آية قرآنية، ما الآية؟

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

[سورة الحج]

ما معنى الآية؟ يوم كألف سنة، أنا أقول بحسب هذا البحث العلمي، الأرض تدور حول الشمس، لكن القمر يدور حول الأرض كل شهر دورة، الآن أتكلم عن قضايا رياضية، لو أخذنا مركز الأرض ومركز القمر و وصلنا بينهما بخط، هذا الخط هو نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض، أنا عندي دائرة هي مسار الأرض حول القمر، لو هذا الرقم ضربناه باثنين صار القطر، من مركز الأرض لمركز القمر نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض ضربناه باثنين حصلنا على القطر، ضربناه بـ 3,14 أي بالبي، ابنك الصغير في أقل من دقائق مع آلة حاسبة تعطيه قطر الأرض وقطر القمر يأخذ نصف القطر مع نصف القطر مع المسافة بينهما يضرب باثنين يحصل على القطر يضرب بـ 3,14 يحصل على المحيط في الشهر، يضرب باثني عشر في السنة، يضرب بألف في ألف سنة، أي ابن بالإعدادي مع آلة حاسبة خلال دقائق يحسب لك كم يقطع القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام، هذا الرقم لو قسمناه على ثواني اليوم لأننا نقيس الضوء بالثانية، كان الجواب سرعة الضوء، نظرية أينشتاين العملاقة، النظرية النسبية التي اكتشفت السرعة المطلقة بالكون بآية واحدة ببضع كلمات:

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

أي ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام يقطعه الضوء في اليوم الواحد، لو قسمنا هذه السرعة في اليوم على ثواني اليوم كانت السرعة الدقيقة 299652 سرعة الضوء الدقيقة نكشفها في آيةٍ من بضع كلمات، أنا تكلمت هذا بالفضائية السورية مرة وجدت أثر هذه الحقيقة في أكثر من عشرين أو ثلاثين موقعاً في أمريكا، ما صدقوا أن هذا مدرج في القرآن، بل قالوا: إن أينشتاين هذا العالم هو الذي جاء بالنظرية النسبية، ملخص نظريته وكشفه العلمي مدرج بآية وحدة:

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)

[سورة لقمان الآية:11]

التفكر في خلق السماوات والأرض أقصر طريق إلى الله :

وأنا أكرر وأعيد أن التفكر في خلق السماوات والأرض يعد أقصر طريق إلى الله، وأوسع باب ندخل منه على الله، أقصر طريق وأوسع باب، لأنك إذا عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر.

لذلك المقولة الدقيقة التي تستنبط من هذا اللقاء الطيب: إذا عرفنا الآمر ثم عرفنا الأمر تفانينا في طاعة الآمر، وإن عرفنا الأمر ولم نعرف الآمر تفننا في التفلت من الأمر، من هنا كان التفكر في خلق السماوات والأرض عبادة راقية جداً، بل هي واجبة لبعض ما ورد:

((تفكر ساعة خير من أن تعبده عاماً بأكمله))

[ورد في الأثر]

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)

[سورة القدر]

أي ساعة تفكر تساوي أن تعبده ثمانين عاماً.

الأستاذ جمال:

لذلك الله عز وجل يقول:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية:28]

الدكتور راتب:

وإنما أداة قصر أي العلماء وحدهم ولا أحد سواهم يخشى الله.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - ندوة (01 - 30) : ما هو الإعجاز ؟.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:
سوف نرافقكم ونرافق أيضاً المستمعين طيلة شهر رمضان المبارك في حديث له أهمية كبرى في حياتنا في هذا الوقت، بداية ماذا نقول عن الإعجاز؟ ما هو الإعجاز؟.

الله سبحانه وتعالى من رحمته بعباده أرسل إليهم رسلاً تدلهم على منهجه :

الدكتور راتب:
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله بيته الطيبين الطاهرين.
الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى رحمة منه بعباده حينما يشردون عنه، ويغفلون عنه، رحمته تقتضي أن يرسل إليهم رسلاً، هؤلاء الرسل سيقولون للناس: نحن رسل الله، لكن الذي ألف أن يتحرك وفق هوى نفسه قد يجد في دعوتهم ومنهجهم ما يحد من حريته فيما يتوهم فيكذبهم:

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً)

[سورة الرعد الآية:43]

المعجزة هي شهادة الله لأنبيائه أنهم أنبياؤه :

كيف يشهد الله لعباده أن هذا الإنسان الذي أرسله إلى الخلق هو رسوله، لا بدّ من أن يجري على يديه خرقاً لنواميس الكون، لا يقدر عليها إلا خالق الكون.
فسيدنا موسى:

(فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ)

[سورة الأعراف]
سيدنا إبراهيم ألقي في النار فلم تحرقه، هذه الخارقات لنواميس الكون هي شهادة الله لأنبيائه أنهم أنبياؤه، ولكن لأن النبي عليه الصلاة والسلام بعثه الله لكل الأمم أجمعين:

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)

[سورة الأنبياء]

إنه لنهاية الدوران، خاتم الأنبياء والمرسلين، فلو أن معجزته حسية كالمعجزات السابقة أنها تقع وتنتهي كتألق عود الثقاب يتألق وينطفئ، ويصبح خبراً يصدقه من يصدقه ويكذبه من يكذبه، هذه المعجزات الحسية لا تصلح لآخر الأنبياء والمرسلين، ولمن دعوته لكل الأمم أجمعين، لا بد من أن تكون المعجزة التي هي في أصلها شهادة الله لنبيه أنه نبيه من أن تكون عقلية.

الأدلة على أنّ الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن :

من هنا كان في القرآن الكريم عدد كبير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن الكون والإنسان بسبق علمي مذهل، فبعد تطور العلوم وتقدمها، والحديث عن أدق أدق ما فيها، نجد أن آية قرآنية نزلت قبل ألف و أربعمئة عام تؤكد ما توصل العلم إليه، هذا التوافق العجيب بين ما في القرآن من إشارات علمية تزيد عن ألف و ثلاثمئة إشارة وبين معطيات العلم الحديث برهان قاطع على أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن.

أما كشاهد قريب فحينما صعد الإنسان إلى القمر وهذا قبل أربعين عاماً تقريباً، ما الذي حصل؟ مادام هذا الإنسان في مركبته، في طبقة الهواء التي تزيد عن خمسة و ستين ألف كيلومتر، الجو مضيء، نهار، فلما تجاوز رواد الفضاء طبقة الهواء ودخلوا في منطقة ليس فيها هواء، صاح رائد الفضاء لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، قال بالضبط: لقد أصبحنا عمياً، والشاهد أن أحد كبار علماء الفلك المسلمين كان في القاعدة التي انتقلت منها المركبة، اسمه الدكتور فاروق الباز، واستمع بأذنه إلى كلمة رائد الفضاء لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، نفتح القرآن الكريم الذي نزل قبل ألف و أربعمئة عام فإذا فيه قوله تعالى:

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)

[سورة الحجر]

الأستاذ حسام:

سبحان الله! أستاذ محمد راتب هل هناك قواعد يمكن أن نعتمد عليها لنرقى؟ هذه الآية هي إعجاز علمي في القرآن الكريم.

الإعجاز العلمي أكبر داعم للإيمان و أكبر معول لتهديمه :

الدكتور راتب:

والله الحقيقة المُرة أنه كما أن الإعجاز العلمي أكبر داعم للإيمان، يعد الإعجاز العلمي أكبر معول لتهديم الإيمان، حينما نأتي بمقولة لم تثبت بعد، ونربطها ربطاً مفتعلاً بآية قرآنية لها عدة معان، يأتي الطرف الآخر ينقض هذه المقولة العلمية، وينتقل إلى نقض القرآن الكريم، فخطر كبير أن نتسرع وأن نربط أي قضية علمية أو أي مقولة علمية بالقرآن الكريم، لا بدّ من أن تكون القضية العلمية حقيقة مقطوعاً بها، لا يختلف عليها اثنان على وجه الأرض، ولا بدّ من أن تكون الآية قطعية الدلالة، واضحة وضوح الشمس، لا يختلف على معناها اثنان في الأرض، ولا بدّ من أن يكون الربط محكماً، وعفوياً، وتاماً، وطبيعياً، حتى ندخل هذه المقولة وتلك الآية في الإعجاز العلمي.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - ندوة (02 - 30) : الإقناع في الإعجاز.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 14-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:

نتابع الحديث، حديث الحلقة السابقة عن الإعجاز، ونتحدث اليوم عن الإقناع في الإعجاز، كيف يكون الإقناع في الإعجاز؟.

الدين تصور صحيح مع منهج تفصيلي :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، النبي الكريم حينما يرسله الله لعباده الذي يحصل أن هناك أشخاصاً يتحركون وفق شهواتهم بلا قيد ولا رادع، هؤلاء الذين ألفوا أن يتحركوا بلا ضوابط، وبلا قيم، وبلا مبادئ، وبلا روادع، هؤلاء لا يعجبهم أن تأتي رسالة من السماء تلزمهم بمنهج تفصيلي، افعل ولا تفعل، أي لو أن الدين تصور فقط القضية سهلة جداً، الدين تصور صحيح مع منهج، والمنهج ملخصه افعل ولا تفعل، هناك أمر وهناك نهي، هناك فرض وهناك واجب، هناك مباح وهناك حرام، فالنبي حينما يأتي إلى أمة ليس معه منهج تفصيلي، ومعه افعل ولا تفعل، فهذا الذي ألف أن يتحرك وفق هوى نفسه من دون قيد، ولا ضابط، لا يعجبه أن يصدق إنساناً يقول: أنا نبي، ويمتنع عن بعض الأشياء التي يحبها، فلذلك شيء طبيعي جداً أن يقف هذا الإنسان المتفلت موقف المعارض والمكذب لهذا النبي، هنا تنشأ حاجة لا بد أن يشهد الله لهذا الإنسان أنه نبيه، إله عظيم.

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ)

[سورة الأنعام الآية: 103]

خرق قوانين الكون شهادة الله لأنبيائه أنهم أنبياؤه :

كيف يشهد هذا الإله العظيم لعباده وقد أرسل إليهم رسولاً أو نبياً أنه رسوله؟ لابدّ من أن يجري على يديه خرقاً لقوانين الكون، هذا الخرق لا يستطيعه إلا الذي قنن هذه القوانين، أي أن تصبح العصا حيةً

تسعى، هذا ليس بإمكان إنسان على وجه الأرض، أن يضرب إنسان البحر فيصبح طريقاً يبساً، هذا لا يستطيعه إنسان على وجه الأرض، فحينما يجري الله على يدي أنبيائه خرقاً لقوانين الكون لا يستطيعها إلا الذي قنن هذه القوانين، ووضع هذه القوانين، هذه شهادة الله لهذا الإنسان أنه نبيه، إلا أن المشكلة التي ينبغي أن تكون واضحة لدى أخوتنا المستمعين أن هؤلاء الأنبياء جاؤوا بمعجزات حسية، أنا أقول: معجزات الأنبياء السابقين معجزاتٍ حسية، لأن البشرية كان يقنعها خرق نواميس الكون، لكن حينما جاءت بعثة النبي البشرية تطورت بين أن يكون خرق القانون هو المعجزة وبين أن يكون القانون بحدِّ ذاته هو المعجزة، فنظام الكون على ما هو عليه هو بحدِّ ذاته معجزة، الإنسان الآن لا يحتاج إلى خرقٍ لهذه النواميس يحتاج إلى تحليل لهذه النواميس، فلذلك الأنبياء والمرسلون السابقون أتوا بمعجزات حسية، بينما النبي الكريم معجزته عقلية، ففي كتابه ألف و ثلاثمئة آية تشير إلى قواعد، وقوانين، وقضايا علمية، هذه القضايا كشفت في العصر الحديث.

الأستاذ حسام:

سيدي الكريم، هنا يطرح سؤال: ما الحكمة من أن يشاء الله عز وجل أن نعرف هذه الحقائق تباعاً؟ أي في كل عصر يمكن أن نعرف شيئاً في عصرنا هذا وفي المستقبل أيضاً.

الحكمة من معرفة الحقائق الموجودة في القرآن الكريم تِباعاً :

الدكتور راتب:

هذا سؤال دقيق جداً، قد لا ننتبه إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام وله في أي موضوع مئات الأحاديث، في موضوع البيوع هناك أربعمئة حديث، في أي موضوع ذكر أشياء كثيرة، كيف أن النبي صمت صمتاً كلياً ولم ينطق ببنت شفة عن هذه الآيات الألف و الثلاثمئة، الحكمة مذهلة، لو أن النبي الكريم شرح هذه الآيات العلمية في القرآن شرحاً مبسطاً يفهمه من حوله من الصحابة لأنكرنا عليه، ولو أنه شرحها شرحاً عميقاً بحسب ما أراه الله من ملكوته لأنكر عليه أصحابه، وكأن الوحي ألزمه أن يسكت عن كل هذه الآيات، ليس هناك حديث شريف واحد يتحدث عن هذه الآيات الألف و الثلاثمئة، سكوته عن هذه الآيات يعني أن الله عز وجل ترك المجال لكل عصرٍ بحسب تقدمه العلمي، يكشف هذا العصر عن حقيقة من هذه الحقائق، فهذه نقطة دقيقة جداً، النبي لم يتكلم، عندنا ألف و ثلاثمئة آية كلما تقدم العلم اكتشف العالم أن في القرآن آية تشير إلى حقيقة الآن كشفت.

الأستاذ حسام:

لذلك قالوا عن القرآن الكريم: إنه لا تنتهي عجائبه.

الدكتور راتب:

ولا يبلى على كثرة الرد.

الأستاذ حسام:

يمكن أن نوجز في أقل من دقيقة دور الإعجاز في الدعوة الإسلامية؟

دور الإعجاز في الدعوة الإسلامية :

الدكتور راتب:

الإعجاز يقنع قناعة لا مندوحة عنها، قناعة حتمية أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن، لأن خرق هذه النواميس لا يستطيعها إلا خالق السماوات والأرض، فالإعجاز العلمي دليلٌ قطعيٌ على أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن.

الأستاذ حسام:

مع العلم أن هناك من العلماء أو المخترعين بالعالم يقومون بالاختراع ولا يعلمون أن هذا موجود بالقرآن.

الدكتور راتب:

طبعاً، لو أن هذه الاختراعات كانت على أيدي المسلمين لشك بعضهم في أنها مفتعلة، لكن الذي جاء بها لا يعلم عن هذا الكتاب شيئاً.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (03 - 30) : آيات الله في الآفاق - قال تعالى (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا......).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:

لقد قال الله تعالى في محكم تنزيله:

(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)

[سورة يس]

ما وجه الإعجاز العلمي في هذه الآية؟.

وجه الإعجاز العلمي في قوله تعالى

(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، أولاً: الكون تعداده قد يصل إلى ألوف ألوف المليارات من المجرات، هذه المجرات فيها ملايين الملايين من الكواكب، هذه الكواكب تتحرك، لو تصورنا أنها لا تتحرك بحسب قانون الجاذبية لتجمع الكون كله في كتلة واحدة، لأنه دائماً الكتلة الأكبر تجلب الأصغر، وقانون الجاذبية متعلق بالكتلة والمسافة، فلو لم يتحرك هذا الكون لتجمع في كتلة واحدة، ما الذي يعيق تجمعه في كتلة واحدة؟ أن كل كوكب يتحرك ينشأ من هذه الحركة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة فيبقى على مساره.

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر الآية:41]

الزوال هنا الانحراف والخروج عن المسار، فلولا أن الكواكب تتحرك وينشأ عن حركتها قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة لتجمع الكون كله في كتلة واحدة، إذاً هذه آية كريمة:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

من هنا كل نجم في الكون يتحرك حركة حول نجم آخر، وحركة ثانية باتجاه نجم آخر، حركة حول نجم وحركة باتجاه نجم، هذه الحركة هي التي تجعله كواكب ومجرات.

الأستاذ حسام:

ما معنى الاستقرار الذي تحدث عنه القرآن الكريم:

(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا)

لاستقرار يعني حالة من الحركة ومن ثم ثبات؟

الاستقرار الذي تحدث عنه القرآن الكريم إشارة دقيقة إلى أن الكون له نهاية :

الدكتور راتب:

انتهاء الحركة، هذا الكون ينتهي بيوم القيامة.

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)

[سورة التكوير]

معنى ذلك أن هذا الكون له نهاية، فالشمس تجري لنهاية حركتها، هذه النهاية يوم القيامة، فلذلك كل شيء يتحرك ولكن إلى حين، لأننا في الدنيا والدنيا ننتقل منها إلى الآخرة، هذه الآية إشارة دقيقة إلى أن الكون له نهاية،

(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ)

الآن ليست مستقرة الآن متحركة، في وقت تستقر، إذا استقرت انتهت الحياة الدنيا ودخلنا في عالم آخر.

الأستاذ حسام:

عندما يقول رب العزة:

(ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)

[سورة الأنعام]

ما معنى هذا؟.

معنى العزيز العليم :

الدكتور راتب:

أي العزيز لا يُنال جانبه، العزيز يحتاجه كل شيء في كل شيء، أنت قد تحتاج طبيب عند المرض لا سمح الله، قد تحتاج للمعلم من أجل أن يعطي ابنك بعض الدروس، لكن الناس والخلق جميعاً يحتاجون

إلى خالقهم في كل شيء، وفي كل وقت، وفي كل حين، هذا معنى العزيز الحكيم.

الأستاذ حسام:

أيضاً قال الله تعالى في كتابه العزيز:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)

[سورة آل عمران]

اختلاف الليل والنهار هل له علاقة بحركة الأرض والشمس؟

اختلاف الليل والنهار من آيات الله الدالة على عظمته :

الدكتور راتب:

لأن الأرض كوكب يدور، أستاذ الفكرة دقيقة جداً، لو أن الأرض تدور بمحور يوازي مستوي دورانها حول الشمس لكان الليل أبدياً والنهار أبدياً، لأن الأرض تدور حول الشمس هكذا، الشمس هنا تدور هكذا، فهنا نصف الأرض نهار دائم، ونصفها ليل دائم، لكن لأنها تدور على محور عمودي نوعاً ما على مستوي دورانها صار هناك ليل ونهار، الليل والنهار من آيات الله، الأرض تدور أمام منبع ضوئي هو الشمس، مادامت تدور على محور قائم تدور هكذا، فحينما تواجه الأرض الشمس هناك نهار، وحينما تبتعد عن الشمس هكذا ليل، لو أنها تدور هكذا فهذا القسم الأول نهار أبدي والقسم الآخر ليل أبدي.

إذاً اختلاف الليل والنهار من آيات الله الدالة على عظمته، بل هو يؤكد أن دورة الأرض في محور ليس متوازياً مع مستوي دورانها، لو أنها تدور هكذا في محور يوازي مستوي دورانها لكان نصفها ليلاً إلى أبد الآبدين ونصفها نهاراً إلى أبد الآبدين، أما تبدل الليل والنهار القرآن أشار إليه:

(وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)

أي النهار يخلف الليل، والليل يخلف النهار، لأن عمود الدوران ليس موازياً لمستوي الدوران.

الأستاذ حسام:

سبحان الله! دكتور الحديث يطول عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لكننا شئنا أن نعطي المستمعين فكرة ولو لمحة بسيطة عن كل آية، نتحدث الآن عن الآفاق، وردت آية في القرآن الكريم تقول:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ)

[سورة الطارق]

بما تبقى من حلقة اليوم دعنا نتحدث عن

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)؟

التفاسير العلمية حول قوله تعالى

(والسماء ذات الرجع) :

1 - إرجاع بخار الماء مطراً :

الدكتور راتب:

الحقيقة بعضهم فهم هذه الآية أن الشمس إذا سلطت على البحار تبخرت مياه البحار، وصعد إلى السماء على شكل غيوم، هذه الغيوم رجعت أمطاراً، صعد بخار الماء إلى السماء ورجع أمطاراً، هذا التفسير للآية

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)

أرجع بخار الماء أمطاراً.

2 - إرجاع الموجات الكهرطيسية بثاً :

المعنى الثاني: اكتشف البشر بعد البث الإذاعي والتلفزيوني أن هناك طبقة في الهواء الخارجي اسمها الأثير، فكل الموجات الكهرطيسية تصطدم بها وترجع إلى الأرض، ولولا هذه الطبقة لما كان هناك بث تلفزيوني، ولا بث إذاعي على وجه الأرض، هذه الأمواج الصوتية أو الكهرطيسية التي تنتقل من الأرض تصطدم بطبقة سماها العلماء مجازاً طبقة الأثير، لأنها تعيد هذه الأمواج إلى الأرض، فلولا هذه الطبقة لما رجع البث إلينا.

الأستاذ حسام: هناك معالم أخرى أيضاً.

3 - إرجاع الكواكب إلى مكان انطلاقها الأساسي :

الدكتور راتب:

المعلم الثالث أن كل كوكب في الكون يدور حول كوكب آخر، ويتجه نحو كوكب آخر، وأن هذا الدوران يرجع به إلى مكان انطلاقه النسبي.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (04 - 30) : آيات الله في الآفاق - قال تعالى (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:

نتابع الحديث الذي بدأناه في الحلقة السابقة عن قوله سبحانه وتعالى في سورة الطارق:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ)

[سورة الطارق]

نتابع الحديث عن

(السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)

أبراج السماء من آيات الله الدالة على عظمته :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحقيقة أن الأرض تدور حول الشمس دورة كل عام، وتدور حول نفسها دورة كل يوم، من دورتها حول نفسها يكون الليل والنهار، ومن دورتها حول الشمس تكون الفصول الأربع، فالشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، أي يمكن أن يدخل في جوف الشمس مليون وثلاثمئة ألف أرض، وبين الأرض والشمس مسافة تزيد عن مئة و ستة و خمسين مليون كيلومتر، الآن هناك لقطة عرضية، في أبراج السماء حينما قال الله عز وجل:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ)

[سورة البروج]

الأرض في دورتها حول الشمس تمر باثني عشر برجاً، برج العقرب، برج الحمل، نعرفهم طبعاً، هم مجموعة كواكب على شكل برج، تمر بهم الأرض في دورتها حول الشمس، أحد هذه الأبراج برج العقرب، فيه نجم صغير أحمر اللون، متألق ،اسمه قلب العقرب، هذا النجم الصغير المتألق، الأحمر اللون، الذي اسمه قلب العقرب - الآن هيئ نفسك أستاذ لِما سأقول - يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، أي مليون وثلاثمئة ألف أرض تدخل في جوف

الشمس، وبينهما مئة و ستة و خمسون مليون كيلومتر، وهذا النجم الصغير في برج بعيد بعيد، اسمه قلب العقرب، يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، هذا الإله العظيم يعصى؟ ألا يخطب وده؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   ذاك لعمري في المقال بديعُ

لو كان حبك صادقاً لأطعتـه   إن المحب لمن يحـب يطيعُ

* * *

إذاً بين الشمس والأرض مئة و ستة و خمسون مليون كيلومتر، يقطعها الضوء في ثماني دقائق، الشمس حينما تغيب، بعد ثماني دقائق يصل الضوء إلينا.

دوران الأرض حول الشمس في مدار إهليلجي من آيات الله :

الآن النقطة الدقيقة جداً أن الأرض تدور حول الشمس دورة في كل عام، لكن هذا المسار ليس دائرياً، مسار إهليلجي أي بيضوي، الشكل البيضوي والإهليلجي له مركزان وله قطران، قطر أعظمي وقطر أصغر، مادام الشكل هكذا فهناك قطر طويل وقطر صغير، الشيء الذي ينبغي أن يكون واضحاً لدى أخوتنا أن الأرض حينما تنتقل من القطر الأطول إلى الأصغر ما الذي يحصل؟ تكون بعيدة عن الشمس فإذا انتقلت إلى القطر الأصغر تقترب من الشمس بحسب قوانين الجاذبية أن الأرض إذا اقتربت من الشمس هناك احتمال أن تنجذب إليها، فإذا انجذبت إلى الشمس والحرارة بالشمس تقدر بعشرين مليون درجة، قال العلماء تتبخر في ثانية واحدة، فمعنى ذلك أن الأرض إذا انجذبت إلى الشمس بفعل أنها تحركت على مسار إهليلجي ووصلت إلى القطر الأصغر والمسافة قلّت والجاذبية زادت فانجذبت إلى الشمس.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (05 - 30) : آيات الله في الآفاق - قال تعالى (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ).
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 17-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:

أستاذ راتب يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

[سورة السجدة]

هذه الآية في سورة السجدة، ما وجه الإعجاز العلمي في هذه الآية؟

سرعة الضوء من آيات الله الدالة على عظمته :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الحقيقة أننا إذا وصلنا بخط بين مركز الأرض ومركز القمر لأن القمر يدور دورة حول الأرض كل شهر، ولأن الأمة العربية تعد السنة القمرية، والدليل:

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

[سورة الحج]

أيها الأمة، فالعرب يعد السنة القمرية، والقمر يدور دورة حول الأرض كل شهر، الآن لو وصلنا بخط بين مركز الأرض ومركز القمر، هذا الخط هو في الحقيقة نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض، القمر يدور حول الأرض، لو أخذنا مركزه ومركز الأرض ووصلنا بينهما بخط هو نصف القطر، لو ضربنا هذا الرقم باثنين نحصل على القطر، طبعاً نصف القطر من أين نأخذه؟ من نصف قطر القمر مع نصف قطر الأرض مع المسافة بين الأرض والقمر، نصف القطر نضربه باثنين نحصل على القطر نضربه بالبي "3‘14 " نحصل على المحيط، فابنك الصغير بدقائق وعلى آلة حاسبة يحسب كم يقطع القمر في رحلته حول الأرض في الشهر، ضرب اثني عشر في السنة، ضرب ألف بألف سنة، فابن صغير في المرحلة الإعدادية مع آلة حاسبة يستطيع أن يعرف كم يقطع القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام، الشيء الذي لا يصدق أن هذا الرقم هو عدد الكيلومترات الذي يقطعها

القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام، لو قسمناه على ثواني اليوم، لكانت النتيجة سرعة الضوء الدقيقة، السرعة المألوفة ثلاثمئة ألف كيلومتر في الثانية، الدقيقة 299752، الجواب لا يصدق، هذا بحث يزيد عن مئة صفحة، وعندي أصله، ألقي في مؤتمر الإعجاز العلمي الخامس في موسكو، هذا البحث العلمي يؤكد أن ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام يقطعه الضوء في يوم واحد، من هذا الرقم تبين سرعة الضوء، لو قسمناه على ثواني اليوم لكان 299752، سرعة الضوء هي السرعة المطلقة الذي جاء بها أينشتاين، نظرية أينشتاين النسبية التي قلبت مفاهيم الفيزياء هي نظرية اعتمدت على أن أينشتاين اكتشف السرعة المطلقة في الكون، السرعة المطلقة في الكون هي سرعة الضوء، هذه السرعة عرفها بهذه الطريقة.

النظرية العملاقة، النظرية النسبية التي جاء بها أينشتاين تؤكد أن أي جسم سار بسرعة الضوء أصبح ضوءاً.

وهناك أيضاً تجربة دقيقة جداً، جاؤوا بقطار و بنوا رصيفاً بطوله، وسار هذا القطار بسرعة ثلاثمئة و خمسين كيلو متر في الساعة، وصوروا من زاوية متوسطة أمام الرصيف، ظهر القطار أطول من الرصيف، فالجسم عندما تزداد سرعته يكبر حجمه، فإذا بلغت سرعته سرعة الضوء أصبح ضوءاً.

الأستاذ حسام: سيدي الكريم، ألا يريد رب العزة أن يوجهنا ويقول لنا من خلال هذه الآيات: إن هذه الدنيا الفانية التي نعيش بها هي صغيرة جداً أمام عظمة الكون.

أصل الدين معرفة الله :

الدكتور راتب:

الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى يرينا آياته:

(سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

[سورة فصلت الآية:53]

النبي الكريم حينما جاءه القرآن الكريم وفيه ألف و ثلاثمئة آية تتحدث عن الآفاق والإنسان من أجل أن نعرف الله، أصل الدين معرفة الله، أستاذنا الجليل، إن عرفت الله بادرت إلى طاعته، إن عرفت الله ثم عرفت أمره تفانيت في طاعته، أما إذا عرفت الآمر ولم تعرف الآمر تفننت في معصيته، مشكلة العالم الإسلامي أنهم عرفوا الأمر ولم يعرفوا الآمر، أنا أدعو إلى معرفة الآمر، إن عرفت الآمر الإنسان يعد للمليون قبل أن يعصيه، لذلك إن عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في معصيته.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (06 - 30) : آيات الله في الآفاق - قال تعالى (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ...).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز في سورة الواقعة:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة]

السؤال المطروح: ما مواقع النجوم المذكورة في هذه الآية؟

مواقع النجوم المذكورة في الآية أن الله عز وجل أعظم من كل خلقه :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، أستاذ حسام بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب إليها عدا الشمس، معلوم عندكم أن هناك كواكب، وهناك نجوم، الأرض كوكب منطفئ، النجم نجم مشتعل، فالله عز وجل يقول:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل، طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخر فيخسرهما معاً.

فمواقع النجوم بحث رائع جداً، الله عز وجل يقول:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)

لأن الله أعظم من كل خلقه.

الأستاذ حسام:

لغة،

(فَلَا أُقْسِمُ)

ما معناها؟.

إذا أقسم الله في القرآن فبالنسبة إلينا وإذا لم يقسم فبالنسبة إلى ذاته العلية:

الدكتور راتب:

أحياناً يأتي قسم:

(وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا)

[سورة الشمس]

(وَالْفَجْرِ*وَلَيَالٍ عَشْرٍ)

[سورة الفجر]

هذا قسم، وأحياناً:

(فَلَا أُقْسِمُ)

إذا قال الله:

(فَلَا أُقْسِمُ)

بالنسبة إليه، فهو أعظم من أي شيء دونه، وإذا قال:

(وَالشَّمْسِ)

بالنسبة إلينا، إن جاءت الآية مع واو القسم بالنسبة إلينا كبشر، وإن جاءت الآية بـ "لا أقسم" بالنسبة إليه كخالق الكون، فأي شيء في الكون دونه، أما أي شيء في الكون ففوقنا، فإن جاءت لا أقسم بالنسبيبة إلى الله عز وجل، وإن جاءت:

(وَالشَّمْسِ)

أقسم بالنسبة إلينا، هذه معنى متى تأتي لا أقسمُ ومتى تأتي أقسمُ.

السرعة المطلقة في الكون هي سرعة الضوء :

مواقع النجوم ماذا تعني؟ بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب إليها عدا الشمس، طبعاً الشمس نجم ملتهب وبعده عن الأرض ثماني دقائق ضوئية، أنا أتحدث عن نجم آخر بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب إليها أربع سنوات ضوئية، ماذا تعني أربع سنوات ضوئية؟ الضوء يقطع بالثانية الواحدة ثلاثمئة كيلومتر، كم يقطع في الدقيقة؟ ضرب ستين، كم يقطع في الساعة؟ ضرب ستين، كم يقطع في اليوم؟ ضرب أربع و عشرين، كم يقطع في العام؟ ضرب ثلاثمئة و خمسة و ستين، كم يقطع في أربع

سنوات؟ ضرب أربع، هذا الرقم ابنك الصغير في الإعدادي مع آلة حاسبة يحسبه بدقائق، المفاجأة التي قد لا تصدق أننا إذا قسمنا هذه المسافة أي ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام على ثواني اليوم النتيجة سرعة الضوء، أي ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام يقطعه الضوء في يوم واحد، هذا الرقم مذهل، لأن السرعة المطلقة في الكون هي سرعة الضوء، وكل جسم سار مع الضوء أصبح ضوءاً، وكل جسم سار مع الضوء أوقف الزمن.

هذا اللقاء الطيب تنتج عنه موجات ضوئية إلى الفضاء، لو سار واحد من الناس مع هذه الموجات لرأى هذا اللقاء إلى أبد الآبدين، الإنسان إذا سار مع الضوء توقف الزمن فإذا سبق الضوء تراجع الزمن.

الأستاذ حسام:

سيدي الكريم، مواقع النجوم، هل معنى ذلك أن ليس للنجم موقع واحد ؟.

إعجاز الله عز وجل في الكون :

الدكتور راتب:

طبعاً، لكن بداية أتابع الموضوع، بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية، كم نقطعها؟ لو كان هناك مركبة من الأرض إلى أقرب نجم ملتهب وسرنا بسرعة مئة نحتاج إلى خمسين مليون عام، من أجل أن نصل إلى أقرب نجم ملتهب، يبعد عنا أربع سنوات ضوئية.

السؤال الثاني: متى نصل إلى نجم القطب الذي يبعد عنا أربعة آلاف سنة ضوئية؟ أربع آلاف سنة ضرب ألف، متى نصل إلى مجرة المرأة المسلسلة التي تبعد عنا مليوني سنة ضوئية؟ متى نصل إلى مجرة اكتشفت حديثاً تبعد عنا أربعة و عشرين ألف مليون سنة ضوئية؟ هذه المسافات بين النجوم هل أشار القرآن إليها؟ قال تعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

لذلك:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 28]

أي العلماء وليس أحد غيرهم يخشى الله،

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

الآن إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً.

هذه الآية:

(بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)

شيء مذهل، لكن لا بد من وقفة عند كلمة مواقع، هناك عدة مواقع للنجوم، إن شاء الله في لقاء آخر أتحدث عنه.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (07 - 30) : آيات الله في الآفاق - تتمة قال تعالى (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ...).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 19-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:

نتابع الحديث الذي بدأناه في الحلقة السابقة عن مواقع النجوم، وقوله تعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة]

تحدثنا في الحلقة السابقة عن مواقع النجوم، سيدي الكريم لماذا تفردت هذه الآية؟ وما الحكمة من أن رب العزة قال:

(وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

الحكمة من قوله تعالى - فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ - :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، بادئ ذي بدء: لو أن نجماً كان في مكان ما في الفضاء الخارجي، وأطلق ضوءاً منه، سرعة الضوء هي ثلاثمئة ألف كيلومتر في الثانية، وهذا الضوء مشى أربعة و عشرين ألف مليون سنة ضوئية، شيء لا يصدق، الأرقام الفلكية تفوق حدّ الخيال، أي حتى وصل الضوء إلينا.

لو أن نجماً يبعد عنا أربعة و عشرين ألف مليون سنة، وانطلق منه ضوءٌ سرعته ثلاثمئة ألف كيلومتر بالثانية لوصل إلينا بعد أربعة و عشرين ألف مليون سنة، السؤال: هذا الضوء انطلق من هذا الكوكب في هذا المكان، لكن هذا الكوكب يتحرك، سرعته تقترب من سرعة الضوء، سرعة الكواكب البعيدة جداً مئتان و أربعون ألف كيلومتر بالثانية، فهذا الضوء انطلق من هذا المكان، والنجم مستمر في الحركة، فهذا ليس موقعاً واحداً في مواقع النجوم، لو جاءت فلا أقسم بالمسافات بين النجوم، ليس قرآناً، النجوم متحركة، فجاءت كلمة مواقع لأن النجم ينتقل من موقع إلى موقع وكل موقع فيه حسابات خاصة، فالنظام الفلكي نظام معجز، وأنا أقول دائماً: إذا عرفت الله سبحانه وتعالى من خلال خلقه خشعت له.

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 28]

لذلك آيات الأعجاز العلمي مهمتها الأولى أن تعرف الله، وأنا أعتقد اعتقاداً جازماً أن أصل الدين معرفة الله، أنت إذا عرفت الله تتفانى في طاعته، أما إذا عرفت أمره ولم تعرفه تتفنن في معصيته.

مواقع النجوم من أدق الآيات الدالة على عظمة الله :

لذلك مواقع النجوم من أدق الآيات الدالة على عظمة الله، هذا النجم بهذا المكان أصدر هذا الضوء، بقي يمشي هذا الضوء أربعة و عشرين ألف مليون سنة حتى وصل إلينا، لكن هذا النجم الذي انطلق من هذا المكان يمشي ففي كل حركة من حركاته مواقع ثانية، ما قال بمواقع النجوم،

(بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

وكلما انتقل النجم من موقع إلى آخر هناك حسابات أخرى، فلذلك نظام الكون نظام معجز:

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة يونس الآية:101]

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

[سورة فصلت]

أصل الدين معرفة الله عز وجل :

أساس الدين أن تعرف الله، لكن الدين الآن كأن الناس فهموه فهماً آخر، فهموه أحكاماً شرعياً ليس غير ولا يطبقونها، لأنهم ما عرفوا من الذي أنزلها، ومن الذي أمر بها، فأنا أدعو إلى معرفة الله، وأصل الدين معرفة الله عز وجل، إذاً مواقع النجوم شيء دقيق جداً، هي المسافات بين النجوم، والمسافات فلكية، أي الأرقام التي يتحدث عنها العلماء العقل لا يتصورها إطلاقاً، مثلاً أقرب نجم ملتهب يبعد عنا أربع سنوات ضوئية، قفزة واحدة إلى نجم القطب؛ أربعة آلاف سنة، قفزة ثانية المرأة المسلسلة؛ مليونا سنة ضوئية، قفزة ثالثة؛ أربعة وعشرون ألف مليون سنة ضوئية، هذه الأرقام كلها مذهلة، لكن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأكوان، وهو الذي خلق الإنسان، وحينما تتأمل في خلق السماوات والأرض الآن أقول هذه الآية لأنها في الوقت المناسب:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة البقرة الآية:164]

السماوات والأرض مصطلح قرآني يعني الكون، والكون ما سوى الله، الكون لا نهاية له، فكيف بخالقه؟ لذلك كلما خطر في بالك فالله عز وجل بخلاف ذلك، لا يعجزه أي شيء في الكون، خالق كل شيء، عليم بكل شيء، قدير على كل شيء.

مواقع النجوم هي المسافات بين النجوم وهذه المسافات ليست ثابتة :

إذاً مواقع النجوم تعني المسافات بين النجوم، وهذه المسافات ليست ثابتة لأن النجوم متحركة، تصور أن الأرض تدور حول الشمس في مسار إهليلجي – بيضوي - والشمس تتجه إلى مستقر لها، قال تعالى:

(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا)

[سورة يس الآية:38]

فصارت حركة الأرض حركة لولبية، كاللولب تماماً، تدور وتسير ومع دورانها تسير، إذاً لولا هذه الحركة في الكون لتجمع الكون في كتلة واحدة، ما الذي يمنع أن يجتمع الكون في كتلة واحدة؟ حركة النجوم، مثلاً أنت حينما تمسك بوعاء وتديره دورة كاملة، الماء لا ينزل حينما يكون في أعلى الوعاء، ما الذي يجعله لا ينزل إلى الأرض؟ هناك قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة، فالكون يتحرك بالقوة الجاذبة، لكن حركة الكون ينشأ عنها قوة نابذة، هذه القوة النابذة تكافئ القوة الجاذبة ويبقى كل شيء في مكانه، هذا يسمونه التوازن الحركي، أي الكون مستقر مع أنه متحرك.

الأستاذ حسام:

أستاذ راتب تتحدث وكالات الفضاء، ويتحدث الباحثون عن الدقة المتناهية الصغر في حركة الأرض، والشمس، والنجوم، والكواكب منذ زمن، ويتوقعون أيضاً حركتها المستقبلية.

حركة النجوم تقدر بعشرات الثواني :

الدكتور راتب:

والله أنا مرة سمعت تقريراً عن ساعة بيغ بن، الذي أذهلني أن هذه الساعة العملاقة المشهورة في العالم تضبط على حركة نجم، أحياناً من دقة هذه الساعة في العام بأكمله قد تسبق ثانية واحدة، ومع ذلك كيف تضبط على حركة نجم، معنى هذا أن حركة النجوم بعشرات الثواني:

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)

[سورة لقمان الآية:11]

لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (08 - 30) : آيات الله في الآفاق - الإعجاز العلمي في السنة النبوية (القمح).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:

نتحدث في حلقات برنامجنا عن آيات الله في الآفاق، وفي الإنسان، من آيات الله في الآفاق حديثه عن النبات، أو فيما يتعلق بالنبات، وقد ورد في بعض الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قالت عنه عائشة رضي الله عنها:

((ولا أكل خبزاً منخولاً))

[أحمد عن عائشة]

نتحدث اليوم عن الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

الله تعالى جعل القمح لبني البشر غذاء كاملاً :

الدكتور راتب:

إن شاء الله، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

الحقيقة أن الله تعالى جعل القمح لبني البشر غذاء كاملاً، والذي يلفت النظر أن سوق القمح جعله الله للحيوانات غذاءً كاملاً، كيف أن القمح لنا غذاء كامل، هذه السنبلة لها ساق، ساق السنبلة غذاء كامل للحيوان، لذلك يعد القمح المادة الإستراتيجية للأعلاف، سوق سنبلة القمح غذاء كامل للحيوان، والقمح غذاء كامل للإنسان، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل هذا القمح ينبت في كل بقاع الأرض، في الجبال، في السهول، في الأكمات، في الوديان، في المناطق الباردة، الحارة، المعتدلة، مع الثلج، مع المطر، مع الحر الذي لا يحتمل، لأن القمح غذاء أساسي لحياة الإنسان، إذاً هو ينبت في كل مكان، والأغرب من ذلك أن هذا القمح تصل أنواعه إلى خمسة و أربعين ألف نوع، هناك قمح قاس وقمح طري، فلذلك هذا الغذاء الأول الكامل لبني البشر ينبت في كل مكان، وفي كل ظرف، وهو أنواعٌ لا تعد ولا تحصى، طبعاً ينبت في السهول، في الجبال، في الأغوار، في الأجواء الباردة، في الأجواء الحارة، في المعتدلة،

في كل لحظة من لحظات الزمن هناك قمح على وجه الأرض ينمو، في كل لحظة من لحظات الزمن وفي كل مكان هناك قمح على وجه الأرض ينمو، ولكن الإبداع الإلهي لهذه الثمرة جعلها كاملة الغذاء، أستاذ حسام يمكن أن تكتفي بالخبز أو بالحليب طوال الحياة، غذاء كامل متوازن.

في القمحة غلاف خارجي يزن تسعة بالمئة من وزنها، هذا الغلاف الخارجي يسمى عند الناس النخالة، فيها قشرة رقيقة تنطوي على مادة آزوتية لا تزيد على ثلاثة بالمئة من وزنها، وفيها رشيم وهو الكائن الحي الذي ينبت إذا توافرت له شروط الإنبات.

كلما اتسعت ثقافة الإنسان يأكل الخبز الأسمر لأن الأبيض عبارة عن نشاء خالص :

أستاذ حسام أخرجوا من الأهرام قمحاً قبل ستة آلاف عام زرع ونبت، معنى هذا أن الرشيم كائن حي، دائماً بالبذرة هناك محفظة غذاء ورشيم، الرشيم كائن حي لو مات لا ينبت القمح، لذلك النمل حينما يخزن طعامه للشتاء يأكل الرشيم لئلا ينبت، من علّمه أن يأكل الرشيم؟ حبة العدس لها رشيمان، فالنملة تأكل الرشيمين معاً، لو لم تأكل الرشيم لنمت هذه الحبة، هي خزنتها في جحرها كي تأكلها، فإن لم تأكل الرشيم نبت، فالنمل أول شيء يفعله يأكل الرشيم ويخزن الحبة ليأكلها في الشتاء، إذاً الرشيم هو الكائن الحي في البذرة، وهو الذي ينمو إذا توافرت له شروط، هذه الشروط هي الرطوبة والحرارة بآن واحد تجعله ينمو، طبعاً وزن الرشيم في القمحة لا يزيد عن أربعة بالمئة، الغلاف تسعة بالمئة، والرشيم أربعة بالمئة وما سوى ذلك نشاء، الشيء المؤسف أشد الأسف أننا نلقي بقشرة القمح والرشيم لتأكله البهائم ونأكل نشاءً صرفاً، هذا الخبز الأبيض عبارة عن نشاء خالص، لا يوجد شيء معه إطلاقاً، نشاء خالص، لذلك كلما اتسعت ثقافة الإنسان يأكل الخبز الأسمر.

الأستاذ حسام:

الآن الدعوات الحديثة تدور حول أكل خبز النخالة.

فوائد القمح :

الدكتور راتب:

ماذا نفعل نحن؟ كما قلت: نأكل نحن النشاء الخالص، وندع لبقية المخلوقات هذا القشر المفيد جداً، لكن هذه النخالة ماذا فيها؟ فيها ستة فيتامينات، فيتامين ب1، ب2، ب6 إلى آخره، وفيها فيتامينات أخرى وفي هذا الغلاف – الشاهد هنا - مادة فسفورية هي غذاء للدماغ والأعصاب، وفي هذا الغلاف حديد يهب الدم قوة، وحيوية، ويعينه على اكتساب الأوكسجين من الرئتين، وفي هذا الغلاف الكالسيوم الذي

يبني العظام، ويقوي الأسنان، وفي هذا الغلاف السيلكون الذي يقوي الشعر، ويزيده قوةٍ، وفي هذا الغلاف اليود الذي ينشط الغدة الدرقية، ويضفي على آكله السكينة والهدوء، وفي هذا الغلاف البوتاسيوم، والكالسيوم، والمغنيزيوم، كل هذه المعادن تدخل في قشرة القمح، الشيء المؤسف جداً أن معظم الناس يأخذون الخبز الأبيض وهو نشاءٌ صرف، وكل المواد المذهلة معادن، فيتامينات، كم معدن؟ أول معدن الكالسيوم، هذا الكالسيوم يبني العظام، السيلكون يقوي الشعر، مادة فسفورية تقوي الدماغ، معادن ثمينة جداً، فسفور على كالسيوم على مغنيزيوم على صوديوم كلها معادن ترمم الجسم، وتقوي الإنسان، ومع ذلك نحن نلقيها، لذلك أنهي هذا الكلام بحديث، سأل أحد أصحاب النبي الكريم:

((هل أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم النَّقيَّ؟ فقال سهل: ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النَّقيَّ من حِين ابْتَعَثَه الله حتى قبَضَه الله، فقلت: هل كانت لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنَاخِلُ؟ قال: ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْخُلا من حِين ابْتَعَثَهُ الله حتى قبضه الله، قلت : كيف كنتم تأكلون الشَّعيرَ؟ غير مَنْخَول؟ قال : كنا نَطْحَنُه ونَنفُخُه))

[أخرجه البخاري والترمذي عن سهل بن سعد الساعدي]

أي ما أكل النبي خبزاً مصفى في حياته.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (09 - 30) : آيات الله في الآفاق - الإعجاز العلمي في السنة النبوية (التمر).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:

أستاذ راتب الإعجاز العلمي في السنة النبوية الشريفة قوله عليه الصلاة والسلام :

((يا عائشة بَيتُ لا تمر فيه جياعُ أهله- أو جاعَ أهله- قالها مرتين أن ثلاثاً))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

ورد هذا الحديث في صحيح مسلم، ما وجه الإعجاز العلمي في قوله عليه الصلاة والسلام؟

التمر صيدلية كاملة :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، والله مرة قرأتُ كلمة عن التمر أعجبتني، قال: التمر صيدلية كاملة، فيها سبعون مادة غذائية، لذلك النبي الكريم كشف الله له حقيقة التمر، قال:

((بَيتُ لا تمر فيه جياعُ أهله))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

ذالك أن الأطباء الآن في حيرة شديدة من ارتفاع نسب الأمراض الخبيثة والوبيلة والمستعصية في هذه السنوات، أغلب الظن أن هذا يعزى إلى تغيير خلق الله، نغير أغذيتنا على غير النمط الذي أراده الله عز وجل، نغير في أغذيتنا، نضيف إضافات كيماوية، نجعل غذاءنا كيماوياً خالصاً أحياناً، والله مرة اطلعت على شراب يأتي من أمريكا عليه إقبال شديد، قرأت محتويات هذا الشراب، ليس فيه أي مادة طبيعية، مواد كيماوية محضة، لكن بقدرة عالية جداً أصبح شراباً مستساغاً، فنحن نشكو من الغذاء الصناعي، لذلك البطولة أن تعود إلى الغذاء الطبيعي، فالتمر غذاء طبيعي، اللبن غذاء طبيعي، والتمر واللبن غذاءان رائعان جداً، لو أن الإنسان اعتنى بهما لكان في وضع صحي أكمل بكثير.

على الإنسان أن يأكل كما أراد الله عز وجل :

على كلٍّ: هناك أمراض وبيلة وخطيرة تعاني منها المجتمعات الغربية، أساسها الغذاء المصفى، نأكل القمح من دون قشر، نأكل السكر المصفى، أنا أقول كلمة: هناك سموم بيضاء ثلاث، الملح الأبيض، والسكر الأبيض، والطحين الأبيض، سماها بعض علماء التغذية احذروا السموم الثلاث البيضاء، طحين أبيض لا يوجد فيه نخالة، سكر أبيض ليس فيه قشور، والشيء الثالث الملح الأبيض، والملح الأبيض طبعاً يرفع الضغط وله مضاعفات خطيرة، على كلٍّ إذا خلا غذاء الإنسان من الألياف، أستاذ عندما تأكل التفاحة بأكملها، هناك ألياف سيللوزية، هذه مواد مالئة، تملأ الأمعاء، وهذه المواد المالئة تنشط حركة الأمعاء، وهذه المواد المالئة تقلل بقاء الطعام في الأمعاء، وهذه المواد المالئة تمتص المواد السامة في الطعام، تمتص كل شيء سيئ، تقلل بقاء الطعام في الأمعاء، تسرع حركة الأمعاء، فكل الخير في أن تأكل هذه الألياف السيللوزية التي في التفاح، وفي الأجاص، وفي التمر، وفي العنب، أما حينما تبقي غذاءك مصفى، عصائر عصائر عصائر، خلاصات فقدت السيللوز، هذا له أثر كبير في غذائنا، فالتمر غني جداً بالبوتاسيوم، البوتاسيوم معدن، وهناك أيضاً المغنيزيوم.

فالإنسان إذا أكل مئة غرام من التمر، أي خمس تمرات، يكون قد أكل نصف حاجته التامة من المعادن، وخمس حاجته من المغنيزيوم، إذاً الإنسان بحاجة إلى أن يأكل الفواكه كما أرادها الله.

الأستاذ حسام:

الآن في هذه الأيام في شهر رمضان، يكثر الإقبال على التمر، والنبي عليه الصلاة والسلام كان يفطر في رمضان على التمر، ومن ثم يذهب إلى الصلاة ويعود، هذا التصرف الذي كان يقوم به عليه الصلاة والسلام وهو لا ينطق عن الهوى تصرف مذهل.

حقيقة التمر :

الدكتور راتب:

شيء مذهل، سكر التمر أسرع سكر على الإطلاق ينتقل من الفم إلى الدم بعشر دقائق، ينتقل سكر التمر إلى الدم فإذا انطلق إلى الدم أثر هذا السكر في مركز الشبع في دماغ الإنسان، فإذا أثر هذا السكر -سكر التمر- في مركز الشبع في دماغ الإنسان يشعر الإنسان بالشبع، يأكل أكلاً معتدلاً في رمضان، إذا بدأ الإفطار بتمرات ثلاثة، وصلى المغرب، عشر دقائق حتى وصل سكر التمر إلى مركز الشبع في الإنسان، فالإنسان مهما كان جائعاً إذا بدأ طعامه بسكر الفواكه يحس بالشبع.

عفواً دعك من الصيام، في الإفطار دخلت إلى البيت ظهراً وأنت جائع، كُلْ نصف تفاحة، كُلْ بضع حبات من العنب، كُلْ أي فاكهة سكرية، هذا السكر يصل إلى الدم في عشر دقائق، بينما الطعام العادي لا يهضم إلا في ثلاث ساعات، فالإنسان متى يشبع؟ يشبع في أحد حالتين، إما أن تمتلئ المعدة، أو أن ينبه مركز الشبع في الإنسان، فالتمر إذا أكلته قبل الطعام من شأنه أن يصل سكره إلى مركز الشبع في الدماغ بعد عشر دقائق، وعندئذٍ يشعر الإنسان بالشبع، فإذا جلس إلى الطعام يأكل باعتدال، هذه من سنة النبي، لكن العلماء الآن كشفوا حقيقة التمر، أن سكر التمر ينطلق من الفم إلى الدم في عشر دقائق، ويصل تأثيره إلى مركز الشبع في دماغ الإنسان، وعندها يشعر الإنسان بالشبع، فإذا جلس إلى الطعام في رمضان يأكل أكلاً معتدلاً.

الأستاذ حسام:

وهناك دعوات في وقتنا الراهن لأكل بعض الفاكهة قبل الطعام، قبل الدسم.

تقديم الفاكهة على اللحم بنص القرآن الكريم :

الدكتور راتب:

والله أنا قناعتي لقوله تعالى:

(وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ)

[سورة الواقعة]

فلما جاء في القرآن الكريم أن الفاكهة مقدمة على اللحم، هذا منهج، أنا أعلم علم اليقين، كنت بالبرازيل، بالبرازيل لا يأكلون الفواكه إلا قبل الطعام وفي بريطانيا أيضاً، وهذا من السنة أن تبدأ بالفواكه، إذا بدأت بالفواكه وصل سكرها إلى مركز الشبع بعشر دقائق، فإذا جلست إلى الطعام تأكل باعتدال، هذا من سنة النبي الكريم، كان يفطر على تمرات ثلاثة ويصلي المغرب، بعد الثمرات الثلاثة والصلاة تأكل باعتدال مهما كنت جائعاً، هذا من توجيهات النبي الكريم، ومن حقائق هذا الكون العظيم.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (10 - 30) : آيات الله في الآفاق - الإعجاز العلمي في السنة النبوية (الزيت).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:

أستاذ راتب، وجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث صحيح وصريح قال فيه:

((كلوا الزيت فإنه مبارك، وائتدموا به، وادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة))

[الدارمي عن أبي أسيد الأنصاري]

توجيه واضح صريح مباشر، ما وجه الإعجاز في هذا الحديث وهو:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)

[سورة النجم]

توجيهات النبي الكريم في شأن الطعام والشراب إنما هي وحي يوحى :

الدكتور راتب:

أولاً: أريد أن أعلق تعليقاً سريعاً، أن توجيهات النبي الكريم في شأن الطعام والشراب والغذاء، ليست من ثقافته، ولا من بيئته، ولا من معطيات عصره، ولا من اجتهاده، ولكنها وحي يوحى، بدليل قوله تعالى:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

[سورة النجم]

أي لئلا نتوهم أن هذه خبرته، وهذه تجربته، وهذا اجتهاده، لا، كلام النبي كله وحي يوحى، لو كان له كلام من ثقافته، ومن خبرته، صار هناك سؤال يومي، يا رسول الله هل هذا الكلام من عندك أم من وحي السماء؟

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

أنا حينما أعتقد أن هذه التوجيهات الصحية والغذائية التي قالها النبي ليست من اجتهاده بل هي من وحي السماء آخذها على أنها من عند الخبير، هذه نقطة دقيقة جداً، ليست هذه ثقافة النبي، ولا أخذت من

بيئته، ولا من معطيات عصره، ولا من اجتهاده، إنها توجيهات من الله عز وجل، هذه حقيقة بين يدي هذا البحث.

فوائد زيت الزيتون :

الحقيقة أن مئة غرام من زيت الزيتون فيه غرام بروتينات، و أحد عشر غراماً من الدسم، وبوتاسيوم، وكالسيوم، ومغنيزيوم، وفسفور، وحديد، ونحاس، وكبريت، المعادن كلها في هذا الزيت مجتمعة، وفيه ألياف، وهو غني بأهم الفيتامينات المتعلقة بتركيب الخلايا، ونشاطها، والمتعلقة بالتناسل، وسلامة العظام، وهو غذاء الدماغ، وغذاء الأطفال، وله تأثير في تفتيت حصيات المرارة والمثانة، وفي زيت الزيتون مادة تمنع تخثر الدم، أي الجلطات، زيت الزيتون مقاوم للجلطات، وهذا الزيت قال عنه عليه الصلاة والسلام:

((كلوا الزيت فإنه مبارك، وائتدموا به، وادهنوا به))

[الدارمي عن أبي أسيد الأنصاري]

اجعله إيداماً للطعام، هو مادة غذائية، وله أثر ملطف لالتهابات الجلد، لماذا قال: ادهنوا به؟ له أثر ملطف لالتهابات الجلد، ولبعض الأمراض الجلدية، وله أثر طيب ونافع حتى في الاستعمال الخارجي، والنبي الكريم

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)

والمؤمن يعرف ماذا يأكل، فلا بد له من مواد دسمة، فإما أن يشتريها نافعة وإما أن يأخذها ضارة، المواد الدسمة خطيرة جداً، لو أخذناها من مصادر غير موثوقة هي أسوأ الدهون، تصنع على شكل سمن، فلذلك نحن نعتني بالمواد الدهنية لأن هذه خطيرة، فإذا أخذناها من زيت الزيتون، فهي أفضل مادة دهنية نباتية نأكلها.

الفوائد التي نجنيها من زيت الزيتون لا تصدق :

الحقيقة هناك دراسات عميقة جداً حول أن ماء زيت الزيتون فيه بروتين، فيه دهن، فيه ماءات للفحم، فسفور، حديد، كالسيوم، بوتاسيوم، فيتامين، الفسفور يغذي المخ، يقوي الذاكرة، ينشط الأعصاب، يساعد على ترسيب الكلس في العظام، ماءات الفحم تولد الطاقة، والتدفئة، والنشاط، فيتامين ب له علاقة بالإخصاب، له علاقة بأمراض العين، له علاقة بأمراض المفاصل، له علاقة بالتهاب العضلات واختلال التوازن العصبي، مانع للتجلط، زيت الزيتون مانع للتجلط، وسقوط الشعر، تضخم البروستات،

يحول دون تجعد الوجه، أما الصوديوم فله دور خطير في بلازما الدم، أما البوتاسيوم فضروري جداً للأعصاب، والقلب، والشرايين، والعضلات، وكلما تقدم السن بالإنسان هو في أمس الحاجة إلى البوتاسيوم، وأما الحديد فنقصه يسبب فقراً في الدم، أما الكالسيوم فلبناء للعظام لاسيما للأطفال، كل هذه المعادن نجدها في زيت الزيتون، إضافة إلى الدهن، أما البروتين فحدث ولا حرج، الحقيقة شيء لا يصدق، الفوائد التي نجنيها من زيت الزيتون لا تصدق، والله أتمنى على أخوتنا المستمعين أن يجعلوا المادة الدسمة الأولى في حياتهم زيت الزيتون، طبعاً أرجو أن يكون زيتاً صافياً، لا مغشوشاً.

الأستاذ حسام:

هناك من الناس من يقول: أنا أتبع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام دون أن يدخل في هذه التفاصيل أو أن يعرف ذلك، فإن عرف دعا إليها، وهناك من يترك هذا إلى أن يترك هذه السنة.

من يطبق سنة النبي يقطف كل ثمارها :

الدكتور راتب:

أنت أشرت إلى نقطة مهمة، أنا حينما أطبق سنة النبي دون أن أدخل في تفاصيلها أقطف كل ثمارها، أما إذا دخلت في تفاصيلها فأستطيع أن أقنع الناس بها.

الأستاذ حسام:

كالذي يقود سيارة، يمكن لا يعرف شيئاً بميكانيك السيارة و لكنه يستثمر هذه المركبة.

الدكتور راتب:

إذاً أنا حينما أطبق سنة النبي أقطف كل ثمارها من دون تفاصيل، لكن لو أنني عرفت تفاصيلها لدعوت إليها، فالداعية يحتاج إلى هذه التفاصيل، أما المستهلك فلا يحتاج إليها إطلاقاً، يكفي أن تطبقها، النبي الكريم

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)

لا يوجد عنده أشياء من عنده، هو شفاف شفافية تامة، يشف عن وحي السماء، فكل كلامه من عند الله عز وجل، والله أكّد هذا في قرآنه الكريم:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

فأنت حينما تفهم توجيهات النبي الصحية على أنها توجيهات من خالق الكون، تعلم أن هذا شيء دقيق جداً.

الأستاذ حسام:

ومن ثم تأتي المعرفة والعلم بهذا التوجيه.

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية:28]

الدكتور راتب:

فلذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (11 - 30) : آيات الله في الآفاق - قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بعوضة ......).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:

أستاذ راتب، في حديثنا عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وحديث القرآن عن الحيوان، وتحديداً الحشرات، وذكر الله تعالى في محكم تنزيله في سورة البقرة الآية التي تقول:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

[سورة البقرة]

نأخذ الموضوع من جهتين، أولاً: لغة، وثانياً: وجه الإعجاز.

البعوضة من آيات الله الدالة على عظمته :

الدكتور راتب:

الحقيقة أن الله عز وجل حينما يورد في كتابه الكريم ذكر أحقر مخلوق في حياة الإنسان البعوضة، بل إن النبي الكريم أشار لهذا الموضوع حينما قال:

((ولو كانت الدنيا تَعْدِلُ عند الله جَناح بعوضة ما سَقى كافراً منها شَرَبة ماءٍ))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن جابر بن عبد الله]

هي حقيرة أي مخلوق حقير، يؤذينا، يلدغنا، ينقل لنا بعض الأمراض، هذه البعوضة التي لا نهتم لها، بعد اكتشاف المجهر الإلكتروني الذي يكبر من ثلاثمئة ألف مرة إلى خمسمئة ألف مرة، وضعت هذه البعوضة تحت المجهر الإلكتروني عندئذٍ الشيء لا يصدق، أولاً وزن هذه البعوضة واحد على ألف من الغرام، أي ألف بعوضة تساوي غراماً واحداً، هذه البعوضة لما وضعت تحت المجهر الإلكتروني تبين أن في رأسها مئة عين، أنا في لقاء في الفضائية السورية عرضت هذه الصور المجهرية، في رأس البعوضة مئة عين، في فمها ثمانية و أربعون سناً، وفي صدرها ثلاثة قلوب، قلب مركزي، وقلب لكل جناح، وفي كل قلب أذينان وبطينان ودسامات، البعوضة تملك جهازاً لا تملكه الطائرات، سماه العلماء جهاز استقبال حراري، هي ترى الأشياء لا بأشكالها ولا بألوانها ولا بأحجامها، لكنها ترى الأشياء

بالحرارة فقط، بحرارتها، إذاً عندها حاسة سادسة، عندها ما يسمى بالأشعة تحت الحمراء، تحس الأشياء بالحرارة، البعوضة تملك جهاز تحليل دم، ما كل دم يناسبها، قد ينام أخوان على سرير واحد تأتي البعوضة تأخذ عينة من الأول وعينة من الثاني، قد لا يعجبها دم الثاني فترجع للأول، فقد ينام أخوان على سرير واحد ويستيقظان، الأول ملئ جلده بلسع البعوض، والثاني لا شيء فيه إطلاقاً.

إذاً معها جهاز تحليل دم، معها جهاز تخدير، فإذا غرزت خرطومها في جلد الإنسان خدرت تخديراً موضعياً، ولا يشعر بلسعتها إطلاقاً، لكن بعد أن تنتهي من امتصاص دمه، وتطير في سماء الغرفة، وينتهي مفعول التخدير، يشعر بألم في يده، يظنها على يده يضربها بكل قوته فإذا هي تضحك عليه في سماء الغرفة، معها جهاز تخدير، جهاز تحليل، جهاز تمييع، لأن دم الإنسان سمج لا يسري في خرطومها، تميع الدم، وتفحص الدم، وتخدر، وتفعل فعلها في الإنسان، البعوضة في خرطومها الدقيق، خرطومها كشعرة فيه ست سكاكين، طبعاً كل هذه الحقائق مأخوذة من المجهر الإلكتروني، الذي يكبر تقريباً أربعمئة ألف مرة، في خرطوم البعوضة ست سكاكين، أربع سكاكين لإحداث جرح مربع، وسكينان تلتئمان على شكل أنبوب لامتصاص الدم، في خرطومها ست سكاكين، في صدرها ثلاثة قلوب، قلب مركزي وقلب لكل جناح، ومعها جهاز تحليل دم، وجهاز تمييع للدم، وجهاز تخدير، وعندها مئة عين في رأسها، ثمانية و أربعون سناً في فمها، وتملك راداراً بأعلى درجة، سوف أقول كلمة صعب أن تصدق: حساسية جهاز الرادار هو حراري واحد على ألف من الدرجة المئوية، نحن نرى ميزان حرارة، يقول لك أحدهم: الحرارة سبع و ثلاثون درجة ونصف، الذي عنده بصر حاد جداً يقول لك: سبع و ثلاثون وثلاثة أرباع الدرجة، أقصى شيء تملكه في الحساسية ربع درجة، أما البعوضة فحساسية جهاز الاستقبال الحراري واحد على ألف من الدرجة المئوية، لو الحرارة تبدلت تشعر بها البعوضة.

هذه البعوضة الحقيرة بأرجلها مخالب إذا وقفت على سطح خشن ومحاجم على الضغط إذا وقفت على سطح أملس، الآن اقرأ الآية الكريمة:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

متى عرفت عظمة هذه البعوضة؟ بعد اكتشاف المجهر الإلكتروني، هذه الآية من آيات الإعجاز في القرآن الكريم، لأنها لفتت النظر إلى مخلوق حقير في حياة الإنسان، لكن مع حقارته يبدو أنه معجز.

الأستاذ حسام:

مع هذا التطور إذا أراد الإنسان أن يجمع هذه الأجهزة، جهاز الرادار، جهاز التحليل، وجهاز التخدير، كم من المساحة يمكن أن يحتاج؟.

التطور العلمي الذي أصاب البشرية تطور انفجاري :

الدكتور راتب:

والله شيء لا ينتهي، الحقيقة هناك تطور علمي كبير جداً، أقول لك أستاذ: التطور العلمي الذي أصاب البشرية من آدم إلى قبل خمسين سنة بكفة، والتطور من قبل خمسين سنة إلى الآن بكفة ثانية، تطور انفجاري، هناك تطور انفجاري، أي شيء عجيب جداً، كلها بعوضة

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

أما ما فوقها فاكتشف أن فوقها كائن حي آخر.

الأستاذ حسام:

وما أجمل أن نستفيد من هذه الاختراعات ومن المجهر الإلكتروني كي نستدل بها على عظمة الله.

الدكتور راتب:

طبعاً، لأنه إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (12 - 30) : آيات الله في الآفاق - قال تعالى (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ...)

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 24-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:

أستاذنا الكريم وردت سورة في القرآن الكريم اسمها سورة النمل، وفيها آية يتحدث بها رب العزة ويقول:

(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ)

[سورة النمل الآية:18]

الله عز وجل أثبت أن للنمل لغة للكلام والمعرفة :

الدكتور راتب:

أثبت الله للنمل من خلال هذه الآية الكلام، وأثبت لها المعرفة،

(قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ)

هذا في القرآن ورد، إذاً النمل يتحدث، لكن بعض البحوث العلمية التي قرأتها تبين أن حديث النمل حديث كيماوي، أي كل أمر أو كل كلمة هي رائحة معينة تصدرها النملة، فحينما تواجه النملة خطراً قد تصدر استغاثة، رائحة معينة، تطلب النملات لمساعدتها، لكن حينما ترى النملة أن هذه المأساة كبيرة جداً، لا تقدر زميلاتها لمقاومتها، تصدر رسالة تحذير ابتعدوا عني، شيء دقيق جداً، فهناك رسالة تعالوا خلصوني، أما إذا كان الأمر أكبر من قدرة أخواتها النملات فتعطيهم نصيحة أن يبتعدوا عنها، فكل رسائل النمل رسائل كيماوية برائحة خاصة، فلذلك النمل أثبت الله لها الكلام، الكلام لكن بطريقة كيماوية وأثبت لها المعرفة.

(لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)

[سورة النمل]

كأنها تعلم أن النبي لا يمكن أن يقتل نملة، لكن قد يقتلها خطأً:

(وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)

فأثبت الله للنمل لغة الكلام والمعرفة.

الأستاذ حسام:

هناك بعض القصص التي وردت في الأثر عن من علقت في ثوبه نملة، فرجع وأعادها إلى مكانها، مجتمع النمل يقولون: إن هذا المجتمع مجتمع معقد، منظم، متناه في الدقة والنظام.

النملة حشرة اجتماعية في أعلى درجات الرقي :

الدكتور راتب:

تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز، الحقيقة النملة حشرة اجتماعية، راقية، موجودة في كل مكان، وفي كل وقت، بل إن أنواع النمل تزيد عن تسعة آلاف نوع، وبعض النمل يحيا حياة مستقرة، في مساكن محكمة، وبعض النمل يحيا حياة الترحال كالبدو تماماً، وبعضه يكسب رزقه بجده وتعبه، وبعضه يكسب رزقه بالغدر، والسيطرة كبعض البشر، والنمل حشرة ذات طبع اجتماعي، فإذا عُزلت عن أخواتها ماتت، ولو تهيأ لها غذاء جيد، ومكان جيد، وظروف جيدة، فهي كالإنسان، إذا عزلته في مكان بعيد عن الضوء، والصوت، والساعة، والزمن، والليل، والنهار، انهار انهياراً كلياً، هي حشرة اجتماعية، تعلم الإنسان درساً بليغاً في التعاون، إذا التقت نملة جائعة بأخرى شبعى، تعطي النملة الشبعى الجائعة خلاصات غذائية من جسمها، ففي جهازها الهضمي جهاز ضخ، وجهاز مص، تضخ الغذاء لأختها الجائعة، وقد تأخذ الغذاء من أختها الشبعى، إذاً النملة حشرة اجتماعية في أعلى درجات الرقي.

طرق معيشة النمل :

العلماء رصدوا طرق معيشة النمل، أدهشهم عملها الجاد والدؤوب في تحسين أرزاقها، والتعاون في توزيع الوظائف فيما بينها، للنمل ملكة كبيرة الحجم مهمتها وضع البيض، وإعطاء التوجيهات، ولها مكان أمين في مساكن النمل، أي لها قصر، وهي على اتصال دائم بكل أفراد المملكة، والإناث العاملات لهن مهمات متنوعة، من هذه المهمات تربية الصغار، وهذا يشبه قطاع التعليم عندنا، وللنمل عساكر لها حجم أكبر ولها رأس صلب، كأن عليه خوذة، وهذا يشبه قطاع الجيش، له دور في حراسة الملكة، وحفظ الأمن، وردّ العدوان، من مهمات العاملات تنظيف المساكن، والممرات، وهذا يشبه قطاع البلديات، ومن مهمات العاملات سحب جثث الموتى من المساكن، ودفنها في الأرض، هذا يشبه مكاتب دفن الموتى، ومن مهمات العاملات جلب الغذاء من خارج المملكة، وهذا يشبه قطاع المستوردين، ومن مهمات العاملات زرع الفطريات، هذا يشبه قطاع الزراعة، ومن مهمات العاملات تربية حشرات

يعيش النحل على رحيقها، هذا يشبه قطاع تربية الماشية، إن في النمل نظاماً دقيقاً في معاشه، فله قائد يوجهه، وله مساكن يعيش بها، وهذا المساكن مقسمة إلى غرف معيشة، والمستودعات لتخزين الطعام، ولها دهاليز معقدة عليها حراسة مشددة على مدار الساعة، ويجتمع في تلك المساكن قرى كاملة كأنها مستعمرات، تصل بينها طرق ومسالك، حيث تهتدي بها إلى الأعلى، النمل يعمل في قراه بموجب انضباط مدهش وصارم للغاية، وبإشراف النمل الذي كبرت رؤوسه وعظمت خراطيمه.

النمل آية من آيات الله الدالة على عظمته :

يبني النمل المدن، يشق الطرقات، يحفر الأنفاق، يخزن الطعام في مخازن وصوامع، وبعض أنواع النمل يقيم الحدائق، ويزرع النباتات، بعض أنواعه يقيم حروباً على قبائل أخرى، قال عز وجل:

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)

[سورة الأنعام الآية:38]

ولعل هذا البحث أدق تفسير لهذه الآية، أمم أمثالنا، نوع من النمل يبني بيوته فوق الأرض من أوراق الأشجار وأغصانها، ويكسو هذا تحت شجرة الصنوبر، وينحت هذه البيوت في الأشجار العتيقة، كما يتخذ الإنسان من الجبال بيوتاً، ومع أن النملة لا تملك الآلات والعدد، إلا أنها تبني أبراجاً في غاية الدقة والإحكام مستعينة بمقص فيه مادة حادة، حيث تمضغ ما تقصه حتى يصبح كالعجين، ولعل ما بناه قدماء المصريين في مساكنهم وأهراماتهم كان تقليداً للنمل، الحقيقة آية من آيات الله الدالة على عظمته، جعلها الله بين أيدينا، وجعل هذا النمل مجتمعاً راقياً جداً، هناك أنظمة، والتزام، وقد نتعلم من النمل أشياء كثيرة جداً.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (13 - 30) : آيات الله في الآفاق - الإعجاز العلمي في السنة النبوية (تزكية الذبيحة).
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 25-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:
نتابع حديثنا عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، نقف اليوم عند توجيه قد وجهه النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه وهو أن يمتنع الذابح عن قطع الرأس، كانوا في عصر النبي لا يعرفون ما معنى هذا، لكنهم يلتزمون تمام الالتزام بتوجيهه عليه الصلاة والسلام.
نهي النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه عن قطع رأس الدابة :
الدكتور راتب:
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والسلام والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
الحقيقة أن مسالخ العالم كلها تعلق الدابة من رجليها، وتقطع رأسها، لكن النبي له توجيه رائع، ولا أحد يعرف حكمته، نهى أصحابه عن قطع رأس الدابة، وأمر أن يبقى رأسها موصولاً بها، لِمَ؟ لا أحد يعلم، لا في حياة النبي ولا بعد موته، ولا بعد مئة عام من وفاته، ولا بعد خمسمئة عام، ولا بعد ألف عام، ولا بعد ألف و أربعمئة عام، و ليس هناك على وجه الأرض مركز علمي يستطيع أن يفسر لماذا وجه النبي أصحابه إلى عدم قطع رأس الدابة، لكن قبل عشرين عاماً تقريباً، ظهرت أبحاثٌ وضحت حكمة النبي من توجيه أصحابه بعدم قطع الرأس، هذا التوجيه يحتاج إلى تمهيد.

الله عز وجل زود الإنسان بآلية معجزة :

بادئ ذي بدء: القلب ينبض ثمانين نبضة بأمر ذاتي، في القلب ثلاثة مراكز كهربائية، مركز أول وثان وثالث، لو تعطل الأول لعمل الثاني، لو تعطل الثاني لعمل الثالث، عندنا مركز كهربائي يعطي أمراً بالنبض الذاتي، القلب لأنه أنبل عضو في الإنسان، وأخطر عضو، وعلى نبضه تتوقف الحياة، لا يخضع القلب للشبكة العامة إن صحّ التعبير عنده مولدة خاصة، عنده مركز كهربائي خاص به، هذا

المركز لو تعطل هناك مركز ثان يقوم محله، لو تعطل الثاني هناك مركز ثالث، هذا المركز الكهربائي مهمته إعطاء أمر بالنبض ثمانين نبضة فقط، لكن الإنسان أحياناً يصعد جبلاً، أو يرتقي درجاً، أو يحمل وزناً ثقيلاً، أو يحتاج إلى أن يعدو هرباً من عدو، فهذه الجهود العالية جداً تحتاج إلى دم كثير، والدم الكثير يحتاج إلى نبض سريع، والنبض السريع لا يكون من القلب، من أين يأتي النبض السريع؟ هنا السؤال، قال: هذا النبض السريع يأتي بآلية بالغة التعقيد، فالإنسان حينما يدرك الخطر، يمشي في بستان رأى ثعباناً مخيفاً، سيهرب منه فرضاً، حينما يدرك الخطر، هذا الخطر يدرك في الدماغ، العين يرتسم على شبكيتها شكل الثعبان، هذه الصورة تنتقل إلى الدماغ، في الدماغ ملف الثعابين، هذا الملف جاء من قصص الجدة، من درس العلوم، من مشاهدة لثعابين في متحف، فمن مشاهدات في متحف، إلى دروس تعلمها في المدرسة، إلى قصص سمعها من جدته، مجموع هذه القصص، وهذه الدروس، وهذه المشاهدات، تشكل ملف بالدماغ اسمه ملف الثعابين، فحينما تنتقل صورة الثعبان من شبكية العين إلى مركز البصر في الدماغ، ملف الثعابين يقرأ الصورة، فإذا قرأ الصورة أدرك الخطر، فالدماغ ملك الجهاز العصبي، إذا أدرك أن هذا الثعبان لدغته قاتلة، ماذا يفعل؟ يعطي أمراً إلى الكظر، أو يعطي أمراً إلى الغدة النخامية، هذه ملكة الغدد، كما أن الدماغ ملك الجهاز العصبي، الغدة النخامية لا يزد وزنها عن نصف غرام، وهي ملكة الغدد الصماء في الجسم، الغدة النخامية مهمتها إدارة الأمور الهرمونية، الغدة النخامية تعطي أمراً للكظر، تلك الغدة التي فوق الكليتين، هذا الكظر يتلقى أمراً من الغدة النخامية، هذا الكظر يأمر بخمسة أوامر، يأمر القلب برفع النبض فيرتفع نبض القلب من ثمانين نبضة إلى مئة و ثمانين نبضة بأمر من الكظر، وبتوجيهٍ من الغدة النخامية التي هي زميلة الدماغ، الأمر الثاني يذهب إلى الرئتين ليزداد الوجيب خمسة أضعاف، فالخائف نبضه عال جداً، وهو يلهث، ورئتاه تتحركان بسرعة بالغة، والأمر الثالث يذهب إلى الأوعية المحيطة بالجلد تضيق لمعتها فيصفر لون الخائف، والأمر الرابع إلى الكبد لإطلاق كمية سكر إضافية، حتى يكون وقوداً لهذه الحركة الاستثنائية، والأمر الخامس يذهب إلى الكبد لإطلاق هرمون التجلط، لو أنه تلقى ضربة سكين، الدم عندئذٍ لا يسيل كله.

الأستاذ حسام:

عندما نقطع الوريد للذبيحة ننتظر قليلاً.

التوجيه النبوي في ذبح الدابة توجيه مذهل ولا يطبق في العالم كله :

الدكتور راتب:

ننتظر، كالإنسان تماماً، الدابة أدركت الخطر فالنبض يرتفع إلى مئة و ثمانين نبضة، لو أن النبض بقي ثمانين نبضة، يخرج من الدابة خمس الدم فقط، لو بقي الرأس موصولاً بالجسم يتلقى القلب الأمر الاستثنائي من الدماغ، يرتفع النبض إلى مئة و ثمانين، عندئذٍ يندفع الدم كله، لذلك هذه هي الحكمة من أن النبي أمر بتزكية الذبيحة، أي أنت حينما تبقي رأسها موصولاً بها استفدت من الأمر الاستثنائي الذي يأتي عن طريق الدماغ إلى القلب برفع النبض، لو قطعت رأسها لا يوجد أمر استثنائي، ينبض القلب ثمانين نبضة، يخرج ربع الدم، ويبقى باقي الدم في الجسم، لذلك لون اللحم الذي ذُبح وفق الطريقة الإسلامية زهري شهي.

أنا لي صديق ذهب ليشتري لحماً من بلاد بعيدة، فلما طالبهم بهذه الطريقة في ذبح الدابة، رفعوا السعر، لماذا؟ قال: لأن هذه الطريقة تخرج الدم كله من الدابة، والدم له وزن وهذا من صالحنا، فلذلك هذا التوجيه النبوي مذهل، ولا يطبق في العالم كله.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (14 - 30) : آيات الله في الآفاق - قال تعالى (نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ...).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 26-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:

في حديثنا عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وردت آية في سورة النحل يقول فيها ربنا تعالى:

(نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ)

[سورة النحل]

ما هو وجه الإعجاز في هذه المادة؟.

الحليب من أدق الآيات الدالة على عظمة الله عز وجل :

الدكتور راتب:

الحقيقة، بارك الله بكم على هذا السؤال، وجه الإعجاز أن الحليب أو اللبن باسمه الأصلي هو من أدق الآيات الدالة على عظمة الله، فهذه البقرة لها غدة ثديية على شكل قبة، هذا الغدة الثديية على شكل قبة مغطاة بشبكة أوعية دموية كثيرة جداً، وكثيفة، والشيء الذي لا يصدق أن أربعمئة حجم من الدم تصنع حجماً واحداً من الحليب، أربعمئة حجم أي أربعمئة لتر من الدم تجري في هذه الشبكة من أجل أن تصنع لتراً واحداً من الحليب، ما الذي يحدث؟ أن الخلية الثديية تأخذ من الدم الذي فوقها حاجتها وتصنع منها الحليب، فتسقط قطرة من الحليب من الغشاء السفلي لهذه الغدة الثديية، هذه القطرات تتجمع في مكان هو الثدي- ثدي البقرة - وهذا الثدي له أربعة مآخذ، كل مأخذ يساوي ربع الكمية بالضبط، لأنه يوجد داخل الثدي جداران متعامدان، لو أن هذه البقرة فرضاً لأربعة أخوة كل واحد لو أخذ من حلمها يأخذ الربع بالتمام والكمال، فالغدة الثديية غدة على شكل قبة، في أعلاها شبكة دماء كثيفة جداً، وفي أسفلها ترشح قطرات الحليب، تتجمع في ثدي البقرة، ومنه يؤخذ الحليب من الفتحات الأربعة في هذا الثدي.

الأستاذ حسام:

مصنع ضخم جداً.

تركيب الحليب :

الدكتور راتب:

أبداً، الذي يلفت النظر أن هذا الحليب يحوي من الماء سبعة و ثمانين إلى واحد و تسعين بالمئة، ويحوي الحليب الدسم، والسكريات، والبروتينات، والمعادن، والفيتامينات، والغازات المنحلة، فهو كالقمح غذاء كامل، فيه غازات منحلة كغاز الفحم، والأوكسجين، والنشادر، والفيتامينات (فيتامين أ، ب، ث، د)، وفيه معادن كالكالسيوم، والفسفور، وفيه بروتينات، الكاثرين، والألبومين، وما شاكل ذلك، فيه سكريات كسكر العنب، ودسم، وماء، هذه معجزة في بنية الحليب، في مكونات الحليب، في المواد الداخلة في الحليب، لأنها في النهاية غذاء كامل للإنسان، لذلك هذا الحليب يخرج من بطون البقر (مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ)، أي الحليب من أين أخذ؟ من المواد التي في الأمعاء، هذا المواد التي في الأمعاء بعضها يذهب كحمض البول كبول، وبعضها فرث الفضلات الصلبة، والحليب مأخوذ (ْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ)، أحدث البحوث العلمية أن هذه الغدة الثديية لها أثر كبير في تصنيع مادة الحليب.

البقرة معمل مذهل صامت :

الحقيقة أن الشيء الذي يدعو إلى العجب، كيف تعمل هذه الخلية؟ تأخذ الخلية الثديية من الجهة الوحشية من شعيرات الدم المواد، والفيتامينات، والمعادن، والبروتينات، والسكريات، والدسم، والماء، تخلطها وتخرج من الداخل الحليب، إذ تنتج البقرة الواحدة تقريباً من ثلاثين إلى أربعين كيلو من الحليب في اليوم الواحد، وقد بلغني أن بعض أنواع البقر الهجين صار يعطي في اليوم أكثر من ستين كيلو من الحليب.

شيء آخر: ثلاثمئة حجم من الدم تصنع حجماً واحداً من الحليب، أي يجب أن نعلم أن لتر الحليب الذي نشربه يقابل أربعمئة لتر من الدم الذي يصنعه، فالحقيقة أن البقرة معمل، معمل مذهل صامت، يأكل الحشيش ويعطي الحليب، هل بإمكان بني البشر، في أي مكان في الأرض أن يأخذ هذا الحشيش الذي تأكله البقرة ليصنع منه حليباً نأخذ منه الجبن، والقشدة، واللبن، وكل مشتقات الحليب، الحقيقة الحليب المادة الغذائية الأولى في حياتنا، والشيء الذي يلفت النظر أننا لا نمله، أي طبخة على مرتين أو ثلاثة تكرهها، أما مشتقات الحليب فنأكلها كل يوم ولا نملها، وهذا من حكمة الله جلّ جلاله.

الأستاذ حسام:

ومن اللافت أيضاً أن قوله عزّ من قائل:

(وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ)

[سورة يس]

تذليل البقر للإنسان من آيات الله الدالة على عظمته :

الدكتور راتب:

الحقيقة أن هذه الكلمة في الآية الكريمة:

(وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ)

لها معان دقيقة جداً وخطيرة، أي هذه البقرة لو لم تكن مذللة، لو كانت كالذئب، لو كانت كالضبع، كيف نأخذ حليبها؟ مستحيل! ترى الناقة على عظم جسمها، يقودها طفل صغير، بينما نحن نخاف من عقرب، العقرب غير مذلل، الأفعى غير مذللة، بينما الجمل الكبير مذلل، هذه الأنعام؛ الغنم، البقر، هذا كله مذلل، فلا تقل نعمة تذليلها عن نعمة تسخيرها، هي مسخرة لكنها مذللة مألوفة، هذه الحيوانات تعيش مع الإنسان، يألفها وتألفه، وفي الحقيقة قد ينشأ بينهم تواصل، الفرس أحياناً تعرف صاحبها، تدافع عنه، وتنبهه للخطر، قد تقوده إلى البيت إذا غفل عن الطريق، فهناك علاقات متينة جداً بين هذه المخلوقات التي خلقها الله لمنفعتنا وبين علاقتها بنا.

الله قال:

(وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ)

لو لم تذلل، أنا أذكر أن في أطراف المدينة في ريف دمشق الشرقي بقرة توحشت، قتلت أول رجل، وثاني رجل، فاضطر صاحبها أن يقتلها بالرصاص، وهذا الذي جرى في بريطانيا من جنون البقر حينما أطعموا البقر مسحوق اللحم، مع أن غذاءه الذي خلقه الله له النبات فقط، فلما غيروا خلق الله وأطعموا البقر طحين اللحم جنّ البقر، فلما جنّ البقر اضطر الإنسان أن يحرق ثلاثين مليون بقرة، ثمنها ثلاثة وثلاثون مليار جنيه إسترليني فأنا أقول دائماً: جنون البقر من جنون البشر.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (15 - 30) : آيات الله في الآفاق - السمكة الطبيبة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 27-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام:

يقال: إن هناك سمكة في البحار يسمونها السمكة الطبيبة، ما سرّ هذه السمكة؟

سرّ السمكة الطبيبة :

الدكتور راتب:

بارك الله بك على هذا السؤال، كان أحد علماء البحار يركب غواصة للأبحاث العلمية تحت سطح البحر، لفت نظره سمكة كبيرة خرجت من سربها واتجهت إلى سمكة صغيرة، فتصور هذا العالم كما هي العادة أن هذه السمكة الكبيرة توجهت إلى السمكة الصغيرة لتأكلها، ولكنه وجد أنها وقفت إلى جانبها، وبدأت السمكة الصغيرة تأكل من حراشف الكبيرة، سجل هذه الظاهرة عنده، وبعد عشرة أعوام تقريباً اكتشفت حقيقة رائعة، هي أن هذه السمكة الصغيرة متخصصة في علاج أمراض الأسماك الكبيرة، وكأن عهداً وميثاقاً غير مكتوب بين الأسماك يقرر أن هذه السمكة الصغيرة المتخصصة في مداواة أمراض السمك الخارجية لا ينبغي أن تؤكل، كيف أن مركبات الإسعاف الآن عليها هلال أحمر في سقفها كي لا تقصفها الطائرات، هذه السيارات تقوم بمهمات إنسانية، كذلك هذه السمكة الطبيبة لا أحد يأكلها، وكأنها ميثاق معقود بين كل أنواع السمك أنها تقوم بمهمة، لن أقول إنسانية، سمكية، بمهمة سمكية راقية، لذلك لا تؤكل.

السمكة الطبيبة معها ميثاق مغلظ من كل أنواع السمك أنها لا تؤكل :

لذلك أجريت بحوث كثيرة وتتبع العلماء مواطن هذا السمك، الذي أعطوه اسماً خاصاً، سموا هذه السمكة السمكة الطبيبة، هذا السمك جعل الله غذاءه هذا التقرحات، والإنتانات، والطفيليات، والفطريات التي تتوضع على حراشف الأسماك الكبيرة، غذاؤه المفضل هذه التقرحات، والإنتانات، والطفيليات،

والفطريات التي تتوضع على حراشف السمك الكبير، فالأسماك الكبيرة تتجه إليها لتعالجها من أمراضها، وكأن هناك عرفاً أن هذا السمك لا يؤكل، وكأن هناك امتناناً لهذه الأسماك الصغيرة التي تنظف القروح، والإنتانات، والطفيليات، والتقرحات على حراشف الأسماك الكبيرة.

بل إن بعض الحالات الغريبة التي سجلت وصورت أن سمكة كبيرة كانت تشكو قرحة في فمها، فإذا بها قد فتحت فمها، ودخلت السمكة الممرضة الطبيبة آمنة مطمئنة لتعالج هذه القروح، في الوقت نفسه السمكة التي تُعالج هاجمتها سمكة أكبر منها من أجل أن تأكلها، فما كان من هذه السمكة التي دخلت إلى فم السمكة الأكبر كي تأكلها إلا أنها أخرجت من فمها السمكة التي تمرضها، وولت هاربة، أي هذا السمك الذي يعالج التقرحات والإنتانات والفطريات التي تتوضع على حراشف الأسماك الكبيرة هذه السمكة معها ميثاق مغلظ من كل أنواع السمك أنها لا تؤكل.

هذا هو العرف، وهذا هو العقد، وهذا هو الميثاق، وهذا القانون المتبع في كل أنحاء البحار في العالم، إن هذه السمكة خلقها الله مزودة بمنقار دقيق دقيق يصل إلى أدق الثنايا، وإن جهازها الهضمي يتقبل الفطريات، والتقرحات، والإنتانات وما شاكل ذلك، وهو غذاء لها، وإن هذه الأسماك الكبيرة تتجه إليها حينما تشكو من التقرحات بسبب ما يحدث بين أسماك من احتكاك.

السمك مجتمع متحضر ليس عنده تزاحم ولا تدافع ولا سباب :

الشيء الذي يلفت النظر أنه إذا كثرت هذه الأسماك أمام السمك الصغيرة -هنا الشاهد- تصف بعضها وراء بعض، وكأنها مجتمع متحضر، ليس هناك تزاحم، ولا تدافع، ولا سباب، تقف هذه الأسماك الكبيرة بعضها وراء بعض، تنتظر دورها في المعالجة، وقد تستغرق هذه المعالجة دقيقة أو أكثر.

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)

[سورة لقمان الآية:11]

مليون نوع من السمك، من أعلمهم جميعاً أن هذه السمكة لا تؤكل، هذه طبيبة ينبغي ألا يعتدي عليها، إنها تقوم بمهمة سمكية نبيلة، من أعلمها ذلك؟ هل هذه الأسماك عاقلة؟ قال تعالى:

(قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)

[سورة طه]

الأستاذ حسام:

أستاذي في حلقة اليوم سنكتفي بالحديث عن آيات الله في الآفاق، وغداً إن شاء الله سنبدأ بالحديث عن آيات الله في الإنسان.

إنهاء آيات الله في الآفاق :

الدكتور راتب:

إن شاء الله كما خطط لهذه اللقاءات الطيبة أن يكون نصفها متعلقة بآيات الله في الآفاق، وأن يكون نصفها الآخر متعلقاً بآيات الله في الإنسان، منطلقين بقوله تعالى:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

[سورة فصلت الآية:53]

فنحن أنهينا اليوم بفضل الله الحلقات التي تتحدث عن آيات الله في الآفاق، وإن شاء الله غداً نبدأ بسلسلة أخرى من هذه الحلقات التي تتحدث عن آيات الله في الإنسان.

الأستاذ حسام:

بماذا نختم هذه الحلقة، هذا القسم؟.

التفكر في خلق السماوات و الأرض يعرفنا بالله عز وجل :

الدكتور راتب:

هذه الآيات التي بثها الله لنا من أجل أن نعرفه، فإذا عرفنا الله عرفنا كل شيء وإذا غفلنا عن الله فاتنا كل شيء، فلذلك الله عز وجل ينبغي أن نعرفه، كيف نعرفه؟.

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ)

[سورة الأنعام الآية: 103]

فنحن إذا تفكرنا في خلق السماوات والأرض عرفنا الله، قال بعض العلماء: من أعجب العجب أن تعرفه ثم لا تحبه، ومن أعجب العجب أن تحبه ثم لا تطيعه، إذا تفكرنا في خلق السماوات والأرض عرفناه، إذا عرفناه أحببناه، إذا أحببناه أطعناه، إذا أطعناه سلمنا وسعدنا في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (16 - 30) : آيات الله في النفس – قال تعالى :(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ...)
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :

كنا قد تحدثنا في الحلقات السابقة عن آيات الله في الآفاق، وقد شئنا أن نأخذ الحلقات الأولى و القسم الأول من هذا البرنامج لنسير وفق الآية الكريمة:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)

[سورة فصلت الآية : 53]

وصلنا إلى القسم الثاني من هذا البرنامج آيات الله في الإنسان، أستاذ راتب هناك في حياة كل منا آيات معجزة، ومنها الجسم البشري الذي نحيا به، نبدأ في إعجاز الخالق في هذا الجسم.

جسم الإنسان أكبر آية دالة على عظمة الله :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، أستاذ حسام جزاك الله خيراً.

بادئ ذي بدء: جسم الإنسان أكبر آية دالة على عظمة الله، وأقرب شيء إلى الإنسان، فحينما قال الله عز وجل في أول آية في أول سورة من كتاب الله:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)

[سورة العلق: 1-2]

فبدأ بآية هي أقرب آية إليك، جسمك الذي بين جنبيك، فهذا الجسم عالم قائم بذاته:

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر؟

***

لكن المشكلة أن الإنسان في زحمة الحياة، وفي انشغاله بالضروريات، وفي سعيه وراء كسب الرزق، يغفل عن حقيقة جسمه، فجسمه يعد أكبر آية دالة على عظمة الله، وعلى وجوده، وعلى وحدانيته، وعلى

كماله.

مثلاً، في رأس الإنسان ثلاثمئة ألف شعرة، لكل شعرة وريد، وشريان، وعضلة، وعصب، وغدة دهنية، وغدة صبغية، هذا الشعر حكمة بالغة ليس فيه أعصاب حس، ولو كان في الشعر أعصاب حس، كأي مكان في جسم الإنسان، لاحتاج إلى عملية في المستشفى اسمها عملية الحلاقة، لكن هذا الشعر الذي ينبغي أن يهذب ليس فيه أعصاب حس إطلاقاً، فيه أعصاب تحريك، إذاً لو دققنا في الحكم الرائعة الذي خلق الله أجسامنا عليها يتبدى بشكل صارخ وروائع عظمة الله عز وجل، هذه العظمة تتبدى في خلقنا، لذلك قالوا: كمال الخلق يدل على كمال التصرف، أنت حينما تعلم أن هناك علماً لا متناهياً وحكمة لا متناهية في خلق الإنسان تخشع لله.

أصل الدين معرفة الله عز وجل :

أنا الذي أتمنى أن يكون واضحاً في هذا اللقاء الطيب، لماذا اخترنا هذه الموضوعات؟ لأنك حينما ترى هذه الموضوعات الدقيقة جداً في خلق الإنسان، تقف وجهاً لوجه أمام عظمة الله، وحينما تقف وجهاً لوجه أمام عظمة الله هذا أكبر عامل يحملك على طاعته، لأنك إذا عرفت الخالق أقبلت عليه، المشكلة الكبرى في الدين أن أصل الدين معرفة الله، والله عز وجل لا تدركه الأبصار كيف نعرفه؟

(قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً)

[سورة الأعراف الآية : 143]

مستحيل أن يرى الإنسان ربه في الدنيا، لكن الآثار الصحيحة عن النبي عليه الصلاة والسلام تؤكد أن المؤمن يرى ربه في الجنة، يراه تماماً لكن في الدنيا مستحيل، لكن نراه من خلال آثاره، فالأثر يدل على المؤثر، والخلق يدل على الخالق، والتسيير يدل على المسير، والتربية تدل على المربي، فكل هذا الكون هو في الحقيقة مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى، فإذا تفكرنا في خلق السماوات والأرض معنى ذلك وقفنا وجهاً لوجه أمام عظمة الله عز وجل، بل إن التفكر في خلق السماوات والأرض يعد أقصر طريق إلى الله و أوسع باب ندخل منه على الله، لكن الإنسان حينما يغفل عن الله بجسمه آيات لو تأمل بها لخر ساجداً لله، لكنه في غفلة، لذلك أكبر مرض يصيب الإنسان مرض الغفلة عن الله:

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر؟

***

التفكر في خلق السماوات والأرض أقصر طريق إلى الله :

شعر الإنسان، ثلاثمئة ألف شعرة، لكل شعرة وريد، وشريان، وعضلة، وعصب، وغدة دهنية، وغدة صبغية، وليس فيها أعصاب حس، كما أن في الأظافر لا يوجد أعصاب حس، من أجل أن نكون متجملين نأخذ من شعرنا ومن أظافرنا، أنت تشعر أن وراء هذا الخلق حكمة، رحمة، علم، شيء يلفت النظر، لذلك الذي لا يفكر في خلق السماوات والأرض أنى له أن يعرف الله، بل إن الله عز وجل يقول:

(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآَيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ)

[سورة الجاثية: 6]

الأستاذ حسام :

سيدي الكريم هناك جانب صغير في الآية الكريمة التي تقول:

(كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر: 28]

عموم الناس ممكن أن يحسب أن العالم فقط هو عالم الدين، لكن هنا نقطة ألا أسمى أنا عالماً بجسم الإنسان إذا تعلمت عن هذا الجسم شيئاً؟

المطلق في القرآن على إطلاقه :

الدكتور راتب :

أولاً: هناك قاعدة أصولية في القرآن الكريم وهي أن المطلق على إطلاقه، إذا قال الله عز وجل:

(كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر: 28]

كلمة علماء مطلقة ليست محددة بعلم معين، فإذا جاءت الكلمة بالقرآن مطلقة أنا لا أستطيع أن أقيدها، المطلق في القرآن على إطلاقه، وإذا قال الله عز وجل:

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

[سورة الزمر الآية: 9]

مطلق العلم، المطلق في القرآن الكريم على إطلاقه، فأي نوع من العلم يمكن أن يكون طريقاً إلى الله، لذلك: إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (17 - 30) : آيات الله في الإنسان – قال تعالى:
(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ).
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :
أستاذي الكريم نتابع الحديث عن خلق الإنسان في أحسن تقويم، قال تعالى:

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

[سورة التين: 4]

ووجه الإعجاز في هذا الخلق.

العين من آيات الله الدالة على عظمته :

الدكتور راتب :
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، أستاذ حسام حينما قال الله عز وجل:

(أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ)

[سورة البلد: 8]

هذه العين فيها شبكية، الشبكية مساحتها مليمتر وثلث، فيها مئة وثلاثون مليون مستقبل ضوئي، بينما أحدث آلة تصوير رقمية احترافية ثمنها ملايين، فيها بالميليمترالمربع عشرة آلاف مستقبل ضوئي، بينما في العين بالميليمتر المربع من شبكية العين مئة مليون مستقبل ضوئي، من أجل أن تكون الرؤية بالغة الدقة، فعين الإنسان تفرق بين ثمانية ملايين لون، ولو درجنا اللون ثمانمئة ألف درجة لاستطاعت العين السليمة أن تفرق بين درجتين، بل بأدق من ذلك لو أخذنا اللون الأخضر مثلاً ودرجناه ثمانمئة ألف درجة، العين البشرية السليمة تفرق بين درجتين، رؤية العين شيء مذهل.
لكن هناك أشياء دقيقة في العين، أنك ترى الشيء بحجمه الحقيقي، تقف أمام جبل تراه بحجمه، تقف أمام إنسان تراه بحجمه، بينما آلات التصوير تعطيك واحد بالمئة من حجم الشيء، أما العين البشرية تريك الشيء بحجمه، هذه الشبكية فيها عشر طبقات وفي الطبقات كلها مئة وثلاثون مليون مستقبل

ضوئي.

شيء آخر: هذه العين فيها عدسة هذه العدسة شفافة شفافية تامة، ما الذي جعلها شفافة مع أن كل جسم بجسم الإنسان يتغذى بالشعريات؟ فلو غذيت الطبقة الأولى بالشعريات لكانت رؤيتنا من وراء شبكة أوعية، لذلك تنفرد العين بأن الخلية الأولى بالطبقة الشفافة تأخذ غذاءها وغذاء جارتها وتعطي جارتها غذاءها عن طريق الغشاء الخلوي الحلول، فمن صمم لهذه العين هذه الشفافية المطلقة؟ إنه الله عز وجل.

غض البصر من سمات المؤمن :

والله أستاذ حسام لو وقفنا في العين سنوات وسنوات لا ننتهي من دقة خلقها، وقد قال الله عز وجل:

(أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ)

[سورة البلد: 8]

فكيف بالإنسان حينما يعصي الله بعينيه، لذلك قال تعالى:

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)

[سورة النور: 30]

أي غض البصر من سمات المؤمن أي ألا ينظر إلى عورات الآخرين، أن يرى بهذه العين آيات الله الدالة على عظمته.

عملية المطابقة أكبر آية دالة على عظمة الله :

لكن هناك شيء دقيق أيضاً أن هذه العدسة في العين مرنة، فنحن كما نعلم بالفيزياء لو جئنا بعدسة وجئنا بشمعة وضعناها أمام العدسة الآن نبحث عن المحرق، المحرق نأتي بقطعة ورق مقوى نضعها وراء العدسة في مكان صغير بالمليمترات يظهر خيال الشمعة بشكل واضح جداً على هذا المكان، اسمه محرق العدسة، نحن هنا حركناه بيدنا، محرق عدسة العين ثابت –الشبكية- فكيف يظهر الشيء؟ بشكل دقيق جداً دائماً، أعتقد هذه أكبر عملية معقدة بالإنسان، هناك عضلات هدبية تقف على طرفي العدسة فإذا كان الجسم بعيداً تضغط هذه العضلات على العدسة حتى يزيد احتدابها فيأتي الخيال على الشبكية، وإذا كان قريباً تشدها نحو الأعلى، فيقل احتدابها فيأتي الخيال على الشبكية، من الذي يحسب الأمتار والمسافات؟ من الذي يحدد هذا الضغط؟ عملية المطابقة هذه أنا أراها من أعقد ما في الإنسان، وهي أكبر آية دالة على عظمة الله عز وجل، فإذا قال الله عز وجل:

(أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ)

[سورة البلد: 8]

ينبغي أن يقشعر جسم الإنسان تواضعاً لله وخشية منه لهذه الآية.

التفكر طريق الإنسان للوصول إلى الله عز وجل :

من منا يصدق أن العصب البصري مؤلف من تسعمئة ألف عصب، العصب البصري لو أمسكنا جمجمة نرى في قعر المحجر ثقب، من هذا الثقب يمر العصب البصري، العين وحدها تعد من أكبر الآيات الدالة على عظمة الله، بالمناسبة لقد ورد في القرآن الكريم ما يزيد عن ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون والإنسان، فلو قرأنا آية الأمر ينبغي أن نأتمر، آية النهي ينبغي أن ننتهي، آية وصف الجنة ينبغي أن نسعى إليها، آية وصف النار ينبغي أن نفر منها، آية فيها قصة أمم سابقة أهلكها الله ينبغي أن نتعظ، ما من آية في كتاب الله إلا ينبغي أن يكون لك منها موقف، فإذا كنت أمام ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون والإنسان ما موقف الإنسان منها؟ إنه التفكر، لذلك قال تعالى وهذه الآية أصل في الموضوع:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران: 190-191]

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (18 - 30) : آيات الله في النفس – قال تعالى:
(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 30-09-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :

ما زلنا في ظلال الآية الكريمة في سورة التين:

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

[سورة التين: 4]

هذه آية عظيمة، يمكن أن نحتاج إلى أيام وساعات كثيرة للحديث عنها، نتابع الحديث الذي بدأناه في الحلقة السابقة.

الإنسان مكرم ومن دلائل تكريمه أن الله جهزه بآليات بالغة الدقة في مواجهة الأخطار :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين.

أستاذ حسام، الإنسان مكرم ومن دلائل تكريمه أن الله جهزه بآليات بالغة الدقة، بالغة الإعجاز، في مواجهة الأخطار، أنا أتصور إنساناً يمشي في بستان رأى ثعباناً، ما الذي يحصل في آلية جسمه؟

أولاً: ينطبع شكل الثعبان على الشبكية، في الشبكية مئة وثلاثون مليون عصية لاستقبال الصورة بأدق أدق تفاصيلها، فحينما يرى ثعباناً في بستان، صورة الثعبان تنطبع على شبكية العين إحساساً لا إدراكاً، في الشبكية ليس هناك ملف الثعبان كي يعرف ما الذي رأى، الصورة تنتقل إلى مركز البصر في الدماغ، في الدماغ مئة وأربعون مليار خلية لم تعرف وظيفتها بعد، خلايا استنادية، وعلى القشرة أربعة عشر مليار خلية، فيها كل نشاطات الإنسان من تفكر، من استنتاج، من استقراء، من تخيل، من تصور، هذه النشاطات الفكرية العالية موجودة في قشرة الدماغ، بل إن في مقدمة الدماغ مكان اتخاذ القرار، قال تعالى:

(لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ* نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ)

[سورة العلق: 15-16]

إذا اتخذ قراراً سيئاً في العدوان على أخيه الإنسان، يتخذه في مقدمة الدماغ، ففي الدماغ مئة وأربعون مليار خلية لم تعرف وظيفتها بعد، أوربعة عشر مليار خلية قشرية، فهذه الصورة التي انطبعت على شبكية العين تنتقل إلى مركز الرؤية في الدماغ، ملف الثعابين، ما معنى ملف الثعابين؟ أي هذا الطفل حينما كان صغيراً سمع من جدته بعض القصص عن رؤية ثعابين في البيت مثلاً، دخل المدرسة في مادة العلوم قسم الطبيعيات هناك قسم الحيوانات و فيه درس عن الثعابين فقرأ بعض المعلومات، دخل إلى متحف حيواني رأى ثعباناً محنطة، مشاهداته، ومسموعاته، ومعلوماته عن الثعابين، مجموعة في ملف اسمه ملف الثعابين، هذا الملف في مركز الرؤية في الدماغ، فإذا رأى الإنسان ثعباناً بحسب هذا الملف يدرك الخطر.

الأستاذ حسام :

ويمكن أن يكون قد رآها بشكل عفوي ولم يقصد أن يحفظ هذه المعلومة.

الإنسان من أعقد الآلات في الكون تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز :

الدكتور راتب :

الآن الدماغ ملك الجهاز العصبي إلى جانبه ملكة ناعمة لا يزيد وزنها عن نصف غرام، هي ملكة الجهاز الهرموني، في الإنسان جهاز عصبي رأسه الدماغ، وآلية أوامره كهربائية، وعندنا جهاز هرموني رأسه الغدة النخامية، وآلية أوامرها أوامر هرمونية، فالدماغ يلتمس من زميلته الملكة الغدة النخامية أن تواجه الخطر، هذه الملكة تقوم بأعمال لو اختل بعضها لأصبحت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق، من هذه الأعمال أن هذه الغدة النخامية ترسل أمراً إلى غدة فوق الكلية اسمها الكظر، ماذا يفعل الكظر؟ الكظر يرسل أمراً إلى القلب، يرتفع النبض من ثمانين إلى مئة و ثمانين نبضة، الخائف لو قست نبضه لوجدته مئة و ثمانين، السبب أن الجسم عند الخطر بحاجة إلى جهد، والجهد بحاجة إلى وقود، والوقود هو الدم، فإذا أسرع القلب في نبضه هيأ كميات دم كبيرة جداً للعضلات، إذاً أول أمر يرسله الكظر إلى القلب لرفع النبض إلى مئة و ثمانين نبضة، الأمر الثاني يرسل أمراً إلى الرئتين ليرتفع وجيبهما، كي يتناسب هذا الوجيب السريع مع نبض القلب السريع، هناك علاقة بين الرئتين وبين القلب، الرئتان تنقيان الدم من غاز ثاني أكسيد الكربون، الكظر يصدر أمراً ثالثاً إلى الأوعية الدموية المحيطة لتضيق لمعتها، كل إنسان لونه أبيض تجد جسمه أزهراً من أين جاء هذا اللون الجميل؟ من لون الدم، تضيق لمعة الأوعية توفيراً للدم فإذا ضاقت لمعة هذه الأوعية الخائف يصفر لونه، الأمر الرابع إلى الكبد ليطلق هرمون التجلط، فلو كان الإنسان في شدة بالغة وأصابته ضربة سكين لسال دمه

كله ومات، يأتي أمر رابع من الكبد إلى الدم لإطلاق هرمون التجلط، وأمر خامس يدخل لإطلاق كمية سكر إضافية إلى الدم حتى يواجه الخطر، هذا كله يتم بثوان من انطباع الصورة على شبكية العين ثم انتقالها إلى الدماغ و إدراك الصورة في الدماغ في ضوء ملف الثعابين، ثم يزداد نبض قلبه، ووجيب رئتيه، ويصفر لونه، ويزداد السكر في دمه، ويصبح دمه لزجاً، لذلك:

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر؟

***

أتمنى أن يكون هذا واضحاً لدى أخوتنا الكرام، أنك من أعقد الآلات في الكون، تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (19 - 30) : آيات الله في الإنسان - قال تعالى:
(فِي أيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ).
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-10-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :

نتابع الحديث عن آيات الله في الإنسان، واليوم سوف نتناول الآية التي وردت في سورة الانفطار:

(فِي أيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)

[سورة الانفطار: 8]

ما المقصود من هذه الآية؟

الله عز وجل واجب الوجود وما سواه ممكن الوجود :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

أستاذ حسام، الله عز وجل واجب الوجود، لكن ما سواه ممكن الوجود، معنى ممكن أن يوجد أو ألا يوجد، والمعنى الثاني ممكن أن يوجد على ما هو موجود، أو على خلاف ما هو موجود، فالله عز وجل خلق الإنسان بحاجة إلى الطعام، ولولا هذه الحاجة ما رأيت شيئاً على وجه الأرض، لا جامعات، ولا معامل، ولا مؤسسات، ولا طرق، ولا جسور، الإنسان يجوع يحب أن يأكل، يعمل من أجل أن يأتي بثمن الطعام، بل إن الله عز وجل حينما وصف بشرية الأنبياء قال:

(لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ)

[سورة الفرقان: 20]

هم مفتقرون في وجودهم إلى تناول الطعام، ومفتقرون إلى ثمن الطعام بالمشي في الأسواق:

(لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ)

[سورة الفرقان: 20]

كان من الممكن ألا تأكل إطلاقاً، من الممكن ألا تتنفس، فكل هذا ممكن، الله عز وجل واجب الوجود وما سواه ممكن الوجود، ممكن أن يوجد أو ألا يوجد، وممكن أن يوجد على ما هو موجود أو على خلاف ما هو موجود، لذلك الله عز وجل أشار إلى هذا الموضوع كثيراً في القرآن الكريم.

الشهوة حيادية فهي سلم نرقى بها أو دركات نهوي بها :

لكن الله عز وجل اختار للإنسان خصائص جسمية؛ يأكل، ويشرب، وهو بحاجة إلى الطرف الآخر، الإنسان عنده ثلاثة دوافع كبيرة، حاجته إلى الطعام والشراب حفاظاً على بقاء الفرد، وحاجته إلى الزواج حفاظاً على بقاء النوع، وحاجته للتفوق حفاظاً على بقاء الذكر، هذه الحاجات الثلاثة تعد أكبر دوافع له في حركته بالحياة، فالإنسان كائن متحرك وليس كائناً سكونياً، هذه الكأس كائن سكوني لو تركته مئة عام على الطاولة لا يتغير، فالإنسان فيه شهوات أودعت فيه الشهوات ليرقى بها إلى رب الأرض والسماوات، أخوة كثر يتوهمون أن الشهوات سبب المعاصي، لا أبداً، ما أودع فينا هذه الشهوات إلا لنرقى بها إلى رب الأرض والسماوات، لولا أنك تشتهي ما ارتقيت إلى الله عز وجل، تشتهي شيئاً إن أخذته من الجانب الشرعي ترقى إلى الله شاكراً، إن تركت أخذه من جانب غير شرعي ترقى إلى الله صابراً، فأنت بهذه الشهوة ترقى مرتين مرة شاكراً ومرة صابراً، لولا هذه الشهوة كيف ترقى إلى الله؟ كيف تعبر عن حبك لله؟ كيف تتقرب إلى الله؟ إذاً ما أودع الله فينا الشهوات إلا لنرقى بها صابرين وشاكرين إلى رب الأرض والسماوات، إذاً الشهوة نفسها يمكن أن تكون دركات نهوي بها، أو سلماً نرقى بها، و الشهوة حيادية، مثلاً شهوة المرأة؛ التقيت مرة بعالم كبير قال لي: عندي ثمانية وثلاثون حفيداً، معظمهم من حفّاظ القرآن الكريم، وأطباء، أنا تصورت أن هذا العالم تزوج امرأة أنجب أولاداً، والأولاد جلبوا له الكنائن، والبنات جلبوا له الأصهار، الصف الثاني أولاده وزوجاتهم، وبناته وأزواجهن، الصف الثاني أنجب ثمانية وثلاثين حفيداً، هذا الهرم المبارك بالتعبير البيولوجي ما سببه؟ علاقة جنسية، في أي مكان فيه انحراف أخلاقي قد تتم علاقة جنسية، لكن هذه العلاقة شكلت هذا الهرم المبارك، وتلك العلاقة شكلت سقوطاً من عين الله، فالشهوة حيادية، سلم نرقى بها، أو دركات نهوي بها، وما أودع الله فينا الشهوات إلا لنرقى بها إلى رب الأرض والسماوات، بل إن الشهوة وحدها سبيلنا إلى التقرب إلى الله عز وجل، قال تعالى:

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

[سورة آل عمران: 14]

خلق الإنسان يتماشى مع الفطر السليمة :

أنا حينما أفهم أن الشهوة التي أودعها الله فيّ طريقي إلى الله، بل إن الله أرادني من هذه الشهوة أن أسمو إليه بها، وأتقرب إليه بها، عندئذ تختلف نظرتي اختلافاً كلياً، فحينما أودع فيّ حبّ الطعام والشراب، وحب الطرف الآخر كي أؤسس أسرة، وحب التفوق في الأرض كي يكون لي بطولة، هذه كلها حاجات حيادية يمكن أن تكون سلماً ترقى بها أو دركات تهوي بها، إذاً قضية الإنسان فيما أودع فيه من شهوات قضية دقيقة جداً، بل إنه ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، ما معنى هذا؟ معنى هذا ليس في حياة الإنسان حرمان بل هناك تنظيم، العلاقة بالمرأة أساسها الزواج، لا يوجد علاقة خارج نطاق الزواج في الإسلام، هذه علاقة محرمة، الزوجة تنجب أولاداً، الأولاد لهم أب ولهم أم، والأسر حينما تعتبر نظام الأسرة في المجتمع، المجتمع يرقى، قوة المجتمع من قوة أسره، فلذلك الأنظمة السماوية، التشريعات السماوية، هذه كلها تدعم الأسرة، والأنظمة الوضعية المتفلتة هذه تلغي وجود الأسرة، بل إن بعض المؤتمرات كمؤتمر السكان يرى أن الأسرة قد تكون بين شخصين، وقد يكونا رجلين، وقد يكونا امرأتين، أو رجل وامرأة، الأنظمة الوضعية تبتعد عن المنهج الإلهي القويم الذي جعله الله نبراساً لهذا الإنسان من أجل سلامته وسعادته، إذاً خلق الإنسان يتماشى مع هذه الفطرة السليمة، إذاً أنا حينما أرى أن الإنسان بحاجة إلى أن يأكل ويشرب، إذاً كل هذا الذي تراه على وجه الأرض من معامل ومؤسسات، من حقول مزروعة، من أبنية شاهقة، من جسور، من طرقات، من جامعات، من مدارس، من معامل، هذه كلها بسبب أن الإنسان بحاجة إلى أن يأكل ويشرب، الآن كم مؤسسة في العالم من أجل الزواج بحاجة إلى امرأة، والمرأة بحاجة إلى رجل، ثم بحاجة إلى التفوق.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (20 - 30) : آيات الله في الإنسان - قال تعالى: (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-10-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :

يقولون أستاذ راتب إن للإنسان جهازاً تقويماً مناعياً، يسمى جهاز المناعة المكتسب، كيف ننظر إلى هذا الجهاز وإعجاز الله في هذا الجهاز؟ وقد أمرنا الله عز وجل:

(وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات: 21]

جهاز المناعة أعقد جهاز في الإنسان :

الدكتور راتب :

بارك الله بكم على هذا السؤال، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، هذا الجهاز يعد أعقد جهاز في الإنسان، فنحن في دمنا كريات حمراء لها وظائف، نعالجها في لقاء آخر، وهناك كريات بيضاء، الكريات البيضاء جيش بكل ما في هذه الكلمة من معنى، جيش فيه خمس فرق، فرقة الاستطلاع، فرقة المعلومات أخطر فرقة في الجيش، هذه الفرقة هي كريات بيضاء، إذا دخل عدو إلى جسم الإنسان أقصد بالعدو جرثوم، تتجه إليه، وتأخذ شيفرته الكيماوية، وتنقلها إلى معامل السلاح العقد اللمفاوية، مهمة هذه الكريات استخبارية فقط، تأخذ الشيفرة الكيماوية لهذا الجرثوم وتبلغها لمعامل السلاح في العقد اللمفاوية في الجسم.

الآن عندنا نوع آخر من هذه الكريات، المصنعة للسلاح، مهمتها تصنيع المصل المضاد لهذا الجرثوم، في ضوء بنيته، وخصائصه، وشيفرته الكيماوية تصنع هذا السلاح، الشيء الذي لا ينسى أن هذا الجهاز عنده ذاكرة تمتد مع حياة الإنسان، فلو صنع هذا المصل المضاد لهذا الجرثوم في السنة العاشرة من عمر الطفل وجاءه هذا الجرثوم في السنة السبعين من حياته المصل جاهز، ذاكرة هذا الجهاز مذهلة، ما من داع لأن يصنع مرة ثانية، المصل المضاد صنع قبل أربعين سنة أو خمسين سنة جاهز، إذاً يتمتع هذا الجهاز بذاكرة مذهلة ولولا هذه الذاكرة لا معنى إطلاقاً للتلقيح في حياة البشر، ما هو التلقيح؟ تعطي

الإنسان جرثوم المرض المعين بشكل مخفف، فالجسم يصنع مصلاً مضاداً لهذا الجرثوم المخفف ويحفظه، فأي دخول لهذا الجرثوم في حياة الإنسان السلاح جاهز، هذه الكريات البيضاء رقم اثنين تصنع السلاح.

عندنا كريات بيضاء خدمات، مثلاً تمت معركة تنظيف أرض المعركة من الجثث، من الآليات المعطلة، هذه كلها مهمة الخدمات في الجيش، عندنا كريات بيضاء تلتقط بواقي المعركة وتلتهمها وتنظف أرض المعركة، لكن أكبر فرقة عندنا فرقة المقاتلين، فإذا دخل جرثوم فرقة المقاتلين الكريات البيضاء أيضاً تذهب إلى معامل السلاح وتحمل السلاح المناسب لهذا الجرثوم وتقاتله حتى تقضي عليه، أحياناً يكون باليد حبة بيضاء فيها مصل شفاف أو غير شفاف، هذه الحبة البيضاء هي نتيجة معركة تمت بين الجراثيم وبين الكريات البيضاء.

الشدة النفسية وراء معظم الأمراض :

عندنا كريات بيضاء استطلاعية، كريات بيضاء من أجل تصنيع السلاح، كريات بيضاء من أجل الخدمات، كريات بيضاء من أجل المعركة بين الجرثوم وبين الجسم، لكن في عام سبعة وتسعين اكتشف كريات بيضاء متميزة جداً هذه ممكن أن نسيمها المغاوير، أو سلاح الكوماندوس باللغة الأجنبية، هذه المغاوير عندها مهمات استثنائية، هذه تستطيع أن تكتشف الخلايا السرطانية في الإنسان في وقت مبكر جداً وتلتهمها، والحقيقة الثابتة أن في الإنسان مليارات الخلايا السرطانية، لكن هذه الخلية السرطانية عليها قامع، هذا القامع يمنع فعاليتها، كل إنسان ولو كان سليماً معه ملايين الخلايا السرطانية، وعلى كل خلية قامع، هذا القامع ما الذي يفكه؟ الشدة النفسية، الخوف، القلق، الحقد، لذلك الإيمان يسبب راحة نفسية، يسبب شعور أن هذا الذي خلقني يحبني، الذي خلقني يريد أن أطيعه، أنا أطيعة الآن، ما دمت أطيعه فهو متكفل بي، فحالات الإيمان، الحالة النفسية المريحة، الهادئة، الواثقة من المستقبل، لا يوجد قلق، ولا خوف ، ولا حقد، حالة التسامح، هذه كلها صحة نفسية وصحة جسدية بآن واحد، فهذه الخلايا حينما تكون في حالة ارتياح نفسي تكون قوية، الموضوع دقيق جداً ونحن في حاجة ماسة إلى هذه المعلومات، لأن الشدة النفسية وراء معظم الأمراض، والدليل:

(قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ)

[سورة آل عمران: 119]

هذه آية قرآنية، الغيظ مميت، الشدة النفسية التي يعيشها الإنسان البعيد عن الله، البعيد عن طاعته، البعيد عن الإحسان إلى خلقه، هذه شدة قاتلة، حقد ، نقمة، ضغط، قهر، هذا مرض العصر، لذلك تقريباً

في العالم الغربي البشر يذهبون جميعاً إلى أطباء نفسيين، بل إن بعضهم يذهب مرتين أو ثلاثة، معنى ذلك عندنا خلل في التوازن، أما الإيمان فيحقق توازناً للإنسان.

الأستاذ حسام :

المؤمن بالسراء يشكر وفي الضراء يصبر.

الإيمان يسبب راحة نفسية و شعوراً بالأمن :

الدكتور راتب :

المؤمن له إله يعتقد اعتقاداً جازماً أن كل أمره مع هذا الإله، وأن هذا الإله عادل ورحيم ومحب، فهذا الشعور أن هناك إلهاً أمري بيده وقال لك الله عز وجل:

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)

[سورة هود: 123]

أمرك بيده، هو رحيم وعادل، هذه المشاعر مسعدة، هذه المشاعر المسعدة صحية، ليس بالمعنى المعنوي للصحة بالمعنى المادي، فإن كنت متوازناً انعدم عندك القلق و الشدة النفسية، لذلك ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، التوحيد أمرك بيد واحد، فأنت عليك أن ترضيه، وانتهى الأمر.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (21 - 30) : آيات الله في الإنسان - آلية عمل جهاز المناعة المكتسب.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 03-10-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :

تحدثنا عن جهاز المناعة المكتسب، وأيضاً تحدثنا عن التوحيد بالنسبة للإنسان المؤمن حينما يعود كل شيء في حياته إلى خالق الكون، ويعود به إلى الله إذا أصابه سراء شكر وإذا أصابه ضراء صبر، وصلنا إلى آلية عمل جهاز المناعة المكتسب.

غدة التيموس أخطر غدة في جسم الإنسان :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين.

أستاذ حسام هذا الجهاز كما قلت في بداية الحلقة السابقة: هو جيش بكل معاني هذه الكلمة، فيه فرق القتال، فرق الاستطلاع، فرق الخدمات، فرق تصنيع السلاح، فرق الكوماندس، الكوماندس هذه قضية خطيرة جداً، في الإنسان خلايا سرطانية وهذه الخلايا أنا سوف أسميها المغاوير باللغة العربية، هذه الخلايا المتميزة تلتهم الخلايا السرطانية في وقت مبكر، لكن ما الذي يحدث؟ أن هذه الكريات البيضاء المقاتلة - الآن الحديث عن المقاتلة - هذه عناصر معها سلاح فتاك لكنها جاهلة، فكيف ندربها ونعلمها؟ عندنا غدة اسمها التيموس، لعشرين عام سابقة لو قرأت كل كتب الطب، يقولون: هذه الغدة لا وظيفة لها إطلاقاً، هذا علم سطحي، كتب الطب قبل عشرين سنة لو قرأتها في كل أنحاء العالم يقولون: هذه غدة التيموس لا وظيفة لها، السبب لأنها تضمر كلياً وتختفي بعد سنتين، ما دام شيء ضمر واختفى إذاً ليس له وظيفة، لكنه تبين أن هذه الغدة أخطر غدة في جسم الإنسان.

الأستاذ حسام :

تضمر وتختفي بعد سنتين من ولادة الإنسان؟

غدة التيموس تتمتع بأخطر وظيفة في الجسم :

الدكتور راتب :

يبدو أن هذه الكريات البيضاء المقاتلة هي عناصر الجيش الأولى، بالنهاية هناك خدمات وطب وهندسة بالجيش، لكن أخطر شيء بالجيش المقاتل مشاة البحرية، هؤلاء أهم فرقة بالجيش، فهذه الفرقة بالجيش من كريات بيضاء أيضاً لكنها جاهلة سماها العلماء الكرية التائية الهمجية، معها سلاح وجاهلة لا تعلم من العدو ومن الصديق، ما الذي يحصل؟ تدخل هذه الكريات إلى مدرسة حربية، اسمها التيموس، هذه المدرسة كبروها آلاف المرات، فإذا هي مدرج كالمدرج الروماني، والخلايا التي عليها كأن هناك مدرج ومقاعد وكل خلية تائية همجية جالسة على مقعد تتلقى خلال سنتين من هو الصديق ومن هو العدو، تقريباً هناك ألف صديق وألف عدو، وهناك مواد صديقة؛ السكر صديق، ومواد سامة عدوة، فهذه الخلايا البيضاء المقاتلة التي مهمتها قتل العدو هي جاهلة، لذلك سماها العلماء قبل دخولها المدرسة الحربية التيموس، سموها التائية الجاهلة الهمجية، فإذا تخرجت تصبح الخلايا التائية المثقفة، ما الذي يحصل في الوقت بسنتين؟ لا أحد يعلم لكن كبروها رأوا مدرجاً والخلايا التائية جالسة على مقاعد هذا المدرج لا تخرج هذه الخلايا إلا بامتحان، ما الامتحان؟ امتحانان، الامتحان الأول تعطى هذه الخلية التائية عنصراً صديقاً فإذا قتلته ترسب وتقتل، وتعطى امتحاناً آخر فإذا لم تقتله ترسب وتقتل، النجاح بقاؤها حية والرسوب هو القتل، فبعد عامين في هذه المدرسة المتميزة تتخرج الخلايا أي الكريات البيضاء المقاتلة المثقفة، هذه تعلم الصديق من العدو، لكن لحكمة أرادها الله هذه الوجبة الأولى من خريجات هذه المدرسة الحربية تتولى تعليم الكريات إلى نهاية الحياة، وتنتهي مهمة هذه المدرسة وتغلق أبوابها وتضمر وتتلاشى، هذه غدة التيموس الذي قال عنها الأطباء لمئة عام سابقة ليس لها وظيفة إطلاقاً ثم اكتشف أنها تتمتع بأخطر وظيفة في الجسم.

جهاز المناعة جهاز خطير جداً في حياة الإنسان :

الآن أنا كرياتي البيضاء مثقفة تعلم من هو العدو ومن هو الصديق، تقتل العدو، لكن مع تقدم السن يضعف التعليم، كل جيل يعلم الجيل اللاحق بشكل مستمر، لكن بسن الستين أو السبعين يضعف هذا التعليم، تنشأ حالة اسمها الخرف المناعي، أي لا يوجد تعليم متقن، هذه الخلية جاهلة قد تقتل الصديق، لذلك قالوا: أحد أخطر أمراض العصر التهاب المفاصل الرثوي، سببه حرب أهلية بالجسم، كريات بيضاء قوية جداً لكنها جاهلة وقد تعتدي على الصديق، فلذلك هذا الجهاز خطير جداً، وكما قلت لكم هناك قامع، هذا القامع ما الذي يفكه؟ الشدة النفسية، لذلك الخوف مرض، القلق مرض، الحقد مرض،

فإذا تمتع الإنسان بالحب، وكان مستقيماً وعنده توازن، هذا بحدِّ ذاته صحة بالمعنى المادي، فالإنسان المتوازن، المؤمن المستقيم، الذي لا يوجد عنده مشكلة نفسية مع ربه، هذا الإنسان صحيح الجسم بسبب مادي، الشيء الثاني الذي يفك هذا القامع المواد البترولية، إذا كنا نعمل في إصلاح السيارات فرضاً وأردنا أن نأخذ بنزين من السيارة عن طريق أنبوب، وسحبنا الهواء فدخل شيء من البنزين، المواد البترولية مسرطنة، والمواد البلاستيكية مسرطنة، فالمادة الحمضية والمادة الحارة تؤثر في المواد البلاستيكية، أي ممنوع أن تشرب كأس شاي حار بإناء بلاستيكي، ممنوع أن تعمل أكلة حمضية بوعاء بلاستيكي، هذا خطر كبير، فلذلك البلاستيك مسرطن، والشدة النفسية مسرطنة، والبترولیات مسرطنة، والمواد الإشعاعية مسرطنة، هذه تفك القامع عن الخلايا السرطاينة فيصاب الإنسان بالسرطان.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (22- 30) : آيات الله في الإنسان - مرض نقص المناعة المكتسبة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2007-10-04

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :

تحدثنا عن جهاز المناعة المكتسب هنا لا بد أن نقف في متابعة حديثنا عن مرض نقص المناعة المكتسبة الذي ظهر، كيف ظهر؟ ولمحة بسيطة عن ارتباطه بموضوعنا.

الأمراض من جهة وسائل تأديب ومن جهة وسائل إعلام :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

أستاذ حسام بادئ ذي بدء: فلسفة المرض أنه كان من الممكن أن نتمتع بصحة تامة حتى الموت، لكن الذي حصل أن الله أراد غير ذلك، أراد أن يكون المرض أداة لتأديبنا، وأراد أن يكون المرض تمهيداً لمغادرة الدنيا، فقبل أن نغادر الدنيا هناك متاعب في الصحة تنتهي بالموت، وأحياناً يؤدب الإنسان وهو شاب بمرض لم يكن يتوقعه، هذا المرض يحثه على الرجوع إلى الله عز وجل، فالأمراض من جهة وسائل تأديب، ومن جهة وسائل إعلام، عل كلٍّ كان من الممكن أن يتمتع الإنسان بالصحة التامة المطلقة حتى الموت، لكن هذا ما أراده الله، أراد خلافه، هذا الشيء الذي خلافه أنا أؤكد لك ولا أبالغ أنك إذا رأيت في مسجد ما عشرة آلاف تأكد أن تسعة آلاف من هؤلاء رجعوا إلى الله عقب معالجة تربوية رائعة جداً، الله اسمه رب العالمين، الرب هو المربي يربينا جميعاً، فالإنسان لو فرضنا أكل مالاً حراماً، فأتلف الله ماله، ربط هذا بهذا، أخذ درساً، اعتدى على أعراض الناس، أصيب بمرض عضال في جسمه، هذا المرض عقاب له لاعتدائه على أعراض الناس، فلو أن الله عز وجل ليس رباً وليس مربياً، وترك الناس على ما هم عليه، إلى أن يستحقوا دخول النار، لكن الله رب رحيم، ورب كريم، فإذا أخطأ الإنسان أو غفل عنه ساق له بعض المصائب، والدليل:

(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

[سورة السجدة: 21]

فلذلك الأمراض التي تصيب الإنسان أحياناً طبعاً بعضها لحكمة بالغة، وبعضها ليس له علاقة بالاستقامة، لكن بعض هذه الأمراض هي عقاب للإنسان على انحرافه، أكاد أقول لك: إن هناك أمراضاً جنسية كثيرة لم تنتقل عبر العدوى هذا موضوع ثان، الأمراض التي لم تنتقل عبر العدوى بل كانت بسبب انحراف جنسي خطير، هذا عقاب من الله عز وجل للإنسان على انحرافه، لو كان الإنسان يعصي ربه ولا يعاقب إطلاقاً لتاه الناس في هذه.

الأستاذ حسام :

من هذه الأمراض المرض الذي يهدد العالم ويجتمع العالم على مكافحته، مرض الإيدز، مرض نقص المناعة المكتسب، السبب الأول بالإصابة به هو إقامة علاقة غير شرعية.

أسباب مرض نقص المناعة المكتسب :

الدكتور راتب :

العلاقات المثلية وغير الشرعية تعد السبب الأول لهذا المرض، على كلٍّ فيروس هذا المرض – الإيدز- من شأنه أن يأخذ شكل عناصر جهاز المناعة المكتسب، يدخل للجسم على شاكلته تماماً، كيف أن في بعض المعارك جيش العدو يلبس لباس الجيش الصديق، ويدخل هذا العدو ضمن هذا الصديق ويقضي عليه، هذا بالضبط فيروس الإيدز، فيروس الإيدز يشبه عناصر جهاز المناعة المكتسب، يدخل إلى الجسم من دون استئذان، من دون مقاومة، على أنه صديق، وحينما يتمكن من دم الإنسان يفتك بعناصر المناعة المكتسب، فيختل هذا الجهاز، فهذا المرض أساسه مرض يأتي من علاقات مثلية حرمها الله في كل الشرائع ومعظم القوانين تحرمها، العلاقات المثلية حرمها الله لأن العلاقة المثلية تتناقض مع الفطرة الذي خلقنا الله عز وجل عليها حيث جعل الذكر والأنثى، فالزنا يعد علاقة محرمة لكنها وفق الفطرة، أما العلاقة المثلية علاقة خلاف الفطرة إثمها أكبر، أنا كنت بمدينة تعد من أجمل مدن العالم الغربي، وأغلى بيوت فيها، خمسة وسبعون بالمئة من سكان هذه المدينة مبتلون، مصابون بالشذوذ، ذكور مع ذكور، وإناث مع إناث، هذه مشكلة كبيرة، هذا جهاز المناعة المكتسب يتعطل بالعلاقة المثلية، لأن هذا الفيروس يقضي على عناصر المناعة المكتسبة كيف؟ لأنه يلبس لباسها، ويدخل في الجسم، ولا أحد يقاومه، لو كان له وضع آخر، شكل آخر، جهاز المناعة يقضي عليه، لكن هو يرتدي ثياباً أو له شكل مشابه تماماً لعناصر جهاز المناعة المكتسب، يدخل إلى الجسم يتمكن ثم يقضي على هذا الجهاز، فالإنسان يفقد المناعة.

المناعة :

ما هي المناعة؟ لو فرضنا إنساناً أصيب بمرض، و جهاز المناعة المكتسب شكّل مصلاً مضاداً لهذا المرض، شفي منه، الشفاء مدى حياته بسبب هذا المصل المضاد، فالإنسان عندما يمرض كل مرض يمرضه يتشكل مصلاً مضاداً لهذا الجرثوم، وبعدة أمراض يمرضهم يصبح معه جهاز مناعة مكتسب رائع جداً.

هذا الفيروس فيروس الإيدز يدخل ويقضي على عناصر جهاز المناعة المكتسب، يصبح من الرشح تنتهي حياة الإنسان، فالقضية خطيرة جداً فأنا أقول: إن هذا الجهاز جهاز المناعة المكتسب يضعفه العلاقة المثلية هذه بخلاف التشريع الإلهي، وبخلاف الأنظمة الوضعية في الأرض، ويضعفه العلاقة الجنسية غير الشرعية، الآثمة.

الأستاذ حسام :

عندما يبتعد الإنسان عن شرع الله، ويبتعد عن الوظيفة الحقيقية التي خلقها الله لهذا الجهاز ماذا يحصل بالبشر؟

الإسلام منهج متوازن :

الدكتور راتب :

ما من شهوة أودعها الله بالإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، بالدين لا يوجد حرمان هناك تنظيم، فالإسلام منهج متوازن، فإذا ضربنا به عرض الطريق ولم نعبأ به، أمامنا متاعب لا تنتهي، وأنا أقول: إن العالم يعاني معاناة كبيرة، هناك ثلاثمئة مليون مصاب من أمراض أساسها الخروج عن منهج الله.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (23 - 30) : آيات الله في الإنسان - قال تعالى (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 05-10-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :

يقول الله في كتابه العزيز:

(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)

[سورة الطور: 35]

ما معنى هذه الآية؟

مهمة الغشاء العاقل :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

أستاذ حسام، المرأة الحامل عقب الولادة ينزل مع الجنين قرصاً لحمياً، اسمه عند علماء الطب المشيمة، ويسمى عند العوام الخلاص، هذا يلقى في المهملات، لكن قد لا نصدق أن هذا القرص اللحمي يقوم بأعمال يعجز عنها العقلاء، ماذا يفعل؟ تجتمع فيه دورة دم الأم مع دورة دم الجنين، ودم الجنين زمرة، ودم الأم زمرة، ولا يختلطان، فلو اختلطا لماتت الأم والجنين معاً، لأنه لو أعطينا إنساناً دماً من غير زمرته لمات فوراً بمرض انحلال الدم، فيجتمع دم الأم مع دم الجنين وكل دم زمرة ولا يختلطان، كيف لا يختلطان؟ قال: بينهما غشاء، هذا الغشاء يقوم بأعمال يعجز عنها أطباء الأرض مجتمعين، سماه الأطباء الغشاء العاقل، ماذا يفعل؟ يأخذ من دم الأم الأوكسجين يضعه في دم الجنين، ثم يأخذ من دم الأم السكر يضعه في دم الجنين، ثم يأخذ من دم الأم الأنسولين يضعه في دم الجنين، صار في دم الجنين أوكسجين وسكر وأنسولين، الأوكسجين يحرق السكر عن طريق الأنسولين تتولد طاقة في الجنين، حرارة تقدر بسبع وثلاثين، ناتجة من احتراق السكر بالأوكسجين وبوساطة الأنسولين، هذه أول مهمة.

الغشاء العاقل يقوم بعمل يعجز عنه العقلاء :

الغشاء العاقل يأخذ كل عوامل المناعة من الأم يضعها في دم الجنين، فجميع الأمراض التي أصيبت بها الأم، وشكلت مناعة، هذه المناعة تنتقل إلى دم الجنين، إذاً الجنين محصن أن يصاب بها، هذا السكر الذي احترق في دم الجنين عن طريق الأوكسجين وبوساطة هذا الهرمون ولّد طاقة، هذه الطاقة لها فضلات، ثاني أكسيد الكربون، ثاني أكسيد الكربون يأخذه الغشاء العاقل من دم الجنين ويطرحه في دم الأم، فجزء من نفس الأم هو نفس جنينها، الغشاء العاقل في المشيمة يأخذ المواد الغذائية التي يحتاجها الجنين، هذا شيء أعقد آلياته ليس على وجه الأرض إنسان واحد ولا ألف طبيب يستطيعون أن يحددوا كم يحتاج هذا الجنين من أغذية، لكن الغشاء العاقل يأخذ كل ما يحتاجه الجنين من دم أمه سكريات، نشويات، بروتينات، معادن، أشباه معادن، فيتامينات، آلاف المواد يأخذها، ويضعها في دم الجنين، دم الجنين تتم فيه حالة الاستقلاب أي تحول هذه الأغذية إلى نسج، كيف ينمو الجنين من نطفة وبويضة ملقحة إلى جسم وزنه ثلاثة كيلو؟ تتحول هذه المواد الغذائية التي يأخذها الغشاء العاقل من دم الأم يضعها في دم الجنين وتتكون منها النسج، هذه الحالة تسمى استقلاباً، تحول الغذاء إلى نسج، تحول السكر المحروق بالأوكسجين إلى طاقة، الإنسان بحاجة إلى جسم، نسيج لحمي، عضلات، عظام، نسيج عصبي، ويحتاج إلى طاقة، فاحتراق السكر عن طريق الأوكسجين، بوساطة الأنسولين تؤمن الطاقة، أما النسج كيف ينمو الطفل؟ كل الأغذية التي يأخذها من أمه تتحول إلى نسج في هذا الجسم، الفضلات هي حمض البول فيأتي الغشاء العاقل يأخذ حمض البول من دم الجنين يضعه في دم الأم، فجزء من بول الأم بول جنينها، فهذا الغشاء العاقل فيه خصائص مذهلة، أخذ عوامل المناعة، أخذ المواد الأساسية، أخذ السكر والأوكسجين والأنسولين، أخذ كل الخصائص التي عند الأم، ووضعها في دم الجنين، هذا العشاء العاقل لو أوكلنا مهمته إلى ألف طبيب لمات الجنين في ساعة واحدة، يقوم بعمل يعجز عنه العقلاء، لذلك سمي الغشاء العاقل، لذلك الله عز وجل يقول:

(وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية : 21]

الأستاذ حسام :

هذا بالنسبة إلى غذاء الجنين، لكن هناك من تحدث عن الحالة النفسية التي يتلقاها الجنين من أمه ماذا عنها؟

علم نفس الجنين يؤكد أن الجنين إذا كان مرغوباً فيه نما نمواً طبيعياً و العكس صحيحي :

الدكتور راتب :

والله أنا معلوماتي المتواضعة أن أحدث علم نفس جديد اسمه: علم نفس الجنين، هذا العلم لم يكن من قبل، علم حديث جداً، هذا العلم يؤكد أن الجنين إذا كان مرغوباً فيه نما نمواً طبيعياً، وإذا كان مرغوباً فيه كان الحمل يسيراً، والولادة أيسر، وإذا لم يكن مرغوباً فيه صار الحمل بالخطأ، كأن هذا الجنين يعلم أنه غير مرغوب فيه، فيكون الحمل قاسياً، أحياناً تقول المرأة: كان حملي صعباً، وأحياناً حملي سهل، أحياناً تحمل المولود بلا متاعب، بلا مشاكل، وكأنها غير حامل، وأحياناً تعاني ما تعاني من هذا الحمل، علم نفس الجنين يقول: هذا الجنين إذا شعر أنه مرغوب فيه، كان الحمل سهلاً، والولادة أسهل، وإن لم يكن مرغوباً فيه كان الحمل صعباً، والولادة أصعب، وبدأ الآن علم نفس الجنين يؤكد هذه الحقائق، لذلك أنا أقول دائماً: إذا حملت المرأة فهذه هدية من الله عز وجل، والأولى ألا تحمل المرأة لو فرضنا أن هناك خطة معينة، مسموح للزوجين أن يرسما خطة للإنجاب، لكن إذا حملت ينبغي ألا تفعل شيئاً.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (24 - 30) : آيات الله في الإنسان - قال تعالى: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ....)

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-10-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :

نتابع الحديث الذي بدأناه في الحلقة السابقة عن الجنين داخل بطن الأم، يقول الله عز وجل:

(يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ)

[سورة الزمر: 6]

تفسير العلماء الظلمات الثلاث بتفسيرات متباينة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

أستاذ حسام، لقد فسر العلماء قوله تعالى:

(يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ)

[سورة الزمر: 6]

العلماء فسروا هذه الظلمات تفسيرات متباينة منهم من قال: إنها ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة الأغشية التي تحيط بالجنين، وقال بعضهم: إن الجنين محاط بأغشية ثلاث، ربما كان هذا من إعجاز القرآن الكريم، أول غشاء والثاني والثالث،

(فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ)

الغشاء الأمنيوسي :

لو وقفنا وقفة متأنية عند غشاء واحد هو الغشاء الأمنيوسي، هذا الغشاء هو الغشاء الباطن من جهة الجنين، أي أول غشاء يحيط بالجنين اسمه الغشاء الأمنيوسي، بعده غشاء ثان وغشاء ثالث، هذا الغشاء يحيط بالجنين من كل جانب إحاطة كاملة، بل هو كيس غشائي رقيق ومقفل، وفي هذا الغشاء المقفل

سائل يزداد مع نمو الجنين، اسمه السائل الأمنيوسي يصل إلى لتر ونصف في الشهر السابع، ثم يعود إلى لتر قبيل الولادة، أستاذ حسام قد لا نصدق أنه لولا هذا السائل لما عاش إنسان على وجه الأرض، ولما كانت هذه الندوة، ولما كانت دمشق أصلاً، لولا هذا السائل الأمنيوسي الذي يحيط بالجنين من كل الجوانب لما كان هذا الجنين يحيا حياة إطلاقاً.

أولاً: لولا هذا السائل كما قلت قبل قليل لما نجا جنين من موت محقق، هذا السائل يغذي الجنين، سائل مغذي فيه مواد زلالية، مواد سكرية، أملاح غير عضوية، هذا السائل يحمي الجنين من الصدمات، وقد طبق هذا المبدأ في مركبات الفضاء حيث أن كبسولة الرواد كان بينها وبين جسم المركبة سائل من أجل امتصاص الصدمات، بالمناسبة هذا السائل موجود بالدماغ أيضاً فالطفل عندما يقع على الأرض، ويرتطم بالبلاط ارتطاماً قوياً جداً السائل المحيط بالدماغ يمتص هذه الصدمة ويوزعها على كامل سطح الدماغ، فإذا كان حجمها عشرة سنتمتر تصبح مليمتراً واحداً، لولا هذا السائل ما نجا إنسان من الموت، السائل مهمته امتصاص الصدمات، فحينما تأتي الجنين صدمة من هذه الجهة قوتها أربعة كيلو غرامات على السنتمتر المربع مثلاً فإن السائل يوزع هذه القوة على كل السطح، فيصبح هذا الضغط نصف مليمتر، وإن أحدث طريقة لامتصاص الصدمات أن يكون بين الشيء الذي تخاف عليه والمحيط الخارجي سائل، هذه مطبقة بالمركبات الفضائية والدماغ أيضاً.

وظائف السائل الأمنيوسي :

مثل هذا السائل موجود في الدماغ أيضاً كما قلت قبل قليل، حيث أن المخ محاط بسائل يمنع تأذي المخ بالصدمات، بل إن هذا السائل يمتص كل صدمة مهما تكن كبيرة، وهذا السائل الأمنيوسي هو الذي يحمي الجنين من الصدمات، والسقطات، والحركات العنيفة، مثلاً أم تمشي سريعاً في البيت، ارتطمت بطرف طاولة، وهذا الطرف الحاد دخل في بطنها، هذا الدخول ماذا ينتج عنه؟ مكان الدخول لو فرضنا عشرة سنتمتر، هذه توزع على كامل السطح تصبح مليمتراً واحداً، فهذا فيه حكمة بالغة بالغة، هذا السائل يسمح للجنين بحركة حرة خفيفة، فإن الأجسام وهي في السوائل تبدو حركتها أسهل بكثير مما لو لم تكن في هذا السائل، المحرك البستونات تتحرك بسائل هو الزيت، دائماً الحركة مع السائل سهلة جداً، هذا السائل جهاز تكييف، له حرارة ثابتة لا تزيد، ولا تقل، مهما كان هناك برد السائل له حرارة ثابتة، فالجنين يتمتع بتكييف وتبريد دائم، في الصيف هناك تبريد، وفي الشتاء هناك تسخين، عن طريق هذا السائل، مهما كان الجو الخارجي بارداً أو حاراً، فإن هذا السائل يحقق للجنين حرارة ثابتة تعينه على النمو.

خامساً: هذا السائل يمنع التصاق الجنين بالغشاء الأمنيوسي، هذا السائل له مهمة كبيرة أنه يمنع التصاق الجنين بالغشاء الأمنيوسي، ولو أن هذا الالتصاق حصل لكان هناك تشوهات في خلق الجنين.
سادساً: هذا السائل نفسه يسهل الولادة، وهو الذي يعين على الانزلاق وتوسيع الأماكن التي سوف يمر بها الجنين، العوام يقولون: ماء الخلاص، هذا الماء هو السائل الأمنيوسي، هو ينطلق قبل نزول الجنين فيصبح الطريق رطباً، يسهل خروج الجنين من بطن أمه بهذه الطريقة، هذا السائل حينما يسبق الجنين إلى الخارج يطرح، ويعقم المجرى لئلا يصاب الجنين بالتسمم، فمن تطهير المجرى، ومن تسهيل الولادة، ومن منع التصاق الجنين بالغشاء الأمنيوسي، ومن تحقيق الحرارة الثابتة، ومن تحقيق الحركة الحرة الخفيفة، ومن حماية الجنين من الضربات واللكمات، ومن تغذية الجنين، هذه كلها وظائف هذا السائل، ولولا هذا السائل لما كانت حياة على وجه الأرض.

السائل الأمنيوسي آية من آيات الله الدالة على عظمته :

إن هذا السائل الأمنيوسي الذي جعله الله عز وجل داخل الرحم، وداخل الغشاء الأول، هذا يسبح به الجنين، وهو آية من آيات الله الدالة على عظمته تعالى:

(يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ)

[سورة الزمر: 6]

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)

[سورة لقمان: 11]

لذلك ذلك عالم الغيب والشهادة، ذلك هو الخلاق العليم، ذلك هو الرب الرحيم:

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى*أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى *ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى*فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى*أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى)

[سورة القيامة: 36-40]

وقال تعالى:

(قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ*مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ *مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ *ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ* ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ)

[سورة عبس : 17-21]

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (25 - 30) : آيات الله في الإنسان - قال تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ.....)

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-10-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :

نتابع حديثنا في آيات الله في الإنسان، يقول الله تعالى في محكم تنزيله:

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ *وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)

[سورة البلد: 8-10]

هذه السورة يجب الوقوف عليها كثيراً، وتحتاج الكثير من الوقت.

تفسير قوله تعالى (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) :

الدكتور راتب :

طبعاً كتعليق سريع هديناه النجدين في أدق تفسيرات هاتين الكلمتين هديناه الثديين، طعام جاهز، كامل، مناسب، بارد في الصيف، حار في الشتاء، معقم لهذا الطفل، وكأن الثديين هدية الله لهذا الطفل، ولا شيء يعدل حليب الأم بل إن دراسة جادة عميقة جداً درسناها في الجامعة عن موضوع الذكاء، وجد أن أحد أكبر أسباب الذكاء أن يرضع هذا الطفل من حليب أمه.

الأستاذ حسام :

تحدثنا في الحلقات السابقة عن وضع الجنين داخل بطن الأم والسائل الأمنيوسي، وأيضاً المشيمة، الهدية الأولى التي يتلقاها الطفل منذ الولادة هي الثديين، حليب الأم.

خصائص حليب الأم :

الدكتور راتب :

هذا الحليب له خصائص مذهلة، أولاً: يتناسب في تركيبه مع بنية الجنين، ثانياً: ليس هناك حليب يحل محله، أنا عندي معلومة دقيقة أن كل عبوات حليب الأطفال في العالم الغربي مكتوب عليها لا شيء

يعدل حليب الأم، وهو الأصل، وهو أحد أسباب الذكاء، أحد أسباب النمو الصحيح، لذلك الآن هناك دراسات أن هذا الحليب الصناعي الذي يقدم للصغار أحياناً يسبب متاعب كبيرة في المستقبل في قلبهم، وفي أوعيتهم، هناك أمراض تصيب الإنسان سببها عدم تلقيه الحليب من ثدي أمه، لذلك الأم أكبر مهمة لها هي إرضاع ابنها من حليبها، بل إنه فيما علمت أن أحد أسباب سرطان الثدي عدم الإرضاع، هذا الثدي هو هدية الله لهذا الطفل.

الأستاذ حسام :

كيف يظهر حليب الأم هذه المعجزة الإلهية بعد الولادة مباشرةً.

آلية ظهور الحليب عند الأم بعد الولادة مباشرة :

الدكتور راتب :

والله هناك أشياء حتى الآن يصعب تفسيرها، حينما تحمل الأم هناك هرمون يسببه الحمل يجري في دمها هو الذي يأمر الخلايا الثديية في أثداء الأم أن تصنع الحليب.

الأستاذ حسام :

ويأتي الغذاء الكامل للطفل عن طريق هذا الحليب.

الدكتور راتب :

عفواً هناك دراسات أن حليب الأم تتبدل نسبه في أثناء الرضعة الواحدة، أي يبدأ الطفل بتلقف ثدي أمه، والماء ستون بالمئة، وينتهي من رضاعته والماء أربعون بالمئة، تتبدل نسبة المواد الدسمة مع الماء في أثناء الرضعة الواحدة.

الأستاذ حسام :

عمل الغدد في الجسم عمل هائل جداً وعظيم جداً.

عمل الغدد في الجسم :

الدكتور راتب :

ولا تزال سراً حتى الآن، هناك غدد كثيرة جداً صماء، هذه الغدد الصماء لها ملكة هذه الملكة اسمها الغدة النخامية، الشيء الذي لا يصدق أن وزنها لا يزيد عن نصف غرام، تقوم بوظائف خطيرة جداً، وهي مربوطة بالجسم في مكان اسمه تحت المهاد البصري، مربوطة بمئة وخمسين ألف ليف عصبي، هذه الغدة تفرز هرمون النمو، هذا الهرمون مؤلف من مئة وثمانية وثمانين حمضاً أمينياً، والحمض

الأميني أعقد شيء في خلق الإنسان، بحوث كثيرة يصعب أن تستطيع أن تقف على تركيب هذا الحمض الأميني، يجب أن يكون في كل لتر دم عشرة ميكروغرام من هذا الهرمون، هرمون النمو، فإذا قلّت هذه النسبة أصبح الإنسان قزماً، وإذا زادت هذه النسبة أصبح عملاقاً، من يضبط هذه النسبة؟ إن هذا الهرمون هرمون النمو المؤلف من مئة وثمانية وثمانين حمضاً أمينياً هذا الهرمون هو الذي يدفع الخلايا التي في ثدي الأم لإفراز الحليب.

بعد الحمل بقليل يبدأ هذا الهرمون يجول في الدم، حتى يبلغ أوجه بعد الوضع، فإذا ثديا المرأة تفرزان الحليب من هذه الغدة النخامية التي لا تزيد عن نصف غرام، هذا صنع من؟ يؤكد هذه الحقيقة الله جل جلاله حيث يقول:

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ *وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)

[سورة البلد: 8-10]

أي الثديين، طبعاً قال بعض المفسرين وهو ابن عباس: إن النجدين – الثديين- هدية من الله.

الهرمونات التي تفرزها الغدة النخامية :

يحث هرمون آخر الغدة الدرقية على إفراز هرمون يؤمن الاستقلاب في الجسم، ما الاستقلاب؟ تحول المواد الغذائية إلى نسج، تحول المواد السكرية إلى طاقة، هذا عمل آخر يحتاجه الإنسان، الحقيقة الدقيقة أن الاستقلاب الغدة الدرقية مسؤولة عنه، كما أن الغدة النخامية مسؤولة عن توجيه الغدة الدرقية لإفراز هذا الهرمون، وهذه الغدة النخامية لا يزيد وزنها عن نصف غرام، وهناك هرمون يحث الكظرية حينما يواجه الإنسان خطراً، حينما يواجه الإنسان خطراً الغدد الكظرية تعطي أمراً للقلب برفع النبض، وأمراً للرئتين لرفع الوجيب، وأمراً للأوعية بتقليص الفتحة، وأمراً للكبد لإفراز السكر، حالة معقدة جداً، أنت حينما تحس بالخطر تجد آلية دقيقة جداً جرت في جسم الإنسان، وهناك هرمون النمو الجنسي مسؤولة عنه أيضاً الغدة النخامية في الدماغ، وصفاته، فالذكر له صفات حينما يبلغ يتغير صوته، لونه جلده تقريباً، وشعره، هذه كلها صفات متعلقة بالذكور، والصفات المتعلقة بالأنثى الغدة النخامية مسؤولة أيضاً عن هذه الصفات الجنسية.

الحقيقة الغدة النخامية نصف غرام تفرز تسعة هرمونات، كل هرمون لو تعطل إفرازه لأصبحت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (26 - 30) : آيات الله في الإنسان – لمحة عن لسان المزمار.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 08-10-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :
نتابع الحديث عن آيات الله في الإنسان، حديث جميل وواسع لا يسع هذه الحلقة إلا أن نعطي لمحة دقيقة عن بعض الأشياء في جسم الإنسان، شرطي للمرور يسمونه لسان المزمار، ماذا عن لسان المزمار؟

لسان المزمار :

الدكتور راتب :
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.
أستاذ حسام، اللعاب في الفم له غدد تفرزه، فإذا تجمع اللعاب بكمية أكبر مما ينبغي، ما الذي يحصل؟ الإنسان يبلعه، أي يدخله إلى معدته، أما هو نائم في الليل وغارق في النوم وغائب عن الوعي إذا تجمع هذا اللعاب في فمه وزادت كميته فما الذي يحصل؟ شيء لا يصدق، تنطلق رسالة من الفم إلى الدماغ، اللعاب زاد عن حده، الدماغ يعطي أمراً إلى لسان المزمار بإغلاق فتحة الهواء وفتح فتحة المعدة، هناك قصبة هوائية تتصل بالرئتين، وهناك مري يتصل بالمعدة، لسان المزمار يغلق تارة القصبة الهوائية، وتارة المري، مهمته يفتح هذه تارة وهذه تارة أخرى، هذا اللسان يتلقى أمراً من الدماغ فيغلق فتحة الرئتين، ويفتح فتحة المري، والإنسان وهو نائم يأخذ لعابه إلى معدته، وبعد انتهاء هذه العملية يغلق المري ويفتح لسان المزمار، شيء مذهل هذه الحالة تشبه حالة ثانية، إنسان نائم، وغارق في النوم، وزن هيكله العظمي مع ما فوقه من عضلات يضغط على ما تحته من عضلات، فإذا ضغط الأوعية الدموية تضيق لمعتها، فإذا ضاقت ضعفت التروية، فإذا ضعفت التروية أودع الله في الإنسان أماكن

إحساس بالضغط بكل الجسم، هذه المراكز تعطي للدماغ رسالة أننا ضغطنا، والأوعية ضاقت لمعتها، وضعفت التروية، يأتي أمر من الدماغ إلى الإنسان يقلب جسمه إلى جهة ثانية، قال تعالى:

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

[سورة الكهف: 18]

هذه القلبة تنقل الضغط من مكان إلى مكان، أنت نائم لك هيكل عظمي، وزن الهيكل العظمي مع العضلات التي فوقه تضغط على ما تحته من عضلات، هذا الضغط من نتائجه أن الأوعية الدموية تضيق لمعتها، تضعف التروية، تذهب رسالة للدماغ يأتي الأمر بالتقليب وهذه من آيات الله الدالة على عظمته:

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

[سورة الكهف: 18]

التقليب من آيات الله الدالة على عظمته :

لو أن الله يقلبه ذات اليمين وذات اليمن، لوقع من على السرير، ذات اليمين تارة وذات الشمال تارة، فالإنسان إذا زاد لعابه في فمه تأتي رسالة من الفم إلى الدماغ، تشعره بازدياد اللعاب، يأتي أمر من الدماغ إلى لسان المزمار، يغلق طريق الهواء، يفتح طريق المري، الإنسان يبتلع لعابه، ويعود الأمر كما كان، كذلك إذا كان نائماً، وضغط هيكله العظمي على ما تحته، ذهبت رسالة من مراكز الضغط للدماغ يأتي الأمر بالتقليب، الشيء العجيب هذا الذي يجري بآلية بالغة التعقيد بحكمة بالغة بالغة، من يخطط لها؟ أنت نائم الهضم يستمر، لو أن الله عز وجل أوكل الهضم للإنسان لما استطاع أن ينام، لو أوكل نبض قلبه له لا يستطيع أن ينام، ينام فيموت، من جعل هذه الأعضاء النبيلة الخطيرة تتلقى أمراً بالنبض من ذاتها؟

الله عز وجل جعل الأعضاء الخطيرة تتلقى أمراً من ذاتها :

القلب أستاذ حسام فيه ثلاثة مراكز كهربائية، المركز الأول يعطي أمراً بالنبض ثمانين نبضة، إذا تعطل هذا المركز يعمل المركز الاحتياطي الأول يعطي أمراً بالنبض ثمانين نبضة، لو تعطل الثاني عمل المركز الاحتياطي الثاني، فأمر القلب بالنبض، لكن الإنسان حينما يصعد درجاً أو يعدو خوفاً من عدو، يحتاج إلى مئة وثمانين نبضة في دمه، هذه النبضات الاستثنائية من يؤمنها؟ النظام الذي يقوم على إدراك الخطر، عن طريق الغدة النخامية، وهذه الغدة النخامية تأمر الكظر، والكظر يأمر القلب والرئتين والكبد لإفراز المواد اللازمة، إذاً هناك آلية معقدة جداً، الذي يعنينا في هذا اللقاء الطيب

الإنسان وهو نائم، وهو غافل عن الوعي، وهو في غيبوبة، وهو في نوم عميق، يجري آليات معقدة أثناء نومه، أحدها التنفس الآلي، أنا أعرف مرضاً نادراً جداً مركز التنبيه الآلي للتنفس يتعطل لا يستطيع أن ينام، ينام فيموت فوراً، نحن حينما نؤوي إلى الفراش وننام نوماً عميقاً، هل نعرف نعمة هذه الحالة؟ أنك وأنت نائم القلب يعمل، الرئتان تعملان بأوامر آلية، فالرئة لها أمر إرادي، أنا أستطيع أن أجري زفيراً أو شهيقاً إرادياً لكن الرئتين تعملان آلياً وأنت مرتاح، والقلب كذلك، والهضم كذلك، ولسان المزمار كذلك في نقل اللعاب إلى المعدة، وكل الأعمال المعقدة جداً يقوم بها الجسم وأنت نائم، لذلك هذا من فضل الله علينا أنه فرغك لعبادته، لو أنه كلفك أن تهضم الطعام، تحتاج إلى أربع ساعات بعد كل طعام، تأكل وانتهى الأمر اذهب واعمل، اذهب ونم، اذهب وافعل ما تشاء، فهناك نعم كثيرة جداً لا نعرفها إلا بفقدها، هذا كله من فضل الله علينا، لكن الله عز وجل ينتظر منا أن نفكر في هذه الآيات الدالة على عظمته، وأن نشكره عليها.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (27- 30) : آيات الله في الإنسان - التدخين.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 09-10-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :
تحدثنا عن نعم الله في جسم الإنسان، ومن ضمنها تطرقنا إلى القصبة الهوائية، وإلى جهاز التنفس، ويقودنا الحديث إلى الرئة، أول ما يتبادر في الذهن هو التدخين، هذه العادة التي نكافحها وتقوم مؤتمرات من أجل مكافحة التدخين، بعد أن اخترعها الإنسان أيضاً، ماذا ينبغي أن نفعل تجاه التدخين؟

مضار التدخين :

الدكتور راتب :
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
أستاذ حسام، إن شركات التبغ تنتج بمعدل دخينتين أي سيجارتين يومياً لكلِّ إنسانٍ على وجه الأرض، معامل الدخان تنتج دخينتين، أي سيجارتين يومياً لكلِّ إنسانٍ على وجه الأرض، والعدد كما نعلم ستة آلاف مليون أي هذه الشركات تنتج كل يوم اثني عشر ألف مليون دخينة، النقطة الدقيقة أن هذه الكمية من الدخان الذي يصنع كل يوم فيها مواد سامة لو أخذت دفعة واحدة في الدم مباشرةً لاستطاعت أن تبيد الجنس البشري.
هناك ثلاثمئة نوع من السموم في الدخان، هذه السموم لو أخذت دفعة واحدة لأبادت الجنس البشري، بل إن أثرها أشد من أثر القنبلة الذرية، يقول هذا التقرير: لو أخذت الكمية من المواد السامة التي في هذه الدخائن دفعة واحدة بعد استخلاصها وأدخلت في الوريد مباشرةً لكانت كفيلة أن تقتل إنساناً في في أوج صحَّته.
أي ما يأخذه الإنسان من سموم خلال الدخان لو جمعت في كمية واحدة لمات الإنسان فوراً، الصحة العالمية نشرت تقريراً يقول: إن عدد الذين يُلاقون حتفهم، أو يعيشون حياةً تعيسة من جرَّاء التدخين، يفوق عدد الذين يلاقون حتفهم نتيجة الطاعون، والكوليرا، والجدري، والسل، والجذام، والتيفوئيد،

والتيفوس مجتمعين، و الوفيات الناجمة عن التدخين هي أكثر بكثير من جميع الوفيات للأمراض الوبائية مجتمعة، هذا التقرير نشرته منظمة الصحة العالمية.
إن مجموع الدخل الذي تحققه الدول الكُبرى من جرَّاء الضرائب الباهظة على إنتاج التدخين هو أقلُّ بكثير من الأموال التي تنفق لمعالجة الأمراض الناتجة عن التدخين، مهما بلغ حجم الضرائب التي تجبيها الدول الكبرى من المدخنين إنها أقلُّ بكثير من التي تنفقها لمعالجة هذه الأمراض.
الأستاذ حسام :
هنا تذكرة بسيطة إن القيود الموضوعة على التدخين وبيع السجائر والمدخنين في الدول المنتجة للدخان هي أكثر بكثير عن القيود التي تفرض على تصدير هذا الدخان إلى المناطق الأخرى ومنها منطقتنا.

الأشياء السيئة جداً من الدخان تُصدّر إلى الشرق الأوسط :

الدكتور راتب :
لكن أنا أريد أن أقول هذه الحقيقة المُرّة: مرة كان في بلدنا الطيب أسبوع مكافحة التدخين، فوزير الصحة له صديق في أمريكا أخبره أن الدخان المصدر إلى الشرق الأوسط هو أسوأ دخان في العالم، إن الأشياء السيئة جداً من الدخان تصدر إلى الشرق الأوسط، وقد تأخذ علبة دخان الانبلاج الخارجي صحيح لكن الحقيقة أن مضمون هذا الدخان ما دام مصدراً إلى الشرق الأوسط فهو أسوأ أنواع الدخان، أي الأشياء التالفة، الأشياء المؤذية في نبات الدخان تصدر إلى الشرق الأوسط.
النقطة الدقيقة أن من بين كل ثلاثة مدخنين يلقى أحدهم حتفه بسبب التدخين، تواجه الأوبئة بقلقٍ شديد، فلو انتشرت الكوليرا في بلد، لأسرع المسؤولون عن الصحة بمواجهة هذا المرض واستنفروا، لكن لماذا لا يواجهون أخطار التدخين بهذا القلق الشديد؟ نحن في بلدنا الطيب -والفضل لله- هناك قوانين صدرت بمنع التدخين في الأماكن العامة بل ممنوع الإعلان عن التدخين، مرحلة جيدة جداً، وكنت أتمنى أن يمنع التدخين كلياً، لكن هذا يبدو صعب التطبيق الآن.

الآثار المدمرة للتدخين :

إن الآثار المدمرة للتدخين لا تظهر بشكلٍ واضح إلا بعد ربع قرن، وهنا الخطر، هناك أمراض تظهر آثارها فجأة إلا أن التدخين لا تظهر آثاره المدمرة إلا بعد ربع قرن، أي شاب بالخامسة عشر بدأ يدخن، بالأربعين تظهرعنده مشكلة كبيرة في قلبه، وفي رئتيه، وفي أوعيته، والأخطار التي تحدث عنها الناس يفوق حدّ الخيال.

شيء آخر: الشاب لا يدري ماذا يفعل، لكن بعد مضي عشرين عاماً أو زيادة تبدأ الآثار الضخمة للتدخين.

من بعض فقرات هذا التقرير أن الدخينة الواحدة تؤثر في عمر الشرايين وتصلبها، بالمناسبة الإنسان عمره من عمر شرايينه، لأن القلب ينبض فالشريان قلب آخر، حينما ينبض القلب الشريان يتجاوب معه فيتمطى، فإذا تمطى عنده مرونة تقتضي هذه المرونة أن يعود إلى ما كان عليه، صار كل شريان قلباً، الإنسان لو وضع يده على شريان يحس بالنبض، النبض يعني أن الشريان قلب آخر، الدخان يصلب الشرايين، معنى التصلب أي يفقد مرونته، وفقد المرونة في الشريان يضعف القلب، كان الشريان يتجاوب مع القلب، عندما ينبض يتوسع الشريان، هذا التوسع هو تجاوب الشريان مع القلب، فإذا تصلب الشريان تعب القلب، لذلك معظم المدخنين يصابون بتصلب الشرايين ثم ضعف القلب.

إن الأطفال الرُّضع الذين يعيشون في غرفٍ ممتلئة بدخان السجائر، هم أكثر تعرّضاً لالتهابات القصبات، والنزلات الشعبية، مقارنة بأمثالهم من الأطفال الذين يعيشون في غرفٍ نظيفة، أي الآباء الذين يدخِّنون يسهمون في سبعة وثلاثين بالمئة من مضار التدخين لأولادهم.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (28 - 30) : آيات الله في الإنسان – ضرر الدخان على الفرد و الأسرة و المجتمع.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2007-10-10

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :
بدأنا الحديث في الحلقة السابقة عن التدخين وآثاره السلبية على جسم الإنسان، هذا الجسم الذي منحنا الله إياه كأمانة يجب أن نحافظ عليها، ووصلنا إلى الحديث عن الآباء الذين يدخنون أمام أطفالهم، ويرسلون إلى أطفالهم هذه السموم، ويتلقاها الطفل بدون ذنب.

حقائق بديهية عن التدخين :

الدكتور راتب :
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
أستاذ حسام، تحوي أوراق التبغ أشباه قلويات سامة في طليعتها النيكوتين، وإن واحداً من عشرة غرامات من النيكوتين يكفي لقتل كلب متوسط الحجم قتلاً فورياً، واحداً من عشرة غرامات من النيكوتين، يكفي لقتل كلب متوسط الحجم قتلاً فورياً، وفي مدة قليلة، وقطرة واحدة منه في عين فأر تقتله حالاً، وثماني قطرات محقونة تحت الجلد تقتل حصاناً في أربع دقائق، هذه الحقائق البديهية ليست غريبة، إنها أبحاث قديمة جداً، وإن الكتّاب تحدثوا عنها والعلماء وصفوها وصفاً دقيقاً، هناك سم آخر في الدخان يحتوي على مئتي ضعف مما تسمح به منظمات الصحة العالمية، هناك سمّ يضعف عمل كريات الدم الحمراء وهو أول أكسيد الفحم، هذا السم يتحد مع كريات الدم الحمراء، وهذا الذي يتعب المدخن، وفي الدخان غازان سامان وهما غازان مسرطنان، وفيهما أيضاً فحوم مسرطنة، هذا البحث العلمي مأخوذ من أوثق المصادر الرصينة، هناك إحصاء في أمريكا أن ألف وفاة كل يوم بسبب الدخان، هذا العدد يزيد سبعة أضعاف عن عدد الذين يموتون في حوادث السير، مع أن الموت في

حوادث السير أعلى نسبة يموت فيها الناس، نسب الوفيات في المدخنين سبعة أضعاف من يموت في حوادث السير.

أخطار التدخين لا تنتهي :

الحقيقة هناك أخطار لا تنتهي، لكن الذي أتمنى أن يكون واضحاً أن هذا الأب المدخن، أو هذه الأم المدخنة، ما ذنب هؤلاء الأطفال الصغار؟ هذا الطفل كما يقال: الأطفال أحباب الله، طفل بريء طاهر من كل شائبة، يتلقى من أبيه بنسبة سبعة وثلاثين بالمئة من مضار المدخن نفسه، فالمدخن يتضرر مئة بالمئة أما الذي أمامه مع أنه لا يدخن فيتضرر سبعة وثلاثين بالمئة أو ثمانية وثلاثين بالمئة من أضرار التدخين، فلذلك المدخن مخطئ خطأ كبيراً في حق من حوله، لذلك حينما منع التدخين في الأماكن العامة هذا قرار حكيم، لأن هذا المواطن يقف مثلاً في محطة قطار، هذا مكان عام، يقف في بهو في دائرة، في وزارة، ما ذنب هذا المواطن البريء الذي جاء ليتابع معاملة جانبه إنسان يدخن أصابه سبعة وثلاثين بالمئة من مضار التدخين؟ فهناك مشكلة اجتماعية أن المدخن لو أنه يؤذي نفسه فقط هذه مشكلة، أما أنه يؤذي غيره، مرة دخلت إلى معمل أعجبني، غرفة من البلور مربوطة بأنبوب إلى سقف المعمل للمدخن فقط، يدخل إلى الغرفة حتى لا يؤذي أحداً، والدخول إلى هذه الغرفة فيها إهانة له.

ضعف الإرادة وراء كل مشكلات الإنسان :

أنا أتمنى أن الإنسان إذا دخن ألا يكون معه إدمان، بالمناسبة سأقول كلمة قاسية جداً: نسب الإدمان بالدخان خمسة وثمانون بالمئة، أنا أقول هذا الكلام تحذيراً للشباب لو أَلِف الشاب التدخين كل مئة مدخن لا يستطيع أن يدع التدخين منهم إلا خمسة عشر بالمئة، بينما إدمان الخمر خمسة عشر بالمئة، أي مئة شارب خمر يقدر خمسة وثمانون بالمئة أن ينجو من متابعة الشرب، أما الدخان فخمسة عشر بالمئة، نسب الإدمان خمسة وثمانون بالمئة، معنى مدمن أي لا يستطيع أن يدع التدخين، دخل في دمه، دخل في تركيب جسمه، فأنا أقول: البطولة أنك إذا أقدمت على شيء تدبر عاقبته، عاقبة المدخن وبيلة جداً، وأنا والله أعلم علم اليقين أن آلاف الأسر لا تسمح لخطيب ابنتها أن يكون مدخناً، يرفض الإنسان، تكون فتاة جيدة جداً من أرقى الأسر، تتمتع بثقافة عالية، وجمال أخاذ، ومع ذلك فإن خطبها مدخن يرفض. تنقضه الأيام، إنسان يقول: لا، لا تستطيع قوى الأرض مجتمعة أن تثنيه عن هذا القرار إذا أدرك خطورة التدخين، وقال: لا للدخان مؤهل ومزود بإمكانات يستطيع أن يطبق بها قراره، أما ضعف الإنسان باتخاذ القرار، بالمناسبة ضعف الإرادة وراء كل مشكلات الإنسان، فإذا قويت إرادته يلزم نفسه

بترك الدخان أنا أعرف إنساناً يدخن خمس باكيتات كل يوم، أخذ قراراً بلحظة واحدة، وترك الدخان.

الأستاذ حسام :

هنا حديث رسول الله:

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

لكن اتخاذ القرار عندما يريد الإنسان الإقلاع عن التدخين وترك هذه العادة، يمكن أن يتوكل على الله والله حسبه أن يعينه دائماً في هذه.

من توكل على الله عز وجل أمدّه الله بإرادة قوية :

الدكتور راتب :

هذا معنى قوله تعالى:

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

[سورة الفاتحة: 5]

وأنا أقول لكل مدخن: أنت حينما تقول لربك في مناجاتك له: ربي أعني على اتخاذ هذا القرار، أعني على تنفيذه، الله عز وجل يمده بإرادة قوية جداً.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (29 - 30) : آيات الله في الإنسان – رمضان شهر عبادة و انضباط و صلح مع الله عز وجل.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 11-10-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :
في ختام عرضنا الذي قمنا به خلال الشهر الكريم عن آيات الله في الآفاق، وآياته في الإنسان، برأيك بماذا يمكن أن نختم إجمال هذه الدروس؟

المؤمن من جاءت حركته موافقة لمنهج الله :

الدكتور راتب :
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.
الإنسان حينما يسأل نفسه هذا السؤال الكبير لماذا أنا في الدنيا؟ الحقيقة أن الإنسان كائن متحرك وليس كائناً ثابتاً سكونياً، ما الذي يحركه؟ حاجته إلى الطعام والشراب، وإلى الزواج، وإلى تأكيد الذات، هذه الحاجات الأساسية؛ واحدة من أجل بقائه الطعام والشراب، والحاجة الثانية من أجل بقاء النوع، والحاجة الثالثة من أجل بقاء الذكر.
هذه الحاجات تجعله يتحرك، فإن جاءت حركته وفق منهج الله كان مؤمناً، وسعد في الدنيا والآخرة، فالصيام دورة تدريبية، أمضى فيها الإنسان ثلاثين يوماً في طاعة الله، في صلاة الفجر في المسجد، في صلاة التراويح، في أداء الصلوات بإتقان، في غض البصر عن محارم الله، في ضبط اللسان، والدعاء الشهير: "اللهم أعنا على الصيام والقيام وغض البصر وحفظ اللسان"، فإذا طبق منهج الله في ثلاثين يوماً تطبيقاً دقيقاً، واعياً، هادفاً، هذا التطبيق يجعله في حالة في العيد من الإنجاز، لذلك يقول: الله أكبر في العيد، ما معنى كلمة الله أكبر؟ أي على هذا الهدى الذي تحقق في هذا الشهر، كما يقول الإمام الشافعي: العبادات معللة بمصالح الخلق، أنا لا أصدق أن مسلماً يصوم ويفطر ولا يدري لمَ صام؟ ولا لمَ أفطر؟ هذا مثله كمثل الناقة حبسها أهلها فلا تدري لا لمَ حبست؟ ولا لمَ أطلقت؟ أنت حينما تصوم

ينبغي أن تعلم حكمة الصيام، أراد الله من هذا الشهر أن يكون دورة مكثفة تدريبية، أرادها أن تكون قفزة نوعية في علاقتك بالله، في ثلاثين يوماً صلاة فجر في المسجد، في ثلاثين يوماً صلاة تراويح، في ثلاثين يوماً غض بصر، في ثلاثين يوماً ضبط لسان، في ثلاثين يوماً الصلاة بأوقاتها بإتقان، في ثلاثين يوماً إنفاق، في ثلاثين يوماً قرآن، فهذا القرآن الذي يتلى في رمضان، وهذا الإنفاق في رمضان، وهذا الانضباط الذي يأخذ وضعاً حاسماً في رمضان، هذا كله تدريب على طاعة الواحد الديان، فأنا أقول: الإنجاز الذي تحقق في رمضان ينبغي أن يحافظ عليه طوال العام وأن يفطر فقط فمه، أما أن يغير ما ألفه في رمضان من ضبط للسان، وضبط للجوارح، ومن أداء للصلوات، ومن الاستقامة على أمر الله فهذا ينبغي أن يكون مستمراً طوال العام، فأي مسلم يتوهم أنه يعود ما بعد رمضان إلى ما كان عليه قبل رمضان هذا إنسان لم يعرف حكمة الصيام أصلاً.

رمضان شهر عبادة و انضباط لا عادات و تقاليد :

الصيام حكمته أستاذ أنك ترقى به درجة، هذه الدرجة ينبغي أن تستمر طوال العام، يأتي رمضان آخر ترقى درجة، يستمر هذا الرقي طوال العام، كأن رمضان صار درجاً، لكن معظم الناس ما يفعله في رمضان يعود عنه بعد رمضان، يتركه إذاً عاد إلى ما كان عليه، صار الصيام نوعاً من الفلكلور الاجتماعي، أنا الذي أخاف منه أن ينقلب هذا الشهر العظيم إلى فلكلور، إلى عادات، وتقاليد، وولائم، وسهرات حتى الفجر، هذا الصوم الذي يفعله بعض الناس ليس الصوم الذي أراده الله عز وجل، شهر عبادة، شهر انضباط، شهر إنفاق، شهر مناجاة لله عز وجل، شهر صلح مع الله، شهر قفزة نوعية، فينبغي أن يعلم الإنسان أن هذا الشهر الذي صامه بالتمام والكمال ينبغي أن يستثمر طوال العام.

الأستاذ حسام :

جزاك الله خيراً خلال حديثنا في حلقات برنامجنا: "أفلا تبصرون" الذي اقتبسنا عنوانه من الآية الكريمة:

(وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات: 21]

مررنا على عدة آيات من الإعجاز في الآفاق وفي الإنسان، لكن الشيء المميز أسلوب الحوار الذي طرحه القرآن الكريم للإنسان، يقول الله عز وجل:

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى)

[سورة القيامة: 36-37]

وفي آية أخرى قال رب العزة:

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ)

[سورة الطارق:5]

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)

[سورة عبس: 24]

هذه الحوارية التي يخاطبنا بها الله عز وجل ماذا توحي؟

مخاطبة القرآن الكريم القلب و العقل معاً :

الدكتور راتب :

توحي أن هذا الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، فالقرآن خاطب عقله كثيراً:

(وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا)

[سورة الشمس: 1-2]

(وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ)

[سورة الفج: 1-2]

وخاطب قلبه:

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)

[سورة الحديد: 16]

وخاطب عقله وقلبه معاً، وهناك آيات كثيرة، القرآن أعظم ما فيه أنه يخاطب قلب الإنسان ويخاطب عقله، فالعقل يتخذ القرار، والقلب ينفذ هذا القرار، والإنسان عقل يدرك وقلب يحب، فإذا خاطب عقله وقلبه معاً استطاع أن يحقق الهدف الذي خلق من أجله، إذاً أنت حينما تخاطب العقل وحده دعوة عرجاء، وإذا خاطبت القلب وحده دعوة عرجاء، لكن القرآن الكريم خاطب العقل، خاطب العقل حواراً، وخاطب العقل استفهاماً.

الأستاذ حسام :

أكثرها بالأمور التي تتعلق بالإعجاز أليس كذلك؟

الإعجاز هو الطريق الوحيد لمعرفة الله عز وجل :

الدكتور راتب :

الإعجاز أنا أراه طريقاً وحيداً لمعرفة الله، والدليل:

(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآَيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ)

[سورة الجاثية: 6]

لا يوجد طريق للإيمان بالله إلا من خلال آياته الكونية، والتكوينية، والقرآنية، الكونية خلقه قال تعالى:

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة يونس: 101]

والتكوينية أفعاله:

(قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)

[سورة الأنعام: 11]

والقرآنية كلامه، فآياته الكونية والتكوينية والقرآنية طرق معرفته، وإذا عرف الإنسان ربه عرف كل شيء.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - أفلا تبصرون - الندوة (30 - 30) : آيات الله في الإنسان – العيد تحقيق لإنجاز كبير جداً من شأنه أن يفرح الإنسان.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 12-10-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ حسام :

اليوم الحلقة الأخيرة قمت بجهد مشكور وتابعتنا، وكنا معاً في ثلاثين حلقة علها أتت ثمارها للمستمعين، قدمنا ما يفيد وما يمتع لكل الراغبين في التفكر في آلاء الله، في خلق الله، في آيات الله في الآفاق، وفي الأنفس، اليوم هو الأخير من شهر رمضان المبارك، وغداً العيد، ماذا نقول؟

العيد تحقيق إنجاز كبير في العلاقة مع الله عز وجل :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن أعياد المسلمين لها خصيصة، خصيصتها أنها جاءت عقب عبادة كبرى، وكأن العيد تحقيق لإنجاز كبير جداً من شأنه أن يفرح الإنسان به، فبعض المواسم الدينية عند المسلمين في حالات الغفلة عن الله عز وجل تكون أياماً للفرح، والطرب، والأكل، والشرب، و الزيارات، وما إلى ذلك، ليس هذا هو العيد الذي أراده الله، العيد تماماً كما لو أن إنساناً التحق بجامعة، ودرس دراسة مضنية ومتعبة، وانتقل من الصف الأول للثاني للثالث للرابع، ثم نال الليسانس، طموحه الكبير أن يكون مجازاً، أن يحمل ليسانس في فرع معين، فالعيد تحقيق إنجاز كبير في العلاقة مع الله، أحد هذه الإنجازات أنه اصطلح مع الله، تاب إليه، عاد إلى منهجه، التزم بمنهجه، خدم خلقه، ضبط أموره، ترك كل مخالفة لدينه، هذا الإنجاز الكبير في العلاقة مع الله كان عن طريق هذه الدورة المكثفة التي هي عبارة عن ثلاثين يوماً، أقام الليل، وصام النهار، وأقبل على الله، وقرأ القرآن، وأنفق ماله، وأحسن إلى خلق الله، فهذا نوع آخر من أنواع القرب من الله عز وجل، وكما أقول دائماً: الصلاة شحنات يومية، الإنسان بشكل أو بآخر يشبه هذا الهاتف الخلوي، إن لم يشحن ينطفئ، إن لم يشحن يصمت، فلا بد من شحنات، فالله عز وجل جعل الشحنات منوعة، الصلوات الخمس شحنات يومية، وصلاة الجمعة وخطبتها شحنة أسبوعية، ورمضان شحنة سنوية لكنها مديدة لثلاثين يوماً، أنا أسميها دورة مكثفة، كي ينتقل فيها

الإنسان من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، لكن هناك فرقاً كبيراً بين مدافعة التدني ومتابعة الترقي، أنا أتصور أن رمضان ليس بمدافعة التدني بل لمتابعة الترقي، أي كل إنسان له علاقة مع الله، هذه العلاقة المرجو أن تكون في رمضان بأعلى مستوى، المرجو أن تكون في رمضان متطورة، المرجو أن تكون في رمضان واعية، أن يكون هذا الشهر طاعة للواحد الديان.

رمضان مناسبة القرب من الله ومحبته والإقبال عليه :

كل ما أتمناه في هذا اللقاء الأخير أن هذا المؤمن الذي صام ثلاثين يوماً أيعقل أن يعود بعد رمضان إلى ما كان عليه قبل رمضان من تقصير؟ ما أراد الله أن يكون هذا الشهر وحده قفزة نوعية، أراده أن يكون قفزة مستمرة، الإنجاز الذي حققه في هذا الشهر ينبغي أن يسير معه، فكل إنسان يطمح بعد رمضان أن يعود إلى ما كان عليه قبل رمضان من تقصيرات، وأخطاء، وبعض المخالفات، هو إنسان ما فهم حقيقة الصيام إطلاقاً، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: عجبت لمن أدرك رمضان، فلم يغفر له، إن لم يغفر له فمتى؟ هو الوقت المناسب للمغفرة، الوقت المناسب للعفو من الله، للصلح مع الله، للإقبال على الله، فهذا الإنجاز الذي حصل في رمضان ينبغي أن يستمر بعد رمضان، لكن بعض الناس من ضعف إيمانهم، ومن أن الدين عندهم أصبح عادات وتقاليد، في رمضان ولائم، ولقاءات، وسهرات ممتعة، و غيبة، ونميمة، وأخطاء كثيرة، يعود بعد رمضان إلى ما كان عليه، وكأن شيئاً لم يقع، هذا النوع من الصيام ما أراده الله أبداً، ينبغي أن تعبد الله وفق منهجه، ووفق أهداف هذه العبادة، فلذلك هذا الشهر شهر عظيم للمؤمن، قفزة نوعية مع الله، وإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، أنت في رمضان ازددت علماً بالله، في رمضان ازددت قرباً، لذلك ورد في بعض الأدعية: لا بورك لي في طلوع شمس يومٍ لم أزدد فيه من الله علماً، ولا بورك لي في طلوع شمس يومٍ لم أزدد فيه من الله قرباً.

فرمضان مناسبة القرب، مناسبة القرب من الله، ومحبته، والإقبال عليه، وطاعته، واتباع أمره.

الأستاذ حسام :

هذا بالنسبة لمن عمل وصام وقام في رمضان، أما للذي قصر أو هناك ظرف معين منعه من أن يستفيد من ميزات هذا الشهر الكريم، هل يمكن أن نقول عن القطار قد فات مثلاً؟

الله موجود في كل وقت وفي كل مكان وزمان وهو ينتظرنا أن نقبل عليه :

الدكتور راتب :

لا أبداً، بإمكانه أن يجعل ما بعد رمضان رمضان، لأن الله موجود في كل وقت، وفي كل مكان وزمان، وهو ينتظرنا:

((لو يعلم المعرضون انتظاري لهم، وشوقي إلى ترك معاصيهم، لتقطعت أوصالهم من حبي، ولماتوا شوقاً إليّ، هذه إرادتي بالمعرضين، فكيف بالمقبلين ؟))

[ورد في الأثر]

أنا أقول لكل إنسان فاته أن يكون كما ينبغي في رمضان بدأ العيد أنا أفتح مع الله صفحة جديدة، وأحاول أن أستقيم على أمر الله استقامة تامة، وأن أفعل الصالحات، وأن أتقن عملي، وأكون أباً ناجحاً، وموظفاً جيداً، وتاجراً صدوقاً أميناً بعد رمضان، لأن الله عز وجل موجود في كل مكان، وفي كل زمان، ويمكن أن يجعل ما بعد رمضان رمضان، لأن الله ينتظرنا ويحبنا أن نقبل عليه.

الأستاذ حسام :

في الحديث القدسي: إن أتاني عبدي ليلاً قبلته وإن أتاني نهاراً قبلته.

الدكتور راتب :

الحديث القدسي:

((إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إلي صاعد، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي، من أقبل عليّ منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، هنا الشاهد، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها))

[رواه البيهقي والحاكم عن معاذ، والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداء]

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - من نور الإيمان - الحلقة (1 - 8) : قراءة في سورة العصر.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2005-10-23

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:

فضيلة الشيخ، شهر رمضان المبارك، كاد أن ينتهي لكنه باق في النفوس ألقاً متوهجاً، وعطاء استزاد الإنسان فيه من عطاء الله؛ إيمانياً وروحياً، كيف نتحدث وهناك بضعة أيام، ويختتم شهر رمضان لهذا العام.

الدكتور:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، و الصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أستاذ جمال، جزاك الله خيراً، ما من حديث أبلغ من كلام الله عزوجل، ففي القرآن الكريم سورة قصيرة؛ كان الرجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا التقيا؛ لم يفترقا حتى يتلو أحدهما على الآخر هذه السورة، وكان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، يقول:

<< لو تفكر الناس في هذه السورة؛ لكفتهم>>

إنها سورة العصر؛ هذه السورة ترسم حدود منهج كامل لحياة البشرية، كما يريدها خالق البشرية، فعلى امتداد الزمان في جميع العصور؛ وعلى امتداد المكان في جميع الدهور، ليس أمام الإنسان؛ إلا منهج واحد رابح، وطريق واحد سالك، إلى جنة الخلد، وكل ما وراء ذلك؛ ضياع وخسارة وشقاء.

السورة تقول:

(وَالْعَصْرِ*إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

[سورة العصر: 1و2]

قد أقسم الله جل جلاله بمطلق الزمن لهذا الإنسان المكرم، الذي هو في حقيقته زمن، في أدق تعريفات الإنسان:

<< إنه بضعة أيام، كلما انقضى يوم؛ انقضى بضع منه>>

وما من يوم ينشق فجره إلا وينادي:

<<يا ابن آدم؛ أنا فجر جديد، وعلى عملك شهيد؛ فتزود مني؛ فإني لا أعود إلى يوم القيامة.>>

لقد أقسم الله بالزمن للإنسان؛ أنه في خسر؛ بمعنى أن مضي الزمن وحده، يستهلك عمر الإنسان؛ الذي

هو رأس ماله، ووعاء عمله الصالح، الذي هو ثمن الجنة، التي وعد بها، وهل الخسارة في العرف التجاري؛ إلا أن تضيع رأس مالك، من دون تحقيق الربح المطلوب؟! لكن الإنسان إذا استثمر الوقت فيما خلق؛ يستطيع أن يتلافى هذه الخسارة، وذلك بالإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، و التواصي بالصبر، فقد قال الإمام الشافعي:

<< هذه أركان النجاة>>

قال تعالى:

(وَالْعَصْرِ* ِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ*إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

[سورة العصر]

المذيع:

إذاً؛ هناك فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، موضوع الإيمان، الذي تتحدث عنه.

الدكتور:

أحد فقرات أركان النجاة، أربع فقرات؛ إيمان وعمل صالح ودعوة وصبر.

يعني؛ ينبغي أن تعلم، وينبغي أن تعمل بما تعلم، وينبغي أن تخلص في دعوتك إلى الله عز وجل، وينبغي أن تصبر على كل شيء.

الإيمان؛ هو اتصال هذا الكائن الإنساني الصغير، الضعيف، الفاني، المحدود، بالأصل المطلق، الأزلي، الباقي، الذي صدر عنه هذا الوجود، وعندئذ ينطلق هذا الإنسان من حدود ذاته الصغيرة، إلى رحابة الكون الكبير، ومن حدود قوته الهزيلة، إلى عظمة الطاقات الكونية المخبوءة، ومن حدود عمره القصير، إلى امتداد الآباد التي لا يعلمها إلا الله، هذا الاتصال؛ فضلاً على أنه يمنح الإنسان القوة والامتداد والانطلاق، فإنه يمنحه السعادة الحقيقية، التي يلهث وراءها الإنسان، وهي سعادة رفيعة، وفرح نفيس، وأنس بالحياة، كأنس الحبيب بحبيبه، وهو كسب لا يعدله كسب، وفقدانه خسران لا يعدله خسران، وعبادة إله واحد؛ يرفع الإنسان عن العبودية لسواه، فلا يذل لأحد ولا ينحني رأسه لغير الواحد القهار، فليس هناك إلا قوة واحدة، ومعبود واحد، وعندئذ؛ تنتفي من حياة الإنسان المصلحة، و الهوى ليحل محلها الشريعة، و العدل، والاعتقاد بكرامة الإنسان من لوازم الإيمان.

المذيع:

دكتور، هذا الموضوع الذي تتفضل به جنابك، هو يلخص حقيقة وجودنا في هذه الحياة، يعني هناك موضوع لوازم الإيمان، كيف نطل على هذا الجانب.

الدكتور:

الاعتقاد ـ أستاذ جمال ـ بالله عز وجل؛ اعتقاد يحقق كرامة الإنسان، فيرفع الله من قيمته، في نظر نفسه، ويثير في نفسه الحياء، من التدني عن المرتبة، التي رفعه الله إليها.

البند الثاني ـ أستاذ جمال ـ (وعملوا الصالحات) ولأن الإيمان حقيقة إيجابية متحركة؛ كان العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان، فما إن تستقر حقيقة الإيمان في ضمير المؤمن؛ حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها، في صورة عمل صالح، فلا يمكن أن يظل الإيمان في نفس المؤمن خامداً، لا يتحرك، كامناً لا يتبدل، فإن لم يتحرك الإيمان هذه الحركة الطبيعية؛ فهو مزيف أو ميت، شأنه شأن الزهرة؛ ينبعث أريجها منها، انبعاثاً طبيعياً، فإن لم ينبعث منها أريج؛ فهو غير موجود، والعمل الصالح، ليس فلتة عارضة، ولا نزوة طارئة، ولا حادثة منقطعة، إنما ينبعث عن دوافع، ويتجه إلى هدف؛ يتعاون عليه المؤمنون، فالإيمان ليس انكماشاً، ولا سلبية، ولا انزواء، ولا تقوقعاً، بل هو حركة خيرة نظيفة، وعمل إيجابي هادف، وإعمار متوازن للأرض، وبناء شامخ للأجيال؛ يتجه إلى الله، ويليق بمنهج يصدر عن الله.

المذيع:

ما المقصود دكتور ب(وتواصوا بالحق)

الدكتور:

هو البند الثالث. (إلا الذين آمنوا) البند الأول، (وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق)

أستاذ جمال، لأن النهوض بالحق؛ عسير، والمعوقات كثيرة، والصوارف عديدة، فهناك هوى النفس، ومنطق المصلحة، وظروف البيئة، وضغوط العمل، والتقاليد، والعادات، والطمع، عندئذ يأتي التواصي بالحق، ليكون مذكراً، ومشجعاً، ومحصناً للمؤمن، الذي يجد أخاه معه يوصيه، ويشجعه، ويقف معه، ويحرص على سلامته، وسعادته، ولا يخذله، ولا يسلبه، وفضلاً عن ذلك؛ فإن التواصي بالحق؛ ينقي الاتجاهات الفردية، ويلقيها، فالحق لا يستقر ولا يستمر إلا في مجتمع مؤمن، متواص، متعاون، متكافل، متضامن، فالمرء بالإيمان، والعمل الصالح؛ يكمل نفسه، وبالتواصي بالحق؛ يكمل غيره، وبما أن كيان الأمة مبني على الدين الحق؛ الذي جاء بالنقد الصحيح، وأكده العقل الصريح، وأيده الواقع الموضوعي، وتوافق مع الفطرة السليمة، فلابد من أن يستمر هذا الحق، ويستقر؛ حتى تشعر الأمة بكيانها، ورسالتها، فالتواصي بالحق؛ قضية مصيرية، فما لم تتنامى دوائر الحق في الأرض؛ تنامت دوائر الباطل، وحاصرته، فالتواصي بالحق؛ يعني الحفاظ على وجوده وأداء رسالته.

المذيع:

التواصي بالصبر والصبر له أهمية متميزة في ديننا الحنيف.

الدكتور:

نعم،(الذين آمنوا) البند الأول، (وعملوا الصالحات) البند الثاني (وتواصوا بالحق) البند الثالث، و(تواصوا بالصبر) البند الرابع.

وقد شاءت حكمة الله جل جلاله، أن تكون الدنيا دار ابتلاء بالشر والخير، ودار صراع بين الحق والباطل، لذلك كان التواصي بالصبر ضرورة؛ للفوز بالابتلاء، والغلبة في الصراع، إذاً لابد من التواصي بالصبر على مغالبة هوى النفس، وعناد الباطل، وتحمل الأذى، وتكبد المشقة، لذلك، يعد الصبر وسيلة فعالة لتذليل العقبات، ومضاعفة القدرات، وبلوغ الغايات:

ِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ

[سورة النساء: الآية: 104]

هذه بعض بنود أركان النجاة التي وردت في هذه السورة الكريمة، سورة العصر.

المذيع:

فضيلة الشيخ، نتحدث دائماً عن نور الإيمان؛ هذا النور، ما إن دخل في القلب؛ إلا صنع المعجزات، وهناك التفكر بآلاء الله عز وجل،بآيات الله؛ التي فيها أيضاً الشيء الكثير، إفادة ومعرفة لقلب المؤمن.

الدكتور:

أصل الدين؛ معرفة الله، المسلم إذا عرف الله، ثم عرف أمره؛ تفانى في طاعته، أما إذا عرف الأمر، ولم يعرف الآمر؛ تفنن في التفلت من أمره، فلذلك حينما يعرف المسلم ربه، حق المعرفة؛ يتفانى في طاعته، وأي منهج إسلامي، لا يقدم معرفة الله، على معرفة الأمر؛ منهج لا ينجح؛ ذلك لأن الله تعالى حينما قال:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران: 190و191]

قد يسأل سائل: كيف نعرف الله؟ الله عز وجل يقول فصل:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ)

[سورة الأنعام:103]

لكن العقول تصل إليه، فالله سبحانه وتعالى؛ خلق الكون بسمواته وأرضه، بجباله، وبحاره، بأسماكه، وأطياره، بالنباتات بكل ما في هذا الكون يدل على الله عز وجل، فالإنسان إذا تفكر في خلق السموات والأرض؛ عرف الله؛ لذلك الله عز وجل، جعل الكون تجسيداً لأسمائه الحسنى، وصفاته الفضلى، أو جعل الكون مظهراً لأسمائه الحسنى، وصفاته الفضلى،

فالإنسان حينما يتفكر في طعامه قال تعالى:

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)

[سورة عبس:24]

الإنسان حينما يتفكر فيما خلق:

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ)

[سورة الطارق: 5]

الإنسان حينما يتفكر فيمن حوله، قال:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ*وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ*وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ)

[سورة الغاشية:17و18و19]

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - من نور الإيمان - الحلقة (2 - 8) : التوحيد والعبادة.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2005-10-24

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع جمال الشيخ بكري:

سماحة الشيخ، الله عزوجل إله واحد، خالق كل شيء، رب كل شيء، له الخلق والأمر وإليه المصير، في السماء إله واحد، وفي الأرض إله واحد، كيف نتحدث في هذه اللحظات المباركات، من شهر رمضان المبارك، عن الله سبحانه الذي يملأ القلب دائماً.

الدكتور:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

أستاذ جمال، قيل:

<<ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد>>

والتوحيد هو لب الإسلام، بل هو محور رسالات السماء، قال تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

[سورة الأنبياء: 25]

يمكن أن نضغط الدين كله في كلمتين: توحيد، وعبادة، والتوحيد نهاية العلم، والعبادة نهاية العمل، إله واحد؛ خالق كل شيء، رب كل شيء، له الخلق، و الأمر، وإليه المصير، في السماء إله، وفي الأرض إله، فعال لما يريد:

(إِلَيهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)

[سورة هود:123]

ووحده الجدير أن يعبد فلا يجحد، و أن يشكر فلا يكفر، وأن يطاع فلا يعصى.

روى الشيخان في البخاري ومسلم، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال:

كنتُ رِدْيفَ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: يا معاذ، ما حقُّ الله على العباد، وما حقُّ العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم ـ وهذا من أدبه الجم ـ قال عليه الصلاة والسلام: حقَّ الله على العباد: أن يعبدوه ـ لأن العبادة هي علة وجودهم:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات:56]

((و حقُّ العباد على الله؛ ألا يعذّب من لا يشرك به شيئاً"))

[صحيح]

أيها الأخوة المستمعون، تحدثت عن تعريف التوحيد، وهاأنا ذا؛ أنتقل إلى لوازم التوحيد:

من لوازم التوحيد؛ ألا يتخذ الإنسان من دون الله رباً، يعظمه كما يعظم الله:

(قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ)

[سورة الأنعام:164]

فلو اعتقد أن جهة غير الله، يمكن أن تعطي أو ان تمنع؛ يمكن أن تخفض أو أن ترفع، يمكن أن تعز أو تذل ـ مستقلة عن إرادة الله ـ فقد أشرك:

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

[سورة آل عمران:26]

ومن لوازم التوحيد أيضاً ألا يتخذ الإنسان من دون الله ولياً، يحبه كحب الله:

(قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة الأنعام:14]

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وأَ بْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)

[سورة فصلت: 30 و31 و32]

ـ أستاذ جمال، جزاك الله خيراً، على هذه الندوات ـ ومن لوازم التوحيد أيضاً؛ ألا يتخذ الإنسان من دون الله حكماً، يطيعه كما يطيع الله:

(أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً)

[سورة الأنعام:114]

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً)

[سورة الأحزاب:36]

المذيع:

فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي ـ يعني ـ الحديث جميل وشيق؛ حول عبادة الله سبحانه وتعالى، هناك من ثمار الإيمان، وثمار التوحيد، هناك ثمار يانعة تعود في الواقع على الإنسان ـ الذي هو المبتغى دائماً ـ

الدكتور:

في الحقيقة؛ أن التوحيد له تعريف؛ وقد سبق أن عرفته، وله لوازم؛ وقد تحدثت عنها ملياً، بقي ـ كما

تفضلتم ـ ما ثمار التوحيد؟ من ثمار التوحيد اليانعة، أن التوحيد هو في الواقع؛ تحرير للإنسان، من كل عبودية، إلا لربه الواحد الديان، الذي خلقه فسواه وكرمه، التوحيد تحرير لعقله من الخرافات والأوهام، التوحيد تحرير لضميره من الخضوع والذل والاستسلام، التوحيد تحرير لحياته من تسلط الأرباب والمتألهين، ومن ثمار التوحيد اليانعة أيضاً؛ أن التوحيد يعين على تكوين الشخصية المتزنة؛ التي توضحت في الحياة وجهتها، وتوحدت غايتها، وتحدد طريقها، فليس لها إلا إله واحد؛ تتجه إليه في الخلوة والجلوة، وتدعوه في السراء والضراء، وتعمل على ما يرضيه

في الصغيرة والكبيرة؛ ففي القرآن:

(أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)

[سورة يوسف:39]

وفي آية أخرى:

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

[سورة الزمر:29]

وأضيف:

ومن ثمار التوحيد أيضاً؛ يملأ نفس صاحبه أمناً وطمأنينة؛ فلا تستبد بها المخاوف؛ التي تتسلط على أهل الشرك، فقد سد الموحد منافذ الخوف؛ التي يفتحها الناس على أنفسهم؛ الخوف على الرزق، والخوف على الأجل، والخوف على النفس، والخوف على الأهل والأولاد، والخوف من الأنس، والخوف من الجن، والخوف من الموت، والخوف مما بعد الموت.

المذيع:

إذاً دكتور محمد راتب النابلسي، من ثمار التوحيد؛ أنه يعود نفعاً على الأخ المؤمن، المسلم، الموحد، الذي عشق ربه، الذي عشق الله سبحانه وتعالى، هذا ينعكس على بناء نفسية الإنسان، ثم على بناء مجتمعه.

الدكتور:

هو صحة نفسية يعني المؤمن الصادق الموحد؛ لا يخاف إلا الله، ولا يخشى إلا الله، ولا يرجو غير الله، لهذا تراه آمناً إذا خاف الناس، مطمئناً إذا قلق الناس، هادئاً إذا اضطرب الناس:

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

[سورة الأنعام: 81 و82]

قال تعالى:

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)

[سورة الشعراء: 213]

أحد أكبر أسباب العذاب النفسي؛ الشرك بالله.

ومن ثمار التوحيد اليانعة أيضاً؛ أن التوحيد مصدر لقوة النفس؛ إذ يمنح التوحيد صاحبه، قوة نفسية هائلة، حيث تمتلئ نفسه من الرجاء بالله تعالى، والثقة به، والتوكل عليه، والرضا بقضائه، والصبر على بلائه، و الاستغناء به عن خلقه، هو راسخ كالجبل لا تزحزحه الحوادث، ولا تزعزعه الكوارث:

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)

[سورة الشعراء: 213]

(فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

[سورة هود: 55 و56]

ومن ثمار التوحيد أيضاً؛ أن التوحيد أساس الأخوة الإنسانية، والمساواة البشرية؛ لأن الأخوة والمساواة؛ لا تتحققان في حياة الناس، إذا كان بعضهم أرباباً لبعض، أما إن كان الناس جميعاً عباداً لله، والله فوق الخلق فيها وحده؛ هو الخالق، والمربي، والمسير، والرازق، هو الحكم، إليه المصير؛ عندئذ تتحقق المساواة بين الناس، ويأتلف بعضهم لبعض، وهذه بعض ثمار التوحيد، وقد قيل:

<< ما تعلمت العبيد ـ كما بدأت ـ أفضل من التوحيد>>

وقيل أيضاً:

<<نهاية العلم التوحيد، ونهاية العمل التقوى>>

والتوحيد هو لب الإسلام، بل هو محور رسالات السماء.

قال تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

[سورة الأنبياء:25]

يمكن أن نضغط الدين كله في كلمتين: توحيد وعبادة، والتوحيد نهاية العلم، والعبادة نهاية العمل، إله واحد، خالق كل شيء، رب كل شيء له الخلق والأمر، وإليه المصير، في السماء إله، وفي الأرض إله.

المذيع:

فضيلة الشيخ الدكتور راتب النابلسي، أنت أستاذ مادة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، في كليات الشريعة وأصول الدين، ماذا وكيف نتحدث عن آيات الله عز وجل في الآفاق؟ كنتم قد تحدثتم في حلقات سابقة عن تكوين الإنسان، كيف نتحدث عن آيات الله سبحانه وتعالى، في الآفاق؟.

الدكتور:

ـ جزاك الله خيراً على هذه الندوة ـ

في القرآن الكريم آية يقول الله فيها:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر:آية41]

إن الأرض تدور حول الشمس، في مسار إهليلجي ـ أي بيضوي ـ ومعلوم أن المسار الإهليلجي؛ له قطران؛ قطر أكبر، وقطر أصغر،فالأرض سرعتها ـ كما تحدثت في حلقة سابقة ـ ثلاثون كيلومتراً في الثانية، فحينما تتجه الأرض إلى القطر الأصغر؛ تقل المسافة بينها وبين الشمس، ومعلوم أن قانون الجاذبية؛ يتعلق بالكتلة، وبمربع المسافة بين الكتلتين، فكلما قلت المسافة بين كتلتين؛ ازداد جذب الكتلة الأكبر إلى الكتلة الأصغر؛ إذاً هناك احتمال كبير أن ترتطم الأرض بالشمس، وأن تتبخر في ثانية واحدة، لأن الشمس حرارتها على سطحها ستة آلاف درجة، أما في مركزها عشرون مليون درجة فالأرض يمكن أن تتبخر في ثانية واحدة، ما الذي يمنع انجذاب الأرض إلى الشمس، وانتهاء الحياة من على سطحها؟ لأن المسافة قلت في أثناء دورانها حول الشمس. الله جل جلاله يرفع سرعة الأرض؛ بحيث ينشأ عن هذه السرعة الجديدة؛ قوة نابذة جديدة، تكافئ القوة الجاذبة الجديدة، فتبقى في مسارها:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر:آية41]

تتابع الأرض سيرها، فإذا وصلت إلى القطر الأكبر؛ ما معنى وصلت إلى القطر الأكبر؟ أن المسافة بينها وبين الشمس زادت، ومع ازدياد المسافة؛ تضعف الجاذبية، فهناك احتمال كبير أن تتفلت الأرض من مسارها حول الشمس، وتمشي في الفضاء الخارجي، عندئذ تصبح حرارتها؛ مئتين وسبعين تحت الصفر، وتنتهي الحياة أيضاً؛ فإذا قال الله عز وجل:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر:آية41]

الزوال الأول؛ انحرافها عن مسارها، أما الزوال الثاني؛ تلاشيها، إذا وصلت إلى الشمس؛ تبخرت في ثانية، وإذا ابتعدت عن مسارها حول الشمس، تجمدت وانتهت الحياة من على سطحها.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - من نور الإيمان - الحلقة (3 - 8) : التفكر في آيات الله.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 25-10-2005

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع جمال الشيخ بكري:

فضيلة الشيخ، نتحدث دائماً عن نور الإيمان؛ هذا النور؛ ما إن دخل في القلب إلا صنع المعجزات، وهناك التفكر بآلاء الله عزوجل، بآيات الله، التي فيها أيضاً الشيء الكثير، إفادة ومعرفة لقلب المؤمن، كيف نبدأ في هذا الاتجاه؟ تفضل.

الدكتور:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

أستاذ جمال، جزاك الله خيراً.

المذيع جمال الشيخ بكري:

بارك الله فيكم.

الدكتور:

أصل الدين؛ معرفة الله؛ المسلم إذا عرف الله؛ ثم عرف أمره؛ تفانى في طاعته، أما إذا عرف الأمر ولم يعرف الآمر؛ تفنن في التفلت من أمره؛ فلذلك حينما يعرف المسلم ربه حق المعرفة؛ تفانى في طاعته، وأي منهج إسلامي؛ لا يقدم معرفة الله على معرفة الأمر؛ منهج لا ينجح، ذلك أن الله سبحانه وتعالى حينما قال:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[آل عمران:190و191]

قد يسأل سائل كيف نعرف الله؟ الله عز وجل؛ يقول فصل:

(لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ)

[الأنعام:103]

لكن العقول تصل إليه، فالله سبحانه وتعالى خلق الكون، بسمواته،وأرضه، بجباله،وبحاره، بأسماكه، وأطياره، بالنباتات، بكل ما في هذا الكون؛ يدل على الله عز وجل، فالإنسان إذا تفكر في خلق السموات

والأرض؛ عرف الله؛ لذلك الله عز وجل جعل الكون؛ تجسيداً لأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى، أو جعل الكون مظهراً لأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى، فالإنسان حينما يتفكر في طعامه؛ قال تعالى:

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)

[عبس:24]

الإنسان حينما يتفكر فيما خلق:

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ)

[الطارق:5]

فالإنسان حينما يتفكر فيما حوله، قال:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ*وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ*وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وإلى الأرضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)

[سورة الغاشية:17و18و19]

فكل ما في الكون يدل على الله، بل إن هذا الأعرابي؛ ببساطة ما بعدها بساطة، قال:

الأقدام تدل على المسير، والماء يدل على الغدير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدلان على الحكيم الخبير؟! >>

إذاً الكون له وظيفة كبيرة جداً؛ في حياة المسلم؛ إنه المادة الأولى لمعرفة الله عز وجل:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

من مسلمات الإيمان؛ أن تؤمن أن الله موجود، وواحد، وكامل، والكون كله يدل على ذلك، والإنسان حجم استقامته؛ متعلق بحجم معرفته بالله، حجم خشوعه؛ متعلق بحجم معرفته بالله؛ فكلما ازدادت معرفة بالله عز وجل؛ ازداد طاعة له، وخشوعاً له، وتقرباً إليه.

وهذا الكون بين أيدي الناس جميعاً، لو أردت أن تبدأ بنفسك؛ قال تعالى:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات:21]

لو أردت أن تصل إلى طعامك، إلى شرابك، إلى ما حولك، إلى من فوقك، إلى من تحتك؛ لوجدت أن الله وراء هذه المخلوقات، بعلمه وحكمته وقدرته، وغناه.

لو فرضنا أردنا ان ندخل في بعض التفاصيل:

الأرض تبعد عن الشمس مئة وستة وخمسين كيلو متر، يقطعها الضوء في ثماني دقائق، الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة مرة، أي أن جوف الشمس يتسع لمليون وثلاثمئة ألف أرض، إذاً الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، وبين الأرض والشمس مئة وستة وخمسون مليون كيلو متراً، وفي

أحد أبراج السماء؛ وهو برج العقرب؛ نجم صغير، أحمر اللون، متألق، يتسع للأرض والشمس، مع المسافة بينهما:

(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ)

[سورة الزمر: 6]

ملاحظة: كررت البحث كثيراً عن الآية التي ذكرها الدكتور لكن ما وجدت نفس لفظه لها

المذيع جمال الشيخ بكري:

سبحانه وتعالى.

الدكتور:

الإنسان حينما يعرف عظمة الله عز وجل؛ كيف يعصيه؟! كيف ينصرف عنه؟! كيف لا يعتد بوعده ووعيده؟!كيف لا ينصرف إلى طاعته؟!

شيء عجيب، لذلك قضية العلم؛ هي المشكلة الأولى عند أهل النار، ماذا يقولون؟:

(لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

[الملك:10]

إذاً الكون يدل على الله؛ يدل على وجوده، وعلى وحدانيته، وعلى كماله، وحيثما نظرت، وأنى التفت؛ تجد الآيات القاطعة؛ التي تؤكد وجوده، وعظمته، وحدانيته، و كماله، فما على الإنسان بعد أن يعرف الله عز وجل؛ إلا أن ينصرف إلى طاعته؛ فلذلك الله عز وجل؛ في آيات كثيرة جداً؛ يقول:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ)

[الغاشية: 17]

(أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ)

[سورة الأنعام: 50]

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ*وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ)

[سورة الغاشية:17و18]

فالنظر جزء من الإيمان؛ بل إن هذا الإيمان؛ الذي هو أعلى مرتبة ينالها الإنسان؛ الإيمان ـ الحقيقة ـ مرتبة أخلاقية، ومرتبة علمية، ومرتبة جمالية، مرتبة علمية؛ المؤمن عرف الحقيقة الكبرى في الكون، الحقيقة الأولى؛ الحقيقة التي تسعد؛ فهو على علم يتفوق به على من سواه، والإيمان مرتبة أخلاقية؛ المؤمن منضبط بمنظومة قيم كثيرة جداً؛ ألم يقل سيدنا جعفر رضي الله عنه، حينما سأله النجاشي عن الإسلام، قال:

((كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الرحم، ونسيء الجوار، حتى بعث الله فينا رجلاً؛ نعرف أمانته، وصدقه، وعفافه، ونسبه، فدعانا إلى الله؛ لنعبده، ونوحده،

ونخلع ما كان يعبد آباؤنا، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء.))

[رواه أحمد عن أم سلمة]

إذاً الإسلام؛ مجموعة من المبادئ الأخلاقية، ثم إن الإسلام؛ بالمرحلة الثالثة؛ له بعد جمالي؛ فالإنسان حينما يتصل بالذي منح الجمال لكل الكون؛ يكون أسعد الناس:

فلو شاهدت عيناك من حسننا ******** الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا********خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا

ولو ذقت من طعم المحبة ذرة******** عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا

ولو نسمت من قربنا لك نسمة******** لمت غريباً واشتياقاً لقربنا

المذيع جمال الشيخ بكري:

سماحة الشيخ دكتور محمد راتب النابلسي، تفضلتم بالحديث عن التفكر بأدلة، وبعد أن دخل نور الإيمان إلى قلب الإنسان؛ ما المطلوب إذاً، مع ختام هذا الحديث؟ ما المطلوب من المؤمن حتى يصل إلى دار الأمان؟

الدكتور:

المطلوب أن يكون العلم عنده، وسيلة وليس غاية، بمعنى أن هذه المعرفة التي حصلت له؛ عن طريق التفكر في خلق السموات والأرض، ينبغي أن تترجم إلى استقامة على أمر الله، والمؤمن حينما يستقيم على أمر الله؛ يشعر أن الله راض عنه، لذلك يقبل عليه؛ إقبال المؤمن على الله عز وجل؛ ثمرة شيئين: ثمرة تفكره في خلق السموات والأرض، ومعرفته بعظمة الله عز وجل، ثم بطاعته له، فإذا اتصل بالله عز وجل؛ حقق المراد من خلقه؛ قال تعالى:

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً)

[النساء:147]

يعني حينما تشكرون، وحينما تؤمنون؛ تكونون قد حققتم الهدف، الذي من أجله خلقتم.

المذيع جمال الشيخ بكري:

هناك معادلة إيجابية؛ هي قول عز وجل:

(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)

[سورة إبراهيم: 7]

هذه الزيادة؛ حبذا أن نتحدث عنها، سماحة الشيخ.

الدكتور:

الإنسان حينما يشكر الله عز وجل؛ يزيده علماً، ويزيده قرباً، ويزيده علماً صالحاً.

في ركائز كبيرة في الإسلام؛ الركيزة الأولى: أن تعرف الله، والركيزة الثانية: أن يجعل الله على يديك عملاً صالحاً ـ أن يكون لك عمل طيب ـ والركيزة الثالثة: أن يكون لك صلة بالله، فالذي يؤدي ما عليه من واجبات تعبدية؛ حينما يتقرب إلى الله عز وجل بأعماله الصالحة؛ يزيده الله علماً، ويزيده قرباً، ويزيده معرفة بالله عز وجل.

المذيع جمال الشيخ بكري:

التفكر بآيات الله ـ فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي ـ يعني هناك آيات جليلة وعظيمة؛ تزيد الإنسان معرفة، وقرباً بالله عز وجل.

الدكتور:

آيات كثيرة، لا تعد ولا تحصى ـ يعني مثلاً ـ الله عز وجل قال:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ)

[سورة البروج: 1 و2]

فهذه الأرض في دورتها حول الشمس؛ تقطع هذه المسافة، لكن سرعتها في الثانية الواحدة؛ ثلاثون كيلومتراً، يعني هذا اللقاء الطيب ـ الذي مضى عليه عشرة دقائق تقريباً ـ في كل ثانية قطعنا ثلاثين كيلومتراً، فكم قطعنا في الدقيقة؟

المذيع جمال الشيخ بكري:

(فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)

[المؤمنون:14]

الدكتور:

كم قطعنا في عشر دقائق؟ ضرب عشرة، قطعنا آلاف الكيلومترات، في هذا اللقاء المحدود، فالأرض أيضاً، تسير في مسار حول الشمس، إهليلجي، هذا المسار يستهلك عاماً بأكمله، وسرعة الأرض في دورتها حول الشمس، ثلاثون كيلو متراً في الثانية، بينما سرعتها في دورتها حول نفسها؛ ألف وستمئة كيلو متراً في الساعة، ومن أروع ما في آيات الله الدالة على عظمته؛ أن هذا الهواء لو كان ساكناً ـ والأرض تدور ـ لنشأت عواصف وزعازع وأعاصير، سرعتها ألف وستمئة كيلومتر في الساعة، أي لانهدم كل ما على الأرض.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - من نور الإيمان - الحلقة (4 - 8) : الآيات الكونية في خلق الإنسان.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 26-10-2005

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع جمال الشيخ بكري:

فضيلة الشيخ، إذا سمحتم، أن نتحدث اليوم عن آيات كونية لها علاقة بالإنسان، ودائماً خلق الإنسان شيء فيه الإبداع، والعظمة والإعجاز، كيف نتحدث بداية عن هذا الموضوع، تفضلوا.

الدكتور:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

أستاذ جمال، أقرب الآيات ـ الدالة على عظمة الله ـ للإنسان؛ جسمه؛ الذي هو أقرب شيء إليه، قال تعالى:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[الذاريات: 21]

وقال تعالى:

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

[التين:4]

كما تفضلتم قبل قليل؛ هناك آيات كونية، وهناك آيات تكوينية، وهناك آيات قرآنية،و ـ الحقيقة ـ أن طرق معرفة الله عز وجل تنشعب إلى شعب ثلاث؛ إما أن أعرفه عن طريق آياته الكونية"أي خلقه"، وإما أن أعرفه عن طريق آياته التكوينية؛ "أي أفعاله" وإما أن أعرفه عن طريق آياته القرآنية ـ أي كلامه ـ ونختص في هذا اللقاء الطيب، بآياته الكونية المتعلقة بالإنسان.

في الإنسان جهاز بالغ الدقة، خطير الوظيفة؛ هو جهاز المناعة المكتسب، والحقيقة ـ أستاذ جمال ـ هذا الجهاز هو جيش بكل ما في هذه الكلمة من معنى، هو فرق خمس؛ الفرقة الأولى، هي فرقة تصنيع السلاح ـ الحقيقة ـ هذا الجهاز موجود في الدم، بكريات الدم البيضاء؛ فالفرقة الأولى، فرقة استطلاع لأن الكريات البيضاء التي مهمتها الاستطلاع تقترب من الجرثوم الذي دخل إلى الجسم، لا تقاتله ولا تناوشه لكنها تأخذ شيفرته الكيماوية، مهمتها استخباراتية، مهمتها استطلاع؛ تأخذ هذه الشيفرة، وتنقلها إلى الفرقة الثانية في هذا الجيش، وهي فرقة تصنيع السلاح، هذه الفرقة الثانية التي مهمتها تصنيع السلاح؛ موجودة في العقد اللمفاوية؛ فهذه الفرقة عندها ذاكرة تفوق حد الخيال؛ بمعنى؛ لو أن الكرية البيضاء، أخذت شفرة جرثوم، ونقلتها إلى مركز من مراكز تصنيع السلاح، وصنعت هذه المراكز

مصلاً مضاداً لهذا الجرثوم، يحفظ هذا المصل في ذاكرتها، فلو عاد الجرثوم بعد سبعين عاماً؛ ملفه قائم، والمادة تصنع فوراً، من دون أن تحتاج إلى استطلاع جديد، حينما يصنع هذا المصل المضاد للجرثوم؛ تنتهي مهمة الفرقة الثانية؛ التي هي فرقة تصنيع السلاح، الآن الفرقة الثالثة، فرقة المقاتلين؛ كريات بيضاء مهمتها القتال؛ تحمل هذا السلاح المضاد، الفتاك، وتتوجه إلى الجرثوم، وتنشب معركة طويلة بين الجرثوم وبين الكريات المقاتلة، تنتهي المعركة في أغلب الأحيان بانتصار الجيش، الذي جهز الله به الإنسان، بقي في الأرض جثث؛ تأتي فرقة رابعة، هي فرقة الخدمات، نسميها نحن ـ اليوم ـ فرقة المهندسين؛ فتنظف أرض المعركة من بقايا الجثث، وتنتهي مهمتها بهذا، لكن عالماً جليلاً من علماء الطب، اكتشف في عام السبعة وستين؛ فرقة خامسة، هي فرقة المغاوير، هذه الفرقة لها مهمات استثنائية؛ فتستطيع أن تكتشف الخلية السرطانية قبل وقت كبير من أن تفعل، فتلتهمها، وقد قال العلماء: في كل إنسان، ملايين الخلايا السرطانية، لكن لكل خلية سرطانية؛ قامع يمنع تفعيلها، ما الذي يفك هذا القامع عنها؟ قالوا الشدة النفسية، فالإنسان حينما تشتد عليه الأمور؛ يضعف جهاز مناعته، وإذا ضعف جهاز مناعته؛ قويت هذه الخلايا السرطانية وفك عنها القامع، لذلك:

<<ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد>>

والتوحيد صحة بكل ما في هذه الكلمة من معنى، التوحيد صحة؛ فال تعالى:

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)

[الشعراء:213]

فالإنسان يعذب نفسه حينما يتوهم أن جهة في الأرض تستطيع أن تنال منه، أو ترفعه، أو تخفضه، أو أن تعزه، أو أن تذله، فالذي يفك قامع الخلية السرطانية؛ هو الشدة النفسية، وقد ورد هذا في القرآن الكريم؛ فقال تعالى:

(قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ)

[آل عمران:119]

فالغيظ مميت أحياناً.

المذيع جمال الشيخ بكري:

التوتر النفسي.

الدكتور:

نعم التوتر النفسي.

المذيع جمال الشيخ بكري:

الضغط النفسي.

الدكتور:

الضغط النفسي، وحياتنا في العصر الحديث؛ مفعمة بالضغوط النفسية، وكلما ابتعد الإنسان عن هذه التعقيدات، واقترب من فطرته؛ كانت صحته أقوى.

المذيع جمال الشيخ بكري:

الحل، سماحة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي؟ الحل ـ إذاً ـ من خلال كلامكم؛ هو نور الإيمان؛ نور الإسلام الساطع، الذي ما إن دخل القلب؛ إلا جعله شيئاً مريحاً، وشيئاً يعتز فيه الإنسان.

الدكتور:

هذه الفرقة الخامسة، فرقة المغاوير؛ لها مهمات استثنائية؛ فهذه الفرقة تمنع الخلايا السرطانية من أن تفعل فعلها، وقد تلتهمها في وقت مبكر، والذي يفك القامع كما قلت قبل قليل؛ البترول؛ مواد البترول..

المذيع جمال الشيخ بكري:

الوقود ـ يعني ـ

الدكتور:

الوقود،عندما ننظف محرك سيارة؛ ولا ننظف أيدينا جيداً؛ فلا بد من أن تصل هذه المواد إلى جهازنا الهضمي، والبترول والبلاستيك يمكن أن يسبب أمراضاً خبيثة. البلاستيك كيف؟ المواد الحارة مع البلاستيك، أو المواد الحامضية، أو حينما أكشط بالسكين مادة غذائية، حفظت في كيس نايلون؛ فهذه المواد قد تصل إلى جهازي الهضمي ـ طبعاً ـ هذا أحدث بحث في قضايا السرطان، البلاستيك، والبترول، والشدة النفسية، والإشعاع الذرّي، هذه أربع مواد تفك القامع، لكن الفرقة الخامسة، فرقة المغاوير، مهمتها التهام الخلايا السرطانية؛ التي فك قامعها في وقت مبكر.

جهاز المناعة المكتسب؛ جهاز يتمتع بخصائص مذهلة، من هذه الخصائص؛ أن الكريات البيضاء، تحتاج إلى إعداد ـ فرق مقاتلة ـ أو بالأصح الفرقة السادسة من الكريات البيضاء التي مهمتها القتال، هذه تخضع لدورة، هذه الدورة أين؟ في غدة صغيرة جداً إلى جانب القلب، اسمها: التايموس، لا تزيد عن حبة العدس.

بعد اختراع المجاهر الإلكترونية، كبرت أربعمئة مرة؛ فإذا هي مدرّج كالمدرّج الروماني، وهذه الكريات البيضاء، التي دخلت هذه المدرسة الحربية، كي تتأهل لأداء مهمتها في جسم الإنسان، جالسة على المدرّج وكأنها طلاب علم، سماها الإنسان: الخلايا التّائية الهمجية؛ لأنها تملك سلاحاً فتّاكاً، ولا تعرف من هو العدو، ولا من هو الصديق، ففي دخولها إلى غدة التّايموس، وبقائها سنتين، تتدرّب على العناصر الصديقة، والعناصر العدوّة ـ شيء لا يصدق ـ تتعلم هذه الكريات عشرات الألوف من

العناصر الصديقة، فلا تقربها، وتتعلم عدد كبير من العناصر العدوّة المؤذية، فمهمتها أن تلتهمها ـ أو أن تقضي عليها ـ، لكن بعد مضي سنتين في هذه الكلية الحربية ـ الحقيقة أستاذ جمال ـ هذه الغدة التايموس، الأطباء ـ إلى عقد من الزمن ـ كانوا يصرون على أن هذه الغدة، ليس لها وظيفة إطلاقاً في جسم الإنسان، وذلك لأنها تضمر بعد سنتين من نمو الطفل، تضمر ضمور كلي وتتلاشى، فلما رأى الأطباء أنها تضمر؛ توهموا أنها لا وظيفة لها، لكن ثبت الآن؛ أنها تقوم بأخطر وظيفة في جسم الإنسان، إنها تؤهل الفرقة الثالثة في جهاز المناعة المكتسب، وهي فرقة القتال، هذه الفرقة، من دون أن تعرف من هو الصديق، ومن هو العدو، تؤذي كثيراً، إذاً تدخل هذه الغدة ـ التايموس ـ كي تتعلم من هو الصديق، ومن هو العدو، وكأية جامعة، وكأية مدرسة، وكأية مؤسسة تعليمية، لا بد من امتحان، فهذه الكريات التي قبعت في هذه الغدة، قبعت سنتين، وتعلمت دروساً بليغة بطريقة لا يعرفها أحد، تخضع لامتحانين، الامتحان الأول: تعطى هذه الكرية عنصر صديق، فإذا لم تقتله نجحت، وإذا قتلته رسبت وتقتل، عقاب رسوبها أنها تقتل، ثم تعطى بمخرج امتحاني آخر، عنصر عدو فإذا قتلته تنجح، وإن تركته ترسب فتقتل، بالنتيجة هذا الكم من الكريات البيضاء، التي مهمتها القتال، تخضع لدورة مقدارها سنتان في هذه الغدة، فإذا تخرجت، انتهت مهمة المدرسة الحربية فتضمر، الآن هؤلاء الخريجون من الكريات البيضاء، مهمتها: تعليم الأجيال الصاعدة إلى نهاية الحياة، وهكذا...

لكن في شيء يلفت النظر؛ أنها بعد الستين ـ تقريباً ـ تضعف قدرتها على التعليم، يصبح هناك شيء اسمه الخرف المناعي، هذا الخرف المناعي، بمعنى أن هذا العنصر المقاتل، بدل أن يقاتل العدو، يقاتل الصديق، وكأن حرباً أهلية، تجري في جسم الإنسان، لذلك أحد أكبر الأمراض" التهاب المفاصل الرخوي" هذا المرض سببه حرباً أهلية في الجسم البشري، يعني الكريات البيضاء المقاتلة التي تحمل سلاحاً فتاكاً، ضعف تعليمها، فهاجمت الصديق بدل العدو.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - من نور الإيمان - الحلقة (5 - 8) : آيات الله في الآفاق.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 27-10-2005

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع جمال الشيخ بكري:

فضيلة الشيخ، الدكتور، محمد راتب النابلسي،أنت أستاذ مادة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، في كليات الشريعة وأصول الدين، ماذا وكيف نتحدث عن آيات الله عز وجل في الآفاق؟ كنتم قد تحدثتم في حلقات سابقة؛ عن تكوين الإنسان، كيف نتحدث عن آيات الله سبحانه وتعالى في الآفاق؟.

الدكتور:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

أستاذ جمال، جزاك الله خيراً، على هذه الندوة، في القرآن الكريم، آية يقول الله فيها:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر: 41]

الحقيقة، أن الأرض تدور حول الشمس، في مسار إهليلجي" أي بيضوي" ومعلوم أن المسار الإهليلجي له قطران، قطر أكبر، وقطر أصغر، فالأرض سرعتها ـ كما تحدثت في حلقة سابقة ـ ثلاثون كيلو متراً في الثانية، فعندما تتجه الأرض إلى القطر الأصغر؛ تقل المسافة بينها وبين الشمس، ومعلوم أن قانون الجاذبية، يتعلق بالكتلة وبمربع المسافة بين الكتلتين؛ فكلما قلت المسافة بين كتلتين؛ ازداد جذب الكتلة الأكبر إلى الكتلة الأصغر؛ إذاً هناك احتمال كبير أن ترتطم الأرض بالشمس، وأن تتبخر في ثانية واحدة، لأن الشمس حرارتها على سطحها ستة آلاف درجة، أما في مركزها عشرون مليون درجة، فالأرض يمكن أن تتبخر في ثانية واحدة، ما الذي يمنع انجذاب الأرض إلى الشمس، وانتهاء الحياة من على سطحها؟ لأن المسافة قلت في أثناء دورانها حول الشمس. الله جل جلاله ـ لحكمة بالغة ـ يرفع سرعة الأرض؛ بحيث ينشأ عن هذه السرعة الجديدة؛ قوة نابذة جديدة، تكافئ القوة الجاذبة الجديدة، فتبقى في مسارها:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر:آية41]

تتابع الأرض سيرها، فإذا وصلت إلى القطر الأكبر؛ ما معنى وصلت إلى القطر الأكبر؟ أن المسافة بينها وبين الشمس زادت، ومع ازدياد المسافة؛ تضعف الجاذبية، فهناك احتمال كبير أن تتفلت الأرض

من مسارها حول الشمس، وتمشي في الفضاء الخارجي، عندئذ تصبح حرارتها؛ مئتين وسبعين تحت الصفر، وتنتهي الحياة أيضاً؛ فإذا قال الله عز وجل:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر:آية41]

الزوال الأول؛ انحرافها عن مسارها، أما الزوال الثاني؛ تلاشيها، إذا وصلت إلى الشمس؛ تبخرت في ثانية، وإذا ابتعدت عن مسارها حول الشمس، تجمدت، وانتهت الحياة من على سطحها.

أية قدرة تمسك الأرض بجبالها، بحارها، وقاراتها الخمس؛ أن تمسكها على مسارها؟:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر:آية41]

ماذا تفعل الأرض عندما تصل إلى القطر الأكبر؛ لابد من أن تخفض سرعنها، كي ينشأ من تخفيض سرعتها؛ قوة نابذة أقل تكافئ القوة الجاذبة الأقل ـ شيء دقيق جداً ـ لكن الشيء الذي يلفت النظر، أن هذه الأرض لو رفعت سرعتها فجأة؛ لانهدم كل ما عليها، ولو خفضت سرعتها فجأة؛ لانهدم كل ما عليها؛ لذلك قال العلماء: <<تسارعها بطيء، و تباطؤها بطيء>>

وهذا من معاني اسم "اللطيف".

لو أن سائقاً أقلع بسرعة فائقة لهز ركاب السيارة، لو أنه أوقفها فجأة؛ لارتطموا بالزجاج، لذلك القائد الماهر للسيارة؛ يرفع سرعتها بالتدريج، ويخفضها بالتدريج، وهذا مما يدل على لطف الله عز وجل.

المذيع جمال الشيخ بكري:

(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)

[القمر: 49]

الدكتور:

أستاذ جمال لو أن الأرض ـ افتراضاً ـ خرجت من مسارها، وبعدت عن مسارها حول الشمس، لو أردنا ـ افتراضاً ـ أن نعيدها إلى مسارها حول الشمس؛ قال العلماء: لاحتجنا إلى مليون مليون كبل فولاذي..

المذيع جمال الشيخ بكري:

الله أكبر.

الدكتور:

قطر كل حبل خمسة أمتار؛ مليون مليون حبل فولاذي، ومعلوم لديكم أن أمتن عنصر في الكون؛ هو الفولاذ المضفور، ومنه تصنع أسلاك المصاعد و"التيل فريك" فالفولاذ المضفور أمتن عنصر، من أجل أن نعيد الأرض إلى مسارها حول الشمس، نحتاج إلى مليون مليون حبل، هذا الحبل الفولاذي كيف

نتعامل معه ميكانيكياً، يعني كم يتحمل من قوى الشد؟ قال: يتحمل مليوني طناً. أي أن الأرض منجذبة إلى الشمس بمليونين ضرب مليون مليون طناً، كل هذه القوة المذهلة؛ مليونان ضرب مليون مليون طن؛ قوة انجذاب الأرض إلى الشمس؛ من أجل أن تحرف مسارها حول الشمس، بشكل منحن ثلاث مليمترات كل ثانية، و من أجل أن تبقى على مسارها، ومن أجل أن يبقى مسارها مغلقاً حول الشمس:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر:آية41]

الآن في آية ثانية، يقول الله عز وجل:

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)

[الرعد: 2]

قال علماء التفسير: أي بعمد لا ترونها.

المؤدى واحد.

الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها؛ أي بعمد لا ترونها؛ إنها قوى التجاذب، الآن لو أردنا أن نغرس على سطح الأرض المواجه للشمس، مليون مليون حبل قطر الحبل خمسة أمتار، وكل حبل عنده تحمل لقوى الشد مليوني طن، ما الذي يحصل؟ أنه يبقى بين كل حبلين مسافة حبل واحد..

المذيع جمال الشيخ بكري:

الله أكبر.

الدكتور:

نحن أمام غابة من الحبال، تمنع أشعة الشمس، تمنع البناء، تمنع الحركة، تمنع السفن، تمنع المركبات، تمنع كل شيء..

المذيع جمال الشيخ بكري:

انعدمت الحياة.

الدكتور:

لكن لطف الله عز وجل:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر:آية41]

إذاً الزوال الأول؛ انحرافها عن مسارها، و الزوال الثاني؛ تلاشيها:

الله عز وجل يقول:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ *وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[الواقعة: 75 و76]

ـ أستاذ جمال ـ بين الأرض، وبين أقرب نجم ملتهب لها، أربع سنوات ضوئية، ماذا تعني عند الأخوة المستمعين، أربع سنوات ضوئية؟

الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متراً، كم يقطع في الدقيقة، ضرب ستين، كم يقطع في الساعة، ضرب ستين، كم يقطع في اليوم، ضرب أربعة وعشرين، كم يقطع في العام ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين، هذا أقرب نجم ملتهب على الإطلاق، يبعد عن الأرض أربع سنوات ضوئية، هذا الرقم؛ بإمكان طالب في الإعدادي، أن يستخرجه؛ يعني ثلاثمئة ألف ضرب ستين، ضرب ستين، ضرب أربعة وعشرين، ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين، ضرب أربعة، هذا الرقم لو قسمناه على مئة، يعني لو أردنا أن نصل لهذا الكوكب، لهذا النجم الذي يبتعد عن الأرض أربع سنوات ضوئية؛ بسيارة سرعتها مئة كيلومتر بالساعة؛ ما الذي يحصل؟..قسمنا هذا الرقم على مئة؛ كم ساعة؟ ثم قسمناها على أربعة وعشرين، ثم قسمناه على ثلاثمئة وخمسة وستين، كم سنة، من أجل أن نصل إلى أقرب نجم ملتهب، إلى الأرض بمركبة أرضية؛ نحتاج إلى خمسين مليون عاماً، خمسون مليون عاماً، كي نصل إلى أقرب نجم ملتهب إلى الأرض، متى نصل إلى نجم القطب الذي يبعد عنا أربعة آلاف سنة ضوئية؟ المذيع جمال الشيخ بكري:الله....

(فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)

[المؤمنون:14]

الدكتور:

ومتى نصل إلى مجرة المرأة المسلسلة، التي تبعد عنا مليوني سنة ضوئية؟ ومتى نصل إلى أحدث مجرة، اكتشفت حديثاً، تبعد عنا عشرين مليار سنة ضوئية؟ الآن ندقق..

المذيع جمال الشيخ بكري:

نعم.

الدكتور:

لو أن عالم فلك؛ قرأ هذه الآية؛ لخر ساجداً لله ـ من كلمة واحدة ـ ما الكلمة؟

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)

[الواقعة: 75]

من كلمة مواقع ـ النجوم متحركة ـ يعني هذه المجرة التي تبعد عنا عشرين مليار سنة؛ كانت بهذا المكان قبل عشرين مليار سنة، وانبعث منها الضوء، وبقي الضوء يمشي عبر الفضاء، عشرين مليار سنة، حتى وصل إلينا، لكن المجرة التي صدر منها هذا الضوء؛ سرعتها مئتين وأربعين ألف كيلو متراً في الثانية....

المذيع جمال الشيخ بكري:

الله..

الدكتور:

أين هي الآن، لو ـ فرضاً ـ قرأنا هذا النص:

فلا أقسم بالمسافات بين النجوم، ليس قرآناً..

المذيع جمال الشيخ بكري:

نعم، نعم.

الدكتور:

أن صاحب الموقع ليس بالموقع.

المذيع جمال الشيخ بكري:

الله...

الدكتور:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[الواقعة:75و76]

لذلك؛ الله عز وجل قال:

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

[النساء:113]

ما من نعمة يتمتع بها الإنسان كالعلم:

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك كله؛ إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك؛ لم يعطك شيئاً>>

لذلك؛ قالوا هناك علم بالله، وهناك علم بأمره، وهناك علم بخلقه، فالعلم بخلقه من اختصاص الجامعات في شتى بقاع الأرض ـ علم فيزياء، وكيمياء، ورياضيات، وفلك، وتاريخ، وجغرافية، وفيزياء نووية، وكيمياء عضوية، وعلم اجتماع، وعلم نفس، وطب، وهندسة، الخ...هذا علم بخلقه ـ أما العلم بأمره؛ من اختصاص كليات الشريعة في العالم الإسلامي ـ افعل ولا تفعل ـ بينما العلم به؛ هذا شيء متميز، العلم به؛ نتائجه باهرة لكن ثمنه باهظ؛ قال الإمام الغزالي:<< جاهد تشاهد>>

بإمكانك أن تكون عالماً بالشريعة، أو عالماً بالخليقة، دون أن تكون مضطراً إلى الالتزام بسلوك ما، أما إذا كنت عالماً بالله؛ لابد من أن تكون ملتزماً بمنهج الله، لأنك عرفت الله.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - من نور الإيمان - الحلقة (6 - 8) : آيات الله في الإنسان.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2005-10-28

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع جمال الشيخ بكري:

دكتور ـ يعني ـ نتحدث دائماً عن تكوين الإنسان، نتحدث عن آيات الله عز وجل في هذا الإنسان المعجزة، في كل ـ يعني ـ شيء يدخل في حيثيات هذا الإنسان، أشياء عن خلق الله عز وجل في هذا الإنسان.

الدكتور:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

المذيع جمال الشيخ بكري:

عليه الصلاة والسلام.

الدكتور:

أستاذ جمال، جزاك الله خيراً، الأصل في هذا الموضوع؛ قوله تعالى:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)

[فصلت:53]

تحدثنا في حلقة سابقة، عن آيات الله في الآفاق ـ وكما رغبت ـ ننتقل اليوم إلى آيات الله في النفس.

من أبرز هذه الآيات؛ أن المرأة حينما تلد؛ ينزل مع الجنين قرص لحمي، يسميه العامة خلاصاً، ويسميه الأطباء مشيمة؛ المشيمة، قرص لحمي تجتمع فيه دورة دم الأم، ودورة دم الجنين، ومعروف في علم الطب، أن كل دم له زمرة نحن ـ فرضاً ـ لو أن امرأة، أعطيناها ـ خطأ ـ دماً من زمرة غير زمرتها، تموت فوراً بانحلال الدم، ففي هذا القرص اللحمي، تجتمع دورة دم الأم، مع دورة دم الجنين، وكل دورة من زمرة، و لا يختلطان، كيف لا يختلطان؟ بينهما غشاء؛ هذا الغشاء يقوم بمهمات يعجز عنها أطباء الأرض مجتمعين...

المذيع جمال الشيخ بكري:

الله أكبر.

الدكتور:

ـ هذا الذي حمل الأطباء على تسميته بالغشاء العاقل ـ من بعض وظائف هذا الغشاء؛ أنه يأخذ

الأوكسجين من دم الأم، ويطرحه في دم الجنين، الأوكسجين من أجل إحراق السكر، إذاً هذا الغشاء يقوم بمهمة جهاز التنفس في الجنين، لكن السكر كما تعلمون؛ لا يحترق إلا في درجة مئة، في الأوضاع العادية فكيف يحترق في جسم الجنين بدرجة "37" ؟ لابد له من أنسولين، الغشاء العاقل، يأخذ الأنسولين من دم الأم، ويطرحه في دم الجنين..

المذيع جمال الشيخ بكري:

الله.

الدكتور:

ومن خصائص هذا الغشاء؛ أنه يمنع وصول المادة السامة والمؤذية، من دم الأم إلى دم الجنين، فكل ما في دمها من مواد سامة، لا يمكن أن تنتقل عبر هذا الغشاء، إلى دم الجنين.

شيء آخر؛ هذا الغشاء يأخذ عوامل المناعة، التي اكتسبتها الأم في كل حياتها ـ كما تحدثنا عن هذا في حلقة سابقة ـ؛ يعني الأم إذا أصيبت بأمراض، تكتسب بعد هذه الأمراض مناعة، ضد هذه الأمراض، وإذا أخذت لقاحات؛ تكتسب مناعة أخرى، فكل عوامل مناعتها يأخذها الغشاء العاقل، من دم الأم أو يطرحها في دم الجنين، شيء آخر ـ وهو أخطر وظائفه ـ أن هذا الغشاء العاقل كأنه يعلم حاجة الجنين من كل عناصر دم الأم من البروتينات، من الدهون، من السكريات، من الفيتامينات من المعادن، من أشباه المعادن، يعلم حاجته، ثم ينفذ هذه الحاجة فيلتقطها من دم الأم ويطرحها في دم الجنين وكأنه غشاء عاقل، وهذا يعجز عنه أطباء الأرض مجتمعين، هل يعلم الطبيب أن هذا الجنين بحاجة إلى كذا بوتاس، وكذا فيتامين "ب" وكذا......مستحيل، لكن الشيء المدهش؛ أن هذه النسب التي يلتقطها الغشاء العاقل، من دم الأم؛ تتبدل كل ساعة، بحسب حاجة الجنين، وهذا شيء معجز في هذا الغشاء، هذا الغشاء العاقل، ماذا يفعل أيضاً؟ يأخذ من دم الجنين، ثاني أكسيد الكربون ـ الذي نتج عن احتراق السكر ـ ويطرحه في دم الأم، كي يطرح في تنفسها، ثم يأخذ من دم الجنين؛ حمض البول ـ الذي نتج عن هضم المواد الدسمة، ويطرحه في دم الأم؛ كي تطرحه في الكليتين، هذا الغشاء العاقل، يقوم بمهمات لا تستطيع خبرات الأطباء في الأرض مجتمعين، أن تقوم بهذه المهمات، هذا صنع الله:

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)

[لقمان:11]

أستاذ جمال، آيات الله في النفس لا تعد ولا تحصى، من هذه الآيات ـ مثلاً ـ أن عصب السمع مؤلف من عشرين مليون عصباً، وكل عصب ينتهي بسبعة أهداب، والأهداب مغمسة بمادة تتفاعل مع الرائحة، وينشأ من هذا التفاعل؛ شكل هندسي، هو رمز لهذه المادة؛ هذا الشكل يشحن إلى الدماغ؛ إلى

الذاكرة الشمية ـ حيث هناك عشرة آلاف بنداً ـ ويعرض عليها واحدة واحدة، فإذا توافق الرمزان؛ عرفت أنت أن هذه رائحة الياسمين، هذا خلق الله أيضاً،وهذا من دقة خلق الله عز وجل...

المذيع جمال الشيخ بكري:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات:21]

الدكتور:

نعم، و:

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)

[النمل:88]

ـ أستاذ جمال، جزاك الله خيراً ـ في حالة تعتري الإنسان، حينما يرى خطراً، أنا أضرب مثلاً:

لو أنك تمشي في بستان؛ ورأيت في البستان أفعى، صورة الأفعى تنطبع على شبكية العين؛ إحساساً، لكنها حينما تنقل إلى الدماغ، الدماغ يملك مفهومات عن الأفعى ـ إما من دراسة، أو من قراءة، أو من تجارب، أو من مشاهدات ـ فمجموع هذه المفاهيم؛ ينبئ صاحب الدماغ أن هذه الأفعى لدغتها قاتلة، فما الذي يحصل؟ الدماغ يرسل إشارة إلى ملكة الغدد، نحن في جسم الإنسان عندنا نظامان: نظم عصبي على رأسه الدماغ، ونظام هرموني على رأسه الغدة النخامية، فملك النظام العصبي وهو الدماغ؛ بعد أن علم أن هناك خطراً من هذه الأفعى؛ يبلغ ملكة الجهاز الهرموني" الغدة النخامية" والغدة النخامية لا يزيد وزنها عن نصف غرام، وتفرز عدداً من الهرمونات؛ لو أن كل هرمون، تعطل إفرازه، أو زاد إفرازه لأصبحت حياة الإنسان؛ جحيماً لا تطاق، من هذه الهرمونات:

هرمون النمو؛ فإذا زاد عن حده؛ صار الإنسان عملاقاً، و إذا قصر عن حده صار الإنسان قزماً.

هرمون الجنس، هرمون توازن السوائل.... موضوع طويل، إلا أن الغدة النخامية؛ تستطيع أن تعطي أمراً إلى غدتين فوق الكليتين؛ اسمهما الكظر، الكظر:

موكل بمواجهة هذا الخطر، الكظر يعطي أول أمر إلى القلب، فيرتفع نبضه، والذي تراه خائفاً، لو قست نبضه؛ لرأيته يزيد عن مئة وستين نبضة، ذلك لأن القلب حينما يرفع نبضه؛ يسرع مرور الدم في الأوعية، وحينما يسرع مرور الدم في الأوعية ـ يعني الدم يلبي الحاجة الاستثنائية، بلا جهد ـ فالخائف يرتفع نبضه، لأن الكظر أرسل أمراً هرمونياً إلى القلب برفع النبض، ثم إن الخائف يصفر لونه، لماذا؟ لأن الأوعية المحيطية في الإنسان، التي مهمتها أن تعطي جلد الإنسان لوناً زهرياً جميلاً ـ الإنسان بحاجة الآن إلى دم وفير، لا بحاجة إلى لون وردي ـ لذلك الكظر يعطي أمراً للأوعية المحيطية بتضييق اللمعة، فتجد الخائف يصفر لونه، وحينما ارتفع خفقان القلب؛ وحينما صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ابد

أن يرتفع معه وجيب الرئتين، وفي أمر ثالث يذهب إلى الرئتين؛ لرفع وجيب الرئتين، فالخائف يرتفع نبضه، ويلهث بسبب سرعة التنفس، ثم يصفر لونه، وهناك أمر آخر ينتقل من الكظر إلى الكبد ؛ بصرف مادة إضافية سكرية إضافية؛ ذلك لأن السكر وقود العضلات، فلو فحصنا دم خائف، لوجدنا كمية السكر؛ أعلى من نسبتها في الأحوال الاعتيادية، بقي شيء آخر؛ هو أن الخائف ربما أصيب بطعنة، أو بحادث؛ فينزف دمه كله، فلابد من هرمون التجلط؛ ترتفع نسبته في الدم؛ حتى يمنع نزيف الدم، هذا يتم في ثانية واحدة؛ خائف رأى ثعباناً، أو رأى أفعى؛ يرتفع نبض قلبه، يزداد وجيب رئتيه، يصفر لونه، يزداد السكر في دمه، يزداد هرمون التجلط في دمه، هذا يتم في ثوان معدودة، وهذا من صيانة حياة الإنسان.

أستاذ جمال، آيات الله في النفس؛ لا تعد ولا تحصى.

في نقطة دقيقة جداً؛ هو أن الشعر الذي على رأس الإنسان؛ من منا يصدق أن في رأسه ثلاثمئة ألف شعرة، لكل شعرة؛ وريد، وشريان، وعضلة، وعصب، وغدة دهنية، وغدة صبغية ـ في كل شعرة ـ ومن حكمة الله الكبرى؛ أن الله سبحانه وتعالى؛ لم يجعل في الشعرة عصباً حسياً، بل جعل فيها عصباً محركاً، فلو كان في الشعرة عصب حسي؛ لاضطر الإنسان إلى أن يذهب إلى المستشفى، ويخدر تخديراً كاملاً؛ كي يحلق شعره، دقق..

المذيع جمال الشيخ بكري:

نعم، نعم، نعم،نعم.

الدكتور:

لا في الشعر أعصاب حس، ولا في الأظافر، لكن قد نجد عصب الحس في نقي العظام، وليس له مهمة إطلاقاً هنا؛ شيء يحير العلماء، ثم ثبت أن الإنسان حينما تكسر رجله مثلاً، لولا هذا العصب الحسي في نقي العظام؛ لتابع السير، وتفاقمت الحالة؛ فمن شدة الألم الذي ينتاب من كسرت رجله؛ يبقيها على حالها، وإبقاؤها على حالها أربعة أخماس العلاج:

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)

[لقمان:11]

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - من نور الإيمان - الحلقة (7 - 8) : الإنسان من خلال القرآن.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-10-2005

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع جمال الشيخ بكري:

فضيلة الشيخ ـ يعني ـالإنسان ـ دائماً ـ هو الأغلى على الله عز وجل، وهو الذي أبدعه الله في أحسن تقويم، لكن هناك الإنسان المعنوي؛ الإنسان الذي يصنعه القرآن، كيف نتحدث عن هذا الجانب الهام، في تهيئة هذا الإنسان؛ الممتلئ بقيم ومثل عليا ـ يعني ـ تستحق أن نقف عندها، تفضل.

الدكتور:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

أستاذ جمال، جزاك الله خيراً.

الإنسان هو المخلوق الأول لقوله تعالى:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)

[الأحزاب:72]

والإنسان هو المخلوق المكرم، لقوله تعالى:

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)

[الإسراء: 70]

والإنسان هو المخلوق المكلف؛ كلف عبادة الله عز وجل، لقوله تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[الذاريات: 56]

والعبادة في أدق تعاريفها،طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، في هذا التعريف الدقيق؛ كليات ثلاث؛ كلية علمية(أو معرفية)، وكلية سلوكية، وكلية جمالية؛ والكلية السلوكية هي الأصل، وما لم يلتزم المسلم في رمضان وفي غير رمضان، بمنهج الواحد الديان؛ فلا يمكن أن يقطف شيئاً من ثمار الدين،عند هذا الإنسان غير الملتزم؛ يكون الدين ثقافة، هناك كلمات شائعة الآن: فلان عنده اهتمامات إسلامية، وفلان عنده خلفية إسلامية، وأرضية إسلامية، ونزعة إسلامية، ولكن الإسلام شيء آخر، الأصل في الإسلام؛ الالتزام:

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا)

[الأنفال: 72]

المذيع جمال الشيخ بكري:

إذاً دكتور محمد راتب النابلسي، الإسلام؛ مثل، وقيم، تسامح، ومحبة، الإنسان ـ يعني ـ يتمثل هذه القيم الإنسانية، ينفذها بحذافيرها حتى يدخل نور الإسلام في قلبه.

الدكتور:

ـ الحقيقة ـ أن الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب، وما لم تلبى هذه الحاجات الثلاث؛ عندئذ يكون التطرف، ونحن نريد التفوق، لا التطرف، حينما تلبي حاجة العقل؛ فتملؤه يقينيات، وحينما تملك عن الكون صورة حقيقية؛ عن حقيقية الكون، وعن حقيقة الحياة، وعن حقيقة الإنسان، وحينما تعلم منهج الله عز وجل في خلقه، فقد قال الله عز وجل:

(فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)

[طه: 123]

(فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

[البقرة: 38]

لو جمعت الآيتان؛ لكان من يتبع هدى الله عز وجل؛ لا يضل عقله، و لا تشقى نفسه، ولا يندم على ما فات، ولا يخشى مما هو آت.

هذا المخلوق الأول؛ أودع الله فيه قوة إدراكية؛ هذه القوة الإدراكية؛ أثمن شيء يملكه، بل هي التي تميزه عن بقية المخلوقات، ولو أن الإنسان افتخر بجانب مادي في جسمه؛ يعلم علم اليقين؛ أنه ما من جانب مادي فيه، إلا والحيوان يفوقه في هذا الجانب، لو تحدث عن شمه؛ الكلب شمه مليون ضعفاً، لو تحدث عن عينيه؛ الصقر رؤيته ثمانية أضعاف، لو تحدث عن وزنه؛ الحوت وزنه مئة وخمسين طناً، لو تحدث عن سرعة جريانه؛ الطائر يطير بسرعة مئة وخمسة وعشرين كيلو متراً في الساعة؛ لذلك؛ الإنسان أودع الله فيه قوة إدراكية، هذه القوة الإدراكية؛ ينبغي أن تلبى حاجتها، وما لم يلبي الإنسان الحاجة العليا فيه؛ فهو قد هبط عن مستوى إنسانيته، نحن في الحلقات السابقة ـ جزاك الله خيراً ـ تحدثنا عن إعجاز علمي في القرآن والسنة، ولكن في هذه الحلقة، أريد أن ألفت النظر؛ إلى أن من أعظم معجزات القرآن؛ أنه يصنع بطلاً، لا تجد في بقاع الأرض كلها، كتاباً يصنع إنساناً عادياً؛ فيجعله بطلاً، البطل إنسان متميز متفوق؛ حينما قال الإمام جعفر:

((كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الرحم، ونسيء الجوار،..ماذا فعل فيهم القرآن؟ الحقيقة؛ إن لم يتغير الإنسان بعد قراءة القرآن، مئة وثمانين درجة،

إن لم يكن بطلاً؛ بطلاً في تفكيره، بطلاً في سلوكه، بطلاً في مشاعره، بطلاً في تضحياته، بطلاً في اهتماماته؛ فليس من بني البشر، فلذلك القرآن))

كما قال الله عز وجل :-

(يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)

[الإسراء:9]

والقرآن يمنع الإنسان من أن يضل عقله، أو أن تشقى نفسه؛ يجعل عقله ممتلئاً بالعلم، ويجعل نفسه جياشة بالمشاعر.

المذيع جمال الشيخ بكري:

طيب، دكتور، ما هي الصفات المثلى، والقيم العليا، التي يجب أن تتوافر في هذا الإنسان، الذي صنعه كتاب الله عز وجل؟ - يعني - حبذا لو نسلط الضوء على هذا الجانب.

الدكتور:

نعم - أستاذ جمال - ماذا تنتظر من مخلوق اتصل بالمطلق، بخالق السموات والأرض؟ ماذا تنتظر من إنسان اتصل بالرحيم؟ إذاً اشتق منه الرحمة، ماذا تنتظر من إنسان اتصل بالغني؟ اشتق منه الغنى، فالمؤمن متميز أشد التميز - لا بعباداته - ولكن بتصرفاته، ببطولته، بترفعه عن الدنايا، صفات الرحمة، والعفو، والتواضع، والحكمة..

المذيع جمال الشيخ بكري:

والتسامح.

الدكتور:

والتسامح، ونجدة الضعيف..

المذيع جمال الشيخ بكري:

و المروءة

الدكتور:

وصفات المروءة، والصدق، والأمانة - أستاذ جمال - أبرز صفات المؤمن أنه إذا حدثك فهو صادق، وإذا عاملك فهو أمين، وإذا استثيرت شهوته فهو عفيف، وهذا ما قال عنه سيدنا جعفر، قال:

((حتى بعث الله فينا رجلاً؛ نعرف أمانته، وصدقه، وعفافه، ونسبه))

[رواه أحمد عن أم سلمة]

المذيع جمال الشيخ بكري:

الأمانة، دكتور راتب النابلسي، هذه الكلمة الهامة، التي يجب أن تتوافر في صفات الإنسان، الذي تتكلم

عنه جنابك ـ الأمانة ـ.

الدكتور:

الأمانة لها مفهوم ضيق، من مفهوماتها الضيقة؛ أنه إذا أودع عندك إنسان حاجة؛ أن تؤديها بالتمام والكمال، في الوقت المناسب، لكن الأمانة أبلغ من ذلك بكثير لأن الله عز وجل يقول:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ـ في عالم الذر ـ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)

[الأحزاب:72]

الأمانة في أدق تعاريفها؛ نفسك التي بين جنبيك:

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

[الشمس: 9 و10]

الأمانة؛ أن تحمل نفسك على طاعة الله، بعد أن تعرفها به، الأمانة؛ أن تتقرب لله بالطاعات، والبذل، والتضحية؛ من أجل أن تستحق الجنة، فلذلك؛ يمكن بكل بساطة؛ أن نقسم البشر ـ على اختلاف مللهم، ونحلهم، وانتماءاتهم، وأعراقهم، وأجناسهم، و ألوانهم، ومذاهبهم، وطوائفهم، إلى نموذجين، ليس غير ـ إلى إنسان آمن بالآخرة، آمن بالجنة، بناء على إيمانه بالجنة؛ اتقى أن يعصي الله، ثم تقرب إلى الله؛ بأن جعل حياته مبنية على العطاء، يعطي من وقته، يعطي من ماله، يعطي من صحته، يعطي من خبرته، يعطي من حكمته، يعطي من كل شيء منحه الله إياه؛ مصداق ذلك قوله تعالى:

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

[الليل: 5 و6]

والحسنى هي الجنة.

أنت حينما تؤمن أنك مخلوق للجنة؛ لابد من أن تنعكس مقاييسك مئة وثمانين درجة، الإنسان قبل أن يعرف الله؛ يرى ذكاءه في الأخذ، بعد أن يعرف الله؛ يرى ذكاءه في العطاء؛ لذلك الأنبياء جاؤوا إلى الدنيا، وأعطوا كل شيء، ولم يأخذوا شيئاً، بينما الأقوياء؛ أخذوا كل شيء، ولم يعطوا شيئاً. الحقيقة ـ قرأت كلمة رائعة، لمؤلف ألف كتاباً عن رسول الله:

قال يا من جئت الحياة، فأعطيت ولم تأخذ، يا من قدست الوجود كله، ورعيت قضية الإنسان، يا من زكيت سيادة العقل، و نهنهت غريزة القطيع، يا من هيأك تفوقك؛ لتكون واحداً فوق الجميع، فعشت واحداً بين الجميع، يا من الرحمة مهجته، والعدل شريعته، والحب فطرته، والسمو حرفته، ومشكلات الناس عبادته >>

المذيع جمال الشيخ بكري:

إذاً محمد عليه الصلاة والسلام، هو الإنسان الذي صنعه القرآن، ونحن نتمنى دائماً، ونسعى جاهدين؛

أن نتمثل قيمه ومثله، حتى نكون كالإنسان الذي قصدته سيادتك ـ دكتور راتب النابلسي ـ في تصنيع القرآن لهذا الإنسان.

الدكتور:

مادام الإنسان قد عرف ربه، واستقام على أمره، وتقرب إليه؛ فهو بطل كبير، هو إنسان متميز؛ بإدراكه، و انفعالاته، وتصرفاته ـ أستاذ جمال ـ لا يمكن إلا أن نؤكد هذه الحقيقة؛ الناس رجلان؛ رجل عرف الله؛ فانضبط بمنهجه، وأحسن إلى خلقه؛ فسعد في الدنيا والآخرة، ورجل غفل عن الله؛ فتفلت من منهجه، وأساء إلى خلقه، فشقي في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - من نور الإيمان - الحلقة (8 - 8) : ليلة القدر وماهيتها.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 30-10-2005

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع جمال الشيخ بكري:

فضيلة الشيخ، أنتم أستاذ مادة الإعجاز العلمي في جامعة الأزهر، فرع دمشق، طبعاً هناك ـ دائماً ـ سماحة الشيخ حديث جميل ورائع، ليلة القدر المباركة؛ هذه الليلة الهامة حداً للأخ المؤمن، الذي أحب الله، وأحب رسوله، عليه الصلاة والسلام، كيف نتحدث عن ماهية هذه الليلة المباركة؟ تفضل.

الدكتور:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الصادق الوعد الأمين.

أستاذ جمال،ليلة القدر؛ ليلة عظيمة، هي خير عند الله من ألف شهر، والحقيقة أنها؛ ليلة اللقاء مع الله، ليلة الإقبال عليه، ليلة الصلح معه، ليلة المغفرة، ليلة التوبة، هي خير عند الله من ألف شهر، إذا قدرت الله حق قدره؛ فقد وصلت إلى كل شيء، جاء في الأثر:

((ابن آدم أطلبني تجدني، فإذا وجدتني؛ وجدت كل شيء، وإذا فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء.))

كيف يصل الإنسان إلى الله عز وجل؟ لابد من أن يذكر نفسه بالله.

الإمام الجليل" أبو حامد الغزالي" ـ رحمه الله تعالى ـ خاطب نفسه التي بين جنبيه ـ مشيراً إلى واعظين بليغين، ناطقاً و صامتاً، فالناطق هو القرآن الكريم، والصامت هو الموت، وفيهما كفاية لكل متعظ، الإمام الغزالي يقول:

(أنت يا نفس مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق، فإن الله تعالى يقول في كتابه:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ *أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

[هود: 15 و16]

فيا نفس لقد وعدك الله سبحانه وتعالى بالنار؛ على إرادة الدنيا وحبها، وكل ما لا يصحبك بعد الموت؛ فهو من الدنيا، فلو أن طبيباً وعدك بالمرض؛ على تناول ألذ الأكلات؛ لتحاشيتها، و اتقيتها، أيكون الطبيب ـ يا نفس ـ أصدق عندك من الله؟ فإن كان كذلك؛ فما أكفرك، وإن كان المرض أشد عندك من النار فما أجهلك.

ويتابع الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ خطابه النفسي، فيقول:

ثم وعظتها بالواعظ الصامت ـ وهو الموت ـ فقلت لها:

لقد أخبر الواعظ الناطق عن الواعظ الصامت، حيث قال تعالى:

(أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ *ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ*مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ)

[الشعراء:205 و206 و207]

وكان سيدنا عمر بن عبد العزيز، إذا دخل إلى عمله، ثم كان في الخلافة؛ يتلو هذه الآية:

(أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ *ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ*مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ)

[الشعراء:205 و206 و207]

ثم ذكر نفسه بقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((ألا يارب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا، جائعة عارية يوم القيامة، ألا يارب نفس جائعة عارية في الدنيا، طاعمة ناعمة يوم القيامة، ألا يارب مكرم لنفسه وهو لها مهين، ألا يارب مهين لنفسه وهو لها مكرم، ألا يارب متخوض ومتنعم، ماله عند الله من خلاق، ألا وإن عمل الجنة حزن بربوة، ألا وإن عمل النار سهل بسهوة، ألا يارب شهوة ساعة، أورثت حزناً طويلاً))

[ضعيف: نوح بن جعونة عن عبد الله بن عباس]

المذيع جمال الشيخ بكري:

فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، دائماً هناك مثوبة من الله عز وجل، العبادة لذة لكن ما وراء العبادة هناك ثواب من الله، وعقاب، كيف نتحدث في هذا الموضوع بشكل معمق؟

الدكتور:

لن نستطيع الحديث بأفضل مما قاله سيدنا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال هذا الإمام الجليل:

إنه ليس شيء شر من الشر إلا العقاب، وليس شيء خير من الخير إلا الثواب وكل شيء في الدنيا سماعه أعظم من عيانه، وكل شيء في الآخرة عيانه أعظم من سماعه، فليكفكم من العيان السماع، ومن الغيب الخبر، واعلموا ـ هذا كلام سيدنا علي ـ أن ما نقص من الدنيا، وزاد في الآخرة؛ خير مما نقص في الآخرة، وزاد في الدنيا؛ فكم من منقوص رابح، وكم من مزيد خاسر، واعلموا أن الذي أمرتم به؛ أوسع من الذي نهيتم عنه، وما أحل لكم أوسع مما حرم عليكم، فذروا ما قل لما كثر، وما ضاق لما اتسع، قد تكفل الله لكم بالرزق، وأمرتم بالعمل، فلا يكن المضمون لكم؛ أولى بكم من المفروض عليكم؛ فبادروا بالعمل، وخافوا بغتة الأجل.>>

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((بئس العبدُ عَبْد تَخيَّل واختال، ونَسِيَ الكبيرَ المتعال، بئس العبدُ عبد تَجَبَّرَ واعتدى، ونَسيَ الجبَّار الأعلى، بئس العبدُ عبد سها ولها، ونَسيَ المقابر والبلَى، بئس العبدُ عبد عَتَا وطغَى، ونَسَيَ المبتدأ

والمنتهى، بئس العبدُ عبد يَخْتِلِ الدنيا بالدِّين، بئس العبدُ عبد يَخْتِلِ الدين بالشبهات، بئس العبدُ عبد طمَع يقوده، بئس العبدُ عبد هوى يُضلُّه، بئس العبد عبد رَغَب يُذِلُّه '))

[أخرجه الترمذي عن أسماء بنت عميس]

أيها الأخوة الكرام، يروي عن سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، أنه قال:

من حمل ذنبه على ربه؛ فقد فجر، وأن الله تعالى لا يطاع استكراهاً، ولا يعصى بغلبة، فإن عمل الناس بالطاعة، لم يحل بينهم وبين ما عملوا، وإن عملوا بالمعصية؛ فليس هو الذي أمرهم، ولو أجبرهم على الطاعة لأسقط الثواب، ولو أمرهم بالمعصية لأسقط العقاب، ولو أهملهم لكان عجزاً في القدرة، فإن عملوا بالطاعة فله المنة عليهم، وإن عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم.>>

وابن عطاء الله السكندري ـ يعني ـ في كتابه الحكم العطائية؛ أقوال طيبة؛ يقول هذا العالم الجليل:

من ظن انفكاك لطفه عن قدره؛ فذلك لقصور نظره، وربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك، قد يكون العطاء من الخلق حرمان، وقد يكون المنع من الله إحسان، ومتى فتح لك باب الفهم في المنع؛ عاد المنع عين العطاء، ومتى أوحشك من خلقه؛ فليفتح لك باب الأنس به، وربما وجدت من الفاقات؛ مالا تجده في الصوم والصلاة، فلا تستبطئ منه النوال، ولكن استبطئ من نفسك الإقبال، وما لم تفرغ قلبك من الأغيار؛ فلن يملؤه بالمعارف والأسرار، فكما أن الله تعالى لا يحب العمل المشترك، لا يحب القلب المشترك، العمل المشترك؛ أي العمل الذي فيه شرك، لا يحبه الله، فكما أن الله تعالى لا يحب العمل المشترك؛ لا يحب القلب المشترك، العمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يقبل عليه.>> لذلك يقول عليه الصلاة والسلام، في إحدى خطبه، قال:

((رغم أنف عبد أدرك رمضان فلم يغفر له، إن لم يغفر له؛ فمتى؟))

[رواه البزار عن عمار بن ياسر]

ـ اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً ـ

لقد قال الله عز وجل:

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

[الشمس: 9 و10]

وليلة القدر، مناسبة جليلة لتزكية النفس، وفلاحها.

ـ أستاذ جمال، جزاك الله خيراً ـ

المذيع جمال الشيخ بكري:

بارك الله بك

أصل الدين؛ معرفة الله، المسلم إذا عرف الله، ثم عرف أمره؛ تفانى في طاعته، أما إذا عرف الأمر، ولم يعرف الآمر؛ تفنن في التفلت من أمره، فلذلك حينما يعرف المسلم ربه حق المعرفة؛ يتفانى في طاعته.

وأي منهج إسلامي، لا يقدم معرفة الآمر، على معرفة الأمر؛ منهج لا ينجح، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قال:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران: 190و191]

قد يسأل سائل، كيف نعرف الله سبحانه؟ الله عز وجل ـ يقول فصل ـ:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ)

[سورة الأنعام:103]

المذيع جمال الشيخ بكري:

جل جلاله.

الدكتور:

لكن العقول تصل إليه، فالله سبحانه وتعالى؛ خلق الكون بسمواته وأرضه، بجباله، وبحاره، بأسماكه، وأطياره، بالنباتات، بكل ما في هذا الكون يدل على الله عز وجل، فالإنسان إذا تفكر في خلق السموات والأرض؛ عرف الله؛ لذلك الله عز وجل، جعل الكون تجسيداً لأسمائه الحسنى، وصفاته الفضلى، أو جعل الكون مظهراً لأسمائه الحسنى، وصفاته الفضلى، فالإنسان حينما يتفكر في طعامه قال تعالى:

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)

[سورة عبس:24]

الإنسان حينما يتفكر فيما خلق:

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ)

[سورة الطارق: 5]

الإنسان حينما يتفكر فيمن حوله، قال:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ*وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ*وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)

[سورة الغاشية:17و18و19 و20]

فكل ما في الكون، يدل على الله، بل إن هذا الإعرابي ـ ببساطة ما بعدها بساطة، قال:

الأقدام تدل على المسير، والماء يدل على الغدير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدلان على الحكيم الخبير؟! >>

المذيع جمال الشيخ بكري:

سبحان الله.

الدكتور:

إذاً الكون له وظيفة كبيرة جداً، في حياة المسلم؛ إنه المادة الأولى لمعرفة الله عز وجل:

وفي كل شيء له آية********تدل على أنه واحد

من مسلمات الإيمان؛ أن تؤمن أن الله موجود، وواحد، وكامل، والكون كله يدل على ذلك، والإنسان حجم استقامته؛ متعلق بحجم معرفته بالله، حجم خشوعه؛ متعلق بحجم معرفته بالله؛ فكلما ازداد الإنسان معرفة بالله عز وجل؛ ازداد طاعة له، وخشوعاً له، وتقرباً إليه.

وليلة القدر مناسبة جليلة لتزكية النفس وفلاحها.

المذيع جمال الشيخ بكري:

ويا سعادة المؤمن عندما يقبل على الله تعالى؛ فهو دائماً الملاذ و الخلاص والسعادة، في الدنيا والآخرة.

نشكركم سماحة الشيخ، الدكتور محمد راتب النابلسي، على هذه المعلمات القيمة، المستنبطة من كتاب الله عز وجل، وهدي النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم، نشكركم سماحة الشيخ، و السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الاسلام والحياة - الحلقة 1 : التوحيد 1

الاسلام والحياة - الحلقة 2 : التعاون 6

الاسلام والحياة - الحلقة 3 : العبادة 11

الإسلام والحياة - الحلقة 4 : الوقت وأهميته 19

الإسلام والحياة - الحلقة 5 : الوقت وعاء العمل 22

الإسلام والحياة - الحلقة 6 : الوقت سر وجودنا وغايته 26

الإسلام والحياة - الحلقة 7 : توظيف الوقت 30

ندوات مختلفة - الندوة 01 : التوكل والتواكل 34

ندوات مختلفة - الندوة 02 : العبادات 38

ندوات مختلفة - الندوة 03 : ندوة عن الدعاء 42

ندوات مختلفة - الندوة 04 : العبادة مع الأستاذ محمود جمعات 51

ندوات مختلفة - الندوة 05 : إضاءة إسلامية لما يجري من أحداث 57

ندوات مختلفة - الندوة 06: قيم البطولة والفداء في تاريخ أمتنا العربية 68

ندوات مختلفة - الندوة 07 : الصيام مع أسئلة المستمعين 76

ندوات مختلفة - الندوة 08 : مظاهر ضعف الإيمان... 91

ندوات مختلفة - الندوة 09 : من ثمار الإيمان : البعوضة - الأرض - السكينة - التعاون 99

ندوات مختلفة - الندوة 10: من ثمار الإيمان : العين - استمرار الطاعة بعد رمضان 109

ندوات مختلفة - الندوة 11: الزكاة 117

ندوات مختلفة - الندوة 12 : الزكاة 124

ندوات مختلفة - الندوة 13: حلاوة الإيمان 128

ندوات مختلفة - الندوة 14: ليلة القدر 131

ندوات مختلفة - الندوة 15: التوحيد 134

ندوات مختلفة - الندوة 16: تأملات في سورة العصر 138

ندوات مختلفة - الندوة 17 : الهجرة 141

ندوات مختلفة - الندوة 18: من وحي القرآن (مكانة الإنسان)....................................... 157

ندوات مختلفة - الندوة 19 : مشوار حياتي (سيرة الدكتور محمد راتب النابلسي)................... 170

ندوات مختلفة - الندوة 20 : معجزات قرآنية1 ، التفكر في خلق السماوات والأرض 184

ندوات مختلفة - الندوة 21 : معجزات قرآنية2 ، الزمن كيف كان؟ وكيف أصبح؟ وكيف سيكون؟.................... 187

ندوات مختلفة - الندوة 22 : معجزات قرآنية3 ، كأس الحليب 190

ندوات مختلفة - الندوة 23 : معجزات قرآنية4 ، اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا 193

ندوات مختلفة - الندوة 24 : معجزات قرآنية5 ، الإعجاز في خلق الإنسان 196

صور من حياة التابعين - الدرس 1 : التابعي شريح القاضي 199

صور من حياة التابعين - الدرس 2 : التابعي أبو حنيفة 203

صور من حياة التابعين - الدرس 3 : التابعي عروة بن الزبير 206

صور من حياة التابعين - الدرس 4 : التابعي النجاشي 210

صور من حياة التابعين - الدرس 5 : التابعي عامر بن شرحبيل الشعبي 214

صور من حياة التابعين - الدرس 6 : التابعي القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق 217

صور من حياة التابعين - الدرس 7 : التابعي عطاء بن أبي رباح 221

صور من حياة التابعين - الدرس 8 : التابعي أبو مسلم الخولاني 225

صور من حياة التابعين - الدرس 9 : التابعي عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز 229

صور من حياة التابعين - الدرس 10 : التابعي سلمة بن دينار 232

صور من حياة التابعين - الدرس 11 : التابعي عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز 235

صور من حياة التابعين - الدرس 12 : التابعي عطاء بن رباح 239

صور من حياة التابعين - الدرس 13 : التابعي عروة بن الزبير 243

صور من حياة التابعين - الدرس 14 : التابعي عامر بن عبد الله التميمي 247

صور من حياة التابعين - الدرس 15 : التابعي صلة بن أشيم العدوي 250

صور من حياة التابعين - الدرس 16 : عبد الرحمن الغافقي أمير الأندلس1... 253

صور من حياة التابعين - الدرس 17 : عبد الرحمن الغافقي أمير الأندلس2... 256

صور من حياة التابعين - الدرس 18 : التابعي رفيع بن مهران1 260

صور من حياة التابعين - الدرس 19 : التابعي رفيع بن مهران2 264

صور من حياة التابعين - الدرس 20 : التابعي الأحنف بن قيس1 268

صور من حياة التابعين - الدرس 21 : التابعي الأحنف بن قيس2 271

صور من حياة التابعين - الدرس 22 : التابعي عامر بن عبد الله التميمي1 274

صور من حياة التابعين - الدرس 23 : التابعي عامر بن عبد الله التميمي2 278

صور من حياة التابعين - الدرس 24 : التابعي محمد بن واسع الأزدي1 281

صور من حياة التابعين - الدرس 25 : التابعي محمد بن واسع الأزدي2 285

صور من حياة التابعين - الدرس 26 : التابعي عبد الرحمن الغافقي 289

صور من حياة الصحابة - الدرس 1 : الصحابي كعب بن مالك 292

صور من حياة الصحابة - الدرس 2 : الصحابي سراقة بن مالك 296

صور من حياة الصحابة - الدرس 3 : الصحابي زيد الخير 301

صور من حياة الصحابة - الدرس 4 : الصحابي عمر بن الخطاب 305

صور من حياة الصحابة - الدرس 5 : الصحابي عمير بن وهب 309

صور من حياة الصحابة - الدرس 6 : الصحابي عكرمة بن أبي جهل 312

صور من حياة الصحابة - الدرس 7 : الصحابي حذيفة بن اليمان 315

صور من حياة الصحابة - الدرس 8 : الصحابي جعفر بن أبي طالب.. 319

صور من حياة الصحابة - الدرس 9 : الصحابي كعب بن مالك 323

صور من حياة الصحابة - الدرس 10 : الصحابي عبد الله بن سلام 327

صور من حياة الصحابة - الدرس 11 : الصحابي ثمامة بن آثال 330

صور من حياة الصحابة - الدرس 12 : الصحابية أم سلمة 334

صور من حياة الصحابة - الدرس 13 : الصحابي ربيعة بن كعب 338

صور من حياة الصحابة - الدرس 14 : الصحابي عمير بن سعد 342

صور من حياة الصحابة - الدرس 15 : الصحابي عمرو بن الجموح 346

صور من حياة الصحابة - الدرس 16 : الصحابي عدي بن حاتم الطائي 350

صور من حياة الصحابة - الدرس 17 : الصحابي أسامة بن زيد 353

صور من حياة الصحابة - الدرس 18 : الصحابي أبو العاص بن الربيع 357

صور من حياة الصحابة - الدرس 19 : الصحابي سلمة بن قيس الأشجعي 361

صور من حياة الصحابة - الدرس 20 : الصحابي النعمان بن مقرن المزني 364

صور من حياة الصحابة - الدرس 21 : الصحابي أبو عبيدة بن الجراح 368

صور من حياة الصحابة - الدرس 22 : الصحابية أم هانئ 372

صور من حياة الصحابة - الدرس 23 : الصحابي حجاج بن علاط السلمي 376

صور من حياة الصحابة - الدرس 24 : الصحابية خولة بنت مالك بن ثعلبة 380

صور من حياة الصحابة - الدرس 25 : الصحابية أم سليم رضي الله عنها 384

صور من حياة الصحابة - الدرس 26 : الصحابية أم الفضل بنت الحارث 388

صور من حياة الصحابة - الدرس 27 : الصحابية أسماء بنت عميس 391

سؤال وجواب - الحلقة 1 : سؤال وجواب 395

سؤال وجواب - الحلقة 2 : سؤال وجواب بمناسبة عيد المولد 398

سؤال وجواب - الحلقة 3 : سؤال وجواب1 402

سؤال وجواب - الحلقة 4 : سؤال وجواب2 405

فيه هدى للناس - الدرس (01-18) : القوة في الإسلام 407

فيه هدى للناس - الدرس (02-18) : نعمة الأمن والأمان 419

فيه هدى للناس - الدرس (03-18) : الامتحان -1 430

فيه هدى للناس - الدرس (05-18) : التلازم الحتمي بين التدين الصحيح والخلق القويم 439

فيه هدى للناس - الدرس (06-18) : العلم و قراءاته.. 449

فيه هدى للناس - الدرس (07-18) : تفسير سورة العصر 460

فيه هدى للناس - الدرس (08-18) : تفسير سورة الليل... 470

فيه هدى للناس - الدرس (09-18) - مدلولات الآية الكريمة : وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ....... 480

فيه هدى للناس - الدرس (10-18) - تفسير قوله تعالى: إنا أعطيناك الكوثر.. 493

فيه هدى للناس - الدرس (11-18) - تفسير قوله تعالى في سورة التكاثر.. 508

فيه هدى للناس - الدرس (12-18) - تفسير قوله تعالى في سورة التكاثر : القبر ! وماذا بعد القبر؟ 524

فيه هدى للناس - الدرس (13-18) - تفسير قوله تعالى في آية: وفي أنفسكم أفلا تبصرون............................ 539

فيه هدى للناس - الدرس (14-18) - تفسير قوله تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.............................. 552

فيه هدى للناس – الدرس(15-18): الذوق - الأدبيات في التعامل مع الآخرين.. 564

فيه هدى للناس - الدرس (17-18) - قال تعالى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم.................................... 574

فيه هدى للناس - الدرس (18-18) - قال تعالى : قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ............................ 587

أفلا تبصرون - ندوة (01 - 30) : ما هو الإعجاز ؟.. 599

أفلا تبصرون - ندوة (02 - 30) : الإقناع في الإعجاز 602

أفلا تبصرون - الندوة (03 - 30) : آيات الله في الآفاق - قال تعالى (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا......)......... 605

أفلا تبصرون - الندوة (04 - 30) : آيات الله في الآفاق - قال تعالى (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)...................... 609

أفلا تبصرون - الندوة (05 - 30) : آيات الله في الآفاق - قال تعالى (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ...)..... 611

أفلا تبصرون - الندوة (06 - 30) : آيات الله في الآفاق - قال تعالى (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ...).................. 613

أفلا تبصرون - الندوة (07 - 30) : آيات الله في الآفاق - تتمة قال تعالى (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ...)........... 617

أفلا تبصرون - الندوة (08 - 30) : آيات الله في الآفاق - الإعجاز العلمي في السنة النبوية (القمح)............. 621

أفلا تبصرون - الندوة (09 - 30) : آيات الله في الآفاق - الإعجاز العلمي في السنة النبوية (التمر).............. 624

أفلا تبصرون - الندوة (10 - 30) : آيات الله في الآفاق - الإعجاز العلمي في السنة النبوية (الزيت)............. 627

أفلا تبصرون - الندوة (11 - 30) : آيات الله في الآفاق - قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بعوضة ....) 631

أفلا تبصرون - الندوة (12 - 30) : آيات الله في الآفاق - قال تعالى (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ...)........... 634

أفلا تبصرون - الندوة (13 - 30) : آيات الله في الآفاق - الإعجاز العلمي في السنة النبوية (تزكية الذبيحة)............ 637

أفلا تبصرون - الندوة (14 - 30) : آيات الله في الآفاق - قال تعالى (نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ...)..........640
أفلا تبصرون - الندوة (15 - 30) : آيات الله في الآفاق - السمكة الطبيبة.. 643
أفلا تبصرون - الندوة (16 - 30) : آيات الله في النفس – قال تعالى :(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ...)....... 646
أفلا تبصرون - الندوة (17 - 30) : آيات الله في الإنسان – قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)................. 649
أفلا تبصرون - الندوة (18 - 30) : آيات الله في الإنسان – قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)................. 652
أفلا تبصرون - الندوة (19 - 30) : آيات الله في الإنسان - قال تعالى: (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)........................ 655
أفلا تبصرون - الندوة (20 - 30) : آيات الله في الإنسان - قال تعالى: (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)...... 658
أفلا تبصرون - الندوة (21 - 30) : آيات الله في الإنسان - آلية عمل جهاز المناعة المكتسب.......... 661
أفلا تبصرون - الندوة (22- 30) : آيات الله في الإنسان - مرض نقص المناعة المكتسبة...................................... 664
أفلا تبصرون - الندوة (23 - 30) : آيات الله في الإنسان - قال تعالى (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)............. 667
أفلا تبصرون - الندوة (24 - 30) : آيات الله في الإنسان - قال تعالى: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ)............ 670
أفلا تبصرون - الندوة (25 - 30) : آيات الله في الإنسان - قال تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ.....).......... 673
أفلا تبصرون - الندوة (26 - 30) : آيات الله في الإنسان – لمحة عن لسان المزمار............ 676
أفلا تبصرون - الندوة (27- 30) : آيات الله في الإنسان - التدخين... 679
أفلا تبصرون - الندوة (28 - 30) : آيات الله في الإنسان – ضرر الدخان على الفرد و الأسرة و المجتمع.................. 682
أفلا تبصرون - الندوة (29 - 30) : آيات الله في الإنسان – رمضان شهر عبادة و انضباط و صلح مع الله عز وجل....... 685
أفلا تبصرون - الندوة (30 - 30) : آيات الله في الإنسان – العيد تحقيق لإنجاز كبير جداً من شأنه أن يفرح الإنسان....... 689
من نور الإيمان - الحلقة (1 - 8) : قراءة في سورة العصر... 692
من نور الإيمان - الحلقة (2 - 8) : التوحيد والعبادة... 697
من نور الإيمان - الحلقة (3 - 8) : التفكر في آيات الله.. 702
من نور الإيمان - الحلقة (4 - 8) : الآيات الكونية في خلق الإنسان... 707

من نور الإيمان - الحلقة (5 - 8) : آيات الله في الآفاق.. 711

من نور الإيمان - الحلقة (6 - 8) : آيات الله في الإنسان 716

من نور الإيمان - الحلقة (7 - 8) : الإنسان من خلال القرآن.. 720

من نور الإيمان - الحلقة (8 - 8) : ليلة القدر وماهيتها.. 725

الفهرس.. 730